

إفادة أنظاركم في الأصول المطبوعة

١١٧١ - ١٢٦٨ م / ٥٦٧ - ٦٦٦ هـ

دكتور

حسين محمد عطية

كلية الآداب - جامعة طنطا

تقديم

دكتور

بيزوليام إريوري

كلية الآداب - جامعة ويلز

الأستاذ الدكتور

جوزيف نسيم يوسف

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الطبعة الأولى

١٩٨٩

دار المعرفة الجامعية



مكتبة المهتدين الإسلامية







مكتبة التاريخ الوسيط
(١)

إفاندا انطاكية الصليبية

١١٧١ - ١٢٦٨ م / ٥٦٧ - ٦٦٦ هـ

تأليف

دكتور حسين محمد حطيط

مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة طنطا

تقــديم

دكتور بيتر وليام إدوين

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
كلية الآداب - جامعة ويلز

دكتور جوزيف نسيج يوسف

أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الطبعة الأولى

١٩٨٩

دار المعرفة الجامعية
٤٠٣ شوشة - الإسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أهداء

إلى زوجتي ...

وابنتي تسنيم •

العطاء الدائم .. والامل المتجدد •

تقديم

الاستاذ الدكتور/جوزيف نسيم يوسف

كاتب وكتاب يسعدنى أن أقدمهما الى قراء العربية الكرام . أما الكاتب فهو الدكتور حسين محمد عطية حسن مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة طنطا . وأما الكتاب فهو مؤلفه اماره انطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١ - ١٢٦٨ م/٥٦٧ - ٦٦٦ هـ) .

والدكتور حسين عطية باحث فى الدراسات التاريخية من الطراز الاول ، أتوقع له مستقبلا مرموقا فى مجال تخصصه . وهو من أبناء كلية الآداب بجامعة الاسكندرية . حصل على درجة الليسانس من قسم التاريخ فى مايو ١٩٧٢ . واجتاز السنة التمهيدية للماجستير فى فرع التاريخ الوسيط فى مايو ١٩٧٣ ، وفى أكتوبر ١٩٨١ حصل على درجة الماجستير فى تاريخ العصور الوسطى ، تحت اشرافى فى موضوع « اماره انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الاسلامية المجاورة (١٠٩٨ - ١١٧١ م/٤٩٢ - ٥٦٧ هـ) » . وفى يناير ١٩٨٣ سجل ، تحت اشرافى ، للحصول على درجة الدكتوراة فى التاريخ الوسيط فى موضوع هذا الكتاب ، الذى هو امتداد لرسالة الماجستير .

وفى فبراير ١٩٨٣ تم تعيين الباحث فى وظيفة مدرس مساعد فى تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة طنطا ، وفى عام ١٩٨٤ حصل على بعثة اشراف مشترك فى جامعة ويلز بالملكة المتحدة وفقا لنظام القنوات العلمية ، حيث أمضى هناك الفترة من سبتمبر ١٩٨٤ الى أغسطس ١٩٨٦ تحت اشراف الدكتور Peter W. Edbury المتخصص فى تاريخ الحروب الصليبية بالجامعة المذكورة . وقد ساعده تواجده فى انجلترا فى جمع المادة العلمية من مختلف المصادر والمراجع التى لا تتوفر فى منطقة الشرق الاوسط ، وفى حضور العديد من السمنارات والندوات وحلقات البحث العلمى فى مجال تخصصه ، وفى زيارة أهم المكتبات مثل مكتبة بودليان باكسفورد ومكتبة المتحف البريطانى ومكتبات الجامعات

البريطانية الأخرى ، وفي الاتصال بالاساتذة المتخصصين في تاريخ العصور الوسطى بصفة عامة وتاريخ الحروب الصليبية على وجه الخصوص .

وفي فبراير ١٩٨٧ حصل الباحث على درجة الدكتوراة في تاريخ العصور الوسطى . وفي ابريل ١٩٨٧ ثم تعيينه مدرسا في هذا التخصص ، الذى سار فيه منذ بداية حياته الجامعية ، في كلية آداب طنطا . فكان هذا تتويجا لحياة جادة دعوية امتدت أكثر من خمسة عشر عاما متواصلة ، أثبت فيها الدكتور حسين عطية كفاءة واضحة ومقدرة علمية مبدعة مع تمتع بتذوق تاريخى ممتاز ودمائة في الخلق وحسن السلوك .

هذا عن الكاتب . أما الكتاب الذى بين يدي القارئ فهو يتسم بأسلوبه الرفيع ومنهجه العلمى الصحيح ، ويشتمل على خمسة فصول تسبقها مقدمة ودراسة تحليلية نقدية مقارنة لأهم المصادر . وبآخر الكتاب الخاتمة وعدد من الملاحق الهامة . وقائمة المصادر والمراجع . ويتخلله عدة خرائط ورسوم تخطيطية قيمة .

وفي المقدمة تحدث عن أهمية الموضوع وسبب اختياره له ، وحدوده الزمنية والجديد فيه . ثم قدم دراسة تحليلية لأهم المصادر من عربية ولاتينية وبيزنطية وأرمينية وسريانية وفارسية تتميز بقيمتها الفائقة ، وتعتبر اضافة لها وزنها الى الدراسات الوثائقية والبليوجرافية المتعلقة بتاريخ الحركة الصليبية بعامة وتاريخ العلاقات الصليبية الاسلامية على وجه الخصوص . وأعتقد أنها ستكون هديا لكل من يعمل في هذا الميدان الخصب .

وعنوان الفصل الاول « امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين حتى نهاية الدولة الفاطمية (١٠٩٨ - ١١٧١م/٤٩٢ - ٥٦٧) » ، وهو يعتبر مدخلا لبقية الفصول ، تحدث فيه عن سقوط انطاكية في قبضة الصليبيين وتأسيس امارة لاتينية بها ، ورد الفعل الاسلامى . كما ركز على سياسة أمراء انطاكية اللاتين حيال جيرانهم المسلمين منذ تأسيس الامارة وحتى نهاية الدولة الفاطمية ، في مصر . وعنوان الفصل الثانى « الامارة وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين

في فترة الانحسار الصليبي في بلاد الشام (١١٧١ - ١٢٠١ م / ٥٦٧ - ٥٩٧ هـ) . وعالج فيه عدة قضايا من بينها الاسباب التي أدت الى فرض الدولة البيزنطية حمايتها على امارة انطاكية اللاتينية ، وأثر ذلك على العلاقات السياسية بين حاكم انطاكية وقتها وهو بوهيموند الثالث وبين كل من نور الدين محمود وصلاح الدين الايوبي في وقت بدأت فيه حركة اليقظة الاسلامية في المشرق الاسلامي وفي وقت بدأ فيه توازن القوى في الصراع بين المسلمين والصليبيين يعتدل لصالح المسلمين . ومن النقاط الهامة التي عالجها في هذا الفصل وتوصل فيها الى آراء محددة : الحملة الفلمنكية وآثارها ، وانتهاء الحماية البيزنطية على امارة انطاكية ، وسياسة صلاح الدين تجاه الامارة والنتائج المترتبة عليها . وأنهى الفصل بالحديث عن الحملة الصليبية الثالثة ودور بوهيموند الثالث فيها .

أما الفصل الثالث فعنوانه « امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين في فترة توازن القوى بين الصليبيين والمسلمين (١٢٠١ - ١٢٣٣ م / ٥٩٧ - ٦٣٠ هـ) » . وقد تناول فيه المؤلف بالدراسة التحليلية امارتي بوهيموند الرابع الاولى والثانية في انطاكية ، مع تفسير الهدوء النسبي الذي ساد العلاقات بين افرنج انطاكية وجيرانهم المسلمين أثناء امارته الاولى ، ثم تحليل موقفه من الحملتين الصليبيتين الخامسة والسادسة وموقفه من كل من الارمن وسلاجقة الروم أثناء امارته الثانية . وجعل عنوان الفصل الرابع « امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين في فترة التفكك الصليبي والاسلامى (١٢٣٣ م / ٦٣٠ - ٦٥٦ هـ) » . ويغطى هذا الفصل فترة امارة بوهيموند الخامس وبدايات امارة بوهيموند السادس . وتناول فيه المؤلف عدة قضايا هامة ، من بينها تحالف بوهيموند الخامس مع جماعة الفرسان الاسبتارية ضد المسلمين مع تحليل أسباب هذا التحالف والنتائج المترتبة عليه ؛ وأيضا تحالف أمير انطاكية مع الفرسان الداوية ضد أرمن قيليقية وانعكاس ذلك على العلاقات الانطاكية الاسلامية . ومن القضايا التي عالجها في هذا الفصل موقف الامير الانطاكي من الصراع بين الخوارزمية والايوبيين في بلاد الشام ، والسياسة السلمية التي انتهجها حيال المسلمين في الفترة الواقعة بين عامي ١٢٤٤ و ١٢٥١ م (٦٤٢ - ٦٤٩ هـ) ، مع تحليل دوافعها والآثار المترتبة عليها . . واختتم الفصل باستعراض الاحداث التي شهدتها

امارة بوهيمند السادس في بدايتها ، وبخاصة الحملة الصليبية السابعة على مصر ، ومدى انعكاس ذلك على العلاقات بين امارة انطاكية الصليبية والمسلمين .

وفي الفصل الخامس والاخير من الكتاب وعنوانه « سقوط امارة انطاكية (١٢٥٩ - ١٢٦٨م / ٦٥٧ - ٦٦٦ هـ) » تناول بالدراسة المدققة موضوع التحالف الانطاكي الارمينى المغولى ضد المسلمين وآثاره وتوصل الى رأى جديد - على عكس ما ذهب اليه المؤرخ الفرنسى رينيه جروسيه ومن حذا حذوه في ذلك - يثبت أنه لم يكن من الممكن قيام تحالف بين الصليبيين في بلاد الشام وبين المغول ضد المماليك في مصر ، وذلك بتتبعه لموقف المغول من كل من المسلمين والصليبيين في آن واحد . ومن النقاط التى عالجها سياسة الدولة المملوكية في مصر تجاه انطاكية بعد موقعة عين جالوت ، وأحوال الامارة قبل سقوطها في أيدي المماليك ، الى أن انتهى الامر بسقوطها وانتهاء الامارة اللاتينية فيها سنة ١٢٦٨م / ٦٦٦ هـ . وفي الخاتمة ركز على موضوعين هامين : أولهما تحديد الخطوط العريضة للعلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين في ضوء توازن القوى في الصراع بين الطرفين ، الصليبي والاسلامى . كما استعرض فيه مواقف الامارة حيال مختلف القوى التى تعاملت فيها ابان الفترة الزمنية موضوع الدراسة ، والتى أملت عليها الظروف التى كانت سائدة وقتها . أما الموضوع الثانى فقد حدد فيه المؤلف أهم القضايا التى تعرض لها ، وأبرز الآراء والنتائج والاستنتاجات التى تم التوصل اليها .

لقد تصدى المؤلف لموضوع صعب ، متشابك الاطراف ، متعدد القوى ، متنوع المصادر والاصول ، ملئ بالقضايا والنقاط التى لم يسبق الوصول فيها الى آراء حاسمة قاطعة . وقد تمكن بحاسته التاريخية الممتازة أن يعالج قضايا البحث بموضوعية وحيدة وأمانة ، مبدىا رأيه فيها ، موثقا اياه . وتوصل الى نتائج واستنتاجات تتسم بدقتها وجدتها وأصالتها ، وتساعد على اللقاء المزيد من الاضواء على كثير من الامور التى شابها الغموض ، و التى وقفت أمامها الدراسات التاريخية الحديثة ، وفي مقدمتها مؤلفات كلود كاهن ورهرشت ، دون الاخذ برأى قاطع فيها ،

أو التزمت حيالها الصمت التام . ولقد حالف المؤلف التوفيق في الوصول الى نتائج واضحة محددة ، أزالت الكثير من الغموض الذى اكتنف العلاقات السياسية بين اماره انطاكية في ظل الحكم الصليبي لها وبين القوى الاسلاميه المختلفه في الشرق الادنى وذلك عن طريق عقد المقارنات والموازنات التاريخيه بين مختلف المصادر ، العربيه والاجنبية ، بغية الوصول الى الحقيقه التاريخيه البحتة التى نجح فعلا في ابرازها . وساعده على ذلك دراسته للغة اللاتينية أثناء السنة التمهيدية للماجستير وطوال اعدادة لدرجتى الماجستير والدكتوراه ، وكذلك دراسته للغة الفرنسـية القديمة أثناء تواجده في بعثة الاشراف المشترك في بريطانيا .

وكانت حصيلة ذلك أن الدكتور حسين عطية قدم لنا أول دراسة مستقلة قائمة بذاتها ومتكاملة في هذا الموضوع الحيوى الهام تسد فجوة واضحة في تاريخ الحركة الصليبية بوجه عام وتاريخ العلاقات الصليبية الاسلامية على وجه الخصوص .

دكتور جوزيف نسيم يوسف

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

الاسكندرية في ٢١ سبتمبر ١٩٨٨م كلية الآداب – جامعة الاسكندرية

FOREWORD

By

Dr. Peter William Edbury

There is no doubting the importance of Antioch to Byzantines, Muslims and Crusaders alike. Its strategic position and its economic role made it of vital significance. It was the first major city in the Near East to be captured by the armies of the First Crusade, and the Christian princes held it continuously from 1098 until 1268. **Dr. Hussein M. Attia's** study is the first large-scale investigation of the history of Antioch under the Crusaders to be published in any language since Professor Claude Cahen's justly famous work, *La Syrie du Nord à l'époque des croisades et la principauté franque d'Antioche* (Paris : Institut français de Damas), which appeared as long ago as 1940. This new book is doubly welcome : it takes into account both Christian and Muslim materials, some of which were not readily available in 1940, and it provides a reassessment of the history of the principality in the light of the large quantity of recent research which has come out on the crusading movement in general, the other regions conquered by the Christians in Palestine and the coastal areas to the north, and the fortunes of the neighbouring Islamic peoples. Writing about Antioch is not easy : contemporary European writers were more interested in Jerusalem and the Christian Holy Places; Arabic writers more interested in the Muslim princes in the surrounding territories. In consequence the sources are diffuse and uneven. The patient scholarship which has had to go into this book makes it all the more worth while.

Peter W. Edbury

**University of Wales, College of Cardiff
October 1988**

بسم الله الرحمن الرحيم

« قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُفْلِتُ الَّذِينَ كَفَرُوا
قَوْمَ مُؤْمِنِينَ »

صدق الله العظيم

مقدمة المؤلف

إذا كان موضوع العلاقات بين الشرق الاسلامى والغرب المسيحى اiban الحقبة الوسيطة من التاريخ من الموضوعات التى تحتاج الى دراسات مستفيضة ، فان الحركة الصليبية كانت أهم ظاهرة من مظاهر تلك العلاقات . فهى من جهة ، كانت أقصى رد فعل لأوروبا المسيحية تجاه العالم الاسلامى بعد ظهور الاسلام . ومن جهة أخرى ، فانها لم تقتصر على علاقات الصليبيين السياسية بالمسلمين ، بل اشتملت أيضا على المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية . ولما جذبت الحركة الصليبية أطرافا أخرى من غير المسيحيين الغربيين الى الصراع الدائر فى الشرق الادنى الاسلامى من بيزنطيين وأرمن ومغول ، فقد أدى كل ذلك الى تعقد وتشابك الموقف فى بلاد الشام التى كانت مسرحا لهذا الصراع . ولما شغلت الحركة الصليبية ثلاثة قرون من الزمان ، تطور فيها المجتمع الصليبي فى بلاد الشام ، نتيجة لمروره بظروف متباينة ارتبطت بالمقام الاول بأحوال كل من المسلمين فى الشرق والمسيحيين فى الغرب ، فقد كشفت تلك الفترة الطويلة عن معنى الحركة الصليبية الحقيقى من خلال تلك العلاقات التى سادت بين الصليبيين والمسلمين من جهة ، وبين القوى الصليبية من جهة أخرى .

وامارة انطاكية الصليبية ، موضوع هذا الكتاب ، واحدة من أربع امارات صليبية تكون منها الكيان الصليبي فى بلاد الشام . وعاصرت الامارة تقريبا كل العصر الصليبي فى الشرق الادنى الاسلامى ، ولعبت دورا بارزا فى تطور العلاقات بين الصليبيين والمسلمين . كما أسهمت سياسة أمرائها فى تطور أحوال الصليبيين من حيث القوة أو الضعف . وشاركت أيضا فى تشكيل السياسة الصليبية العامة تجاه المسلمين كما شاركت فى غالبية الصراع الصليبي الاسلامى بصورة غير مباشرة أحيانا ، وبصورة مباشرة وفعالة فى أغلب الاحيان ، مما يدفع الى الاخذ بأن تاريخ امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالقوى الاسلامية المجاورة يمثل تاريخا يدفع دارسه الى التعرض لتاريخ الحروب الصليبية كلها .

كل ذلك دفعنى الى اختيار « امارة انطاكية الصليبية والمسلمون »

فيمّا بين عامى ١١٧١م/٥٦٧هـ و ١٢٦٨م/٦٦٦هـ ، موضوعا للدراسة . الى جانب ذلك ، فهناك عدة أسباب تجعل هذه الدراسة تحظى بأهمية خاصة . ومن بين هذه الاسباب خلو المكتبة العربية من بحث قائم بذاته فى هذا الموضوع . كما أن ما كتبه المؤرخون الغربيون الحديثون لا يعبر الا عن وجهة النظر الغربية فحسب ، كما أن هؤلاء المؤرخين الغربيين قد تناولوا تاريخ العلاقات السياسية بين امارّة انطاكية وجيرانها المسلمين بصفة عامة وشاملة ، ضمن استعراضهم السريع والعام لتاريخ الحروب الصليبية ، وما واجه الصليبيين من مشاكل داخلية وخارجية ، وعلاقات هؤلاء السياسية والحربية بالمسلمين بصفة عامة ، الامر الذى يجعل من الصعب تحديد دور هذه الامارة تحديداً أقرب الى الدقة . وبالإضافة الى ذلك فانه لا يوجد مصدر تاريخى واحد معاصر لأحداث الفترة موضوع الدراسة ، انفرد بسرد تاريخ العلاقات السياسية بين امارّة انطاكية الصليبية والمسلمين على حدة ، بل أشار جميع المؤرخين المعاصرين ، عربا كانوا أم غربيين ، اليها ضمن ما أورده عن العلاقات بين الصليبيين والمسلمين بصفة عامة . واذا كانت هناك بعض المصادر اللاتينية قد تناولت تاريخ أحد أمراء انطاكية أو سجلت أعماله فى الشرق ، فقد كان ذلك فقط خلال العقدين الاولين من تاريخ وجود الصليبيين فى الشام . أما عن الفترة موضوع الدراسة ، فان امارّة انطاكية لم تخرج لنا المؤرخ الذى يكتب تاريخها الخاص ، فى الوقت الذى تركّز فيه اهتمام مؤرخى الحركة الصليبية المعاصرين فى سرد أحوال المملكة الصليبية فى بيت المقدس ثم فى عسكا ، دون أحوال الصليبيين فى شمال الشام . وهكذا ظل تاريخ امارّة انطاكية الصليبية فى حاجة الى المزيد من الدراسة والبحث لالقاء الضوء على ما أغفلت ذكره المصادر الصليبية ، أو جاء مبتورا وغامضا من تاريخ امارّة انطاكية الصليبية وعلاقاتها بالمسلمين فى روايات من تعرضوا لتاريخ الحروب الصليبية من المؤرخين الحديثين .

أما عن الدراسات السابقة والجادة التى تعرضت لتاريخ امارّة انطاكية الصليبية على حدة ، نذكر منها بحثى رأى « تاريخ أمراء

انطاكية» (١) « وسادة امارة انطاكية » (٢) ، ومقالة دى ماس لاترى « بطاركة انطاكية اللاتين » (٣) . الا أن هذه الدراسات لا تفى بالغرض . وهى فى حقيقتها معالجات غير مباشرة لموضوع البحث . كما أن تاريخ العلاقات السياسية بين امارة انطاكية وجيرانها المسلمين لم يكن الموضوع الاساسى لهذه الدراسات ، ان لم يكن بعيدا كل البعد عن ذلك . فبحث راي الاول تعرض لتاريخ أمراء انطاكية وجذورهم الاولى فى أوروبا ، ونسب كل منهم وعلاقاته بالطوائف الصليبية من جماعات الرهبان العسكرية الى الجاليات الايطالية والكنيسة اللاتينية فى امارته . أما البحث الثانى ، فقد عالج بايجاز شديد ما أوجده الفرنج فى انطاكية من وظائف عسكرية ومدنية ودينية . ويعد ثبوتا لسادة انطاكية من كونتات وكندسطلات وبطاركة الامارة اللاتين وغيرهم من موظفيها . بينما جاء بحث دى ماس لاترى عبارة عن ثبت لبطاركة انطاكية اللاتين وتاريخ ونسب كل منهم . وهكذا كانت كل هذه الدراسات - بالرغم من الجهد الواضح فى انجازها ، وبالرغم من كونها تخدم موضوع البحث بصورة غير مباشرة - بعيدة كل البعد عن تاريخ العلاقات السياسية بين صليبيى انطاكية وجيرانهم المسلمين . أما أقرب الدراسات السابقة لموضوع البحث وأكثرها جدية فهى ما قام به المؤرخ الفرنسى « كلود كاهن » والتي تحمل عنوان « سوريا الشمالية زمن الحروب الصليبية ، وامارة انطاكية الفرنجية » (٤) . وفى الحقيقة فقد جاءت هذه الدراسة جادة الى حد بعيد . فهى تعالج تاريخ امارة انطاكية منذ نشأتها فى عام ١٠٩٨م/ ٤٩٢هـ وحتى سقوطها فى أيدي المماليك فى عام ١٢٦٨م/ ٦٦٦هـ . ونجح كلود كاهن فى ربط تاريخ الامارة الصليبية بتاريخ المنطقة التى تقع فيها من بلاد المسلمين وهى شمال الشام ، وأيضا بتاريخ المستعمرات الصليبية

E.G. Rey, Résumé de L'Histoire des Princes d'Antioche, in (١)

R.O.L., Vol. IV, Paris, 1896.

E.G. Rey, Les Dignitaires de La Principaut de Antioche, in (٢)

R.O.L., Vol. VIII, Paris, 1900-1.

L. De Mas Latrie, Les Patriarches Latins d'Antioche, in (٣)

R.O.L. Vol. 11, Paris, 1894.

Claud Cahen, La Syrie du Nord a L'Epoque des Croisades (٤)

et La Principaute Franque d'Antioche, Paris, 1940.

الأخرى في الشرق الأدنى الاسلامى بشكل يجعل من دراسته تاريخيا للحروب الصليبية بصفة عامة ، وليس كما يوحى عنوان دراسته بأنه دراسة للامارة وسوريا الشمالية فقط . كما يظهر بجلاء حرص المؤرخ على الرجوع الى مختلف المصادر المتعلقة بموضوع البحث بصورة طبعت دراسته بطابع الجدية والاصالة ورغم ذلك ، فهناك من الاسباب ما أبقي تاريخ العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية والقوى الاسلامية المجاورة لها في حاجة الى دراسة جديدة . وفي الحقيقة لم تتضح كل هذه الاسباب أمامى منذ الوهلة الاولى التى رجعت فيها الى كتاب كلودكاهن . بل اتضح ذلك بعد جمع المادة العلمية الخاصة بموضوع هذا الكتاب . الا أن أول ما دفعنى الى التفكير فى التعرض لهذا الموضوع ، بالرغم من معالجة كاهن له ، هو أن دراسة كاهن الممتازة له قد ظهرت فى عام ١٩٤٠م . أى أن هناك قرابة نصف قرن لابد وأن يكون قد ظهر خلاله الجديد من الوثائق والمادة العلمية التى لم تتوفر لكلود كاهن حين قام بدراسته . أو تكون قد تمت دراسات حديثة ربما تعالج ما يخدم هذا الموضوع ولو بشكل غير مباشر والتى لم تكن قد تمت من قبل . وتأكد ذلك لى حين أتممت جمع المادة العلمية الخاصة بالموضوع . كما تأكد أن هناك ما يؤخذ على المؤرخ الفرنسى الكبير . فبالرغم من المجهود الواضح الذى بذله كاهن فى ربط تاريخ امارة انطاكية بالاطار العام لتاريخ المنطقة مسرح الاحداث بما احتوته من قوى صليبية واسلامية جنباً الى جنب ، فان حرص كاهن على القيام بذلك جرفه أحياناً الى التبحر فى دراسة ظروف كل من المسلمين فى مصر وبلاد الشام فاطميين وأيوبيين ومماليك ، الى جانب سلاجقة العراق والشام وآسيا الصغرى والجزيرة ، ثم المغول والخوارزمية أيضاً، الامر الذى جعله يبتعد أحياناً عن معالجة أحوال امارة انطاكية ، خاصة فى القرن ١٣م/٧هـ ، بنفس الدقة التى عالجه بها فى معرض حديثه عن تاريخها فى القرن ١٢م/٦هـ . وبذلك ترك لنا بعض النقاط دون معالجتها أو الاخذ برأى قاطع فيها . ومثال ذلك عدم تحديد الفترة الحقيقية التى انتهت فيها الحماية البيزنطية على امارة انطاكية الصليبية ، وعدم تتبع دور بوهيمنيد الثالث أمير انطاكية فى تشكيل السياسة الصليبية العامة تجاه المسلمين ، واسهامه فى هذه السياسة وموقفه منها ، وأثر ذلك على الكيان الصليبي فى بلاد الشام . ونفس الشيء

ينطبق على كل من حكم في انطاكية من أمراء جاعوا بعد بوهيمند الثالث . الى جانب ذلك ، فقد ترك كاهن بعض الاحداث دون وضع تاريخ محدد لوقوعها .

وربما يرجع ذلك - الى جانب انشغال كاهن بمعالجة أحوال مختلف أطراف الصراع الصليبي الاسلامي - الى عدم اكتمال النصوص التي توفرت لديه من المصادر الغربية والعربية ، أو عدم تحديد المصادر الصليبية أو الاسلامية لتواريخ وقوع بعض الاحداث ، الامر الذي يتطلب وجود النصوص الكاملة التي يمكن الخروج منها باستنتاجات معينة بعد تمحيص رواياتها المختلفة . وربما رجع كاهن الى بعض ترجمات المستشرقين للمصادر الاسلامية المعاصرة لفترة الدراسة مثل ما قام به كل من كاترمير ويلوشيه من ترجمات لبعض نصوص هذه المصادر . أو لما توفر لدى كاهن من شذرات المصادر الاسلامية التي نشرت في مجموعة المؤرخين الشرقيين ، والتي لا تفي بالغرض . وأخيرا ، فان معالجة كاهن لأحوال امارة انطاكية الصليبية منذ العقد الثالث من القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري لم تعطنا صورة واضحة لأحوال الامارة بعد استرداد بوهيمند الرابع لها من الارمن عام ١٢١٩/٦١٦هـ وحتى سقوطها في أيدي المماليك عام ١٢٦٨م/٦١٦هـ ، وأثر ذلك على سياسة أمراء انطاكية تجاه المسلمين والقضية الصليبية بشكل عام . كل ذلك لم يجعل من دراسة كلود كاهن نهاية المطاف بالنسبة لدراسة تاريخ العلاقات السياسية لامارة انطاكية الصليبية بجيرانها المسلمين . وفي الحقيقة فبالرغم من ذلك فانه اذا كان على أن أقوم بسد الثغرات واماطة اللثام عن بعض الحقائق التي شابها الغموض في دراسة كلود كاهن ، فان تتبّع أثر هذا المؤرخ الكبير قد أجهدني بشكل كبير ، وبالتحديد فيما يخص محاولة الحصول على كل المصادر الاصلية التي رجع هو اليها . ففي الوقت الذي تمكنت فيه من الحصول على بعض الوثائق ، أو الرجوع الى بعض المصادر التي لم تتوفر لدى كلود كاهن لكونها لم تنشر الا حديثا ، أو لم تتوفر لديه كاملة ، وخاصة الاسلامية منها ، فانني لم أتمكن من الحصول على بعض المصادر الاصلية التي رجع اليها كاهن في دراسته لعدم امكانية الحصول عليها أو لعدم الوقوف على أماكن نشرها ، ولحسن الحظ أن هذه

المصادر لا تقتصر اتصالا مباشرا بموضوع الكتاب . وبالرغم من ذلك فقد ساعد ما أمكن الحصول عليه من مادة علمية متنوعة على لقاء الضوء على ما يشوب جوانب الموضوع من غموض .

وللقيام بذلك تناولت وجهتي النظر العربية والغربية في حيدة وانصاف بعيدا عن الميول والاهواء . واستتبع هذا القيام بتمحيص الروايات التي وردت في المصادر الاسلامية والمسيحية ، والتأكد من صحتها من خلال وضعها في الاطار العام للاحداث التاريخية التي سادت منطقة الشام ابان الفترة الزمنية موضوع الدراسة ولقد اتبعت منهاجا يختلف تماما عن المناهج التي اتبعها الباحثون الغربيون ، ويتفق وطبيعة موضوع الكتاب وحدوده الزمنية . فعلى الرغم من أن الموضوع يتعلق أساسا بالعلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين ، الا أنه استلزم بالضرورة دخول أطراف عديدة في هذا المجال بشكل مباشر أو غير مباشر ، بحيث لا يمكن اغفال أي منها عند التعرض للعلاقات بين طرفي الصراع . وعلى سبيل المثال الدولة البيزنطية المطالبة بحقها في انطاكية التي أسس النورمان أعداء الامبراطورية امارة بها ، والتي ظلت حمايتها على الامارة الصليبية حجر الزاوية في تشكيل سياسة المسلمين تجاه انطاكية لفترة ليست بالقصيرة . وأيضا الارمن الذين كانت ممتلكاتهم حدودا فعالة بين البيزنطيين في انطاكية والسلاجقة في آسيا الصغرى ، والذين تمكنوا من انتزاع الامارة من أيدي الصليبيين لمدة ثلاث سنوات . وأخيرا المغول الذين اجتذبهم قادة الصليبيين في أوروبا وانطاكية وأرمينيا الصغرى - الى جانب ظروف المغول أنفسهم - الى دائرة الصراع . الا أنني ، بالرغم من تشابك الاطراف وتداخل الاحداث ، قد أشرت الى مختلف القوى بالقدر الذي يسمح بالقاء الضوء على طبيعة العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين . الى جانب ذلك ، فقد كان تحديد طبيعة دور وموقف أمراء انطاكية - كل بدوره - من القضية الصليبية وسياساتهم الخاصة تجاه المسلمين ، من القضايا التي لم تنل اهتمام المؤرخين الحديثين عربا كانوا أم غربيين .

ولذلك يعتبر وضع الكتاب محاولة لتتبع تاريخ الامارة وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين منذ نشأتها الى أن سقطت في أيدي المسلمين

كبداية لسقوط الكيان الصليبي كله في الشرق . ولقد كان دور امارة انطاكية بارزا في الصراع الصليبي الاسلامي في بلاد الشام . فقد شكلت الامارة في البداية درعا حاميا في شمال الشام لكونتية طرابلس ومملكة بيت المقدس في وسطه وجنوبه أمام ردود الفعل الاسلامية المتتالية . وكان أمراء انطاكية اللاتين أكثر العناصر الصليبية رغبة في التوسع على حساب المسلمين . وكان للسياسات التي اتبعها هؤلاء الامراء أكبر الاثر - بما عقده من تحالف مع بعض القوى الاسلامية - في زيادة الفارقة بين صفوف المسلمين ، وعجزهم عن تسديد الضربة القاضية للوجود الصليبي لفترة طويلة . كما كان لامارة انطاكية دورها الفعال في تدعيم موقف القوى الصليبية في بلاد الشام بما قدمته من مساعدات لسائر الطوائف الصليبية في المنطقة . وكان لأمراء انطاكية دورهم في اثاره الحمية الصليبية لدى حكام غرب أوربا بما كانوا يبعثون به من رسائل طلبا للعون والمساعدة ، الامر الذي ترتب عليه قيام حملات صليبية جديدة لايقاف المد الاسلامي الذي بدأ في عهد عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود واكمل في عهد صلاح الدين الايوبي الذي وجه الضربة القاضية لمملكة بيت المقدس الصليبية التي لم تقم لها قائمة بعد ذلك . وقبل أن يحل القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري وحين قدر للفرنج أنفسهم أن يساهموا ، بما قام بينهم من نزاعات وما حرصوا عليه من مصالح شخصية طغت على الصالح الصليبي العام ، في فتور الروح الصليبية - الى جانب ظروف اخوانهم في أوربا - كان لامراء انطاكية النصيب الاوفر في الاسهام في فشل اعادة بناء أركان مملكتهم ، بالرغم من مشاغل خلفاء صلاح الدين فيما شجر بينهم من نزاعات . كما كان لهم دورهم (أمراء انطاكية) في اثاره الفارقة بين صفوف الصليبيين في عهد صلاح الدين من قبل . وكان لمشاركة أمراء انطاكية مع الارمن أكبر الاثر في اجتذاب المغول ، وتمهيد الطريق أمامهم ، كطرف جديد في الصراع لم يفد منه الصليبيون ، بل كان سببا في أن تصبح أملاكهم هدفا لمشروعات المماليك للقضاء على الكيان الصليبي المتداعي في الشرق . وهكذا لم تغب امارة انطاكية الصليبية عن الصراع الصليبي الاسلامي في بلاد الشام بالرغم من انتهاء دور القوى السياسية في شمال الشام وفي العراق ، وتوجه الانظار الى مصر كقاعدة للجهاد الاسلامي ضد الصليبيين ، وكهدف للحملات الصليبية التي تلت الحملة الثالثة . والخلاصة ، فان تاريخ امارة انطاكية السياسي منذ نشأتها وحتى سقوطها

في أيدي المسلمين ، وعلاقاتها السياسية بالقوى الاسلامية المجاورة ، يمثل مظهرا من مظاهر الصراع بين الشرق والغرب في عصر الحروب الصليبية ، ويعتبر حلقة من حلقات ذلك الصراع .

هذا بالنسبة لموضوع الكتاب ، وأهميته ، والجديد فيه . أما بالنسبة لحدوده الزمنية ، فمن الملاحظ أن تاريخ امارة انطاكية الصليبية يشغل الفترة الممتدة من عام ١٠٩٨م ٤٩٢هـ الى عام ١٢٦٨م/٦٦٦هـ ، أي ما يقرب من القرن وثلاثة أرباع القرن . ولطول هذه الفترة وازدحامها بالوقائع والاحداث المتشابكة ، فقد كان من الاوفق أن يبدأ الموضوع بعام ١١٧١م/٥٦٧هـ ، خاصة وأننى كنت قد تناولت الفترة من عام ١٠٩٨/٤٩٢هـ وحتى نهاية الدولة الفاطمية كدراسة لتاريخ «امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الاسلامية المجاورة» وذلك في بحث مستقل . وعام ١١٧١م/٥٦٧هـ الذى يبدأ به موضوع البحث هو العام الذى شهد نهاية الدولة الفاطمية وقيام الدولة الايوبية في مصر ، أي تلك الدولة التى حلت محل الدولة الفاطمية كطرف جديد من أطراف الصراع الصليبي الاسلامي ، له دور مخالف عن دور الفواطم قامت به في ظروف جديدة ومغايرة تماما لسابقتها . فقد أصبحت مصر هى مركز الثقل بالنسبة للعالم الاسلامي ، ونقطة انطلاق المقاومة الاسلامية ضد الصليبيين . كما أصبحت بذلك هدفا للحملات الصليبية بدءا من القرن ١٣م/٧هـ الامر الذى كان له أكبر الاثر في انحسار الضوء عن شمال الشام والعراق - كمراكز للجهاد الاسلامي - من جهة ، وفي تحول الهدف الصليبي من بيت المقدس في فلسطين الى القاهرة في مصر من جهة أخرى . وهكذا كان عام ١١٧١م/٥٦٧هـ نقطة تحول في تاريخ الصراع الصليبي الاسلامي ، وهو أنسب تحديد لبداية الفترة الزمنية موضوع هذا الكتاب . أما عن ذهابته ، فقد كان من الطبيعي أن تنتهى العلاقات السياسية بين امارة انطاكية والمسلمين في عام ١٢٦٨م/٦٦٦هـ . ففي ذلك العام تمكن المسلمون من استرداد مدينة انطاكية واعادتها الى الحضيرة الاسلامية ، والقضاء على الوجود الصليبي في شمال الشام . وعلى هذا فالحدود الزمنية لموضوع البحث تبدأ بعام ١١٧١م/٥٦٧هـ وتنتهى بعام ١٢٦٨م/٦٦٦هـ .

وقد قسمت هذا الكتاب الى فصول خمسة . يعالج الفصل الأول وعنوانه « امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين حتى نهاية الدولة الفاطمية (١٠٩٨م - ١١٧١/٤٩٢ - ٥٦٧هـ) » ، الفترة التي تعتبر مدخلا هاما وضروريا لموضوع الكتاب يساعد على تفهم كثير من القضايا التي عالجها بالمناقشة والدراسة ، خاصة وأن جذورها تعود الى الفترة التي أتعرض لها في هذا الفصل . وفي هذا هذا الفصل ألقى الضوء على أهمية عام ١١٧١م/٥٦٧هـ كبداية لموضوع الكتاب وعلى أحوال امارة انطاكية المتردية ، الامر الذي يحتم الرجوع الى الوراء قليلا لتفهم أسباب ذلك . وأبدأ الفصل بالحديث عن مدينة انطاكية وأهميتها العسكرية والاقتصادية والدينية لكل من أطراف الصراع حولها ، الى جانب أحوالها السياسية والاجتماعية . ثم يلي ذلك الحديث عن استيلاء الصليبيين على المدينة واقامتهم أول امارة صليبية في بلاد الشام - في انطاكية - وأهميتها بالنسبة لمملكة بيت المقدس الصليبية في قلب فلسطين . ثم أتعرض لسياسة أمراء انطاكية تجاه جيرانهم المسلمين منذ تأسيس الامارة حتى نهاية الدولة الفاطمية في مصر ، وحدود الامارة التي وصلوا بها في بلاد المسلمين . وأخيرا فقد تناولت قضية من أهم القضايا التي لم تتم مناقشتها بشكل تام ومستقل من قبل ، وهي دور امارة انطاكية الصليبية في تدعيم موقف جماعات الفرسان الرهبان ، وجاليات المدن الايطالية التجارية في منطقة الشرق الادنى ، والآثار المترتبة على ذلك بالنسبة لعلاقات الامارة بالمسلمين . فقد كان من الضروري ابراز دور الامارة في دعم الكيان الصليبي على حساب المسلمين ، الامر الذي تم بطريقة غير مباشرة عن طريق دعم الطوائف العسكرية والتجارية الصليبية ، وليس فقط عن طريق قتال أمراء انطاكية للمسلمين . ولم يتم معالجة ذلك الدور في الابحاث التاريخية لاعتياد المؤرخين الحديثين على الاكتفاء بابراز علاقة انطاكية بجماعات الفرسان الرهبان والجاليات الايطالية فقط من خلال تعاون الطرفين في أعمال عسكرية ضد المسلمين . ولما كان لامارة انطاكية دور كبير في دعم الكيان الصليبي عن طريق دعمها لهذه الطوائف الصليبية من خلال علاقات أمراء انطاكية بقيادة هذه الطوائف بعيدا عن قتال المسلمين ، فان الاكتفاء بمعالجة ذلك من خلال علاقات هؤلاء جميعا بالمسلمين لا يكشف عن حقيقة الدور الانطاكي في دعم موقف هذه الطوائف بشكل كاف . لذا فقد عالجت هذه القضية

بمنهج مختلف تماما عما اتبعه المؤرخون الحديثون . فلم يقتصر الامر على احصاء الامتيازات والهبات والمساعدات التى قدمها أمراء انطاكية لهذه الطوائف الصليبية . بل كان من الضرورى تتبع تطور هذه المنح وتلك الامتيازات ، وأثر ذلك على تثبيت أقدام هذه الطوائف فى بلاد المسلمين ، مما ترتب عليه تثبيت أركان الممالك الصليبية فى بلاد الشام ، الامر الذى يصعب تتبعه بمجرد ذكر مساعدات أمراء انطاكية لهذه الطوائف الصليبية المختلفة .

أما الفصل الثانى وعنوانه « الامارة وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين فى فترة الانحسار الصليبي فى بلاد الشام (١١٧١م - ١٢٠١م/ ٥٦٧ - ٥٩٧ هـ) فقد بدأته بالحديث عن الحماية التى فرضها البيزنطيون على امارة انطاكية ، وأثر ذلك على علاقات الامارة بالمسلمين . ثم تتبعته موقف بوهيمند الثالث تجاه صلاح الدين خلال فترة تثبيت مركزه فى بلاد الشام . ثم ناقشت قضية هامة ، وهى انتهاء الحماية البيزنطية على امارة انطاكية وأثر ذلك على علاقة بوهيمند الثالث بجيرانه المسلمين من خلال الحديث عن الحملة الفلمنكية فى عام ١١٧٧م/ ٥٧٣ هـ . ثم عالجت سياسة صلاح الدين تجاه امارة انطاكية قبل موقعة حطين ، وموقف بوهيمند الثالث من هذه السياسة . وأتممت هذا الفصل بالحديث عن الحملة الصليبية الثالثة عام ١١٩١م/ ٥٨٧ هـ وأثرها على العلاقات السياسية بين امارة انطاكية والمسلمين منذ موت صلاح الدين وحتى موت بوهيمند الثالث ، الذى يعد تحديد دوره فى الصراع الصليبي الاسلامي من القضايا الهامة التى تناولها البحث بالدراسة .

أما بالنسبة للفصل الثالث وعنوانه « امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين فى فترة توازن القوى بين الصليبيين والمسلمين (١٢٠١ - ١٢٣٣م/ ٥٩٧ - ٦٣٠ هـ) ، فقد تناولت بالدراسة التحليلية امارة بوهيمند الرابع الاولى فى انطاكية ، والهدوء النسبى فى الصراع بين افرنج انطاكية وجيرانهم المسلمين وأسبابه الحقيقية ، بما يلقى الضوء على طبيعة الحركة الصليبية وتغير مفهومها لدى صليبي الشام منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادى/ السابع الهجرى . ثم موقف

الايوبيين في حلب من الحرب الاهلية في انطاكية (١٢٠١م/٥٩٧هـ) ،
وأثر التحالف بين بوهيمند الرابع والظاهر غازي صاحب حلب ، ضد
الارمن ، على اماره انطاكية (١٢٠١ - ١٢١٦م/٥٩٧ - ٦١٣هـ)
وعلاقتها بالمسلمين . ثم عرضت تاريخ اماره ريموند روبين وأثرها على
العلاقات السياسية الانطاكية الاسلامية (١٢١٦ - ١٢١٩م/٦١٣ -
٦١٦هـ) ، ثم اماره بوهيمند الرابع الثانية ، وتناولت خلال ذلك موقف
بوهيمند الرابع من الحملة الصليبية الخامسة وأثره على علاقات
انطاكية بالمسلمين (١٢١٩ - ١٢٢١م/٦١٦ - ٦١٨هـ) . ثم سياسة
بوهيمند الرابع أيضا تجاه كل من الارمن وسلاجقة الروم ، وأثر هذه
السياسة على علاقاته بالمسلمين في حلب (١٢٢١ - ١٢٢٧م/٦١٨ -
٦٢٤هـ) ، وأخيرا موقف الامير الانطاكي من الحملة الصليبية السادسة
وأثره على علاقة امارته بجيرانها المسلمين حتى نهاية عهده (١٢٢٨ -
١٢٣٣م/٦٢٤ - ٦٣٠هـ) .

وجعلت عنوان الفصل الرابع « اماره انطاكية الصليبية وعلاقتها
السياسية بجيرانها المسلمين في فترة التفكك الصليبي والاسلامى (١٢٣٣
- ١٢٥٨م/٦٣٠ - ٦٥٦هـ) » ، وهو يغطى فترة اماره بوهيمند الخامس
(١٢٣٣ - ١٢٥١م/٦٣٠ - ٦٤٩هـ) وبدايات فترة اماره بوهيمند
السادس . وبدأته بالحديث عن تحالف بوهيمند الخامس مع الاسبتارية
ضد المسلمين في بعرين في عام ١٢٣٤م/٦٣١هـ وأسبابه والنتائج المترتبة
عليه . ثم تحالف الامير نفسه مع الداوية ضد أرمن قليقية (١٢٣٤م/
٦٣١هـ) ، وانعكاس ذلك على علاقات انطاكية بالمسلمين . ثم موقف
بوهيمند الخامس من الصراع بين الداوية وبين الايوبيين في حلب
(١٢٣٣ - ١٢٣٧م/٦٣٠ - ٦٣٤هـ) ، وأسبابه ونتائجه . وتتبعاً لدور هذا
الامير في الصراع الصليبي الاسلامى عالجت بالدراسة موقف الامير
الانطاكي من الصراع بين الخوارزمية والايوبيين في بلاد الشام (١٢٤١
- ١٢٤٤م/٦٣٨ - ٦٤١هـ) . ثم تناولت بالدراسة سياسة بوهيمند
للخامس السلمية تجاه المسلمين وأسبابها ونتائجها (١٢٤٤ - ١٢٥١م/
٦٤٦ - ٦٤٩هـ) . وتعد معالجة ذلك من أهم القضايا التى تناولها هذا
الكتاب لاهميتها في الوقوف على أحوال اماره انطاكية الصليبية في القرن
١٣م/٧هـ الذى لم ينل اهتمام المؤرخين الحديثين . ثم أبرزت دور

الحملة الصليبية السابعة على مصر (١٢٥٢ - ١٢٥٤م / ٦٥٠ - ٦٥٢ هـ) ،
وأثرها على العلاقات بين اماره انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين .
وأخيرا موقف بوهيمند السادس من الحرب الاهلية بين الصليبيين في
مملكة بيت المقدس وأثره على علاقات امارته بالمسلمين (١٢٥٤ - ١٢٥٨م /
٦٥٢ - ٦٥٦ هـ) .

أما آخر فصول الرسالة ، وهو الفصل الخامس فعنوانه « سقوط
امارة انطاكية الصليبية (١٢٥٩ - ١٢٦٨م / ٦٥٧ - ٦٦٦ هـ) » . ففأثتته
تعالج أهم قضايا البحث وهى التحالف الانطاكى الارمىنى المغولى ضد
المسلمين (١٢٥٩م / ٦٥٧ هـ) وأثاره . وفى هذا الصدد حاولت الوقوف
على طبيعة هذا التحالف وأثره على علاقة انطاكية بالمسلمين ، مع
مناقشة الآراء التى تتعلق بهذه القضية والتى وردت فى كثير من
الدراسات التاريخية الحديثة . ثم تناولت بالتفصيل سياسة الممالك تجاه
امارة انطاكية بعد موقعة عين جالوت (١٢٦٠ - ١٢٦٨م / ٦٥٩ - ٦٦٦ هـ) .
ثم أحوال اماره انطاكية قبيل سقوطها فى أيدى الممالك ، ثم تبعت ذلك
الحديث عن سقوط مدينة انطاكية وعودتها الى السيادة الاسلامية
(١٢٦٨م / ٦٦٦ هـ) . وكان من الطبيعى أن أتعرض فى هذا الفصل
- بايجاز - لأحوال أمراء انطاكية الصليبيين فى طرابلس التى لجأوا
اليها بعد فتح المسلمين لانطاكية (١٢٦٨ - ١٢٨٩م / ٦٦٦ - ٦٨٨ هـ) ،
وانتهاء النفوذ الصليبي فى شمال الشام حتى سقوط طرابلس فى أيدى
الممالك (١٢٨٩م / ٦٨٨ هـ) .

وفى الخاتمة عرضت الخطوط العريضة للعلاقات السياسية بين
امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين وحددت مواقفها - بتركيز
شديد - حيال مختلف القوى التى تعاملت معها ، مع تقييم الموقف بصفة
عامة . ثم استعرضت أهم القضايا والنقاط والمشاكل التى تعرض لها
موضوع الكتاب ، مع ابراز الآراء والاستنتاجات التى استطعت التوصل
اليها . وأخيرا ذيلت الكتاب ببعض الملاحق التى مازالت بلغاتها الاصلية
ولم تنشر بلغات حديثة بعد ، وقد قمت بنقلها للمرة الاولى الى اللغة
العربية ، وهى تلقى الضوء على القضايا التى تمت مناقشتها خلال
البحث .

ولما كانت طبيعة موضوع الكتاب هي صفحة من صفحات العلاقات السياسية بين انطاكية الصليبية والمسلمين ، فقد استتبع ذلك الرجوع الى المصادر الصليبية والاسلامية . ولما كانت غالبية المصادر الصليبية مدونة باللغتين اللاتينية والفرنسية القديمة ، وغير متوفرة بأرض الوطن ، وكان من الضروري الحصول عليها ، فلم يتسن ذلك الا بالسفر الى المملكة المتحدة من خلال جامعة طنطا . وقمت بزيارة مكتبات المتحف البريطاني ، ومعهد الدراسات التاريخية ، ومدرسة الدراسات الشرقية والافريقية التابعة لجامعة لندن ، ومكتبة البودليان التابعة لجامعة اكسفورد . ولا شك انى حصلت من هذه المكتبات على غالبية المصادر المتعلقة بموضوع البحث . ولم يبخل المسئولون فيها بتقديم العون والمساعدة اللازمين . وانى لانتهاز الفرصة لأذكر بالشكر الجهود التى قدمها القائمون بالعمل فى هذه المكتبات الى جانب القائمين بالعمل فى مكتبة جامعة كارديف ومكتبة المتحف الاهلى بمقاطعة ويلز (بمدينة كارديف) ، على ما قدموه من عون للحصول على المصادر الغير متوفرة بالمملكة المتحدة واستعارتها من مكتبات موجودة فى بلدان اوروبية أخرى . ولا شك ان مكتبات كلية الآداب والمكتبة العامة لجامعة الاسكندرية ، ومكتبة محافظة الاسكندرية ، ومكتبة جامعة القاهرة ومكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ومكتبة الجامعة الامريكية ، ومكتبة كل من دير الاباء الدومنيكان ودير الاباء الفرنسيسكان بالقاهرة ، قد قدم المسئولون فيها كل التسهيلات وأمدونى بكل ما هو متاح لديهم . ولعل هذه الدراسة تكون اضافة الى المكتبة العربية ، وتكون ذات فائدة لأمتنا الاسلامية ، بالقائها بعض الضوء على مرحلة هامة من مراحل تاريخ العلاقات الصليبية الاسلامية خلال ثلاثة قرون من الزمان (الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر الميلادى/الخامس والسادس والسابع الهجرى) .

وختاما لا يسعنى الا أن أقدم شكرى وعظيم امتنانى وعرفانى لأستاذى الفاضل ، الاستاذ الدكتور/جوزيف نسيم يوسف أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، الذى رعانى وعاوننى وشجعنى طوال اثنى عشر عاما . وكان لتوجيهاته ولتشجيعه أياى أثر كبير فى مواصلة البحث والدراسة ، وكانت توجيهاته لى خير عون

وخير دليل في كشف غوامض البحث وفي اخراجه الى حيز الوجود .

ولا يفوتنى في هذا المقام أن أتوجه بالشكر والتقدير والعرفان الى أستاذى الدكتور/بيتر ادبيورى ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة ويلز بالمملكة المتحدة ، الذى عملت تحت اشرافه أثناء تواجدى بالمملكة المتحدة فى بعثة علمية . فقد كان لجهدہ وتوجيهاته أثر كبير فى وقوفى على كثير من الحقائق التاريخية المتعلقة بموضوع الدراسة ، وأخيرا على كل ما قدمه لى من عون ومساعدة لمعالجة مختلف جوانب موضوع الكتاب ، ومراجعة كافة النصوص والوثائق المتعلقة بهذه الدراسة والمدونة باللغة اللاتينية واللغة الفرنسية القديمة .

كما أخص بالشكر كل من الاساتذة بروفيسور جوناثان رايلى سميث والراحل بروفيسور ر.س.مهميل ، والدكتورة روزالين هيل ، والدكتور دافيد مورجان اساتذة تاريخ الحروب الصليبية بجامعة لندن والدكتور ا . بيتس أستاذ تاريخ اوربا العصور الوسطى بجامعة ويلز على ما اسدوه لى من نصيح ، وما قدموه الى من عون وارشاد فى سبيل اتمام هذا البحث .

واننى لاتقدم بالشكر والعرفان والتقدير لأستاذى الفاضل الاستاذ الدكتور/عمر عبد العزيز عمر عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، على مساعدتى ومنحى الفرصة للسفر الى المملكة المتحدة - أثناء عمادته لكلية الآداب جامعة طنطا - حتى أتمكن من انجاز هذا العمل .

واننى لأدين بالفضل لجامعة طنطا التى أوفدتنى فى بعثة علمية الى المملكة المتحدة نتج عنها هذا العمل الذى كان مبلغى من العلم .
وأسأل الله العلى القدير أن ينفع به أمتنا الاسلامية . والله ولى التوفيق .

حسين عطية

الاسكندرية - أكتوبر ١٩٨٨

دراسة تحليلية نقدية مقارنة لأهم مصادر البحث

١- المصادر الاجنبية :

- ١ - الخطابات والوثائق الصليبية .
- ٢ - المصادر اللاتينية .
- ٣ - المصادر البيزنطية .
- ٤ - المصادر الارمنية والسريانية .
- ٥ - المصادر الفارسية .

٢- المصادر العربية :

- ١ - المصادر المعاصرة .
- ٢ - المصادر المتأخرة زمنيا .

لما كان موضوع البحث يتناول طرفاً من العلاقات بين الشرق والغرب في فترة زمنية محددة في تاريخ الحركة الصليبية ، لذا تحتم الرجوع الى مصادره الغربية والشرقية على قدم المساواة ، سعياً وراء الحقيقة التاريخية . وعمد الباحث الى الموازنات والمقارنات التاريخية التي استقاها من تأليف المعاصرين لهذه الفترة من مراسلات ووثائق رسمية وحوليات ، لضبط الاحداث ، وسد الثغرات ، والرد على كافة التساؤلات التي فرضت نفسها على موضوع الدراسة .

ولما جذبت الحركة الصليبية أطرافاً متعددة للصراع ، فقد استتبع ذلك الرجوع الى المصادر الاصلية المتنوعة من لاتينية وفرنسية قديمة وبيزنطية وأرمينية وسريانية وفارسية وعربية ، هذا بالاضافة الى المنابع العربية المتأخرة نسبياً عن الحقبة موضوع الدراسة .

وأهم المصادر الغربية التي أفاد منها الباحث هي مجموعة الرسائل والوثائق المتبادلة بين مختلف أطراف الصراع . وترجع أهمية هذه المراسلات والوثائق الى أنها سدت فراغاً كبيراً ، كثيراً ما تركته الحوليات المعاصرة على فترات متباعدة خلال الفترة موضوع البحث . فقد كانت هذه المراسلات وتلك الوثائق هي مصدر المعلومات الوحيد بالنسبة للباحث ، حين تصمت المصادر المعاصرة عن ذكر التفاصيل التي تساعد على الوقوف على حقيقة الامور وطبيعة العلاقات بين أطراف الصراع بصفة عامة ، وبين الصليبيين والمسلمين بصفة خاصة ، أو حين يتعلق الامر بقرارات تتخذ ، أو علاقات واتفاقيات تقوم ، بين قادة مختلف أطراف الصراع ، ويصعب وصولها الى صفحات بعض الحوليات المعاصرة . وهكذا ساعدت هذه المراسلات وتلك الوثائق على القاء الضوء على ما شابه الغموض من نقاط البحث ، أو على مناقشة احدى قضاياها ، والاعخذ فيها برأى قاطع وجديد . أما عن المراسلات ، فانها عديدة ومتنوعة ، ويأتي في مقدمتها الخطابات التي تم تبادلها بين كل من أندرونيقوس كومنين واسحق أنجيلوس امبراطوري بيزنطة وبين صلاح الدين الايوبي في عام ١١٨٥م/٥٨١هـ . وترجع أهمية هذه الخطابات الى أنها احتوت على مشروع تحالف بين البيزنطيين والايوبيين ضد الصليبيين في بلاد الشام . وأكدت في نفس الوقت دور بوهمند الثالث في أن يفقد الفرنج مساعدة

بيزنطة المسيحية في التصدي لصالح الدين واضعاف مركز الفرنج في حطين ، بعد أن تسببت سياسة بوهمند في حرمان الصليبيين من مساعدة كل من الارمن والقبارصة أيضا مما عجل بضياع بيت المقدس من قبضتهم .

أما عن أهم المراسلات الصليبية فقد تم تبادلها بين بابوات روما من جهة وبين كل من بوهمند الرابع وليو الارمينى وقادة الفرنج من رجال دين وعلمانيين في بلاد الشام من جهة أخرى . وكانت هذه المراسلات ، التى لم ترد نصوصها في حوليات المؤرخين اللاتين المعاصرين ، ذات أثر كبير في الوقوف على حقيقة الصراع بين بوهمند الرابع والارمن حول أنطاكية ، وأثر ذلك الصراع على العلاقات السيامية بين امارة أنطاكية الصليبية والقوى الاسلامية المجاورة لها .

وكان للبابا انوسنت الثالث النصيب الاوفر من هذه المراسلات التى تفوق الحصر . وأهم هذه المراسلات الخطاب الذى بعث به هذا البابا الى الملك الظاهر غازى الايوبى ملك حلب في ٧ يونيو ١٢١١م/٢٣ ذى الحجة ٦٠٧هـ ، ويطلب فيه البابا من الملك الظاهر العمل على حماية بطريرك أنطاكية اللاتينى وكنيسة أنطاكية من سطوة أمير أنطاكية . ووجه الاهمية في هذا الخطاب أنه يوضح سياسة البابا لابعاد الملك الظاهر عن حليفه بوهيمند الرابع حتى لا تنطلق يداه بعد أن ساء موقف منافسه ليو الارمينى المحروم من الكنيسة ، وحرص البابا على اعتدال ميزان القوى بين بوهيمند والارمن ، مما أدى الى عدم استقرار الامور في امارة أنطاكية ، ولم يعد في امكان أميرها التفرغ الكامل لاسترداد ما اقتطعه المسلمون من أملاكها ، أو المساهمة في دعم الموقف الصليبي العام الآخذ في الانهيار آنذاك .

وكان للمعلومات التاريخية التى وردت في ثنايا المراسلات التى تمت بين البابا هنوريوس الثالث وبين الفرنج في بلاد الشام أثر كبير في استكمال تفاصيل قصة الصراع بين بوهيمند الرابع والارمن حول أنطاكية، وأثر ذلك على علاقات بوهيمند بجيرانه المسلمين ، وأسباب تطور هذه العلاقات بسبب اختلاف وتباين موقف البابوية والقيادات الصليبية في بلاد الشام من مشكلة أنطاكية . ومن أهم خطابات البابا هنوريوس الثالث ذلك

الذى بعث به في ٩ يوليو ١٢٢١م/ ١٦ جماد أول ٦١٨هـ الى مندوبه بيلاجيوس الذى جاء على رأس الحملة الصليبية الخامسة . فقد طلب البابا في خطابه أن يكون بيلاجيوس حريصا في تعامله مع بوهيمند الرابع ، أى أن يتخلى المندوب البابوى عن صلفه وتمسكه برأيه ، الامر الذى أدى الى فشل الحملة على مصر ، وحتى لا يلقي بوهيمند بنفسه في أحضان المسلمين ، وتضيق انطاكية التى يفوق ضياعها من الصليبيين ضياع أكثر من دمياط واحدة . وهذا الخطاب يبين مدى اهتمام البابوية - والحملة الخامسة لازالت مجهولة المصير في مصر - باستقرار أحوال امارة انطاكية التى يعد بقاؤها كمقل صليبي في شمال الشام أهم من دخول الارمن في كنف كنيسة روما ، على عكس ما رأى البابا أنوسنت الثالث ، بل أهم من دمياط نفسها كما رأى البابا هنوريوس الثالث .

ويلي خطاب البابا الى بيلاجيوس ، الخطاب الذى بعث به الكاردينال جاك دى فيتري « Jacques de Vitry » الى البابا نفسه (١)

(١) ولد جاك دى فترى في عام ١١٨٠م/ ٥٧٦هـ ، وتلقى تعليمًا دينيًا وتقلد العديد من المناصب الدينية ، وكان تأثيره على الحركة الصليبية في بدايات القرن ١٣م/ ٧هـ لا يقل عن أثر بطرس الناسك في زمانه ، وكان جاك من الداعين للحملة لألبيجنسية التى قامت في جنوب فرنسا وكان داعيا ومبشرا للحملة الصليبية الخامسة وحضر اجتماعات مجلس اللاتيران ، وفي عام ١٢١٦م/ ٦١٣هـ ، عين أسقفا لعكا وصاحب الحملة الهنغارية عام ١٢١٧م/ ٦١٤هـ ، والحملة الخامسة على مصر . وعاد الى روما في عام ١٢٢٧م/ ٦٢٤هـ ، حيث أصبح كاردينالا ومندوبا للبابا في فرنسا وألمانيا ، ثم عين بطريركا لبيت المقدس ، ولكنه مات في مايو ١٢٤٠م/ شوال ٦٣٨هـ ، قبل أن يتسلم مقاليد منصبه . وبعث جاك بسبع رسائل الى البابا هنوريوس الثالث ، رجعا الى الثانية والثالثة منها . أما الاولى منها فكانت في أوائل أكتوبر ١٢١٦م/ أواخر جماد ثان ٦١٣هـ والرابعة في ٢٢ سبتمبر ١٢١٨م/ ٣٠ جماد ثان ٦١٥هـ ، والخامسة في سبتمبر ١٢١٩م رجب ٦١٦هـ ، والسادسة في ربيع ١٢٢٠م/ ٦١٧هـ ، والسابعة ١٨ ابريل ١٢٢٦م/ ١٢ صفر ٦١٧هـ انظر :

Jacques de Vitry, Lettres, ed, R; B. C. Huygens, Leiden, 1960. pp. 52-55.

وعن حياة جاك دى فترى انظر : محمود سعيد عمران ، الحملة الصليبية الخامسة الاسكندرية ١٩٨٥م ، ص ٢٩ - ٣٠ .

فيما بين ، نوفمبر ١٢١٦م ، وفبراير ١٢١٧م/ ٢٢ شعبان وذى الحجة ٦١٣هـ ، يخبره فيه عن جولته التى قام بها فى مدن الشام يدعو الى المسيحية من يقابلهم من المسلمين ، ويحث الفرنج على الاستعداد لمرافقة قوات الحملة الخامسة الى مصر . ويكشف هذا الخطاب عن فتور الحماسة الصليبية بين الفرنج فى بلاد الشام ، وتفوق المكاسب التجارية لديهم على الهدف الصليبي والصالح الصليبي العام . ويتجلى ذلك باضطراب جاك دى فترى الى الاستعانة بمترجمين حتى يتوسطوا الحديث بينه وبين التجار المسلمين الذين قابلهم فى طرابلس التى أصبحت العربية هى اللغة السائدة فيها . ويؤكد جاك دى فيترى للبأبا فتور حماسة الفرنج فى خطابه الذى بعث اليه به فى ٢٤ أغسطس ١٢١٨م/ ٣٠ جماد أول ٦١٥هـ ، يخبره عن أحداث الحملة الهنغارية التى صاحب جاك قواتها فى عام ١٢١٧م/ ٦١٤هـ للاستيلاء على قلعة جبل الطور من المسلمين ، والتى كان حرص بوهيمند الرابع على استعادة مدينة أنطاكية من الارمن سببا فى افشال هذه الحملة . ومن بين الخطابات التى تبادلها البأبا جريجورى التاسع مع قادة الصليبيين فى بلاد الشام يبرز خطاب جيروld بطريرك بيت المقدس (١٢٢٥ - ١٢٣٩م) ، الذى بعث به الى البأبا فى ١٨ فبراير ١٢٢٩م/ ٢٣ ربيع أول ٦٢٦هـ ، كواحد من أهم الوثائق الصليبية المتعلقة بموضوع البحث . ففى هذا الخطاب يطلع البطريرك البأبا على بنود الاتفاقية التى عقدها الامبراطور فريديريك الثانى مع الملك الكامل محمد سلطان مصر والتى عرفت باتفاقية يافا ، والتى ساعد الوقوف على آخر بنودها فى معرفة سبب استبعاد امارة أنطاكية من هذه الاتفاقية . ويلى ذلك أهمية الخطاب الذى بعث به بوهيمند السادس أمير أنطاكية الى هنرى الثالث ملك انجلترا فى ١٤ مايو ١٢٥٥م/ ٥ ربيع ثان ٦٥٣هـ ، يطلب فيه مساعدة الملك الانجليزى لانقاذ مدينة أنطاكية . ويعطينا الخطاب صورة واضحة لأحوال امارة أنطاكية وعاصمتها فى أواسط القرن ١٣م/ ٧هـ فى وقت أنصب فيه اهتمام مؤرخى الشرق الصليبي على أحوال مملكة عكا الصليبية دون شمال الشام ، الامر الذى انعكس على الكتابات التاريخية الحديثة التى تناولت تاريخ الصليبيين فى بلاد الشام . ولا يقل الخطاب الذى بعث به هولاءكو خان مغول فارس الى الملك الفرنسى لويس التاسع فى سبتمبر ١٢٦٠م/ رمضان ٦٥٨هـ ، أهمية عما سبقه من خطابات . ويعد الاطلاع على فحوى هذا الخطاب من أهم الاسانيد التى تمت على

أساسها مناقشة واحدة من القضايا الهامة التي تناولها موضوع البحث ،
وهي مدى امكانية قيام التحالف بين انصليبيين والمغول ضد المسلمين في
بلاد الشام ومصر من عدمه . وقد دعم الرأي الذي تم التوصل اليه في هذا
الصدد ثلاثة خطابات أخرى بما جاء فيها من معلومات تاريخية لم تذكرها
المصادر اللاتينية التي دونت في الشرق اللاتيني . وهي حسب ترتيبها
الزمني خطاب توماس أجنى أسقف بيت لحم ، ومندوب البابا أوربان
الرابع في بلاد الشام ، الذي بعث به الى ملوك أوربا ورجال الدين فيها يخبرهم
بما ورد في انذار هولاكو لصليبي عكا . والخطاب مؤرخ باول مارس ١٢٦٠م / ١٥
ربيع أول ٦٥٨هـ . ثم خطاب توماس بيرار «Thomas Berard» مقدم
جماعة الداوية في عكا الذي بعث به الى أماديوس «Amadeus» رئيس
الجماعة في إنجلترا ، والذي يخبره فيه عن أحوال الصليبيين ابان الغزو
المغولي لبلاد الشام ، وأرخ خطابه بالربع من مارس ١٢٦٠م / ٢٨ ربيع
أول ٦٥٨هـ . وأخيرا الخطاب الذي بعث به مسيحيو الشرق اللاتيني الى
شارل كونت أنجو شقيق لويس التاسع في ٢٢ ابريل ١٢٦٠م / ٩ جماد أول
٦٥٨هـ يطلبون فيه مساعدته العاجلة قبل أن تلقى الاملاك الصليبية نفس
المصير الذي آلت اليه أملاك المسلمين في بلاد الشام على أيدي المغول .
والخطابات الثلاثة تعطينا صورة واضحة لحقيقة العلاقات بين المغول
والصليبيين ، وتؤكد عدم امكان قيام تحالف بين الطرفين في الوقت الذي
هدف فيه المغول الى اخضاع كل منطقة الشرق الادنى بما تضمه من أملاك
مسيحية واسلامية على حد سواء .

الى جانب ذلك ، فهناك بعض الوثائق مساعد الوقوف على ما جاء
فيها من معلومات تاريخية على مناقشة عدة قضايا أخرى لم تتناولها
الدراسات الحديثة بالدراسة والتحليل . ومن هذه الوثائق رد الامبراطور
الاماني فريدريك بربروسا على خطاب الامبراطور البيزنطي مانويل
كومنين اليه في عام ١١٧٧م / ٥٧٣هـ . الى جانب الوثيقة التي تتعلق
بمصاريف اقامة الضيوف السياسيين في لندن لدى الملك الانجليزي هنري
الثالث ، والمتعلقة بشخص يدعى روبرت جاء الى لندن كمندوب عن كل من
بوهيمند الثالث امير انطاكية والامبراطور البيزنطي مانويل كومنين .
وما جاء في هاتين الوثيقتين مساعد على تحديد الوقت الذي شعر فيه
الانطاكيون بعدم قدرة بيزنطة على فرض سيادتها عليهم ، والوقت

الحقيقى الذى انتهت فيه الحماية البيزنطية على امارة انطاكية الصليبية .

اما عن بقية الوثائق الصليبية التى ساعدت على القاء الضوء على كثير من نقاط البحث وغوامضه ، فهى تتعلق بالمنح والامتيازات التى قدمها أمراء انطاكية لسائر الطوائف الصليبية من جماعات الفرسان الرهبان وجاليات المدن الايطالية فى بلاد الشام . وهذه المنح والهبات حددت طبيعة العلاقات بين أمراء انطاكية وهذه الطوائف الصليبية المختلفة ، الامر الذى انعكس فى النهاية على العلاقات السياسية بين امارة انطاكية وجيرانها المسلمين . كما ساعد ما جاء فى بنود هذه الوثائق على مناقشة كثير من قضايا البحث ، وأهمها دور امارة انطاكية فى دعم موقف جماعات الفرسان الرهبان وجاليات المدن التجارية الايطالية فى بلاد الشام ، وهى واحدة من القضايا التى لم تتم دراستها بصورة مستقلة من قبل .

وفى الحقيقة ، لم يكن من السهل الحصول على ما سبق ذكره من مراسلات ووثائق تناثرت فى صفحات السجلات التاريخية المختلفة ، أو فى طيات بعض الحوليات الاوربية المتعلقة بتاريخ العصور الوسطى ، والتى لم يتوفر أغلبها فى مكتباتنا بأرض الوطن . لذا تجدر الإشارة الى مجموعات السجلات والحوليات التاريخية التى ضمت بين طياتها تلك الوثائق الصليبية الاصلية الهامة . فبالنسبة لمراسلات الاباطرة البيزنطيين فقد سجلها العالم الالماني فرانز دلجر «Franz Dolger» فى خمسة أجزاء يهمننا الجزء الثانى منها . كما وردت نصوصها فى بعض الحوليات الاوربية التى تضمنتها مجموعة التاريخ الالماني «Monumenta Germaniae Historica» أما عن مراسلات البابوية ، فقد جاءت خطابات ووثائق البابا انوسنت الثالث فى ثلاثة أجزاء (ج ١٤ ، ج ١٥ ، ج ١٦) من مجموعة ميني «Migne» التى تتعلق بتاريخ آباء الكنيسة اللاتينية «Patrologia Latina» أما بقية البابوات الذين أتوا بعد انوسنت الثالث فقد وردت وثائق كل منهم فى سجل خاص بها (١) أما عن خطابات جاك دى فيتري الى البابا

هنوريوس الثالث فقد نشرها ، باللغة اللاتينية ، مع بقية رسائله السبع ،
الاماني رهرشت في Zeitschrift Fur Kirchen Geschichte فيما
بين عامي ١٨٩٤ و ١٨٩٦م . أما الطبعة الحديثة فقد نشرها هيجنز في
كتابه « خطابات جاك دي فيتري » Lettres de Jaques de Vitry
في عام ١٩٦٠م باللغة اللاتينية أيضا وهي الطبعة التي رجعنا اليها .
أما عن وثائق الحملة الصليبية السادسة بما فيها خطاب بطريرك بيت
المقدس الى البابا هنوريوس الثالث فقد وردت في مجموعة هويلارد
بريهول (٧ أجزاء) والتي تحمل عنوان « التاريخ الدبلوماسي لفريدريك
الثاني » Historia Diplomatica Friderici Secundi .

أما عن خطاب توماس بيرار مقدم الداوية في عكا الى مقدم الجماعة
في إنجلترا ، الى جانب خطاب بوهيمند السادس الى الملك الانجليزي
هنري الثالث فقد وردا في حوليات بيرتون Annales de Burton
الانجليزية . أما خطاب مسيحي الشرق اللاتيني الى شارل كونت أنجو
فقد نشره باللاتينية ديلابور Delaborde في « دورية الشرق اللاتيني »
« Revue de L'orient Latin » أما خطاب هولكو الى لويس التاسع فقد
اكتشفه بول ميفيرت Paul Meyvaert حديثا ، ونشره باللاتينية في دورية
« عابر السبيل » « Viator »

وفيما يتعلق بالوثائق التي حررها أمراء انطاكية ، والتي قدموا
بمقتضاها الكثير من المنح والامتيازات لجماعات الفرسان الرهبان
ومختلف الجاليات الايطالية ، فقد تضمنتها عدة سجلات مختلفة .
فبالنسبة لجماعتي الداوية والاسبتارية ورد ما يتعلق بهما من وثائق في
« السجل العام لاسبتارية جماعة القديس جان بيت المقدس »
Cartulaire Général des Hospitaliers de L'Ordre de Saint-
Jean de Jérusalem أما عن وثائق جماعة التيوتون فقد وردت في
« سجلات جماعة التيوتون » « Tabulae Ordinis Theutonic »
التي حفظها ارنست شتلكه Ernest Strehlke (١) . أما وثائق جماعة

(٣) وارنست جوتفريد ويلهام شترلكه . ولد في برلين في ٢٧ سبتمبر
١٨٣٤م/وفي عام ١٨٤٥م صاحب اباه (فريدريك شترلكه) الى
مدينة دانزج Danzig حيث يعمل أبوه مدرسا بها . وهناك =

القديس العازر «Saint Lazar» فقد وردت في « أرشيف الشرق اللاتيني
«Archives de L'Orient Latin» . كما شمل كتاب سجل ملوك بيت
المقدس «Regesta Regni Hierosolymitani» الذي نشره وهرشت ، غالبية
هذه الوثائق والمراسلات . كذلك نشر كل من جافي «Jaffé» وبوثاست
«Potthast» ملخصات وثائق البابوات ، ونشر تافل وتوماس
Tafel (G.L.F.) & Thomas (G.M.) الكثير من الوثائق المتعلقة
بجاليات المدن الايطالية وخاصة البنادقة منهم .

هذا عن أهم الوثائق والمراسلات التي خدمت موضوع البحث ،
ومصادرها . أما عن المصادر اللاتينية الاصلية التي روت تاريخ الحروب
خلال الفترة موضوع الدراسة ، وتناولت فيما روته تاريخ العلاقات
السياسية بين اماره انطاكية الصليبية والقوى الاسلامية المجاورة ، فبالرغم
من كثرتها ووفرة المادة التاريخية التي أمدتنا بها فان ذلك لم يكن بصورة
مستمرة ودائمة . فأحيانا يجد الباحث في تاريخ الحروب الصليبية من
المؤرخين اللاتين الذين اهتموا بسرد تاريخ الشرق اللاتيني ، وفي أحيان
أخرى يقتصر الامر على قلة من المؤرخين قد يصل عددهم الى مؤرخ
واحد ، مما يشكل صعوبة بالغة في الوقوف على الحقيقة التاريخية
الكاملة ، خاصة اذا ما أهمل بعض المؤرخين اللاتين ذكر أحوال شمال
الشمال بما يضمه من أملاك صليبية ، تاركين هذا الدور للوثائق والمراسلات

= قابل تيودور هرش Theodor Hirsch مدرس التاريخ في مدرسة
دانزج الذي غرس فيه حب التاريخ . وعكف ارنست على دراسة
تاريخ بروسيا . ومن عام ١٨٥٢ الى عام ١٨٥٦م درس شترلكه
التاريخ في جامعة برلين . وبعد انتهاء الحرب الروسية عمل
ارنست كسكرتير للارشيف السرى الملكى البروسى حيث اطلع
على كثير من السجلات والوثائق . وفي ١٨٦٦م انتهى من تجميع
سجل جماعة التيوتون من مختلف السجلات والوثائق ومات في
١٨٦٩م وهو العام الذى طبع فيه عمله الكبير . كما ظهرت طبعة
حديثه لهذا السجل نشرتها جامعة تورنتو بكندا تحمل نفس صفحات
الطبعة القديمة مع مقدمة عن حياة شترلكه للمؤرخ الالماني هانز
ماير في عام ١٩٦٦م ، وأعيد طبعها في بيت المقدس في عام
١٩٧٥ .

H. Mayer life and works of Ernest strelke, in Ordinis Theu-
tonici, Canada, 1966, pp. 9-26.

الصليبية أو للحوليات التي دونت في غرب أوروبا أو للمصادر الإسلامية المعاصرة . لذلك فإن تناول أعمال مؤرخي الحروب الصليبية بصفة عامة ، بالنقد والتحليل يعد في حد ذاته دراسة للكتابة التاريخية زمن الحروب الصليبية .

فلحسن الحظ أن تأثير دعوة البابا أوربان الثاني للمجتمع الاوربي الغربى للاشتراك في الحملة الصليبية الاولى ، لم ينحصر على الحكام والعامّة من طوائف هذا المجتمع . بل تعدى هؤلاء الى طائفة أخرى لا يقل دورها في حقيقته عن دور المقاتلين الصليبيين أنفسهم . ان لم يكن قد فاقه أهمية بالنسبة لدارسى تاريخ الحروب الصليبية . فقد شارك بعضهم سائر الطوائف التي هبت تلبية لدعوة البابا للقتال ضد المسلمين وساهموا في تحقيق هدف الحملة الصليبية الاولى ونجاحها الذي لم تصادفه حملة صليبية أخرى . وهؤلاء هم مؤرخو الحملة أنفسهم الذين سجلوا تاريخها وأعمال الفرنج في الشرق الادنى الاسلامى منذ قدومهم اليه وحتى تثبيت أقدامهم فيه . وكان عدد هؤلاء المؤرخين الوفير من المزايا التي تميزت بها هذه الحملة عما تلاها من حملات . فهم شاهدو عيان لأحداثها ، ومن اتباع قادتها ، ويسر ذلك لهم الاطلاع على مختلف القرارات الصليبية ، وتعد أعمالهم - الى جانب الوثائق الصليبية - أهم مصادر المعلومات التاريخية أصالة . واذا كانت وفرة المعلومات التاريخية تشكل عبئا على الباحث في التاريخ بصفة عامة ، لما تحتاجه من تمحيص لروايتها ، ومقارنة لنصوصها المختلفة حتى يتم الوقوف على الحقيقة خالصة ، فإن الامر يختلف بالنسبة لدارسى تاريخ الحروب الصليبية التي تعددت أطراف الصراع فيها ، وتداخلت أحداثها وتشابكت وقائعها الى جانب تعدد وتباين أهواء وميول مؤرخيها المعاصرين طبقا لانتماثاتهم وجنسياتهم المختلفة . لذا كان لابد من الرجوع الى أكثر من مصدر معلومات واحد ، حتى يتسنى الأخذ بالحقيقة وحدها .

وهكذا أمدتنا الحملة الصليبية الاولى بوفرة من المؤرخين اللاتين الذين سجلوا لنا تاريخ الشرق الفرنجى منذ خروج الصليبيين من بلادهم في عام ١٠٩٦م/٤٩٠هـ ، وحتى عام ١١٢٧م/٥٢١هـ . وينقسم مؤرخو هذه الفترة الى قسمين ، الاول منهما ويضم ثلاثة مؤرخين شاهدى عيان

وهم المؤرخ المجهول صاحب كتاب « أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس »
(٤) «Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum»

وريمونواجيل صاحب كتاب « تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس »
(٥) Historia Francorum Qui Ceperum Iherusalem
نم قوشيه أوف شارتر الذي وضع كتاب « أعمال الفرنجة الحاجين الى بيت المقدس »
(٦) Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium

(٤) كان المؤرخ المجهول تابعا لبوهيمند النورماندى وجاء من جنوب ايطاليا ، وهو سليل احدى الاسر النورماندية التى تبعت أسرة تنكريد أوف هوتفيل الى جنوب ايطاليا فى القرن الحادى عشر الميلادى . وقد ظهرت لهذا الكتاب عدة طبعات رجعت الى الطبعة التى قامت بترجمتها المؤرخة الانجليزية روزالين هل فى عام ١٩١٤م . راجع أيضا : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الاولى ، الاسكندرية ، ١٩٧٦ ، ص ٢ - ٣ .

(٥) ينتمى المؤلف الى آجيل «Aiguille» فى مقاطعة اللوار الأعلى Haute بفرنسا ، وقد انضم الى المندوب البابوى ادهيمار عند اشتراكه فى الحملة الصليبية الاولى ، ثم أصبح كاهنا لريموند كونت تولوز . وبدأ فى كتابة مؤلفه أثناء حصار الصليبيين لانطاكية فى عام ١٠٩٨م/٤٩٢هـ ، وأتمه فى نهاية عام ١٠٩٩م/٤٩٣هـ ، بوقعة عسقلان . انظر :

Jean Richard, Raymond d'Aguilers, Historien de La Première Croisade, in J.S., 1971, pp. 206-212.

راجع أيضا جوزيف نسيم : العرب والروم ، ص ٧ .
(٦) ولد فوشيه بمدينة شارتر بفرنسا فى عام ١٠٥٩م/٤٥١هـ . وأصبح كاهنها ، وحضر مجمع كليرمونت ، ثم توجه الى الشرق عند قيام الحملة الصليبية الاولى فى صحبة روبرت النورماندى . وبعد عبور الصليبيين لآسيا الصغرى سحب بولدوين شقيق جودفرى دى بوايون الى الرها ليؤسس الاول بها امارته الصليبية ، وأصبح فولتشر كاهن كنيسة . وظل فوشيه ملازما لبولدوين حتى وفاة الاخير فى عام ١١١٨م/٥١٢هـ . انظر جوزيف نسيم : العرب والروم ، ص ٧ ، ص ٨ حاشية رقم ٢ . راجع أيضا

Cahen, La Syrie du Nord, P. 10; Oliver J. Thatcher, Critical work on the Sources of the First Crusade, in A.R. A.H.A, Vol. 1, 1900, pp. 502-503; Harold S. Fink, Fulcher of Chartres, Historian of The Latin Kingdom of Jerusalem, in S.M.G, Vol. 5, 1975, pp. 53-55.

والكتاب منشور فى الجزء الثالث من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) وقد اعتمدنا فى هذا البحث على طبعة أخرى باللغة الانجليزية . انظر :

وهؤلاء أمدونا بمعلومات عن الحملة الصليبية الاولى منذ خروجها من أوروبا وحتى سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين . وقد حظى فتح اللاتين لانطاكية ، وتأسيسهم امارة صليبية بها ، وعلاقات الصليبيين بكل من البيزنطيين والارمن والمسلمين بنصيب وافر من كتابات هؤلاء . واذا كان مؤلفا الاول والثاني منهما يتوقفان بذكر أحداث استيلاء الصليبيين على مدينة عسقلان (١٢ أغسطس ١٠٩٩م / ١٤ رمضان ٤٩٢هـ) وانتصار الفرنج على القوات الفاطمية ، فان كتاب فوشيه يغطي الفترة حتى عام ١١٢٧م / ٥٢١هـ . وفيما يخص الفترة بين عامي ١١٢٠م / ٥١٤هـ و ١١٢٧م / ٥٢١هـ يعتبر تاريخ فوشيه هو المصدر اللاتيني الوحيد المعاصر ، ويعد أيضا تاريخا لكل الامارات الصليبية في بلاد الشام . وتمتاز روايات هؤلاء بالاصالة لكونهم شهود عيان ومشاركين في الاحداث التي كتبوا عنها .

أما عن القسم الثاني من المصادر اللاتينية التي عالجت هذه الفترة فنورد منها ما سجله البرت دكس عن تاريخ حملة جودفري دوق اللورين السفلى وأول حكام بيت المقدس اللاتين بعنوان « كتاب الحملة المسيحية لأخذ وتطهير واسترداد مدينة بيت المقدس »

«Liber Christianae Expeditionis Pro Ereptione,
Emundatione et Restitutione Sanctae Hierosolymitanæ

Ecclesiae (٧) وكتاب رادولف دي كان « أعمال تنكريد في الحملة الى بيت المقدس » Gesta Tancredi in Expeditione Hierosolymitana (٨)

Falcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalem (1095-1127). Trans. by Rita France Ryan, Tennessee, 1969.

(٧) لا نعرف على وجه التحديد الاسم الكامل لهذا المؤرخ ومكان مولده . وكل ما عرف أنه كان أمينا لخزانة مدينة اكس Aix وأنه عاش فيما بين عامي ١١١٩م / ٥١٣هـ ، ١١٥٠م / ٥٤٤هـ ، وهي الفترة التي من المحتمل أن يكون قد وضع فيها تاريخه (ربما بدا ذلك في عام ١١٢٥م / ٥١٩هـ) . ويتميز كتابه بالدقة البالغة والمعلومات الوفيرة عن الشرق اللاتيني بالرغم من أن عمله يتسم أحيانا بسمة أسطورية . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم ، ص ١٥ ، ١٦ ، حاشية ٢ ، راجع أيضا :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 12.; Oleiver J. Tatcher, Critical work, p. 508.

(٨) لم ير هذا المؤرخ شيئا مما رواه لنا . فقد ولد حوالي ١٠٨٠م / =

واخيرا كتاب ايكهارد دورا « بيت المقدس » Hierosolymita (٩) واذا كان هؤلاء لم يشاهدوا وقائع الحملة الصليبية الاولى فان الاول منهم مع انه وضع تاريخه في اوربا ولم يحضر الى الشرق ، الا انه استقى معلوماته من مصادر أصلية مثل أعمال كل من المؤرخ المجهول وريمون داجيل وفوشيه دي شارتر . كما استمع الى روايات من عادوا من الصليبيين الى اوربا ، ويغطي كتابه الفترة حتى عام ١١٢٢م/٥١٦هـ . أما رادولف فقد كان كاهنا خاصا لتنكريد الذي روى له ذكرياته عن الحملة الاولى واحداثها ، فوضع تاريخا لأعمال سيده تنكريد ، أصبح تاريخا لامارة انطاكية التي تولى تنكريد الحكم فيها بعد موت خاله بوهيمند الاول . وينتهي كتابه عند عام ١١٠٥م/٤٩٩هـ . أما ايكهارد فقد أتى الى فلسطين عام ١١٠١م/٤٩٥هـ . وعاد الى اوربا ليضع كتابه الذي اعتمد فيه على ذكرياته الشخصية في الشرق ، وروايات الآخرين التي تتفق مع روايات كثيرة صحيحة ودقيقة وذكرها غيره من المؤرخين اللاتين .

= ٤٧٣هـ. بمدينة كان Caen بفرنسا وانخرط في سلك الرهبنة ، ويسر له ذلك أن يدرس الأعمال اليونانية واللاتينية القديمة سواء كانت تاريخية أو شعرية ، وتأثر بهومروسوفكليس وفيرجيل وهيرودوت وغيرهم ، وانعكس ذلك على كتابته التي غلب عليها تفخيم الأسلوب والتفاصح . ورافق قوات بوهيمند في حملته ضد بيزنطة في ١١٠٧م/٥٠١هـ ثم وصل الى بلاد الشام في ١١٠٨م/٥٠٢هـ ، ولازم تنكريد ودخل في خدمته ووضع كتابه بعد عام ١١١٢م/٥٠٦هـ . وتوفي رادولف بعد عام ١١٣١م/٥٢٥هـ انظر :

Henri Glaesener, Raoul de Caen, Historien et Ecrivain, in R.H.E., Vol. 46, 1951, pp. 5-21.

وكتاب رادولف منشور في الجزء الثالث من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) .

(٩) قدم ايكهارد «Ekkehard» « راهب دير أورا » «Orach» لتلك المدينة الواقعة على نهر مان «Main» الأعلى بألمانيا ، الى الشرق في عام ١١٠١م/٤٩٥هـ. حاجا الى بيت المقدس . واستغل فرصة وجوده في الحصول على ما يمكنه جمعه من معلومات عن الحملة الصليبية الاولى من شهود العيان . وعند عودته الى بلده في ألمانيا وضع كتابه ليكون جزءا من كتاب عن تاريخ العالم كان يفكر في تأليفه . والكتاب منشور في الجزء الخامس من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) . انظر :
Tatcher, Critical work, p. 503; Cahen, La Syrie du Nord, p. 11.

وممن كتبوا عن أحداث الحملة الصليبية الاولى دون أن يشاركون فيها أو يأتوا الى الشرق أبدا كان المؤرخ النورماندى أوردريك فيتاليس «Ordric Vitates» الذى وضع كتابا بعنوان « تاريخ الكنيسة » «Historia Ecclesiastica» (١٠) الذى يدل على أنه كان ذا ثقافة عالية . فقد نقل عن أكثر من خمسين مصدرا تاريخيا (١١) الى جانب ما استقاه من الوثائق والروايات الشفهية . وبالرغم من عدم التزامه بالترتيب الزمنى للأحداث ، وعدم التزامه بخطة عامة لوضع تاريخه ، إلا أن كتابه على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لتاريخ الحملة الصليبية الاولى ، وعلاقة بينزطة بالصليبيين . وتعد المعلومات التى أوردها عن الحملة الاولى وما تلاها من أحداث حتى عام ١١٢٣م/٥١٩ هـ . أهم المعلومات التاريخية الاصلية . فقد استقاه من روايات من عاد من الفرنج الى فرنسا ، ومما وصل الى أوروبا من تقارير عن أحداث هذه الفترة . وكان

(١٠) يعد فيتاليس من المؤرخين الانجلو نورمان ، فمع أنه عاش في نورمانديا إلا أنه ولد في انجلترا في عام ١٠٧٥م لأب نورماندى (Odelerius d'Orleans) وأم انجليزية (Angligena) جاء أبوه الى انجلترا فيما بين عامى ١٠٦٦م و ١٠٦٨م/٤٥٨ و ٤٦٠ هـ . وفي سن الخامسة درس أوردريك في كنيسة شروسبرى «Shrewsbury» . وفي العاشرة أرسله أبوه الى نورمانديا حيث أصبح راهبا في دير القديس افرول St. Evroul وعاد الى انجلترا في زيارة قصيرة في عام ١١١٥م/٥٠٩ هـ . وأثر ارتباطه بانجلترا على كتاباته التاريخية لارتباط انجلترا بنورمانديا (وطن النورمان الاصلى) ثقافيا وسياسيا في عصره ، وتأثر كثيرا بالمؤرخين الانجليز . وكرس كتابه لسرد تاريخ كنيسة انجلترا ونورمانديا . ووضعه بناء على طلب روجر أوف لى ساب «Roger of Le Sap» اسقف دير القديس افرول (١٠٩١ - ١١٢٧م) . ويتكون الكتاب الذى وضعه أوردريك من ثلاثة عشر فصلا ، تغطى الفترة من ١ - ١١٤١م . ووضعه أوردريك فيما بين عامى ١١١٤م و ١١٤١م . وقد تأثر أوردريك في كتابته ببعض المؤرخين الانجليز مثل بيده «Bede» ووليم أوف مالمسبرى ، وبعض المؤرخين النورمان مثل وليم أوف بواتيه «William of Poitiers» ومات فيتاليس في عام ١١٤٣م . وللمزيد عن حياة فيتاليس وأعماله . انظر :

Antonia Gransden, Historical writing in England C. 550 to C. 1307, 2 Vols, London, 1974, Vol. 1, pp. 151-165.

Ibid, p. 160.

فيتاليس محايدا بالنسبة لمشكلة انطاكية التى قامت بين الكسيوس وبوهيمند ثم تنكر يد من بعده . وأكدت روايته عن تلك المشكلة حسن نية الامبراطور البيزنطى تجاه الفرنج وعدم تخليه عن الحملة كما اتهمه الفرنج بذلك .

والى جانب فيتاليس - من المؤرخين الذين لم يشتركوا فى الحملة الصليبية الاولى وكتبوا عنها فى أوربا - هناك المؤرخ الانجلونورماندى وليم راهب دير مالمسبرى «William of Malmesbury» الذى وضع كتاب « أعمال ملوك الانجليز » «Gesta Regum Anglorum» (١٢) الذى تناول فيه احوال ملوك انجلترا وعلاقاتهم بملوك أوربا والبابوية . وترجع أهمية الكتاب الى اعتماد المؤلف على مصادر معلومات مفقودة . وقد أمدنا وليم بمعلومات قيمة عن سقوط انطاكية فى ايدى اللاتين . وكان المؤرخ الوحيد الذى وقف على ما دار بين كربوغا وكونت بلوا من محادثات حين بعث قادة الصليبيين بالآخر الى المسلمين طلبا لرجوع كربوغا عنهم بعد أن حاصروهم داخل انطاكية . كما أكدت المعلومات التى أوردها وليم بعض التواريخ التى جاءت فى أعمال غيره من مؤرخى الحملة الاولى اللاتين .

والى جانب هؤلاء رجع الباحث الى عدة مؤلفات لاتينية ألقت الاضواء على بعض نقاط البحث بما أورده من معلومات تاريخية تخدم موضوع الدراسة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فيما يتعلق بالتاريخ المبكر للشرق الفرنجى . ومن هذه المؤلفات كتاب « تحرير مدن الشرق » «Leberatis Civitatum Orientis» للمؤرخ الجنوى كفارو (١٣) .

(١٢) ولد وليم فى عام ١٠٩٥م/٤٨٩هـ ، لوالدين أحدهما نورماندى والآخر انجليزى . وبدأ حياته راهبا فى دير مالمسبرى ، حيث عمل مساعدا للاب جود فرى (رئيس الدير) فى ترتيب مكتبة الدير ، ثم تولى ادارة المكتبة بعد موت جود فرى . وكان لعمله بالمكتبة أثر كبير فى ميل وليم الى الكتابة التاريخية . ويعتد كتابه « أعمال ملوك الانجليز » تاريخا لانجلترا منذ قدوم السكسون اليها (٤٤٩م) وحتى عام ١١٢٧/٥٢١هـ . كما وضع وليم عدة كتب أخرى أهمها « أعمال أساقفة الانجليز » «Gesta pontificum Anglorum» ومات وليم فى عام ١١٣٤م/

٥٥٣٨هـ ، انظر :

Antonia Gron-edon, Historical Writing, Vol. 1, pp. 167 ff.

(١٣) ينحدر كفارو من أسرة جنوبية . أتى الى الشرق سنة ١١٠٠م/٤٩٤هـ وعدة مرات أخرى . وضع كتابه فى عام ١١٥٥م/٥٥٥هـ . =

وكتاب « أعمال الفرنج التي أدوها بفضل الرب » «Gesta Dei Per Francos» الذي وضعه «جيبيرت دي نوجان» Guibert de Nogent (٤) ويضاف الى هؤلاء كتاب ثالث يحمل عنوان « القسم الثاني من تاريخ بيت المقدس » «Secunda Pars Hierosolymitanac» ينسب الى شخص يدعى ليزيا الفوري (١٥) .

واذا كان بعض مؤرخي الحملة الصليبية الاولى المعاصرين قد وصلوا بأعمالهم حتى منتصف العقد الثالث من القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري ، فقد مدنا الشرق الفرنجي بنوع آخر من المؤرخين اللاتين ، وهم المؤرخين الذين نشأوا في الشرق اللاتيني . ويأتى في مقدمة هؤلاء والتر (جوتيه) المستشار Walter The Chancellor ويعود الكتاب الذي وضعه بعنوان « الحرب الانطاكية » «Bella Antiochena» من أكثر المصادر اللاتينية ، المتعلقة بتاريخ امارة انطاكية الصليبية ، أصالة (١٦) . فقد وضع والتر كتابه بناء على رغبة سيده أمير انطاكية روجر الانطاكي . وترجع أهمية الكتاب الى أن صاحبه كان من لاتين انطاكية ، وكان على علم تام بجغرافية وأحداث بلاد الشام في عصره . وكان مستشارا لروجر الانطاكي وكتابه يعالج السنوات من ١١١٤م الى ١١٢٢م ،

= كما وضع حوليات جنوا وهو كتاب يعالج الفترة من ١١٠٠م/ ٤٩٤هـ الى ١١٦٣م/ ٥٥٩هـ . وكتابه « تحرير مدن الشرق » منشور في الجزء الخامس من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ، (المؤرخون الغربيون) . انظر :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 11.

(١٤) ولد جيبيرت في مدينة كليرمونت ووضع الى جانب كتابه بعض المؤلفات في علم اللاهوت . وكتابه يعالج السنوات من ١٠٩٥م/ ٤٨٩هـ الى ١١٠٤م/ ٤٩٨هـ والكتاب منشور في الجزء الرابع من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) . انظر : Fulcher of Chartres, p. 46.

(١٥) الجزء الاول من هذا الكتاب والذي يعالج السنوات من ١٠٩٥ - ١٠٩٩م/ ٤٨٩هـ ، ٤٩٣هـ) يبدو أنه مفقود . وعاش مؤلفه في مدينة لاون Laon في عام ١١٦٨م . والكتاب يعد تنقيحا لكتاب فوشيه ، الا أنه أضاف اليه كثيرا من المعلومات التاريخية الهامة . انظر :

Fulcher of Chartres, p. 48.

(١٦) الكتاب منشور في الجزء الخامس من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) .

وهى من الفترات التى زخرت بأهم العلاقات السياسية بين أنطاكية والمسلمين . والتى حقق فيها اللاتين أقصى اتساع لاماراتهم الصليبية على حساب المسلمين . ويعد كتابه ثبوتا دقيقا لعلاقة روجر بالمسلمين . وهو آخر من أنجبه شمال الشام اللاتينى من مؤرخين ، وآخر من اهتم بسرد تاريخ امارة أنطاكية الصليبية .

واذا كانت الحملة الصليبية الاولى قد أخرجت العديد من الاعمال التاريخية اللاتينية ، التى أمدتنا بالمادة العلمية الوفيرة التى تميزت بالدقة والاصالة ، والتى ساعدت - مشاركة فى ذلك ، المصادر الاسلامية المعاصرة لها - على رسم صورة واضحة لأحداث تلك الفترة وحتى العقد الثالث من القرن ١٢م/٦هـ ، وعلى تحديد طبيعة العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين ، فان الشرق اللاتينى ، منذ توقف كتاب فوشيهوف شارتر وحتى عام ١١٨٤م/٥٨٠هـ لم يخرج لنا سوى مؤرخا لاتينيا واحدا ، يرجع اليه الفضل فى الوقوف على كثير من الحقائق التى رسمت صورة دقيقة لأحوال افرنج الشرق وعلاقاتهم السياسية بالمسلمين . ولم يكن هذا المؤرخ الا وليم الصورى «William of Tyre» (١٧) الذى يعتبر كتابه

(١٧) ولد وليم الصورى فى مدينة بيت المقدس فى عام ١١٣٠م/٥٢٤هـ ، ومن المحتمل أن يكون أحد أجداده قد شارك فى الحملة الصليبية الاولى . ولا نعرف الموطن الاصلى لاسرته ، فلم يكن حريصا على ذكر أصله كما كان حريصا على ذلك بالنسبة للآخرين . وكل ما نعرفه عن أسرته أن أمه ماتت فى عام ١١٨١م/٥٧٦هـ ، وأن أخاه رالف «Raiph» مات فى إحدى المعارك ضد المسلمين . ويمكن معرفة القليل عن حياته الاولى وثقافته مما ذكره بنفسه فى أحد فصول كتابه (فصل ١٩ فقرة ١٢) الذى يضمه مخطوط واحد فقط من بين مخطوطات الكتاب والذى اكتشفه حديثا

Huygens فقد أمضى وليم - الابن الأكبر لوالدين يعيشان فى سعة ورغد من العيش - عشرين عاما من حياته (١١٤٥ - ١١٦٥م/٥٣٩ - ٥٦٠هـ) مسافرا فى فرنسا وإيطاليا طلبا للعلم . فدرس علم اللاهوت والفلسفة والرياضيات فى باريس وشارتر وأماكن أخرى . كما درس الكلاسيكيات فى أورليانز والقانون فى بواونيا . وفى عام ١١٦٥م/٥٦٠هـ عاد الى الشرق حيث تقلد عدة مناصب هامة فقد شغل وظيفة رجل القانون الكنسى فى عكا ، ورئيس شمامسة فى بيت لحم وصور . وفى عام ١١٧٠م/٥٥٦هـ أصبح مربيا ومعلما =

« تاريخ الاعمال التي تمت في بلاد ما وراء البحر منذ وقت خلفاء محمد

(صلى الله عليه وسلم) وحتى عام ١١٨٤ من الميلاد »

«Historia rerum in Partibus transmarini gestarum a tempore successorum Mahumeth usque ad annum Domini MCLXXIV»

من أكثر المصادر اللاتينية دقة وشمولا . وقد وضعه وليم بتكليف من

عموري الاول ملك بيت المقدس (١١٦٣ - ١١٧٤م/٥٥٩ - ٥٦٩ هـ)

ليكون سجلا لأعمال الملك الصليبي (١٨) ويبدأ الكتاب بالفتح الاسلامي

لسوريا كمقدمة للحروب الصليبية ، ثم غطى فترة الحملة الصليبية الاولى

لبولدوين الرابع ملك بيت المقدس . ابن الملك عموري الاول .

ومنذ عام ١١٧٤م/٥٧٠ هـ أصبح مستشارا للمملكة الصليبية ورئيسا

لإساقفة صور . وبالإضافة الى ذلك فقد كلفه بولدين الرابع بمهام

رسمية الى القسطنطينية ، والى مجلس اللاتيران الثالث . وفي

١١٨٠م/٥٧٦ هـ حدثت تغيرات سياسية في المملكة أطاحت بآماله

في أن يصبح بطريركا لبيت المقدس ، المنصب الذي شغله

البطريرك هرقل لينتهي الدور المؤثر لوليم الصوري في مملكة

بيت المقدس . ومات وليم في عام ١١٨٦م/٥٨٢ هـ . انظر :

R.B.C. Huygens, Guillaume de

Tyre étudiant Un chapitre (XIX, 12) de son «Histoire» re-

trouvé, in Latomus, t. 21, 1962, pp. 811-829; R.H.C. Da-

vis, William of Tyre, in Relations between East and West

in the Middle Ages, ed. by Derek Baker, Edinburgh, 1973,

pp. 64-76, R.C. Smail The Crusaders in Syria and the

Holy Land, Great Britain, 1973, p. 187.

راجع أيضا : عمر كمال توفيق : المؤرخ وليم الصوري ، مجلة

كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد ٢١ لسنة ١٩٧٠م ، مطبعة

جامعة الاسكندرية ١٩٦٩م ، ص ١٨ - ٢٠ .

(١٨) وضع وليم الصوري كتابا آخر بعنوان « تاريخ الحكام الشرقيين »

«Historia. Orientalium Pricipum» ولكنه مفقود .

أما كتابه «Historia» فهو منشور في الجزء الاول من مجموعة

مؤرخي الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) . وقد اعتمدنا

على نسخة أخرى باللغة الانجليزية . انظر :

William Archbishop of Tyre. A History of Deeds done beyond

the sea, 2 vols, Trans. and annotated by Emily babcock

and A.C. Krey, New York, 1943; R.B.C. Huygens, Edit-

ing william of Tyre, in S.E., Vol. 27, 1984, pp. 461-473.

حتى عهد بولدوين الثانى ، معتمدا فى ذلك على ما جاء فى كتب من سبقوه من المؤرخين اللاتين مثل المؤرخ المجهول وريمون داجيل وفولشرأوفشارتر والبرت دكس ووالتر المستشار ، الى جانب ما أمده به الملك عمورى من كتب المؤرخين المسلمين (١٩) . لذلك لم يكن وليم الصورى يجهل أحداث الفترة المبكرة على الحروب الصليبية وحتى عهده هو . ثم استمر وليم فى تاريخه حتى عام ١١٨٤م/ ٥٨٠هـ . وما كتبه وليم منذ أحداث ١١٦٧م/ ٥٦٣هـ يعد أكثر أجزاء تاريخه قيمة تاريخية وأصالة ، فقد كان شاهد عيان لما جرى من أحداث فى هذه الفترة . وكان محل ثقة البلاط الصليبي ، ومستشار الملكة ، ومربى الملك الطفل ، وصاحب النفوذ الأكبر فيها ، الامر الذى جعله مشاركا فى القرارات السياسية الصليبية . لذا يعد كتابه سجلا تاريخيا دقيقا للشرق الصليبي كله . ولا غرو أن ينقل عنه كل من تناول تاريخ الصليبيين فى القرن ١٢م/ ٦هـ . وكان لكتابه تأثير كبير فى الكتابات التاريخية فى أوربا . فترجم الى الفرنسية القديمة فى القرن ١٣م/ ٧هـ ، وصارت هذه الترجمة معروفة لدى كل المثقفين فى كل أنحاء أوربا . ولا عجب أن يتأثر به كل من جاك دى فترى ومتى الباريزى وحتى جان دى جوانفيل ودانتى اليجيرى (٢٠) .

لذلك كله كان لابد وأن يكون لتاريخ وليم الصورى عظيم الفائدة بالنسبة لموضوع البحث . فقد أمدنا وليم على امتداد كتابه بمادة وفيرة لم ترد فى أعمال من سبقوه من المؤرخين ، بالاضافة الى ما نقله عنهم خاصة فيما يتعلق بتاريخ العلاقات بين أنطاكية والمسلمين منذ قدوم الصليبيين الى بلاد الشام وحتى نهاية الدولة الفاطمية . أما عن الفترة التى عاصرها وليم ، فقد ساعد ما أورده من معلومات تاريخية على الوقوف على أحوال الفرنج المتردية فى بلاد الشام فى عام ١١٧١م/ ٥٧٦هـ ، فى الوقت الذى لم يغفل فيه وليم - بحسه السياسى الذى لم يتمتع بمثله قادة الفرنج

(١٩) من المحتمل أن يكون الفرنج قد حصلوا على هذه الكتب ضمن ما استولوا عليه من أمتعة أسامة بن منقذ التى كانت فى السفينة الغارقة بالقرب من عكا ، والتى وضع بولدوين الثالث يده عليها فى عام ١١٥٤م/ ٥٥٤٩هـ . انظر : A.C. Krey, William of Tyre, p. 154, note. 1.

Ibid, p. 166.

أنفسهم - أحوال المسلمين وازدياد قوتهم وما أنجزه صلاح الدين من نجاحات في توطيد كلمة المسلمين تحت لوائه . وساعد تتبع وليم الصوري لانجازات صلاح الدين على تحديد طبيعة سياسة صلاح الدين تجاه انطاكية قبل حطين . وقد حظى بوهيمند الثالث أمير انطاكية بالنصيب الأكبر من بين أمراء الفرنج باهتمام وليم الصوري ، وساعدت المعلومات الدقيقة التي أمدنا بها المؤرخ الكبير على التأكد من حدوث الاتفاق بين كونت الفلاندرز وريموند كونت طرابلس وبوهيمند الثالث على محاولة الاستيلاء على حارم في عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ دون الاشتراك في الحملة البيزنطية الصليبية المشتركة المزمع قيامها ضد مصر ، الأمر الذي أكد أن سلطة بيزنطة وحمائتها على إمارة انطاكية قد انتهت قبل موت مانويل كومنين بثلاث سنوات . وهي إحدى القضايا الهامة التي ناقشها موضوع البحث . وهكذا كان بوهيمند الثالث صاحب النصيب الأوفر من النقد الذي وجهه وليم الصوري لسادة الفرنج المهتمين بمصالحهم الشخصية دون الصالح الصليبي العام في الوقت الذي طوقهم فيه صلاح الدين استعدادا لتوجيه ضربته القاضية إلى مملكتهم الصليبية . وبين في ذلك قصور سياسة بوهيمند الثالث ، وأثر ذلك في الأضرار بصالح الكنيسة والمملكة الصليبيتين . كما تميز تاريخ وليم الصوري عما لحقه من حوليات صليبية بوفرة المعلومات التاريخية . فلم ير المؤرخ الصليبي غضاضة في ذكر تفاصيل ما دار من معارك بين الفرنج والمسلمين حتى التي انتهت منها بانتصار المسلمين . ومن أسف أنه لم يشهد استيلاء صلاح الدين على أملاك الفرنج بعد حطين وإن كان تنبأ بكل ذلك . فمنذ عام ١١٨٠م/٥٧٦هـ وبعد عودته من أوربا وبيزنطة ، وجد تغيرا كبيرا في مملكة بيت المقدس . فالملك بولدوين الرابع مريضا بالجذام ، وسيطر حزب أمه أجنيس دي كورتيناى على الأمور ، وتم تعيين هرقل بطريركا للمملكة بعد موت البطريرك عمورى (١٦ أكتوبر ١١٨٠م/٢٤ جمادى أول ٥٧٦هـ) . وبذلك انتهى دور وليم المؤثر في سياسة المملكة وانتهى معه أمله في اعتلاء كرسي بطريركية بيت المقدس . وكان لذلك تأثيره على كتابته التاريخية (٢١) فبالرغم من تفرغه لاتمام تاريخه ، فقد انتابه الحزن

P.W. Edbury and J.G. Rowe, William of Tyre and the Patriar- (٢١)
chal election of 1180, in E.H.R., Vol 366, 1978 pp. 1-25.

وتميزت توقعاته بالنسبة لمستقبل الفرنج في الشرق بالياس والتشاؤم (٢٢) . فلم يهتم سوى بأحوال المملكة ، ونلمس في نهايات تاريخه عدم وجود انطاكية الا بما يقوم به أميرها بوهيمند الثالث من أعمال تضر بالصالح الصليبي فقط . ومات وليم الصوري دون أن يكمل تاريخه ، أو بالأحرى تاريخ مملكة بيت المقدس . وربما كان ذلك عقابا حتمته الصدفة ، للمملكة التي لم ترد له صنيعه اليها بتحقيق حلمه في اعتلاء كرسى بطريركيته . وبتوقف تاريخ وليم الصوري ينتهي آخر التواريخ اللاتينية التي دونت عن الحروب الصليبية . ليبدأ ما يعرف بالحوليات التاريخية لتروى بقية قصة الحركة الصليبية ، بنمط جديد ، وبلغة جديدة .

وبانتهاء تاريخ وليم الصوري تنتهي الكتابة التاريخية اللاتينية الشاملة . فقد كان وليم الصوري حريصا على تدوين كل ما يشاهده أو يسمع به سواء كان ذلك لصالح المسلمين أو الصليبيين على حد سواء . ولم يتورع عن ذكر تفاصيل انتصارات المسلمين على بنى جلدته حسبما اسلفنا . فهو يورد كل ما يعرفه توخيا لذكر الحقيقة كاملة . وعلى العكس من ذلك نجد ما كتبه من جاء بعده من المؤرخين اللاتين في الشرق . فالى جانب اهتمامهم بأحوال المملكة الصليبية في بيت المقدس ثم في عكا دون الاهتمام بأحوال الصليبيين في شمال الشام بالقدر المطلوب - ربما كان ذلك بسبب تركيز قوة المسلمين في مصر بقيادة الدولة الايوبية فيها ، وبعد أن انحسرت الاضواء عن العراق وحلب كمركز ثقل للمقاومة الاسلامية ضد الصليبيين - فقد جاء ما ذكره هؤلاء المؤرخين عن أفرنج شمال الشام مختصرا ولا يشفى غلة الباحث . واحتلت خلافات الفرنج التي شجرت فيما بينهم ، وأخبار الحملات الصليبية التي جلبت الى بلاد الشام ، والمواجهة الاسلامية للصليبيين في فلسطين ، صفحات حويليات هؤلاء المؤرخين ، ولم يرد ذكر صليبي شمال الشام الا حين كان أمراء انطاكية - طرابلس ينغمسون في كل ذلك . وطالعنا الحويليات الصليبية التي دونت في الشرق اللاتيني باللغة الفرنسية الوسيطة بالنذر اليسير من المعلومات

(٢٢) كتب فصلا واحدا من الكتاب الثالث والعشرين انظر :
D.W.T.C. Vessey, William of Tyre and the art of Hystriography, in M.S., Vol. 35, 1973, pp. 433-455.

التاريخية التي تساعد على تتبع أحوال امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها بجيرانها المسلمين تاركة هذا الدور لبعض المصادر الاسلامية المعاصرة وللوثائق الصليبية السابق الاشارة اليها والحواليات الاوربية . واذا كان ذلك ينطبق على المصادر الصليبية والاسلامية خلال العقود الثلاثة الاولى من القرن ١٣م/٧هـ ، فانه بظهور الخوارزمية ومن بعدهم المغول ، فقد شارك المؤرخون المسلمون مؤرخي الصليبيين في اغفال الحديث عن احوال الصليبيين في انطاكية وطرابلس ، ولم تحتل امارة انطاكية في كتابات الجميع سوى النزر اليسير من الصفحات ، وربما كان الاهتمام بالحديث عن الخطر المغولي الذي شغل بال الجميع في الشرق الادنى وحتى في غرب أوروبا ، قد طغى على الكتابات التاريخية الاسلامية الصليبية معا . ولم يساعد على رسم صورة واضحة - بقدر الامكان - عن أحوال امارة انطاكية بدءا من العقد الرابع من القرن ١٣م/٧هـ وحتى سقوطها في أيدي المماليك سوى كتابات بعض الرحالة الذين عرجوا الى بلاد الشام في طريق عودتهم من شرقى آسيا أو من أوروبا الى الشرق الادنى الاسلامي . هذا الى جانب بعض المراسلات والوثائق الصليبية ، وما جاء في حواليات المؤرخين الاوربيين من تقارير عن أحوال الفرنج في بلاد الشام بعث بها قادتهم الى حكام أوروبا ورجال الدين فيها .

وقد استتبع ذلك الرجوع الى مختلف المصادر التي دونت في الشرق اللاتيني أو غرب أوروبا . ومن المصادر التي وضعها مؤرخون أقاموا في الشرق الفرنجي ، كانت هناك عدة تذييلات على تاريخ وليم الصوري وضعت كلها باللغة الفرنسية الوسيطة . ويأتى في مقدمة هذه التذييلات كتاب « حواية ارنول وبرنارد وكيل الخزانة »
(٢٣) «Chronique de Ernoul et de Bernard Le Trésorier» (٢٣)

(٢٣) برنارد هو وكيل خزانة القديس بطرس في دير كوربي «Corbie» بفرنسا كما يخبرنا في آخر سطور الكتاب . ووضع الكتاب استنادا الى مخطوط مفقود وضعه شخص يدعى ارنول بعنوان « حروب صلاح الدين » (التي تحتل جزءا كبيرا من الكتاب) ويتوقف عند عام ١٢٣١م/٦٢٧هـ . انظر :

Chronique de Ernoul et de Bernard Le Trésorier, ed. L. de Maug-Latrie, Paris, 1871, p. 472.

الذى كان الهدف من وضعه هو توضيح الكيفية التى فقد بها الصليبيون مملكة بيت المقدس فى عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ ، ثم اعادة تكوين الشرق اللاتينى على الساحل السورى وفى جزيرة قبرص (٢٤) . ويبدأ الكتاب بسرد تاريخ مملكة بيت المقدس حتى عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ بشكل غير منتظم . وبعد ذلك يسرد الكتاب تاريخ الاربعين عاما التالية بتركيز شديد على الحملات الصليبية . كما يشمل الكتاب استطرادات عن بيزنطة وحياة أمراء غرب أوربا الذين كان لهم تأثير على دول الشرق وملوك فرنسا وانجلترا وخاصة اباطرة غرب أوربا . أما فيما يخص موضوع البحث ، فان كتاب ارنول - برنارد ساعد على التأكد من بعض المعلومات التى وردت فى المصادر الأخرى وخاصة فى بقية تذييلات تاريخ وليم الصورى ، والتى تتشابه نصوصها مع نصوص كتاب ارنول بصورة مستمرة . ولا يؤخذ على الكتاب سوى الإيجاز الشديد الذى يشوب رواياته ، وانتقاله من الحديث عن موقعة الى الحديث عن أخرى دون ذكر التفاصيل الهامة لكليهما مما أخل بوحدة موضوعه .

أما التذييل الثانى على كتاب وليم الصورى فهو تاريخ هرقل
Estoire de Eracles (٢٥) الذى يعد المصدر الاساسى الذى يعالج

(٢٤) Cahen, La Syrie du Nord, p. 20.

(٢٥) يعالج الكتاب الفترة من ١١٨٤م/٥٨٠هـ الى ١٢٧٧م/٦٧٥هـ . ويتكون من النصوص التى وردت فى عدة مخطوطات تحمل أرقام A,B,C,G,D . وتبدأ جميعها بآخر فصول كتاب وليم الصورى، ولأن وليم بدأ تاريخه بالحديث عن الامبراطور هرقل، فقد ظن مكمل تاريخ وليم أن الأخير وضع كتابه باسم الامبراطور البيزنطى . لذا وضع لتذييله على تاريخ وليم الصورى اسم « تاريخ هرقل » . ويتكون المتن فى هذا التاريخ مما جاء فى المخطوطات A,B,C,G أما ما جاء فى المخطوط D فقد نشر فى الهامش الاسفل من الكتاب . وعندما يختلف هذا المخطوط من الهامش فذلك يعنى أنه يتفق تماما مع ما جاء فى المتن وينتهى المخطوط «A» عند عام ١٢٤٨م/٦٤٦هـ بينما ينتهى المخطوط B عند عام ١٢٦٤م/٦٦٢هـ فى حين ينتهى المخطوط C عند عام ١٢٧٥م/٦٧٣هـ وينتهى المخطوط G عند عام ١٢٧٧م/٦٧٥هـ . وفيما يخص المخطوط D فقد رجعنا الى نسخة مدينة ليون التى قامت بنشرها روث مورجان وهى تغطى الفترة من عام ١١٨٤م/٥٨٠هـ =

تاريخ الصليبيين في بلاد الشام والحملات الصليبية التي جاءت الى الشرق بعد موقعة حطين وحتى عام ١٢٧٧م/٦٧٥هـ . وبالرغم من ذلك فانه مثل بقية المصادر الصليبية المعاصرة ، فقد اهتم بسرد احوال الفرنج في مملكة عكا الصليبية وعلاقاتهم بالمسلمين بدءا من صلاح الدين وحتى الظاهر بيبرس بتفصيل أكثر مما روى لنا احوال أمراء انطاكية وعلاقاتهم بجيرانهم المسلمين . وجاءت رواياته عن فتوح صلاح الدين في اماره انطاكية بعد حطين ، وكذلك سقوطها في أيدي المماليك في ايجاز شديد . وبالرغم من أنه أمدنا بمعارف عن قبائل التركمان وعلاقاتهم بانطاكية - الى جانب ما أورده متى الباريزي وما جاء في خطاب بوهيمند السادس الى هنري الثالث ملك انجلترا من معلومات - مما ساعد على رسم صورة واضحة لاحوال اماره انطاكية في اواسط القرن ١٣م/٧هـ ، وما أمدنا به من معلومات عن علاقات أمراء انطاكية بالارمن والجماعات العسكرية الرهبانية ، بالرغم من كل هذا فان تاريخ هرقل بدءا من عام ١٢٤٨م/٦٤٦هـ وحتى نهايته لا يعد تاريخا بالمعنى الدقيق بقدر ما يعد جمعا للمادة التاريخية ، الامر الذي يجعله يشبه حوليات بيت المقدس من حيث الایجاز ، الى جانب اتسام رواياته بالاضطراب ، وتتفق رواياته الاخيرة تماما مع ما ورد في مآثر القبارصة من روايات .

أما آخر تذييلات تاريخ وليم الصوري فهو التاريخ الذي يحمل عنوان « مخطوط روتلان » Manuscript de Rothelin (٢٦) الذي يعالج الفترة من عام ١٢٢٩م/٦٢٦ الى عام ١٢٦١م/٦٥٩هـ . وموضوع

= الى عام ١١٩٧م/٥٧٤هـ وقد أشرنا اليها باسم « تكملة وليم الصوري » «Continuation de Guillaum de Tyre» أما بقية المخطوطات فقد رجعنا الى نسخة تاريخ هرقل المنشور في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (الغربيون) وأشرنا اليه باسم « تاريخ هرقل » «Estoire de Eracles» انظر

R. Morgan, The chronicle of Ernoul and the Continuations of William of Tyre, Oxford, 1973, pp. 185 ff; Cahen, La Syrie du Nord, pp. 21-25.

(٢٦) الكتاب منشور في الجزء الثاني من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) .

الكتاب الاساسى هو حملة لويس التاسع على مصر والشام ، وكل ما يسبقها من روايات يعد مقدمة للكتاب ، وما ورد بعدها من روايات جاء فى ايجاز شديد وتم وضع هذا الكتاب فى فرنسا فى عام ١٢٦١م / ٦٥٩هـ (٢٧) . واذا اختصت مذكرات جوانفيل بالاهمية بالنسبة لحملة لويس ، فان اهم ما امدنا به روتلان هو المعلومات عن خلافات البنساذقة والجنوية التى جذبت اليها كل طوائف وقادة الشرق اللاتينى فى اواسط القرن ١٣م / ٥٧هـ .

وبالاضافة الى تذييلات كتاب وليم الصورى ، فان اهم الحوليات الصليبية التى دونت فى الشرق ، والتى تعالج بصفة اساسية أحداث القرن الثالث عشر الميلادى السابع الهجرى ، فهو المصنف الذى يحمل عنوان « مآثر القبارصة » Les Gestes des Chiprois (٢٨) والذى ينقسم الى ثلاثة اقسام : الاول منها بعنوان « حولية الارض المقدسة » Chronique de Terre Sainte ويغضى الفترة من عام ١١٣٢م / ٥١٦هـ الى عام ١٢٢٤م / ٦٢١هـ . وواضح أن كاتبه اعتمد أساسا على تاريخ هرقل فى تدوين معلوماته ، مما يتفق تماما على ما جاء فى حوليات الارض المقدسة (٢٩) . اما القسم الثانى فيحمل عنوان « تاريخ الحرب التى وقت بين الامبراطور فريدريك ويوحنا ابلين » «Etoire de la guerre qui fu enter» L'empereur et Johan d'Ibelin . ويغضى الفترة من عام ١٢٢٨م / ٦٢٥هـ الى عام ١٢٤٣م / ٦٤١هـ . وقد صنفه فيليب دى نافار Philip « de Navare » (٣٠) وهو عبارة عن اقتباس للسيرة الذاتية لفيليب .

Cahen, La Syrie, p. 25.

(٢٧)

الكتاب منشور فى الجزء الثانى من مجموعة الوثائق الارمينية

(٢٨)

Cahen, La Syrie du Nord, p. 26.

(٢٩)

ولد فيليب دى نافار حوالى عام ١١٩٥م / ٥٩١هـ ومات بعد عام

(٣٠)

١٢٦٥م / ٦٦٣هـ . وينتمى أصلا الى المدينة اللومباردية التى

تحمل اسم نوفاريا Novaria (فى اللغة اللاتينية) ونوفير

«Novaire» (فى الفرنسية القديمة) ونوفارا «Novara»

(فى الايطالية والفرنسية الحديثتين) . وينحدر فيليب من أسرة

نبيلة . أتى الى قبرص ودخل فى خدمة أحد النبلاء هناك يدعى

بيير شاب Pierre Chanpe ، وصحبه فى حصار الفرنج لدمياط

فى عام ١٢١٨م / ٦١٥هـ . وشد انتباه سيده بموهبته فى قراءة

الروايات بصوت عال ، واكتسب بذلك صداقة راؤول حاكم طبرية =

أما الجزء الثالث والآخر من الكتاب فهو عبارة عن تذييل للقسمين السابقين ، ويغطي أحداث الفترة من عام ١٢٤٣م/٦٤١هـ وحتى عام ١٣٠٩م/٧١٠هـ . وضعه شخص مجهول اعتاد المؤرخون على تسميته باسم « جيرارد دي مونتريال » « Gerard de Montréal » ، ربما كان يعمل كاتباً لدى مقدم الداوية وليم بوجيه . ومع أن عمله يعد أقل قيمة من عدل فيليب من الناحية الأدبية ، إلا أن أفق كاتبه أوسع من أفق فيليب . وواضح أنه عرف شهود عيان كل ما رواه من روايات ، الأمر الذي يجعل كتابه يتسم بالأصالة . ويجعل منه أثمن مصادرنا لتاريخ الشرق في منتصف القرن ١٣م/٧هـ ، ويكاد يكون مصدره الوحيد حتى نهاية القرن (٣١) .

وفيما يخص موضوع البحث ، فإن القسمين الآخرين من « مآثر

الذي يعد أكثر رجال عصره علماً بالقانون الاقطاعي ، والذي علم فيليب الصغير المبادئ الأولى لهذا العلم الذي قدر له أن يتنوق فيه . وأمام دمياط ارتبط فيليب بالابليين الذين ظل طوال حياته تابعاً مخلصاً لهم . ومن المؤكد أن فيليب قد قام بدور كبير في حرب آل ابليين ضد الامبراطور فريدريك الثاني وأتباعه في سوريا وقبرص . فنراه بعد انتهاء هذه الحرب يحتل مرتبة عالية لدى الابليين . وفي عام ١٢٢٩م/٦٢٦هـ بدأ في وضع كتابه القانوني المسمى « كتاب شكل الادعاء » « Livre de la Forme de Plait » . وهو العلم القانوني الذي علمه عناصره الأولى حاكم طبرية . واستكمل فيليب هذه الدراسة بعد انتهاء الصراع بين الابليين وأتباع الامبراطور الألماني ، وسرعان ما برع فيها وأصبح في نهاية حياته أشهر مدع بين رجال القانون الصليبيين . وفي سنة ١٢٤٧م/٦٤٥هـ حزن فيليب حزناً شديداً لموت صديقه وراعيه باليان ابليين حاكم بيروت (١٢٣٦ - ١٢٤٧م/٦٣٣ - ٦٤٥هـ) وبقي على علاقات حميمة بخلفاء باليان من أسرة ابليين حتى وفاته . وللمزيد عن حياة فيليب دي نافار السياسية والأدبية ، انظر :

Gaston Paris, Les Memoires de Philippe de Noyarc, in R.O.L., vol. 9, Paris, 1902, pp. 194-205; Cahen, La Syrie du Nord, p. 26; L. de Mas Latrie, Histoire de L'île de Chypre sous le règne de princes, de la maison de Lusignan, 3 toms, t. 1 Histoire, t. 2-3, documents, Paris, 1855-1861, t. 1, p. 403.

Gaston Paris, Les Memoires, pp. 164 ff; Cahen, La Syrie du Nord (٣١) Nord, p. 26.

القبارصة « قدما لنا معلومات تاريخية بالغة الاهمية لم ترد في تذييلات تاريخ وليم الصورى . وكان أهم هذه المعلومات ما تعلق بعلاقة أمراء انطاكية بغيرهم من قادة الصليبيين في قبرص وبلاد الشام . وبينما أمدنا فيليب دى نافار بمعلومات دقيقة عن موقف بوهيمند الرابع من الامبراطور فريدريك حين كان في قبرص ، وهروب بوهيمند من الجزيرة ، وموقفه من صراع الامبراطور وأسرة ابلين ، فقد أمدنا كاتب الداوية بمعلومات وفيرة عن أمراء انطاكية وموقفهم من الحرب الاهلية التى نشبت بين الجنوبية والبنادقة التى تورط فيها كل قادة الصليبيين في الشرق . كما أمدنا الكاتب نفسه بمعلومات نادرة عن علاقة بوهيمند السادس بأتباعه من حكام جبيل ، وأخيرا عن علاقة المماليك بامارة انطاكية حتى سقوطها في أيديهم . وساعد ما أورده من معلومات على رسم صورة واضحة لأمراء انطاكية في أواسط القرن ١٣م/٧هـ الى جانب ما أمدنا به كل من مترى الباريزى ومارينوسانودو وفنسنت دى بوفيه . وكل ما يؤخذ على كاتب الداوية هو ايجازه الشديد للروايات التى تتعلق بالنصف الثانى من هذا القرن وخاصة فيما يتعلق بأحوال الفرنج في شمال الشام وخاصة بعد ظهور المغول ، وهو ما شارك فيه غالبية المصادر الصليبية والاسلامية المعاصرة .

أما آخر ما دون في الشرق من حوليات لاتينية فهو ما يحمل عنوان « حوليات الارض المقدسة » *« Annales de Terre Sainte »* (٣٢) . وهى عبارة عن مختصر لأحد المصادر التى اعتمد عليها كاتبو تذييلات تاريخ وليم الصورى . واقتصر كاتب هذه الحوليات - المجهول - على تحديد السنوات التى وقعت فيها أهم أحداث التاريخ الصليبي في بلاد الشام ، مثل تواريخ الحملات الصليبية ، واستيلاء الصليبيين على مدينة من المدن الاسلامية ، أو استرداد المسلمين لها . هذا ، الى جانب تواريخ وفاة أشهر الشخصيات الصليبية أو الزيجات التى تمت بين أفراد البيوت الصليبية الكبرى . وبالرغم من الايجاز الذى اتسمت به الحوليات ، الا أنها ساعدت على التأكد من بعض التواريخ التى اختلف حولها المؤرخون بصفة عامة . والحوليات تغطى فترة الوجود الصليبي في الشرق كله (١٠٩٥ - ١٢٩١م/٤٨٩ - ٦٩٠هـ) .

(٣٢) نشره رهرشت في الجزء الثانى من أرشيف الشرق اللاتينى .

وإذا كانت أحوال الفرنج في أنطاكية وشمال الشام في القرن ١٣م/٧هـ لم تحتل من صفحات الحوليات الصليبية التي دونت في الشرق اللاتيني القدر الذي كانت تحتله من صفحات كتب مؤرخي القرن ١٢م/٦هـ اللاتين ، فقد كان من الضروري الرجوع الى الحوليات اللاتينية التي دونت في أوربا ، والتي احتوت على معلومات تاريخية هامة عن الصليبيين في بلاد الشام عن طريق التقارير والروايات التي وصلت أوربا خلال مراسلات قادة الحوائف الفرنجية المختلفة . ويرجع الفضل الى هذه الحوليات في سد النقص الذي تركته لنا تذييلات تاريخ وليم الصوري وكتب « مآثر القبارصة » وحوليات الارض المقدسة . كما أن ما جاء بها من معلومات ساعد على التأكد من تواريخ الاحداث التي اختلف عليها أو أغفلها مؤرخو الشرق اللاتيني . هذا الى جانب ما ورد في الحوليات الاوربية من معلومات لم يذكرها الاخرون بالمرّة .

ويأتى في مقدمة الاعمال التاريخية الاوربية الكتاب الذي جمع بين صفات الحولية والتاريخ وكتب الرحالة معا ، والذي يحمل عنوان « كتاب أسرار المؤمنين بالصليب لاسترداد الاراضى المقدسة والاحتفاظ بها »
« Liber Secretorum Fidelium Crucis Super Terre Sanctae Recuperatione et Conservatione ».

وضعه مارينو سانودو « Marino Sanudo » (٣٤) الذي لم يكن مجرد كاتب

(٣٣) ظهرت لهذا الكتاب طبعتان الاولى في الجزء الثانى من مجموعة J. Bongars», Gesta Dei per Francos, Hanover, 1611.

والثانية في بيت المقدس في عام ١٩٧٢ مع مقدمة لبونجارز وأخرى ليوشع براور وتحمل هذه الطبعة نفس صفحات طبعة بونجارز .

(٣٤) ولد مارينو سانودو في عام ١٢٧٠م/٦٦٨هـ ، في مدينة البندقية ، ومات في عام ١٣٤٣م/٧٤٣هـ ، وهو ابن ماركو سانودو تورشيللو Marco Sanudo Torsello أحد التجار الايطاليين وابن عم لدوق ناكسوس « Naxos » الذي شاركت أسرته في الحملة الرابعة التي استولت على القسطنطينية . وتعلم مارينو اللغة الفرنسية القديمة وهي لغة عصره العالمية الى جانب اللغة اللاتينية وأيضا اليونانية . ثم امتهن التجارة كباقي أفراد أسرته . وحضر الى عكا في عام ١٢٨٥م/٦٨٤هـ ، وهو في الخامسة عشرة من عمره =

تاريخ بل كان سياسيا صليبيًا بصورة غير رسدية . فلم يضع تاريخه بناء على رغبة أحد الملوك أو الحكام كما فعل كثير من المؤرخين ، أو حتى لتمجيد شخص بعينه وتسجيل أعماله . بل أن دوافع سانودو كانت صليبية بحتة . والعمل يعد من أكثر ما كتب عن الحروب الصليبية موضوعية ودقة . ويزيد من أهميته غزارة المعلومات التاريخية والجغرافية التي وردت فيه عن الشرق اللاتيني . فلم يترك المؤلف مصدر معلومات عن الفترة السابقة عليه إلا ورجع اليه ونقل عنه . وكتب في تفصيل عن أحوال الصليبيين والمسلمين على حد سواء . فقد كان عليه - حسب الغرض الذي وضع كتابه من أجله - ألا يغفل أحوال المسلمين الذين كان كتابه عنهم أكثر منه عن الصليبيين أنفسهم . ففي ٢٤ سبتمبر ١٣٢١م جاء مارينو سانودو الى مدينة أفينون «*Avignon*» الفرنسية ، حيث قدم الى البابا حنا الثاني والعشرين (١٣١٦ - ١٣٣٤م) كتابا كان قد استغرق في تأليفه خمسة عشر عاما السابقة . وكان يعبر عن أحد الآراء التي سعت البابوية الى الاسترشاد بها - بعد نجاح المماليك في طرد الصليبيين من بلاد الشام - لاعداد غرب أوروبا وسلطاته العلمانية ، التي جرفت مشاغلها الخاصة بعيدا عن القضية الصليبية ، للاشتراك في حملة صليبية لاسترداد بيت المقدس من المسلمين (٣٥) . والكتاب في مجمله

= وبقى بزا لمدة عام كامل . وفي ١٢٩٣ - ١٢٩٦م / ٦٩٢ - ٦٩٥ هـ ، نجده ينوب عن والده في العمل . وفي ١٣٠٠م / ٦٩٩ هـ نجده في بلاد بالرموز وفي روما حيث قابل بها كثيرا من رجال الكنيسة وبقى بها أربعة أعوام . وبعد ذلك توجه الى الشرق وطاف ببلدان شرق أوروبا . وزاد ذلك من معرفته بأحوال تلك البلاد وجغرافيتها وعاد الى البندقية في عام ١٣١٨م / ٧١٧ هـ ، ليكمل تاريخه الذي كرسه من أجل أحياء الحماسة الصليبية لدى حكام غرب أوروبا . انظر : C.T. Tyerman

Marino Sanudo Torsello and the Lost Crusade : Lobbying in the Fourteenth century, in T.R.H.S., Vol. 32, 1982, pp. 57-73; Marino Sanudo, Liber Secretorum, 2nd edition, Jerusalem, Forward by J. Prawer, pp. V-XVII.

(٣٥) الى جانب عمل مارينو سانودو ، كانت هناك عدة أعمال قدمها أصحابها الى البابوية يوضحون فيها كيف يمكن أحياء النزعة الصليبية لدى حكام غرب أوروبا لاسترداد الأراضي المقدسة من أيدي المماليك . ومن هؤلاء أعمال كل من بادوا =

عبارة عن مشروع صليبي لاسترداد الارض المقدسة من المسلمين على أن تكون مصر هي الهدف الاولى للحملة الصليبية . فمصر هي مفتاح فلسطين ، وهي مركز الثقل للمقاومة الاسلامية ضد الغزو الصليبي . على أن يصحب الهجوم على مصر حصار اقتصادي لها . ففقدان مصر مركزها التجاري يمنعها من استيراد المواد المستخدمة في الحرب ، وبذلك تضمحل قوة السلطان المملوكي بها ويتحقق ذلك بحصار مصر الدائم باستخدام أسطول يحاصر كل انطرق التجارية في شرق البحر المتوسط . وحدد سانودو في كتابه أهم السلع التي تعتمد عليها مصر في الحرب ضد الفرنج . واذا كان هناك من يخشى من الصليبيين الكساد التجاري ، فقد حدد سانودو المصادر البديلة لرواج التجارة الاوربية التي قد يضر بها عدم الاتجار مع مصر ، وكذلك الطرق التجارية الأخرى (٣٦) . الا أن مشروع سانودو قوبل بعدم دبالاة من قيادات الغرب الاوربي ، ومات مارينو سانودو خائب الامل . وفشل كتابه في تحقيق الغرض منه . ومع ذلك فقد ترك للمهتمين بتاريخ الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب مادة تاريخية على جانب كبير من الاهمية ومعلومات غزيرة عن الشرق لم ترد في مصادر من عاصره من المؤرخين .

فبالنسبة لموضوع البحث ، فقد أمدنا سانودو بمعلومات تاريخية عن كثير من الاحداث التي وقعت في الشرق اللاتيني وعن الشخصيات

=
الفرنسيكاني ، وجلفانوليناقتي الجنوى ، وريمون لال الاسباني ، وبطرس ديبوا الفرنسي . الا أن البابوية وحكام الغرب الاوربي قد فشلوا في انجاز خطط كل هؤلاء لظروفهم الخاصة ، وحرص كل منهم على تحقيق مصالحه الشخصية أولا ، وللقصور الذي اعتري هذه الخطط نفسها . وعن هذه المشروعات وصحابها انظر :

A.S. Atiya, The Crusades in the Later Middle Ages, London, 1938, pp. 31-43, 48-55, 71-72, 74-94.

(٣٦) كما قدم سانودو نسخا أخرى من كتابه الى كل من شارل الرابع ملك فرنسا ، والبابا كليمنت الخامس ، والبابا حنا الثاني والعشرين وحكام انجلترا وناپولي وبولونيا ، وملوك وحكام أرمينيا وبيزنطة ، وسائر رجال وحكام بقية دول أوروبا الغربية . انظر :

Tyerman, Marino Sanudo, p. 65.

الأوربية التى أتت اليه . كما ساعدت معلوماته على التأكد من كثير من تواريخ هذه الأحداث التى اختلف حولها المؤرخون خاصة اذا ما غفلت عنها المصادر الإسلامية . من ذلك حديثه عن الحملة الفلمنكية التى جاءت الى بلاد الشام فى عام ١٢٠٣م / ٥٩٩هـ وتضم صليبيين لم يتجبنوا الى بيزنطة مع قوات الحملة الرابعة ، ونشاط هؤلاء فى شمال الشام . كنا كان لما أورده سانودو من معلومات ، الى جانب ما أورده كل من فنسنت دى بوفيه ومتى الباريزى أثر كبير فى الوقوف على حقيقة أحوال امارة انطاكية الصليبية فى أواسط القرن ١٣م / ٥٧هـ ، وعلاقاتها بقبائل التركمان ، وأثر ذلك على السياسة التى انتهجها أمراء أنطاكية تجاه المسلمين فى تلك الفترة ، الأمر الذى لم توضحه الدراسات الحديثة . كما أمدنا مارينو سانودو بمعلومات قيمة عن علاقة بوهيمند الخامس بالملك الفرنسى لويس التاسع وأثر ذلك على علاقة انطاكية بالارمن . الى جانب ذلك فقد نجح سانودو وفنسنت دى بوفيه ومتى الباريزى وهائتون الارمينى ، فى رسم صورة واضحة لعلاقة أمراء انطاكية بالمغول ، الأمر الذى ساعد على التأكد من عدم امكانية قيام تحالف بين المغول والصليبيين فى بلاد الشام ضد المسلمين وهى احدى القضايا الهامة التى ناقشها موضوع البحث .

ويلى كتاب مارينو سانودو ، من الكتب التى كان من الضرورى الرجوع اليها لسد النقص فى المعلومات التى امدتنا بها الحوليات الصليبية التى دونت فى الشرق الصليبي فى الاهمية التاريخية ، الموسوعة الكبرى التى وضعها فنسنت دى بوفيه Vincent de Beauvais (٣٥) والتى تحمل عنوان « المرأة الكبرى » « Speculum Maius » (٣٨) التى تعد سجلا

(٣٧) ولد فنسنت راهب دير دى بوفيه فى فرنسا عام ١١٩٠م / ٥٨٦هـ ، ومات فى عام ١٢٦٤م / ٦٦٢هـ . انظر :

Henri Peltier, Vincent de Beauvais, in D.T.C., Vol. 15, 1950, Fols. 3026-3033,

(٣٨) تشتمل هذه الموسوعة على ثلاثة أجزاء : الاول منها بعنوان : « المرأة الطبيعية » « Speculum Naturale » والثانى بعنوان « المرأة المذهبية » « Speculum Doctrinale » أما آخر أجزاءها فيحمل عنوان « المرأة التاريخية » « Speculum Historiale » . وهو ما يمهدنا فى هذا المقام ويخطى الفترة منذ الخليقة وحتى عام ١١٤٤م / ١٤١هـ ، الذى انتهى فيه فنسنت من كتابة مسودة هذا

للمعرفة المتوفرة للانسان الاوربي في العصور الوسطى . وما يمينا هنا هو الجزء الثالث والاخير من هذه الموسوعة وهو « المرآة التاريخية » Speculum Historiale الذي يتكون من ٣٢ كتابا (١٥٢ فصلا) احتوت الثلاث كتب الاخيرة منها على المادة الخاصة بالمغول استعدها فنسنت من مصدريين اثنين فقط للمعلومات وهما « تاريخ المغول Yostoria Mongalorum » الذي وضعه الراهب الفرنسيكاني جون أوف بلانوكارييني « John of Plano Carpin » ، وتاريخ التتار « Histoia Tartarorum » الذي وضعه الراهب الدومينيكاني سيمون أوف مان كوينتن « Simon of Saint-Quentin » . وقد أدمج فنسنت هذين التاريخين في رواية واحدة . وكثيرا ما أشار الى مصادر معلوماته قبل كتابة كل فصل من الفصول التي تحتوى على ما أخذه من روايات كارييني وسيمون بقوله « عن هنا » Ex Johanne أو « عن سيمون » Ex Simon . واذا كان من السهل الرجوع الى تاريخ كارييني في عمل مستقل (٣٩) ، فان كتاب فنسنت يبقى وحده مصدرنا الوحيد لما رواه سيمون عن رحلته الى البلاط المغولي (٤٠) مرورا بآسيا الصغرى وبلاد الشام . فقد كانت رواياته - مثل روايات كارييني - تتسم بالاصالة والدقة لكونه شاهد عيان لما رواه . وفيما يخص موضوع البحث فقد أمدنا فنسنت عن طريق رواية سيمون

التاريخ . واستمر فنسنت بعد ذلك في الاضافة الى المرآة التاريخية وآخر ما أضافه كان في عام ١٢٥٣م / ٦٥٠هـ . ولهذه الاضافات يرجع الفضل في الحصول على أهم أجزاء هذا الكتاب ، لانه يتضمن المعلومات التاريخية الخاصة بالمغول والاتراك السلاجقة والصليبيين انظر :

Gregory G. Guzman, The Encyclopedist Vincent of Beauvais and his Mongol Extracts from John of Plano Carpini and Simon of Saint-Quentin, in Speculum, Vol. 49, pp. 287-302; Ibid, The Cambron Manuscript of Speculum Historiale, in Manuscripta, Vol. 13, 1969, pp. 95-104.

- (٣٩) نشره روكهيل في عام ١٩٠٠م . انظر قائمة المصادر والمراجع .
(٤٠) خرج كارييني وسيمون من أوربا الى البلاط المغولي ضمن بعثتين متتاليتين من قبل البابا انوسنت الرابع في عام ١٢٤٥م / ٦٤٣هـ . وعرج سيمون على آسيا الصغرى وبلاد الشام في طريق عودته الى أوربا . انظر ما يتقدم من الفصل الخامس ، ص ٣٨٩ حاشية (٣) ، ص ٣٩٠ حاشية (٣) .

بمعلومات وفيرة ونادرة عن المغول وموقفهم من محاولة البابوية وملوك
غرب أوروبا لاستقطاب التتار ضد المسلمين في مصر وبلاد الشام . وساعدت
رواياته - على جانب رواية كاريني وما أورده متى الباريزي - على
الوقوف على طبيعة العلاقات بين المغول والفرنج ، وأيضاً مدى استتالة
قيام تحالف بين الطرفين . إلى جانب أنها أوضحت حقيقة أحوال إمارة
أنطاكية الصليبية وما اعتراها من ضعف من جراء غارات جموع التركمان
عليها ، ومعرفة الأسباب الحقيقية التي دفعت أمراء أنطاكية إلى انتهاج
سياسة سلمية تجاه المسلمين بدءاً من عهد بوهيمند الخامس وحتى سقوط
أنطاكية في أيدي المماليك . كما يعد كتاب فنسنت أيضاً مصدر معلوماتنا
الوحيد عن أحوال السلاجقة في آسيا الصغرى خلال القرن ١٣م / ٧هـ التي
لم تتعرض لها بنفس القدر من التفصيل المصادر الإسلامية المعاصرة بعد
انتهاء تاريخ ابن الأثير الذي حرص على تتبع أحوال السلاجقة في آسيا
الصغرى ، ولم يشارك بقية المؤرخين المسلمين المعاصرين أمثال ابن واصل
وسبط ابن الجوزي وأبي الفدا في الحديث عن السلاجقة فقط حين تكون
لهم علاقات بالأيوبيين في العراق والجزيرة وفي بلاد الشام . كما تتضح
أهمية كتاب فنسنت ذي بوفيه في سرد الروايات عن السلاجقة خاصة وأنه
لم يتوفر لنا أهم مصدر هالـج تاريخ السلاجقة في القرن ١٣م / ٧هـ وهو كتاب
ابن ببي ، كما أمدنا فنسنت بما نقله عن سيمون بمعلومات كثيرة عن
الخوارزمية والتركمان إلى جانب المغول والعلاقات المتشابكة بين هؤلاء
وكل من الأرمن والمسلمين والصليبيين في آسيا الصغرى وشمال الشام .

أما عن آخر الحوليات الأوربية الكبرى ، التي ظهرت في القرن ١٣م / ٧هـ
والتي تحظى بأهمية كبرى بالنسبة لموضوع البحث هي الحولية التي
وضعها المؤرخ الإنجليزي متى الباريزي « Matthew Paris » (٤١) والتي

(٤١) ولد متى الباريزي بعد عام ١٢٠٠م / ٥٨٧هـ . وانخرط في سلك
الرهبة في عام ١٢١٧م / ٦١٤هـ حين التحق - راهباً - بدير
القديس ألبن St. Albans بإنجلترا . ومات في عام ١٢٥٩م /
٦٥٧هـ . وتقلد عدة مناصب دينية في كنائس وستمنستر
« Westminster » ، وكنتربري « Canterbury » وونشستر
Winchester . وفي عام ١٢٤٨م / ٦٤٦هـ بعثه البابا انوسنت

الرابع إلى كنيسة القديس بنيت هولم « St. Benet Holm » في النرويج
لاصلاح النظام البندكتي هناك . كما كان متى الباريزي على =

تحمل عنوان « الحولية الكبرى » *Chronica Majora* (٤٢) والتي بدأ في وضعها عام ١٢٤٠م/٦٣٨هـ. وهي تغطي الفترة منذ بدء الخليقة وحتى عام ١٢٥٩م/٦٥٧هـ ، وهو العام الذي مات فيه متى الباريزي . وحتى أحداث عام ١٢٣٦م/٦٣٣هـ اعتمد متى في تاريخه على حولية المؤرخ الانجليزي روجر أوف وندوفر ، ومنذ عام ١٢٣٦م/٦٣٣هـ ، اعتمد متى في جمع مادة تاريخه على مصادر معلومات مختلفة منها روايات من وفد من افرنج الشرق الى كنيسة سان ألبان ، الى جانب تقارير الموظفين الرسميين من الانجليز ، ثم رجال الدين الرهبان الدومنيكان والفرنسيسكان . كما حصل متى الباريزي على كثير من الخطابات التي تتعلق بالسياسة الانجليزية الداخلية والخارجية . وتتميز حوليته بالشمولية أكثر من أي عمل تاريخي ظهر في غرب أوروبا في القرن ١٣م/٧هـ . وبالنسبة لموضوع البحث فقد أمدنا متى الباريزي بمادة تاريخية لم ترد في المصادر المعاصرة صليبية كانت أو اسلامية . ومن هذه المعلومات ما أورده عن الغزو المغولي لشرق أوروبا وفارس والعراق . كما أمدنا بالكثير عن أحوال إمارة انطاكية وعلاقاتها بالمانغول والتركمان ، الامر الذي ساعد على رسم صورة واضحة عن أحوال

= علاقة حميمة بالملك الانجليزي هنري الثالث الذي قرب به اليه ووثق به لعدالته ورأيه الصريح في الانظمة السياسية الانجليزية . وعكف متى في دير سان ألبان يكتب التاريخ . ووضع عدة مؤلفات أهمها الحولية الكبرى . وفي عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ بدأ متى في وضع مختصر لها بعنوان « التاريخ الانجليزي » *Historia Angolorum* . ويبدأ بالغزو النورماندي لانجلترا وحتى عام ١٢٥٣م/٦٥١هـ . كما وضع تاريخين آخرين هما « مجمل التاريخ » *« Abbreviatio Chronicarum »* وزبدة التاريخ *« Flores Historiarum »* المعروف تذييله بتاريخ متى اوف وستمنستر *Matthew of Westminester* . وقبل عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ ، وضع كتابا بعنوان « كتاب الاضافات » *« Liber Additamentorum »* الذي يعد تذييلا على الحولية الكبرى . الى جانب ذلك ، فقد وضع متى الباريزي عدة مؤلفات عن حياة القديسين الانجليز . انظر :

Richard Vaughan, *Matthew Paris*, Cambridge, 1958, pp. 1-6;

59-60; Antonia Gransden, *Historical Writing in England*,

Vol. 2, pp. 356-379.

(٤٢) نشرت هذه الحولية في سبعة أجزاء من مجموعة سلسلة رولز .
انظر قائمة المصادر والمراجع .

الامارة - الى جانب ما أورده كل من هايتون ومارينو سانتودو وفنست دى بوفيه من روايات - في أواسط القرن ١٢م/٧هـ ، وأسباب السياسة السلمية التى انتهجتها أمراء انطاكية تجاه جيرانهم المسلمين في هذه الفترة . وأكد ما أورده من معلومات عن المغول وغزوهم لبلاد الشام ، استحالة قيام التحالف بينهم وبين الصليبيين ضد المسلمين وكل ذلك من القضايا الهامة التى تناولها موضوع البحث بالمناقشة والدراسة .

والى جانب الوثائق والتواريخ والحوليات العامة التى تناولت الفترة موضوع الدراسة كان لابد من الرجوع الى الاعمال التاريخية التى عالجت فترات محددة من تاريخ الحروب الصليبية ، التى تضمنت معلومات تاريخية اتسمت بالدقة والغزارة لكون أصحابها مشاركين في الاحداث ، أو على الأقل شهود عيان لها ، وأخذوا ما نقلوه عنها من روايات ممن شارك فيها . وهذه الاعمال التاريخية هي ما كتبه مؤرخو الحملات الصليبية التى قامت أثناء الفترة موضوع الدراسة بدءاً من الحملة الصليبية الثانية . فقد كان لكل حملة صليبية من يهتم بتسجيل أحداثها ، كما كان الامر بالنسبة للحملة الاولى ، وان لم يتوفر لأي حملة صليبية ما توفر للحملة الصليبية الاولى من عدد المؤرخين الذين اشتركوا فيها أو كتبوا عنها .

وأول هؤلاء هم مؤرخو الحملة الصليبية الثانية مثل كتاب أودو أوف دويل «Odo of Deuil» عن حملة لويس السابع الذى وضعه بعنوان « رحلة لويس السابع في الشرق » «Do Profectione Ludvici VII in Orientem» أما عن مؤرخي الحملة الصليبية الثالثة فمنهم بندكت أوف بيترمورو «Benedict of Peter borough» الذى وضع كتاب « أعمال الملك هنرى الثانى » «Gesta Regis Henrici II» ، والذى يغطى الفترة من ١١٨٩م/٥٨٥هـ الى ١١٩٢م/٥٨٨هـ ، ورالف ديكيتو «Ralph Diceto» صاحب كتاب «التاريخ الكبير» «Opera Historica» الذى يعالج أحداث السنوات من ١١٤٨م/٥٤٢هـ الى ١٢٠٠م/٥٩٦هـ ، ووليم أوف نيوبروه William of Newburgh الذى يغطى السنوات من ١٠٦٦م/٤٥٩هـ الى ١١٩٨م/٥٩٤هـ ، وريتشارد ديفيز «Richard Devise» صاحب كتاب « تاريخ عهد الملك ريتشارد الاول » «Cronicon de Tempore Regis Richardi Primi» الذى يغطى الفترة من ١١٨٩م/٥٨٥هـ الى

١١٩٢م/٨٥٨٨هـ . وكل هؤلاء من المؤرخين الانجليز (٤٣) . والى جانب هؤلاء فهناك ريجورد «Rigord» الذي عبر عن وجهة النظر الفرنسية في هذه الحملة في كتابه « أعمال فيليب أغسطس » «Gesta Philippi Augusti» (٤٤) وكل هؤلاء يعطونا صورة واضحة عن الفترة التي سبقت وصول ريتشارد الى بلاد الشام ، وعلاقة صلاح الدين بالصلبيين . كما ساعدت المعلومات التي أوردوها في ثنايا كتبهم على التأكد من بعض المعلومات المتعلقة بعلاقات بوهيمند الثالث بصلاح الدين قبيل حطين . أما عن أحداث حملة ريتشارد فقد عالجها - الى جانب هؤلاء - كتاب « رحلة الملك ريتشارد » Itinerarium Regis Ricardi الذي وضعه شخص يدعى ريتشارد «Richard of The Holy Trinity» وقصيدة أمبرواز «Ambroise» التي وضعها باللغة الفرنسية القديمة تحت عنوان تاريخ الحرب المقدسة «L'Estorie de La Guerre Sainte» هذا ، الى جانب التواريخ الألمانية التي عالجت أحداث حملة الامبراطور فريدريك الاول ببروسا وموته ، وتتبع أحوال فلول جيشه التي وصلت الى انطاكية ثم الى صور . ومنها تاريخ انزبرت «Ansbert» الذي وضعه بعنوان « حملة الامبراطور فريدريك » «Expeditio Friderici Imperatoris» وكل هذه المصادر ساعدت على تتبع موقف بوهيمند الثالث من الحملة الصليبية الثالثة ، وكيف استفاد الاميرالانطاكي من وجود هذه الحملة في بلاد الشام دون أن يورط نفسه في أحداثها أو يعرض نفسه أو امارته لتحمل تبعاتها ، الامر الذي أكد حرصه على مصالحه هو دون النظر الى المصالح الصليبي العام . وهي سياسته التي اتبعها طوال فترة امارته لانطاكية .

أما عن الحملة الصليبية الرابعة ، فقد رجعنا الى كتاب ، جودفري دي فيلها ردوين «Geoffroy de Villehardouin» (٤٥) فتح القسطنطينية

(٤٣) نشرت كل هذه الاعمال في مجموعة رولز الانجليزية . انظر قائمة المصادر والمراجع .

(٤٤) نشر هذا الكتاب في الجزء السادس والعشرين من مجموعة « التاريخ الألماني الكبير » M. G. Hess

(٤٥) كان جودفري دي فيلها ردوين مارشالا لمقاطعة شامبانيا الفرنسية ، وكان قد تلقب بمارشال رومانيا (الامبراطورية اللاتينية في =

«La Conquête de Constantinople» . وكتاب روبرت أوف كلاري
«Robert of Clary» (٤٦) الذى يحمل نفس العنوان . وترجع
أهمية هذين الكتابين الى أن المؤرخين كانا شاهدى عيان لاحداث الحملة ،
وان كانت رواية فيلهاردوين أدق لقربه من قادة الحملة ومشاركته فى
اتخاذ القرارات التى أثرت فى مصيرها . كما لم تقتصر روايته على تتبع
أحوال الصليبيين فى بيزنطة ، بل تتبع الصليبيين الذين لم يتوجهوا الى
القسطنطينية ، وذهبوا ليحربوا حظهم فى بلاد الشام ، ودخلوا فى خدمة
بوهيمند الرابع فى صراعه ضد ليو الارمينى الذى دخل فى خدمته جزء
آخر من هؤلاء .

كما كان لمؤرخى الحملة الصليبية الخامسة أهمية خاصة فيما يتعلق
بموضوع البحث ويأتى فى مقدمة هؤلاء المؤرخ أوليفر اوف بادريون
«Oliver of Paderborn» (٤٧) الذى سجل أحداثها فى كتابه « تاريخ

بيزنطة) ، وكان أحد قادة الصليبيين فى الحملة الرابعة ،
وأناب عن الفرنج فى اجراء اتفاقياتهم مع البنادقة لنقل قوات
الحملة الى بيزنطة ثم مصر ، كما كان مخططا لها قبل قيامها .
ومن المؤكد أنه وضع كتابه فى عام ١٢٠٧م/٦٠٣هـ . ولمزيد عن
حياة فيلهاردوين انظر :

Colin Morris, Geoffroy de Villehardouin and The Conquest
of Constantinople, in History, vol. 53, 1968, pp. 24-34.

وقد رجعنا الى نسخة مترجمة لكتاب فيلهاردوين . انظر :

Geoffrey of

Villehardouin, The Chronicle of the Fourth Crusade, trans. by
F. Marzials, London, 1908.

(٤٦) رجعنا الى نسخة مترجمة لكتاب روبرت كلاري . انظر :

Robert of Clary,

The Conquest of Constantinople, trans. by E.H. McNeel. New
York, 1966.

(٤٧) لا نعلم شيئا عن مولده وحياته الاولى ، ويبدو أنه سليل أسرة
نبيلة من بادربورن بالمانيا . وفى عام ١٢٠٠م/٥٩٦هـ نجده يقوم
بتدريس علم اللاهوت فى مدرسة النحو فى بلدته . وفى عام
١٢٠١م/٥٩٧هـ ، يشغل منصب أسقف كولون . وفى عام ١٢٠٧م/
٦٠٣هـ ، يذهب الى باريس ليدرس فى جامعها المزدهرة فى
ذلك الوقت . وفى عام ١٢٠٩م/٦٠٥هـ ، يعود الى كولون ويبقى
بها حتى عام ١٢١٣م/٦٠٩هـ ، ثم عينه البابا انوسنت الثالث =

دمياط « Historia Damiatina » (٤٨) تتناول فيه أحداث الحملة الصليبية الخامسة ومقدماتها ونتائجها إلى جانب ذلك ، فقد أمدنا أوليفر بمعلومات هامة عن أحوال بوهيمند الرابع أمير انطاكية ودوره في الجهد الصليبي ، وكيف كان حرصه على استعادة أمارته من الأرمن سببا في افشال حملة ١٢١٧م/٦١٤هـ التي أشترك فيها بوهيمند

مبشرا من بين المبشرين للحملة الخامسة . وذهب إلى روما ليحضر اجتماعات مجلس اللاتيران ممثلا لاسقفية في عام ١٢١٥م/٦١١هـ ، حيث أعلن البابا قيام الحملة . وانضم أوليفر إلى جموع الصليبيين المتوجهين إلى مصر . ووضع كتابه « تاريخ دمياط » فيما بين عامي ١٢١٧م/٦١٣هـ و ١٢٢٢م/٦١٨هـ ، كما قام أوليفر بتصنيف عدة أعمال أخرى هي : « وصف الأرض المقدسة » « Descriptio Terre Sancte » . ثم كتاب

« تاريخ بيت المقدس وأحداثه المتغيرة »

« Historia de Ortu Jerusalem et Eius Variis Eventibus » الذي يبدأ بعهد آدم عليه السلام وحتى عام ١٠٩٩م/٤٩٣هـ ، وأخيرا « تاريخ ملوك الأرض المقدسة »

« Historia Regum Terre Sancte »

وقد اعتمد في تأليفه على أعمال فوشيه أوف شارتر ووليم الصوري وتاريخ هرقل ، ثم يصف أوليفر في نهاية الكتاب محاولات البابا انوسنت الثالث من أجل قيام الحملة الخامسة ، وما حدث في مجلس اللاتيران . ووضع أوليفر كتابه الأخير بين عامي ١٢١٩م/٦١٦هـ ، و ١٢٢٠م/٦١٧هـ ، كما قام أوليفر بكتابة عشرة خطابات تعتبر من المصادر الأساسية للباحث في تاريخ الحملة الصليبية الخامسة . وكتب أوليفر هذه الخطابات بين عامي ١٢١٤م/٦١١هـ ، و ١٢٢٤م/٦٢١هـ ، وبعد فشل الحملة الصليبية عاد أوليفر إلى أوربا حيث مات في أغسطس/سبتمبر عام ١٢٧٢م/رمضان شوال ٦٢٤هـ . وكل أعمال أوليفر منشورة باللغة اللاتينية في طبعة واحدة انظر :

Oliverus von Paderborn, Die Schriften des kölnen Domscholar, Späteren Bischofs von Paderborn und Kardinalbischofs von S. Sabina Oliverius, ed. H. Hoogweg (Bibliothek des Literarischen Vereins), Tübingen, 1894.

(٤٨) ويمهنا من أعماله في هذا المقام كتاب تاريخ دمياط الذي رجعنا إليه في طبعة باللغة الانجليزية . انظر :

Oliver of Paderborn, The Capture of Damietta, trans. by John J. Gavigan, Philadelphia, 1942.

وفي مقدمة هذه الطبعة دراسة عن حياة أوليفر وأعماله .

للاستيلاء على قلعة الطور ، الامر الذى اتفقت عليه رواية أوليفر مع ما أورده جاك دى فترى مصدر معلوماتنا الثانى عن الحملة الخامسة . كما ساعدت المعلومات التى أمدنا بها أوليفر على تحديد طبيعة موقف بوهيمند الرابع من الحملة التى لم يساهم فيها الا بالقدر الذى يخدم مصالحه ، وذلك تلبية لنداء بيلاجيوس مندوب البابا لمجرد أن يحصل بوهيمند على تأييد البابوية فى قضية ضد الارمن وليس لحماسته الصليبية .

ولا يقل جاك دى فترى Jaques de Vitry (٤٩) أهمية عن أوليفر فى امدادنا بمادة وفيرة تتعلق بأهم نقاط البحث ، ان لم يكن قد تفوق على أوليفر فى ذلك . فالى جانب ما أمدنا به جاك عن مملكة بيت المقدس فى وصفه للاراضى المقدسة فى كتابه « تاريخ بيت المقدس » (٥٠) ، فقد كانت رسائله السبع من أهم المصادر التاريخية لأحداث الحملة الخامسة ، وعكست صورة واضحة لأحوال الصليبيين فى بلاد الشام . وساعدت المعلومات التى أمدنا بها فى كتابه وفى رسالته الثالثة بصفة خاصة ، والتى تعبر عما رآه بنفسه فى أرجاء المستعمرات الصليبية أثناء تجواله فى بلاد الشام ، ساعدت على الوقوف على الاسباب الحقيقية التى وقعت بالفرنج وأمراء أنطاكية خاصة الى انتهاج سياسة سليمة تجاه المسلمين ، وكيف فترت الحماسة الصليبية لدى الجميع ما عدا أفراد الجماعات العسكرية الرهبانية ، وكيف حرص الايطاليون على تجارتهم مع المسلمين قبل حرصهم على الصالح الصليبي العام ، حتى أن جاك دى فيتري اضطر الى الاستعانة ب مترجمين كى يوصلوا ما أراد أن يقوله فى طرابلس الى سكانها حيث كانت اللغة العربية هي اللغة السائدة فى المدينة لكثرة عدد التجار

(٤٩) فى عام ١٢١٧م/٦١٤هـ ، شغل جاك دى فيتري منصب أسقف عكا ورافق قوات الحملة الصليبية الخامسة الى مصر . ثم عينه البابا جويجورى التاسع منوبا عنه وأسقفا لكنيسة بيت المقدس فى عام ١٢٢٩م/٦٢٤هـ ، ولم يقتصر دور جاك دى فيتري على ذلك ، بل تميز بحماسته الصليبية ، وطاف ببلدان الشام مبشرا بالمسيحية ومحمسا الصليبيين على التصدى للمسلمين . انظر ما يتقدم من الفصل الثالث ، ص ٢٤٧ ، حاشية رقم (١) .

(٥٠) نشر هذا الكتاب باللغة الانجليزية فى الجزء التاسع من مجموعة حجاج بيت المقدس . عن رسائله . انظر ما سبق : ص ٣ .

المسلمين بها . وكل ذلك يبين كيف تحول الفرنج عن الهدف الصليبي ، وأصبحت مصالحهم الخاصة أهم من استرداد بيت المقدس بعد أن أصبحت مصر هدف كل حملات القرن ١٣م/٧هـ الصليبية ، وأصبحت مشكلة انطاكية التي قامت بين بوهيمند الرابع والارمن هي المتنفس الوحيد للصليبيين جميعا بعد أن شغلتهم ضمن ما شغلهم من مصالح عن المدينة المقدسة . وهذه إحدى القضايا التي أبرزها موضوع البحث وساعدت روايات جاك دي فيتري على اللقاء الضوء عليها .

وإذا كانت حملة فريديريك الثاني (الحملة الصليبية السادسة) لم تجد المؤرخ الذي يكرس لها كتابا يصرده فيه تاريخ أحداثها ، ربما لغضب غالبية المجتمع الاوربي الغربى على الامبراطور المحروم من الكنيسة ، وربما حقدا على ألمانيا ، التي استولى امبراطورها الخارج على طاعة كنيسة روما ، على السلطة في ايطاليا وصقلية وقبرص (وبيت المقدس أيضا) عنوة وفرض سيادته على كل هذه الارحاء . وإذا كان الامر كذلك بالنسبة للمؤرخين الصليبيين من بلدان أوربا ، فانه لغريب أن لا نجد مؤرخا ألمانيا يكتب تاريخ هذه الحملة . وإذا كانت ألمانيا لم تخرج لنا أى مؤرخ (غير بعض الرحالة الألمان مثل وبلبراند أوف أولدنبرج) يكتب عن الحروب الصليبية ، ربما لأن ألمانيا لم تكن مصدر حملات صليبية كما كانت فرنسا وبقية بلدان غرب أوربا ، فان الامر كان لابد ون يختلف اذا ما خرج امبراطور ألماني مثل فريديريك فى حملة صليبية . فاذا كانت حملة فريديريك الثانى لم تحظ باهتمام المؤرخين (سوى ما جاء عنها فى بعض الحوليات الاوربية من شذرات أو تاريخ هرقل ومآثر القبارصة) فان حملة لويس التاسع على كل من مصر وبلاد الشام (الحملة الصليبية السابعة) كانت أوفر حظا لدى المؤرخين الصليبيين . فالى جانب ما ورد عنها فى كتابات مصنف تاريخ هرقل وكاتب الداوية الذى ينتهى بعمله كتاب مآثر القبارصة ، وكتاب فنسنت دي بوفيه ، فقد تناولها بدقة وتفصيل بالغين مؤرخها جان دي جوانفيل Jean de Joinville (١) فى

(٥١). ينحدر جوانفيل من إحدى الاسرات الفرنسية العريقة بمقاطعة شامبانيا ، والتي برز كثير من أفرادها على مسرح السياسة فى فرنسا خلال النصف الاول من القرن ١٣م/٧هـ . ومن المحتمل أن يكون جوانفيل قد ولد فى عام ١٢٢٤م/٦٢١هـ، ومات حوالى =

كتابه « تاريخ القديس لويس Histoire de Saint Louis (٥٢) » ، والذي وضعه في شكل مذكرات يومية عن سيرة سيده وترجع أهمية هذه المذكرات الى أن صاحبها كان شاهد عيان لأحداث تلك الحملة وشارك الملك الصليبي في اتخاذ غالبية القرارات التي شكلت نتائجها مما يجعل لروايته أهمية تاريخية كبرى . فالى جانب روايته المسهبة والدقيقة عن أحداث الحملة على مصر وأعمال الملك في بلاد الشام ، فقد أمدنا جوفانفيل بمعلومات وافية جاءت في ثنايا مذكراته عن امارة انطاكية الصليبية . ومثال ذلك حديثه عن علاقة سيده بالامير بوهيمند السادس ، ومساعدة الملك الفرنسي للامير في تولى أمور الحكم في امارته والتخلص من وصاية أمه التي لا تستطيع القيام بأعباء الحكم ، وعلاقة لويس ببوهيمند الخامس التي تسببت في دخول انطاكية - في عهد بوهيمند السادس - في فلك السياسة الارمينية المغولية ، الامر الذي جعل من انطاكية هدفا للاستراتيجية المملوكية . وبكل ذلك شارك جوفانفيل كلا من فنسنت دي بوفيه ومتى للباريزي وهايتون الارميني في رسم صورة واضحة لاحوال امارة انطاكية في أواسط القرن ١٣م/٧هـ ، وهي من أهم القضايا التي ابرزها موضوع البحث .

= عام ١٣١٨م/٧١٨ عن ٩٣ سنة تقريبا . ولا نعرف الكثير عن حياته الاولى غير أنه كان قد بلغ الخامسة والعشرين من العمر حين التحق بحملة الملك لويس على مصر . وكان من أقرب المقربين من الملك الفرنسي وموضع محبته ورعايته وثقته ، حتى بعد عودته الى فرنسا حيث كلفه الملك ببعض المهام الدبلوماسية الخاصة به . وقد بدأ جوفانفيل في كتابة مذكراته تخليدا لذكرى الملك لويس بناء على طلب جين دي نافار Jeanne de Navarre ملكة شامبانيا وزوجة الملك الفرنسي فيليب الرابع (الجميل) وأهدى جوفانفيل تاريخه الى ابنها لويس العاشر في عام ١٣٠٨م/٧٠٨هـ ، بعد موت أمه في عام ١٣٠٥م/٧٠٥هـ . وهكذا انتهى مؤرخنا من كتابة مذكراته وقد جاوز الخامسة والثمانين من العمر . وللمزيد عن حياة جوفانفيل وتاريخه انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، هزيمة لويس التاسع في الاراضي المقدسة ، الاسكندرية ١٩٨٤م ، ص ٢ وما بعدها .

Jean de Joinville, Chronicle of the Crusade of St. Lewis, ed. (٥٢) and trans by Frank Marzials, London, 1965.

وأملًا في العثور على المزيد من المادة التاريخية التي تخدم موضوع البحث ، والتي ساعدت على القاء الضوء على كثير من نقاطه وقضاياها ، وأفاد منها الباحث في عمل المقارنات والموازنات التاريخية بين مختلف روايات ، والتي أوردت معلومات لم ترد في المصادر الأخرى كان لابد من الرجوع الى كثير من الحوليات الاوربية الأخرى مثل حولية روجر أوف هوفدن ، وحولية بيرتون ، وحولية دانستابل ، وحولية ويفرلي ، وحولية بيلروس . وكلها من الحوليات الانجليزية التي دونت في القرن الثالث عشر الميلادي انساب الهجرى . هذا الى جانب كثير من الحوليات الاوربية التي وردت في مجموعة التاريخ الالماني الكبير Monumenta Germaniae Historica وغيرها من المصادر الاوربية الأخرى (٥٣) .

هذا عن الوثائق والمصادر اللاتينية من معاصرة وغير معاصرة . أما عن المصادر البيزنطية فقد ذخرت هي الأخرى بالمادة الوفيرة فيما يتعلق بطبيعة العلاقات بين الصليبيين والبيزنطيين مما ترك بصماته على العلاقات الصليبية الاسلامية في تلك الفترة من الزمن . ويأتى في مقدمة المصادر البيزنطية كتاب « الالكسياد » الذى وضعته الاميرة آن كومنين Anne Comnene (٥٤) عن حياة أبيها الامبراطور الكيس كومنين

(٥٣) انظر قائمة المصادر والمراجع .

(٥٤) ولدت الاميرة آن في نهاية عام ١٠٨٣م/٤٧٥هـ وتزوجت من نيقفور برينيوس Nicphorus Bryennius وتوفيت في عام ١١٤٨م/٥٤٣هـ عن ٦٦ سنة . وهى ابنة الامبراطور الكيس كومنين من زوجته ايرين دوكاس . وقام أخوها حنا الثانى كومنين بحبسها في أحد الاديرة بعد وفاة والدها . فعكفت آن على كتابة التاريخ . وهى غزيرة العلم وعلى معرفة بأدب اليونان وكتب اللاهوت والشعر والفلسفة الاغريقية القديمة . ووضعت كتابها باللغة اليونانية السائدة وقتذاك ليكون سجلا لتاريخ حياة أبيها الامبراطور حتى أنها أسمته باسمه . وهو يغطى السنوات من عام ١٠٦٩م/٤٦١هـ . وقد بدأت في تدوينه في عام ١١٧٣م/٥٣١هـ وأتمته في عام ١١٤٨م/٥٤٣هـ وللكتاب طبعتان :

1. Anne Commene, Alexiad, in C.S.H.B., Bonne, 1839
2. Anne Comnene, The Alexiad, English trans. by Elizabeth Dawes, London, 1922.

وقد رجعنا في هذا البحث الى الطبعة الأخيرة .
وعن حياة آن انظر :

=

(١٠٨١ - ١١١٨ م / ٤٧٣ - ٥١١ هـ) . ويعتبر الكتاب مصدر ثقة في دراسة العلاقات بين البيزنطيين وصليبي الحملة الاولى وخاصة اميرى انطاكية بوهيمند الاول وتنكريد . وقد امدتنا الكاتبة بمادة وفيرة في ذلك المجال ، وايضا فيما يخص سياسة امراء انطاكية النورمان تجاه كل من البيزنطيين والمسلمين . ولا يؤخذ على ان كومننن سوى انتصارها الدائم لابيهما على حساب الحقيقة التاريخية . ولعل ذلك يرجع الى عدم ثقتها في نوايا النورمان اعداء ابياها القدامى .

ويلى كتاب الالكسياد من حيث الاهمية التاريخية فيما يخص موضوع البحث ، مصدرين بيزنطيين آخرين هما كتاب Epitome Historiarum اى « مختصر التاريخ » (٥٥) الذى وضعه حنا كيناموس Joannes Cenamus (٥٦) . وكتاب Historia اى « التاريخ » (٥٧) الذى وضعه نيكتيئاس خونيايئيس Nicetas Coniatae (٥٨) والمؤرخان يعالجان فترة حكم الامبراطور البيزنطى

Cahen, La Syrie du Nord, p. 95; Ostrogorsky, G., History of The Byzantine State, Oxford, 1956 p. 311.

(٥٥) للكتاب طبعتان الاولى فى مجموعة C.S.H.B والثانية باللغة الانجليزية

John Kinamos, Deeds of John and Manuel Comnenus, trans. by Charles M. Brand, New York, 1976.

(٥٦) ولد حنا كيناموس بعد سنة ١١٤٣ م / ٥٣٨ هـ ، بفترة قصيرة من ابوين ذى مركز اجتماعى مرموق . وكان كيناموس سكرتيرا للامبراطور مانويل ، ودون كتابه بعد موت الامبراطور . للمزيد عن حياة كينا موس وأعماله ، انظر :

Ostrogorsky, History, p. 312.

وايضا : محمود سعيد عمران ، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية فى عهد الامبراطور مانويل الاول ، الاسكندرية ١٩٨٥ ، ص ١٢ - ١٦ .

(٥٧) الكتاب مطبوع فى مجموعة : C.S.H.B. انظر قائمة المصادر والمراجع . وهناك ايضا دراسة مستفيضة عن حياة نيكتيئاس ونقدا دقيقا لكتابه . انظر :

محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية ، ص ٧ - ١٢ .

(٥٨) وموطنه « خونيا » Chonue باقليم فريجيا Phrygia ويبدأ هو ايضا كسكرتير امبراطورى . وتبوا مركزا مرموقا فى عهد اسرة انجليوس انتهى الى اعتقاله منصب أمين الخزانة . ويمتد =

مانويل يومنين (١١٤٢ - ١١٨٠م/٥٣٨ - ٥٧٦ هـ) وان كان كل منهما قد بدأ كتابه بموت الامبراطور الكسيس ، ثم تناول عهد الامبراطور حنا كومنين (١١١٨ - ١١٤٣م/٥١١ - ٥٣٨ هـ) بايجاز كمقدمة لكتابيهما . ولكل من المؤرخين مزاياه الخاصة . فبينما يتميز كيناموس بالعرض المباشر والاقتصاد في التقديم للاحداث ، نجد نيكيتاس يتميز بالقدرة على الوصف المذهب وكلاهما بيزنطى متعصب لوطنه ، ويظهر ذلك من استهجاتهما الدائم من اللاتين (٥٩) . اما فيما يخص موضوع البحث فقد كانت المادة التى زودانا بها ذات قيمة تاريخية ، نظرا لما ورد تاريخيهما من معلومات عن علاقة بيزنطة فى عهدى حنا كومنين ومانويل بالصلبيين والسلاجقة فى اسيا الصغرى وفى انطاكية . وأوضحنا دور النفوذ البيزنطى فى تحديد سياسة كل من عماد الدين زنكى ومن بعده ابنه نور الدين محمود تجاه الامارة الصليبية فى شمال الشام ، واثار الحماسة البيزنطية التى فرضت على انطاكية فى حمايتها من خطر المسلمين فى فترة الانحسار الصليبي . والى جانب هذين المصدرين فهناك مصدران بيزنطيان آخران . الاول وضعه « نيو فيتوس برمبيتر Neophytus Presbyter ، وهو مواطن بيزنطى من قبرص ، بعنوان « كوارث قبرص Calamitatibus Cypri (٦٠) . والثانى الحولية التى وضعها ليونتيوس مخايراس عن قبرص (٦١) .

والى جانب الاصول اللاتينية والبيزنطية توجد المصادر الارمنية

كتابه للى عام ١٢٠٦م/٦٠٢ هـ ، ومات نكتياس فى نيقية بعد سقوط القسطنطينية فى ايدى الصليبيين فى عام ١٢٠٤م/٦٠٠ هـ .
انظر :

Ostrogorsky, History, p. 312; A.S. Atiya, The Crusade :
Historiography and Bibliography, Indiana, 1962, p. 40.

Ostrogorsky, History, p. 312. (٥٩)

Neophytus Presbyter, De calamitatibus Cypri [in Preface to
Itinerarium Regis Ricardi]. in R.S., London 1864, pp.
CLXXXI-CLXXXVIII. (٦٠)

Makhaeras Leontius, Recital Concerning the Sweet Land of (٦١)
Cyprus, entitled Chronicle, ed., and trans. by Dawkins, 2
vols, Oxford, 1932.

والسريانية التي عادت على الباحث بكثير من الفائدة فيما يخص العلاقات بين أمراء أنطاكية الصليبية من جهة وبين الارمن والبيزنطيين والمسلمين والمغول من جهة أخرى ، خاصة في أرمينية وآسيا الصغرى وشمال الشام . وأمدتنا هذه المصادر بالمعلومات التي لم ترد في كتب المؤرخين العرب أو البيزنطيين أو اللاتين ، وبصفة خاصة في الفترة التي كانت تخلو من وجود مؤرخ لاتيني شاهد عيان للأحداث فيما بين فولشر أوف شارتر ووليم الصوري ، أو في الفترات التي شغلت المؤرخين المعاصرين من لاتين ومسلمين فيما يتعلق بالاخطار التي سببها الزحف الخوارزمي والغزو المغولي على بلاد الشام أو التي وصلت فيها حملات صليبية الى الشرق لفتح مصر خلال القرن ١٣م/٧هـ . ولا شك أن المصادر السريانية والارمنية تشكل جزءا هاما من مجموعة المصادر التي عالجت تاريخ الحروب الصليبية ، ولا غنى لدارس تاريخ هذه الفترة عن الرجوع اليها ، خاصة وأن الارمن استمروا يكتبون عن علاقة حكامهم بكل من البيزنطيين والصليبيين والمسلمين في آسيا الصغرى وبلاد الشام . فالارمن كانوا أتباع بيزنطة قبل مجيء الصليبيين الى منطقة الشرق الأدنى ، وتحولوا الى جانب الصليبيين الذين وجدوا فيهم سادة أخف وطأة من البيزنطيين ، حتى ولو طمع الصليبيون في بلادهم وفرضوا عليهم مذهبهم . وطبيعي أن تكون مصادرهم التاريخية مليئة بالحديث عن البيزنطيين والفرنج الى جانب المسلمين ، لوقوع بلادهم في ملتقى مناطق نفوذ هؤلاء جميعا . وباستمرار الصراع الصليبي الاسلامي بقيت المصادر التاريخية السريانية والارمنية حتى نهاية الوجود الصليبي من أهم مصادر المعلومات التاريخية لدارس تاريخ الحروب الصليبية ، خاصة خلال القرن ١٣م/٧هـ ، حين ارتبطت السياسة الانطاكية الصليبية بالسياسة الارمنية ، سواء بالصراع بين أمراء أنطاكية وملوك أرمينية الصغرى حول مدينة أنطاكية ، أو بدخول الطرفين معا في تلك السياسة المغولية في أواسط هذا القرن . وفي الحقيقة لم تتمتع كل من المصادر الصليبية والاسلامية بالاهمية التي تمتعت بها المصادر الارمنية كمصدر معلومات عن حقيقة العلاقة بين المغول من جهة والارمن وصليبيي أنطاكية من جهة أخرى . وفي الوقت الذي لم يكن لدينا فيه غير مؤرخ مغولي واحد يتتبع بدقة مراحل الغزو المغولي للعراق وآسيا الصغرى وبلاد الشام متمثلا في رشيد الدين المهداني ، كان لدينا من مؤرخي الارمن كل من سمباد وهايتون وهيثوم ومن السريان

ابن العبري . وهؤلاء لم يدانيهم أي من المؤرخين المعاصرين - صليبيين كانوا أم مسلمين - في دقتهم وغازرة مادتهم التاريخية التي أمدونا بها عن أحداث هذه الفترة .

والمصادر السريانية قليلة لدينا منها ثلاثة فقط . ويأتي في مقدمتها كتاب ميشيل السرياني Michel le Syrien (٦٢) الذي أتمه مؤرخ سرياني مجهول (٦٣) . وإلى جانب هؤلاء ، فهناك واحد من أعظم المؤرخين للسريان وأقواهم في عصره ، وهو جريجوار غريغوريوس أو المعروف عند العرب باسم أبي الفرج الملقب أو ابن العبري مؤلف كتاب مختصر الدول (٦٤) وهو من دون المصادر السريانية الأخرى فقد استمر حتى قبيل خروج الصليبيين من بلاد الشام .

(٦٢) شغل منصب بطريرك الكنيسة اليقوبية بأنطاكية من سنة ١١٦٦م/٥٦١هـ ، إلى سنة ١١٩٩م/٥٩٥هـ . وتمتد حوليته إلى تاريخ وفاة صلاح الدين الأيوبي . وقد أشار ميشيل إلى الفترة المسابقة على سنة ١١٠٧م/٥٠١هـ من حوليته بإيجاز شديد . واعتمد في مؤلفه على مؤلفات سريانية مفقودة ، فضلا عن بعض المصادر العربية . ولهذا يعتبر كتابه ذا قيمة تاريخية كبيرة . وكتابه منشور منه شذرات في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية في الجزء الأول من مجموعة الوثائق الارمنية . وهناك نسخة كاملة لمؤلفه الكبير قام على نشرها الفرنسي شابو . انظر :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 97; Michel Le Syrien, Chronique, trans by J.B. Chabot, 4 toms, Paris, 1899-1910.

Anonymous Syriac Chronicle (ed. by A.S. Tritton), J. R.A.S., (٦٣) London, 1933.

وكان المؤرخ السرياني المجهول أحد صغار رجال الدين في كنيسة الرها . واستمر تاريخه حتى سنة ١٢٣٣م/٦٣٠هـ وقد اعتمد فيه على حولية ميشيل السرياني وتواريخ أرمنية أصلية أخرى . وأن كان أضيق أفقا من سلفه العظيم إلا أنه أحاط بالظروف السياسية والاجتماعية المحلية للمنطقة ، وأمدنا بمعلومات لم ترد في حولية ميشيل السرياني . انظر :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 97.

(٦٤) بدأ ابن العبري حياته في ملطية، وواصلها في بلاد قيليقية ثم العراق وأذربيجان . ووصل إلى منصب رئيس الكنائس اليقوبية في الشرق في عام ١٢٦٤م/٦٦٢هـ . وقد كتب قبل موته بقليل في =

أما عن المصادر الارمينية فهي تتميز بسمتين متناقضتين من حيث المظهر هما جدة المشاعر القومية ، وأهمية الامتعارات من الاداب الاجنبية . ويمكن أن نميز الكتابة التاريخية الارمينية التي تمت خلال القرن ١٢م/٦هـ عن تلك التي تمت منها خلال القرن التسالي له . ففي القرن ١٢م/٦هـ كانت الكتابة التاريخية الارمينية وليدة الكتابة التاريخية التي تطورت تحت السيادة البيزنطية ، ومن هنا جاء تاثرها بالنماذج اليونانية . أما في القرن ١٣م/٧هـ فقد انتهت الاجيال التي خضعت طويلا للسيادة الاجنبية وظهرت ثقافة أرمنية جديدة في قيليقية . وأعمال هذه الفترة بصفة عامة جاءت في شكل تواريخ ، أو رسائل خاصة ومقطوعات شعرية أكثر منها تواريخ عامة ، تغلبت عليها الروح الوطنية الارمينية التي أثارها وجود حكام اقوياء مستقلين في قيليقية بدءا من عهد ليو الثاني ، وحتى عهد هيثوم الذي خضع للمغول . وكان استرداد الممتلكات الارمينية ، التي أخذها المسلمون في عهد نور الدين محمود وصلاح الدين وخلفائه وما أخذ سلاجقة آسيا الصغرى ، بمساعدة المغول ، أثره في ميل مؤرخي الارمن للسادة الجدد ضد المسلمين في كل كتاباتهم . ويتجلى ذلك في كتابات سمباد وهايتون وهيثوم وفارتان .

ومن أهم مصادر القرن ١٢م/٦هـ الارمينية تاريخ متى الرهاوي (٦٥)

سنة ١٢٨٦م/٦٨٥هـ ، تاريخا عالميا ، اعتمد فيه بشكل اساسي فيما يخص أحداث القرن ١٢م/٦هـ ، على حولية ميخائيل المرياني وابن الاثير وبعض المؤلفات الفارسية . وتتمتع كتابته بالاصالة التاريخية بدءا بأحداث النصف الثاني من القرن ١٣/٧هـ . وقد رجعنا في هذا الى طبعتين لكتاب ابن العبري ، الاولى باللغة العربية والثانية مترجمة عن السريانية . (باللغة الانجليزية) انظر : ابن العبري (جريجوريوس الملطي) تاريخ مختصر الدول ، بيروت (مطبعة الاباء اليوسفيين) ١٩٥٨م . راجع أيضا :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 97; Bar Hebraeus, Chronography, ed. and trans. by W. Wallin-Budge, 2 Vols, Oxford, 1932.

(٦٥) كان متى الرهاوي Matthew of Edessa رئيسا لأحد الاديرة في مدينة الرها التي ولد فيها . وتبدأ حوليته بأحداث سنة ٩٥٢م/٣٤١هـ وتمتد حتى عام ١١٣٧م/٥٢١هـ ، ومات متى في كيمون سنة ١١٤٤م/٥٣٨هـ . وكتابه منشور في مجموعة مؤرخي =

الذي أتمه تلميذه جريجورى الراهب (٦٦) . ومؤلفات نرسيس شنور هالى جاثليق الارمن (٦٧) . وجريجورى الرابع دغا (٦٨) ، وضموئيل دى آنى (٦٩) . أما مصادر القرن ١٣م/٧هـ - الارمينية، فمنها مؤلفات كل من فارتان الكبير (٧٠) ، وسيمباد الكندسطليل (٧١) ، وفهرام

الذي كتب الصليبية (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) .
انظر :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 98.

(٦٦) وقد كتبه حتى عام ١١٦٣م/٥٥٨هـ ، وهو منشور في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) .

(٦٧) كان نرسيس شنور هالى Nersis Shnorhali جاثليقا للارمن (١١٦٣ - ١١٧٢م/٥٦١ - ٥٦٨هـ) . وخطيبا دينيا وشاعرا . وقد وُصف بكتابه على هيئة قصيدة وصلت حتى نوساية القرن ١١م/٥٥هـ ، الى جانب مرثية طويلة عن سقوط ارها في يد عماد الدين زنكى . وقد نُشرت منشورة في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) انظر : Cahen, La Syrie du Nord, p. 98

(٦٨) كان هو أيضا جاثليقا للارمن بعد نرسيس (١١٧٢ - ١١٨٩م/ ٥٦٨ - ٥٧٥هـ) وكتب مرثية عن سقوط بيت المقدس وانجازات صلاح الدين توجد بها معلومات دقيقة . وهي منشورة في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) . انظر :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 98.

(٦٩) وقد كتب ضموئيل Sumuel d'Ani حواشيته التي وصلت حتى أحداث عام ١١٧٧م/٥٧٢هـ مستفيدا من تاريخ متى الرهاوى ومصادر ارمنية أخرى . وحولته منشورة في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) انظر :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 98.

(٧٠) كان فارتان من مواطني قيليقية . وكان عالم لاهوت . وبقي راهبا بسيطا ولم يرتق أبدا في الدرجات الكنسية العليا ، ولكن دوره الذي لعبه بين مواطنيه جعله يتمتع بنفوذ سياسى كبير وكان محل ثقة وتقدير قسطنطين الاول ، جاثليق الارمن ورأس أسرة لامبرون . كما حظى فارتان بتقدير وثقة أمراء قيليقية ورجال الدين الارمن . فعهد اليه الملك هيثوم الاول بمناقشة مندوب البابا انومنت الرابع الذى حضر الى قيليقية بشأن ضم كنيسة ارمنيا الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية في روما . وزادت شهرته =

بتأثيره الديني في البلاط المغولي حين زار بلاط دولكو قبل تقدم المغول غربا الى العراق . وكتب فارتان تاريخا للعالم يمتد منذ بدء الخليقة وحتى عام ١٢٦٩م/٦٦٧هـ ، اعتمد فيه على المؤلفات السريانية والبيزنطية والجورجية . ونشرت بتض شذرات هذا التاريخ في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمنية) . كما رجعا (الى جانب هذه الشذرات) الى جزء من تاريخ فارتان يبدأ بأحداث عام ١٢٢١م/٦١٨هـ وينتهي بأحداث عام ١٢٦٩م/٦٦٧هـ ، ويعد من أهم المصادر المتعلقة بتاريخ المغول في فارس والعراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى . انظر :

Vartan, Histoire Universelle, Extrait, ed. M. Dulaurier, in J.A., vol. 16, 1860, pp. 273-275.

(٧١) ولد سمباد في عام ١٢٠٨م/٦٠٤هـ . وهو ابن قنسطنطين الاول جاثليق الارمن ، وشقيق الملك هيثوم الاول الذي تزوج من ايزابيلا وريثة ليو الثاني . وحين تولى هيثوم الحكم حلت امرة لامبرون محل امرة روبين في قيليقية ، واكتفى قنسطنطين بالتوجيه العام لدولة ابنه ، بينما احتفظ هيثوم بالتاج ، في حين تولى سمباد مركز الكندسطليل . وفي ١٢٤٦م/٦٤٤هـ ، توجه سمباد الى قراقورم حيث قابل جيوك خان التتار لاعلان ولاء الارمن للتتار . واحتفظ سمباد بوظيفة الكندسطليل حتى عام ١٢٧٦/٦٧٤هـ وهو العام الذي مات فيه أثناء صده لغارة قام بها التركمان من مرعش على قيليقية . وكتب سمباد تاريخه عن مملكة ارمينية الصغرى ليغطي الفترة من عام ١١٩٢م/٥٨٩هـ الى عام ١٢٧٤م/٦٧٢هـ ، وقد أكمله مؤلف مجهول لينتهي بأحداث عام ١١٣٥م/٥٢٩هـ وأضاف اليه بعض الاضافات أدخلها هنا وهناك في متن تاريخ سمباد . كما قام سمباد بترجمة قوانين انطساكية التي وضعت في عهد بوهيمند الرابع ، الى اللغة الارمنية . ويعتبر تاريخ سمباد والتاريخ المتفى لشهرام الرهاوي هما كل ما تبقى من الكتابة التاريخية لأرمن قيليقية . وتاريخ سمباد منشور في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمنية) . وعن حياة سمباد راجع المقدمة التي وضعها دولوير لتاريخ سمباد .

Sempad Le Connétable, Chronique du Royaume Petite Arménie, in R.H. C=Doc. Arm., Vol. 1, pp. 605-609; Cahen, La Syrie du Nord, p. 99.

الرهاوى (٧٢) ، والى جانب هؤلاء ، فهناك أهم مؤرخى الارمن على الاطلاق الذين كتبوا عن أحداث القرن ١٣م/٧هـ ، والذي تعد روايته على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لدارسى تاريخ العلاقات الصليبية الاسلامية ، خاصة في زمن النزو المغولى للحراق وبلاد الشام . وهذا المؤرخ هو هايتون Hayton أو « هيثوم » Iḥbām الذي يعرف في غرب أوربا باسم هيتونس موناخوس Hagtonus Monachus (٧٣) . والذي تعكس

(٧٢) لا نعرف عن فهرام الرهاوى Vahram d'Edessa سوى أنه من مواطنى الرها والتحق بخدمة الملك الارمينى ليو الثالث بصفته مستشارا له ، وبناء على أوامر الملك فقد ألف قصيدته الشعرية عن تاريخ ملوك أرمينيا الصغرى . ويبدو أنه كان من علماء اللاهوت ويتضح ذلك من القاب Rabouni أى « عالم اللاهوت » باللغة السريانية والذي كثيرا ما عرف به والقصيدة تغطي الفترة من عام ١٠٤٠م/٤٣١هـ الى عام ١٢٨٠م/٦٧٩هـ . كما وضع فهرام قصيدة رثاء عن أسر ليو ابن الملك هيثوم الاول . والقصيدتان منشورتان في مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) كما رجعنا الى نسخة باللغة الانجليزية للقصيدة الاولى لفهرام . انظر : Vahram Rabouni, Chronicle of the Armenian Kingdom, in Cilicia, ed. and trans by C.F. Neuman, in Translations from the Chinese and Armenian, London, 1831; Cahen, La Syrie du Nord, pp. 99-100.

(٧٣) ينتمى هايتون الى أسرة من أمراء لامبرون . ورث اقطاع جوريجوس Gorigos بعد موت أخيه جريجورى وتحول اقطاعه الى كونتية . وبعد أن اشترك هايتون في حروب هيثوم الثانى ضد المماليك ، قرر أن يكرس نفسه للحياة الدينية . وفي عام ١٣٠٥م/٧٠٥هـ ، ذهب الى جزيرة قبرص حيث أصبح عضوا في طبقة رجال الكنيسة . ثم ذهب في ١٣٠٦م/٧٠٦هـ الى أوربا حيث زار البابا كليمنت الخامس في مقره البابوى في مدينة افينيون Avignon واستقبله البابا بترحاب شديد . وكلفه بتسجيل قصة القتار وحروبهم والممالك التى أسسوها وقصة دول الشرق وبصفة خاصة دولة المماليك في مصر ، التى حكها للبابا . فاعتكف هايتون في أحد أديرة بواتيه بفرنسا ، وأملى تاريخه على شخص يدعى نيقولا فالكون Nicole Falcon الذى ترجمه الى اللاتينية وقدمه للبابا في ١٣٠٧م/٧٠٧هـ . كما وضع هايتون مضمنا آخر في شكل جدول زمنى سجل فيه كل أحداث قيليقية وسوريا زمن الحروب الصليبية . وتاريخ هايتون منشور في مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (الجزء الثانى =

كتابات أكثر الميول الارمينية تطرفا ضد المسلمين وخاصة المماليك منهم ، وتوحى كتاباته بالآمال العريضة في مساعدة المغول لكل من الارمن والفرنج في استرداد ما فقدوه على أيدي المسلمين من أملاك . وكانت الصورة التي رسمها هايتون لملاقة المغول بالملك هيثوم الاول ملك قيليقية الارميني (١٢٢٦ - ١٢٦٩م / ٦٢٤ - ٦٦٧هـ) ذات أثر في أن يلوم بعض المؤرخين الحديثين الفرنج على عدم القيام بمحاولة للتحالف مع المغول ضد المسلمين في بلاد الشام ويأتى في مقدمة هؤلاء المؤرخ الفرنسي رينيه جروسيه . إلا أن نتائج حقيقة العلاقات بين المغول والصليبيين في أوربا وبلاد الشام في كثير من المصادر التاريخية - التي اقتصر جروسيه في دراسته لها على رواية هايتون دونها - تدفع الى الأخذ برأى مخالف لرأى جروسيه . ومع ذلك فقد كان تاريخ هايتون مصدر معلومات دقيق وهام لتاريخ المغول وخزوعهم للشرق الأدنى الاسلامي . وإلى جانب هؤلاء المؤرخين الارمن فقد رجعنا الى عدة مصادر أرمنية أخرى أفادت موضوع البحث ومن هذه المصادر تاريخ كيراكوس (٧٤) ، وقصيدة الملك هيثوم الثاني (٧٥) ، وتاريخ المغول الذي كتبه جريجور أوف

= من مجموعة الوثائق الارمينية (بينما نشر جدول الزمنى في
(الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) وعن حياة
هايتون وأعماله أنظر :

Héthoum comte de Gorigos,

Table Chronologique, in R.H.C. Dec. Arm., Vol. 1. pp. 469-

470; Cahen, La Syrie du Nord, p. 99.

Kirakes de Ganjak, Histoire d'Arménie (extrait) ed. M.. (٧٤)

Dulaurier, in J.A., Vol. XI, 1858.

(٧٥) حكم هيثوم الثاني في قيليقية على فترات متقطعة فيما بين
أعوام ١٢٨٩ - ١٢٩٣م / ٦٨٨ - ٦٩٢هـ و ١٢٩٩ - ١٣٠١م /
٦٩٩ - ٧٠١هـ . وهو الابن الأكبر للملك ليو الثالث (١٢٦٩ -
١٢٨٩ / ٦٦٧ - ٦٨٨هـ) . وحفل عهده بالاحداث التي أضعفت
بلادهم بسبب هجمات المماليك المتكررة عليها . ولم يرغب هيثوم
في وضع التاج على رأسه أو حتى التلقب بلقب ملك ، واكتفى
بلقب بارون . ووجد راحته في الصلاة وقراءة الكتب المقدسة
وصحبة الرهبان ورجال الكنيسة . وسعى الى ادخال كنيسة
بلادهم تحت لواء كنيسة روما ، وأثار ذلك الخلافات بينه وبين
رجال الدين . وكتب هيثوم قصيدة تعكس صورة قائمة حزينة
لفترة حكمه . والقصيدة منشورة في مجموعة مؤرخي الحروب =

أكانك (٧٦) .

وكان القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري هـ فترة تغير وتطور كبير في تاريخ الحروب الصليبية بدءاً من فتور الحماسة الصليبية لدى الفرنج في بلاد الشام ، ودخولهم في منازعات فيما بينهم أضعفت من الكيان الصليبي في الوقت الذي فقدت فيه مدينة بيت المقدس أهميتها كهدف للحملة الصليبية تاركة لمصر الفرصة لتختص بتلك الأهمية بعد أن أصبحت مركز الثقل للمقاومة الإسلامية ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام . وبعد أن فقد العراق وحلب أهميتهما كنقطة انطلاق إسلامية ضد الصليبيين في عهد عماد الدين زنكي ومن بعده نور الدين محمود . فقد جذبت الحروب الصليبية ومحاولات الباطنية اليائسة في البحث عن حلفائها ، جذبت أنظار طرف جديد من أطراف الصراع وهو المغول ، فكان لابد من الرجوع الى بعض المصادر التي عالجت تاريخ هؤلاء حتى وصولهم الى بلاد الشام ، وأثر ذلك على العلاقات الصليبية الإسلامية بصفة عامة ، والعلاقات بين إمارة أنطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين . وفي مقدمة هذه المصادر المغولية يأتي كتاب « جامع التواريخ » الذي وضعه رشيد الدين المذاني (٧٧) . الذي كلفه بوضعه غازان خان كسجل

= الصليبية (الجزء الأول من مجموعة الوثائق الأرمنية) . وعن حياته . انظر :

Poème de Hethoum II, Roi D'Arménie, in R.H.C. Doc. Arm., Vol. 1, pp, 541 ff.

(٧٦) ولد جريجور في عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ ، ومات في عام ١٣٣٥م/٧٣٦هـ ، وهو رجل دين مثل غالبية مؤرخي الأرمن . كرس تاريخه عن أمة السهام (المغول) إلا أن روايته اقتصر على علاقة ملوك الأرمن بالمغول ، وتضمنت إلى جانب ذلك - ولكن في إيجاز شديد - علاقة المغول بالمسلمين وأهم ما تضمنته هو علاقة بيبرس بالملك هيثوم الأول . انظر :

Grigor of Akanc. History of : the Nation of the Archers (The Mongols), ed. and trans by R.P. Blake and R.N. Fryc, in H.J.A.S., Vol. 12, 1949, pp. 259 ff.

(٧٧) وهو رشيد الدين عماد الدولة أبي الخير . ولد في مدينة همذان الفارسية في عام ١٢٤٧م/٦٤٥هـ . ومات في عام ١٣١٩م/٧١٨هـ . واحترف رشيد الدين الطب مهنة له (يعرفه خواندمير بالطبيب) الى جانب أحاطته باللغات الشرقية مثل الفارسية (لغته الموروثة) والعربية والمغولية والتركية والعبرية والصينية وهذا مهد له السبل الى قصر سلاطين فارس المغوليين ، وكسبوا منهم =

أدبى لتاريخ المغول، وأمدّه غازان بخيرة المصادر وأندرها في الامبراطورية المغولية . كذلك استفاد رشيد الدين من الروايات التي كانت تدور معظمها على لسان غازان خان نفسه ، وذلك بحكم منصبه كوزير له . وهكذا جاء كتاب رشيد الدين مدعماً بالوثائق المغولية . كما كلفه الجايغو خلف غازان بالاستمرار في وضع التاريخ الذي كلفه به غازان ، الى جانب وضع مجلد ثان يشتمل على تاريخ جميع الشعوب التي اتصل بها المغول . وأطلق رشيد الدين على المجموعة كلها اسم « جامع التواريخ » . وهكذا أصبح تاريخه أول تاريخ عالمي معزوف بالمعنى الصحيح في العصور الوسطى . والتزم رشيد في كتابه الحياد وعدم التعصب ، فلم يتملق سلاطين المغول ، ولم يجعله عمله مع المغول أو اسلامه يحيد عن جادة الصواب والتأليف العلمي . وتبدو أهمية الكتاب - الى جانب المعلومات الجغرافية عن المناطق الكثيرة في آسيا ، وعن عادات المغول وتقاليدهم التي زودنا بها - بصفة خاصة في الاحداث التي عاصرها المؤرخ . ويتمثل ذلك في نمو دولة المغول وفتوحاتهم وتدمير تلال الاسماعيائية وحصار بغداد وما دار فيها من مذابح على يد هولاكو خان . وهكذا ، كان « جامع التواريخ » أهم مصدر معلومات عن تاريخ المغول ودورهم في تاريخ الحروب

= وتقديرهم وثقتهم فدخل في خدمة أباتاخان ابن هولاكو . وفي عهد غازان خان (١٢٩٥ - ١٣٠٤م / ٦٩٤ - ٧٠٢ هـ) وصل رشيد الدين الى أعلى المناصب الادارية في الدولة حيث عينه غازان وزيرا له . وبقي رشيد الدين في هذا المنصب في عهد الجايغو (١٣٠٤ - ١٣١٧م / ٧٠٣ - ٧١١ هـ) وانتهى الامر باعدام رشيد الدين وابنه ابراهيم بتهمة دس السم للخان الجايغو وهي دسيسة حاكها منافسو رشيد الدين . وتم اعدامه في عهد الخان أبو سعيد في عام ١٣١٩م / ٧١٨ هـ في قرية جوسقدر بالشرب من مدينة تبريز . انظر : خواندمير (غياث الدين) : دستور الوزراء ، ترجمة وتعليق حربي أمين سليمان ، القاهرة ١٩٨٠م ، ص ٩٤ ، ٣٧٣ - ٣٧٨ ، رشيد الدين الدمشقي : جامع التواريخ ، الجزء الاول ، ترجمة : محمد صادق نشأت وآخرون ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ٣ - ٥٥ . راجع أيضا :

John Andrew Boyle, Rashid Al-Din : The First World historian, in I.C., Vol. 44, 1970, pp. 9-17.

الصليبية ، خاصة بتوقف تاريخ الجوينى (٧٨) عند استيلاء هولاكو على فارس ، واتسام ما أورده ابن الاثير عن فتوح المغول من حذر وتحفظ منعا ابن الاثير عن التعرض لأحوال المغول فى الصين ، وما شاب رواية النسوى من غموض عن هذه الاحداث من تاريخ المغول الاول وهو الذى لم يرغب فى سرد تاريخهم وهو يرى عرش سيده جلال الدين منكبرتى ينهار تحت ضرباتهم ووسط أعمال العنف التى قاموا بها ، الى جانب تركيز اهتمام الجوينى على أعمال جنكيزخان وهولاكو (حتى دخوله فارس) دون الاهتمام بأصل القبائل المغولية المختلفة . لذا كانت الفائدة كبيرة بالنسبة لموضوع البحث من الرجوع الى كتاب رشيد الدين لتتبع أحوال المغول منذ ظهورهم وحتى دحرهم على أيدي المماليك فى عين جالوت .

(٧٨) وهو علاء الدين عطا ملك الجوينى ابن بهاء الدين محمد . ولد فى عام ١٢٢٦م/٦٢٢هـ فى مقاطعة جوين بخراسان (شمال غربى نيسابور) خدمت أسرته السلاجقة ثم الخوارزمية فى فارس . وتولى والده منصب مستوفى ديوان السلطان محمد خوارزمشاه ثم نفس المنصب لدى سلاطين المغول الى ان تولاه أخوه السعيد شمس الدين محمد لدى هولاكو خان ثم لدى ابنه أباقا . كما التحق علاء الدين بخدمة الأمير أرغون نائب التتار فى ايران ، ثم بخدمة هولاكو فى ايران ورافق الأخير فى حروبه وسمح له هولاكو بالاطلاع على مكتبة الاسماعيلية الضخمة فى قلعة الموت ، واستفاد الجوينى مما فيها من كتب عن تاريخ الحصن الصباح مؤسس الطائفة الاسماعيلية وعينه هولاكو حاكما على العراق بعد فتح المغول لبغداد . واستمر الجوينى فى هذا المنصب فى عهد أباقا ابن هولاكو . الا أن الجوينى وأخاه لم يسلما من دسائس الحاقدين . وانتهى الامر بعزلهما من مناصبيهما فى أواخر عهد أباقا وأعادهما خلفه أحمد نكودا الى وظائفهما بعد قتل منافسهما مجد الملك اليزدى فى عام ١٢٨٣م/٦٨١هـ . ولم يعيش الجوينى طويلا اذ مات فى نفس العام وكتابه يحمل عنوان «جهانشكاي» أى «فاتح العالم» ولم نعثر لهذا العنوان على ترجمة فى كتاب خواندميروولا فى كتاب رشيد الدين المنقولين الى العربية . ورجعنا فى هذا البحث الى الترجمة الانجليزية له والتى تحمل عنوان « تاريخ غزاة العالم » انظر : خواندمير : دستور الوزراء ، ص ١٠١ ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ، راجع أيضا :

Juvaini (Ala-adin Ata Malik), The History of the World Conquerers, Trans. by T.A. Boyle, 2 vols., Manchester, 1958, Vol. 1, pp. XV-XXV.

ويلي تاريخ رشيد الدين في الاهمية بالنسبة لتاريخ المغول الكتاب الذي صنفه عطا ملك الجويني وانتهى من كتابته في عام ١٢٦٠م/٦٥٨هـ ، والذي بدأه بذكر ظهور جنكيزخان وانهاه بأحداث عام ١٢٥٧م/٦٥٥هـ أي باستيلاء هولاكو على أملاك الاسماعيلية في فارس وقبل دخول التتار بغداد بعام واحد . ويتميز الجويني - كما تميز الهمذاني - بالحيدة والدقة في أخباره رغم تواجده في بلاط المغول ، فقد وصف الاضرار التي ألحقها المغول بديار الاسلام وما جنوه على الحضارة الاسلامية وصفا مجردا من كل شرض وهوى . وقد تأثر كثير من المؤرخين بكتاب الجويني ونقلوا عنه ، ومنهم الهمذاني وخراندميز وابن تغري بردي ، وأبو شامة وابن الفرات وابن كثير (٧٩) . وبالنسبة لموضوع البحث فقد ساعدت رواية الجويني على تتبع أحداث المغول منذ عهد جنكيزخان ، وحتى استيلائهم على بلاد فارس ، وقد أتم على لغة الاسماعيلية هناك . كما ساعد على التأكد من صحة بعض الانساب المغولية من أسرة جنكيزخان وخلفائه .

والى جانب هؤلاء رجعنا الى كتاب « دستور الوزراء » الذي وضعه خواندمير (٨٠) . ومن مؤرخي المغول رجعنا الى ما سجله « شانج تى » مشكو خان السمل في قراقورم الى هولاكو في فارس في عام ١٢٥٩م (٨١) . الا أن المصادر الفارسية التي عالجت تاريخ الغزو المغولي لبلاد المسلمين في فارس - حتى سيرة - ، ثم تتبّع بعضها العلاقات بين الطرفين بعد موقعة عين جالوت وحتى نهاية القرن ١٣م/٧هـ ، لم تتعرض بالمرّة

(٧٩) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ١٠١ - ١٠٢ ، عباس الغزاوى : التعريف بالمؤرخين في إيران ، بغداد ١٩٥٧ ، ص ١١٢ .
(٨٠) هو غياث الدين بن محمد الدين السمل ، ولد في عام ١٤٧٥م/٨٨٠هـ ، وتوفي في عام ١٥٢٥م/٩٣٢هـ . وعين وزيراً لدى السلطان بدیع الزمان ميرزا أحد أفراد الأسرة التيمورية (نسبة الى تيمورلنك) . وله مؤلفات عديدة أهمها كتاب دستور الوزراء الذي يعدّ شرحاً لأحوال وزراء خلفاء الاسلام ووزراء سلاجقة ايران . انظر : خرنديمير : دستور الوزراء ، مقدمة المحقق ، ص ١٩ وما بعدها ، عباس الغزاوى ، لتعريف بالمؤرخين ، ص ٢٢٥ .

(٨١) سجل شانج تى كل مشاهداته في رحلته من قراقورم الى بغداد وبالعكس في شكل مذكرات شخصية ورجعنا الى نسخة مترجمة لهذه المذكرات . انظر قائمة المصادر والمراجع .

للعلاقات بين المغول والصليبيين ، وكأنه لم يكن للاخيرين وجود في بلاد الشام ، واذا لم تكن هناك علاقات تذكر بين المغول والصليبيين في فلسطين ، فانه لمن الغريب ألا تذكر المصادر المغولية شيئا عن علاقة هولاكو بكل من الارمن وبوهيمند السادس أمير انطاكية . ولولا بعض الاشارات في قليل من المصادر العربية الى جانب التقارير التي وصلت الى أوروبا والتي أوردها كل من متى الباريزي ومارينو سانودو الى جانب روايات مؤرخي الارمن ، لما عرفنا شيئا عن هذه العلاقات . ومع ذلك ، فبمعالجة تاريخ الغزو المغولي لبلاد الاسلام ، ألقت المصادر المغولية - كما ألقت المصادر الصليبية بدورها - الكثير من الضوء على جانب كبير من جوانب تاريخ الحروب الصليبية تاركة مع المصادر الصليبية دورا كبيرا في سرد هذا التاريخ للمصادر العربية .

وقد كان الانتاج التاريخي العربي أكثر حجما من الانتاج اللاتيني بالنسبة لبلاد الشام زمن الحروب الصليبية . وربما كان ذلك بسبب عدم التناسب العددي الدائم في بلاد الشام بين الفرنج والسكان الاصليين ، وهو عدم تناسب لم يكن فرنج أوروبا ليعوضوه في أى وقت من الاوقات . واذا كانت الكتابة التاريخية العربية المعاصرة للفترة المبكرة من تاريخ الحروب الصليبية لم تقدم لنا سوى ابن القلانسي أمام الوفرة في عدد مؤرخي الحملة الصليبية الاولى من اللاتين ، فان بداية النصف الثاني من القرن ١٢م / ٦هـ وبداية عهد صلاح الدين يحددان لنا تغيرا هاما في الكتابة التاريخية العربية . فمن ناحية حفظت لنا الاعمال التاريخية بالكامل ، ومن ناحية أخرى تغيرت روح الكتابة التاريخية العربية نفسها . فدولة صلاح الدين ، التي امتدت من بلاد السودان ومكة جنوبا الى جبال طوروس شمالا ، ومن ديار بكر شرقا الى مصر غربا ، رفعت الارواح فوق سياسة التحزب والانقسام ، وكان المؤرخون الذين رووا تاريخها من الاقاليم المختلفة التي تتكون منها هذه الدولة المترامية الاطراف ، غير مرتبطين أسريا بالارض التي يعيشون عليها حياتهم العملية . فاتحدت العقليات في الوقت الذي توحدت فيه الاراضى تمجيذا لرجل واحد ولقضية واحدة . كما أتاح الاستقرار السياسى للشرق الادنى الاسلامى فرصة تجديد الثقافة وادخال عناصر غير شامية نتج عنها تحسين لغة الكتابة ، وربما وصل الامر الى استخدام المحسنات البديعية في الكتابة ، كما في أعمال العماد الاصفهاني .

وأدى توحيد البلاد تحت قيادة واحدة الى ابتعاد الكتابة التاريخية العربية عن الطابع الشخصي (٨٢) . نبيادة المذهب السني في البلاد ، اختفت الفرعة الشيعية - الى حد كبير - في كتابات المؤرخين المسلمين . وكتب الجميع تاريخ البلاد في هذه الفترة - وحتى نهاية الحروب الصليبية - ونقلوا عن بعضهم البعض بلا غضافة ، الامر الذي جعل تاريخ الحروب الصليبية يظهر واضحا في كتابات المؤرخين العرب غير المعاصرين لفترة الحروب الصليبية مثل ابن الفرات والعيني والنويري والمقريزي ، وجعل الكتابة التاريخية العربية تقوم بدورها في سد النقص الذي خلفته لنا الكتابات التاريخية التي عالجت تاريخ الحروب الصليبية من لاتينية وبيزنطية وأرمينية وسريانية وفارسية .

فاذا كان ابن القلانسي الذي يعد المؤرخ العربي الوحيد الذي عالج تاريخ بلاد الشام منذ غزو السلاجقة له وحتى عصر صلاح الدين ، وكان كتابه « ذيل تاريخ دمشق » (٨٣) هو أهم مصادر معلوماتنا المعاصرة لتاريخ العلاقات الصليبية الاسلامية منذ مجيء الفرنج الى بلاد الشام وحتى تصدى نور الدين محمود لهم ، وأمدنا بمادة تاريخية وفيرة ساعدت على تتبع سياسة أمراء أنطاكية تجاه جيرانهم المسلمين طوال النصف الاول من القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري ، فقد شاركه في ذلك اثنان من أهم المؤرخين المسلمين الذين حتمت طبيعة أعمالهم التاريخية أن تتضمن كتاباتهم تاريخ هذه الفترة (السابقة عليهم) الى جانب ما عاصروه من أحداث .

ويأتى في مقدمة هؤلاء ابن الاثير صاحب كتاب « الكامل في

Cahen, La Syrie du Nord, p. 50.

(٨٢)

(٨٣) ابن القلانسي : دمشق الأصل ، ولد عام ١٠٧٩م/٤٧٢هـ ، وشغل العديد من المناصب مثل رئيس ديوان الانشاء ، وخص بكتابه تاريخ مدينة دمشق ، واستكمل به كتاب الهلال الصابي عن تاريخ دمشق الذي تنتهي أحداثه بعام ١٠٥٦م . وتوفي ابن القلانسي في عام ١١٦٠م/٥٥٥هـ . انظر : عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، الاسكندرية ، ١٩٧٦ ، ص ١٦ ، السيد الباز العربي : مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

التاريخ « (٨٤) . فقد جاء كتابه شاملا للتاريخ الاسلامي كله ، وكان من الخطيبي أن يمدنا بمعلومات وفيرة عن علاقة الصليبيين بالمسلمين خلال الفترة السابقة عليه ، ولم يرد كثير مما أمدنا به ابن الاثير في كتاب ابن القلانسي ، وقد اعتمد في ذلك على الروايات الشفوية التي أملأها عليه أبوه وغيره ممن عاصروا أحداث هذه الفترة أو سمعوا بها . أما عن الفترة التي عاصرها ابن الاثير فإن كتابه يعد مصدر ثقة بالنسبة للأحداث التي روى عنها كما تتمتع معلوماته بالأصالة ، خاصة وأنه كان شاهد عيان لبعض الأحداث التي كتب عنها . وفي الحقيقة ، يعد أسلوب ابن الاثير تطورا هاما في الكتابة التاريخية العربية انفراد هو بأحداثه . فلم يكن ابن الاثير مجرد ناقل للمعلومات المتعلقة بأحداث الفترة السابقة على عهده ، كما لم يكن مجرد راو لتاريخ أحداث الفترة التي عاصرها وما شاهده بنفسه من أحداثها ، بل إنه كان صاحب رأي وناقد لبعض الذين نقل عنهم من المؤرخين ، وأيضا لبعض الشخصيات التي حكى أعمالها (٨٥) . إلى جانب ذلك فإنه على العكس من المؤرخين المسلمين ، لم تشغله أهمية حدث معين ، أو أحوال منطقة معينة من بلاد المسلمين ، عن تتبع أحوال ديار الاسلام جميعها . وبذلك تميز كتابه بالشمولية ، وتتميز هو بسعة الأفق وبدا وكأنه يكتب تاريخا لم يعاصره ، وتناوله بالدراسة والتحقيق قبل أن يسجله . فلم يخفل - وهو يسرد تاريخ العراق وبلاد

(٨٤) ابن الاثير : هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري ، الملقب عز الدين . ولد بجزيرة ابن عمر ونشأ بها . وأبوه موظف كبير بالموصل ، وأخوه مجت الدين النقيه ووزير الأفضل ضياء الدين الايوبي في الموصل . انتقل ابن الاثير من جزيرة ابن عمر إلى الموصل حيث درس على الفضل الخطيب الطوسي ، ثم سار إلى بغداد مرارا ، وانتقل إلى بيت المقدس والشام كثيرا . ووضع إلى جانب « الكامل في التاريخ » كتابا آخر في أتابكة الموصل ، وعلى رأسهم عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود (التاريخ الباهر في الدولة الإتابكية بالموصل) ومات ابن الاثير عن خمسة وسبعين عاما ١٢٣٣م / ٦٣٠هـ . انظر : السيد الباز العزيني : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٨٥) عباس العزاوي : التعريف بالمؤرخين ، ص ٣٥ وما بعدها .

الشام ومصر - تتبع أحوال المسلمين في آسيا الصغرى وفي فارس والمغرب العربى والاندلس وبذلك أمدنا بمعلومات وفيرة عن أحوال السلاجقة في آسيا الصغرى ، وكان مصدر ثقة في ذلك ، وساعدت المادة التاريخية التى أمدنا بها - الى جانب ما سجله فنسنت دى بوفيه من روايات سيمون اوف سان كوينتين - على تحديد طبيعة العلاقات بين السلاجقة والايوبيين وفرنج انطاكية والارمن في نفس الوقت . كما تتبع ابن الاثير أحوال الخوارزمية ومن خلفهم المغول وتقدم هؤلاء نحو العراق وبلاد الشام بصورة دقيقة ، ولم يشغله الحديث عن الخطر الذى يشكله هؤلاء على بلاد المسلمين في العراق وبلاد الشام ومصر عن الحديث عن أحوال الفرنج . ولا غرو ، اذن ، فى أن يكون كتابه مصدر معلومات هام بالنسبة لكل من أتى بعده من المؤرخين المسلمين . وتعتبر رواية ابن الاثير - الى جانب روايات كل من العماد الاصفهانى وابن شداد - سجلا دقيقا لفتوح صلاح الدين فى اماره أنطاكية بعد حطين فى الوقت الذى تغاضت فيه المصادر الصليبية المعاصرة عن ذكر تفاصيل هذه الفتوح . وربما يرجع ذلك الى عدم حرص مؤرخى اللاتين على تسجيل انتصارات المسلمين ، على العكس من وليم الصورى الذى حرص على ذكر الحفيدة كاملة . كما تميز ابن الاثير بالدقة فى كتاباته ، فقد حدد بدقة - ونقل عنه ذلك كل من ابن واصل والمقرئزى وأبو شامة - الفترة التى قضاها صلاح الدين فى دمشق حين دخلها أول مرة (بعد موت نور الدين محمود) فى أكتوبر ١١٧٤م/ربيع ثان ٥٧٠هـ ، حيث بقى بها شهرا دون أن يتحرك الفرنج وخاصة بوهيمند الثالث للتصدى لمحاولة صلاح الدين لتثبيت مركزه فى بلاد الشام بعد استقلاله بمصر . وساعد تتبعه الدقيق لتحركات صلاح الدين - كما فعل ابن واصل - على تحديد تاريخ غارة بوهيمند على شيزر (٩ مايو ١١٧٩م/آخر ذى القعدة ٥٧٤هـ) بعد أن أغفل كل المؤرخين تحديد ذلك التاريخ . كما انفرد بذكر تفاصيل الغارات المتبادلة بين التركمان المقيمين بأطراف حلب وبين قوات جماعة الداوية فى أنطاكية فى عام ١٢٢٧م/٦٢٤هـ ، الامر الذى شغل الداوية عن مناوئة الارمن أعداء بوهيمند الرابع فى قيليقية . وكثيرا ما طالعنا ابن الاثير براويات تخص الفرنج أنفسهم لم يذكرها أى من مؤرخيهم المعاصرين . فقد انفرد بذكر أحوال بوهيمند الرابع بعد استرداده لانطاكية من أيدي الارمن ، وعلاقة بوهيمند بالبابا هنوريوس الثالث ، وذلك بفضل حسن علاقة ابن الاثير

باحد رجال الدين في انطاكية . فقد حرم البابا هنوريوس - كما ذكر ابن الاثير - على الداوية التعاون مع بوهيمند ضد الاسبتارية الذين طردهم بوهيمند الرابع من انطاكية ومنح الداوية نصيبهم في مدينة جبلة . وحين حاول بوهيمند استرضاء البابا للحصول على مساعدة كل من الداوية والاسبتارية لاطلاق سراح ابنه فيليب من أسر الارمن ، رفض البابا هذا المشروع ، الامر الذي دفع بوهيمند الى التحالف مع السلاجقة المسلمين ضد الارمن المسيحيين .

ويلي ابن الاثير في الاهمية ابن العديم (٨٦) الذي جاء كتابه « زبدة

(٨٦) كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم . ولد بحلب في عام ١١٩٢م/٥٨٩هـ . وتولى أبوه الخطبة بحلب على أيام نور الدين محمود بن زنكي ، ثم تولى الخزائن في أيام ولده الملك الصالح اسمعيل (١١٦٩ - ١١٩١م/٥٦٥هـ - ٥٧٧هـ) . ثم تولى قضاء حلب وادارها منذ عام ١١٧٩م/٥٧٥هـ حتى عام ١١٨٢م/٥٩٠هـ . شغل مركزه في عهد صلاح الدين لأن الدولة شافعية والرجال من الشافعية . وصحب كمال الدين والده في أسفاره ورحلاته ، فزار بيت المقدس ودمشق . وتمنع ابن العديم بثقة الملك الظاهر غزى ملك حلب وابن صلاح الدين وتولى قضائها . وقام بهام ميسية من قبل الايوبيين فقد سافر في عام ١٢٥٦م/٦٥٤هـ رسولا عن الملك الناصر يوسف الثاني صاحب الشام الى الخليفة المستعصم . وفي عام ١٢٥٩م/٦٥٧هـ ، سافر الى مصر رسولا عن الناصر بن العزيز صاحب دمشق يستنجد بالمصريين على قتال التتار . وصحب الناصر يوسف صاحب حلب الى برزة هربا من المغول . ثم أتى الى مصر وأقام بها حتى تم طرد المغول من الشام على أيدي قطز وبيبرس . وعاد الى حلب ولم يطق المقام بها لما شعر به من حزن على الخراب الذي حل بها ، فعاد الى مصر ومات بها في عام ١٢٦٢م/٦٦٠هـ ودفن بسفح المقطم . وقد وضع ابن العديم كتابه « بغية الطلب في تاريخ حلب » ترجمة لمن عاصره ومن جاوره ، ثم جمع اليهم القدماء السابقين . وطلب منه الملك العزيز (١٢١٦ - ١٢٣٧ / ٦١٣ - ٦٣٤هـ) أن يضع كتابا على السنين وأن يختصر تاريخه الكبير ، فلخص لنا البغية ليخرج لنا « زبدة الحلب » . انظر : ابن العديم (كمال الدين) : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ٣ أجزاء ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ١٩٥١ ، ج ١ ، (مقدمة المحقق) ص ١٣ وما بعدها ، ص ٣٩ ، ص ٥٩ - ٦٣ ، السيوطي : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، جزءان ، =

الخلب من تاريخ حلب » على عكس ما يوحى به عنوانه . فلم يقتصر الكتاب على تاريخ مدينة حلب وحكامها المسلمين ، بل تناول الحديث عن احوال المسلمين في العراق وآسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر ، وعلاقة هؤلاء بحكام حلب . وقد نقل ابن العديم عن كثير من المؤرخين المعاصرين للفترة السابقة على تاريخه وان لم يذكر ذلك ، في « الزبدة » فقد ذكر أسماء هؤلاء في « البغية » . ومن هؤلاء كان الطبرى وابن القلانسي وابن الاثير وابن الجوزى وابن شداد وغيرهم (٨٧) وكتابته مرتبة على السنين ، ولم يلتزم بذلك كثيرا ، فقد أثر جمع الحوادث في بعض الاحيان حرصا على تسلسلها وعدم تكرارها ، فجاء كتابه مشابها للنصوص . وقد توقف ابن العديم بكتابته عند أحداث عام ١٢٤٣م / ٦٤١هـ وعاش بعد ذلك حوالي عشرين عاما لم يشغله عن تدجيل أحداثها في كتابه سوى انصرافه الى السياسة والسفارة بين ملوك المسلمين (٨٨) . ومع ذلك ، فان ما سجله ابن العديم يعد من أهم المصادر الاسلامية المتعلقة بتاريخ الحروب الصليبية . فقد أمدنا بمعلومات لم ترد في كتب من نقل عنهم من المؤرخين بالنسبة للعلاقات الصليبية الاسلامية خلال النصف الاول من القرن ١٢م / ٦هـ . وبالنسبة للفترة التي عاصرها ابن العديم فقد أمدنا بمعلومات وفيرة لم ترد عند غيره من المؤرخين المعاصرين ، ساعدت على تحديد طبيعة العلاقات بين مسلمي حلب وصليبي أنطاكية أثناء صراعهم ضد الارمن . وكذلك عن علاقات أمراء أنطاكية بجماعتي الداوية والاسبتارية ، ودور هؤلاء في صراع الانطاكيين ضد الارمن . وقد انفرد ابن العديم بذكر كثير من الأحداث التي أغفل المؤرخون ذكرها . ومن ذلك اشتراك كل من فرسان الداوية والاسبتارية الى جانب الارمن من حصار حارم ومشاركة لبوهيمند الثالث وكونت الفلاندرز في عام ١١٧٧م / ٥٧٣هـ . كما تتبع علاقة قبائل التركمان بالصليبيين في أنطاكية منذ عهد الظاهر غازي وحتى تنويع المغول الى بلاد الشام ، فانفرد بذكر غاراتهم على حدود أنطاكية في نهاية عام ١١١٨م / بداية عام ٥٩٥هـ ، وفي عام ١٢٣٦م /

= تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٧٦م / ١٩٦٨م ، ج ١ ، ص ٤٦٦ .

(٨٧) ابن العديم : زبدة الخلب ، ج ١ ، ص ٦٤ .
(٨٨) ابن العديم : زبدة الخلب ، ج ٣ ، ص ٨ .

٦٣٤هـ ، واشترك في ذلك مع ابن واصل الذي كثيرا ما نقل عنه . كما أكدت روايته التي انفرد بذكرها عن اتفاق بوهيمند الثالث ونواب الملك الظاهر غازي صاحب حلب في عام ١١٩٧م/٥٩٣هـ قبالة حصن المرقب على التحالف، أكدت أن كلا من الحاكمين كان في حاجة الى مساعدة كل منهما الآخر . كما انفرد ابن العديم بذكر غارة الصليبيين ، الذين لم يذهبوا مع الحملة الرابعة الى القسطنطينية ، على اللاذقية في عام ١٢٠٣م/٦٠٠هـ ، ودحرهم على أيدي نواب الملك الظاهر صاحب حلب ، وعدم استفادة بوهيمند الرابع من وجودهم في صراعه ضد الارمن . كما انفرد بذكر الاتفاقية التي وقعت بين ليو الثاني الارميني والداوية في عام ١٢٠٨م/٦٠٥هـ . الا أنه أغفل ذكر بعض الاحداث التي عاصرها وأهمها محاولة وليم مونتفرت مقدم الداوية للاستيلاء على حصن دريساك من المسلمين في منتصف عام ١٢٣٧م/نهاية عام ٦٣٤هـ ، بالرغم من اقامة ابن العديم في حلب في ذلك الوقت . ولم يذكر هذه الواقعة من بين سائر المؤرخين سوى المؤرخ الانجليزي متى انباريزي الذي اطلع على تقارير قادة الداوية في بلاد الشام الى زملائهم في إنجلترا . كما يؤخذ على ابن العديم الايجاز الشديد الذي غلب على رواياته في نهايات تاريخه، وربما رجع ذلك الى كثرة ترحاله بين القاهرة وحلب في هذه الفترة وانشغاله بأمور السياسة .

وكما كان عهد صلاح الدين الايوبي يمثل وحدة الدولة الاسلامية في الشرق الادنى الاسلامي ووحدة الهدف والفكر لدى المسلمين ، فقد كان عهد صلاح الدين ذا أثر كبير في مجال اسلامي آخر ، ألا وهو الكتابة التاريخية العربية . فقد أخرج لنا عهد صلاح الدين من المؤرخين المسلمين من سجلوا أعماله وانجازاته الفريدة في مواجهة الوجود الصليبي في بلاد الشام كما أخرجت لنا الدولة (الايوبية) التي أسسها من كتبوا تاريخها . وفي الحالتين تسجيل أعمال صلاح الدين أو تاريخ الدولة الايوبية - فقد كانت الكتابة التاريخية العربية ، منذ عهد صلاح الدين وحتى نهاية النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري ، ما هي الا تسجيلا لتاريخ الشرق الادنى الاسلامي كله .

وفي مقدمة من سجلوا تاريخ صلاح الدين يأتي كاتبه ومسكرتيه

ومؤرخ عهده ابن شداد (٨٩) الذي أفرد كتابه « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » لتسجيل سيرة صلاح الدين وأعماله ، وقسم ابن شداد كتابه الى قسمين الاول في مولد صلاح الدين ونشأته وخصائمه ، والثانى في تقلبات الاحوال به ووقائعه وفتوحه وتاريخها الى نهاية حياته . واعتمد ابن شداد في التاريخ للاحداث السابقة على تاريخه على من يثق به ، أما الاحداث التى عاصرها وهو فى خدمة صلاح الدين فقد وصفها كما شاهدها بنفسه . لذلك يعد تاريخ ابن شداد من اوثق المصادر الاسلامية التى تناولت العلاقات بين الصليبيين والمسلمين فى بلاد الشام ، ومدمر ، ونجاح المسلمين فى استرداد مدينة بيت المقدس من الصليبيين الى جانب غالبية مملكة بيت المقدس ، ثم الصراع بين صلاح الدين وبن دفع بهم الضرب الاوروبى من ملوكه وحكامه فى الحملة الصليبية الثالثة . وبالنسبة لموضوع البحث يعد ما أورده ابن شداد - الى جانب روايات العماد الاصفهاني - عن انتصارات المسلمين بعد حطين ثبوتا دقيقا لحملة صلاح الدين فى اماره

(٨٩) بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن راج بن تميم ، ولد فى الموصل سنة ١١٤٥م / ٥٣٩ هـ ، ارتحل فى حطب سنة ١٢٣٩م / ٦٣٢ هـ . عرّف بأبن شهاب بن تميم نسبة الى جده لأنه تربى فى كنف أخواله بعد موت أبيه فنسب اليهم . نشأ فى الموصل وتلقى علومه الدينية الاولى فيها . وفى عام ١١٧١م / ٥٦٧ هـ وصل الى بغداد حيث عمل مدرسا بالمدرسة الشافعية فيها لمدة أربع سنوات وعاد الى الموصل مدرسا بالمدرسة الشهرزورية هناك . وازدادت وعلت مكانته وبغته اتابك الموصل رسولا الى الخليفة العباسى فى بغداد ، والى صلاح الدين فى مصر . وفى عام ١١٨٧م / ٥٨٣ هـ سافر الى مكة ومنها الى دمشق حيث استدعاه صلاح الدين الى حصن كوكب أثناء حصاره له ، وألحقه بخدمته قاضيا لعسكره وللقدس الشريف الذى كان قد استرده من الصليبيين ، وبقي ابن شداد ملازما لصلاح الدين حتى وفاة السلطان . وبعد وفاة صلاح الدين عينه الظاهر غازى بن صلاح الدين قاضيا لحلب . ولعب ابن شداد دورا بارزا فى التوفيق بين أفراد البيت الايوبى فى مصر والشام ، كلما نشب النزاع بين بعضهم البعض ، ولذلك كان دائم التنقل بين حلب والقاهرة . ولما نال منه الكبر بقى فى حلب ودرس عليه ابن خلكان وأبو شامة وغيرهم . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين) . تحقيق جمال الدين الشيال ، الاسكندرية ١٩٦٤ ، ص ٣ وما بعدها .

انطاكية الصليبية . فقد انفرد ابن شداد بتحديد شروط الهدنة بين صلاح الدين وبوهيمند الثالث في عام ١١٨٨م/٥٨٤هـ . الا أنه أخطأ في تحديد فترة الهدنة بسبعة أشهر . كما كان قربه من صلاح الدين يشغله أحيانا عن ذكر بعض ما جرى من أحداث بعيدا عن مكان تواجد السلطان . فلم يذكر هجوم ريموند كونت طرابلس وكونت الفلاندرز على حماة قبل مشاركتهم لبوهيمند الثالث في هجومه على حارم في ١١٧٧م/٥٧٣هـ . كما أغفل ذكر غارة بوهيمند الثالث على شيزر في مايو من عام ١١٧٩م/آخر ذي القعدة ٥٧٤هـ . ويؤخذ أيضا عليه ايجازه الشديد في ذكر بعض الاحداث وعدم وضع تاريخ محدد لها .

واذا كانت شخصية صلاح الدين وعهده وانجازاته لاتزال تلقى أهمية مؤرخى الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب ، منذ بدايات القرن ١٩م وحتى يومنا هذا ، فلا غرو أن يسجل أعماله أكثر من مؤرخ معاصر . فالى جانب ابن شداد كان هناك العماد الاصفهاني (٩٠) كاتب صلاح الدين الذى افرد لتاريخ صلاح الدين وانجازاته مصنفين كاملين من

(٩٠) هو أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبى الفرج محمد بن نفيس الدين أبى الرجاء حامد بن عبد الله القرشى الاصفهاني . ولد بأصفهان في عام ١١٢٥م/٥١٩هـ ، وتوفي في دمشق في عام ١٢٠٠م/٥٩٧هـ . قدم الى بغداد وهو شاب ودرس بالمدرسة النظامية فيها . واشتغل بصناعة الكتابة وبرع فيها ، وبدأ نجمه في الصعود فاتصل بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط . وتم اعتقاله ضمن اتباع الوزير بعد موت الأخير في سجن الخليفة العباسي لمدة عامين (١١٦٤ - ١١٦٦م/٥٦٠ - ٥٦٢هـ) ثم أطلق سراحه فتوجه الى دمشق واتصل بالقاضي الشهرزوري ، ونجم الدين والد صلاح الدين . وتولى ديوان انشاء نور الدين محمود في دمشق في عام ١١٧٢م/٥٦٨هـ ، الى جانب اشرافه على المدرسة الشافعية بها . وبعد موت نور الدين اتصل بصلاح الدين حين جاء لتخليص الصالح اسماعيل بن نور الدين من حاشية السوء في عام ١١٧٤م/٥٧٠هـ . واستكتبه صلاح الدين وقربه اليه وصار من خاصته ، فكان يحل أحيانا محل القاضي الفاضل في ديوان الانشاء . وبعد موت صلاح الدين اعتزل العماد الحياة العامة وبقي في دمشق حتى وفاته . انظر : العماد الاصفهاني : الفتح القسنى في الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٢٣ - ٢٧ .

بين مصنفات ست قام بوضعها . وهما « الفتح القسى » الذى سجل فيه أحداث استرداد فلسطين وبيت المقدس من أيدي الصليبيين ثم القتال ضد صليبي الحملة الثالثة ، و « البرق الشامى » الذى يعد خطة أوسع « للفتح القسى » . وكلا العملين عبارة عن جمع متزامن لمجموعة من الذكريات الشخصية وميرة صلاح الدين ، ويزخران بكثير من نصوص ووثائق صلاح الدين والتي حررها العماد وصديقه القاضى الفاضل (٩١) . وترجع أهمية هذين المصدرين الى كون صاحبهما من رجال الادارة فى عهد صلاح الدين ، وأحد كتابه المقربين ، والقائمين على الامور بديوان انشائه والمطلعين على كل مراسلاته ووثائقه . فلا غرو أن ينقل عن العماد - وعن ابن شداد - كل من أرخ لعهد صلاح الدين من مؤرخى المسلمين كل ما عرفوه عن صلاح الدين فقد كانت أعمال العماد وابن شداد تشكل جزءا كبيرا واضحا من أعمال سبط بن الجوزى وأبى شامة بصفة خاصة . ونفس الشئ ينطبق

(٩١) الى جانب « خريدة القصر وجريدة أهل العصر » الذى وضعه العماد فى عام ١١٧٥ - ٥٧١/١١٧٦ هـ كتب العماد خمسة أعمال تاريخية كان أولها هو تاريخا للدولة السلجوقية بعنوان « نصرة الفطرة وأسرة الفترة » طبقا لمذكرات الوزير الفارسى أنوشروان (ت ١١٣٦ م / ٥٣١ هـ) والجزء الاخير منه وحتى وقت مغادرة الكاتب للعراق يعتمد على مذكرات شخصية للعماد . ثم وضع العماد كتابة « الفتح القسى » وتلاه بكتابه « البرق الشامى » وعن بدايات عهد خلفاء صلاح الدين وضع العماد كتيبين يعالجان الفترة منذ موت صلاح الدين وحتى عام ١١٩٦ م / ٥٩٢ هـ ، الاول منهما بعنوان « العقبى والعقبى » والثانى « نحلة الرحلة » . ثم دون فى كتاب آخر تاريخ الوقائع التى حدثت منذ عام ١١٩٧ م / ٥٩٣ هـ وحتى وفاته هو فى عام ١٢٠٠ م / ٥٩٧ هـ بعنوان « خطفة البارق وعطفة الشارق » . وقام المؤرخ الفتح بن على البندارى بتلخيص « نصرة الفطرة » فى كتاب بعنوان « تاريخ دولة آل سلجوق » . كما لخص البرق الشامى فى كتاب بعنوان « سنا البراق الشامى » . وقد رجعنا فى هذا البحث فى المقام الاول الى « الفتح القسى » وفى بعض الاحيان الى « البرق الشامى » والاوّل منهما مطبوع والثانى مخطوط بمكتبة اليودليان باكسفورد . انظر العماد لاصفهانى : الفتح القسى ، ص ٣٢ - ٣٣ . راجع أيضا :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 51.

راجع أيضا قائمة المصادر والمراجع .

على الكتابة التاريخية اللاحقة . وبالنسبة لموضوع البحث فقد اعتمدنا على كتاب «الفتح القسى» لما يتمتع به من أهمية بالنسبة لعلاقة صلاح الدين بامارة انطاكية الصليبية . فهو سجل لما قام به صلاح الدين من حروب ضد الصليبيين منذ عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ وحتى عام ١١٩٣م/٥٨٩هـ ، أى أنه يتضمن - الى جانب سيرة صلاح الدين التى سجلها ابن شداد - على ثبت دقيق لفتوح صلاح الدين بامارة انطاكية بعد حطين ، ثم علاقة صلاح الدين ببوهيمند الثالث حتى وفاة السلطان . أما عن الفترة السابقة على موقعة حطين ، فالى جانب رواية ابن شداد فقد أمدنا كتاب « البرق الشامى » بمعلومات دقيقة عن علاقة بوهيمند الثالث بالمسلمين ، وخاصة فيما يتعلق بحملة بوهيمند وكونت الفلاندرز وكونت طرابلس على حارم فى عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ . وأهم ما مدنا به العماد فى كتابه ، وما ساعد على تمحيص بعض الروايات التى أوردها ابن شداد أو التى أغفل ذكرها . ذكروه لهجوم كل من كونت طرابلس وكونت الفلاندرز على مدينة حماة قبل مشاركتهم لبوهيمند الثالث فى هجومه على مدينة حارم ، وهو ما أغفل ذكره ابن شداد . كما ساعدت روايته - الى جانب رواية ابن الاثير - على تحديد تاريخ غارة بوهيمند الثالث على شيرز (مايو ١١٧٩م/ذى القعدة ٥٧٤هـ) التى لم يذكرها أيضا ابن شداد . كما حدد - متفقا فى ذلك مع كل من ابن الاثير وابن واصل - هدنة صلاح الدين مع بوهيمند الثالث (١١٨٨م/٥٨٤هـ) بثمانية أشهر وهو التجديد الصحيح لمدة الهدنة ، فى حين حددها ابن شداد بسبعة أشهر وهو ما لا يتفق وسير الاحداث فى تلك الفترة .

واذا كان كل من ابن شداد والعماد الاصفهاني قد سجل تاريخ وأعمال صلاح الدين ، فقد قام أبو شامة (٩٢) بتسجيل جهاد وأعمال كل من

(٩٢) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان بن أبى بكر بن محمد المقدسى . ولد فى دمشق فى عام ١٢٠٣م/٥٩٩هـ ومات فى ١٢٦٧م/٦٦٥هـ . واشتهر بأبى شامة لوجود شامة فوق حاجبه اليسر . وقضى جانبا من حياته فى دمشق ، ولا تقتصر شهرته على التاريخ وحده ، وإنما عرف بالحديث والفقه والادب وأتم تحصيله فى مصر ، ثم عاد الى دمشق وفيها نال شهرته الفائقة . وقام باختصار تاريخ دمشق الذى وضعه ابن عساكر مرتين : =

عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود ، ثم انجازات صلاح الدين ضد الصليبيين . ورغم انه لم يكن معاصرا للاحداث التى كتب عنها فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، فقد اعتمد على مصادر مفقودة مثل كتاب « ابن أبى طيء » الى جانب نقله عن العماد الاصفهاني وابن شداد ، لذلك أورد معلومات لم ترد عندهما . كما وضع أبو شامة تذييلا لكتابه الاول بعنوان «الذيل على الروضتين» (٩٣) ، كسجل للاحداث التى عاصرها وان كان قد نقل عن غيره من المؤرخين مثل ابن الجوزى . وقد أمدنا أبو شامة بمعلومات كثيرة وهامة عن علاقة كل من عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود بأمراء أنطاكية وغيرهم من الصليبيين . كما زدنا ببيانات لا تقل أهمية عن علاقة صلاح الدين ببوهيمند الثالث بصفة خاصة . وساعدت روايته على توضيح طبيعة موقف بوهيمند الثالث من صلاح الدين قبل حطين ، وما قام من علاقات بين سبيل زوجة بوهيمند وبين صلاح الدين ، وتجسسها لصالح السلطان على حساب الصليبيين ، الامر الذى أضر بموقف بوهيمند وجعله عدوا للكنيسة اللاتينية ، وأكد رأى وليم الصورى فى بوهيمند الذى لم يأت الا بما يضر الصالح الصليبي العام فى وقت كان صلاح الدين يستعد فيه لتوجيه الضربة القاضية لمملكة بيت المقدس الصليبية .

وكما حظى عهد صلاح الدين باهتمام بعض المؤرخين المسلمين ، فقد حظى تاريخ الدولة التى أقامها ، واستمرت لمدة تقرب من المائة عام من بعده ، باهتمام البعض الآخر من المؤرخين . ويأتى فى مقدمة هؤلاء

= الاولى فى عشرين مجلد والثانية فى عشر مجلدات . ولم يطبق معاصروه احتمالاه ، فوقع تحت طائلة منافستهم حتى قتلوه . انظر : أبو شامة (شهاب الدين) : الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، جزءان فى مجلد واحد ، القاهرة (مطبعة وادى النيل) ١٢٨٧هـ ، ص ٢٤٧ ، عباس العزاوى : التعريف بالمؤرخين ، ص ٨٤ - ٨٥ .

(٩٣) وقد أفرد المؤرخ لذكر الاحداث التى تبدأ بعام ١١٩٤م/٥٩٠هـ أى بعد وفاة صلاح الدين وحتى وفاة المؤرخ (١٢٦٧م/٦٦٥هـ) . وان كان قد أوجز فى سرد هذه الاحداث ، فقد جاء كتابه فى المقام الاول كتراجم لمن توفى من أعلام المسلمين فى هذه الفترة . وقد نشره السيد عزت العطار تحت عنوان « تراجم رجال القرنين السادس والسابع » طبعة ثانية ، بيروت ١٩٧٤ .

المؤرخ ابن واصل (٩٤) . الذى يعتبر كتابه « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » أهم مصدر عربى يتضمن تاريخ ملوك بنى أيوب منذ ظهورهم على مسرح الاحداث فى الشرق الادنى الاسلامى وحتى نهاية دولتهم على ايدى المماليك . ويتميز كتاب ابن واصل عن كتب من سبقوه ممن أرخوا للدولة الايوبية مثل العماد الاصفهانى وابن شداد وابن الاثير ، وكتب من عاصروه وكتبوا تاريخ هذه الدولة حتى نهايتها مثل سبط بن الجوزى وابن العديم وأبى شامة وأبى الفدا ، فى أن بعض هذه الكتب أرخ لصدر الدولة الايوبية وسنواتها ، الاولى ، أو لمنشئها ومؤسسها ، أو للنصف الاول منها فحسب ، والبعض الآخر لم يقصد مؤلفوه الى التاريخ لبنى أيوب قصدا ، وإنما استهدف وضع تواريخ عامة ، أو تواريخ مدن ، منهجها التاريخ للعالم الاسلامى جملة ، سنة بعد سنة ، وما تضمنته من تاريخ بنى أيوب هو جزء من كل (٩٥) . وقد أرخ لبنى أيوب مؤرخون آخرون لاحقون لابن واصل نعرف منهم عز الدين العسقلانى صاحب كتاب « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » ، الا أنه لا يرقى الى مرتبة كتاب ابن واصل : فابن واصل مفصل وهذا موجز ، وابن واصل معاصر وهذا متأخر عنه ، الى جانب

(٩٤) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل الحموى . ولد فى عام ١٢٠٨م / ٦٠٤هـ فى مدينة حماة ، ومات فى عام ١٢٩٨م / ٦٩٧هـ . طوف ببلدان الشرق الادنى الاسلامى وشاهد حملة لويس التاسع على مصر وهو فى القاهرة وشاهد انتهاء الدولة الايوبية وقيام الدولة المملوكية . له مؤلفات عديدة منها « التاريخ الصالحى » الذى يبدأ بعهد آدم عليه السلام وينتهى بذكر مناقب الملك الصالح نجم الدين أيوب . وأهم مؤلفاته « تاريخ الواصلين » أو « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » وقد نشر الدكتور جمال الدين الشيال جانباً منه فى ثلاثة أجزاء (حتى سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م) ونشر الدكتور محمد حسنين ربيع الجزئين الرابع والخامس من الكتاب (حتى سنة ٦٤٥هـ / ١٢٤٨م) تحت اشراف الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور . أما الجزء الباقي من المخطوط فلم يتوفر لنا الرجوع اليه لوجوده فى مركز تحقيق التراث (تحت النشر والتحقيق) . ولمزيد عن حياة ابن واصل وأعماله ، انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٤ ، وما بعدها ، جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٢٥ وما بعدها .

(٩٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٥ .

أنه اعتمد على ابن واصل ونقل عنه . فلا غرو أن يكون كتاب ابن واصل محل اعتماد كثير من المؤرخين المسلمين بعده مثل بيبرس المنصوري واليونيى وأبى الفدا والذهبى والعينى وابن الفرات والمقرئزى وابن تغرى بردى . كما ترجع أهمية كتاب ابن واصل الى أنه عاصر العهد الايوبى كله بعد وفاة صلاح الدين الى جانب معاصرته لبدائيات العهد المملوكى ، وعاش متنقلا بين بلدان الشرق الادنى الاسلامى وعواصمه ، وخاصة دمشق وبيت المقدس وحلب والكرك وبغداد ومكة والمدينة والقاهرة ، وكلها مدن وعواصم شاهدت الحكم الايوبى وكان لغالبيتها علاقات مباشرة مع الصليبيين فى مصر وبلاد الشام . وشاهد ابن واصل فى ترحاله بين هذه المدن كثيرا من الاحداث التى كتب عنها وشارك فى بعضها ، مما يجعل من روايته مصدر ثقة ومنحها الاصاله التاريخية . وبالنسبة لموضوع البحث فقد أمدنا ابن واصل بمعلومات وفيرة عن صلاح الدين تجاه اماره انطاكية قبيل حطين ، وعلاقة بوهيمند بالمسلمين حتى نهاية عهده . كما تتبع ابن واصل بدقة بالغه تطور العلاقات بين الظاهر غازى صاحب حلب وعمه العادل فى مصر مما ساعد على التأكد من حاجة كل من بوهيمند الرابع والملك الظاهر الى تحالف كل منهما مع الآخر ، وأن هذا التحالف لم يكن فى صالح طرف دون آخر . وقد انفرد ابن واصل بذكر عدة أحداث تتعلق بموضوع البحث بصورة مباشرة ، ولم يتعرض لها أى من المؤرخين المعاصرين أو المتأخرين زمنيا على حد سواء . من ذلك محاولة بوهيمند الثالث لاسترداد جبلة واللاذقية من أيدي المسلمين فى عام ١١٩١م/٥٨٧هـ . ثم غارة ليو الارمينى على اقليم العمق خارج سور انطاكية الشمالى فى نهاية عام ١٢٠٢م/منتصف عام ٥٩٩هـ . كما انفرد أيضا بذكر محاولة ليو لدخول انطاكية فى ٣ ديسمبر ١٢٠٣م/٢٧ ربيع اول ٦٠٠هـ ، الامر الذى فشل فى تحديده كلود كاهن رغم استشاده برواية ابن واصل ، بينما حدد ابن العديم العام التالى - خطأ - تاريخا لهذه المحاولة . كما انفرد ابن واصل بذكر غارة قوات الاسبتارية على اللاذقية وجبلة فى ربيع عام ١٢٠٥م/٦٠١هـ ، ونقلها عنه المقرئزى وغيره من المؤرخين المتأخرين زمنيا . كما تعرض ابن واصل لأحوال اماره انطاكية الصليبية فى وقت تركز فيه اهتمام المؤرخين الصليبيين فى ذكر أحوال الفرنج فى عكا وفلسطين دون شمال الشام . فقد انفرد ابن واصل بتوضيح طبيعة العلاقة بين الداوية وليو الارمينى واتفاق الطرفين على عدم تعرض

الداوية - حلفاء بوهيمند الرابع - للارمن حين يدخلون انطاكية لانتزاعها من رجال بوهيمند في ١٢١٦م/٦١٣هـ . كما أوضح ابن واصل السبب في تخلى سكان أنطاكية عن بوهيمند الرابع في صراعه ضد الارمن ، مما سهل سقوط مدينتهم في أيدي الاخيرين حينما أوضح سوء العلاقات بين سكان انطاكية وأميرهم الذي عاملهم بجور وظلم . وهكذا كانت المصادر العربية - خاصة في القرن ١٣م/٧هـ - مصدر معلوماتنا بالنسبة لأحوال الصليبيين في شمال الشام ، وقدمت لنا معلومات تاريخية لم ترد في المصادر الصليبية مما يشكل تطورا في الكتابة التاريخية الصليبية المعاصرة . ورغم كل ذلك ، فهناك ما يؤخذ على ابن واصل وسائر المؤرخين المسلمين . فقد غلب الإيجاز الشديد على كتابات هؤلاء عن الاحداث التي وقعت بدءا من العقد الرابع من القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري في بلاد الشام ، بينما حظى الحديث عن الخوارزمية والمغول بالنصيب الأكبر من حديث هؤلاء لدرجة أن أغفل الجميع ذكر حملتي تيبالد وكورنول الصليبيتين في عام ١٢٣٩م/٦٣٧هـ والعام التالي له ، ولم يذكرهما غير كاتب تاريخ هرقل ومخطوط روتلان . وليس معنى ذلك أن الكتابة التاريخية الصليبية قد تفوقت على مثيلتها العربية ، فلم يسد النقص في الكتابة الصليبية المعاصرة والتي دونت في بلاد الشام سوى ما ورد في الحوليات الاوربية مثل حولية متى الباريزي وكتابات مارينو سانودو وقنسنت دي بوفيه وغيرهم ، بينما كان العدد الوفير للأعمال التاريخية الاسلامية اثر كبير في أن تكون المصادر الاسلامية هي مصدر معلوماتنا الاول فيما يتعلق باحداث القرن ١٣م/٧هـ كله التي جرت في بلاد الشام . فكان كل من هذه المصادر الاسلامية مكمل للآخر ، يمدنا بمعلومات لم ترد في غيره منها ، وهذا ساعد على الالمام بكل ما جرى من علاقات بين الصليبيين والمسلمين خلال عهد الدولة الايوبية الذي امتد قرابة مائة عام ، ولم يكن يتوفر الوقوف على كل أحداثه اعتمادا على مصدر اسلامي واحد .

واذا كانت بعض المصادر العربية قد أرخت للدولة الايوبية بصفة خاصة ، وبعضها أرخ لهذه الدولة ضمن ما سجله من تاريخ عام ، فقد قامت هذه المصادر بدورها في سد النقص الذي خلفه من أرخو لدولة بني ايوب من المعاصرين . ومع أن كم المعلومات التاريخية التي وردت في هذه المصادر لا يرقى لما ورد منها في تاريخ ابن واصل ، إلا أنها (هذه

المصادر) أمدتنا بمعلومات دقيقة كان لها أثر في الاخذ برأى دون الآخر أو الفصل في احدى القضايا التى تناولها البحث بالدراسة . ومن هذه المصادر كتاب عز الدين العسقلانى الذى يحمل عنوان « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » (٩٦) الذى أورد رواية أكثر تفصيلا وأكثر دقة مما أورده غيره من المؤرخين ساعدت على تحديد تواريخ الحملة الهنغارية على قلعة جبل الطور فى نهايات عام ١٢١٧م / ٦١٤هـ والتى تسبب بوهيمند الرابع أمير انطاكية فى افسالها حرصا منه على استرداد انطاكية من أيدي الارمن . كما ساعدت دقة تتبعه لتحركات الملك الكامل على تحديد التاريخ الصحيح لغارة قوات الاسبتارية على بعرين (١٢٣٤م / ٦٣١هـ) . وهناك أيضا كتاب ابن نظيف الحموى الذى يحمل عنوان « التاريخ المنصورى » (٩٧) الذى تحدث بافاضة عن أحوال بنى أيوب

(٩٦) هو قاضى القضاة عز الدين أبو البركات أحمد بن ابراهيم ابن نصر الله ابن أحمد الكنانى العسقلانى المصرى الحنبلى . ولد بالقاهرة فى عام ١٣٩٧م / ٨٠٠هـ وتوفى عام ١٤٧١م / ٨٧٦هـ . وكان قاضى قضاة الحنابلة . وله مؤلفات عديدة أهمها « شفاء القلوب » الذى أهداه لمن يسمى العادل من ملوك الايوبيين المتأخرين فى حصن كيفا . وجعله كتاب تراجم لا حوليات فقد قسم ملوك بنى أيوب الى طبقات ، وترجم لهم طبقة بعد طبقة بعد أن ذكر أصل البيت الايوبى . أنظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٦ - ٧ ، عباس العزاوى : التعريف بالمؤرخين ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٩٧) هو أبو الفضائل محمد بن على بن عبد العزيز بن مزهر ابن بركات بن على بن نظيف الحموى . لانعرف عنه سوى أن موطنه الاصلى هو مدينة حماة . كان شخصية بارزة فى مجتمعه . فقد شغل منصب كاتب وزير دولة الملك الحافظ بن العادل صاحب قلعة جعبر (ت ١٢٤١م / ٦٣٩هـ) الذى ساءت علاقته بابن نظيف فاعتقله فى حبسه لمدة عامين (١٢٢٩ - ١٢٣١م / ٦٢٦ - ٦٢٨هـ) حتى تشفع فيه الملك المجاهد صاحب حمص (ت ١٢٤٠م / ٦٣٧هـ) فالتحق بخدمته وأهدى تاريخه الى الملك المنصور بن المجاهد (ت ١٢٤٦ / ٦٤٤هـ) وسماه باسمه (التاريخ المنصورى) اعترافا منه بفضل أبيه عليه . ولابن نظيف عدة أعمال لم يعرف منها سوى اثنان الاول بعنوان « مختصر سير الاوائل والملوك ووسيلة العميد الملوك » بداه فى عام ١٢٣٥ - ١٢٣٦م / ٦٣٣هـ ، وهى =

ليس فقط في مصر وبلاد الشام وإنما أيضا في العراق وإقليم الجزيرة وآسيا الصغرى . كما أمدنا بمعلومات حامة عن أحوال الصليبيين في أنطاكية لم ترد في صفحات المصادر الصليبية نفسها . وساعدت هذه المعلومات على إيضاح موقف بوهيمند الرابع من حملة الإمبراطور فريدرىك الثانى الصليبية حين أفصح عن حدوث صلح بين بوهيمند وجماعة الاسبتارية توسط لاتمامه مندوب الإمبراطور قبل حضور فريدرىك الى الشرق ، الامر الذى أدى الى ميل بوهيمند الى صف الإمبراطور فى بداية الامر وقيامه بزيارته حين حضر الى جزيرة قبرص .

ويضاف الى هؤلاء كتاب « البستان الجامع لجمع تواريخ الزمان » الذى وضعه مؤلف مجهول (٩٨) اعتمد فى الجزء الاول من تاريخه على تاريخ العظيمنى وتاريخ ابن القلانسى ، الا أنه أورد معلومات ترجع أصولها الى مصادر أصلية أخرى . وهو يعالج تاريخ بلاد الشام

= السنة التى ترك فيها حمص عائدا الى حماة . والثانى هو « الكشف والبيان فى حوادث الزمان » وهو مفقود . أما « التاريخ المنصورى » فهو تلخيص الكشف والبيان قام به المؤرخ فى عام ١٢٣٣م/٦٣١هـ . وبدايته موجزة جدا استند فيها المؤرخ على كثير من أعمال من سبقه من المؤرخين خاصة العظيمنى . الا أنه اعتمد على ما شاهده بدءا من عهد خلفاء صلاح الدين . وقد نقل كثير من المؤرخين عن ابن نظيف دون أن يذكروا اسمه مثل المقرئى وابن واصل ، بينما ذكر اسمه كل من ابن الفرات وابن العبرى . انظر : ابن نظيف (أبو الفضائل) : التاريخ المنصورى تحقيق أبو العيد دودو ، دمشق ١٩٨١م/١٤٠١هـ ، (مقدمة المحقق) ص ٩ وما بعدها .

(٩٨) لا نعرف شيئا عن هذا المؤرخ سوى أنه عاصر عهد صلاح الدين وعاش فى حلب وفى مصر ، وأنه ربما كان قاضيا ويحمل اسم عماد الدين الأصفهاني الا أنه - من المؤكد - مجرد سمى للمؤرخ المشهور . وقد نشر المؤرخ الفرنسى كلود كاهن جزءا من هذا التاريخ (فى مجلة الدراسات الشرقية عن مخطوط موجود فى مدينة اسطنبول) وهو الجزء المعاصر لفترة الحروب الصليبية وحتى نهاية عهد صلاح الدين . انظر :

Claud Cahen, Bustan Al-Djami Li Djami Twarkizaman, in B.E.O., Vol. 8, 1938 pp. 113-114,

بصفة أساسية ، ثم تاريخ مصر في المرتبة الثانية . ويعالج التاريخ العام لدولة الإسلام وحتى نهاية عصر صلاح الدين . وقد بدأ المؤرخ المجهول في وضع كتابه في حلب في عام ١١٩٦م/٥٩٢هـ وانتهى من كتابته في العام التالي في مصر ، ومن تشابه روايته مع روايات كل من ابن أبي طيء (ولد في عام ١١٧٩م/٥٧٥هـ) وابن الفرات وأبى شامة وابن واصل وابن خلكان ، ولأن كلا من ابن الفرات وأبى شامة يؤكد أنه نقل عن ابن أبي طيء ، فيمكن الأخذ بأن هناك مصادر معلومات مشتركة بين مؤلف البستان الجامع وبين ابن أبي طيء ، وأن ابن واصل وابن خلكان قد نقلوا عن البستان الجامع (٩٩) . وبالنسبة لموضوع البحث ، نقد أمدنا مؤلف « البستان الجامع » فيما أورده ببعض المعلومات الدقيقة . فقد انفرد بتحديد عدد أسرى المسلمين الموجودين في انطاكية الذين عرض بوهيمند الثالث تسليمهم إلى صلاح الدين نظير عقد الهدنة معه ، حين حاصر صلاح الدين أنطاكية في عام ١١٨٨م/٥٨٤هـ . إلى جانب ذلك فقد أمدنا مؤرخ البستان بمادة وفيرة عن علاقة صلاح الدين بالحملة الصليبية الثالثة ، وأيضا علاقة الأرمن بكل من المسلمين في حلب وبغراس والصليبيين في انطاكية .

وإذا كان هناك من المؤرخين المسلمين من أرخ لصدر الدولة الأيوبية أو لعهدا كله ، فهناك من أرخ لنهايات هذه الدولة . فقد وضع ابن العميد (١٠٠) تاريخا يعالج الأحداث التي جرت في عهد الدولة الأيوبية

Cahen, La Syrie du Nord, p. 45.

(٩٩)

(١٠٠) وهو جرجس أو عبد الله بن أبي اليسير الملقب بالمكنين . ولد في عام ١٢٠٦م/٦٠٢هـ في القاهرة ومات بها في عام ١٢٧٤م/٧٦٢هـ . أتت أسرته من العراق إلى مصر ، زمن الخليفة الفاطمي الأمر واتخذت من التجارة مهنة لها إلى جانب تولي بعض أفرادها لبعض الوظائف الكنسية ووظائف الإدارة . ومات والد المكنين وهو موظف كبير في ديوان الجيش . وفي وقت غير معلوم ، غادر المؤرخ مصر إلى دمشق وبقي بها حتى الفتح المغولي لبسلاد الشام . وفي عام ١٢٦٠م/٦٥٨هـ لجأ إلى صور بعد أن هرب الناصر يوسف الأيوبي من دمشق أمام الزحف المغولي . ثم عاد ابن العميد إلى دمشق مرة أخرى ، وربما قد تم حبسه ، لوجود علاقة بينه وبين المغول ، لدى حكام المماليك في دمشق في نفس العام . ولهذا اعتقد الكثيرون أن تاريخه توقف بحبسه . إلا أنه أتمه حتى أحداث عام ١٢٦٢م/٦٦٠هـ وقد نشر كلود كاهن الجزء =

وامتد حتى السنوات الاولى من عهد المماليك . ولم يكن هذا التاريخ قد حظى باهتمام المؤرخين حتى وقت قريب (١٠١) ، وربما يرجع ذلك الى أن الجزء الاول منه وحتى موت صلاح الدين لم يتمتع بنفس حجم وثناء تواريخ معاصريه مثل ابن واصل وسبط بن الجوزي اللذين يظلمان ، بالنسبة لكل المؤرخين اللاحقين لهما ، المصدران الاساسيان للمعلومات . الا أن تاريخ ابن العميد كمصدر معلومات ثانوى فانه يحتل مكانة عظيمة بين كل هؤلاء . فأسلوبه المبسط يتيح له أن يسرد الكثير من الاخبار في سطور قليلة . ولا تقل معلوماته أهمية - ولا تختلف في أساسها - عن المعلومات التي نجدها في أعمال معاصرة أخرى ، وتستند كما هو واضح الى روايات رسمية من نفس النزع ، ومع ذلك فانها مستقلة عن التواريخ

= الهام من تاريخ ابن العميد (بدءا من عهد الملك الكامل وحتى بداية عهد بيبرس) في مجلة الدراسات الشرقية تحت عنوان « تاريخ الايوبيين » عن مخطوطات بمدينة اسطنبول . انظر :

Claud Cahen, La Chronique des Ayyoubides d'Al-Makin B. Al-Amid, in B. E.O., Vol. 15, 1955-57, pp. 109-112

(١٠١) كان من الطبيعي أن يصل تاريخ ابن العميد (المؤرخ المسيحي) المدون باللغة العربية الى أوروبا قبل أعمال المؤرخين المسلمين . ووسط حالة الجهل بين الاوربيين ، فقد كان تاريخ ابن العميد يحمل معلومات قيمة عن الاسلام رغم ما في هذا التاريخ من ثغرات . وقد نشر تاريخه لأول مرة في عام ١٦٢٥م ، الا أن هذا النشر قد توقف عند أحداث عام ٥١٢هـ / ١١١٧ - ١١١٨م بلوت الناشر ارينيوس Erpennius ولهذا اعتقد المؤرخون لمدة ثلاثة قرون بعد ذلك أن تاريخ ابن العميد ينتهى بأحداث العام المذكور ، حتى اكتشف كلود كاهن مخطوطا في اسطنبول يمتد حتى عام ١٢٦٠م / ٦٥٨هـ لنفس التاريخ الذي وضعه ابن العميد وأيضا مخطوطتين أخريين في مكتبة البودليان باكسفورد ومكتبة المتحف البريطانى الذين يمتد النص التاريخي فيهما حتى أحداث عام ١٢٦٢م / ٦٦٠هـ فنشر كلود كاهن من أحد المخطوطين الاخيرين (المتشابهين) الجزء الذي رجعنا اليه (منذ عهد العادل وحتى بداية عهد بيبرس) في عام ١٩٥٤م . وكان كاهن قد رجع في بحثه عن شمال سوريا في عام ١٩٤٠م لمخطوط اسطنبول الذي يتوقف بأحداث عام ١٢٦٠م / ٦٥٨هـ . انظر :

Cahen, La Chronique d'Ayyoubides, pp. 109-110.

الأخرى وتضيف إليها أو تعدل في كثير من تفاصيلها . ويختلف تاريخ ابن العميد عن تواريخ متاخرية من المؤرخين الشاميين (ابن واصل ، والسبط) بأنه أكثر مصرية عنه شامية . ولولا النصوص الخاصة بسيرة المؤرخ الذاتية ، والفقرات الموجزة جدا عن البطيريركية القبطية والاهتمام بتحويل التواريخ الهجرية الى تقويم الشهداء (التقويم القبطى) ، لما أمكن أن ينسب تاريخ ابن العميد الى مؤرخ غير مسلم . ومن المؤكد أن تاريخ ابن العميد قد عرف لدى المؤرخين المصريين المتأخرين مثل شافع بن على والنويرى وابن دقماق وابن الفرات والمقريزى الذين نقلوا عنه كثيرا الى جانب المفضل بن أبى الفضائل الذى أكمل هذا التاريخ . وبالنسبة لموضوع البحث فان تاريخ ابن العميد - خاصة فى الاجزاء الاخيرة منه - قد أمدنا بتفاصيل دقيقة ومعلومات هامة عن أحوال الايوبيين فى مصر وبلاد الشام . كما أنه يعتبر أدق من كتب من المؤرخين العرب عن أحوال المسلمين (الايوبيين) فى مختلف بلدان الشرق الادنى الاسلامى ، بصفة عامة ، وبلاد الشام ، بصفة خاصة ، وقت الغزو المغولى للمنطقة . كما ساعد تتبعه الدقيق لتحركات المغول فى الوقوف على حقيقة موقفهم من الصليبيين فى فلسطين ، وأكد استحالة قيام تحالف بين الطرفين الامر الذى يعد من أهم القضايا التى تناولها البحث بالدراسة ، وتتمتع رواياته عن فترة الغزو المغولى بالاصالة نظرا لمعاصرتة لاحداثها .

والى جانب كل هؤلاء ، فقد تناول تاريخ الدولة الايوبية عدد آخر من المؤرخين المسلمين ضمن ما كتبوه عن تاريخ العلاقات بين الصليبيين والمسلمين بصفة عامة ، وكان تاريخ العلاقات بين الطرفين يحتل جزءا كبيرا من صفحات كتب هؤلاء . وبالرغم من عدم تخصيص هؤلاء المؤرخين أعمالهم لسرد تاريخ الايوبيين وحده ، فقد أمدتنا تواريخهم بمعلومات وفيرة ودقيقة عن أحوال بنى أيوب خاصة بعد صلاح الدين ، والخلافات التى وقعت بين أفراد البيت الايوبى ، وكذلك بعض الوقائع التى جرت بين الصليبيين والمسلمين . ومن هؤلاء كان سبط بن الجوزى صاحب كتاب « مرآة فى تاريخ الاعيان » (١٠٢)

(١٠٢) هو يوسف قزاقلى بن عبد الله أبو المظفر شمس الدين الفقيه سبط الحافظ أبو الفرج سبط بن الجوزى ، ولد ببغداد فى عام =

وأبو الفدا الحموى صاحب كتاب المختصر فى أخبار البشر (١٠٣) .

وبانتهاء الدولة الايوبية وقيام دولة المماليك فى مصر ، ودخول بلاد الشام فى حوزة المماليك تتوقف تقريبا كل التواريخ العربية التى مررت تاريخ المسلمين تحت حكم بنى أيوب فى الوقت الذى لم يتبق فيه من الكتابة التاريخية الصليبية التى دونت فى بلاد الشام غير كتاب مآثر القبارصة بعد انتهاء تواريخ مكملى تاريخ وليم الصورى ، بقيت الكتابة

= ١١٨٦م/٥٨٢هـ ومات فى دمشق فى عام ١٢٥٦م/٦٥٤هـ . تتلمذ على يد جده ابن الجوزى ونسب اليه . عمل بالوعظ بمدينتى حلب ودمشق ، وكان مقربا من الظاهر غازى صاحب حلب ومن بعده المعظم عيسى صاحب دمشق . وكتابه عبارة عن تاريخ جامع يبدأ منذ الخليفة وينتهى قبل موت المؤرخ بسنوات قليلة . اعتمد فيما يخص الفترة السابقة عليه على كتاب المنتظم الذى وضعه جده الى جانب ابن القلانسي ، وابن الاثير وغيرهم . وقد رجعنا الى القسمين الاول والثانى من الجزء الثامن من تاريخه الذى نشر فى الهند (١٩٥١ - ١٩٥٢م) انظر : عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٠٣ ، عباس والعزاوى ، التعريف بالمؤرخين ، ص ٦٩ وما بعدها .

(١٠٣) هو الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن محمود . ولد بدمشق فى عام ١٢٧٣م/٦٧٢هـ ومات بحماة فى عام ١٣٣١م/٧٣٢هـ . كان أبو الملك الافضل على من وجوه البيت الايوبى فى حماة ، ولم يكن ملكا فعلا وانما كان يشارك فى الحكم عن بعد ويستشار فى الاسور . شارك أبو الفدا أباه والسلطان المنصور قلاوون فتح المرقب (٦٨٣هـ) وفتح طرابلس (٦٨٨هـ) ، ومع السلطان الاشرف فتح عكا (٦٩٠هـ) وفى ٧١٠هـ/١٣١١م تولى أبو الفدا الحكم فى حماة نائبا عن المماليك وظل كذلك حتى وفاته . والى جانب اشتغاله بالسياسة كان محبا للعلم ، ماهرا فى الفقه والتفسير والشعر . وله تصانيف كثيرة . وتاريخه المختصر ، يبدأ بذكر الانبياء من آدم عليه السلام الى محمد عليه الصلاة والسلام . ثم يتعرض للوك الامم من الفرس والفراعنة قبل الاسلام ثم بدأ يسرد التاريخ الاسلامى واعتمد على كثير من المؤرخين بالنسبة للفترة السابقة عليه ، مثل الطبرى وابن الاثير وابن مسكويه وابن أبى الدم وابن خلكان وابن واصل والصنهاجى والنسوى وغيرهم . ويشمل تاريخه كل بلاد الاسلام ، ويوجه المؤرخ عناية خاصة بملوك حماة من أهل بيته منذ أيام تقى الدين عمر الى أيامه هو . انظر : صلاح الدين المنجد : أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ١٣ - ٣٨ .

التاريخية العربية هي المتفوقة في مجال سرد تاريخ الحروب الصليبية ، وذلك بفضل وجود من يهتم من المؤرخين المسلمين بسرد تاريخ الدولة المملوكية التي حلت محل دولة بنى أيوب في القيام بمهمة الجهاد ضد الوجود الصليبي المغولى في بلاد الشام ، والتي قدر لها أن تكون صاحبة الفضل في تخليص الشرق الأدنى الاسلامى من المستعمر الصليبي نهائيا . ويرجع الفضل في استمرار تفوق الكتابة التاريخية العربية على مثيلتها الصليبية طوال بقية القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى الى اثنين - فى المقام الاول - من مؤرخى المماليك . الاول منهما هو ابن عبد الظاهر (١٠٤) صاحب كتابى « الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر » و « تشرىف الايام والعصور فى سيرة الملك المنصور » والثانى هو شافع بن على (١٠٥) صاحب كتابى « حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة

(١٠٤) هو القاضى محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان عبد الظاهر السعدى المصرى . ولد فى القاهرة فى عام ١٢٢٣م/٦٢٠هـ ومات فى عام ١٢٩٢م/٦٩٢هـ كان كاتباً فى ديوان انشاء سيف الدين قطز ومن بعده الظاهر بيبيرس ورافق قطز فى حملته على سوريا ضد المغول ، وسرعان ما اتصل ببيبيرس . وحاز ثقته بعد تولى الاخير الحكم فى مصر وأصبح كاتب سره . واستمر محيى الدين فى منصبه بديوان الانشاء حتى بدايات حكم المنصور قلاوون . ووضع - الى جانب سيرتى بيبيرس وقلاوون - كتاباً عن مسيرة الاشرف ابن قلاوون . والحوادث فى كتابيه عن بيبيرس والمنصور قلاوون مرتبة حسب السنوات وكثيراً ما يضع الكاتب عناوين للاحداث . وأتاحت وظيفة محيى الدين له أن يقف على وثائق دولتى بيبيرس وقلاوون ومقابلة من شاركوهما فى الحكم . وخرج مع كل منهما فى حملاته . الى جانب ذلك ، فقد كانت له مصادر معلومات شفوية مثل روايات بيبيرس عن الاحداث التى لم يشاهدها محيى الدين الى جانب روايات قضاة بيبيرس ونوابه . ومنها بعض المصادر الاسلامية المتقدمة على عصره والتى استقى منها المعلومات عن كثير من مدن الشام مثل كتب البلاذرى وابن الاثير وأسامة بن منقذ والسمعانى وغيرهم . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦م ، (مقدمة المحقق) ص ٥ وما بعدها .

(١٠٥) هو ناصر الدين شافع بن على بن عباس بن اسماعيل بن عساكر الكنانى المصرى ، ولد فى مصر فى عام ١٢٤٢م/٦٤٩هـ ومات فى عام ١٣٣٠م/٧٣٠هـ . وهو ابن شقيقة محيى الدين ابن عبد =

الظاهرية « و « الفضل الماثور في سيرة السلطان الملك المنصور » . وواضح من العناوين التي تحملها أعمال كل من المؤرخين أنهما أرخا لعهدى كل من السلطان الظاهر بيبرس والسلطان المنصور قلاوون . ومثل ما كان وجود ابن شداد والعماد الاصفهاني في ديوان صلاح الدين قد جعل تسجيلهما لتاريخ صلاح الدين ثبوتا واضحا لأعماله وانجازات دولة بنى أيوب في عهده ، فان وجود ابن عبد الظاهر وشافع بن على في ديوان الانشاء المملوكى يعد تكرارا لما حدث في عهد صلاح الدين . فالظروف متشابهة في الحالتين ، فالمسلمون في نضالهم ضد الصليبيين في كلا الحالتين ، والمواقع متتالية بين الصليبيين والمسلمين وانتصارات المسلمين بدورها متتالية . وهكذا تضمنت تواريخ معاصرى صلاح الدين ومعاصرى بيبرس العديد من أهم أحداث تاريخ الحروب الصليبية وان زادت الاحداث في كتب معاصرى المماليك بدخول المغول في دائرة الصراع أمام بيبرس وقلاوون . وهكذا تمتعت المادة التاريخية في أعمال كل من ابن عبد الظاهر وشافع بن على - كما تمتعت نفس الكتابة في أعمال كل من ابن شداد والعماد

= الظاهر . بدأ حياته العملية مساعدا لخاله في ديوان الانشاء ولابنه فتح الدين بن عبد الظاهر بعسده . ثم تولى هو نفس الوظيفة حتى عام ١٢٨١ - ١٢٨٢م وكتابه عن حياة بيبرس ما هو الا مختصر لكتاب خاله (الروض الزاهر) بدأه بعد موت خاله وأتمه في ١٣١٧م/٧١٧ . وأضاف . الى كتاب خاله ما لم يرد فيه من معلومات عمد محيى الدين الى اغفالها . وكثيرا ما أشار الى ذلك قبل ذكر الواقعة التي يضيفها وكثيرا ما نبه القارئ الى بعض مداخل الضعف في بعض معلومات محيى الدين قبل أن يصححها هو فجاء كتابه نقدا وتصحيحا لكتاب محيى الدين . وقد نشره عبد العزيز الخويطر في عام ١٩٧٦م ، كما رجعنا في بعض المواضع الى نسخة المخطوط الموجودة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٢٤) أما عن كتابه « الفضل الماثور » عن حياة المنصور قلاوون فلازال مخطوطا ، ويبدأ بالحديث عن أصل أسرة قلاوون ، وحياة المنصور الاولى ، وعلاقته بكل من قطز وبيبرس وينتهى بموت المنصور وبدايات حكم ابنه الاشرف . وقد رجعنا في ذلك الى نسخة المخطوط الموجودة بمكتبة البودليان باكسفورد تحت رقم (٤٢٤) . وعن حياة شافع بن على ، انظر : شافع بن على حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦م ، (مقدمة المحقق) ص ١٤ ، وما بعدها .

الاصفهانى - بالاصالة والقيمة التاريخية لكون المؤرخين معاصرين وشاهدى عيان لكل ما كتب عنه ، ومشاركين فيه أيضا ، من أحداث . وفى الحقيقة ، فانه بالنسبة لموضوع البحث من الاجدى تناول أعمال كل من ابن عبد الظاهر وشافع بن على - خاصة فيما يتعلق بأعمالهما عن عهد بيبرس - فى آن واحد . ومن الانصاف - قبل قيامنا بذلك - ألا نغفل وضع كتاب ابن عبد الظاهر فى حياة مخدومه السلطان بيبرس ، وأن ذلك ألزم الكاتب - الى حد ما - بالميل الى جانب بيبرس فى كثير من الاحيان ، وأن شافع بن على الذى وضع كتابه بعد وفاة ابن عبد الظاهر (بعد عام ١٢٩٢م / ٦٩٢هـ) تخلص بذلك من هذا الالتزام وجاء كتابه الى جانب كونه تلخيصا لكتاب ابن عبد الظاهر ، نقدا وتصحيحا له الى جانب كونه توضيحا لما شاب بعض جوانبه من غموض . فبينما كان ابن عبد الظاهر حريصا ، منذ بداية تاريخه ، على ابراز دور بيبرس فى مقاومة المغول والفرنج حتى فى تعرضه للأحداث التى جرت فى عهد السلطان سيف الدين قطز . بما فى ذلك انتصار المسلمين على المغول فى عين جالوت وتحرير مدن الشام من الاحتلال المغولى ؛ فقد كان شافع بن على منصفاً لسيف الدين قطز بنفس القدر الذى مال به ابن عبد الظاهر الى جانب بيبرس . وبالنسبة لانجازات بيبرس ضد الفرنج ، فان كتاب ابن عبد الظاهر يعد ثبوتا دقيقا لهذه الانجازات ، ولسياسته الداخلية فى مصر والخارجية توطئة لتوجيه جهوده ضد الفرنج فى بلاد الشام الامر الذى ساعد كثيرا على تتبع سياسة الممالك تجاه امارة أنطاكية بعد عين جالوت ، وحتى استردادهم مدينة أنطاكية وقضائهم على الوجود الصليبي فى شمال الشام . ولا يقلل من دقة وأهمية كتاب شافع بن على سوى ما أمله طبيعة كتابه كمختصر لكتاب ابن عبد الظاهر من اختصار بعض الأحداث أو حذفها بالمرّة . وبينما أخطأ كتابه كمختصر لكتاب ابن عبد الظاهر حين قرر أن الفرنج قد استولوا على ميناء السويدية من صليبيى أنطاكية فى يوليو ١٢٦٢ / رمضان ٦٦٠هـ ، فقد كان شافع أكثر دقة حين قرر أن المسلمين قد اكتفوا بالاغارة على الميناء واحرقوا بعض السفن الراسية فيه . الى جانب ذلك ، فقد انفرد شافع بذكر محاولة هيثوم الاول ملك الارمن لعقد الصلح مع بيبرس (فى عام ١٢٦٣م / ٦٦١هـ) الذى رفض ذلك ، الامر الذى دفع كلا من هيثوم وبوهيمند السادس أمير أنطاكية الى اللجوء الى هولاكو طلبا لمساعدته لهما ضد الممالك ، فى

الوقت الذي سعى فيه كل قادة الفرنج في بلاد الشام الى الحصول على امنهم وسلامتهم من بيبرس ، فتم عزل امارة انطاكية عن بقية الصليبيين ، مما سهل سقوطها في أيدي بيبرس بعد خمس سنوات دون مساعدة تصلها من بقية الفرنج .

وبينما أخطأ شافع في تحديد تاريخ حملة المماليك على أرمينيا (سبتمبر ١٢٦٦م/ ذى الحجة ٦٦٤هـ) ، فقد كان ابن عبد الظاهر أكثر دقة وتوفيقا في تحديد هذا التاريخ (٨ أغسطس ١٢٦٦م/ ٥ ذى القعدة ٦٦٤هـ) . وحين نصل الى ذكر سقوط أنطاكية في أيدي المماليك وخطة بيبرس لتحقيق ذلك ، لا نجد رواية من روايات سائر المؤرخين ، لاتين كانوا أم مسلمين ، تدانى رواية ابن عبد الظاهر ، التي شفعا بنص الخطاب الذي بعث به بيبرس الى بوهيمند السادس يعلمه فيه بما آل اليه مصير مدينة أنطاكية عاصمة امارته الصليبية . وكما ساعدت رواية ابن عبد الظاهر في تحديد التاريخ الصحيح الذي بدأ فيه حصار المسلمين للمدينة (الاربعاء ١٥ مايو ١٢٦٨م/ أول رمضان ٦٦٦هـ) - في حين يضعه كل من جروسية ورنسيماي خطأ في ١٤ مايو/ ٣٠ شعبان من نفس السنة ، وذلك حسب ما جاء في خطاب بيبرس الى بوهيمند . ومن رواية ابن عبد الظاهر أيضا نقف على التاريخ الصحيح لسقوط مدينة أنطاكية في أيدي المسلمين (الاحد ١٨ مايو ١٢٦٨م/ ٥ رمضان ٦٦٦هـ) ، في الوقت الذي فشلت فيه المصادر الصليبية في تحديد ذلك التاريخ الصحيح ، ونفس الشيء ينطبق على عدد قتلى وأسرى الفرنج في انطاكية . كما أن خطاب بيبرس الى بوهيمند ، والذي أورده ابن عبد الظاهر - الذي حرر الخطاب بنفسه - يلقى الضوء على أحوال أنطاكية بعد دخولها في دولة الاسلام .

واذا كان تاريخ الحروب الصليبية ينتهي - في الكتابة التاريخية الصليبية - بانتهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام ، وإذا كانت قصة العلاقات بين الصليبيين والمسلمين قد توقفت في كتب المؤرخين اللاتين بخروج فلول الصليبيين من عكا ومن الساحل الشامي في عام ١٢٩١م/ ٦٩١هـ ، فان هذه القصة بقيت تحتل جزءا كبيرا من حوليات مؤرخي الثلاثة قرون التالية (ق ١٤ ، ١٥ ، ١٦ م ق ٨ ، ٩ ، ١٠ هـ) المسلمين ، وهم يوردون تاريخ دولة الاسلام الشامل . وإذا كان هؤلاء قد

اعتمدوا بشكل أساسي - في سرد قصة الحروب الصليبية - على من سبقوهم من المؤرخين المسلمين ، فانهم بدورهم قد أضافوا الى ما نقلوه عن سابقهم الكثير من المعلومات التاريخية التي استقوها من بعض المصادر المفقودة ، مما يجعل من الضروري الرجوع الى بعض النماذج من الكتابة التاريخية العربية المتأخرة في محاولة - بقدر الامكان - للوقوف على الحقيقة التاريخية كاملة .

ومن مؤلفات القرن الرابع عشر الميلادي/الثامن الهجري رجعتنا الى أعمال كل من ابن أبيك الدوادار ، والنسويري ، وابن الوردى ، والكتبي ، وابن كثير ، وابن منكلبي وبيبرس الدوادار ، والصفدي ، وابن أبي الفضائل ، واليونيني . ومن مؤلفات القرن الخامس عشر الميلادي/التاسع الهجري الى أعمال كل من المقرئزي ، والعيني ، والقلقشندي ، وابن الشحنة ، وابن تغري بردي . ومن مؤلفات القرن السادس عشر الميلادي/العاشر الهجري مؤلفات كل من ابن الفرات ، والسيوطي ، وبدر الدين الدمشقي ، والعليمي(١٠٦) .

والى جانب المؤرخين كان لابد من الرجوع الى كتب الرحالة الذين أمدتنا المعلومات التي سجلوها عن مشاهداتهم في بلدان الشرق الادنى الاسلامي بصفة عامة ، وبلدان ومدن الشام بصفة خاصة ، بالكثير عن واقع أحوال الفرنج في مدينة أنطاكية وملحقاتها وغيرها من المدن الصليبية ما لم يرد في مصادر المؤرخين ، وما ساعد على التحقق من بعض الآراء التي تم الاخذ بها في بعض القضايا التي تناولها البحث بالمناقشة ، وخاصة أحوال امارة أنطاكية الصليبية في أواسط القرن ١٣م/٧هـ . فالى جانب ما أمدنا به كل من جاك دي فترى الذي جاء مع الحملة الصليبية الخامسة ، وسيمون أوف سان كوينتين الذي عبر بمنطقة الشام في العقد الخامس من القر الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري ، فقد أفاد الباحث مما سجله كل من حنا فوقاس Joannes Phocas ، وويلبراند أوف أولدنبرج Willbrand of Oldenburg وبوركارد من جبل صهيون Burchard هذا ، الى جانب بعض الجغرافيين مثل المقدسي ، وياقوت الحموي ،

(١٠٦) عن هؤلاء المؤرخين وأعمالهم ، انظر قائمة المصادر والمراجع .

والقفطى ، والعمرى ، والقلقشندى ، وابن الفقيه ، وابن الشحنة ، وابن
أخر داذبة .

هذه دراسة نقدية تحليلية لأهم منابع البحث وأصوله ، من عربية
وأجنبية ، خطية ومطبوعة ، والتي توفرت لدى الباحث . وبالإضافة الى
ذلك فقد أفاد الباحث من الكثير من المراجع الثانوية المتخصصة فى تناول
بعض القضايا التى تضمنها موضوع الدراسة . ومن بين المراجع الاجنبية
مؤلفات كلود كاهن Claud Cahen وورهرشت Rohricht ، ورنسيما
Runciman ، وجروسىه Grousset وماير Mayer ، وبراور Praver
، لامونت La-Monte وجان ريتشارد Jhean Richar وجونا ثان
رايلى سميث Johnathan Riley Smith وسميل Smail
وغيرهم . أما عن المراجع العربية فمن حسن الحظ أنه توجد مدرسة
متخصصة فى تاريخ الحركة الصليبية أخرجت لنا العديد من الاعمال
التاريخية المتعلقة بتاريخ الحروب الصليبية والتى أفاد منها الباحث كثيرا
فى موضوع الدراسة .

امارة أنطاكية الصليبية وعلاقتها السياسية بالقوى الاسلامية المجاورة (١١٧١ - ١٢٦٨م/٥٦٧ - ٦٦٦ هـ)

الفصل الاول

امارة أنطاكية الصليبية وعلاقتها بجيرانها المسلمين حتى نهاية الدولة الفاطمية (١٠٩٨ - ١١٧١م/٤٩٢ - ٥٦٧ هـ)

- مدينة أنطاكية وأهميتها العسكرية والاقتصادية والدينية وظروفها السياسية .
- سقوط أنطاكية في أيدي الصليبيين عام ١٠٩٨م/٤٩٢ هـ ، ورد الفعل الاسلامي .
- قيام امارة أنطاكية الصليبية ١٠٩٨م/٤٩٢ هـ ، وأهميتها بالنسبة لمملكة بيت المقدس الصليبية في الشام .
- سياسة أمراء أنطاكية تجاه جيرانهم المسلمين منذ تأسيس الامارة وحتى نهاية الدولة الفاطمية في مصر .
- دور امارة أنطاكية الصليبية في تدعيم موقف جماعات الفرسان الرهبان والمدن التجارية الايطالية في منطقة الشرق الادنى والآثار المترتبة على ذلك بالنسبة لعلاقتها مع المسلمين .

يُعتبر عام ١١٧١م/٥٦٧هـ من الاعوام الحاسمة في تاريخ العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين في الشرق الادنى الاسلامى ، وذلك لما وقع فيه من أحداث ، أو اتخذ فيه من قرارات ، أو تبلور فيه من نتائج مترتبة على أحداث سابقة . وقد جعل كل هذا ما يتعلق بأحوال طرفي الصراع يبلغ الذروة وجعل ذلك العام جديرا بأن يكون بداية مرحلة جديدة من مراحل الصراع الصليبي الاسلامى بصفة عامة ، والصراع بين امارة أنطاكية الصليبية والقوى الاسلامية المجاورة لها بصفة خاصة . ففى ١٠ مارس ١١٧١م/أول رجب ٥٦٦هـ ، أبحر عمورى الاول ملك بيت المقدس اللاتينى (١١٦٢ - ١١٧٤م/٥٥٨ - ٥٧٠هـ) الى القسطنطينية تنفيذا لقرار مجلس باروناته ، فى طلب المساعدة من الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين (١١٤٣ - ١١٨٠م/٥٣٩ - ٥٧٦هـ) (١) ، بعد أن فشلت سياسة عمورى فى الاستيلاء على مصر (٢) . وهى السياسة التى كان قد بدأها بولدوين الاول ملك بيت المقدس (١١٠٠ - ١١١٨م/٤٩٤ - ٥١١هـ) فى عام ١١١٨م/٥١١هـ (٣) ، حين كان فتح مصر يمثل جزءا من

(١) جمع الملك عمورى مجلسه لاستشارة بارونات المملكة فيما يتخذه من اجراءات للخروج بالمملكة من حالتها المتردية . وتقرر ارسال المبعوثين الى حكام الغرب الاوربي لشرح الصعوبات التى تواجه الكيان الصليبي فى سوريا وفلسطين ، وطلبها للمساعدة الفورية . فتقرر ايفاد المبعوثين الى الامبراطور الالماني ، وملوك فرنسا وانجلترا وصقلية وأسبانيا . كما تقرر أن يذهب الملك عمورى بنفسه الى القسطنطينية طلبا لعون الامبراطور البيزنطى لأنه أقرب عاهل مسيحي الى الصليبيين ، كما أنه أغنى من أقرانه حكام الغرب ، وفى مقدوره تقديم المساعدة المنشودة . انظر : William of Tyre, A history of Deeds done beyond the sea, trans. by E.A. Babcock and A.C. Krey, 2 Vols, New York 1976. Vol. 1, pp. 377-378.

(٢) حتى ذلك الوقت كان الملك عمورى قد قام بأربع محاولات للاستيلاء على مصر ، انتهت كلها بالفشل ، وتقع بالترتيب فى سنوات ١١٦٣م/٥٥٨هـ ، ١١٦٤م/٥٥٩هـ ، ١١٦٧م/٥٦٢هـ ، ١١٦٨م - ٥٦٣هـ . انظر ص ٣١٩ وما بعدها من هذا الفصل . (٣) فى عام ١١١٨م/٥١١هـ قام بولدوين الاول بغارة على مصر ، فنهب مدينة الفرما وداهمه المرض عند مدينة تنيس ، ومات عند العريش فى طريق عودته الى بيت المقدس فى ابريل/شوال من نفس العام . انظر :

William of Tyre, Vol. 1, pp. 515-516.

سياسة التوسع الصليبي على حساب المسلمين في المنطقة ابان الحملة الصليبية الاولى . . وقد أصبحت تلك السياسة ضرورة استراتيجية لدعم الكيان الصليبي في مواجهة نور الدين محمود (٤) . وفي سبتمبر ١١٧١م / محرم ٥٧٦هـ ، اتخذ قرار آخر لا يقل أهمية عن قرارات المجلس الصليبي ، ان لم يكن يفوقها أهمية من حيث دلالاته ونتائجه . فقد انضمت مصر بمقتضاه الى أملاك نور الدين محمود . حيث قرر صلاح الدين الايوبي نائب نور الدين محمود في مصر أن يقطع الخطبة للخليفة الفاطمي ، وأن يدعى للخليفة العباسي (٥) . وبذلك انتهت الدولة الفاطمية في مصر لتصل قوة المسلمين في الشرق الأدنى الى الذروة . بعد توحيدهم من العراق والشام شمالا الى مصر جنوبا تحت قيادة واحدة ولتقع - في نفس الوقت - أملاك الفرنج بين شقى الرحى . فباستيلاء نور الدين محمود على دمشق في عام ١١٥٤م / ٥٤٩م (٦) ، تكون أملاكه التي تمتد تحت زعامة واحدة من الرها شمالا الى حوران جنوبا ، أصبحت توازي الحد الشرقي لملكات الفرنج الممتدة على الساحل السوري من اللاذقية شمالا الى غزة جنوبا تحت امرة زعامات مختلفة (٧) كما أن الخطر الذي كان يهدد امارة أنطاكية من جهة حلب في شمال الشام ، أصبح يهدد كل أملاك الصليبيين بعد توحيد بلاد الشام (٨) . واذا دخلت مصر تحت لواء نور الدين محمود كبعد استراتيجي الى جانب ثرواتها وموقعها الجغرافي ، وقوتها البشرية ، وقيمتها التجارية ، فقد أصبحت مملكة بيت المقدس

Baldwin, (Marshal W.), The Latin States under Baldwin III (٤) and Amalric I, in Setton, (Kenneth M.), A history of the Crusades, 5 Vol., London, 1969-85, Vol. 1, p. 555.

(٥) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٥٦ ، المقرريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، جزآن ، القاهرة ١٩٥٦م ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٤٣ - ٤٦ .
(٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين) ١٩٠٨م ، ص ٣٣٦ وما بعدها ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ١٢ جزء ، القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣٠١هـ ، ج ١١ ، ص ٨٨ - ٨٩ .

Runciman (Steven), A history of the Crusades, 3 Vols, Cambridge 1968, Vol. 1, p. 342. (٧)

Cahen (Claude), La Syrie du Nord, Paris 1940, p. 394. (٨)

مهددة من كل جانب. ، ولم يعد في مقدورها أن « تهاجم أعداءها ، أو حتى تتحمل اغاراتهم » (٩) . هذا في الوقت الذي لم تكن فيه أحوال إمارة أنطاكية الصليبية والتي تعد ، منذ استقرار الصليبيين في سوريا وفلسطين ، مفتاح سوريا الى الجنوب ، والتي أصبحت الآن وبعد فقدان الصليبيين للرها (١٠) الدرع الحامي للوحيد للملكة الصليبية ، لم تكن فيه أحوالها تساعد على بذل أى أمل للملوك بيت المقدس لصد المد الاسلامى من جهة الشمال ، هذا ان لم تكن إمارة أنطاكية نفسها قد فقدت الأمل في استرداد قوتها بعد أن بلغ بها الضعف حدا. أصبح في مقدور نور الدين محمود معه أن يتجول في شمال الشام وحتى أبواب أنطاكية دونما خطر يهدده من جانب الصليبيين فيها. فقدت الإمارة جيشها، وانكشبت بعد أن فقدت حدودها شرقى نهر العاصى ، ولم تعد تتجاوز سهل أنطاكية وساحل البحر الممتد من الاسكندرونة الى اللاذقية (١١) . وثمة تساؤل يفرض نفسه هو : ما الذى حدا بإمارة أنطاكية الصليبية لأن تنحدر الى هذه الحالة من الضعف ؟ وللإجابة عن هذا التساؤل ، ولفهم الظروف والاحداث التى أدت الى ذبول الكيان الصليبي في شمال الشام ممثلا في

William of Tyre, Vol. 2, p. 377.

(٩)

(١٠) سقطت الرها في أيدي عماد الدين زنكى في سنة ١١٤٤م/٥٣٩هـ .
انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ ،
ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٤٤ - ٤٦ ،
أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ٤ أجزاء القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٢٥هـ ، ج ٣ ، ص ٧١ ، ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ٣ أجزاء - تحقيق جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٦٠م ، ج ١ ، ص ٩٣ - ٩٤ .
انظر أيضا :

Michel Le Syrien, Chronique, trans. by J.B. Chabot, 4 tomes, Parisi, 1899-1910, tom. 3, pp. 259-263; William of Tyre, Vol. 2, pp. 140-144; Anonymous, Syriac chronicle, ed. by A.S.Tritton, in J.R.A., London, 1933, p,p; 281-286; Nerses Shnorhali, Elegie Sur La prise d'Edesse, in R.H.C. Doc. Arm., Vol. 1, pp. 227 ff.

(١١) حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الاسلامية المجاورة (١٠٩٨ - ١١٧١م/٤٩٢ - ٥٦٧هـ) ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص ٣٦ ، انظر ايضا خريطة رقم (١) .

أمارة انطاكية ، يجدر الرجوع الى الوراء قليلا ، لاستعراض تاريخ تلك الامارة وعلاقاتها السياسية بالقوى الاسلامية المجاورة منذ نشأتها في ١٠٩٨م/٤٩٢هـ وحتى عام ١١٧١م/٥٦٧هـ .

لا شك أن انطاكية كإماراة صليبية في بلاد الشام قد أسهمت بدور بارز في العلاقات الصليبية الاسلامية في هذه المنطقة (١٢) . ولتفهم هذا الدور ، يجدر رسم صورة واضحة لمدينة انطاكية ، وأحوالها الاقتصادية والسياسية لما لذلك من أثر كبير على تطور أحوالها كإماراة صليبية منذ وصول الصليبيين أمام أسوارها حتى عودتها الى حوزة المسلمين . فمدينة أنطاكية قصبة اقليم العواصم وحاضرتها (١٣) ، بينها وبين حلب من جهة الشرق مسيرة يومين ، وبينها وبين شاطئ البحر من جهة الغرب حوالي ستة أميال (١٤) . والمدينة تحتل سهلا طوله ثلاثة أميال ، تحيط به استحکامات طبيعية تتمثل في جبل اللكام (١٥) شرقا ونهر الاورنت غربا (١٦) . وهي

Rey (E.G.), Rsume de 'Histoire des Princes d'Antioche, in (١٢)
R.O.L., Vol. IV, Paris 1896, p. 321

(١٣) قسم الجغرافيون العرب الشام الى ست كور أو أجناد هي : قنسرين وحمص ودمشق والاردن وفلسطين والشراة . « وأما قنسرين فقصبته حلب ، ومن مدنها أنطاكية . . . » انظر المقدسي البشاري : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ٩٠٣م ، ص ١٥٤ « والعواصم جمع عاصم ، وهو المانع ، والعواصم : حصون وموانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية وقصبته أنطاكية . . . وسماها الرشيد حين استخلف العواصم لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها . . . » انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤ مجلدات ، وفهرست ، ليبزج ١٨٧٠م ، ج ٣ ، ص ٧٤١ - ٧٤٢ .

(١٤) القفطي (جمال الدين يوسف) : تاريخ الحكماء ، ليبزج ١٩٠٣م ، ص ٢٩٦ ، العمري (ابن فضل الله) : مسالك الابصار ، نشره أحمد زكي باشا ، القاهرة ١٩٢٤ ، ص ٢٣ . (١٥) يبدأ جبل اللكام من مكة فيسمى هناك العرج ، ثم يمتد حتى يتصل بجبال الروم (طوروس) وعند دمشق يسمى بجبل سنير ، وعند بعلبك بجبل لبنان ، وعند طرابلس بجبل عكار وعند انطاكية بجبل اللكام . انظر : القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ١٤ جزء ، القاهرة ١٩١٣م ج ٤ ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(١٦) ويسمى «العاصي» لأن أغلب الانهار تتجه الى الجنوب وهذا =

على شكل نصف دائرة قطرها متصل بالجبل ، والاسوار « تصعد مع الجبل » لتتم دائرة يبلغ طولها اثني عشر ميلا (١٧) يمكن اجتيازها عن طريق عدة أبواب تؤدي الى الطرق الموصلة الى حلب والى اللاذقية غربا والى الاسكندرونة وميناء السويدية شمالا (١٨) . وهكذا توفرت الحصانة لمدينة انطاكية ذات الاسوار القوية بأبراجها العالية التى أثارت كل من رآها وطمع فيها ، ووقفت حائلا بينه وبين اختراقها . هذا الى جانب وجودها فى الوادى بين النهر والجبل ، فأصبحت صعبة المنال سواء برا أو عن طريق البحر (١٩) . واذا كانت انطاكية قد تميزت بالحصانة والرخاء ، فإنها أيضا تميزت بموقع جغرافى على درجة كبيرة من الاهمية ، حيث تقع فى ملتقى الطرق التجارية فى العصور الوسطى . وقد اشتهرت بصناعة المنسوجات الحريرية والبسط والزجاج والصابون (٢٠) .

= يتجه الى الشمال . ومنبعه عند بعلبك ويصب فى البحر المتوسط عند السويدية غربى انطاكية . انظر : القلقشندى المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(١٧) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٣٠٢م ، ص ٥٠ ، ابن الشحنة : الدار المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، نشره الياس سركيس ، بيروت ، ١٩٠٩م ، ص ٢٢٠ ، ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الامصار ، جزءان ، القاهرة ١٩٥٨ ، ج ١ ، ص ٤٣ . انظر أيضا :

Wiener (W.M.), Castles of the Crusades, London, 1960, p. 59.

انظر أيضا لوحة رقم (١) .

(١٨) انظر رسم رقم (١) . راجع أيضا :

William of Tyre, Vol. 1, p. 207.

(١٩) القفطى : تاريخ الحكماء ، ص ٢٩٦ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٢٠ . انظر أيضا :

Willbrand of Oldenburg; «Itinerarium Terrae Sanctae», ed.

J.C.M. Laurent, in peregrinatores medii aevi quatour, Leipzig,

1873, pp. 171-172. CF. also, Rey E.G., Etudes monuments

de l'architecture militaire des Croises, Paris 1871, p. 202.

(٢٠) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ليدن ١٨٨٩م ، ص ١٥٣ . انظر أيضا :

Pirenne (H.), Medieval Cities, trans by Frank D., Princeton 1948, p. 4.

راجع أيضا : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى حتى الفتح العثمانى ، الاسكندرية ١٩٦١م ، ص ٥٧ - ٥٨ .



لوحة رقم (١)
بقايا أسوار مدينة أنطاكية من الجهة الشمالية
نقلا عن :

Downey (G.), A History of Antioch in Syria from Seleucus to the Arab Conquest, Princeton, 1961.

والى جانب ذلك فقد كان ميناء السويدية هو السلم البحرى للمدينة ،
والذى زاد من أهميتها السياسية والتجارية ، خاصة فى مستهل الحملة
الصليبية الاولى حيث رست فيه الاساطيل الغربية بالمؤن والعتاد والرجال ،
وكان وسيلة الفرنج للاتصال بالغرب (٢١) . والى جانب أهميتها العسكرية
والاستراتيجية والتجارية ، فقد كانت أنطاكية أيضا ذات أهمية روحية
وصيت ذائع منذ خلفاء الاسكندر ، مما جعلها عزيزة على الوثنية وقبل
ظهور المسيحية والاسلام بقرون عديدة (٢٢) . ولقد كان فى انتظار

Caffaro de Cashfilone, Deliberation Orientis, in R.H.C-Hocc. (٢١)
Vol. V, pp. 50 ff)

(٢٢) يذكر الراهب اليونانى حنا فوقاس الذى زار انطاكية فى عام
١١٨٥م كيف كانت انطاكية تخطف الاضواء من كل مدن الشرق
من خلال عدد سكانها الكبيرة وثرواتها ومعابدها ومسارحها
وأروقتها . انظر :

Jaannes Phocas, Compendiaria Descriptio Castrorum et urbium
ab urbe Antiochio Usque Hierosolyman nec Sacrorum
locorum Syriae, Phoenicie, et in Palaestina, in p. Gr,
Vol. 133, p. 927. CF. also, Bouchier (E.S.), Ashort History
of Antoich, Oxford 1921, p. 274.

=

أنطاكية شهرة من نوع آخر ، وأهمية لدى المسيحية ، حين استقبلت بطرس الحواري كأول أسقف لها بمساعدة حبيب النجار (٢٣) وهكذا كانت مدينة أنطاكية بموقعها المتميز على ملتقى الطرق بين الشرق والغرب ، وبثرواتها وتحصيناتها ، معدة لأن تكون عاصمة قوية لمن يحكمها (٢٤) . فدخلها المسلمون لأول مرة عندما فتحها أبو عبيدة ابن الجراح في سنة ٦٣٨م/٣٢هـ أثناء فتح الشام أيام الخليفة أبي بكر الصديق (٢٥) . ثم استولى عليها الامبراطور البيزنطي نقفور فوقاس في سنة ٩٦٩م/٣٥٨هـ (٢٦) ، ثم عادت الى أيدي المسلمين عندما استولى عليها سليمان بن قتلمش السلجوقي في سنة ١٠٨٥م/٤٧٧هـ (٢٧) . ومنذ دخول أنطاكية تحت حكم السلاجقة لم تنعم بالاستقرار السياسي ، شأنها في ذلك شأن الشرق الأدنى الاسلامي في تلك الفترة فعند ظهور السلاجقة على مسرح الاحداث كانت الخلافتان العباسية في بغداد والفاطمية في

= وكانت أنطاكية مكان الإقامة المفضل للعديد من الابطاطرة الرومان وجذبتهم اليها معابدها الشهيرة ونافوراتها وغابات دافني المكرسة لغراميات أبولو ، الى جانب جوها الرائع . انظر : William of Tyre, Vol. 1, p. 201.

(٢٣) ونزلت الآية : « وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين » (القرآن الكريم) سورة يس آية ٢٠ ، « والقرية » هي أنطاكية والرجل هو حبيب النجار « انظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٨ مجلدات ، القاهرة طبعة دار الشعب (١٩٧١م ، ج ٦ ، ص ٥٥٦ ، « ودعى التلاميذ مسيحين في أنطاكية أولا » انظر ، العهد الجديد : سفر أعمال الرسل ، (١١ ، ٢٦) . راجع أيضا :

Gregory Egha, 'Elegy of the Fall of Jerusalem, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1, p. 274.

Cahen, La Syrie du Nord, p. 127. (٢٤)

(٢٥) البلاذري (أحمد بن يحيى) : فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٠١م ص ١٥٤ .

(٢٦) يحيى بن سعيد الانطاكي : تاريخه . وهو ما ذيل به على التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق لسعيد بن البطريق (نشره شيخو ، بيروت ١٩٠٩م ص ١١٨ وما بعدها ، ص ١٣٤ أنظر أيضا :

Ostrogonsky (G.), History of the Byzantine State, trans. By J. Husny, Oxford 1956, pp. 261-262.

(٢٧) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٦ .

القاهرة تعانين من عوامل الضعف والانهيار ، مما ساعد السلاجقة على بسط نفوذهم في العراق (٢٨) ، كما تمكنوا من انتزاع أغلب الشام من الفاطميين والقضاء على نفوذهم فيه (٢٩) . وامتدت حدود الدولة السلجوقية من فارس شرقا الى حدود مصر غربا . ولكن هذا الامتداد كان يحمل في طياته عوامل الضعف والتفكك ، فقد مات السلطان السلجوقي ملكشاه . وبدأ الصراع بين خليفته بركياروق وبقية اخوته ، لتضعف الوحدة التي حققها السلاجقة في اراضي الدولة العباسية (٣٠) . وقام الصراع بين السلطان بركياروق وعمه تاج الدولة تتش (٣١) الذي حاول

(٢٨) بدأ ذلك باستنجاد الخليفة العباسي القائم بالسلطان السلجوقي طغرلبيك الذي جاء من فارس ليقضى على حركة التمرد التي قام بها القائد البويهى المظفر البساسيري الذي حاول القضاء على الخلافة العباسية وادخال بغداد تحت سيطرة الفاطميين ، وذلك في ١٠٥٩م/٤٥١هـ . وتزوج طغرلبيك من ابنة القائم . انظر : ابن ناصر : أخبار الدولة السلجوقية ، نشر محمد اقبال ، لاهور ١٩٣٣م ، ص ١٨ وما بعدها ، الراوندى (محمد بن على) : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، نقله من الفارسية ابراهيم أمين الشواربى وآخرون ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص ١٥٩ - ١٧٦ ، البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، القاهرة ١٩٠٠م ، ص ٥ - ١١ .

(٢٩) ابن ميسر : أخبار مصر ، جزءان ، نشره هنرى ماسيه ، القاهرة ١٩١٩م ، ١٠ - ٢٠ ، المقرئى : اغاثة الامة بكشف الغمة ،

نشره بدر الدين السباعى ، حمص ١٩٥٦ ص ٢٣ - ٢٦ ، وله أيضا : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان ، بولاق ١٢٧٠هـ ، ج ١ ص ٣٣٧ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ،

ص ٨٣ - ٨٤ . انظر أيضا : عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، جزءان ، القاهرة ١٩٧٣م ، ج ١ ص ٨١ ، محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى في بلاد الشام والعراق ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٥٩ . حسين أمين : العراق في العصر السلجوقي بغداد ١٩٦٥م ، ص ١٣٠ .

(٣٠) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٧٦ - ٨٠ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١٠ ، ص ٨٨ - ٨٩ ، ١٥٨ ، ١٥٩ - راجع أيضا :

Smail (R.C.), The Crusaders in Syria and The Hobyland, U.S.A., 1937, p. 14.

(٣١) تاج الدولة تتش « شقيق السلطان السلجوقي ملكشاه » وفده السلطان الى الشام خوفا من ازدياد نفوذ اتسرابن أوق الذي جاء =

توسيع ممتلكاته منتهزا حالة الفوضى التي أمست فيها الدولة السلجوقية .
وانتهى الامر بمقتل تتش في ١٠٩٥م/٤٨٨هـ ، واستقامت السلطة
لبركياروق (٣٢) . وكانت نتيجة ذلك هي التي قررت مصير الحملة الصليبية
الاولى . اذ لم يواجه الصليبيون تلك الموارد المشتركة للدولة المتحدة التي
أسسها تتش والا أعيد كتابة التاريخ . فقد كانت ممتلكاته الشامية قد
حطمها الصراع بين أولاده من بعده (٣٣) . وانغمس ياغى سيان حاكم
انطاكية (٣٤) في الصراع . وكان في مقدور ولدى تتش أن يعوضا الشام
عن غياب والدهما - الذي كان يمثل القوة التي كان من الممكن أن توقف
زحف الصليبيين - عن مسرح الاحداث ، ولكن لم يكن مقدر لعوامل
الانقسام أن تنتهى في بلاد الشام . فظل الصراع بينهم شديدا ، وهذا
الصراع هو لب الموقف في حقيقته عند قدوم الصليبيين الى الشام ،
ونجاحهم في اجتياحه دون مقاومة فعالة . فبعد موت تتش استولى ابنه
رضوان على حلب ، واستولى ابنه الثانى دقاق على دمشق (٣٥) ، وتحول
كل منهما وهما يبحثان عن حلفاء لهما في الصراع الوشيك الى القادة
الاتراك والزعماء التركمان . وكان ياغى سيان حاكم انطاكية أقوى هذه
الشخصيات . ومن المرجح أنه كان سوف يؤازر رضوان صاحب حلب ، الا

= بدوره الى الشام ليستولى على أملاك الفواطم هناك نيابة عن
السلطان السلجوقي ألب أرسلان انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ
دمشق ، ص ٩٨ - ٩٩ ، العلیمی : الانس الجليل بتاريخ القدس
والخليل ، النجف ١٩٦٨ ، ص ٣٠٥ ، ابن الاثير : الكامل في
التاريخ ، ج ١٠ ، ص ٤٥ .

(٣٢) أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٣٣) Gibb (H.), The Damascus Chronicle of the Crusades, London, 1932, p. 22.

(٣٤) ابن واصل (جمال الدين) : مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب ،
ج ١ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٣م ، ص ١٩ ،
ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٥ .

(٣٥) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٣٠ ، ابن الاثير : الكامل
في التاريخ ، ج ١٠ ، ص ١٠ ، ابن عساكر (الحافظ) : التاريخ
الكبير ، ٦ أجزاء في ثلاث مجلدات ، دمشق ١٣٢٩ - ١٣٤٩هـ ،
ج ٥ ، ص ٢٤٧ ، ٣٢٢ . انظر أيضا : جوزيف نسيم يوسف :
الوحدة وحركات اليقظة العربية ابان العدوان الصليبي ،
الاسكندرية ١٩٦٦م ، ص ١٣ - ١٤ .

انه كان على خلافه مع جناح الدولة أتابك رضوان . وهكذا أصبح ياغى سيان حليفا قويا لدقاق . وبدأ الصراع بين الاخوين في سنة ١٠٩٥م/٤٨٩هـ ، وهاجم كل منهما أملاك الآخر (٣٦) . وبعد فترة قصيرة وبعد خلاف حدث بين رضوان وأتابكه الذى ترك حلب واستولى على حمص ، بادر ياغى سيان من فوره بعرض خدماته على صاحب حلب وأقام نفسه أتابكا له وزوجه من ابنته (٣٧) . وهكذا خسر ياغى سيان رضاء دقاق عنه واستعان رضوان بياغى سيان للهجوم على حمص ودمشق بعند أن تحالف مع الفاطميين فى مصر ضد أخيه صاحب دمشق (٣٨) . وفى هذا الوقت الحرج وردت الاخبار بوصول الصليبيين الى الحدود الشمالية لبلاد الشام ، وأوقعهم هذا النبا فى اضطراب (٣٩) ، فعدلوا عن القيسلم بحملتهم وتفرق الجيش بدلا من أن يتفقوا على مواجهة العدو المشترك . فعاد رضوان الى حلب ، ليترك ياغى سيان حاكم انطاكية ليواجه وحده الهجمة الاولى لقوات الصليبيين . وهكذا حرمت انطاكية من أية مساعدة من جانب الحكام المسلمين الذين تركز الصراع بينهم فى النهاية بين ولدى تتش ، وانغمس فيه حاكم انطاكية لتسقط انطاكية فى أيدي الصليبيين ليقيموا فيها ثانى امارة لاتينية فى الشرق الادنى الاسلامى (٤٠) .

(٣٦) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ١٠ ، ص ١٠٢ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٢٤ ، ١٢٦ .

(٣٧) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٣٣ ، ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .

(٣٨) يذكر ابن العديم أن رضوان أقام الخطبة للخليفة الفاطمى المستعلى فى حلب فى ١٠٩٦م/٤٩٠هـ واستمرت حتى ١٠٩٨م/٤٩٢هـ . وقيل انها لم تدم أكثر من أربع جمع . انظر : ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٨ ، ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

(٣٩) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

(٤٠) عندما وصل الجيش الصليبي الى مرعش بعد أن عبر جبال طوروس انفصل عنه بولدوين شقيق جودفري ، وتنكريد ابن أخت بوهيمند النورماندى ، حيث اتجه الاول الى مدينة الرها واستولى عليها من ثوروس الارمنى ، واستولى الثانى على أذنه والمصيصة ثم الاسكندرونة . انظر :

Fulcher of Chartres, Gesta Francorum Iherusalem (ed. and Trans. by F.R. Ryan, Tennessee, 1969, pp. 88-92; Albert =

كل ما سبق سوف يتأكد عند التعرض لاحداث الحملة الصليبية الاولى التى انتهى الجزء الاول منها فى آسيا الصغرى بكارثة (٤١) ليلحق به جزؤها الثانى (٤٢) ، وينجح الصليبيون فى الاستيلاء على نيقية ، ودريليوم ، وقونية ، وهرقلية ، من مدن آسيا الصغرى ويسلمونها للبيزنطيين (٤٣) .

d'Aix, Historia Hierosolimitana, in R.H.C.-Occ., Vol. V, pp. 284-289. =

(٤١) كان هذا الجزء يضم الغوغاء والمعدمين وعامة المجتمع الاوربي الغربى بقيادة بطرس الناسك وجوتيه المعدم ، واضطر الامبراطور الكسيس كومنين الى نقلهم عبر البسفور الى آسيا الصغرى حفاظا على عاصمته من أعمال السلب التى قاموا بها ، وفتك بهم السلاجقة دون عناء بالقرب من نيقية . انظر :

Anonymous., Gesta Francorum Hierosolimitanorum trans. by R. Hill, London, 1962, pp. 2-5; Albert d'Aix, Historia Hierosolimitana in R.H.C.-H.Occ., Vol., V, pp. 284-289; Ann Comnene, op. cit., pp. 248-256. CF. also, Chalandon, F., Histoire de La Première Croisade, Paris 1925, pp. 78-80.

راجع أيضا ، جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الاولى الاسكندرية ١٩٦٧م ، ص ١٥٢ وما بعدها . (٤٢) جاء هذا الجزء من لوثرانجيا بقيادة جود فرى دوق اللورين السفلى وأخيه بولدوين ، ومن فرنسا بقيادة اتين كونت بلوا ، ومن بروفانس بقيادة ريموند دى سان جيل والمندوب البابوى ادهيماردى مونتى ، ثم النورمان من جنوب ايطاليا بقيادة بوهيمند وابن أخته تنكريد . وعقد الجميع اتفاقية مع الامبراطور البيزنطى على أن يردوا اليه كل ما كان بحوزة السلاجقة من أملاك بيزنطية ، وحلفوا له يمين الولاء والتبعية ماعدا تنكريد ، على أن يمددهم الامبراطور بالمؤن والعتاد وأن يضمن سلامتهم أثناء المرور فى دولته وأن يضع فرقة من جيشه تحت تصرفهم حتى وصولهم الى بيت المقدس . انظر :

Anonymous, Gesta Francorum, pp. 5-7, 10-13; Anne Comnene, pp. 257-267; Albert d'Aix, pp. 304-313.

ويقدم د . جوزيف نسيم يوسف بحثا وافيا عن سياسة الكيس تجاه الصليبيين ، واتفاقية مايو ١٠٩٧م معهم . انظر ، جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم ، ص ٢١٩ - ٢٢٨ . انظر أيضا ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .

Anne Comnene, pp. 268 ff., Anonymous, Gesta Francorum, pp. 13-21, 23-24; Fulcher of Chartres, anonymous, Gesta Fran- =

وبعد أن عبر الجيش الصليبي جبال طوروس ، دخل الصليبيون في أراضى ياغى سيان ليبدأوا حصارهم لمدينة انطاكية من جهة الشرق والشمال الشرقى ، وليتمركز الجيش الصليبي كله أمام أسوار انطاكية في ٢٢ أكتوبر ١٠٩٧م/ ٢٩ شوال ٤٩٢هـ (٤٤) . وبعد اختلاف قادة الفرنج بشأن الاسراع والهجوم على المدينة أو ارجائه لفترة من الوقت ، انتصر الرأى الاخير (٤٥) ، حيث استمر الفرنج في حصارهم للمدينة ما يقرب من تسعة أشهر وسيكون تتبعنا للاحداث خلال هذه الفترة تتبعاً لاحوال الصليبيين ورد الفعل الاسلامى حيالهم . وحتى ظهور أول رد فعل اسلامى تجاه الفرنج من خارج انطاكية ، جرت الامور بين ياغى سيان والصليبيين على وتيرة واحدة من الاشتباكات الخفيفة دون الدخول في معركة حاسمة (٤٦)

corum Iherusalem, trans. by Rita R., Tennessee 1969, pp. 83, 88-89. =

Anonymous, Gesta Francorum, pp. 27-28, Fulcher of chartres, (٤٤) p. 89; Raimond d'Agiles, Historia Francorum qui aperunt Jerusalem, in R.H.C.-H.Occ., Vol, 111, pp. 242 ff:

(٤٥) رأى كونت تولوز سرعة مهاجمة المدينة حتى لا تتسنى الفرصة أمام ياغى سيان لتقوية دفاعاته ، بينما رأى بوهيمند ارجاء الهجوم لحين قدوم الامبراطور البيزنطى أو لوصول الامدادات من الغرب وأيضا لراحة القوات بعد رحلتها الشاقة في أرمينيا ، وكان بوهيمند لا يريد سقوط انطاكية من خلال الجهد المشترك لكل القوات الصليبية وتضيع فرصته للاحتفاظ بها لنفسه فرأى تأجيل الهجوم حتى يدبر شيئا لصالحه . انظر :

William of Tyre, Vol., p. 206; Raimond d'Agiles, p. 243; Anne Commene, P. 268-278, cf. also., Oman, C.W., A history of the Art of War, 2 Vols, London 1924, Vol. P. 278.

(٤٦) في منتصف نوفمبر ١٠٩٧م/ ذى القعدة ٤٩١هـ ، قضى بوهيمند على حامية حارم التى قامت بغارات مفاجئة على الفرنج الذين كانوا يتوغلون بعيدا عن الجيش بحثا عن الكلا والطعام مما كلف الفرنج الكثير من الارواح والعتاد . كما تعرض الفرنج الذين خرجوا بحثا عن الطعام عندما بدأت المؤن في النفاد نتيجة لافراطهم في استهلاك ما وجدوه من خيرات في سهل انطاكية ، تعرضوا لغارات الترك الذين خرجوا من الابواب السرية لانطاكية . كما هاجمت قوات ياغى سيان الفرنج عند باب الجسر بعد خروج بوهيمند وروبرت فلاندر بحثا عن المؤن بعد اشتداد المجاعة في المعسكر الصليبي قبل عيد الميلاد . انظر : Anonymous, Gesta Francorum, pp. 29-32; Raimond d'Agiles, =

فالفرنج ينتظرون فرصة مواتية لدخول انطاكية ، وياغى سيان من جانبه ينتظر وصول النجدات من حكام المسلمين حوله . واذا أمعنا النظر في الموقف الآن ، نجد أنه لم يبق أمام الصليبيين سوى سقوط انطاكية حتى يبلغوا بيت المقدس حلمهم المنشود . كل ذلك والمسلمون لا يدركون طبيعة الحركة الصليبية وهدفها . والسبب هو الانشقاق السياسى والخلافات المذهبية والمصالح التى كانت أقوى من وجود خلافتين اسلاميتين فى المنطقة ، وأقوى من تفكير الحكام المسلمين فى الصالح العام لأمتهن الواحدة (٤٧) . لذا نجد أن رد الفعل الاسلامى لدى حكام المسلمين بصفة عامة وحكام الشام بصفة خاصة بطيئا متعثرا (٤٨) . فقد ظهر أول رد فعل اسلامى بعد ثلاثة أشهر من قدوم الفرنج أمام أسوار انطاكية ، وكان من جانب دقاق ملك دمشق الذى خرج بصحبة أتابكه جناح الدولة أمير حمص لنجدة انطاكية ، حيث هاجموا قوات روبرت فلاندر عند البارة (٤٩) أثناء عودته من رحلته مع بوهيمند للاغارة على قرى جنوبى انطاكية للحصول على مؤن للجيش الصليبي الذى كان يعانى من قلة الامدادات (٥٠) ، الا أن تدخل بوهيمند فى الوقت المناسب قد أنقذ روبرت ، وكان ذلك فى ٣١ ديسمبر ١٠٩٧م / ١٦ محرم ٤٩٢هـ (٥١) . وعاد بوهيمند وروبرت الى المعسكر الصليبي دون تحقيق الهدف من حملتهم (٥٢) ، كما

-
- pp. 242-243; Anselm of Ribmont, Letter no. XV, in Hagenmeyer (H.), Epistolae, Hiedelberg 1901, pp. 158-159. =
- راجع أيضا : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣١ .
- (٤٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٩١ . راجع أيضا : Stevenson (W.B), The Crusaders in the East, cambridge 1907, pp. 18-21; Duc De Castrics, La Conquête de La tere Saint par les croisée, Paris 1973, p. 151.
- Chalandon, op. 189. (٤٨)
- (٤٩) « البسارة » بلدة من نواحي حلب الى الجنوب الشرقى من انطاكية فيها حصن وذات بساتين . انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٩٥ .
- Anselm, p. 157. (٥٠)
- (٥١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣١ .
- Albert d'Aix, p. 374. (٥٢)

عاد المسلمون الى دمشق دون تحقيق النصر على الفرنج والا كانوا تتبعوهم الى انطاكية (٥٣) . وأكد ذلك عدم صدق الرغبة لدى المسلمين واخلاص النية في الجهاد (٥٤) . وكان التقاعس عن الجهاد وقتها أمرا متوقعا بسبب ضعف المسلمين وانقسامهم سياسيا ومذهبيا . فمثلا ، لو أن دقاقا اكمل مسيرته نحو انطاكية لكانت فرصته في النصر أكيدة لتفاقم المجاعة بين صفوف الفرنج ، ولاضطرارهم لقتاله وقتال قوات ياغى سيان في وقت واحد ، وهم الذين يتضورون جوعا . ففي هذا الوقت كانت المجاعة بين صفوف الفرنج قد تفاقم خطرهما ، ومات الكثيرون من الرجال . وانحطت الروح المعنوية بينهم مما أدى الى هرب بعض قادتهم (٥٥) . وزاد من ضعف الصليبيين مؤامرة بوهيمند التي أدت الى رحيل الحامية البيزنطية بقيادة تاتيكيوس في يناير ١٠٩٨ م / صفر ٤٩٢ هـ (٥٦) ليخلو الجو أمام بوهيمند ليستولى على انطاكية لنفسه (٥٧) . لذا نراه يظهر كفاءته في القتال عندما تصدى لرد الفعل الاسلامي لانقاذ انطاكية والذي جاء هذه المرة من جانب رضوان صاحب حلب الذي خرج تلبية لاستنجد ياغى سيان به ،

- (٥٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣١ .
 (٥٤) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٢ . راجع ايضا : محمد محمد مرسى الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ، الاسكندرية ١٩٧٢ ، ص ١١١ .
 (٥٥) يذكر أنسلم أنه قد تبقى للفرنج فقط ٧٠٠ حصان . انظر : Anselm, p. 157; Stefen of Blois, Letter no. X, in Hagenmeyer, Epistolae, p. 150; Robert Monachi, Iherosolitana, in R.H. C.-H.Occ., Vol. III, p. 777, وقد هرب بطرس الناسك ووليم النجار ، الا أن تنكريد تمكن من اعادتهما الى المعسكر الصليبي .
 (٥٦) لم يكن رحيل القسائد البيزنطى هروبا كما اتهمه المؤرخون اللاتين ، والدليل على ذلك أنه عندما قدم تقريره للامبراطور البيزنطى ، استعد الاخير واتخذ طريقه الى انطاكية . انظر : Ordric Vitalis, Historia Ecclesiastica, ed M. Chibnall, Oxford, 1975, 6 Vols., Vol. 5, p. 77.
 ويعتبر فيتاليس هو المؤرخ اللاتينى الوحيد الذى أنصف تاتيكيوس دون قصد .
 (٥٧) France, J., The departure of Tatikius from the Crusader army. (٥٧) in B.I.H.R., Vol. 44, no, 110, 1971, p: 139.

حيث انتصر بوهيمند ومعه سبعمائة فارس على قوات حلب في المنطقة الواقعة بين نهر الاورنت وبحيرة أنطاكية ، وذلك في ٩ فبراير ١٠٩٨م/٤ ربيع أول ٤٩١هـ . وانتهى الامر باستيلاء الفرنج على حصن حارم الذي كان يحمي أنطاكية من جهة حلب ، وخسر المسلمون الكثير من الرجال والعتاد (٥٨) واذا كان رد الفعل الاسلامي لدى سلاجقة الشام بطيئا ، فانه لدى الفاطميين كان من نوع آخر ، تجلت فيه روح الانقسام والفرقة بين المسلمين ، وعدم فهمهم لطبيعة الحركة الصليبية . فربما رأى الفواطم ان الحملة الصليبية مجرد حملة بيزنطية أخرى لصدد المد السلجوقي ، وبعد سقوط انطاكية ربما سمعوا عنها القليل (٥٩) . لذا نجد مبعوثيهم في المعسكر الصليبي ليحصلوا من الفرنج على اجابة تطمئن الافضل على أملاكه في فلسطين (٦٠) . وهنا بدأ الفرنج يستغلون عدم فهم المسلمين لحقيقة نواياهم ، حتى يكون الطريق امامهم سهلا الى بيت المقدس (٦١) . وهكذا كان على ياغي سيان أن يتصدى للصليبيين وحده ، بعد أن تقاعس كل حكام المسلمين عن مساعدته . وبالفعل هاجمت قواته بوهيمند وكونت تولوز أثناء عودتهما من ميناء اللاذقية محملين بأدوات البناء والحصار

-
- Anonymous, Gesta Francorum pp. 35-38; Raimond d'Agiles, (٥٨) p. 246; Stephen of plois, p. 151, cf. also, Duggan (A.), The Story of the Crusades, London, 1969, pp. 58-60; Oman, (Ch.), A history of the Art of War, Vol. 1, pp. 280-81
 Richard (J.), The Latine Kingdom of Jerusalem, trans by J. (٥٩) Sheriley, 2 Vols, Oxford 1979, Vol. 2. pp. 13-14.
 Anselm, pp. 156-158, CF. also., Michaud (J.F.) History of the (٦٠) Crusades, trans. by W. Robson, 3 Vols., London, 1853, Vol. 1, p. 138 ff.

ولا يوجد أى نص لآى اتفاقية وقعت بين الصليبيين والفواطم في المصادر الاجنبية . الا أن ذلك لا ينفي تواجد رسل الفاطميين في المعسكر الصليبي خارج أسوار انطاكية كما ذكر غالبية مؤرخى اللاتين ، ومنهم أنسلم الذى كان بصحبة الجيش الصليبي أرسل الفرنج الى دقاق ملك دمشق ، ورضوان ملك حلب يطمئنوهم على أملاكهم ويفهموهم أن غرض الحملة هو استعادة أملاك بيزنطة السابقة . وبالطبع فانهم سلكوا نفس المسلك مع رسل الفواطم . انظر :

William of Tyre, Vol. 1, p. 222.

التي حصلوا عليها من الجنوبية . الا أن الفرنج تمكنوا من هزيمة الترك ،
وكان ذلك في مارس ١٠٩٨م/جمادى الاولى ٤٩٢هـ . وتفرغ الصليبيون
لاكمال حصار انطاكية (٦٢) .

وحتى ذلك الحين كانت الفرصة مواتية أمام قوات كربوغا حاكم
الموصل ، الذي استنجد به ياغي سيان ، لكى يحمل الفرنج على فك
الحصار عن انطاكية . الا أن كربوغا أضاع الثلاثة أسابيع الاولى من مايو
١٠٩٨م/جمادى الاخرة ٤٩٢هـ في حصار الرها دون طائل ، بعد أن
اصطحب معه قوات كثيرة كان من الممكن أن تحقق نصرا على
الفرنج (٦٣) . وبذلك أضاع كربوغا فرصة انجاد انطاكية ، وفقد آخر
واكبر رد فعل اسلامى ضد الصليبيين ميزة الحضور في الوقت المناسب . ففى
خلال هذه الاسابيع الثلاثة استطاع بوهيمند أن يوطد علاقاته « بفيروز »
الارمينى الذى كان يتولى حراسة برج الاختين ، الواقع فى الركن الجنوبى
الغربى من أسوار المدينة (٦٤) ، والذى اتفق مع بوهيمند على أن يسهل
له دخول المدينة ليلا ، كما وعده بوهيمند بامتيازات كبيرة (٦٥) .
وبالفعل قام بوهيمند مع قواته فى مساء ٣ يونية ١٠٩٨م/أول رجب ٤٩٢هـ

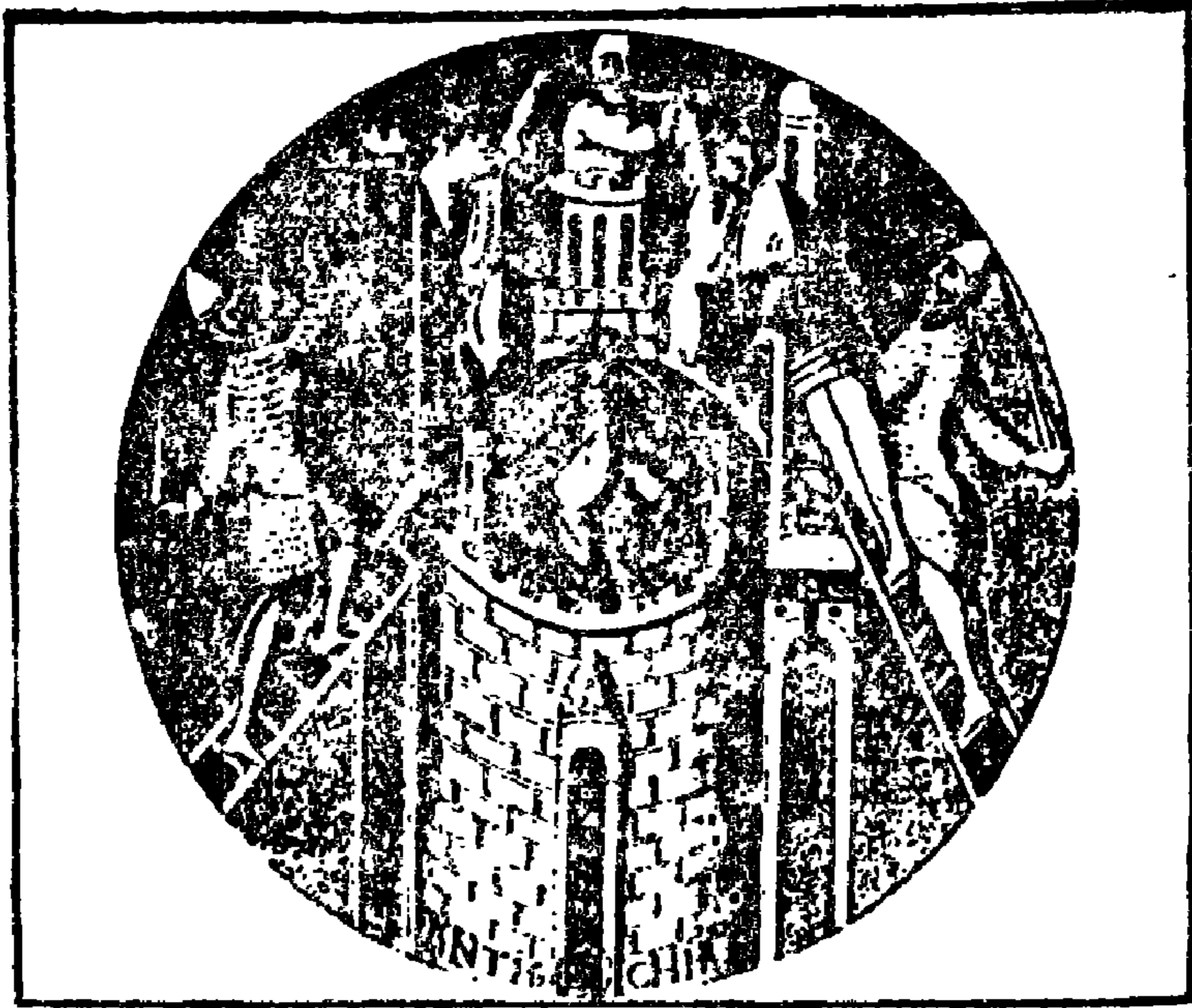
راجع أيضا : ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ١٠ ، ص ١١٤ .
(٦٢) Caffaro de Cashifetone, *Deliberation Orientis Libre*, in R.H.C. H.-Occ., Vol. V. p. 50; Albert d'Aix, p. 383; William of Tyre, Vol. 1, p. 229; Anonymous *Gesta Francorum*, pp. 39-40.

(٦٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٣٣ . انظر ايضا :
Fulcher of Chartres, p. 101.

(٦٤) وضع أغلب المؤرخين الحديثين برج الاختين بالقرب من باب
القديس جورج فى الجهة الغربية من أسوار المدينة خطأ
عندما نقلوا عن وليم الصورى . انظر : حسين عطية : امارة
انطاكية الصليبية ، ص ١١٠ حاشية رقم (٣) .

(٦٥) عن علاقة بوهيمند بفيروز وأصل الاخير انظر: ابن الاثير الكامل،
ج ١٠ ، ص ١٣٣ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٣٤ .
وأىضا :

Anonymous, *Gesta Francorum*, op. cit., p. 44; Radulf of Caen, op. cit., p. 652; Anne Comnene, p. 278.



لوحة رقم (١)

الصليبيون بقيادة بوهيمند الاول يقتحمون مدينة أنطاكية
عن طريق برج الاختين (٣ يونيو ١٠٩٨م/أول رجب ٤٩٢هـ)
نقلا عن : Michaud (J.F.), Histoire des Croisades, Paris, 1973, p. 91.

بارتقاء سلما الى البرج واستولوا على بقية الابراج المجاورة ، وانتشروا
في المدينة ، وفتحوا الابواب لبقية الصليبيين ، لتدور مذبحة رهيبة داخل
المدينة راحت ضحيتها أعداد كبيرة من رجال ونساء . وغرس بوهيمند
علمه القرمزي فوق القلعة ايذانا بسقوط انطاكية ، بينما كانت تدوى
صيحات الفرنج « انها ارادة الله Deus, Vult وكان سقوط انطاكية في
٣ يونية ١٠٩٨م/أول رجب ٤٩٢هـ (٦٦) . وكانت خيانة فيروز ذات فائدة

(٦٦) عن سقوط انطاكية . انظر :

Anonymous, Gesta Francorum, pp. 46-48; Raimond d'Agiles.
pp. 251-253; Albert d'Aix, p. 205 Fulcher of Chartres, pp.
98-99; Ordric Vitalis, p. 93; William of Malmesbury, Gesta
Regum Anglorum (ed. W. Stubbs) in Rolls Series, 2 Vols,
London, 1887-1889, Vol. 2, p. 415; Historia Nicenae Vel
Antiochenae, in R.H.C.-HOCC., Vol. 5, p. 161.

راجع أيضا : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٥ ، =

مزدوجة بالنسبة للفرنج ، فهي من جهة تمكنهم من الاستيلاء على انطاكية بسهولة، ومن جهة أخرى جنبتهم اقتحامها بالقوة ، لذا بقيت استحكاماتها قوية خاصة وأن كربوغا كان في طريقه لحصار المدينة ومعه دقاق ملك دمشق وأتابكة طغتكين وجناح الدولة صاحب حمص ، وأرسلان كاش صاحب سنجار ، وسقمان بن أرتق وغيرهم من الترك والعرب بقيادة وثاب بن محمود الارتقى . ومن الملاحظ عدم اشتراك رضوان صاحب حلب في هذا الحلف الاسلامي ، فأكد فساد سياسته في اللحظة التي كادت تحدد مصير الشام بأكمله (٦٧) . واستلم أحمد بن مروان أحد أتباع كربوغا ، قلعة انطاكية ، من شمس الدولة بن ياغى سيان الذي احتفى بها عند سقوط المدينة (٦٨) . وبعد أن فشل كربوغا في اقتحام المدينة من جهة القلعة قرر تشديد الحصار على المدينة (٦٩) . وهنا دارت الدائرة على الفرنج ، حيث أصبحوا محاصرين بداخلها ، وتكررت المجاعة التي عانوا منها وهم خارج انطاكية ليندر الطعام لديهم ، وساعت حالتهم مما دفع البعض الى الهروب نحو ميناء السويدية ليصفوا لمن كان في السفن الغربية حالة الفرنج مما دفع هذه السفن الى الابحار الى ميناء طرسوس حيث قابلوا ستيفن بلوا الذي كان قد هرب أثناء حصار الفرنج للمدينة (٧٠) . فاتجه ستيفن الى اضاليا ومنها الى اسكى شهر حيث قابل الامبراطور البيزنطي الذي

= ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ، ص ١١٤ - ١١٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣٣ - ١٣٥ . وللاستزادة . انظر :

Chalanson, pp. 202 ff : Runciman, pp. 231-235; Grousset, t. 1, pp. 92 ff.

انظر أيضا لوحة رقم (٢) .

(٦٧) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١١٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ، ١٣٦ . وأيضا :

Anonymous, Gesta Francorum, p. 50.

(٦٨) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٦ . أيضا :

Anonymous, Gesta Francorum, p. 51.

(٦٩) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٦ . راجع أيضا :

Anonymous, Gesta Francorum, p. 51; Raimond d'Agiles, p. 252.

(٧٠) Fulcher of chartres, p. 97; Anonymous Gesta Francorum, p. 63

Guibert Nogent, Gesta Dei Per Francos, in R.H.C.-H.Occ.,

Vol. 4, p. 200.

كان في طريقه لمساعدة الفرنج ، ودفعه الى العودة الى بلاده قائلا « فكر في نجاتك ونجاة جيشك » (٧١) واقتنع الامبراطور بكلام ستيفن انذى افهمه ان الترك قضوا على كل القوات الصليبية داخل انطاكية ، وراى ان يراعى مصالح دولته دون المخاطرة بالتوغل في شمال الشام . وهكذا ضاعت آخر فرصة للفرنج لنيل المساعدة ، كما ضاعت آخر فرصة لقيام التعاون بين اللاتين والبيزنطيين . وربما ضاعت بذلك أيضا اهداف البابا أوربان الثانى في توحيد الكنيستين الشرقية والغربية (٧٢) . ومهما يكن من أمر ، فقد كان على الفرنج ان يواجهوا وحدهم قوات كربوغا ، ويتصدوا لحصار المسلمين الشديد لهم بالرغم من المجاعة وسوء حالتهم . الا ان عثورهم على الحرية المقدسة التى طعن بها السيد المسيح في جنبه اثناء صلبه ، كان بمثابة حافز كبير لهم (٧٣) . كما استغل الفرنج روح التباغض بين قوات كربوغا (٧٤) وأرسلوا اليه بطرس الناسك ليثنيه عن

Ordric Vitalis, Vol. 5, p. 107. «Consule ergo tibi et genti (٧١) quam conducis»

كما اتهم مؤرخ الجستا المجهول الكسيوس كومنين بالتخلى عن الصليبيين ، وهذا ليس غريبا ، فالمؤرخ لاتينى ، ورجل بوهيمند النورماندى عدو الكسيس الاول . الا ان فيتاليس القى بالتبعة على ستيفن ، وفيتاليس لاتينى ونورماندى فى نفس الرقت وهو بذلك يؤيد كلام ان كومنين التى التمسست العذر لوالدها . انظر : Anne Comnene, pp. 288.

Brundage (James), An errant Crusader : Stephen of Blois; in (٧٢) Traditio, Vol. XVI, 1959, p. 395; Krey (A.C.), Urban's Crusade success or Failure, in A.H.R., Vol. 53, 1974-1948, p. 288.

(٧٣) عن قصة اكتشاف الحرية المقدسة واختلاف الاراء حولها . انظر : Anonymous, Gesta Francorum, pp. 57-60; Raimond d'Agiles, pp. 253-255, CF. Also, Runciman (S.), The Holy Lance Found at Antioch, in A.B., Vol. LXVIII, 1950, pp. 197-205; Finacane (R.C.), Soldiers of the Faith, London 1983; p. 121.

(٧٤) أساء كربوغا معاملة من كان معه من الامراء الذين يعلمون أنه ليس الا أتابكا ، بينما استاء دقاق من ارسال كربوغا طلبا للمساعدة من رضوان . كما حدث شقاق بين الترك والعرب الذين مع وثاب بن محمود . انظر ابن الاثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١١٤ .

حصار أنطاكية إلا أن السفارة اصطدمت بعناد كربوغا (٧٥) ، الذي رفض أن يأخذ بنصيحة محمود بن وثاب بأن يسرع بمهاجمة الفرنج الذين خرجوا لملاقاته من باب الجسر شمالى المدينة ، مفضلا أن يهاجم الفرنج عند خروج كل قواتهم دفعة واحدة . وعند خروج الست فرق التى كونها بوهيمند من الجيش الصليبي ، لم يتمكن كربوغا من الصمود أمامها ، خاصة وأن الفرنج كانوا قد وعوا أساليب الحرب التركية . وانتهى الامر بهزيمة جيش كربوغا الذى عاد الى الموصل وخسر المسلمون جانبا كبيرا من قواتهم وعتادهم ، وليتأكد سقوط انطاكية فى أيدي اللاتين وذلك فى ٢٨ يونية ١٠٩٨ م / ٢٦ رجب ٤٩٢ هـ (٧٦) .

وهكذا ، نتيجة لانقسام المسلمين وتفرق كلمتهم استولى الصليبيون على انطاكية ليقوم فيها بوهيمند النورماندى ثانى امارا لاتينية فى الشرق . واذا كانت انطاكية كمدينة تتمتع بأهمية كبيرة على مر العصور ، فانها كامارة صليبية كانت ذات أهمية أكبر بالنسبة للكيان الصليبي بصفة عامة وللملكة بيت المقدس بصفة خاصة ، وعلى وجه أخص خلال الفترة المبكرة من عمر تلك الملكة . ويتضح ذلك اذا ما تفحصنا بدقة أحوال الملكة فى تلك الفترة فبسقوط أنطاكية - مفتاح سوريا الى الجنوب - لم تعد هناك قوة أمام الفرنج فى طريقهم الى بيت المقدس (٧٧) . التى

(٧٥) لا نعرف ما هو أكيد مما جرى على لسان كربوغا وبطرس . إلا أن وليم مالمسبرى يذكر أن كربوغا رفض الرد على بطرس واستمر فى لعب النرد ، وصر على أسنانه وصرف بطرس كما جاء . انظر :

William of malmesbery, Vol. 2, p. 419; Beshada (Gregory).

Chanson d'Antioche, in A.O.L., Tom. II, pp. 496-498.

(٧٦) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ١٠ ، ص ١١٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣٧ - ١٣٨ . ولقد استأنسنا بما جاء فى كتابات ريمونداجيل ومؤلف الجستا عن أحداث هذه المعركة لأنهما كانا شاهدى العيان الوحيدين لتلك الاحداث . فقد كان ريموندا جيل ضمن الفرقة التى يقودها المندوب البابوى ، بينما كان مؤلف الجستا ضمن فرقة بوهيمند . انظر :

Anonymous, Gesta Francorum, pp. 69-70; Raimond d'Agiles,

pp. 259-261, CF. also, Oman, A history of the Art of War,

Vol. 1, p. 287.

Prawer (J.), The Latin Kingdom of Jerusalem, Jerusalem, 1972 (٧٧)

p. 14.

استولى عليها الصليبيون في ١٥ يوليو ١٠٩٩م/ ٢٢ شعبان ٤٩٢هـ ، ليقيموا فيها مملكة بيت المقدس اللاتينية (٧٨) التي كانت أقدارها غير مضمونة وهي محاطة بالمسلمين من كل جانب ، وعلى حد تعبير أحد المؤرخين الحديثين « جزيرة في بحر الاسلام » (٧٩) ، وأن أي تركيز مفاجيء للقوى الاسلامية وقتها كان باستطاعته أن يضع نهاية للاستقرار الصليبي في فلسطين . هذا في الوقت الذي كانت المملكة تعاني من مشكلة نقص القوى البشرية (٨٠) خاصة في عدد الفرسان (٨١) . كما أنه لم يصل الى بيت المقدس ممن جاءوا في حملة ١١٠١م/ ٤٩٥هـ الا القليل ، وهذا أضاع أمل المملكة في بناء جيش قوى يدافع عنها . وهكذا أقامت الحملة الصليبية الاولى مملكة صليبية في الاراضي المقدسة ، ولكنها لم تترك لها الا القليل من الفرسان والمدافعين عنها ، الذين كان أمامهم نضال طويل ليحافظوا على ما استولوا عليه من المسلمين ، بينما هم في انتظار التعزيزات الاوربية التي لم يكن من الممكن أن تصل الا عن طريق البحر . وكان الاستيلاء على مدن الساحل الفلسطيني مهمة صعبة بالنسبة للملكة . فموانى فلسطين كانت تحصل على الامدادات من مصر ، ومن الصعب حصارها . كما أنه لم يكن من السهل تدخل المدن البحرية الايطالية وبعضها مثل أمالفي كان على علاقات طيبة مع مصر ، كما ترددت البندقية ، وهي نصف حليف مع بيزنطة وزائر معتاد على الاسكندرية في أن تخاطر

(٧٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٧ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١١٧ . انظر أيضا :

Anonymous, Gesta Francorum, pp. 90-91.

James Brundage, The Crusader's Wife revisited, in S.G., Vol. (٧٩) 14, 1967, pp. 24-25.

(٨٠) بعد معركة عسقلان في أغسطس ١٠٩٩م/ رمضان ٤٩٣هـ رحل كثير من النبلاء الى القسطنطينية في طريقهم الى وريا وكان من بينهم روبرت النورماندي وروبرت فلاندرز . كما أظهر المؤرخ فوشيه أوف شارتر خوفه من عدم وجود من يدافع عن المملكة « اذا ما تجرأ المسلمون على مهاجمتنا » . انظر :

Fulcher of Chartres, p. 149.

(٨١) عندما عين بولدين ملكا على بيت المقدس في ١١٠٠م/ ٤٩٤هـ كان لديه فقط ٣٠٠ فارس وحوالي ألفين من المشاة . انظر :

Fulcher of chartres, p. 150, CF. also., Richard (J.), The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. A, p. 15.

بتجارتها المريحة مع الشرق ، في مساعدة المملكة الا بعد عشر سنوات من تأسيسها وتحقيقا لمصالحها أيضا التي كانت فوق أي اعتبار (٨٢) . أما انطاكية فقد أبعد عنها انتصار الفرنج على كربوغا الخطر الاسلامي لمدة طويلة (٨٣) . كما استطاع بوهيمند أن يضمن مساعدة الجنوية حتى قبل أن يؤسس امارته (٨٤) . وضمن لامارته واجهة بحرية تربطه بالغرب قبل أن يستولى ملوك بيت المقدس على أي من المدن الساحلية في فلسطين (٨٥) . وهكذا كانت اماره انطاكية تنعم بالاستقرار في شمال الشام بفضل مجهودات بوهيمند ومن بعده تنكريد اللذين حصلا على وسيلة الاتصال بالغرب بالاستيلاء على اللاذقية من البيزنطيين وهو الامر الذي شجع المدن البحرية الايطالية الأخرى على التسابق للتعاون مع الفرنج في الشرق . هذا الى جانب ما قام به أمراء انطاكية حتى عام ١١٧١م/٥٧٦هـ من جهود لمساعدة ملوك بيت المقدس في مشروعاتهم ضد المسلمين ، مما منح امارتهم أهمية كبرى للوجود الصليبي في سوريا وفلسطين . وهذا ما ستفصح عنه الصفحات التالية .

فبمجرد انسحاب كربوغا الى الموصل بدأ بوهيمند أولى خطواته لتثبيت مركزه في انطاكية فاستلم القلعة من أحمد بن مروان (٨٦) . وكانت خطوته الثابتة هي اعلانه صراحة نيته في الاحتفاظ بانطاكية لنفسه ، ووافقه الامراء اللاتين على ذلك ما عدا كونت تولوز (٨٧) ، فلم يكن

Prawer (J.), op. cit., p. 19. (٨٢)

Smail (R.C.), Crusading Warfare, Cambridge 1976, p. 26. (٨٣)

Caffaro, op. cit., p. 56. (٨٤)

(٨٥) استولى تنكريد على ميناء اللاذقية من البيزنطيين في ١١٠٣م/

٤٩٦هـ اثناء أسر بوهيمند . انظر ص ١٢٩ من هذا الفصل .

(٨٦) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١١٥ . انظر أيضا :

Anonymous, Gesta Francorum, p. 69.

(٨٧) يرى البرت دكس أن كونت تولوز كان يطمع هو أيضا في امتلاك

انطاكية . انظر : Albert d'Aix, p. 434.

أرسل الصليبيون سفارة الى الكيسوس برئاسة هيوج دي فيرماندوا

في يوليو ١٠٩٨م/رجب ٤٩٢هـ يطالبونه بالحضور لاستلام

انطاكية ، الا أنه لم ينتهز هذه الفرصة بل أجل حضوره ليضيع

حق بيزنطة في المدينة . انظر :

Anonymous, Gesta Francorum, p. 72.

هناك ما يجبر الامراء على البقاء على عهدهم للامبراطور البيزنطى (٨٨) .
وهنا اشتد الصراع بين بوهيمند وكونت تولوز حول انطاكية ، وبدأ وكان
أرض الميعاد تقع على ضفاف نهر الاورنت وليس في بيت المقدس (٨٩) .
وبدا بوهيمند يتصرف كسيد أوجد للمدينة بعقده اتفاقية مع الجنوبية في
١٤ يوليو ١٠٩٨ م / ١١ شعبان ٤٩٢ هـ ، منحهم بمقتضاها امتيازات كبيرة ،
نظير مساعدته في الدفاع عنها ضد منافسيه . وقد حدد البعض بداية تاريخ
امارة بوهيمند بتاريخ ابرام هذه الاتفاقية (٩٠) . ولأن البسبا أوربان
الثانى لم يشر في خطبته في مؤتمر كليرمونت الى مصير فتوحات المستقبل
عندما خرجت الحملة الصليبية الاولى الى الشرق الاسلامى ، فبدت
الثروات الكبيرة التى وعد بها البابا هؤلاء الذين سيتوجهون الى الشرق
وكانها أسلبا أكثر منها أملاكا (٩١) . وكان أول من أدرك هذه الحقيقة
هو بوهيمند النورماندى المعدم الجرىء . فوضع عينه على انطاكية
منذ خروجه من القسطنطينية في ١٠٩٧ م / ٤٩٠ هـ ، لتكون امارة له (٩٢) .
وبعد رحيل بقية الجيش الصليبي الى بيت المقدس بقيادة ريموند
الصنجيلى (٩٣) ، وبعد محاولة بوهيمند استغلال مساعدة المنسذوب
البابوى الجديد دايمبرت البيزاوى والاسطول الذى جاء معه فى التخلص
من الخطر البيزنطى المحيط به (٩٤) ذهب بوهيمند الى بيت المقدس

(٨٨) Anonymous, Gesta Francorum, p. 72.

وعلى أية حال ، فقد اختلفت الاراء وثار كثير من الجدل بين
المؤرخين المحدثين حول هذه القضية .

(٨٩) Prawer (J.), The Latin Kingdom, p. 14.

(٩٠) Caffaro, p. 56. CF. also, Hagenmeyer, Epistolae, p. 155-156;

Rey (E.G.), Résumé de L'Histoire des Princes d'Antioche, in
R.O.L. vol. IV, p. 362.

(٩١) Fulcher of charteres, pp. 62-65.

(٩٢) Rey (E.G.) Etudes sur les monuments, p. 184.

(٩٣) رحل الجيش الصليبي من معرة النعمان فى ١٣ يناير ١٠٩٩ م /

١٧ صفر ٤٩٢ هـ . انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،

ص ١٣٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ص ١٤٣ . انظر أيضا :

Raimon d'Agiles, p. 271.

(٩٤) حاصر بوهيمند والبيزاوية القوات البيزنطية فى ميناء اللاذقية ، ولما

أوشكت الحامية على التسليم حضر روبرت النورماندى وروبرت

فلاندرز فى طريق عودتهما من بيت المقدس وأجبرا دايمبرت على =

بصحبة دايمبرت وبولدوين كونت الرها في أوائل نوفمبر ١٠٩٩م/ذى الحجة ٤٩٣هـ ، حيث ساعد دايمبرت على اعتلاء كرسى بطريركية بيت المقدس ، وأصبح تابعا له ، وتلقى منه تقليدا باراضى انطاكية (٩٥) . وبذلك يكون قد ضمن اعتراف العالم اللاتينى وبابوية روما بملكيتـه لانطاكية (٩٦) . وليؤكد ذلك عاد الى انطاكية وخلع البطريرك اليونانى حنسا وعين مكانه البطريرك اللاتينى برنارد أوف فالنس وبذلك صبغ بوهيمند امارة انطاكية بالصبغة اللاتينية (٩٧) . الكاثوليكية ، وكان هذا أحد أهداف الحركة الصليبية .

وهكذا بعد أن ضمن لامارته الصبغة الشرعية ، بدأ بوهيمند فى ارساء أركانها فى شمال الشام بتوسيع حدودها الطبيعية على حساب جيرانه المسلمين . وكانت امارة حلب هى المنافس له فى شمال الشام ، حيث تقع بين الرها وانطاكية . وبدأ بوهيمند نشاطه ضد حلب بالاستيلاء على المواقع الحيوية الهامة للاتصال بين انطاكية ، والاورثتس الأعلى ووسط الشام ، وهى المواقع الواقعة شرقى نهر الاورنت (٩٨) . فحرب الحصار حول أفامية (٩٩) منتهزا فرصة الخلاف بين رضوان وخلف ابن ملاعب صاحبها ، ولكنه فشل فى الاستيلاء على الحصن ، فاتفق زرعـه (١٠٠) . ثم توجه لمهاجمة سلاجقة حلب ، حيث تقدم رضوان الى

- = فك الحصار واضطر بوهيمند الى سحب قواته . انظر :
Anne Comnene, p. 292-293; Albert d'Aix, pp. 500-505.
(٩٥) Albert d'Aix, pp. 511-512; Fulcher of Chartres, p. 132.
(٩٦) Yewdale (R.B.) Bohemond I, Prince of Antioch, Princeton, 1924, p. 91.
(٩٧) Hamilton (Bernard), The Latin church in the Crusader States The Secular church, London 1980, p. 22.
(٩٨) Cahen, La Syrie du Nord, p. 288.
(٩٩) أفامية : مدينة حصينة من أعمال شيزر غربى حلب . انظر القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، ١٤ ج ، القاهرة ١٩١٣ - ١٩٣٣م ، ج ٤ ، ص ١٢٥ . انظر أيضا :
Cahen, p. 228.
(١٠٠) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

الاثارب (١٠١) ، ثم كلا (١٠٢) حيث اجتمع من كان في الجزر (١٠٣) وزردنا (١٠٤) وسرمين (١٠٥) من الفرنج والتقوا برضوان الذي انهزم ، واستبيح عسكره وقتل خلق كثير ، وأسر قرابة خمسمائة نفس ، وذلك في ٥ يونية ١١٠٠م / ٢٥ شعبان ٤٩٣هـ (١٠٦) . وتمكن النورمان من احتلال برج الحاضر (١٠٧) وكفر طاب (١٠٨) . وشجعت هذه الانجازات بوهيمند فتاهب لحصار حلب نفسها (١٠٩) . وكان من الممكن أن تسقط حلب في أيدي النورمان بعد أن تمزق جيش رضوان على حد قول ابن العديم (١١٠) ، لولا أن الظروف قد غيرت من خطط بوهيمند وخلصت حلب من خطر النورمان ، حين وقع بوهيمند في الاسر أثناء توجهه لمساعدة جبرائيل حاكم ملطية الارميني ضد الامير غازي كمشتكين بن الدانمشند حيث كان الاستيلاء على ملطية ميسر لبوهيمند السيطرة على دروب جبل اللكام وهو الطريق الذي يمكن أن تسلكه أي حملة بيزنطية ضد انطاكية . وكان أسر بوهيمند في منتصف أغسطس ١١٠٠م / أوائل رمضان ٤٩٣هـ (١١١) حيث سجنه كمشتكين مع ريتشارد أمير سالرنو في

- (١٠١) الاثارب قلعة بين حلب وانطاكية، بينها وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ . انظر : ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٤ .
- (١٠٢) لم نقف على تحديد لموقعها . وربما كانت قرية صغيرة بالقرب من الاثارب .
- (١٠٣) « الجزر » كورة من كور حلب ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧١ .
- (١٠٤) « زردنا » بليدة من نواحي حلب الغربية ، انظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٢٥ .
- (١٠٥) « سرمين » مدينة بالقرب من حلب ، وهي من أجل نواحي حلب انظر : القلقشندی صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٢٦ .
- (١٠٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .
- (١٠٧) « الحاضر » منطقة بظاهر حلب ، بين بنائها وسور حلب رمية سهم . انظر : ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .
- (١٠٨) « كفر طاب » بلدة صغيرة غربي حلب ، على الطريق بين معرة النعمان وشيزر بينها وبين شيزر اثنا عشر ميلا . انظر : القلقشندی : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٢٥ .
- (١٠٩) Stevenson, p. 72.

(١١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

(١١١) Albert d'Aix, pp. 524-525; Fulcher of Chartres, p. 135; Caffaro.

Annales Januenses, in M.G.H.SS., Vol. XVIII, pp. 11-12 =

قلعة نيكسار بالقرب من البحر الاسود (١١٢) .

وكان أسر بوهيمند ظرفا مواليا لكل من المسلمين في شمال الشام
ولمملكة بيت المقدس نفسها . فبالنسبة للمسلمين فقد تخلصوا من عدو طالما
أثار الرعب في قلوبهم حتى خراسان (١١٣) . وبالنسبة لمملكة بيت المقدس
فقد أعفاهما أمر بوهيمند من مواجهة أطماعه وأطماع ابن اخته
تنكريد (١١٤) الذي توجه الى انطاكية في مارس ١١٠١م/جمادى الاولى
٤٩٤هـ ، بناء على رغبة الافرنج فيها ليتولى أمورها أثناء غياب خاله
في الاسر (١١٥) . ووجد شمال الشام بصفة عامة وانطاكية بصفة خاصة
عوضا كبيرا لبوهيمند في شخص تنكريد الذي لم يكن يقل عنه حماسة
وطاقة وقوة (١١٦) . . . وكان التهديد البيزنطي لامارة انطاكية هو كل
ما نال اهتمامات تنكريد أثناء فترة وصايته الاولى على انطاكية . وكانت
الكارثة التي حلت بالحملة الصليبية التي قامت في ١١٠١م/٤٩٤هـ ، والتي
ساعدت على نهوض الترك من جديد في آسيا الصغرى خير معين له ، حيث
حالت دون قيام بيزنطة بأى تدخل في شمال الشام (١١٧) . فتمكن تنكريد
من الاستيلاء على مدن قيليقية أذنة والمصيصة وطرسوس ، التي احتلها

Malthew of Edessa, pp. 51-52; Michel Le Syrien, t. 3, pp. 188-189;

William of Malmesbury, p. 338; CF; also, Grousset, t. 1, p. 378-38.

Albert d'Aix, pp. 525-529, CF. also, Hagenmeyer, p. 356. (١١٢)

Matthew of Edessa, p. 52. (١١٣)

(١١٤) مات جود فرى في ١١٠٠م/٤٩٤هـ ، وتوج شقيقه بولدوين ملكا
على بيت المقدس في نفس السنة وعين دايمبرت بطريركا للملكة ،
كما تخلى تنكريد عن أقطاعه في اقليم الجليل على أن ينوب عن
بوهيمند في حكم انطاكية . انظر :

Albert d'Aix, pp. 536-538.

Albert d'Aix, p. 537. (١١٥)

Cahen, Lasyrie du Nord, p. 241. (١١٦)

(١١٧) عن أحداث حملة ١١٠١م/٤٩٤هـ ونهايتها انظر :

Ekkehard of Aura, Hierosolymita, in R.H.C.-H.DCC., Vol, 5,
pp. 30-32; Ordic Vitalis, Vols. 5, pp. 322 ff., Anne Com-
nen, pp. 288-290; Albert d'Aix, pp. 559-582. CF. also,
p. 232.

البيزنطيون عقب اجتياز الحملة الصليبية الاولى لآسيا الصغرى ، وكان ذلك في صيف عام ١١٠١م/٤٩٤هـ (١١٨) . ثم استولى تنكريد بمساعدة الجنوبية على ميناء اللاذقية في أوائل عام ١١٠٣م/٤٩٦هـ . وهكذا اكتسب تنكريد لانطاكية واجهة بحرية عريضة فضلا عن ميناء بحري رئيسي يربطها بغرب أوربا (١١٩) . وساعد على علو مكانة تنكريد مساعدته ابولدوين الاول ملك بيت المقدس في ربيع ١١٠٢م/٤٩٥هـ ضد الفاطميين (١٢٠) ، ومساعدته أيضا لبولدوين لى بوركونت الرها ضد الاراتقة (١٢١) . وكان المشروع الوحيد الذى لم يقدم عليه تنكريد الوصى ، هو افتداء خاله بوهيمند (١٢٢) الذى أطلق مراحه في مايو ١١٠٣م/شعبان ٤٩٦هـ نظير فدية قدرها مائة ألف بيزنط ساهم في جمعها بولدوين كونت الرها ، والبطريك برنارد ، وكواسيل أمير كيسوم الارمنى ، وروجر ملك صقلية ، وأقارب بوهيمند في ايطاليا (١٢٣) . وواضح أن تنكريد كان يريد بقاء خاله في الاسر أطول فترة ممكنة حتى تستمر وصايته على انطاكية .

عاد بوهيمند الى أنطاكية ليجد الظروف مواتية ليباشر توسعته على حساب جيرانه المسلمين ، وخاصة اماره حلب ، التى كان عليها أن تواجه اعتداءات بوهيمند وحدها ، بعد أن استشرى الخلاف بين حكام المسلمين . وتصدعت الجبهة الاسلامية فى الموصل وفى آسيا الصغرى وشمال الشام (١٢٤) ، مما جعل فك أسر بوهيمند فى ذلك الوقت وبالا على

Albert d'Aix, p. 582; Radulf of Caen, p. 706; Caffaro, p. 59; (١١٨)
Rohricht (R.), Regesta Regni Hierosolymitani, 2 Vols,
Insbruck, 1893-1904 Vol. 1, p. 5. CF. also, Heyd, tom. 1,
p. 145.

(١١٩) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .
(١٢٠) Fulcher of Chartres, p. 161; Albert d'Aix, pp. 627-538, 549, 598.
(١٢١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٩ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٢٩ .
(١٢٢) Fink (H.), The Foundation of the Latin States; in Setton, Vol. 1, p. 388.

(١٢٣) Matthew of Edessa, pp. 69-70; Albert d'Aix, pp. 610-613; Rodulf of Caen, p. 709; Michel Le Syrien, t. 3, pp. 188-189.
(١٢٤) بعد موت كربوغا اشتد التنافس بين زعماء السلاجقة فى الموصل ، كما دب النزاع بين رضوان صاحب حلب وجناح الدولة صاحب =

المسلمين حيث قويت نفوس الفرنج به (١٢٥) . فبدأ بوهيمند على الفور في الاستيلاء على أملاك المسلمين . فاستولى بمساعدة جوسلين كورتيناى صاحب تل باشر على مدينة المسلمية التى تقع شمالى حلب على نهر قويق ، وفرض عليها الجزية (١٢٦) ، وكان قد فرض الجزية على قنسرين (١٢٧) ، واقليم العواصم فور عودته من الاسر (١٢٨) . ويبدو انه كان يفرض الجزية على كل الاقاليم التى يستولى عليها ليسدد قيمة الفدية التى اقترضها رفاقه لفك أسرهم (١٢٩) . وفى خريف سنة ١١٠٣م/ ٤٩٦هـ زحف بوهيمند على أملاك ثاتول الارمنى الموالى لبيزنطة فاستولى جوسلين على مرعش بينما استولى بوهيمند على مدينة البستان شمال مرعش ، كما استولى كونت الرها وجوسلين على مرج الرقة ، وقلعة جعبر فى نوفمبر ١١٠٣م/ صفر ٤٩٧هـ (١٣٠) . وقد شجعت هذه الانتصارات افرنج انطاكية والرها على توسيع حدود ممتلكاتهم داخل الطرق ، خاصة وقد اتفق لهم اشتغال عساكر الاسلام وملوكهم بقتال بعضهم بعضا (١٣١) . فنهض افرنج الرها وانطاكية بالاستيلاء على حصن بسرفوت فى مارس ١١٠٤م/ جمادى الآخر ٤٩٧هـ (١٣٢) . وبذلك قطعوا

= حمص بسبب تقرب رضوان الى الباطنية ، الذين اغتالوا جناح الدولة فى حلب . انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٢ . كما دب الخلاف بين غازي الدانشمند وسلاجقة الروم حول فدية بوهيمند التى استأثر بها غازي لنفسه . انظر : Albert d'Aix, p. 613.

- (١٢٥) ابن الاثير الكامل فى التاريخ : ج ١٠ ، ص ١٤٤ .
 (١٢٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .
 (١٢٧) «قنسرين» كرة من كور الشام بينها وبين حلب مسافة يوم ، على الجهة الغربية لنهر قويق . انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٨٤ .
 (١٢٨) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ١٠ ، ص ١٤٤ .
 (١٢٩) ابن الاثير : المصدر السابق ، نفس الجزء ونفس الصفحة .
 (١٣٠) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٥٤ . راجع أيضا : Ann Comnene, pp. 290-292; Mathew of Edessa, pp. 75, 80; Michel le Syrien, Tom. 3, p. 195.
 (١٣١) فى ذلك الوقت قام الصراع بين السلطان السلجوقى بركيارق وأخيه محمد . انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .
 (١٣٢) « بسرفوت » حصن من أعمال حلب فى جبال بنى عليم . انظر : =

الطريق بين حلب و انطاكية (١٣٣) . ولقطع الاتصال بين المسلمين في فارس والعراق ، ولابعد الخطر الاسلامي عن كونتيه الرها ، كان لابد للفرنج من الاستيلاء على مدينة حران (١٣٤) . وخرج بولدوين كونت الرها وبوهيمند وتنكريد وجوسلين بقوات بلغت نحو ثلاثة آلاف فارس وسبعة آلاف من المشاة ليقابلوا قوات سقمان ابن أرتق صاحب ماردين وجكرمش اتابك الموصل بقوات بلغت عشرة آلاف فارس . ونتيجة لتمهل الفرنج في مهاجمة المدينة ، ونتيجة لتناسيهم لاساليب القتال ضد الترك ، وهم زلتمرسين هلياء ، انتهى الامر بهزيمة ساحقة منى بها الفرنج ووقع في الاسر بولدوين وجوسلين وهرب بوهيمند وتنكريد الى الرها بأهجومه (١٣٥) . وكانت هزيمة الفرنج ذات نتائج كثيرة لم تتوقف عند حدود حران . وما يهمنا هنا هو أثر هذه النتائج على اماره انطاكية الصليبية وعلاقاتها بالمسلمين . فقد كان أكثر المستفيدين من كارثة الفرنج هو رضوان ملك حلب ، الذي استولى على كل المعاقل الشرقية لاماره انطاكية بحيث انكشمت حدود الاماره ووصلت تهديدات رضوان لها حتى جسر الحديد (١٣٦) . وبذلك « أمنت أعمال حلب وتراجع أهلها » (١٣٧)

- ==
 ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٢١ ، ابن
 العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .
 (١٣٣) Runciman, Vol. 2, p. 40.
 (١٣٤) « حران » بلدة كبيرة ومدينة عظيمة تقع عند ملتقى
 الطرق في شرق الفرات ولاسيما طريق الشام وطريق الجزيرة .
 انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣١ . انظر
 أيضا : لسترانج (جى) . بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة
 بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ١٩٥٤م ، ص ١٣٤
 حاشية رقم ٥ .
 (١٣٥) عن موقعة حران وهزيمة الفرنج ، انظر : ابن القلانسي : ذيل
 تاريخ دمشق ، ص ١٤٣ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ،
 ص ١٥٦ . راجع أيضا :
 Fulcher of Chartres, pp. 177-78; Albert d'Aix, pp. 614-616;
 Radulf of Caen, pp. 710-711, 713; Michel Le Syrien, t. 3,
 p. 195; William of Tyre, Vol. 1, p. 459. CF. also, Oman,
 Vol. 1, pp. 321-323.
 (١٣٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٨ - ١٤٩ . راجع
 Radulf of Caen, p. 712.
 أيضا :
 (١٣٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

وقوى بأس رضوان الذى لم يشغله عن استكمال هجماته ضد انطاكية الا موت أخيه دقاق ملك دمشق (١٣٨) . ومن جهة أخرى انتهز الامبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين فرصة هزيمة الفرنج فى حران ليسترد من بوهيمند مدن قليقية أذنة والمصيصة وطرسوس وأيضا ميناء اللاذقية (١٣٩) . وهكذا أصبح موقف بوهيمند ضعيفا، بسبب ضغط بيزنطة وحلب عليه من كل جانب . هذا فى الوقت الذى ضاعت فيه قواته فى موقعة حران ، وقواته فى انطاكية أوهن ما تكون ، ويتحمل عبء الرها بعد أمر سيدها ، وهو نفسه غير قادر على توفير القوات للدفاع عن أمارته بينما هو مدين بفديته للدانشمند . وهكذا انتهت مصادره وانتهت معها حيله (١٤٠) . فعين تنكريد وصيا لعى انطاكية وأبحر الى ايطاليا فى ١١٠٤م/٤٩٨هـ ولم يعد الى انطاكية أبدا ، حيث مات فى ابوليا فى ٧ مارس ١١١١م/٢٣ جمادى الآخرة ٥٠٤هـ (١٤١) .

أنهى موت بوهيمند عهد واحد من أشجع وأكثر رجال العصر

(١٣٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص ١٤٤ - ١٤٥، ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٥٠ .

(١٣٩) Anne Comnene, pp. 296-297.

(١٤٠) Fink p. 390.

(١٤١) سافر بوهيمند الى ايطاليا حيث قابل باسكال الثانى (١٠٩٩ -

١١١٨م) وحصل منه على تأييد للقيام بحمل ضد بيزنطة . كما

نال مساعدة فيليب الاول ملك فرنسا (١٠٦٠ - ١١٠٨م) الذى

زوجه من ابنته « كونستانس » وأرسل شقيقتها « سيسليا » الى

انطاكية لتتزوج من تنكريد فى ١١٠٦م/٥٠٠هـ . ثم خرج

بوهيمند فى ١١٠٧م/٥٠١هـ بحملته ضد بيزنطة التى انتهت

بهزيمته وخضوعه للامبراطور الكسيس بناء على اتفاقية ديفول

Devol التى وقعها معه على أن يحكم انطاكية كتابع لالكسيس

ولخلفائه من بعده . انظر :

Anne Comnene, pp. 302, 306, 316, 316, 348-359; Albert d'Aix;

p. 260; Radulf of Caen. pp. 712-714; Ordric Vitalis, Vol.

5, pp. 103-105, CF. also, Ostrogorsky, p. 324, Rowe (J.G.);

Parchal II, Bohemond of Antioch and the Byzantine

Empire, in B.J.R.L. Vol. XLIX, 1966, pp. 165 ff, Yew-

dale, p. 133; Godlin (A.R.) Prince Bohemurd's Death,

in B., Vol. 52, 1982, pp. 125 ff.

طموحا وأهمية (١٤٢) . وأتى تنكريد مختلفا في سياسته عن سلفه . فبينما كان بوهيمند دبلوماسيا واسع الحيلة ، كان تنكريد قائدا عسكريا ذا غرور يصعب تتبع مداه ، إلا أنه كان ذا طاقة هائلة (١٤٣) . وبدأ تنكريد فترة وصايته الثانية على انطاكية بداية طيبة . فقد تمكن من توفير الاموال والرجال (١٤٤) ليبدأ خطواته التالية وهي العودة بحدود امارة انطاكية الى ما كانت عليه قبل موقعة حران . فهزم رضوان ، واستولى على قلعة ارتاح الرئيسية ، وهاجم مدينة حلب نفسها مهددا اياها ، بعد أن تحكم في الطريق بينها وبين انطاكية ، وذلك في ١١٠٥م/٤٩٨هـ (١٤٥) وفي العام التالي استولى تنكريد على افامية (١٤٦) . وهكذا استطاع في فترة قصيرة أن يؤمن حدود امارته الشرقية والجنوبية وأن يسترد لها ، على حساب مسلمي حلب ، ما ضاع في أثر هزيمة حران ، مما دفع رضوان الى عقد هدنة مع تنكريد في ١١٠٥م/٤٩٨هـ ، وهي أول اتفاقية تعقد بين المسلمين واللاتين منذ قدوم الحملة الصليبية الاولى (١٤٧) وبعد أن استولى تنكريد على ميناء اللاذقية بمساعدة البيزاوية في منتصف ١١٠٨م/نهاية ٥٠١هـ ثم على اذنة والمصيصة وطرسوس في قيليقية (١٤٨) ،

(١٤٢) احتل بوهيمند من صفحات الالكسياد جزءا يساوي ما احتله الكسيوس كومنين نفسه . فلم تنس ابنته أن كومنين أخطر أعداء أبيها وهي تكتب وهي في الستين من عمرها في منفاها في الدير ، ومع ذلك وصفت عدو أبيها بالجرأة والشجاعة . انظر :

Godalin, p. 129.

Cahen, p. 421.

(١٤٣)

(١٤٤) حصل تنكريد من أثرياء انطاكية على القروض الاجبارية التي جند بها الرجال من الرها وتل باشر . انظر :

Radulf of Caen, p. 714.

(١٤٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٨ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ١٥٠ - راجع أيضا :

Radulf of Caen, pp. 714-715; Albert : d'Aix, pp. 620-621.

(١٤٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٥٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٥١ انظر أيضا :

Radulf of Caen, 717.

(١٤٧) حسين عطية : امارة انطاكية الصليبية ، ص ١٥٩ .

(١٤٨) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، بيروت (مطبعة الالباء اليسوعيين) ١٩٥٨م ، ص ١٩٩ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، مخطوط ، ورقة ١٩ . راجع أيضا :

=

يكون قد استعاد الواجهة البحرية لامارته من البيزنطيين ، كما صار هو صاحب السلطة في البلاد الممتدة من جبال طوروس الى الجزيرة ووسط بلاد الشام ، فهو حاكم انطاكية والرها بالوصاية ، كما أصبح حاكم حلب من الخاضعين لسلطته (١٤٩) . ولم تؤد نجاحات تنكريد الى تخوف المسلمين فحسب ، بل والصليبيين أيضا . فقد تحالف بولدين كونت الرها وجوسلين صاحب تل باشر مع جاولي حاكم الموصل (١٥٠) ضد تنكريد ورضوان صاحب حلب . وهكذا نرى تنكريد يتبع كل الوسائل لتحقيق مصالح امارته حتى ولو أدى الامر الى عقد تحالف مع المسلمين ضد أقرانه المسيحيين . وانتهى الامر بصدام مسلح بين أول تحالفين من الصليبيين والمسلمين ، وبانتصار تنكريد ورضوان عند منبج شرق حلب في أكتوبر ١١٠٨م/ صفر ٥٠٢هـ (١٥١) وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان المصالح الخاصة للحكام والقادة اللاتين والمسلمين كانت هي الدافع وراء عقد أحلاف صليبية اسلامية ، وتشابك أطراف الصراع في بعضها . ثم واصل تنكريد تدخله في شئون رفاقه الفرنج بانغماسه في الخلاف بين خلفاء ريموند الصنجيلي حول طرابلس (١٥٢) . واذ لم يجن تنكريد شيئا من

Anne Comnene, pp. 303-304; Röhrich, Regesta, p. 11, William of Tyre, Vol. 1, pp. 448-449, CF, also, Heyd; t. 1; pp. pp. 145-146, 150. =

(١٤٩) كل ذلك جعل تنكريد يرفض الالتزام بتعهدات بوهيموند لالكسيوس ويرفض الاعتراف بمعاهدة ديفول . انظر :

Anne Comnene, pp. 303-304.

(١٥٠) أطلق ابلغاري بن أرتق سراح جوسلين في ١١٠٧م/ ٥٠٠هـ . كما أطلق جاولي سراح بولدوين في العام التالي . انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٥٦ - ١٥٨ . راجع أيضا : Chron. Anon. Syr., In J.R.A:S., 1933, pp: 81-82; Michal Le Syrien, t. 3, pp. 192, 195-196; Matthew of Edessa, pp. 52, 82-83.

Albert d'Aix, p. 648; Fulcher of Chartres, pp. 180-181. (١٥١)

(١٥٢) قام النزاع حول طرابلس بين وليم جوردان نائب ريموند الصنجيلي وبين ريموند ابن الاخير . وانحاز تنكريد الى جانب وليم ، لولا تدخل ملك بيت المقدس الذي فض النزاع بين الامراء وفوت الفرصة على تنكريد في أن يفرض سيطرته على طرابلس . انظر : =

ذلك عاد الى التوسع ثانية على حساب المسلمين . فبعد أن انتهى من مساعدة بولدوين الاول ملك بيت المقدس في الدفاع عن الرها ضد مودود أتاك الموصل في ابريل ١١١٠م/شوال ٥٠٣ (١٥٣) ، عاد لتهديد حلب التي جدد صاحبها رضوان الهدنة التي خرقها مع تنكريد ودفع الجزية ، وبذلك خضعت حلب لتنكريد من جديد ، فضاقت الامر باهلها فهجروها ومضى بعضهم الى بغداد واستغاثوا في أيام الجمع مستصرخين بالعساكر الاسلامية على الفرنج (١٥٤) . وفي بداية ١١١١م/٥٠٤هـ تمكن تنكريد من تأمين طريق المواصلات بين أملاكه الساحلية جنوبى اللاذقية في جبلة وبانياس وبين الداخلية منها في أفامية وكفرطاب بالاستيلاء على حصن بكسرايل الذى يشرف على منطقة الجبل (١٥٥) . وأخيرا أكمل تنكريد سيطرته على المنطقة الجنوبية لانطاكية بالهجوم على شيزر لانقضاء فترة الهدنة التي عقدها بنو متقذ معه في العام الاسبق ، وقرر على شيزر الجزية وقدرها عشرة آلاف دينار سنويا (١٥٦) . وهكذا وقع الخوف في قلوب أهل الشام من تنكريد وفرنج انطاكية (١٥٧) . فاستنجدوا بمودود حاكم الموصل الذى كون حلفا اسلاميا جديدا للتصدي لتنكريد (١٥٨) . الا أنه نتيجة لعوامل الفرقة والحرص على المصالح

Matthew of Edessa, pp. 86-87; Fulcher of Chartres, p. 181; Chron. Anon., p. 81. =

Albert d'Aix, p. 675; Matthew of Edessa, pp. 89-90. (١٥٣)

راجع أيضا : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٦٩ - ١٧٠ ، ابن الاثير : لكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٠٥ .

(١٥٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٧٠ ، ١٧٣ ، ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٤ ١٥٧ أبو الفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(١٥٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٥٨ . راجع أيضا : Albert d'Aix, pp. 685-686. CF. also, Cahen, p. 260.

(١٥٦) اسامة منقذ : كتاب الاعتبار ، نشره فيليب حتى ، ونستون ١٩٣٠م ، ص ١٢٠ - ١٢١ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(١٥٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٤ ، أبو الفدا : المختصر ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(١٥٨) اُمْتُرَك في هذا الحلف وراء الجزيرة وهمذان وخوزستان واذربيجان من ترك وعرب . انظر ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، =

الشخصية لم يسفر الامر الا عن مواجهة طويلة أسبوعين بين قوات مودود وتنكريد وبولدوين ملك بيت المقدس ومن جاء لمساعدة تنكريد من أرض كيسوم ، وذلك عند أفامية في صيف ١١١١م/٥٠٥هـ (١٥٩) . وهكذا فشل مشروع مودود ، ودل على أن اتحاد المسلمين كان ظاهريا . اذ كان كل طرف من أطرافه يهدف من الانضمام اليه الى تحقيق مكاسب شخصية سريعة . كما دل على أن قدرة المسلمين على القيام بهجوم مضاد ضد الفرنج في شمال الشام أمر غير محتمل ، خاصة بعد تماسك القوى اللاتينية واتحادها بفضل ملك بيت المقدس (١٦٠) . كل هذا ساعد تنكريد على أن يمد سلطته حتى أرمينيا (١٦١) . وكان ذلك آخر أعمال تنكريد ، حيث مات في ١٢ ديسمبر ١١١٢م/٨ جمادى الاخرة ٥٠٦هـ ، ودفن في كنيسة القديس بطرس بأنطاكية (١٦٢) . وهكذا مات تنكريد بعد أن قام

= ص ٢٠٥ ، ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٤ ، راجع أيضا :

Matthew of Edessa, p. 69.

(١٥٩) لم يشترك رضوان صاحب حلب في الحلف الاسلامي وأغلق أبواب حلب في وجه مودود خوفا من نوايا السلطان السلجوقي لميل رضوان الى الباطنية ، كما أفسد الامر بين أمراء مودود واتبك دمشق . فتفرق الجيش الاسلامي وبقي مودود ومعه ااتبك دمشق فقط . انظر : ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٧٥ - ١٧٧ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ، ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٩ - ١٦٠ ، أسامة ابن منقذ : الاعتبار ، ص ٦٨ - ٦٩ . راجع أيضا :

Albert d'Aix, pp. 682-84; Matthew of Edessa, p. 97; Fulcher of Chartres, pp. 201-203.

(١٦٠) يرى سبط بن الجوزي أن فشل حملة مودود يرجع الى أنه لم يجد في رفاقه « عزيمة صادقة في جهاد ولا حمية بلاد » انظر : سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، مخطوط ، ورقة ٢٢ . انظر أيضا :

Runciman, Vol. 2, p. 123.

(١٦١) استولى تنكريد على رعبان من أملاك كواغ باسيل حاكم كيسوم في فبراير ١١١٢م/شعبان ٥٠٥هـ . وبذلك تحكم في الطريق بين حلب سميساط . انظر :

Matthew of Edessa, pp. 102-103; Michel Le Syrien, t. 3, p. 199.

(١٦٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٨٣ ، ابن الاثير : الكامل : ج ١٠ ، ابن العديم زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٦٣ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ . انظر أيضا :

=

بدور واضح في تثبيت دعائم اماره انطاكية الصليبية ، وما حققه من اتساع في حدودها على حساب المسلمين والبيزنطيين غفر له حدة الطموح التي تميز بها ، وان كان تاريخ امراء انطاكية من بعده هو ثمار نشاطه ، الا أننا لا نجد لدى المؤرخين الا القليل من الاسف لوفاته ، فلم يمتدحه كـمسيحي الا الارميني متى الرهاوي ، وكفارم لاتيوني الا مؤرخه رادولف أوف كاين (١٦٣) .

كان تنكريد صائبا في اختياره لروجر دي سالرنو ليخلفه في حكم انطاكية . لذلك لم يغير موت تنكريد من الامر شيئا . فقد حظيت الامارة في شخص روجر بحاكم لم يكن يقل عن سلفه طاقة ومهارة وجرأة (١٦٤) . فقد تولى روجر مقاليد الحكم في انطاكية في نهاية ديسمبر ١١١٢م / جمادى الآخرة ٥٠٦هـ . وبعد أشهر قليلة ، في يونيو ١١١٣م / محرم ٥٠٧هـ ، جاءت الفرصة لكي يثبت روجر كل هذه الصفات ، الى جانب كفاءته في الصراع ضد المسلمين ، وليقدم في نفس الوقت للملك بيت المقدس الخدمة التي قدمها الاخير لتكريد في ١١١١م / ٥٠٥هـ ، حين أنقذه وبقيته جيشه من براثن مودود اتابك الموصل وحلفائه من دمشق ومنجار وماردين (١٦٥) . وعلى الرغم من عدم اشتراك رضوان حاكم حلب

Albert d'Aix, p. 693; Fulcher of Chartres, p. 204; Samuel D'ani, Chronographie, in R.H.G-Doc. Arm., Vol. 2, p. 449; Michel Le Syrien, t. 3, p. 203; William of tyre, Vol. 1, pp. 492-493.

Matthew of Edessa, pp. 103-104; Radulf of Caen, p. 606. (١٦٣)

(١٦٤) أوصى تنكريد وهو على فراش الموت بأن يخلفه في الحكم ابن أخته « روجر دي سالرنو » ابن ريتشارد دي سالرنو ، على أن يتعهد بأن يسلم انطاكية الى بوهيمند الثاني ابن بوهيمند الاول متى عاد الى الشرق ، كما أوصى بزواج أرملته ميميليا من بونزكونت طرابلس . انظر :

Radulf of Caen, p. 606; Albert d'Aix, p. 693. CF. also, Rey, Histoire des Princes d'Antioch, p. 340; Cahen, p. 265; Runciman, Vol. 2, p. 125.

(١٦٥) جمع مودود خلفاءه بنساء على طلب طغتكين لمساعدته ضد بولدوين الذي هاجم أملاك دمشق في العام السابق ، وتقابل الطرفان في اقليم الاردن عند جسر الصنبرة حيث انتصر المسلمون وغرق ألفان من رجال بولدوين . وذلك في يونية ١١١٣م / محرم =

كعادته في القتال ضد الفرنج ، الا أن روجر أصر على أن يدفع له رضوان الجزية التي كان يدفعها الاخير. لتتكرر (١٦٦) . وكيفما كان الامر ، فلم ينته الخطر السلجوقي ضد الفرنج بوفاة مودود (١٦٧) نائب السلطان في الموصل . بل لقد تجدد بعد ذلك ، مما ساعد على علو نجم روجر بشكل كبير ، وذلك حين كلف السلطان السلجوقي قائده في الموصل برسق بن برسق بمهمة ذات شقين ، الاول وهو اخضاع الامراء المسلمين في الجزيرة والشام ، والثاني وهو محاربة الفرنج (١٦٨) . واذ خشي ايلغازي الارتقى حاكم ماردين وطغتكين أتابك دمشق غضب السلطان السلجوقي (١٦٩) ، فقد سعى الاثنان الى محالفة روجر دون قيد أو شرط . وقد كان من المناسب لروجر التحالف مع المسلمين ضد الخطر السلجوقي الذي ظهرت بوادره أيام تنكريد (١٧٠) . وبمساعدة بولدوين كونت الرها وبفضل المعلومات التي أمده بها لؤلؤ أتابك حلب ، استطاع روجر أن يوقع بقوات برسق هزيمة ساحقة في تل دانيث وذلك في ١٤ سبتمبر ١١١٥ م / ٢٣ ربيع ثان ٥٠٩ هـ بعد معركة أظهر فيها روجر كفايته ووعيه بطرق القتال التركية . وعاد الى انطاكية ، حيث استقبله سكانها وعلى رأسهم البطريرك بكل حفاوة (١٧١) . وكان انتصار روجر في تل دانيث هو أهم انتصار حققه الصليبيون منذ الحملة الصليبية

- = ٥٠٧ هـ . انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٨٤ - ١٨٥ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٠٨ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .
- (١٦٦) كان مبلغ الجزية عشرة آلاف دينار . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .
- (١٦٧) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٠٩ .
- (١٦٨) Cahen, p. 271; Runciman, Vol. 2, p. 130.
- (١٦٩) حاول ايلغازي الاستقلال عن السلاجقة وتحمل طغتكين تبعة مقتل مودود . انظر : ابن الاثير الكامل ، ج ١٠ ، ص ١١ - ٢١٢ ، ٢١٤ .
- (١٧٠) Walter the Cancellor, Bella Antiochena, in R.H.C.-H.Occ. Vol. 5, p. 26.
- (١٧١) Walter the Cancellor, p.p. 88-96.
- راجع أيضا : ابن الاثير الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢١٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٧٦ ، أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ، ص ٧٦ .

الاولى (١٧٢) . فقد وضع هذا الانتصار نهاية للخطر السلجوقي الذي كان يتهدد الفرنج من الرها وحتى بيت المقدس منذ سنوات وبشكل مستمر . فبموت برسق بن برسق في ١١١٦م / ٥١٠هـ ومن بعده السلطان محمد بسنتين تراجع كل ما تبقى من قوة وحماسة السلاجقة في حرب الفرنج (١٧٣) . كما منح هذا الانتصار الفرصة لبولدوين الاول ملك بيت المقدس للتفرغ لأمور مملكته دون خوف على مصير الكيان الصليبي في شمال الشام والجزيرة (١٧٤) . أما في سوريا فان روجر هو الذي جنى ثمار هذا الانتصار . فقد انقلب روجر الانطساكي على حلفائه المسلمين (١٧٥) . فاحتل كفر طاب (١٧٦) وتنازل له ياروق تاش الذي خلف لؤلؤ في اتاكية حلب عن حصن القبة على الطريق بين حلب ودمشق ، كما منحه حق فرض الضرائب على القوافل المتجهة الى الحجاز (١٧٧) . وبذلك أصبحت كل الطرق من حلب الى دمشق تحت سيطرة روجر . واستطاع روجر ، منتهزا فرصة الصراعات بين حكام المسلمين حول حلب التي وقعت تحت سيطرة ايلغارى حاكم ماردين ، أن يبلغ بحدود امارته الى الذروة في الجنوب والشرق . ففي الجنوب مد سيطرته على المنطقة بين الساحل وبين وادي نهر العاصي بالاستيلاء على حصن بلاطنس المقابل للاذقية ، واضمافته الى املاكه في صهيون وبكسراثيل وذلك في صيف ١١١٨م / ٥١٢هـ (١٧٨) . وأهم ما حازه روجر في هذه المنطقة كان حصن المرقب الذي يعادل حصن الاكراد في الاهمية والحصانة وان تميز عنه بوقوعه

(١٧٢) Cahen, La Syrie du Nord, p. 274.

(١٧٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٣١ - ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٩٨ - ٢٠٢ .

(١٧٤) Richard (J.), Vol. A, p. 32.

(١٧٥) يؤكد لنا والتر المستشار مؤرخ روجر أن تحالف سيده مع المسلمين كان ظاهريا الغرض منه صد الخطر السلجوقي فقط . انظر : Walter the cancellor, p. 86.

(١٧٦) أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ، ص ٧٥ - ٧٦ .
(١٧٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٧١٩ .
(١٧٨) « صهيون » قلعة من القلاع المشهورة ، تقع شرقي اللاذقية ، و « بلاطنس » قلعة في جهة الشمال من طرابلس . انظر : القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٤٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

على ساحل البحر (١٧٩) . وكان المرقب يشرف على الطريق من اللاذقية الى طرابلس ، وهذا يجعله على قدر كبير من الخطورة على الفرنج اذا ما بقى يوما في ايد مسلمة (١٨٠) . وأما في جهة الشمال فقد استولى روجر على عزاز في نهاية ١١١٨ م / ٥١٢ هـ ، وهذا أعطى له السيادة على كل السهل الواقع الى شمالي هذه المدينة والطريق الرئيسي بين انطاكية وتل باشر (١٨١) . وعندما حاصر روجر عزاز « انقطعت قلوب أهل حلب ، اذ لم يكن بقى لحلب معونة الا من عزاز وبلدها ، وبقيسة بلد حلب في ايدى الفرنج » (١٨٢) خاصة بعد أن استولى روجر على البزاعة الواقعة الى الشمال الشرقي من حلب في أوائل ١١١٩ م / ٥١٣ هـ ، وبذلك يكون روجر طوق حلب من كل جانب ، وبدا وكأنها على وشك الاستسلام له (١٨٣) . وهكذا في الوقت الذي فقد فيه المسلمون في شمال الشام القدرة على مواجهة الفرنج أصبح روجر الانطاكي أعظم الامراء الصليبيين في شمال الشام (١٨٤) . الا أن ذلك لم يدم طويلا ، حيث استنجد أهل حلب بايلغازي الارتمقي الذي صار أقوى أمراء الجزيرة وشمال الشام ، والذي تحالف مع طغتكين اتابك دمشق وخرج في ربيع ١١١٩ م / ٥١٣ هـ لقتال روجر . ونتيجة لاندفاع روجر ، وتخليه عن حذره المعروف به ، وعدم انتظاره لوصول بولدوين الثاني ملك بيت المقدس وكونت طرابلس ، كاد أن يتسبب في ضياع ما حققه بوهيمند الاول وتنكريد في شمال الشام . فقد انتصر عليه ايلغازي بعد معركة حاسمة ، انتهت بمصرع روجر ومعه غالبية رجاله ، وأطلق عليها القليلون الذين نجوا من فرنج انطاكية

(١٧٩) « المرقب » حصن بالقرب من بانياس على ساحل البحر ، بينه وبين طرسوس نحو اثنا عشر ميلا ، وهو حصن يحدث كل من كل من رآه أنه لم ير مثله . انظر : يا قوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٠٠ ، القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(١٨٠) Cahen, p. 519.
(١٨١) « عزاز » بلد شمالي حلب بشرق على نحو مرحلة منها . انظر : القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٧٢ .
(١٨٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .
(١٨٣) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٢٨ . وبلغ الضيق بأهل حلب حتى أنه « لم يكن يحلب من الذخائر ما يكفيها شهرا » .
(١٨٤) حسين عطية : امارة انطاكية ، ص ٨٤ . انظر أيضا : خريطة رقم (٢) .

اسم ساحة الدم *Ager Sanguinis* ، وكان ذلك في ٢٨ يونيو ١١١٩م / ١٦ ربيع الاول ٥١٣هـ (١٨٥) . ولم ينفذ انطاكية سوى حضور بولدوين الثاني ملك بيت المقدس لنجدتها وما قام به البطريرك برنارد أوف فالنيس من ترتيبات لحفظ المدينة (١٨٦) . وبفضل جهود بولدوين الثاني لم يستول المسلمون من أملاك انطاكية الا على زردنا والاثارب . وكل ما اكتسبوه هو تخفيف الضغط الفرنجي عن حلب (١٨٧) . وتولى بولدوين الثاني الوصاية على اماره انطاكية لمدة سبع سنوات قام خلالها بمحاربة المسلمين وصددهم حفاظا على الامارة ، وأدى دوره خير أداء حتى حضر بوهيمند الثاني ابن بوهيمند الاول ليتولى أمور الامارة كميراث شرعى له (١٨٨) .

بموت روجر الانطاكي وتولى بوهيمند الثاني حكم انطاكية، تبدأ في تاريخ الامارة الصليبية فترة جديدة ومغايرة فقد انتهى عصر القوة في تاريخ الامارة الذي بدأ منذ نشأتها في عهد بوهيمند الاول ، ونموها واستقرارها في عهد تنكريد ، وانتهى بوصول حدودها الى أقصى اتساع

(١٨٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٨٧ - ١٨٩ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٣٤ ، أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ص ٤٠ . راجع أيضا :

Walter the Cancellor, pp. 101-113, Albert d'Aix, 683; William of Tyre, Vol. 1, p. 530; Ordric Vitalis, Vol. 5; P. 107
'CF. also; Smail, Crusading Warfare, p. 29; Cahen, p. 287.

Michel Le Syrien, t. 3, pp. 207-210. CF. also, Rey (E.G.), Les (١٨٦) Dignitaires de la Principaute d'Antioche in R.O.L.; Vol. 6, Paris 1900-1901, p. 150; Hamilton, p. 22.

(١٨٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .
(١٨٨) عن أعمال بولدوين الثاني ضد المسلمين خلال هذه الفترة انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٩٣ - ١٩٦ ، ٢٠٤ - ٢٠٥ ، ٢١٢ - ٢١٨ ، ٢٣١ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ - ٢٠٢ ، ابن منقذ : كتاب الاعتبار ، ١٢١ .

راجع أيضا :

Walter the Cancellor, pp. 113, 131; Matthew of Edessa, 127-128, 132-135, 142; Michel Le Syrien, t. 3, pp. 205; William of Tyre, Vol. 1, pp. 538-541, Vol. 2, p. 24.

لها في عهد روجر . كما تفقد الامارة صبغتها النورماندية (١٨٩) لتكتسب صبغتها الفرنسية (١٩٠) . وأهم ما يميز فترة حكم بوهيمند الثاني - وان كانت قصيرة الامد - انها واكبت بدايات الوحدة الاسلامية الكبرى في الشرق الادنى الاسلامي على يد عماد الدين زنكي ، تلك الوحدة التي خلقت فترة « توازن القوى » بين المسلمين والفرنج ، ان لم تكن قد مالت بميزان القوى لصالح المسلمين (١٩١) . وقد نضجت تلك الوحدة في عهد نور الدين محمود بن زنكي ، لبيد المد الاسلامي في المنطقة ، ولينحصر الوجود الصليبي في الشام باكتمال وحدة المسلمين في عصر صلاح الدين الايوبي (١٩٢) وهذا ما سوف يتضح أكثر وأكثر فيما بعد . وعلى أية حال ، وبالرغم من ذلك فقد استهل بوهيمند الثاني عهده استهلالا ناجحا ، أثبت فيه حمسه للهدف الصليبي فكان « بليسة على المسلمين » (١٩٣) . فقد اتجه جنوبا واستولى على كفر طاب بمساعدة الجنوبية (١٩٤) ثم قام بالاغارة على شيزر (١٩٥) . وهكذا أظهر بوهيمند الثاني حماسة كبيرة في الحرب ضد المسلمين . ولو توحدت قوى الفرنج في ذلك الوقت الى جانب هذه الحماسة لكان من الممكن أن يحققوا مكاسب كبيرة على حساب المسلمين خاصة أن القوى الاسلامية كانت متفرقة وقتها ، وأكثر من ذلك فقد أظهرت جهود كل من مودود والبرسقي كيف أن أي اتحاد بين ماردين وحلب والموصل وحلب ، يمثل خطرا كبيرا على الوجود الصليبي . الا أن الفرنج لم يدركوا هذه الحقيقة . وفشلوا في ذلك تماما ، خاصة بعد أن اندلع الصراع بين بوهيمند الثاني وجوسلين كونت الرها ، وحقد كل منهما على الآخر لأسباب كثيرة (١٩٦) . وهكذا أضاع أفرنج

Haskins (C.H.) The Normans in European History, Cambridge (١٨٩) 1915, pp. 15-16.

Mayer (H.E.), The Crusades, Trans. by J. Gillingham, Oxford, (١٩٠) 1972, p. 79.

Oman, Vol. 1, p. 260. (١٩١)

جوزيف نسيم يوسف : الوحدة وحركات اليقظة العربية ، ص ٧٢ ، ٢٨

(١٩٣) أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ، ١٢١

(١٩٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٦٧ ، راجع أيضا :

Rohricht, op. cit; p. 29; William of Tyre, Vol. 2. p. 34.

(١٩٥) ابن منقذ : كتاب الاعتبار ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

William of Tyre, Vol. 2, pp. 34-35; Michel Le Syrien, t. 3, (١٩٦) p. 224.

شمال الشام فرصة لا تعوض . ففي هذا الوقت بالذات حظى المسلمون ببطل جديد ، بالغ القوة والحساسة ، ألا وهو عماد الدين زنكى الذى عينه السلطان السلجوقى حاكما على الموصل فاستولى زنكى على معاقل الاراتقة وعلى حلب ، التى ألق بوهيمند الثانى وجوسلين عن حصارها بسبب خلافاتهم فى خريف ١١٧٢م/ ٥٢١هـ (١٩٧) ، والتى قدر لها أن تكون نقطة انطلاق زنكى حتى جنوب الشام ، ومركز قوة المسلمين التى قضت أطراف الممتلكات الصليبية فى شماله (١٩٨) . وبعد أن ضاعت فرصة الاستيلاء على حلب ، توجه بوهيمند الى الجنوب من اماراته حيث استولى على حصن القدموس من الباطنية (١٩٩) . ثم قام بالاغارة على شيزر فى طريق عودته الى انطاكية ، وذلك قبل اشتراكه مع ملك بيت المقدس فى حملة الاخير ضد دمشق (٢٠٠) . ثم فكر بوهيمند الثانى أن يدعم سلطة انطاكية شمالا فى اقليم قيليقية وجعلها كما كان يهدف كل من بوهيمند وتنكريد ، عائقا أمام تقدم البيزنطيين الذين ربما يعاودون محاولة استرداد انطاكية وهى الشغل الشاغل لهم منذ بداية الحركة الصليبية (٢٠١) . الا أن هذا التفكير قاد بوهيمند الثانى الى حتفه ، حيث باغته الامير غازى بن الدانشمند ، الذى كان فى طريقه لتحقيق نفس الهدف ، عند عين زربة وقضى عليه وعلى قواته ، وذلك فى فبراير ١١٣٠م/ ربيع أول ٥٢٤هـ (٢٠١) . ولا شك أن موت بوهيمند كان خسارة كبيرة

(١٩٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢١٦ - ٢٧١ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٧١ - ٢٧٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٥ - ٢٨ ، ٢٨ - ٤٠ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

Mayer, the Crusades, p. 84.

(١٩٨)

(١٩٩) « القدموس » قلعة بالقرب من منطقة الخوابى شمالى طرابلس .

انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٨١ ، القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٤٧ .

(٢٠٠) ابن منقذ : كتاب الاعتبار ، ص ٦٣ ، ٦٤ ، وعن حملة بولدوين

الثانى على دمشق انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،

ص ٢١٨ - ٢٢٥ ، ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ، ص ٢٧٨ - ٢٨٠ .

انظر أيضا :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 40-43.

Rey : Histoire des Princes d'Antioche, p. 356.

(٢٠١)

(٢٠٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٢٨٣ ، ابن العديم : =

للفرنج في شمال الشام (٢٠٣) . كما أدى موته الى اضطراب الاحوال في انطاكية (٢٠٤) ، الامر الذي مكن زنكى من اقتطاع بعض املكها الشرقية (٢٠٥) . كما انتهز ليو زعيم الارمن في سيس فرصة موت بولدوين الثانى وجوسلين كونت الرها المدافعين عن انطاكية (٢٠٦) ، واستولى على املك انطاكية في قيليقية في ١١٣١م/٥٢٦هـ (٢٠٧) . كما انتهز نفس الفرصة كل من سيف الدين بن عمرون صاحب حصن الكهف ، والتركمان واستولوا على بعض معاقل انطاكية في الجنوب . وهكذا فقدت انطاكية ميزتها بضياع ممتلكاتها البعيدة في الشمال وفي الجنوب (٢٠٨) . وفي غمرة هذه الاحداث افتقرت انطاكية الى الامير الذى يدافع عنها ، الا أن ذلك دفع فولك الانجوى ملك بيت المقدس الى اظهار حماسه للدفاع

- = زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ ، راجع أيضا :
Michel Le Syrien, t. 3, p. 227; Chron. Anon., p. 99;
William of Tyre, Vol. 2, p. 43. (٢٠٣)
(٢٠٤) مات بوهيمند الثانى دون أن يترك وريثا للعرش بل ترك طفلة تدعى كونستانس لم تبلغ الثانية من عمرها . وحاولت أرملته اليمس أن تستقل بحكم انطاكية وأرسلت الى عماد الدين زنكى لمساعدتها على ذلك على أن تكون تابعة له لولا تدخل والدها ملك بيت المقدس . انظر :
William of Tyre, Vol. 2, pp. 44-45; Michel Le Syrien, t. 3 p. 230.
(٢٠٥) استولى زنكى في هذه الفترة على معرة مصرين وهاجم ريبض الاثارب وخربه ، كما حاصر حارم وصالحه أهلها على نصف دخلها . انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٨٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٤٢ - ٤٣ ، راجع أيضا :
Michel Le Syrien, t. 3, p. 230.
(٢٠٦) مات بولدوين الثانى في أغسطس ١١٣١م/شوال ٥٢٦هـ ، ومات جوسلين في سبتمبر/ذى القعدة من نفس السنة . انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٣٣ .
راجع أيضا :
Willim of Tyre Vol. 2, p. 95-46; Chron-Anon, pp. 99-100.
Gregory the Priest, Continuation of Metthew of Edessa's (٢٠٧)
Chronicle, in R.H.C-Doc-Arm., Vol. 1, p. 152; Michel
Le Syrien, t. 3, pp. 230-23; Sempad Le connetable,
Chronique, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol 1, p. 615.
Runciman, Vol 2, p. 200. (٢٠٧)

عنها وعن الوجود الصليبي في شمال الشام ، وهى السمة التى تميز بها ملوك بيت المقدس فى القرن الثانى عشر الميلادى . فكان على فولك أن يقوم بالدور الذى قام به من قبل بولدوين الثانى . فتصدى لمحاولة الاميرة اليمس للاستقلال بامارة انطاكية (٢٠٩) كما كان على فولك أيضا أن يتصدى لهجمات الاتراك المتتابة على انطاكية (٢١٠) . الا أن الخطر احدث بانطاكية عندما هاجمها عماد الدين زنكى نفسه فى ١١٣٥م/٥٢٩هـ ، حيث استولى على اقرب معاقلها الشرقية الى حلب (٢١١) ، مما دفع ملك بيت المقدس الى الاستجابة لطلب نبلاء انطاكية فى اختيار زوج للاميرة كونستانس ليقوم بأعباء الامارة (٢١٢) ، فوقع اختياره على ريموند بواتيه (٢١٣) .

(٢٠٩) اجتذبت اليمس ، التى عادت الى انطاكية من منفاه فى اللاذقية ، كلا من بونزكونت طرابلس وحكام القلاع الجنوبية للامارة فى زردنا وصهيون الى صفها ضد الملك فولك للاستقلال بحكم انطاكية ، وقامت نزاعات بين الطرفين ، وذلك فى ١٢٣١م/٥٢٧هـ . ثم عادت اليمس ووحدت جهودها مع البطريرك اللاتينى الجديد لانطاكية رادولف الذى خلف برنارد الذى مات فى ١١٣٥م/٥٢٩هـ ، وارسلت الى الامبراطور البيزنطى يوحنا كومنين بشأن زواج ابنتها كونستانس من ابنه مانويل . كل ذلك لتحصل على الحماية البيزنطية ضد الملك فولك ونبلاء انطاكية الذين كرهوا تصرفات أرملة بوهيمند الثانى . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 53-54, 60-61, 78; Cinamus (John), Epitome Historiarum, in C.S. H.B., Bonne, 1836, p. 17. CF. also, Rey, Dignitaires, p. 193; Mas Latrie, Les Patriarches Latins D'Antioche, in R.O.L., Vol. 2, Paris, 1894, p. 143.

(٢١٠) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٣٦ ، ٢٤٠ - ١٤١ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٣ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
(٢١١) أهمها حصن الاثارب حيث كان من به من الفرنج « يقاسمون أهل حلب على جميع أعمالها » انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٨٢ .

William of Tyre, Vol. 2, p. 59. (٢١٢)

(٢١٣) وهو الابن الاصغر لوليم التاسع دوق اكويتانيا والمقيم فى بلاط هنرى الاول ملك انجلترا . وقد حضر سرا الى انطاكية بمساعدة الاسبتارية حيث تزوج من كونستانس دون علم اليمس التى عاشت بقية حياتها فى اللاذقية . وكان وصوله الى انطاكية =

وكانت لحظة وصول ريموند الى انطاكية لحظة خطيرة ، فقد وصل في وقت كان فيه كل من زنكى وحنا كومنين قد انطلق لتحقيق طموحاته في الشام (٢١٤) . وكان كل ما تحتاجه اماره انطاكية بالفعل ، هو حسن سياسة ريموند ، في ذلك الوقت الذى فقدت فيه معاقلها على الحدود الشمالية والجنوبية ، وكان على ريموند أن يضطلع بمهمة المحافظة على كيان الامارة الصليبية في أشد الاوقات حرجا . ففي الوقت الذى وصل فيه ريموند الى انطاكية كان سوار نائب زنكى في حلب قد أغار على أراضيها في ابريل ١١٣٦م/ رجب ٥٣٠هـ حتى بلغ اللاذقية ، « وامتلات حلب من الاسارى والدواب ... » (٢١٥) . وقبل التصدى للمسلمين ، رأى ريموند أن يسترد ممتلكات امارته من الارمن في قيليقية ، وبذلك يكون قد حقق هدفين في وقت واحد ، الاول وهو تأمين حدوده الشمالية ، خاصة بعد تواتر الانباء عن حملة الامبراطور البيزنطى (٢١٦) ، وبذلك يكون قد حقق هدفه الثانى أيضا وهو تأمين ظهره قبل مواجهة مسلمى حلب (٢١٧) . وباقترب الامبراطور ، كان على ريموند أن لا يبرح انطاكية ، الا أنه اضطر الى ترك امارته معرضة للخطر البيزنطى ، وذلك لنجدة ملك بيت المقدس الذى يحاصره زنكى في قلعة بعرين (٢١٨) . وعاد ريموند الى انطاكية متسللا أثناء حصار الامبراطور لها ، ليرسل الى الاخير رسالة يعترف له فيها بالسيادة ، خاصة بعد أن تلقى استشارة ملك بيت المقدس الذى لم ينكر حق البيزنطيين في انطاكية (٢١٩) . كما

- = في ابريل ١١٣٦م/ رجب ٥٣٠هـ . انظر :
William of Tyre, Vol. 2, pp. 59-60, 78-79. CF. also, Rey, Histoire des Priaces d'Antioche, p. 359.
Cahen, p. 357. (٢١٤)
(٢١٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٨ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ - ٢٦١
(٢١٦) Nicetas Coniates, Historia, in C.S.H.B, Bonne 1835, pp. 27-35; Cinanus, pp. 14-18.
(٢١٧) Runciman, Vol. 2, p. 201.
(٢١٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٥٩ ، راجع أيضا : William of Tyre, Vol. 2, pp. 85-87, 90-91;
(٢١٩) أرسل فولك الى ريموند بأن مطالب الامبراطور صحيحة « حسب الاتفاقيات التى عقدها أسلافنا » انظر :
Vitalis, Vol. 5, pp. 506-508. CF. also, Runciman, The Visit of =

تعهد بترك انطاكية للامبراطور الذي وعده بتعويضه عنها بكل من حلب وشيزر وحمص وحملة اذا ما تمكن من الاستيلاء عليها جميعا (٢٢٠) . وفي الواقع لم تكن هذه الاتفاقية سوى مشروعا بيزنطيا صليبيا ضد مسلمي الشام ، الذي لم ينجم عنه سوى استرداد ريموند لبعض معاقل امارته الشرقية ، وحصار حلب دون جدوى وكذلك محاصرة زنكي في شيزر دون طائل (٢٢١) . وهكذا فشل الحلف الصليبي البيزنطي في الاستيلاء على أي من المدن الاسلامية التي هدف اليها . ويرجع ذلك الى عدم توفر حسن النية بين كل من الفرنج والبيزنطيين (٢٢٢) . هذا الى جانب جهود زنكي في تفرقة صفوف أعدائه (٢٢٣) الذين انتهز فرصة انسحابهم عن اقليم شيزر واسترد كل ما كانوا قد استولوا عليه من قبل شرقي انطاكية (٢٢٤) . بينما لم تنقطع غارات سوار نائبه في حلب على انطاكية ، وتبادل الطرفان الظفر والخسارة (٢٢٥) . وبذل ريموند كل جهده للحفاظ على بقايا امارته في وقت تغيرت فيه الظروف في الشام بازدياد قوة زنكي ، وسيطرة البيزنطيين على آسيا الصغرى . الا أنه برحيل الامبراطور البيزنطي ، استطاع التحرك ، فكان له الفضل في

king Amalric I to constantinople in 1171, in Outremer, =
p. 155.

(٢٢٠) Nicetas, pp. 36-37; Cinamus, pp. 18-19; William of Tyre, p. 93.
(٢٢١) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٦ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٦٤ ، ابن منقذ : كتاب الاعتبار ، ص ١١٣ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ١٣ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ - ٢٦٨ . راجع أيضا :

Cinamus, pp. 19-20.

(٢٢٢) خشي ريموند من نجاح الامبراطور في الاستيلاء على شيزر التي سيبقى ريموند فيها بالقرب من خطر المسلمين ، وعز على جوسلين استقرار ريموند في حلب وشيزر . لذا لم يجد كل منهما في مساعدة الامبراطور . انظر :

Runciman, History of the crusades, vol. 2, p. 216.

(٢٢٣) راسل زنكي كلا من الامبراطور والفرنج يخوف كل منهما من الآخر . انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٠٦ .
(٢٢٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٨٣ . راجع أيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٧٤ .
(٢٢٥) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧١ .

استيلاء الصليبيين على بانياس في مايو ١١٤٠م/رمضان ٥٣٤هـ ، والتصدى لحركة زنكى لضم دمشق الى ممتلكاته (٢٢٦) . كل ذلك جعل زنكى يرحل الى الشرق حيث بقى هناك أربع سنوات اقتصر اهتمامه فيها بالموصل التى توسع فيها بفتوحاته على حدود العراق وكردستان وديار بكر (٢٢٧) . وفى خلال فترة غيابه اقتضرت العلاقات بين حلب وانطاكية على غارات مفساجئة لم تغير شيئاً من حالة الحدود الموجودة فى عام ١١٣٨م/٥٣٣هـ (٢٢٨) . وفى ١١٤٢م/٥٣٧هـ ، عجل ريموند بغزو مدن قيليقية بعد موت الامبراطور حنا كومنين فى نفس السنة (٢٢٩) . الا أن ذلك وتر العلاقات بين الفرنج والامبراطور الجديد مانويل كومنين ، الذى استرد ما استولى عليه ريموند (٢٣٠) . واستغل زنكى سوء العلاقات هذه ، وكذلك سوء العلاقات بين ريموند وجوسلين الثانى ، واستولى على الرها فى ديسمبر ١١٤٤م/جمادى الآخرة ٥٣٩هـ (٢٣١) . وهكذا بعد أن ساهم ريموند فى استيلاء الفرنج على بانياس ، نجده يتحمل وزر سقوط أول امارة لاتينية قامت فى الشرق الاسلامى (٢٣٢) . ثم استغل ريموند فرصة اضطراب أحوال المسلمين بموت زنكى وانشغال نور الدين بترتيب أموره

(٢٢٦) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٧١ - ٢٧٣ ، ابن منقذ : كتاب الاعتبار ، ص ١٣٩ ، راجع أيضا :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 107-111.

(٢٢٧) ابن الاثير : الكامل : ج ١١ ، ص ٣٤ - ٣٥ ، ٤٠ - ٤٢ .

(٢٢٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٢٢٩) مات حنا كومنين فى ابريل ١١٤٢م/شوال ٥٣٧هـ . انظر :

Nicetas, pp. 56-81; Cinamus, p. 29.

Cinamus, pp. 33-34.

(٢٣٠)

(٢٣١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ ، ابن

العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٦ . راجع أيضا :

Michael Le Syrien, t. 3, pp. 259-263; Nerses Shnorhali, Elegie

sur la prise D'Edessa, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1,

pp. 227 ff; Chron-Anon. Syr. pp. 281-286; William of

Tyre, Vol. 2, pp. 140 fff.

Nerses Shnorhali, p. 252.

(٢٣٢)

في العراق وحلب (٢٣٣) ، وهاجم ريموند حلب حتى أسوارها (٢٣٤) .
 إلا أن نور الدين قام بحملة انتقامية استولى فيها على كل أملاك انطاكية
 الواقعة شرقي نهر العاصي ، وذلك في ١١٤٧م / ٥٤٢هـ (٢٣٥) . وهكذا
 أظهر نور الدين محمود أنه لا يقل عن أبيه قوة وعزما ، من شأنهما أن
 يجعلاه أخطر أعداء الصليبيين بعامة ، وانطاكية بخاصة ، والتي حاول
 أميرها ريموند استغلال وجود الحملة الصليبية الثانية التي استمدت
 قوتها الدافعة مثل الحملة الأولى من الشرق (٢٣٦) للهجوم على حلب
 وشيذر لكي يخفف الضغط الإسلامي على الجزء الشمالي من الإمارات
 اللاتينية ، إلا أنه فشل في ذلك بالرغم من الحفاوة البالغة التي استقبل

(٢٣٣) مات زنكي في سبتمبر ١١٤٦م / ربيع ثان ٥٤١هـ . انظر ابن
 القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٨٤ - ٢٨٨ ، ابن الاثير :
 الكامل ، ج ١١ ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٢٣٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٩١ .
 (٢٣٥) استولى على ارتاح وكفر لاثاوبسرفوت والبلاط . انظر ابن الاثير :
 الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ،
 ص ٢٩١ .

(٢٣٦) في ١١٤٥م / ٥٤٠هـ نشر الحجاج العائدون الى أوروبا من الاراضي
 المقدسة الاخبار الحزينة لسقوط الرها . وقد سمع المؤرخ أوتو
 الفريزي أسقف جبلة وهو ينتحب أمام البابا أيوجينس الثالث
 على أحوال كنيسة الشرق بعد سقوط الرها . كما زود أساقفة
 أرمينيا الذين جاءوا الى البابا بشأن توحيد كنيستهم مع كنيسة
 روما ، زودوه بمعلومات عن أحوال الشرق اللاتيني بما دفعه
 الى اصدار مرسوم يعلن فيه قيام الحملة الصليبية الثانية .
 انظر :

Otto, Bishop of Freising. Chronica, (ed. Hofmeister), M.G.H.
 Ss., in Usus Scholarum, 1912, pp. 363-365.

ومن المعروف أن الحملة الثانية قامت تحت قيادة أكبر عاهلين
 في أوروبا في ذلك الوقت وهما لويس التاسع ، ملك فرنسا
 (١١٣٧ - ١١٨٠م) وكونراد الثالث امبراطور ألمانيا (١١٣٨ -
 ١١٥٢م) ، بعد أن راسلها البابا أيوجينوس الثالث بشأن
 الحملة . انظر :

Jaffé, (Philipp) and Samuel Löwenfeld (eds.), Regesta Ponti-
 ficum Romanorum, 2 Vols. Leipzig, 1885-1888, Vol-2,
 no. 8796.

بها لويس السابع وقواته في انطاكية (٢٣٧) . كما فشل في ذلك أيضا ريموند الثانى كونت طرابلس وجوسلين كونت الرها (٣٣٨) . وتوجه لويس السابع الى بيت المقدس حيث قام بحملة مع كونراد وملك بيت المقدس ضد دمشق ، في ٢٤ يوليو ١١٤٨م/ ٥ ربيع أول ٥٤٣هـ ، انتهت بالفشل التام (٢٣٩) وهكذا احتلت الحملة الثانية مكانا ضئيلا في تاريخ الحروب الصليبية ، وربما كان النقاش حول أسباب فشلها هو الذى جعلها تحتل مكانا أكبر في حوليات المؤرخين . وكانت أسباب فشلها خطيرة بالنسبة للفرنج . فهى لم تفشل فقط في استرداد الرها ، ولكنها تسببت في ميل ميزان القوى ، الذى كان متوازنا لفترة الخمسين عاما الماضية بين المسلمين والفرنج ، لصالح المسلمين . وألقى الهجوم الذى قدرت حساباته خطأ ضد دمشق - الحليف الوحيد من بين المدن الاسلامية للفرنج - ألقى بها في أيدي نور الدين محمود ، الذى دعم مركزه من العراق عبر الشام الى الحدود الشمالية لمملكة بيت المقدس الصليبية (٢٤٠) . وبدأ ضغطه على الفرنج عامة ، وكانت أولى الامارات الصليبية وأكثرها

(٢٣٧) وصل لويس الى انطاكية في ١٩ مارس ١١٤٨م/ ٢٧ شوال ٥٤٢هـ بعد رحلة شاقة في آسيا الصغرى . ويبدو أن بيت المقدس كانت أكثر جاذبية للملك ورجاله من تنفيذ رغبات ريموند . الى جانب غضبه من ميل زوجته اليانور الى خالها أمير انطاكية . انظر :

Odo of Deuil, *De profectione Ludvici VII in Orientem*, trans. by V.G. Berry, New York, 1948, pp. 140-143; William of Tyre, Vol. 2, pp. 180-182.

(١٣٨) كان جوسلين يأمل في استرداد الرها ، وريموند الثانى في استرداد بعرين التى استولى المسلمون عليها من قبل . انظر : William of Tyre, Vol. 2, p. 183.

(٢٣٩) انتهى رأى المؤرخين الى أن فشلت الحملة الثانية يرجع الى المصالح المتضاربة بين الصليبيين والقيادة المنقسمة ، ونقص المعلومات عن البلاد الاسلامية . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 194-195; Michel Le Syrien, t. 3, p. 276. CF. also, King (E.J.) *The knights Hospitalers in the Holy Land*, London 1931, p. 47; Constable (G.), *The second Crusade as seen by contemporaries*, in *Traditio*, Vol. IX, 1953. pp. 266 ff.

Prawer (J.), *The latin kingdom of Jerasalem*, p. 25.

(٢٤٠)

تعرضا لهجماته هي امارة انطاكية . واذا استشعر ريموند ذلك فقد بادر بمهاجمة نور الدين محمود بمساعدة على بن وفا الكردي وأتباعه من الباطنية ، الذين حقدوا على نور الدين لابطاله شعائهم في حلب . واستطاع ريموند اجبار نور الدين على التقهقر الى اقامية ثم الى حلب وذلك في نوفمبر ١١٤٨م/رجب ٥٤٢هـ ، الا أن هذا النصر لم ينتج عنه أي استرداد للاراضي الانطاكية المفقودة (٢٤١) . بل أنه دفع نور الدين الى أن يوجه جهوده مرة أخرى ضد انطاكية . ولما خرج ريموند لملاقاته ، ونتيجة لنفس السبب الذي وقع فيه روجر الانطاكى من قبل ، عرض ريموند قواته للهجوم الاسلامي المفاجيء ، وانتهى الامر بكارثة لانطاكية فقد تمكن المسلمين من ابادة غالبية جيش ريموند وأسروا الباقين ، وكان من بين القتلى رينو حاكم مرعش وعلى بن وفا وريموند نفسه ، وذلك عند انب الواقعة شرقي نهر العاصي في ٢٩ يونيو ١١٤٩م/٢١ صفر ٥٥٤هـ (٢٤٢) . وكانت نتائج موقعة انب خطيرة بالنسبة للفرنج في شمال الشام بصفته عامة ولامارة انطاكية بصفة خاصة . فعلى الفور أوغل نور الدين في اراضيها حتى وصل الى ميناء السويدية (٢٤٣) . وهذا في الوقت الذي وقع فيه جوسلين في الاسر ، وبادر كل من نور الدين محمود ومسعود سلطان قونية بالاستيلاء على بقايا امارة الرها (٢٤٤) . ولم ينقذ انطاكية الا جهود البطريرك ايمري دي ليموج الذي عقد هدنة مع

(٢٤١) ابن منكلي (محمد) : كتاب الاحكام المملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر (مخطوط تصوير شمسي) ، لوحة ٥٢ ، ٥٣ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠٢ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٥٧ .
(٢٤٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ، ابن منكلي ، كتاب الاحكام المملوكية (مخطوط تصوير شمسي) اللوحة ٥٣ ، بدر الدين الدمشقي : الدر الثمين في سيرة الدين (مخطوط) ورقة ٥٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ، انظر أيضا :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 196-198; Gregory The Priest, p.161.

CF. also, Smail, Op. Cit., p. 33.

(٢٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٠١ - ٣٠٥ . راجع أيضا : William of Tyre, Op. Vol. 2, p. 199.

(٢٤٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣١٠ « أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٧١ ، انظر أيضا : Chron-Anon., pp. 300-301.

نور الدين على أن يسلمه انطاكية، اذا لم يأت بولدوين الثالث ملك بيت المقدس الذى استدعاه البطريرك لاستلام المدينة (٢٤٥) والذى استطاع دخولها مع الداوية ، وعقد هدنة مع نور الدين محمود . واستتبت الامور فى انطاكية (٢٤٦) التى فقدت جيشها ، ولم تتعد حدودها سهل انطاكية وساحل البحر من الاسكندرونة الى اللاذقية (٢٤٧) . لذلك لم يشأ ملك بيت المقدس أن يغادر انطاكية الا بعد أن يطمئن على أمورها (٢٤٨) ، فبادر بتدبير زواج الاميرة كونستانس التى رفضت كل من رشح للزواج منها (٢٤٩) لأنها كانت قد قررت الزواج من رينودى شاتيون ، ذلك الفارس العادى الذى فضله على كل نبلاء الشرق الفرنجى (٢٥٠) ، والذى تم زواجه منها قبل مايو ١١٥٣م / ربيع أول ٥٤٨هـ وبذلك أصبح رينو أميرا على انطاكية (٢٥١) .

ولقد واكب عهد رينو دى شاتيون فى انطاكية فترة جديدة من تاريخ الامارة الصليبية تميزت بالضعف من جانب الصليبيين ، فى الوقت الذى كانت تظهر فيه بوادر الوحدة القوية من جانب المسلمين ، ولم يحفظ الشرق اللاتينى سوى الحماية البيزنطية . وحقيقة قد تميز عهد

(٢٤٥) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٣٠٥ : انظر أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, p. 200.

(٢٤٦) Addison (C.H.G.) The knights Templars, London 1842, pp. 43.

(٢٤٧) انظر خريطة رقم (١) . راجع أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, p. 199. CF. also, Cahen, op. Cit.
p. 384.

(٢٤٨) Mayer (H.E.), Studies in the History of Queen Melisende, in
D.O.P., Vol. 26, pp. 128-129.

(٢٤٩) رشح الملك للاميرة ثلاثة رجال من أوربا كما رشح لها الامبراطور
مانويل كومنين زوج أخته المتوفاة . ورفضت الجميع . انظر :
William of Tyre, Vol. 2, p. 233; Cinamus, p. 178.

(٢٥٠) عن أصل رينو دى شاتيون الذى سماه المؤرخون العرب أرناط ،
انظر :

Hamilton (B.), The Elephant of Christ, Regnald of Chatillon,
in S.C.H. Vol. 15, London, 1978, p. 98.

(٢٥١) أقر رينو للبنادقة امتيازاتهم السابقة فى انطاكية بصفته أميرا لها
فى مايو ١١٥٣م / ربيع أول ٥٤٨هـ . انظر :

Röhrich, Regesta, p. 72.

رينو في انطاكية بالجرأة والاقدام ، ولكنه لم يكن الرجل المناسب للامارة ، ولم يكن هذا ذنبه ، فقد بدد كل طاقاته في القيام بأعمال أبعد ما تكون عن الصواب . وقد تمثل ذلك في مواجهة نور الدين محمود ، تلك المواجهة التي كانت تتطلب من رينو أن يركز كل جهوده لزعزعة نور الدين الدين عن المناطق التي استولى عليها من أملاك انطاكية بعد موقعة انيب (٢٥٢) . الا أن رينو أخذ يورط نفسه تباعا في أعمال أخرى غير مواجهة نور الدين الامر الذي جعل الفرنج لا يذكرون له الا عيوبه واخطائه ، وهي اغارته على جزيرة قبرص البيزنطية المسيحية (٢٥٣) ، وتنكيله بايمرى دى ليموج بطريك انطاكية اللاتيني (٢٥٤) . واذا كان رينو قد اشتهر بتهوره واندفاعه الا أننا نلمس له العذر في الحادثتين الاخيرتين (٢٥٥) وممها يكن من أمر ، فاذا كان رينو قد تجنب مواجهة نور الدين فانه لم يكن بوسع أى من الحكام الصليبيين أن يقدم على ذلك . فاستيلاء بولدوين الثالث على عسقلان من الفاطميين في ١١٥٣م / ٥٤٧هـ (٢٥٦) ، دفع نور الدين الى الاستيلاء على دمشق في ١١٥٤م / ٥٤٩هـ (٢٥٧) . وهذا خلق حالة توازن القوى بين الصليبيين والمسلمين في الشام . بل أن خطر نور الدين الذي كان يهدد انطاكية أصبح يهدد كل أملاك الفرنج الواقعة تحت أمرة زعامات مختلفة (٢٥٨) . وتجلى

Stevenson, p. 175.

(٢٥٢)

William of Tyre, Vol. 2, pp. 253-254; Sempad, p. 621; Michel (٢٥٣)

Le Syrien, t. 3, p. 315; Cinamus, pp. 197-198.

راجع أيضا : سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ، القاهرة ١١٥٧ ، ص ١٢ .

Hamilton (B.), The Elephant of Christ, p. 98. (٢٥٤)

(٢٥٥) لم يكن الدافع وراء تصرفات رينو الا حاجته الى المال وليس تهوره كما يرى الكثير من المؤرخين . انظر : حسين عطية : امارة انطاكية الصليبية ، ص ٢٤٥ ، ملحق رقم (٤) .

(٢٥٦) ابن القلانيس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣١٨ - ٣٢١ ، أبو شامة الروضتين ، ج ١ ، ص ٨٩ - ٩٠ ، مسبط بن الجوزي : مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٣٠ - ١٣١ .

(٢٥٧) ابن القلانيس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٢٦ ، وما بعدها ، ابن الوردي تنمة المختصر في أخبار البشر ، جزءان ، تحقيق أحمد رفعت ، بيروت ١٩٧٠م ، ج ٢ ص ٨٧ .

Cahen, p. 394.

(٢٥٨)

هذا الاختلاف في ١١٥٧م/٥٥٢هـ حين تضاربت مصالح الفرنج الشخصية وفشلوا في الاستيلاء على شيزر (٢٥٩) ، بالرغم من نجاحهم في الاستيلاء على حارم في فبراير ١١٥٨م/محرم ٥٥٣هـ (٢٦٠) ، ولاشك أن استرداد رينو لحارم قد ضمن أمن وسلامة انطاكية (٢٦١) . ولم يشغل نور الدين عن انطاكية في تلك الفترة سوى سقوطه مريضا مرة أخرى ، وتمرد أخيه نصر الدين ، وتواتر الانباء عن اقتراب الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين الذي كان لحضوره الى الشام عدة نتائج بالغة الاهمية ، وان لم تكن مرضية بالنسبة للفرنج (٢٦٢) . فقد تم تأديب أمير انطاكية على تصرفاته ضد أملاك بيزنطة ، وتم اعترافه بالسيادة البيزنطية على انطاكية (٢٦٣) . وخابت آمال ملك بيت المقدس في عقد تحالف مع الامبراطور ضد نور الدين محمود الذي عقد معه مانويل هدنة (٢٦٤) . وكانت آخر نتائج حملة مانويل هي وقوع بلاد الشام بأكملها لفترة تقدر بعشرين عاما تحت تأثير السياسة البيزنطية (٢٦٥) . وبهدنة نور الدين مع مانويل سادت فترة هدوء نسبي بين المسلمين والصليبيين كانت كل الاعتداءات فيها من جانب الفرنج (٢٦٦) ، الا أنها أفقدتهم أميرى الرها

(٢٥٩) ابن القلانسي : المصدر السابق : ص ٣٤٩ . راجع أيضا :
Chron. Anon. Syr., p. 302, William of Tyre, Vol. 2, pp. 266-268

(٢٦٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٩٢ ، أبو شامة : الروضتين ،
ج ١ ، ص ١٠٠ - ١٠١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ،
ص ١٢٢ - ١٢٨ .

(٢٦١) Cahen, p. 398.

(٢٦٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٦ ، أبو شامة :
الروضتين ج ١ ، ص ١٢٢ ؛ ابن الوردي : تكملة المختصر ،
ج ٢ ، ص ٩٥ .

(٢٦٣) William of Tyre, Vol. 2, pp. 276-277; Cinamus, pp. 181-185;
Gregory The Priest, p. 188; Vahram Rabuni, Chronique,
in R.H.C.Doc. Arm., Vol. 1, p. 505 CF. Also; La Mont
(J.L.) to what extent was the Byzantine Empire the suze-
rain of the Latin crusading states, in B., Vol. VII, 1932,
p. 253.

(٢٦٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٥٧ ؛ أبو شامة : الروضتين ،
ج ١ ، ص ١٢٣ . راجع أيضا :

Cinamus, pp. 188-190.

Cahen, p. 402.

Stevenson, p. 182.

(٢٦٥)

(٢٦٦)

وأنطاكية ، وأكدت النفوذ البيزنطى فى شمال الشام . ففى يوليو ١١٦٠م/ رجب ٥٥٥هـ وقع جوسلين الثالث حاكم حارم أسيرا فى قبضة المسلمين أثناء اغارته على حلب (٢٦٧) . وفى نهاية نفس العام وقع رينو أسيرا أثناء عودته من اقليم الرها بعد اغارته هناك ، ليبقى فى أمر مجد الدين ابن الداوية نائب نور الدين فى حلب حتى ١١٧٦م/٥٥٧٢هـ (٢٦٨) .

وفى ١١٦٢م/٥٥٨هـ بلغ بوهيمند الثالث - ابن ريموند بواتيسه - الثامنة عشرة من عمره ، وهى السن التى كان يحق له فيها ان يباشر أمور أنطاكية (٢٦٩) . وبدأ هذا الأمير عهده بالاشتراك فى العمل ضد نور الدين محمود الذى انتهز فرصة زحف عمورى الاول ملك بيت المقدس الجديد على مصر (٢٧٠) ، وقام بالهجوم على طرابلس ، حيث استطاع الفرنج الانتصار عليه ، وقتل وأسر عدد كبير من قواته بالقرب من حصن الاكراد ، وأفلت نور الدين بأعجوبة (٢٧١) . وإذا كان بوهيمند الثالث قد بدأ أعماله ضد المسلمين بالاشتراك مع الفرنج فى تحقيق أو انتصار واضح على نور الدين محمود ، فإن السنوات الاولى من حكمه لم تكن كلها طيبة بالنسبة له ، اذ أصبحت اماره أنطاكية ضحية السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس . فقد تركزت سياسة عمورى الاول فى العمل على الاستيلاء على مصر التى اضطربت أحوالها السياسية (٢٧٢) وهى الغنية بمواردها الى

Gregory the Priest., p. 195. Chron. Anon. Syr., p: 303: (٢٦٧)

William of Tyre, Vol. 2, pp. 283-284; Gregory the Priest, p. 198. (٢٦٨)

تقرر نفي كونستانس الى اللاذقية لمحاولتها الاستئثار بالسلطة (٢٦٩)

دون بوهيمند . وماتت فى ١١٦٣م/٥٥٩هـ . انظر :

Chron. Anon. Syr., p. 303.

(٢٧٠) مات بولدوين الثالث ١١٦٢م/٥٥٧هـ . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 293, 303-304; letter of king

Amaury to king of France, dated 1163, in R.H.G.F., Vol.

16, pp. 59-60.

(٢٧١) ابن الاثير : التاريخ الباهر ، ص ١١٦ - ١١٧ ؛ ابن واصل : مفرج

الكروب ، ج ١ ، ص ١٣٥ - ١٣٦ . انظر أيضا :

William of Tyre, Vol. 2, p. 306.

Schlumberger (G.), Campagnes du Roi Amaury 1er de (٢٧٢)

Jerusalem en Egypte au XII siècle, Paris 1906, pp. 18-19;

Saunders (J.J.), Aspects of the Crusades, New Zeland, 1961.

p. 28.

جانب ادراكه بأن استمرار الفرقة بين نور الدين الذي وحد سوريا تقريبا وبين مصر هو الضمان الوحيد لبقاء الامارات الصليبية في الشام وفلسطين (٢٧٣) . وفي نفس الوقت كان نور الدين يدرك تماما أن انتصاره على الفرنج مرهون بأمر واحد ، وهو المبادرة بالاستيلاء على مصر قبل أن تقع في أيديهم وبذلك يتم تكتيل الجبهة الاسلامية من أعالي الشام والفرات شمالا الى مصر جنوبا ويصبح الصليبيون بين فكي الكماشة . وهكذا كانت امانة انطاكية هي كبش الفداء للعلاقات السياسية بين نور الدين محمود ومملكة بيت المقدس الصليبية . وقد رانا انطاكية أن تكون القلب بالنسبة للجند الصليبي الذي يوجه اليه نور الدين ضرباته كلما أراد أن يحد من نشاط الفرنج ضد مصر . وتجلى ذلك في أغسطس ١١٦٤م / رمضان ٥٥٩هـ حين انتهز فرصة توجه عموري الى مصر ، واستطاع نور الدين أن يهزم حشدا كبيرا من فرنج الشام ويأسر كلا من بوهيمند الثالث وريموند كونت طرابلس وجوسلين الثالث والقائد البيزنطي ، واستولى على حصن حارم (٢٧٤) ثم على بانياس في اكتوبر / مصرم من نفس العام (٢٧٥) . كل هذا دفع بعموري الى الجلاء عن مصر والعودة الى الشام حيث أجرى مفاوضات مع نور الدين محمود انتهت بفك أسر بوهيمند الثالث الذي عاد الى انطاكية في صيف عام ١١٦٥م / ٥٦١هـ (٢٧٦) . ليذهب بعد ذلك الى القسطنطينية طلبا للمساعدة البيزنطية بعد أن فقد فرسانه الذين أصبحوا حفنة صغيرة ليس بوسعها حماية انطاكية أمام

Cahen, op. cit. p. 407.

(٢٧٣)

(٢٧٤) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٣٣ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ - ٣٢١ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٣ - ١٤٥ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، مخطوط ، ورقة ١٥٢ - ١٥٣ . راجع أيضا :

William of Tyre, Vol. 2, p. 307-308; Cinamus, p. 216. CF.

also, Nikita (Elicsséeff), Nur AD-Din, 3 tomes, Damascus,

1967, t. 3, p. 741.

(٢٧٥) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٤ ، ١٣٩ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ . راجع أيضا :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 308-310; CF. also, Gibb (H.).

The Career of Nur-ad Din, in Setton, op. cit., Vol. 1, pp. 524.

(٢٧٦) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٤ . راجع أيضا :

William of Tyre, Vol. 2, p. 311.

هجمات نور الدين محمود (٢٧٧) ولسد النقص في قواته اعتمد بوهيمند على الجماعات الدينية العسكرية مثل الداوية والاسبتارية في الدفاع عن المعقل التي يشكل الدفاع عنها صعوبة بالغة (٢٧٨) أمام هجمات نور الدين محمود الذي قام في سبتمبر ١١٧١م / محرم ٥٧٦هـ بغارة انتقامية على اماره انطاكية وكونتية طرابلس على اثر نهب افرنج اللاذقية لسفنتين تجاريتين اسلاميتين كانتا في طريقهما من مصر الى الشام . فأرسل قواته الى طرابلس بينما توجه الى انطاكية ، وأصاب انطاكية وطرابلس من التخريب وهو ما دفع بالفرنج الى رد ما نهبوه الى المسلمين ، ودفع تعويضات كبيرة (٢٧٩) . وقد كانت هذه هي آخر أعمال نور الدين محمود ضد اماره انطاكية الصليبية .

واذا كانت اماره انطاكية قد قامت بدور كبير في تاريخ العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين في الشام وفلسطين ، فلم يكن هذا عن طريق أدائها لدورها العسكري فقط ضد المسلمين ، ولكنه أيضا بدعمها للكيان الصليبي ، وبدعمها لكل ما كان من شأنه أن يحفظ هذا الكيان . فبقدر ما كانت اماره انطاكية على درجة كبيرة من الاهمية لمملكة بيت المقدس الصليبية ، فانها كانت على نفس الدرجة من الاهمية لجماعات الفرسان الرهبان والمدن التجارية الايطالية للقيام بدورها في دعم الكيان الصليبي . فقد أنشأ الصليبيون قليلا من المؤسسات في سوريا وفلسطين يمكن القول بأنها شرقية النشأة . فقد أخذ الوجود الصليبي كل أفكاره من التجارب الاوربية ، ونادرا ما غامر بابتداعها في الشرق الا اذا أجبر على ذلك نتيجة لظروف محلية (٢٨٠) . ومن التجارب التي خاضها الوجود الصليبي دون الارتكاز على التجارب الاوربية تجربتان ، أطلق الفرنج

(٢٧٧) أمده الامبراطور بمبلغ من المال لدفع فديته وحمله بالهدايا كما أرسل معه بطريركا يونانياا لكنيسة انطاكية ليحل محل البطريك اللاتيني ايمري الذي توجه الى منفاه بقلعة القصير . انظر : William of Tyre, Vol. 2, p. 311 ff., Cf. also Rey, Les Dignitaires de la Principaute Antioche, p. 136.

Runciman, Vol. pp. 376-377.

(٢٧٨)

(٢٧٩) ابن الاثير : التاريخ الباهر ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .

Prawar (J.), The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 252. (٢٨٠)

العنان لقدراتهم في خوضهما ، وهما انشاء الجماعات الرهبانية العسكرية ، ثم الحرب وبناء الاستحكامات . ومن أكبر وأقدم الجماعات العسكرية كانت جماعتا الفرسان الاسبتارية والداوية . ولقد تشابهت وظائفهما في الفترة المبكرة من وجودهما ، حيث كرست كل منهما نفسها لرعاية الحجاج المسيحيين في طريقهم من الساحل الى بيت المقدس ثم الى الاماكن المقدسة على ضفاف نهر الاردن ، سواء كحرس لحمايتهم كما كان الامر بالنسبة للداوية ، أو لرعايتهم طبيا كما كان يفعل الاسبتارية (٢٨١) .

الا أن كلا منهما قد تحولت عن وظيفتها الاصلية الى هيئة فرسان محاربين (٢٨٢) . وفي ذلك الوقت كانت الحاجة ماسة الى الانتفاع بهما . فبالرغم من أن الجيش الصليبي كان أكثر كفاءة وسهولة على تعبئته من قرينه الاوربي ، الا أن حجمه الصغير كان يشكل ضعفا مزمنا ، الى جانب أن جزءا من هذا الجيش كان مشغول الحركة بصفة دائمة (٢٨٣) . فقد كانت مشكلة الصليبيين أنهم عندما يدفعون بالجيش في ميدان القتال ، فقد كانوا بذلك يعرضون المعقل القوية والتي حرمت من المدافعين عنها للخطر ، في الوقت الذي اعتمد فيه وجودهم على توفير جيش كامل وحراسات في نفس الوقت (٢٨٤) . ومن المعروف أن الاتباع الذين يحصلون على اقطاعات الارض كانوا يؤدون نظير ذلك خدمة عسكرية للامير ، بالاشتراك بعدد معين من الفرسان والمشاة في مشاريعه العسكرية في الوقت والمكان الذين يحددهما هو نفسه (٢٨٥) . فاذا أخذنا بالارقام التي

Prawer (J. 1, The Latin kingdom of Jerusalem, pp. 256-257. (٢٨١)

(٢٨٢) كان تحول الداوية الى هيئة محاربين في عام ١١١٨م/٥١٢هـ .
والاسبتارية بعد ١١٣٠م/٥٢٤هـ . انظر :

Prawer, p. 256; Riley smith (J.), The knights of st. John in Jerusalem and Cyprus (1050-1310) London, 1967, p. 52.

(٢٨٣) لم تتعد القوات العسكرية القائمة على الخدمة العسكرية الاقطاعية ٦٧٠ فارسا وعدة آلاف من المشاة . انظر :

Prawer, pp. 260-261.

(٢٨٤) في ١١١٩م/٥١٣هـ قرر ايلغازي مهاجمة الاثارب عندما علم بذهاب سيدها مع فرسانه وأيضا مع سادة القلاع الفرنجية الاخرى للتجمع عند انطاكية . انظر :

Walter the Cancellor, Bella Antiochena, p. 99.

Smail, (R.C.) Crusading Warfare, p. 90.

(٢٨٥)

أوردها والتر مستشار روجر الانطاكي وشاهد العيان في معركة ساحة الدم في ١١١٩م/٥١٣هـ وهي أن عدد قوات روجر كان ٧٠٠ فارس و ٣٠٠٠ من المشاة (٢٨٦) ، واضعين في الاعتبار أن روجر لتسرع في خوض المعركة ضد المسلمين لم يتلق أية معونة من الفرنج الآخرين . اذن فانه بعد هذه الخسائر الدائمة للاراضي لصالح زنكى ومن بعده نور الدين حتى هام ١١٧١م/٥٦٧هـ فان عدد الفرسان الصليبيين قد قل بدرجة كبيرة ، ومع اختفاء كونتية الرها ، فان المصادر الاقطاعية العسكرية للفرنج قد أصبحت أكثر وفرة في المملكة عنها في شمال الشام (٢٨٧) . وقد هيا انخراط جماعات الرهبان في أمور الحرب أمام الحكام اللاتين فرصة الحصول على مصدر لا ينضب للقوة المقاتلة وخاصة في شمال الشام (٤٨٨) . فبدأت اماره انطاكية في الاعتماد على الجماعات العسكرية للدفاع عن معاقلها التي لا تستطيع القيام بأعباء الدفاع عنها أمام المد الاسلامي في عهد زنكى ثم نور الدين محمود من بعده وكان ذلك في أيام ريموند بواتيه (٨٩) . واتبع أمراء انطاكية بعد ريموند سياسة التنازل عن المعاقل الى الداوية والامبتارية . وذلك في عهد كل من رينودى شاتيون وبوهيمنند الثالث (٢٩٠) . وهكذا فقد قامت الجماعات العسكرية خلال القرن ١٢م/٦هـ بدور كبير في الدفاع عن حدود اماره انطاكية الصليبية ، ولم لا وهي التي قامت بدور أكبر في حماية مملكة بيت المقدس نفسها (٢٩١) . ونادرا

Walter the cancellor, p. 88.

(٢٨٦)

Smail, p. 90.

(٢٨٧)

(٢٨٨) تعددت المصادر التي كانت تمد الفرنج بالقوات المقاتلة من الجيش الاقطاعي الى المرتزقة ثم الحجاج المسيحيين وأخيرا الجماعات العسكرية . انظر : Smail, pp. 88, 90-93.

King, p. 103, Delaville Le Roulx, p. 47.

(٢٨٩)

Riley-smith, p. 166.

(٢٩٠)

(٢٩١) اندهش ثوروس الملك الارميني حين زار مملكة بيت المقدس في عام ١١٦٦م/٥٥٧هـ من كثرة أملاك الجماعات العسكرية في المملكة وقال لعموري الاول « عندما جئت الى أرضك وسألت عمن تخص هذه القلاع قال البعض « هذه تخص الداوية » ، وقال آخرون : « أنها تخص الامبتارية » ، وهكذا لم أستطع أن أجد أي قلعة أو مدينة أو بلدة تخصك أنت ماعدا ثلاث ، وكل البقية كانت تخص الجماعات العسكرية » . انظر :

Ernoul Chronique d'Ernoul et de Bernard le Trésorier, ed.

Latrie, Paris 1871, pp. 27-28.

ما تجد حملة يقوم بها أمير انطاكية الا واشترك فيها الداوية أو الاسبتارية (٢٩٢) . الا أننا اذا ما أمعنا النظر في بنود المنح والامتيازات التي حصلت عليها الجماعتان من أمراء انطاكية تباعا ، نجد أن الامارة قد قامت بدور فعال لا يقل أهمية في تدعيم موقف هذه الجماعات في الشرق عن دور الجماعتين نفسه في حماية الامارة . فقد منح ريموند بواتيه في عام ١١٤٩م / ٥٤٤هـ الداوية حق الاعفاء من الضرائب العامة والالتزامات الاقطاعية ، وحق نقل ممتلكاتهم داخل وخارج الامارة ، الامر الذي ساهم في تدعيم موقفهم المالي (٢٩٣) . كما حرص أمراء انطاكية على تأكيد الامتيازات والمنح التي منحها أسلافهم للجماعتين ، الى جانب ما يضيفه كل أمير من امتيازات باسمه هو (٢٩٤) . وأهم ما قامت به لمارة انطاكية في دعم هذه الجماعات هو منحها اياهم الاستقلال الذاتي في شمال الشام . فقد منح بوهيمند الثالث في ١١٦٨م / ٥٦٣هـ للاسبتارية حق عقد الاتفاقيات مع المسلمين أو شن الحرب عليهم دون الرجوع اليه . هذا في الوقت الذي كان عليه هو فيه أن لا يعقد أي هدنة مع المسلمين دون أخذ رأي الاسبتارية . كما أن الاسبتارية كانوا غير ملزمين بتنفيذ بنود أي اتفاقية للامير مع المسلمين . كما كان لهم حق الاحتفاظ بالاسلاب التي يستولون عليها من المسلمين وليس من حق أمير انطاكية ان يطالب بجزء منها . كما أضاف بوهيمند في هذه المنحة أنه من حق الاسبتارية أن يستوردوا أو يصدروا ، يبيعوا أو يشتروا دون التزام نحوه ، الا في حالة بيع أو شراء شيء لا يخص الجماعة . كما أعفاهم من أداء الخدمات العسكرية الاقطاعية (٢٩٥) . وهكذا تمتعت جماعات الفرسان الرهبان في شمال الشام باستقلال ذاتي في المناطق الممنوحة لها من أمراء انطاكية ، كما تمتعت باتباع سياسة خارجية مستقلة بخصوص جيرانها المسلمين ، وبذلك

Rawer, p. 264. (٢٩٢)

Rilley-Smith, p. 145. (٢٩٣)

حدد رينو دي شاتيون كل المنح التي منحها ريموند بواتيه للداوية (٢٩٤)

في قلعة بغراس . وأجبر الارمن على ردها للجماعة ، وذلك في

١١٥٦م / ٥٥٠هـ . انظر : العيني : عقد الجمان (مخطوط

تصوير شمسي) ، ج ١١ ، لوحة ٥٧ - ٥٨ . راجع أيضا :

William of Tyre, Vol. 2, p. 254; Michel Le Syrien, T. 3 p. 314.

Rohricht, Regesta, p. 112. CF. also, King, p. 93; Riley smith, (٢٩٥)

p. 66.

تكون قد حصلت على مقابل مجز لما تقوم به من دور في الدفاع عن الامارة ،
أكثر مما حصلت عليه في مملكة بيت المقدس نفسها (٢٩٦) .

واستكمالا لدورها في دعم الكيان الصليبي في الشرق ، وفي دعم كل
ما من شأنه أن يقوى هذا الكيان قامت امارة انطاكية بدورها في تعزيز
مركز المدن الايطالية التجارية ومساعدتها على تحقيق أغراضها من
الاشتراك في الحركة الصليبية . وبالرغم من عدم وجود أى مصدر دون في
البندقية أو جنوا أو بيزا أو أمالفى يشير الى أى آمال مسيحية كما هو
معهود في وثائق ما وراء الالب في تلك الفترة ، الا أن ذلك لا يثبت غياب
الدافع الدينى وراء اشتراك المدن الايطالية في الحركة الصليبية ، مما
يوحى بوجود توازن بين الطموح الدينى والجشع المادى كما لاحظ المؤرخ
الجنوى كافارو (٢٩٧) . الا أن الهدف الرئيسى للمدن الايطالية التجارية
بعد الفترة المبكرة من الفتح الصليبي لسوريا وفلسطين هو
استخدام المنطقة التى تقع تحت النفوذ الصليبي كقاعدة سياسية واقتصادية
وسوق لبضائعهم كما المح المؤرخ البرت دكس (٢٩٨) . ومهما كانت
الدوافع من وراء اشتراك الايطاليين في الحركة الصليبية . فقد ساعدت
امارة انطاكية الصليبية هؤلاء في القيام بدورهم في هذه الحركة . ولا يتضح
ذلك الا اذا دققنا النظر في بنود العطايا والامتيازات التى منحها أمراء
انطاكية لهؤلاء منذ نشأة الامارة وحتى عام ١١٧١م / ٥٧٦هـ ففى ١٤ يوليو
١٠٩٨م / ١١ شعبان ٤٩١ هـ منح بوهيمند الاول للجنوية نظير قيامهم
بالدفاع عن انطاكية ضد أطماع أقرانه من قادة الحملة الصليبية الاولى ،
كنيسة القديس يوحنا في انطاكية ومعها ٣٠ منزلا واعفاء من أية مكوس
حالية أو فى المستقبل وقد تميزت منحتهم بالشمولية ، فهى تشمل كل
جنوى أتى أو ربما سيأتى فى المستقبل الى انطاكية الامر الذى وفر

(٢٩٦) ربما كان يرجع ذلك الى أن حكومات الامارات الصليبية فى شمال
الشام كانت أسوأ حالة من ملوك بيت المقدس الذين رفضوا
التصديق على مثل هذه الامتيازات الا خلال القرن ١٣م / ٧هـ
حيث انتقل مركز الثقل الاسلامى من العراق وحلب أيام زنكى
ثم نور الدين محمود ، الى مصر فى أيام الايوبيين . انظر :

Riley Smith, pp. 465-466.

Caffaro, p. 18.

Albert d'Aix, p. 45.

(٢٩٧)

(٢٩٨)

للجنوية ضمانا لامتيازتهم في شمال الشام (٢٩٩) . كما قام أمراء انطاكية بدور كبير في دعم الموقف السياسي للبيازنة في مملكة بيت المقدس الصليبية ، وليس أدل على ذلك من جهود بوهيمند الاول وتنكريد في سبيل حصول دايمبرت على كرسى بطريركية مملكة بيت المقدس في عام ١٠٩٩م/٤٩٣هـ وعام ١١٠٢م/٤٩٥هـ (٣٠٠) . كما حرص أمراء انطاكية على استمرار تمتع الجاليات الايطالية في شمال الشام بامتيازاتها بالاضافة الى كثير من الامتيازات الجديدة ، الامر الذى مكن هذه الجاليات من الاستمرار في القيام بدورها في الشرق اللاتينى . فقد جدد تنكريد كل المنح التى حصل عليها الجنوية في أيام بوهيمند الاول (٣٠١) . ونفس الشيء قام به بوهيمند الثانى أيضا (٣٠٢) . كما جدد بوهيمند الثالث المنح للبرازوية في عام ١١٧٠م/٥٦٦هـ (٣٠٣) . وقام أمراء أنطاكية بنفس الدور بالنسبة للبنادقة ، فقد منحهم كل من بوهيمند الاول وتنكريد وبوهيمند الثانى الكثير من المنح في اماره انطاكية وموانئها (٣٠٤) . وجدها لهم كل من ريموند بواتييه ورينودى شاتيون وبوهيمند الثالث (٣٠٥) . كما

Hayenmeyer, Epistolae, pp. 155-156. (٢٩٩)

راجع أيضا : حسين عطية ، اماره انطاكية الصليبية ، ملحق رقم (٣) حيث الترجمة العربية للوثائق المتبادلة بين بوهيمند الاول والجنوية .

Caffaro, pp. 114-114; Rohricht, Regesta, no. 35, p. 11; (٣٠٠)
William of Tyre, Vol. 1, pp. 448-449. CF. also, Heyd, t. 1, pp. 145-146, 150.

Rohricht, Regesta, no. 35, p. 5. (٣٠١)

(٣٠٢) وكان ذلك في عام ١١٢٦م/٥١٩هـ . انظر :

Rohricht, Regesta, no. 119, pp. 29-30.

Rohricht, Regesta, no. 478, pp. 125-126. (٣٠٣)

Tafel (G.I.F.) and Thomas (G.M.), Urkunden zur a teren (٣٠٤)

iHandels, 3 Vols., vienna, 1856-1857, Vol. 1, nos. 27; 31; 42;

وهي الاشارة الوحيدة عن هذه المنح والامتيازات حيث أن هذه الوثائق مفقودة . راجع أيضا : قائمة الامتيازات والمنح التى أصدرها أمراء انطاكية للمدن التجارية الايطالية في الملحق رقم (٤) في نهاية الكتاب .

Tafel and Thomas, Vol. 1, no. 46, pp. 102-103, no. 55, pp: (٣٠٥)

133-35. Rohricht, Regesta no. 197, p. 49, no. 282, p. 72,

no. 434, p. 113.

منح بوهيمند الثالث للمالفين أول امتيازات لهم في اللاذقية في عام ١١٦٣م/٥٥٨هـ (٣٠٦) . والى جانب هذه الامتيازات الاقتصادية تمتع الايطاليون بحقوق قانونية في اماره انطاكية وفرت لهم سهولة التعامل مع غيرهم ومنحتهم استقلالاً كبيراً في شمال الشام . فقد كان من حقهم المثل مام محاكمهم الخاصة دون المحاكم الخاصة بامارة انطاكية ، فيما يخص القضايا التي يكون طرفها من البنادقة (٣٠٧) . ففي عام ١١٦٩م/٥٦٥هـ منحهم بوهيمند الثالث محكمة خاصة ، ووعدهم بسرعة البت في قضاياهم التي تنظر في محاكمه الخاصة (٣٠٨) . كما منح البنادقة محكمة خاصة في عام ١١٦٧م/٥٦٣هـ (٣٠٩) . الى جانب ذلك قامت اماره انطاكية بمساعدة بعض الايطاليين على الاستقرار في شمال الشام . فقد استقر في سوريا وفلسطين كثير من الايطاليين الذين جاءوا الى الشرق ، واستغنوا عن نسبهم الاوربي ، وتزوجوا من أبناء السادة الفرنج وحصلوا على اقطاعات في مدنها ، وبذلك انضموا الى طبقة النبلاء والبرجوازية . ومن أشهر الامثلة على ذلك أسرة أمبرياكو التي جاءت الى الشرق زمن الحملة الصليبية الاولى واستقرت في مدينة جبيل من أملاك طرابلس (٣١٠) . ومن بيزا جاء بليبانوس البيزاوي Plebanus the Pisan الذي اشترى اقطاع البترون من ريموند الثاني كونت طرابلس ، وأصبح سيداً لهذا الاقطاع (٣١١) . وحين استولى صلاح الدين على البترون بعد حطين ، تزوجت ابنة بليبانوس من أحد أبناء بوهيمند الثالث ، وأصبح البترون ملكاً لهذا الفرع من البيت الانطاكي (٣١٢) . وهكذا ، اذا كانت اماره انطاكية قد حصلت على الواجهة البحرية التي تمكنها من الاتصال بالغرب بمساعدة أساطيل المدن التجارية الايطالية في الاستيلاء على المدن الساحلية لشمال الشام الى جانب حصولها على

-
- Rohricht, Regesta, no. 388, p. 102. (٢٠٦)
 La Monte (John), Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, New York, 1970, p. 235. (٣٠٧)
 Rohricht, Regesta, no. 471, p. 125, no. 680, pp. 181-182. (٣٠٨)
 Rohricht, Regesta, no. 434, p. 114. (٣٠٩)
 Heyd, t. 1, pp. 162-163; Lamonte, p. 237-238. (٣١٠)
 La Monte, p. 238. (٣١١)
 Heyd, pp. 321-322. (٣١٢)

أدوات الحصان والبنيان والقنارات من هذه الاصطاطيل ، ثم النشاط التجارى الذى أوجدوه فى الامارة وماتبع ذلك من انتعاش اقتصادى لها ، فانها بدورها ساعدت على استقرار وضع هذه الجاليات فى شمال الشام. بما قدمته لها من منح وامتيازات متنوعة ساعدتها على أداء دورها فى دعم الكيان الصليبي ككل .

ومن كل ما سبق نخرج بأن مدينة انطاكية بما تمتعت به من أهمية عسكرية واقتصادية ودينية ، كانت مطمعا لكل غاز لمنطقة شمال الشام . وكان النورمان آخر الطامعين فيها . وقد سقطت المدينة فى أيديهم نتيجة للخيانة وتقايس حكام المدن الاسلامية المجاورة عن التصدى للخطر الصليبي الذى لم يتفهموا طبيعته الا بعد فوات الاوان . لذلك لم تكن ردود الفعل الاسلامية تجاه الفرنج بالكفاءة وحسن التوقيت لتدفع بخطرهم عن انطاكية لتسقط المدينة فى أيدي النورمان بسهولة ، ليؤسسوا فيها ثانى اماره صليبية فى الشرق الادنى الاسلامى ، لتكون درعا لمملكة بيت المقدس امام رد الفعل الاسلامى خلال الفترة المبكرة من وجودها . ولم تكد تسقط المدينة حتى أسرع النورمان فى توسعاتهم على حساب المسلمين . فقد بدأ هؤلاء النورمان عهدهم فى شمال الشام وفى أيديهم مدينة انطاكية فقط ، وانتهى بهم الامر الى فرض سيطرتهم على بلاد الشام من شيزر جنوبا الى مرعش شمالا ، ومن حلب شرقا الى ميناء اللاذقية على الساحل غربا . وهكذا أرسى بوهيمند الاول قواعد الامارة ، وحافظ عليها تنكريد ، وبلغ بها روجر الانطاكى الذروة . وقد استخدم هؤلاء كل ما لديهم من خبرة ودراية فى أمور الحروب والسياسة . وأهم ما يميز عهدهم ظهور أول تحالفات صليبية اسلامية فى عهد تنكريد وروجر توضح حرص الحكام المسلمين على مصالحهم الشخصية دون النظر الى الصالح الاسلامى العام فى تلك الفترة . وكانت مدينة حلب هى كبش الفداء الذى قدمه هؤلاء الحكام المسلمون للنورمان ليقطعوا من أملاكها ما يجعلها مجرد مدينة عارية بعد أن كانت مدينة عامرة . وهكذا ميزت عهود بوهيمند وتنكريد وروجر عصر القوة فى تاريخ اماره انطاكية الصليبية التى أصبحت درعا حاميا لمملكة بيت المقدس فى تلك الفترة حسبما أسلفنا .

ولقد اختلف الوضع تماما خلال عهدي بوهيمند الثانى وريموند بواتييه ، وانتهى الامر بفقدان اماره انطاكية حدودها الواسعة بحيث لم
مكتبة المهتدين الإسلامية

تعد تتجاوز سهل انطاكية . ولم يكن مرجع ذلك الى تقصير أى من هذين الاميرين ، بل الى ظهور بواذر الوحدة الاسلامية الكبرى فى عهد عماد الدين زنكى ثم ابنه نور الدين محمود اللذين بلغا من القوة ما لم يبلغه المسلمون فى عهد أمراء انطاكية السابقين . هذا فى الوقت الذى أدت الى ضعف فرنج شمال الشام تلك النزاعات الدائمة بين أمير انطاكية وكونت الرها . وأدى هذا فى النهاية الى ضياع الرها من أيدي الصليبيين الى الابد ، بينما أضحت امارة انطاكية فريسة سهلة للمد الاسلامى الذى دفعها الى الدخول تحت الحماية البيزنطية .

وفى الوقت الذى تمت فيه الوحدة الاسلامية فى عهد نور الدين محمود ، كان على امارة انطاكية الصليبية أن تتخذ موقفا دفاعيا بحثا تجاه المسلمين . فلم تعد الظروف تسمح للملك بيت المقدس بالاستمرار فى الزود عن كيان الامارة ، وذلك لاتجاه سياستهم جنوبا نحو مصر . وكما كانت حلب هى كبش فداء المسلمين لنورمان أنطاكية ، كانت انطاكية بالمثل كبش فداء ملوك بيت المقدس لنور الدين محمود وللبيزنطيين على السواء ، وذلك خلال عهد كل من رينو دى شاتيون والسنوات المبكرة من عهد بوهيمند الثالث .

وكما قامت امارة انطاكية بدورها فى تاريخ العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين ، محاولة دعم الكيان الصليبي بالجهود العسكرية والسياسية ، فانها قامت بدعم هذا الكيان أيضا بصورة غير مباشرة ، وذلك بمساندتها لكل ما من شأنه تقوية هذا الكيان . وتجلى ذلك بمساندة امارة انطاكية لجماعات الفرسان الرهبان ، وأيضا لجاليات المدن التجارية الايطالية ، بما قدمته اليها جميعا من منح وامتيازات لم يظفروا بها فى مملكة بيت المقدس نفسها . وستستمر امارة انطاكية فى القيام بدورها هذا حتى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى . وهذا ما ستكشف عنه الفصول التالية .

الفصل الثانی

الامارة وعلاقتها السياسية بجيرانها المسلمين في فترة الانحسار الصليبي
(١١٧١ - ١٢٠١م / ٥٦٧ - ٥٩٧ هـ)

- فترة الحماية البيزنطية على امارة انطاكية ، واثّر ذلك على العلاقات
السياسية بين بوهيمند الثالث وكل من نور الدين محمود وصلاح الدين
الايوبي (١١٧١ - ١١٧٤م / ٥٦٧ - ٥٧٠ هـ) .

- موقف بوهيمند الثالث تجاه صلاح الدين خلال فترة تثبيت مركزه في
بلاد الشام (١١٧٤ - ١١٧٧م / ٥٧٠ - ٥٧٣ هـ) .

- الحملة الفلمنكية وانتهاء الحماية البيزنطية على امارة انطاكية
(١١٧٧م / ٥٧٣ هـ) .

- سياسة صلاح الدين تجاه امارة انطاكية قبل موقعة حطين وبعدها ،
وموقف بوهيمند الثالث تجاه هذه السياسة ، والنتائج المترتبة على
ذلك (١١٧٧م - ١١٩٠م / ٥٧٣ - ٥٨٦ هـ) .

- الحملة الصليبية الثالثة ودور بوهيمند الثالث فيها ، واثرها على
العلاقات السياسية بين امارة انطاكية وجيرانها المسلمين
(١١٩١م / ٥٨٧ هـ) .

- سياسة بوهيمند الثالث حيال المسلمين في فترة ما بعد صلاح
الدين (١١٩٢ - ١٢٠١م / ٥٨٨ - ٥٩٧ هـ) .

« لم تكن أرض طرابلس ولا انطاكية جزءا من مملكة بيت المقدس »
«La Tière de Triple ne d'Antioche n'est mie dou roiaume»

هكذا قال ارنول وهو يصف أراضي مملكة بيت المقدس (١) . وبالفعل ،
لم نر أبدا أحدا من أمراء انطاكية يخضع لسلطة أحد من ملوك بيت
المقدس . وإذا كان ملك بيت المقدس هو الاول بين أقرانه Primus inter
Pares من بارونات المملكة ، فانه لم يكن كذلك بالنسبة
لأمراء انطاكية أو كونتات طرابلس الذين لم يدينوا له بالتبعية اطلاقا (٢) .
وفي معرض حديثه عن أحداث الحملة الصليبية الثانية ، يظهر المؤرخ
وليم الصوري ادراكه لافتقار الصليبيين الى الوحدة بقوله « ان أملاك
اللاتين في الشرق تنقسم الى أربع امارات ، وكل منها تحاول التوسع في
أراضيها ، والتقدم على الأخرى » (٣) . ويبدو أن الحماسة ووحدة الهدف
التي دفعت بالصليبيين من انطاكية الى بيت المقدس في عام ١٠٩٨م /
٤٩٢هـ قد خفتت ، ولم تتعد زمن الحملة الصليبية الاولى . وهكذا أسهم
المتنافسون من حكام الشرق اللاتيني في فشل الحملة الصليبية الثانية . فلم
تساعد بيت المقدس امارة انطاكية ضد مسلمي دمشق ، ولم يثق الفرنج في الشام في قادة
الحملة الذين بادلوهم نفس الشعور (٤) . فقد قامت المستعمرات الصليبية
الاربعة في الجزء الاول من القرن الثاني عشر الميلادي / أوائل القرن
السادس الهجري ، على أيدي محاربي الحملة الصليبية الاولى . وقد دبر
هؤلاء أمورهم بروح من الرابطة الصليبية والتعاون المشترك تحقيقا للصالح
الصليبي العام من وجهة نظرهم . وكانت هناك وحدة عامة للسياسة ،
نتجت عن الخوف المشترك من المسلمين ، والارتياح المشترك من بيزنطة ،
والاعتماد عليها في نفس الوقت (٥) . وقد قامت بيزنطة بدورها ، كأقوى
امبراطورية في الشرق آنذاك ، في دعم الامارات الصليبية التي اعتبرها

(١) Ernoul, Chronique de Ernoul et de Bernard Le Trésorier, ed.

L. de Mas La trie, Paris, 1871, p. 27.

(٢) H. Prutz, Kulturgeschichte der Kreuzzüge, Berlin, 1885, p. 161.

(٣) « بيت المقدس وطرابلس وانطاكية والرها » وذلك قبل سقوط
الرها في أيدي عماد الدين زنكي . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, 182.

(٤) انظر ما سبق من الفصل الاول ، ص ١٤٩ - ١٥١ .

(٥) John L. La Monte, From Crusading Kingdom to Commercial
Colony, in B.P.I.A.S.A., Vol, 3; pp: 289-290.

الاباطرة البيزنطيون كدول حاجزة ضد المسلمين ، واعتبروا اماره انطاكية بصفة خاصة اماره تابعة لهم ، وأحيانا كانوا يفرضون حقوقهم عليها . وبذل أمراء أنطاكية ما في وسعهم ليتجنبوا الاعتراف بالسيادة البيزنطية ولم يخضعوا لها الا في حالة تواجد الجيوش البيزنطية أمامهم (٦) . وأكد سلطة بيزنطة على اماره انطاكية ، خضوع رينودى شاتيون لمانويل كومنين كسيد أعلى له (٧) . ومنذ ذلك الوقت دخلت اماره انطاكية تحت الحماية البيزنطية واقترن ذلك بتبعية الامارة وأميرها للامبراطور البيزنطى الذى فرض سلطته عليهما معا . وهنا تبرز عدة تساؤلات : الى متى استمرت حماية وسيادة بيزنطة على اماره انطاكية الصليبية ؟ وهل انتهت تلك الحماية ، وهذه السيادة بموت مانويل فى عام ١١٨٠م / ٥٧٦هـ ، أم قبل ذلك ؟ ومتى شعر أمراء انطاكية أنفسهم بانتهاء حماية وسلطة بيزنطة عليهم ؟ والاجابة على هذه التساؤلات تفرض علينا تتبع أثر الحماية البيزنطية لامارة انطاكية على الجانب الاسلامى ، ثم استمرار مظاهر السيادة البيزنطية على الجانب الانطاكى الصليبي فى نفس الوقت . فمن المعروف أن نور الدين محمود قد وضع فى اعتباره الخطر البيزنطى عندما كان يتعامل مع الفرنج عامة وامارة انطاكية بخاصة . فنراه يعقد هدنة مع مانويل فى عام ١١٥٩م / ٥٥٤هـ (٨) وفى عام ١١٦٤م / ٥٦٠هـ ، وبعد انتصاره على قادة الفرنج فى حارم ، وأسرهم جميعا ، لم يشأ نور الدين أن يستولى على أنطاكية ، وكان ذلك فى مقدوره ، الا اعتبارا لكون انطاكية تحت الحماية البيزنطية (٩) . لذا أيضا نراه يطلق سراح بوهيمند الثالث أرضاء للامبراطور ، بينما احتفظ فى أسره ببقية قادة الفرنج (١٠) .

John L. La Monte, To what extent was the Byzantine Empire (٦)
the Suzerain of the Latin Crusading States ?, in B, Vol.
7, p. 254.

- (٧) انظر ما سبق من الفصل الاول ، ص ١٥٤ .
(٨) انظر ما سبق من الفصل الاول ، ص ١٥٤ .
(٩) ليس أدل على ذلك من قول نور الدين محمود نفسه « اذا ضيقنا عليهم أرسلوا الى صاحب القسطنطينية ، وسلموها اليه ، ومجاورة بيمند أحب الى من جوار ملك الروم » هذا وقد أطلق نور الدين سراح القائد البيزنطى كولومان والاسرى الارمن رعايا بيزنطة . انظر : ابن الاثير : التاريخ الباهر ، ص ١٢٥ .
(١٠) بقى فى أسر نور الدين كل من ريموند الثالث كونت طرابلس ، =

وهكذا لم تتعدد العلاقات السياسية بين نور الدين محمود وامارة انطاكية ، منذ ذلك الوقت وحتى عام ١١٧٤م/ ٥٦٩ - ٥٧٠ هـ ملاحظته لتصرفات بوهيمند الثالث (١١) . فبعد دخول مصر في أملاك نور الدين محمود وانتهاء الصراع حولها بينه وبين الملك عموري الاول ، ركز نور الدين جهوده في قيليقية والاناضول الى أن مات في ١١٧٤م/ ٥٦٩ هـ (١٢) . وهكذا حافظت الحماية البيزنطية على امارة انطاكية الصليبية من الوقوع في أيدي نور الدين محمود الذي نجح في توحيد الجزيرة والشام ومصر ، تمهيدا للقضاء على الوجود الصليبي في بلاد الشام . ولم يشأ بفضل الحماية البيزنطية أن يسترد مدينة انطاكية بالرغم من ملائمة الظروف لأن يقوم بذلك ، مما يدل على استمرار الحماية البيزنطية وأثرها الفعال على امارة انطاكية الصليبية حتى نهاية عهد نور الدين محمود . وخير ما يثبت أهمية العامل البيزنطي في بقاء الامارة الصليبية ، بعد كارثة حارم ، واستمرار مظاهر السيادة البيزنطية عليها في نفس الوقت ، هو تصرف بوهيمند الثالث نفسه . فما كاد يتحرر من الاسر في صيف ١١٦٥م/ ٥٦١ هـ ، حتى توجه الى القسطنطينية لزيارة صهره الامبراطور (١٣) الذي استقبله استقبالا طيبا ، وأعطاه الشيء الكثير ، حتى أن الامير عاد غنيا الى

= وجوسلين الثالث كورتيناى كونت الرها الاسمي . انظر ما سبق من الفصل الاول ، ص ١٥٦ .

(١١) انظر ما سبق من الفصل الاول ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(١٢) في عام ١١٧٢م/ ٥٦٨ هـ ، استنجد ذو النون ابن الدانشمند في سيواس بنور الدين ضد هجمات قلج أرسلان سلطان سلاجقة الروم الذي دفعه ولاؤه لبيزنطة الى رفض التحالف مع نور الدين والهجوم على أملاك المسلمين في آسيا الصغرى والجزيرة . وساند نور الدين بنى الدنشمند بمساعدة مليح أمير قيليقية الارميني الذي استولى على أملاك الداوية وعلى أملاك بيزنطة في قيليقية وهي مدن أذنة والمصيصة وطرسوس وذلك في ١١٧٣م/ ٥٦٩ هـ . واستطاع نور الدين رد السلاجقة ومد نفوذه في الاناضول وقيليقية . انظر ابن الاثير : التاريخ الباهرة ص ١٦٠ . راجع أيضا :

Sempad, pp. 622-625; Michel Le Syrien, t. 3, pp. 331-337;

Vahram pp. 508-509.

(١٣) تزوج مانويل كومنين من ماري شقيقة بوهمند الثالث في عام

١١٦١م/ ٥٥٦ هـ . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, p. 287.

انطاكية (١٤) وربما تمكن بوهيمند بما حصل عليه من أموال بيزنطية ، أن يدفع فديته لنور الدين (١٥) وعاد بوهيمند من القسطنطينية ومعه أهم مظاهر السيادة البيزنطية على انطاكية ، الا وهو البطريرك اليونانى لانطاكية (١٦) . وبينا كان هذا المطلب البيزنطى القديم يثير بين القادة الفرنج احتجاجا رسميا ، ففى هذه المرة وجد هذا الاجراء ظروفًا مواتية لاتمامه (١٧) . وتجلت مظاهر السيادة البيزنطية على بوهيمند فى ذلك حين تصدى لاعتراضات رجال الدين فى اماراته بقيادة البطريرك اللاتينى ايمرى دى ليموج الذى هجر انطاكية ولجأ الى قلعة القصير ، احتجاجا على وجود بطريرك يونانى لكنيسة انطاكية وأيده فى ذلك رجال الدين اليعاقبة ، وأعلن حرمانه لمدينة انطاكية وأميرها معا (١٨) . ومع ذلك

(١٤) William of Tyre, Vol. 2, p. 311.

(١٥) بلغت فدية بوهيمند ما يساوى ١٠٠ ألف تهيجان ، وهى عملة أرمنية كانت متداولة فى ذلك الوقت . انظر :

Michel Le Syrien t. 3, p. 326.

(١٦) هو أثناسيوس الثالث «Athanasius III» الذى بقى فى انطاكية حتى موته بسبب الهزة الارضية التى حدثت فى عام ١١٧١م / ٥٦٧ هـ . انظر :

Michel Le Syrien, t. 3, pp. 326, 339. B. Hamilton, The Latin Church in the Crusader States, pp. 45-46.

(١٧) من ناحية كانت اماره انطاكية فى حاجة الى الحماية البيزنطية ضد خطر نور الدين محمود ، ومن ناحية أخرى كانت هذه اللحظة هى التى أعلن فيها عن وفاق رسمى وتقارب بين مانويل والبابا الكسندر الثالث (١١٥٩ - ١١٨١) بشأن توحيد كنيسة روما والقسطنطينية . لذا لم يعترض البابا على وجود هيمنة ارثوذكسية على كنيسة انطاكية اللاتينية . انظر :

Grousset, t. 2, p. 470; B. Hamilton, p. 177.

(١٨) كان بطريرك انطاكية اليعقوبى فى ذلك الوقت هو المؤرخ ميشيل السريانى ، الذى تولى المنصب من ١١٦٦م الى ١١٩٩م . وزار البطريرك اللاتينى فى قلعة القصير وهو فى طريق عودته من بيت المقدس فى مارس ١١٦٨م . وأظهر له تأييده ورفض ميشيل دعوة مانويل كومنين للحضور الى القسطنطينية تضامنا مع بطريرك انطاكية اللاتينى . انظر :

Michel Le Syrien, t. 3, pp. 326, 332-335; Bar Hebraeus, The Chronography, ed. and trans. E.A. Wallis Budge, 2 Vols. Oxford, 1932, Vol. 2, p. 289.

بقى بوهيمند على ولائه للبلاط البيزنطى بالرغم من تزعزع مركزه فى انطاكية ، وفقدانه لأغلبية مؤيديه من البارونات اللاتين فى الامارة (١٩) . ونراه يزيد من ارتباطه بالبلاط البيزنطى بزواجه من ثيودورا كومنين ، ابنة شقيق مانويل (٢٠) . واذا رجعنا الى السجلات المالية لهنرى الثانى ملك انجلترا (١١٥٤ - ١١٨٩ م) عن عام ١١٧٩م/٥٧٥هـ نتأكد من الارتباط الوثيق بين بيزنطة وبوهيمند الثالث . حيث يرد اسم شخص يدعى روبرت Robertus ، حضر الى لندن ممثلاً للامير الانطاكى والامبراطور البيزنطى (٢١) وفى نهاية عام ١١٧٩م/٥٧٥هـ نرى الامبراطور البيزنطى يكلف وليم الصورى بتبليغ بوهيمند بعض التعليمات ، حين كان وليم فى طريق عودته من روما (٢٢) . وهكذا نجد أن مظاهر السيادة البيزنطية ، والتي كانت ثمناً للحماية التى تمتعت بها اماره انطاكية فى عهد بوهيمند الثالث قد تعدت فترة العقد الاول من حكمه . ومات مانويل فى عام ١١٨٠م/٥٧٦هـ . وفور موته هجر بوهيمند زوجته اليونانية (٢٣) . وهذا يوحى بأنه قد شعر بأن الحماية البيزنطية وبالتالى السيادة البيزنطية على امارته قد انتهت . ولكن هل ترك بوهيمند لزوجته اليونانية بعد موت الامبراطور البيزنطى هو الدليل على تاريخ انتهاء الحماية البيزنطية على انطاكية ؟ وربما كان الرد على هذا التساؤل بالاجاب يعتبر اجابة كافية . فان علاقة بيزنطة بانطاكية قد انتهت تماماً بموت مانويل كومنين . ولكن الاجابة على الشق الثانى من التساؤل الاصلى ربما تدل على أن الحماية البيزنطية المقرونة بالسيادة على اماره انطاكية قد انتهت بالفعل قبل موت الامبراطور مانويل بعدة

-
- (١٩) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .
 (٢٠) W.H. Rudtcolchberg, A Fragmentary copy of an unknown recension of the Lignages d'Outre-Mer in the vatican Library, in E.H.R., Vol. 98, pp. 313-319.
 (٢١) واضح من اسم المندوب أنه أفرنجى وليس يونانيا ، مما يؤكد أنه خرج من أنطاكية وليس من القسطنطينية . انظر : Magnus Rotulus Pipae de Anno Vicesimo Quinto Regis Henrici Secundi (1178-1179, in Pipe Rolls Collection, Vol. 28, p.125.
 William of Tyre, Vol. 2, p.451. (٢٢)
 William of Tyre, Vol. 2, pp. 452 ff. (٢٣)

سنوات . ولتحديد متى أدرك بوهيمند انتهاء سلطة بيزنطة وحمايتها على امارته ، يجدر معرفة حقيقة أحوال بيزنطة والمسلمين وقتذاك ، وتصرفات الامير الانطاكي نفسه حيال الطرفين . فقد عاصر مانويل كومنين كلا من نور الدين محمود وصلاح الدين الايوبي من بعده ، كمديرى السياسة الاسلامية فى تلك الفترة . وقد تأكد فضل الحماية البيزنطية على انطاكية فى عهد نور الدين محمود الذى وضع فى اعتباره الخطر البيزنطى اذا ما حاول الاستيلاء على انطاكية . أما صلاح الدين ، فلأنه كان قد حدد هدفه ، وهو ما أباح به لكاتبه ابن شداد « لما يسر اللهلى الديار المصرية ، علمت أنه أراد فتح الساحل ، لأنه أوقع ذلك فى نفسى » (٢٤) فقد كان استئصال شأفة الصليبيين من بلاد الشام هو مشروعه الكبير . ولما كانت انطاكية جزءا من الكيان الصليبي ، فانه لم يرتبط أبدا بوضع انطاكية بالنسبة لبيزنطة . وكان الاستيلاء على الامارة الصليبية جزءا من مشروعه الكبير ضد الفرنج . ولقد منحته تجربته فى مصر منذ وصوله اليها لأول مرة ، وحتى موت نور الدين محمود ، قد منحته الخبرة وبعد النظر . فقد أدرك صلاح الدين أن ضعف المسلمين وتشتتهم السياسى هما السبب الرئيسى لاستمرار الكيان الصليبي فى بلاد الشام . فبدأ أولا بتدعيم مركزه فى مصر ، فى الوقت الذى تجنب فيه الالتقاء بسيدته نور الدين محمود الذى استشعر فيه الريبة والشك ، ولم تطلق يداها الا بموت الاخير فى عام ١١٧٤م / ٥٧٠هـ (٢٥) واذا كان موت نور الدين قد هيا لصلاح الدين أن يحل محله كقائد للمسلمين ، فان الاحداث التى وقعت فى شمال الشام والتى تلت موت نور الدين قد هيات لصلاح الدين الفرصة لأن يبدأ الشق الاول من مهمته ، وهو توحيد القوى الاسلامية تحت زعامته ، تمهيدا لتنفيذ الشق الثانى من هذه المهمة ، وهو القضاء نهائيا على الوجود الصليبي فى المنطقة . كما أجبرته تلك الاحداث على أن يبدأ بتدعيم مركزه فى شمال سوريا ووسطها أولا . ولتحديد دور امارة انطاكية تجاه هذه

(٢٤) ابن شداد بهاء الدين : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ،

تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٤١ .

(٢٥) عن أحوال صلاح الدين فى هذه الفترة . انظر : ابن الاثير :

الكامل ، ج ١١ ، ص ١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ابن واصل :

مفرج الكروب ج ٢ ، ص ٢٢١ ؛ ابن شداد : النوادر السلطانية ،

السلطانية ، ص ٤٦ - ٤٧ .

المحاولة ، يلزم التعرض لاحوال صلاح الدين في تلك الفترة (١٧٧٥ - ١١٧٦م/٥٧١ - ٥٧٢هـ) بشيء من التفصيل . فبعد موت نورالدين محمود تنافس أتابكته على الوصاية على ابنه ووريثه الطفل الملك الصالح . كما استولى سيف الدين غازي أتابك الموصل وابن عم الصالح على أملاكه في إقليم الجزيرة . ولما كان صلاح الدين قد شغل بصد الحملة الصقلية على الاسكندرية ، فقد اكتفى بتهديد أتابكة الصالح بالحضور وتولى الوصاية عليه (٢٦) . ولم يتمكن الفرنج من استغلال فرصة دخول صلاح الدين في حلقة الصراع حول أملاك نور الدين محمود ، للقيام بعمل من شأنه أن يخدم استراتيجيتهم العسكرية في مواجهة أملاك المسلمين التي تحيط بأملاكهم من كل جهة وذلك لموت عموري المفاجيء في ١١ يوليو ١١٧٤م/ ٩ ذى الحجة ٥٦٩هـ (٢٧) . لذلك تمكن صلاح الدين من اقتحام أملاك نور الدين محمود ، وتثبيت أقدامه في بلاد الشام . وبدأ بدخول دمشق ، التي استدعاه أتابكها ابن المقدم خوفا من الزنكيين في الموصل وحلب ، في ٣٠ أكتوبر ١١٧٤م/أول ربيع ثان ٥٧٠هـ (٢٨) . وبقي صلاح الدين في دمشق لمدة شهر كامل (٢٩) ومع ذلك لم يستغل الفرنج ، وخاصة في انطاكية ، هذه الفترة الطويلة ، وعدم استقرار الامور بين صلاح الدين وبين الصالح اسماعيل ، أو حتى بانشغال صلاح الدين بفتح حمص وحماة . وذلك يسر لصلاح الدين حصار حلب التي قاومه أهلها ، واستنجدوا بالباطنية لقتل صلاح الدين ، ولما فشلوا في ذلك استنجدوا بريموند الثالث كونت طرابلس (٣٠) . ولا غرابة في أن يستنجد أهل حلب بكونت طرابلس دون بوهيمنند أمير انطاكية الاقرب اليهم من الكونت . وربما رأى يدركون منذ أيام نور الدين ، كما أدرك المؤرخ وليم الصوري نفسه ، أن

(٢٦) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٨٠ - ١٨٣ ؛ ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٤٧ - ٤٩ .

(٢٧) William of Tyre, Vol. 2, p. 395.

(٢٨) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، ج ٨ ، في ٣ أقسام ، حيدر آباد ١٣٧٠هـ ، قسم ١ ، ص ٣٧٢ .

(٢٩) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩ - ٢٢ .

(٣٠) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٨٩ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢١ . راجع أيضا :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 404-406.

انشغاله في أمور المملكة بعد موت عموري . هذا ، بينما كان الحلبيون يدركون منذ أيام نور الدين ، كما أدرك المؤرخ وليم الصوري نفسه ، أن نور الدين لم يحتفظ ببوهيمند في أسره ليس فقط مراعاة منه لحماية بيزنطة لانطاكية ، ولكن أيضا لأن بوهيمند كمحارب صليبي لم يكن يبشر بمستقبل مشرق ، كما أنه من الخير للمسلمين في شمال الشام أن يبقى بوهيمند والحال هكذا في حكم انطاكية من أن يختار أهلها حاكما أقوى منه ، اذا ما بقي بوهيمند في أسر المسلمين ، وربما يسبب من يتولى أمور انطاكية من بعده ، الكثير من المتاعب لنور الدين (٣١) . كما لاحظ الحلبيون أن بوهيمند لم يتحرك لمساعدتهم ضد صلاح الدين . وممها يكن من أمر فلم يحمل صلاح الدين على فك الحصار عن حلب سوى محاصرة ريموند لحمص (٣٢) . ولفت هجوم صلاح الدين على حلب أنظار الزنكيين في الموصل الذين رفضوا عرض صلاح الدين عليهم بأن يترك لهم حمص وحماة ويحتفظ هو بدمشق نيابة عن الملك الصالح ، وانتهى الامر بمواجهة بين الطرفين انتهت بانتصار صلاح الدين عند قرون حماة في ابريل ١١٧٥م / رمضان ٥٧٠هـ ومصالحته مع الحلبين على أن يكون « له ما بيده من بلاد الشام ، ولهم ما بأيديهم » (٣٣) . وهكذا تأكد وضع صلاح الدين في وسط الشام وشماله ، خاصة بعد أن وصلته الخلع من قبل الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (٣٤) . ولما لم يرض أتابك الموصل بما حققه صلاح الدين من مكاسب ، فقد جمع قواته وحلفاءه في الجزيرة وحلب والتقى بصلاح الدين الذي هزمهم جميعا عند تل السلطان في ٢٢ ابريل ١١٧٦م / ١٠ شوال ٥٧١هـ ، وفتح صلاح الدين قلعتي بزاعة ومنبج ، ثم قلعة عزاز ، وذلك لتطويق حلب وعزلها عن الموصل فصالحه أهلها على أن يرد اليهم عزاز (٣٥) . وهكذا أمضى صلاح الدين ما يقرب من العام منذ التقائه بقوات الموصل عند قرون حماة ، ولم يحاول أمير انطاكية استغلال

(٣١) William of Tyre, Vol. 2, pp. 311, 402.

(٣٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٥٠ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٨٩ .

(٣٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٩٠ - ١٩١ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

(٣٤) السيوطي (جلال الدين) : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٣٠٧ - ٧١٣ .

(٣٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

الفرص التي توفرت أمامه للقيام بعمل من شأنه أن يساعد على صد صلاح الدين وعدم تمكينه من تثبيت أقدامه في شمال الشام . وبقي بوهيمند في سباته ، حتى استطاع صلاح الدين أن يمتلك دمشق وبعض القلاع جنوبى انطاكية ، ويعزل حلب عن الموصل ، وأخيرا يتصالح مع الزنكيين في حلب دونما خطر يتهده من جانب الفرنج . هذا . بينما قام كل من ريموند كونت طرابلس وبولدوين الرابع ملك بيت المقدس ، رغم حادثته ومرضه بالجذام ، بمحاولة للحد من نشاطات صلاح الدين الذى عاد الى مصر في سبتمبر ١١٧٦م / ربيع اول ٥٧٢هـ (٣٦) . وهكذا قام صلاح الدين بعد أن مات نور الدين محمود بتثبيت أقدامه في بلاد الشام والحفاظ على وحدة المسلمين في محاولة لجمعهم تحت قيادته تمهيدا لتحقيق هدفه الكبير في استئصال شأفة الصليبيين من الشرق الادنى الاسلامى . وكانت سياسته هى عدم الدخول في معركة حاسمة مع الفرنج الا بعد الاطمئنان على توحيد الجبهة الاسلامية ، اللهم الا اذا فرضت عليه الظروف خلاف ذلك (٣٧) هذا وامارة انطاكية التى يتهدها خطر صلاح الدين كثر من أية امارة صليبية أخرى ، ركن أميرها بوهيمند الثالث الى الراحة ، ولم يستغل الفرص التى أتاحت له لصد محاولات صلاح الدين في تدعيم مركزه في شمال الشام . الا ان الفرصة قد توفرت لبوهيمند بعد رحيل صلاح الدين الى مصر . وستكشف الصفحات التالية عن أسلوب بوهيمند في استغلال هذه الفرصة ، الاسلوب الذى يميز سياسة جديدة لم يتبعها أى من أمراء انطاكية السابقين في علاقاتهم السياسية بجيرانهم المسلمين .

فإذا كان اختفاء نور الدين محمود من على مسرح الاحداث قد ترتب عليه ظهور صلاح الدين كقائد يقوم باعادة توحيد كلمة المسلمين ، والجهاد ضد الصليبيين ، التى بدأها سلفه من قبل ، فان موت نور الدين قد ترتبت عليه نتائج أخرى في منطقة الشرق الادنى الاسلامى ، وآسيا الصغرى ، انتهت تبعاتها في شمال الشام واستقرت على بعد اثنى عشر ميلا شرقى

(٣٦) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٨٩ ، ١٩٧ ؛ ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٥٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٤٢ ، ٥٢ .
(٣٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٥٠ - ٥٧١ .

انطاكية ، انتظارا لبوهيمند الثالث ليدلى بدلوه في تحديد كل ذلك ،
وتحديد نتائجه المحتمة .

وأول من تأثر بموت نور الدين هم من كان يحميهم . فقد قتل مليح
الارمينى على يد قواته المتمردة ، وحل محله ابن أخيه روبين الثالث الذى
حافظ على فتوحات عمه فى قليقيا ، وكان عليه أن يعترف بنوع من
السيادة البيزنطية ، وأظهر خلال الجزء الأكبر من حكمه أنه حليف
مخلص للفرنج (٣٨) . أما فى الأناضول فباختفاء نور الدين محمود ،
اختفت كل عقبة فى وجه قلج أرسلان سلطان سلاجقة الروم فى قونية (٣٩) .
فقد فر عبد المسيح نائب نور الدين فى سيواس الى الموصل ، واتجه ذو
النون بن الدانشمند الى القسطنطينية ، وأتى شقيقه شاهنشاه حاكم أنقره
الى اللاذقية ، بينما احتل قلج أرسلان كل ممتلكاتهم وذلك فى ١١٧٤م/
٥٧٠هـ (٤٠) . وهكذا ، وبدون أن يوجه ضربة واحدة ، أصبح قلج
أرسلان طليقا فى الأناضول . الا أن هذه النجاحات لم ترض الامبراطور
مانويل كومنين الذى رأى أن ذلك ربما يدفع بقلج أرسلان الى التحرر من
وصاية بيزنطة عليه والتي فرضت عليه باتفاقيته مع مانويل أثناء زيارة
قلج أرسلان للقسطنطينية فى عام ١١٦٢م/٥٥٨هـ (٤١) . بالاضافة الى
ذلك ، فان مانويل كان قد اتبع سياسة تأييد الصليبيين منذ عام ١١٦٨م/
٥٦٤هـ ، وتبنى قضيتهم بزيارة عمورى الاول ملك بيت المقدس للامبراطور
فى عام ١١٧١م/٥٦٧هـ (٤٢) ، وذلك تعويضا لفشل سياسة الاخير فى أوروبا ،
ومناوئة الامبراطور الالماني فريديريك بربروسا (١١٥٢ - ١١٩٠م) له
واتصاله بسلاجقة الروم ليؤلبهم ضد بيزنطة (٤٣) . وهكذا حصل مانويل

Sempad, p. 624; Vahram, p. 509. (٣٨)

Cahen, La Syrie du Nord, p. 417. (٣٩)

Michel Le Syrien, t. 3, p. 364-375, 373-376. Bar Hebraeus, (٤٠)

Chronography, Vol. 2, pp. 303.

John Kinamos, Deeds of John and Manuel Comnenus, trans. (٤١)

by Charles M. Brand, New York, 1976, pp. 156-158; CF.

also, Michael Angold, The Byzantine Empire, New York,

1984, p. 191.

C. Cahen, Pre-Ottoman Turkey, trans. by J. Jones-Williams, (٤٣)

London, 1968, p. 103.

على المركز المرموق كزعيم حملة صليبية بتوجيه بيزنطى (٤٤) . وكانت سياسة مانويل للقيام بدوره تتكون من شقين ، الاول وهو التحكم في طريق الحملات الصليبية عبر آسيا الصغرى ، والثانى وهو ارسال حملة بيزنطية صليبية مشتركة للاستيلاء على مصر . وبدأ مانويل في تنفيذ الشق الاول من سياسته والذي تطلب القضاء على قوة سلاجقة الروم والاستيلاء على عاصمتهم قونية . الا انه منى بهزيمة كبيرة على ايدى السلاجقة في مضيق فريجيا بالقرب من حصن ميريوكيفالون وذلك في ١٧ سبتمبر ١١٧٦م / ١١ ربيع اول ٥٧٢هـ ، وبعد أن كان مانويل لا يريد عقد الصلح ، الذى عرضه عليه قلع أرسلان ، في قونية نفسها ، اضطر الى قبول شروط التسليم التى فرضها عليه السلاجقة وهدم كل ما بناه من حصون مثل دوريليوم وغيرها بعد أن فقد غالبية جيشه . وقد اتفق المؤرخان وليم الصورى ونيكىتاس كونيآتيس على أن هزيمة مانويل كانت كارثة (٤٥) ، مما دفع بالمؤرخين الحديثين الى مقارنتها بكارثة ملاذكرد التى حلت بالامبراطور رومانوس الرابع فى عام ١٠٧١م / ٤٦٣هـ (٤٦) ، خاصة وقد قارنها مانويل نفسه بملاذكرد فى خطابه الى هنرى الثانى ملك انجلترا فى ١١٧٧م / ٥٧٣هـ (٤٧) . وما يمينا هنا هو نتائج هذه المعركة التى حددت مصير سياسة مانويل تجاه الشرق اللاتينى فى ذلك الوقت . فبالرغم من أنه لم ينتج عن هزيمة البيزنطيين أية خسائر اقليمية ، الا أنها معنوا جعلتهم يفقدون الامل فى استرداد سيطرتهم على الاناضول (٤٨) . وبذلك يكون مانويل قد فشل فى تحقيق الشق الاول من

(٤٤) Cahen, La Syrie du Nord, p. 412.

(٤٥) يذكر المؤرخ البيزنطى نيكىتاس أن « المشهد كان يستحق الدموع ، وكانت الكارثة عظيمة لدرجة أنه لم يكن من الممكن الحزن عليها بدرجة كافية » . بيمننا يؤكد وليم الصورى بأن الامبراطور « ظل يحمل فى مخيلته ذكرى تلك الكارثة » . انظر :

Nicetas Choniates, p. 247; William of Tyre, Vol. 2, p. 514.

(٤٦) Vasiliev, History of the Byzantine Empire, University of Wisconsin press, 1961, p. 429; Cahen, Un Famille Byzantine au service des Seldjucides d'Asie Mineur, in Variorum, London, 1974, p. 147.

(٤٧) Roger of Hoveden, Chronica, ed. W. Stubbs, in R.S., 4 Vols, London, 1868-1871, Vol. 2, pp. 102-104.

(٤٨) Cahen, La Syrie Du Nord, p. 417; Angold, p. 192.

سياسته تجاه قضية الصليبيين وهو التحكم في طريق الحملات الصليبية عبر آسيا الصغرى . ووجد مانويل أنه من الأسلم أن يعوض ذلك الفشل بالإسراع بالبدا في تنفيذ الشق الثانى من سياسته ، وهو ارسال حملة بيزنطية صليبية للاستيلاء على مصر . وقد كان من الممكن لهذه الحملة أن تحقق أمل الطرفين ، خاصة وأنه مضمون لها جدية التعاون بينهما بتعويض خسائر البيزنطيين في آسيا الصغرى ، والصليبيين الذين رأوا صلاح الدين وهو يعيد توحيد مسلمى مصر وسوريا ، ولن تكون هذه الحملة على الأقل عرضة لما حدث في حملة ١١٦٩م/٥٦٥هـ . فبعث مانويل بسبعين سفينة الى عكا في سبتمبر ١١٧٧م/ربيع الاول ٥٧٣هـ لمصاحبة الفرنج الى مصر (٤٩) . الا أن ذلك واكب وصول فيليب كونت الفلاندرز الى بيت المقدس أغسطس - جمادى الآخرة من نفس العام . وبدلا من أن يضيف وجوده الى قوة الحملة ضد مصر ، فقد حدث العكس تماما . فقد رفض فيليب الوصاية على مملكة بيت المقدس التى عرضها عليه الملك بولدوين الرابع الذى يعانى من مرض الجذام ، كما اعترض على أى مرشح آخر . وعبثا حاول الملك اقناعه بالاشتراك فى الحملة ضد مصر ، وعادت السفن البيزنطية الى القسطنطينية دون أن تحقق أى هدف (٥٠) . بينما نجد كونت الفلاندرز يقوم بمهاجمة حماة وشيزر بصحبة كونت طرابلس ، ثم يتوجه ليساعد بوهيمند فى محاولته للاستيلاء على حصن حارم . فهل كان هناك اتفاق بين بوهيمند وفيليب ؟ فاذا كان الامر كذلك ، واذا وضعنا فى الاعتبار أن فيليب قد تسبب فى فشل مهمة البيزنطيين فى الهجوم على مصر كما رأينا من قبل ، فان اتفاق بوهيمند معه ، وبوهيمند يعنى تماما مدى ارتباطه بالتبعية مع الامبراطور البيزنطى الذى تتمتع امارة بوهيمند بحمايته ، فان اتفاق الاخير مع كونت الفلاندرز يكون ذى مغزىين : الاول أن بوهيمند يخل بالتزاماته نحو سيده الامبراطور ، ولا بد أنه شعر بأنه لم يعد فى مقدور مانويل أن يفرض عليه سيادته وهو المغزى الثانى من وراء اتفاه مع فيليب . ولتأكيد ذلك تجدر

William of tyre, Vol. 2, p. 422.

(٤٩)

William of tyre, Vol. 2, p. 417.

(٥٠)

مناقشة تطور الاحداث منذ البداية . فبعد هزيمة مانويل أمام السلاجقة ، بعث ب خطاب الى الامبراطور فريديريك بربروسا في ١١٧٧م/٥٧٤هـ يصف له حالة السلاجقة بالضعف . الا أن فريديريك كان على علم بالحقيقة التي تتلخص في هزيمة مانويل الساحقة ، ويتأكد ذلك من رده على مانويل بأن « الاباطرة الالمان الذين يرثون سلطانهم عن الاباطرة الرومان الامجاد ، لهم أن يحكموا الامبراطورية الرومانية وأيضا المملكة اليونانية » (٥١) لذا فهو يأمر مانويل أن يعترف بسلطة الامبراطور الغربى عليه ، وأن يخضع أيضا لسلطة البابا الرومانى الكسندر الثالث ، الامر الذى سيؤكدده البابا نفسه في المؤتمر الكنسى الثالث في عام ١١٧٩م/٥٧٤هـ (٥٢) . وفي مايو ١١٧٧م/ذى القعدة ٥٧٢ ، عقد مؤتمر البندقية الذى حضره كل من البابا الكسندر الثالث (١١٥٩ - ١١٨١م) والامبراطور فريديريك بربروسا ، وممثلى قومونات المدن للمباردية بشمال ايطاليا ، حيث تم الاعتراف باستقلال هذه القومونات ، وتم التصالح بين البابا والامبراطور ، وبذلك تنتهى الخلافات بين البابوية وألمانيا والمدن للمباردية ، تلك الخلافات التى اعتاد مانويل أن ينتفع بها لتحقيق سياسته فى أوربا . وتعتبر هذه الاتفاقية ضربة موجهة لسياسة مانويل ، وأصبحت بيزنطة هى التى تحتاج الحماية (٥٣) . وهكذا كان موقف مانويل فى أوربا ضعيفا للغاية . فهو عضو غير مقبول فى الاسرة الاوروبية أو كحليف للامبراطورية أو للبابوية التى تهيمن على القضية الصليبية . ويؤكد كل ذلك أنه فى ١١٧٩م/٥٧٤هـ وصل الى لندن مندوب عن مانويل وبوهيمند الثالث وربما يوحى ذلك بوصاية بيزنطة على انطاكية ، ولكن يبدو أن وضع مانويل لدى كل حكام أوربا لم يكن بالصورة التى توحى بها هذه السفارة . فمن سجلات هنرى الثانى المالية والتى تضم مصاريف الضيوف السياسيين فى

Franz Dolger, ed., *Regesten der Kaiserurkun des Oströmischen Reiches, Corpus der griechischen Urkunden des Mittelalters und der neurenzeit*, Berlin, 1925, no. 1528, p. 87; *Annales Stadenses*, in M.G.H.SS., Vol. XVI, p. 349,

Angold, p. 192.

(٥٢)

Boso, *Life of Alexander III*, trans. by G.M. Ellis, Oxford, 1973, p. 104; Angold, p. 194; Peter Munz, *Frederick Barbarossa, A study in Medieval Politics*, London, 1969, pp. 328 ff;

(٥٣)

لندن ، نجد أن « روبرت » ممثل الامبراطور وبوهيمند يذكر أولا كممثل
لامير انطاكية ، ثم بعد تسجيل عدد آخر من الاسماء ، يذكر اسمه كممثل
للإمبراطور البيزنطى ، هذا بالإضافة الى أن ما صرف له من مصاريف
أقامته فى لندن كمندوب للامير ، فاق ما صرف له كمندوب
للإمبراطور (٥٤) . ومهما يكن من أمر ، فقد وصل كونت الفلاندرز الى
الشرق فى أول أغسطس ١١٧٧م/ صفر ٥٧٣هـ (٥٥) ، ومن المؤكد أنه جاءت
معه الانباء عن اتفاقية البندقية التى تمت فى ابريل ١١٧٧م/ شوال ٥٧٢هـ .
هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فعند وصوله كان كل من بوهيمند وكونت
طرابلس فى بيت المقدس (٥٦) . ولابد وأن يكون بوهيمند قد اطلع على
ما جرى فى مؤتمر البندقية من تقارب بين البابا وفريدريك ضد مانويل
الذى ضعف مركزه ، وشعر بوهيمند أن الامبراطور البيزنطى لم يعد
بإمكانه فرض نفوذه على انطاكية ، وأصبح بوسع بوهيمند أن يستغل
وجود كونت الفلاندرز - وهذه سياسة بوهيمند الثابتة مع كل الحملات
الصليبية الوافدة الى الشرق اللاتينى - لصالحه هو . ولم يعد يهمه أن
تفشل الحملة التى يوجهها ويرعاها مانويل ضد مصر . لذا نجده . كما
يؤكد وليم الصورى ، وبالإشتراك مع كونت طرابلس ، وكلاهما لا تعنيه
الحملة ضد مصر ، يجتهدان فى شد انتباه كونت الفلاندرز الى أراضيمها
للقيام بعمل مشترك من شأنه أن يزيد من أملاكها فى شمال الشام ووسطه (٥٧)
خاصة وأنهما قد وقفا على الاعذار التى أنتحلها فيليب كى لا يشترك فى
الحملة على مصر ، ووجدا أن المشاريع العسكرية التى يمكن أن يساهم

(٥٤) صرف لروبرت خمس ماركات (٢٠ شلن) كمندوب عن أمير
انطاكية ، بينما صرف له شلن واحد كمندوب عن الامبراطور .
والمارك يساوى ثلثى الجنيه الانجليزى بينما يساوى الشلن
عشرين بنسا فى ذلك الوقت . انظر :

Magnus Rotulus Pipae de Anno Vicesimo Quinto Regis Henri
Secundi (1178-1179) in Pipe Rolls Collection, Vol. 28,
p. 125.

William of Tyre, Vol. 2, p. 417. (٥٥)

(٥٦) حضر بوهيمند الى بيت المقدس لوفاة اخته فيليببا Philippa
التي تزوجت من همفري دى تورون بعد أن انفصلت عن
أندرونيقوس كومنين . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 416-417, 424.

William of Tyre, Vol. 2, p. 424.

(٥٧)

فيها بقواته تنطبق تماما على ما دبراه لانفسيهما من مشاريع . وربما يبدو الأخذ برواية وليم الصوري وهو مستشار ملك بيت المقدس والمتحمس للحملة ضد صلاح الدين في مصر ، ربما يبدو ذلك نقطة ضعف في هذا التفسير لمجرى الامور في ذلك الوقت . ولكن اذا ما تمعنا في أعذار فيليب كي لا يشترك في الحملة على مصر ، وأيضا في ظروف كل من بوهيمند وريموند ، ربما يتأكد لنا قيام الاخيرين بمناورة أدت الى جذب فيليب اليهما مما أدى الى فشل الحملة البيزنطية الصليبية المزمع قيامها . وبالتالي يتأكد لنا شعور بوهيمند بانتهاء السلطة والحماية البيزنطية على امارته في ذلك الوقت ، وليس بعد موت مانويل في ١١٨٠م/٥٧٦هـ . فبالنسبة لريموند كونت طرابلس ، فانه كان يطمح في الوصاية على الملك بولدوين الرابع القاصر المريض ، ولكنه لم يتمكن من ذلك الا بمقتل ميلون دي بلانسي Millon de Plancy صديق عموري الاول ومستشاره في نهاية ١١٧٤م/منتصف ٥٧٠هـ (٥٨) . ثم ضاعت منه الوصاية على الملكة بتعيين رينو دي شاتيون مكانه بعد موت وليم مونتفيرات الذي جاء الى فلسطين في أكتوبر ١١٧٦م/ربيع ثان ٥٧٢هـ ، وتزوج الاخير من سيبيل شقيقة بولدوين الرابع ، ومات في يونيو ١١٧٧م/ذى الحجة ٥٧٢هـ . وهكذا وجد ريموند نفسه وقد خسر الوصاية على الملكة بعد تعيين رينو دي شاتيون الذي لا حدود لمطامحه ، كما عينه الملك أيضا قائدا للجيش الصليبي المتوجه الى مصر (٥٩) ، أما عن بوهيمند فكان قد اتفق مع سعد الدين كمشتكين مقدم عسكر حلب الفرنجي الاصل ، على أن يسلم اليه الاخير حصن حارم مقابل مبلغ كبير من المال ، وليثبت صدق نيته ، قام بفك أسر رينو دي شاتيون وجوسلين كونت الرها (٦٠) . وهكذا كان الطريق ممهدا أمام بوهيمند كي يستولى على حصن حارم الذي يفصل بينه وبين حلب . لذلك لم يجد صعوبة في اقناع كونت الفلاندرز بمساعدته

William of Tyre, Vol. 2, pp. 400-404.

(٥٨)

William of Tyre, Vol. 2, pp. 415-418,

(٥٩)

(٦٠) كان نور الدين قد عين كمشتكين واليا على الموصل عندما أقطعها

لابن أخيه سيف الدين غازي ، ثم هرب كمشتكين الى حلب بعد موت نور الدين محمود ، ثم تخلص من أبناء الداية هناك وانفرد بالامور فيها يعد أن نقل اليها الملك الصالح اسماعيل . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٤ - ٣٥ .

في الاستيلاء على هذا الحصن ، خاصة اذا ما عرفنا أن سهولة الاستيلاء عليه تناسب طبيعة المشروعات التي ذكرها فيليب لملك بيت المقدس في حضور كل من ريموند وبوهيمند الذي من المؤكد أنه قد أطلع فيليب على أحوال حلب ، فالملك الصالح « صبي » وعسكره قليل ، والملك الناصر بمصر ، ولا ينجدهم الا بعد أن يأخذوا حارم « (٦١) » . ولم يقبل فيليب الوصاية على المملكة كي لا يتحمل المسؤولية التي ربما تمنعه من العودة الى بلاده . بالاضافة الى أنه كان غريبا - كما قال - عن المنطقة ، ولا يعرف شيئا عن مصر ، الى جانب أنه رأى مشكلة الامدادات ربما تعوق تقدم الحملة على مصر . هذا فضلا عن أنه أظهر رغبته في الاشتراك في مشاريع عسكرية في أراض غنية حتى تعم الفائدة عليه وعلى من يشترك معهم في تلك المشاريع (٦٢) . وربما فكر فيليب في عدم العودة الى أوروبا دون أن يحقق شيئا ، وربما كان من الانسب له أن يفتح لبوهيمند حصن حارم ، الذي ساعد والده ثيرى كونت الفلاندرز في استرداده لانطاكية في ١١٥٨م / ٥٥٣هـ (٦٣) . وهكذا لم يجد بوهيمند صعوبة في الاتفاق مع فيليب على مشاركته في الاستيلاء على حارم من المسلمين ، وهو يعلم بغياب صلاح الدين في مصر ومن ثم رحل بوهيمند الى انطاكية ليعيد نفسه وقواته . وبعد فترة قضاها فيليب في تضليل ملك بيت المقدس بالتظاهر بالموافقة على الاشتراك في الحملة ضد مصر ، ثم رفضه مرة أخرى القيام بذلك ، رحل فيليب بصحبة كونت طرابلس ، ومده الملك بمائة فارس وحوالي

(٦١) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٠٢ .

(٦٢) من الواضح أن فيليب كان ينتحل شتى الاعذار كي لا يشترك في الهجوم على مصر لأن بولدوين ملك بيت المقدس عرض عليه أن يمدّه بكل الضروريات اللازمة من مؤن وسفن وأسلحة تنقل من عكا بالسفن الى مصر ، وأيضا بالجمال عن طريق البر . كما أنه من الواضح أن قواته مع قوات بيت المقدس بالاضافة الى الاسطول البيزنطي والقوات التي يحملها ، كان من الممكن لكل ذلك أن يضمن النجاح للحملة ، خاصة اذا ما توفرت النية الصادقة لدى فيليب في قيادة هذه الحملة . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 421-422.

(٦٣) استرد رينو دي شاتيون أمير انطاكية السابق حصن حارم من قوات نور الدين محمود الذي كان قد أخذه من الفرنج بعد مقتل ريموند بواتيه وكان رينو قد صحب ثيرى كونت الفلاندرز في حملته على حارم . انظر ما سبق من الفصل الاول ص ١٥٤ .

الفين من المشاة . وبعد فترة راحة في طرابلس توجهوا الى حماة في ١٤ نوفمبر ١١٧٧م/ ٢٠ جمادى الاولى ٥٧٣هـ ، وحاصرها لمدة أربعة أيام ولم يظفروا بطائل « لشدة مقاومة المسلمين بها » (٦٤) فتوجهوا الى حارم حيث قابلهم بوهيمند في الطريق حسبما تم الاتفاق من قبل (٦٥) . واذا نحينا رواية وليم الصوري جانبا لتحامله على فيليب ، فان مسير فيليب وكونت طرابلس الى حارم لمساعدة بوهيمند دون الذهاب الى انطاكية أولا لدليل آخر على وجود اتفاق مسبق بين الطرفين . ومهما يكن من أمر فقد كانت حارم في ذلك الوقت في أيدي أتباع سعد الدين كمشتكين الذي قبض عليه الملك الصالح بعد أن انكشف أمره باتفاقه مع لاتين أنطاكية على تسليم حارم ، ورفض أصحاب كمشتكين إعادة قلعة حارم الى الصالح (٦٦) . فزحف الفرنج على حارم وانضم اليهم كل حلفاء بوهيمند من الداوية والاسبتارية ، وروبين حاكم قيليقية الارميني (٦٧) . وبدأوا في حصارها مباشرة . ولم يحدد المؤرخون بصفة عامة تاريخ بدء هذا الحصار (٦٨) . واذا أخذنا بأنهم قد اتفقوا على أن حصار حماة قد استمر

(٦٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٠١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٦ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ص ٢٥٧ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٦ . راجع أيضا : William of Tyre, Vol. 2, 425.

(٦٥) William of Tyre, Vol. 2, p. 425.

(٦٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٥ - ٢٦ .
(٦٧) انفراد المؤرخ ابن العديم بذكر اشتراك كل من فرسان الداوية والاسبتارية وروبين الثالث في حصار حارم . بينما ذكر وليم الصوري الداوية والاسبتارية فقط . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٣٦ ، راجع ايضا : William of Tyre, Vol. 2, 425.

(٦٨) رحل الفرنج من أمام حماة بعد أربعة أيام أي في ١٨ نوفمبر ١١٧٧م/ ٢٥ جمادى الاولى ٥٧٣هـ . واتفق على ذلك كل من العماد الاصفهاني ، وأبى شامة ، وابن واصل . بينما ذكر ابن الاثير أنهم رحلوا من حماة الى حارم في جمادى الاولى ولم يحدد تاريخا لذلك . بينما لم يذكر ابن شداد وقعة حماة بالمرّة . ويحدد شهر جمادى الآخرة تاريخا لهجومهم على حارم ، وهذا تحديد يفتقر الى الصحة ، خاصة وأنه يتفق في تحديده لفترة حصار الفرنج لحصن حارم ، مع بقية المؤرخين ، بأربعة أشهر . =

أربعة أيام ، فانه ينتهى فى ١٨ نوفمبر ١١٧٧م/ ٢٣ جمادى الاولى ٥٧٣هـ (٦٩) . ولما كان بوهيمند على علم بأحوال حارم ، فأسرع مع فيليب وريموند الى حارم مباشرة ودون التوجه الى انطاكية فمن المؤكد أنهم بدأوا فى حصار حارم فى نفس اليوم أى فى ١٨ نوفمبر ١١٨٧م/ ٢٣ جمادى الاولى ٥٧٣هـ . ومهما يكن من أمر ، فقد ظهر تصميم الفرنج على أخذ حارم ، وعدم العودة قبل ذلك ، مما قاموا به من اجراءات عندما وصلوا اليها . فقد شيدوا أكواخا من فروع الشجر وقنوات لتصريف مياه الامطار ، حيث حل فصل الشتاء ، كى لا تفسد المؤن والعتاد . وفى نفس الوقت قاموا بحصار حارم من كل الجهات ليمنعوا خروج أحد منها ، وليمنعوا أيضا وصول الامدادات اليها من أى جهة (٧٠) كما أقاموا المجانيق والصلالم استعدادا لاقتحامها (٧١) كما تسابق المسيحيون المقيمون فى نواحي حارم بحماسة فى مساعدة الفصائل الفرنجية التى تجلب المؤن للمعسكر الفرنجى من انطاكية ومجاوراتها (٧٢) « فندم من بحارم » ، حيث لم يسلموها للملك الصالح (٧٣) ، خاصة عندما رأوا حماسة الفرنج فى حصارهم بعد أن علموا بهزيمة صلاح الدين فى فلسطين (٧٤) واذا كان ذلك يعتبر بداية موفقة للفرنج ، فانهم جعلوها عديمة الجدوى . فبعد أن هاجموا أسوار حارم من الجهة الجنوبية حيث توجد القلعة واستطاعوا

- = انظر : العماد الاصفهاني : البرق الشامى ، مخطوط بمكتبة البودليان ، لوحة ٢٥ ، ابو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٧٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٦٤ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٥٣ .
- (٦٩) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٨ ، راجع : William of Tyre, Vol. 2, p. 426.
- (٧٠) William of Tyre, Vol. 2, p. 426.
- (٧١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٣٦ .
- (٧٢) William of Tyre, Vol. 2, p. 426.
- (٧٣) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٦ .
- (٧٤) خرج صلاح الدين من مصر نجدة لحارم واصطدم بقوات مملكة بيت المقدس عند تل الصافية فى اقليم الرملة فى ٢٥ نوفمبر ١١٧٧م/ ٣ جمادى الآخرة ٥٧٣هـ . انظر ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، العماد الاصفهاني : البرق الشامى ، مخطوط ، ج ٣ لوحة ٨ .

أن ينقبوه ، وفي نفس الوقت استطاع جزء منهم القيام بنقب السور من الجهة الشمالية ، الا أن السور انهار على من تحته « فتوقف القتال في هذه الجهة » (٧٥) الا أن الفرنج ركنوا الى الراحة ، ويبدو أن متع انطاكية كانت أقرب اليهم من الاستيلاء على حارم . فامضى بوهيمند ، بشكل غريب ، وفيليب ، الوقت في التسلية ، الامر الذي لا تسمح به « قواعد الحصار » (٧٦) . وبذلك تمكن أهل حلب من ارسال من يطلب الامان والنجدة من الملك الصالح في حلب . فبعث الاخير بقوات لدعم حامية حارم . فتسلل هؤلاء الى الحصن أثناء الليل ، واحتلوا القلعة وتقوى بهم من كان بحارم ، بعد أن عوضوا خسائرهم في الرجال أثناء هجمة الفرنج الاولى (٧٧) . وفي نفس الوقت ، أهدق جند الصالح بالمكلفين من الفرنج بجلب المؤن الى المعسكر الفرنجي وأخذوا « يتخطفون من يمكنهم أخذه من الفرنج ويحفظون أطراف البلد » . وهكذا انهارت معدات الحصار الفرنجية ، وانهارت معها الروح المعنوية للجنود ، خاصة بعد أن ألح فيليب برغبته في العودة الى بيت المقدس (٧٨) . وبعد أربعة أشهر من الحصار ، راسلهم الملك الصالح ، وعرض عليهم الرحيل عن حارم مقابل مبلغ من المال يعرضهم عما أنفقوه في حصارهم لها . كما هددتهم بوصول صلاح الدين الى الشام « وربما يسلم من بحارم اليه قلعته » (٧٩) وتحت الحاح فيليب وفرسان الداوية على قبول العرض ، وافق بوهيمند ورحل الفرنج عن حارم في ١٨ مارس ١١٧٨م / ١٩ رمضان ٥٧٣هـ ، ليدخلها الصالح « واستناب بها مملوكا لأبيه يدعى سرخك » (٨٠) وعاد فيليب الى بيت المقدس (٨١) . بينما عاد بوهيمند الى انطاكية وكل ما غنمه هو مبلغا

(٧٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٣٧ .
 (٧٦) كثيرا ما عرج بوهيمند وفيليب الى انطاكية للاستحمام والتسلية والعودة ثانية الى المعسكر خارج أسوار حارم
 William of Tyre Vol. 2, pp. 434-435.

(٧٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٣٧ .
 William of Tyre, Vol. 2, p. 435.
 (٧٨)

(٧٩) ابن العديم : المصدر السابق ، ص ٣٧ .
 (٨٠) العماد الاصفهاني : البرق الشامي ، مخطوط ، ج ٣ ، لوحة ٢٧
 راجع أيضا :
 William of tyre, Vol. 2, p. 435.

(٨١) بقى فيليب في بيت المقدس حتى عيد القيامة ، ثم رحل الى =

من المال شاركه فيه - بالطبع - كونت الفلاندرز ، ونصف دخل اقليم العمق من المسلمين (٨٢) . وهكذا بينما كان صلاح الدين يحاول جاهدا أن يثبت أقدامه في شمال الشام ، لم يوفق بوهيمند الثالث أمير أنطاكية بالرغم من عدم ثبات مركز صلاح الدين تماما في حلب ، لم يوفق بوهيمند في تغيير حدود اماراته باسترداد ما ضاع منها من معاقل منذ أيام نور الدين محمود . واستمرارا لسياسته الغير نشطة تجاه المسلمين منذ قك أسره في ١١٦٤م/٥٦٠هـ ، ودخوله تحت الحماية البيزنطية ، وربما اعتمادا على هذه الحماية ، وعلى ضعف حلب واضطراب أحوالها ، وهى أقرب المعاقل الاسلامية اليه ، بعد موت نور الدين محمود ، بقى بوهيمند على سلبيته تجاه المسلمين بالرغم من توالى الفرص أمامه للقيام بعمل من شأنه أن يدعم مركزه ومركز امارته . وحين أراد القيام بأول جهوده ضد المسلمين ، وبعد ثلاثة عشر عاما من الراحة ، وبعد أن تأكد من أن بيزنطة لم يعد بمقدورها فرض نفوذها عليه ، اتخذ اجراءا أدى الى فشل الحملة الصليبية البيزنطية التى يرعاها الامبراطور البيزنطى ، وذلك باتفاقه مع كونت الفلاندرز على مشاركته فى الهجوم على حارم ، والتخلى عن الحملة ضد مصر التى كان من الممكن أن تحد من نشاط صلاح الدين المقبل ، وربما تقوض مركزه فى مصر ، وتحمى مملكة بيت المقدس الصليبية وانطاكية نفسها مما ينتظرها من أخطار كان الفرنج كلهم فى غنى عنها . وهذا ما نتج عن سياسة صلاح الدين تجاه اماره انطاكية الصليبية قبيل موقعة حطين .

واذا كان بوهيمند الثالث قد فشل فى عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ فى أن يجنى ثمرة جهده الوحيدة ضد المسلمين منذ عام ١١٦٤م/٥٦٠هـ ، فانه تسبب فى أن تحظى مملكة بيت المقدس بهذه الثمرة ، وان وجدتها فاسدة . فمن النتائج المباشرة لمشروع بوهيمند ضد أملاك الحلبين فى حارم نتيجتان ، حددهما المؤرخان وليم الصورى وميشيل السريانى اللذان تميزت الكتابة التاريخية للاول منهما فى هذه الفترة بالتركيز على الخطر الذى يشكله

= اللاذقية ثم الى القسطنطينية ، ومنها وصل الى بلاده فى بداية عام ١١٧٨م . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, p. 435.

(٨٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٣٨ .

صلاح الدين على الكيان الصليبي ، بينما تميز الثانى بتحمسه الشديد للقضية الصليبية مشاركا وليم الصورى فى حنقه على بوهيمند لما سببه من كوارث للفرنج بصفة عامة ، وببعد نظره فى تحليل الاحداث الجارية امامه وما يترتب عليها من النتائج . فكل منهما يرى أن اول هذه النتائج هى فقدان الفرنج للمنقذ الوحيد الذى يمكنهم منه القيام بعمل ضد صلاح الدين وهم على الاقل يضمنون وجود مركز مقاومة موال لهم ، على الجانب الاسلامى ، ضد صلاح الدين . ففسروا بذلك فرصة التحالف مع الحلبين الذين طالما استنجدوا بهم ضده . والنتيجة الثانية لمشروع بوهيمند الفاشل ، هى أنها جذبت صلاح الدين الى فلسطين (٨٣) ، وقد انتهج لنفسه سياسة شاملة للقضاء على الفرنج فى بلاد الشام . وكان جزء من هذه السياسة يخص اماره انطاكية . وقد مضى صلاح الدين ما يقرب من عام فى مصر قبل عودته الى الشام . وخلال هذه الفترة قام بمتابعة أعمال الدفاع عن مصر توقعا منه قيام الفرنج بالهجوم المشترك عليها (٨٤) . واذا كان صلاح الدين قد علم بحصار بوهيمند لحصن حارم ، وخرج من مصر لهذا السبب ، ففى الوقت نفسه كان ذلك الحصار قد أكد له فشل المشروع البيزنطى الصليبي ضده فى مصر . لذا خرج لانقاذ حارم وربما خوفا على حلب نفسها . وان لم يستطع انقاذ حارم ، فانه على الاقل سينفرد بمملكة بيت المقدس نفسها وقد بعث ملكها بجزء من قواته مع كونت الفلاندرز الى شمال الشام . وهذا ما لاحظته وليم الصورى الذى كان يتتبع تحركات صلاح الدين بيقظة لم يتمتع بها القادة الصليبيون أنفسهم (٨٥) . وبعد حصاره لملك بيت المقدس فى عسقلان ، وقعت به هزيمة مفاجئة نتيجة لافراط قواته فى الاطمئنان والحصول على الاسلاب ، وذلك عندما انقضت عليهم قوات الفرنج أثناء عبورهم أحد الانهار عند تل الصافية بالقرب من الرملة . واستطاع صلاح الدين النجاة بصعوبة وعاد الى مصر فى منتصف نوفمبر ١١٧٧م /منتصف جمادى الآخرة

(٨٢) William of Tyre, Vol. 2, p. 435; Michel Le Syrien, t. 3, p. 375.

(٨٤) أمر صلاح الدين ببناء سور كبير حول القاهرة ، ثم زار الاسكندرية ، وأمر بتعمير الاسطول . انظر : المقرئى : الخطط ، ص ٢٣٣ .

William of Tyre, Vol. 2, p. 426.

(٨٥)

٥٧٣هـ (٨٦) • وعاد بولدوين الرابع الى بيت المقدس منتصرا (٨٧) • وبعودة صلاح الدين الى مصر ، لم يكن على امارة انطاكية أن تدفع ثمن اعتدائها على حارم • وكان لانتصار الفرنج على صلاح الدين عند تل الصافية أثره في تشجيع بقية الصليبيين وقيامهم بالغارات على المسلمين في شمال الشام • فقد قام بوهيمند امير انطاكية بالاغارة على اقليم شيزر • ولم يتفق المؤرخون الحديثون على تحديد تاريخ هذه الغارة • فبينما يذهب المؤرخ ستفنسن الى أنها وقعت في صيف عام ١١٧٨م ويرجعها ونسيمن الى ربيع العام نفسه (١١٧٨م) نجد كلود كاهن يقترب من الصحة عندما يرجعها الى ربيع ١١٧٩م • الا أنه الى جانب عدم تحديده لتاريخ دقيق لوقوع هذه الغارة ، فان روايته يشوبها الاضطراب عندما يذهب الى أن بوهيمند قام بغارته وهو في طريق عودته من رحلته البحرية الى بيت المقدس • ويستشهد كاهن في ذلك برواية وليم الصوري • الا أن هذه الرواية تخص أحداث عام ١١٨٠م وليس عام ١١٧٩م الذي كان فيه وليم متغيبا عن المملكة • ولم يذكر أبدا شيئا عن زيارة بوهيمند الى المملكة فيما رواه من أحداث وقعت في عام ١١٧٩م (٨٨) • وربما يرجع هذا الاختلاف بين المؤرخين الحديثين حول تحديد تاريخ دقيق لوقوع غارة بوهيمند على شيزر الى عدم تحديد المؤرخين المعاصرين بدورهم لهذا التاريخ نفسه • فوليم الصوري المؤرخ اللاتيني الوحيد المعاصر لهذه الاحداث كان غائبا في روما لحضوره مجلس اللاتيران الثالث (٨٩)

(٨٦) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، المقریزی :

السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٦٤ • راجع أيضا :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 430-433; Michel Le Syrien, t. 3, p. 375.

(٨٧) وتذكر بعض المصادر أن رينو دي شاتيون كان هو الذي يقود

جيش الفرنج وليس بولدوين الرابع • انظر : ابن واصل : مفرج

الكروب : ج ٢ ، ص ٥٩ • راجع أيضا •

William of Tyre, Vol. 2, p. 433.

W.B. Stevenson, The Crusaders in the East, p. 218;

(٨٨)

Runciman, Vol. 2, p. 418; Cahen, Lasyrie, p. 420.

وعن زيارة بوهيمند لبيت المقدس : انظر :

William of Tyre, Vol. 2, p. 446.

(٨٩) توجه وليم الصوري الى روما لحضور مجمع اللاتيران الثالث

الذي عقد في ١١٧٩م • وكان رحيله من بيت المقدس في اكتوبر

١١٧٨م/جمادى أول ٥٧٤هـ ولم يعد الى فلسطين قبل أكتوبر =

وبالتالى فانه لم يذكر هذه الواقعة . ومن الملاحظ أنه كان كتوما بالنسبة لما يجرى فى انطاكية منذ عام ١١٦٤م/٥٦٠هـ ، ولم يذكر الا ما أتى به بوهيمند من أعمال لا ترضى الكنيسة ، ولا تتفق ومصالح مملكة بيت المقدس (٩٠) . أما عن المؤرخين المسلمين ، فانهم أيضا لم يضعوا تاريخا محددا لهذه الواقعة . فقد ذكروها ضمن ما سردوه من أحداث وقعت خلال عام ٥٧٤هـ الذى يواكب الفترة من ١٩ يونية ١١٧٨م الى ٧ يونية ١١٧٩م . ومن هنا كان اختلاف المؤرخين الحديثين حول تحديد تاريخ قيام بوهيمند بغارته على شيزر . ومع ذلك فان تتبع تفاصيل روايات المؤرخين المسلمين ، وظروف كل من بوهيمند وصلاح الدين ، ربما يساعد على الوقوف على تاريخ محدد لهذه الواقعة . فقد اتفق كل من العماد الاصفهاني وابن الاثير ، وابن واصل ، وأبو شامة ، على وقوع هذه الغارة بعد انتصار صلاح الدين على ملك بيت المقدس بالقرب من دمشق فى ١٠ ابريل ١١٧٩م/أول ذى القعدة ٥٧٤هـ (٩١) . لذا يمكن استبعاد الرأى الذى يأخذ بوقوع هذه الغارة فى ربيع عام ١١٧٨م/٥٧٣هـ . ولما كان بوهيمند متواجدا فى بيت المقدس مع ريموند كونت طرابلس حتى ١٢ فبراير ١١٧٩م/٣ رمضان ٥٧٤هـ (٩٢) ،

-
- = ١١٧٩م/جمادى الاولى ٥٧٥ . انظر :
William of Tyre, Vol. 2, pp. 436-439.
(٩٠) لذلك يبدو وليم الصورى دائما وهو ناقد لأعمال بوهيمند . انظر :
E.G. Rey, Princes D'Antioche, p. 328.
(٩١) العماد لاصفهاني : البرق الشامى ، مخطوط ، ج ٣ ، لوحة ١١٧ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٠٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٧٤ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨ . ولم يذكر ابن شداد هذه الواقعة . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٥٣ - ٥٤ .
(٩٢) يظهر بوهيمند وهو يشهد على عدة وثائق ترجع الى فبراير ١١٧٩م/شعبان - رمضان ٥٧٤هـ وخاصة بتصالح الداوية والاستتارية لانهاء المنازعات القائمة بين الجماعتين حول بعض الاملاك فى اقاليم غزة وجبله وشيزر . كما يوثق باسمه منحة لجوسلين الثالث كونت الرها الاسمى فى مجاورات انطاكية . انظر :
Rohricht. Regesta, no. 572, 573, 574, p. 152; E. Strehlke; ed. Tabulae Ordinis. Theutonici, Berlin, 1869, no. 9, p. 10.

فان اغارته على شيزر لابد وأنها وقعت بعد هذا التاريخ . ويقربنا من الحقيقة قول ابن الاثير « أغار البرنس صاحب انطاكية ولاذقية على حشير المسلمين وأخذه . وكان صلاح الدين على بانياس » (٩٣) . ولما كان صلاح الدين ، بعد انتصاره على ملك بيت المقدس ، قد عاد الى دمشق ، ثم في ٩ مايو/ آخر ذى القعدة من نفس السنة « أغار على حصن بيت الاحزان ، وعاد بالاسرى والغنائم ، وخيم السلطان بمرج الشعراء ثم انتقل الى بانياس » (٩٤) ، وهنا علم بغارة بوهيمند ، فان نفس الوقت الذى كان صلاح الدين فيه مشغولا بالاغارة على حصن بيت الاحزان هو أكثر الاوقات ملائمة لبوهيمند ليقوم بغارته على شيزر . ولو كان قد قام بها قبل ذلك لعلم صلاح الدين وهو في دمشق ، أو في مخيمه بمرج الشعراء مثلا ، حيث اعتيد أن تصله أخبار الفرنج وتحركاتهم أولا بأول . ونخرج من هذا كله ، بأن غارة بوهيمند على شيزر قد وقعت في حوالى ٩ مايو ١١٧٩م/ آخر ذى القعدة ٥٧٤هـ . ولما كان هدف صلاح الدين هو هدم حصن بيت الاحزان الذى بناه الفرنج في أكتوبر ١١٧٨م/ جمادى الاولى ٥٧٤هـ ، وذلك لخطره على المسلمين (٩٥) ، ولأنه كان فى حاجة الى دعم لقواته من مصر ، فقد اكتفى صلاح الدين فى ذلك الوقت بمراقبة بوهيمند

-
- (٩٣) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٠٥ .
(٩٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٧٣ .
(٩٥) كان الفرنج متخوفين بسبب ضعف حدودهم الشمالية ، فربما تهاجمهم قوات دمشق وبانياس ، فقرروا بناء حصن يكون بمثابة نقطة دفاع ، وقاعدة لهجماتهم ضد المسلمين فى نفس الوقت . وأحسنوا اختيار موقع البناء ، حيث شيدوه على الطريق بين دمشق وساحل البحر عند مخاضة يعقوب عليه السلام ، على نهر الاردن شمالى بحيرة طبرية ، وعلى مسافة عشرة أميال من بانياس ، وعلى مسيرة يوم من دمشق ، ونصف يوم من صفد . فكان يمكنهم بذلك حراسة الطريق الذى ربما يسلكه المسلمون لمهاجمة وادى نهر الاردن ، وعهدوا بحراسته لفرسان الداوية ، بعد أن زوده بالمون والاسلحة . انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٠٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٧٢ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٣ . راجع ايضا :

Ernoul, p. 54; William of Tyre, Vol. 2, pp. 437, 444. C.F, also R. Dussaud, Topographie historique de la syrie antique et médiévale, Paris, 1927, p. 18; Stevenson, pp. 219-220.

وكونت طرابلس وكلف بذلك ابن أخيه تقي الدين عمر صاحب حماة ، وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حمص (٩٦) . الامر الذى مكنه من مهاجمة ملك بيت المقدس وقواته والانتصار عليهم فى سهل مرج عيون فى ١٠ يونية ١١٧٩م/ ٣ محرم ٥٧٥هـ وأسر كثير من رجالهم . وتوج صلاح الدين جهوده فى ذلك الوقت بهدم حصن بيت الاحزان والتخلص من خطره ، وذلك فى ٣٠ أغسطس ١١٧٩م/ ٢٤ ربيع الاول ٥٧٥هـ (٩٧) . ثم أغار على أقاليم طبرية وصور وبيروت مستغلا حالة اليأس التى بات عليها الفرنج بعد أن أيقنوا من فقدانهم لحصن الاحزان وبعد أن « فت فى أعضادهم » (٩٨) . وفى الوقت الذى كان صلاح الدين يجنى فيه ثمرة جهوده ، اذ بأسطوله يخرج من مصر ويقوم بالاغارة على عكا وذلك فى ١٤ أكتوبر ١١٧٩م/ ١١ جمادى الاولى ٥٧٥هـ (٩٩) . ودفع هذا ملك بيت المقدس الى طلب الهدنة من صلاح الدين الذى أجابه الى طلبه على أن تشمل هذه الهدنة مملكة بيت المقدس وحدها ، ولمدة عامين ، وتبدأ من

(٩٦) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ، العماد

الاصفهانى : البرق الشامى ، مخطوط ، ج ٣ ، لوحة ١١٧ .

(٩٧) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ابن

واصل : مفرج الكروب ج ٢ ، ص ٨٠ - ٨١ . راجع ايضا .

William of Tyre, Vol. 2, p. 444.

(٩٨) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٢٠٧ .

(٩٩) بالرغم من أن نشأة صلاح الدين لم تمتد بالخبرة بالامور البحرية ،

الا أنه أدرك بعد تجربته فى مصر وحصاره فى الاسكندرية وتعرضه

لحملات عمورى ونورمان صقلية أن استراتيجية القتال ضد

الفرنج تتطلب وجود أسطول قوى . فأمر بتعمير الاسطول

وتحسين أحوال بحارته ، وعقد اتفاقيات مع بيزا لحصول على

مواد بنائه ، كما حصل عليها من بلاد شمال افريقية بمد نفوذه

عليها الى جانب حصوله منها على قوات بحرية ذات خبرة فى

شئون البحر . وكان أسطوله ينقسم الى قسمين الاول ويتكون

من ٥٠ سفينة لحماية شواطئ مصر والثانى من ٣٠ سفينة

للحجوم على الفرنج . انظر :

A.S. Ehrenkrutz, The Place of Saladin in the Naval History,

in J.A.O.S., Vol. 75, pp. 104-105, Heyd, t: 1; pp: 396-397

وعن تقسيم الاسطول المصرى ومهامه فى عهد صلاح الدين . انظر:

المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٣٣ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ ،

ص ٤٥ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٨٨ ، ٩٩ .

مايو ١١٨٠م/ذى الحجة ٥٧٥هـ (١٠٠) . وعقد معاهدة لا تشمل كل الفرنج في بلاد الشام ، انما يدل على أن سياسة ملوك بيت المقدس التي انتهجوها حتى عهد فولك الانجوى ، تجاه الامارات الصليبية في شمال الشام ، قد انتهت ، ولم يعد ملوك بيت المقدس يولون امارة انطاكية بالذات نفس الاهتمام أيام كان الخطر الاسلامى يأتيهم من العراق وحلب . ولقد أطلقت هذه الهدنة أيدى صلاح الدين في شمال الشام . ولأنه لم يكن ليدخر جهدا في نضاله ضد الفرنج ، فاذا ما ترك جزءا من أملاكهم في هدوء ، فانما يكون ذلك لأنه ينوى توجيه نشاطه الى جزء آخر (١٠١) . فقد استغل صلاح الدين عدم شمول هدنته مع الملك الصليبي الشام وهاجم كونتية طرابلس بواسطة أسطوله ، بينما وقف برا ليحول هو بين الكونتية وبين أملاك الداوية والاستبارية حتى لا يساعد أحدهما الآخر (١٠٢) مما اضطر كونت طرابلس الى الاسراع بعقد هدنة مماثلة لهدنة الملك الصليبي مع صلاح الدين (١٠٣) . وهكذا ، ففي خلال الفترة من ١١٧٧م/٥٧٤هـ الى ١١٨٠م/٧٦١هـ كان صلاح الدين يتبع حيال الفرنج ما عرف بسياسة الارض المحترقة (١٠٤) حتى يتمكن من تثبيت مركزه في سوريا وفلسطين . وقام الملك بولدوين الرابع بالرغم من صغر سنه ومرضه الذى أثقل كاهله ، وبقدر ما سمحت به ظروفه بمجهود لا ينكر في التصدي لصلاح الدين ، بمساعدة كونت طرابلس أحيانا وبدونها

(١٠٠) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ، ٢١٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،

ج ٢ ، ص ٩٧ .

William of Tyre, Vol. 2, p. 447.

راجع أيضا :

William of Tyre, Vol. 2, p. 447.

(١٠١)

(١٠٢) احتل الاسطول المصرى جزيرة أرواد المقابلة لمدينة انطربطوس

التي أشعل بحارته النيران في بعض مبانيها وذلك في يونيو

١١٨٠م/صفر ٥٧٦هـ بينما أحزقت قوات صلاح الدين مزارع

طرابلس ومحاصيلها . انظر أبو شامة : الروضتين، ج ٢، ص ١٣ ،

William of Tyre, Vol. 2, pp. 447-448.

راجع أيضا :

William of Tyre, Vol. 2, p. 449.

(١٠٣)

(١٠٤) وهى عدم احتلال الاراضى الصليبية والبقاء فيها ، بل تدميرها

وحرق محاصيلها وتخريب أملاك الفرنج . فقد كانت نيته تتجه

الى توحيد المسلمين تحت قيادته ثم التفرغ للفرنج بعد ذلك .

انظر :

J. Prawar, Crusader Institutions, 284.

أحيانا أخرى . أما بوهيمند الثالث فقد بقى على سلبيته تجاه المسلمين دون محاولة منه لاستغلال فرصة انشغال صلاح الدين في فلسطين ، لتقوية أمارته . ولم يقد سوى بخارة على شيزر لم تكن ذات جدوى لانشغال صلاح الدين مع المملكة اللاتينية ، ولعدم اطمئنانه على الاوضاع في حلب اكتفى في هذه الفترة بمراقبة تحركات أمير انطاكية (وكونت طرابلس) . لذا كانت اماره انطاكية بمنأى عن خطر صلاح الدين . وازاء تقدم الاخير ، وعدم استجابة أوربا لاستغاثة مملكة بيت المقدس منذ أيام عموري الأول ، فقد سعى كل من ملك بيت المقدس وكونت طرابلس الى عقد الهدنة مع صلاح الدين . بينما ركنت جماعتا الداوية والاسبتارية الى الهدوء . ولم يحم الصليبيين في ذلك الوقت سوى أسوار معقلهم التي اختفوا وراءها (١٠٥) . واذا كان الفرنج قد طلبوا الصلح مع صلاح الدين آنذاك ، فذلك لادراكهم عدم استطاعتهم صدّه ، فقد كان لدى صلاح الدين من الاسباب ما يجعله يقبل هذا الصلح . فقد مرت خمس سنوات متتالية قليلة المطر ، مما أضر باقليم دمشق وقلل من قوات صلاح الدين (١٠٦) . الى جانب ذلك كان عليه أن يؤمن حدود الزنكيين خاصة في حلب ضد أطماع قلع أرسلان سلطان قونية السلجوقي الذي ما ان تحرر من خطر البيزنطيين على حدوده الغربية بموت مانويل كومنين حتى راح يمد نفوذه في شمال الشام وانتهى الامر بعقد صلح بينه وبين صلاح الدين (١٠٧) . ثم كان على صلاح الدين أن يقوم بحملة ضد روبين الثالث الارميني (١٠٨) . ثم عاد

(١٠٥) Roben Fedden, Krak of The Knights, in History, Vol. 2, p. 8

(١٠٦) William of Tyre, Vol. 2, p. 447.

(١٠٧) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٠٧ ، ابن واصل : مفرج

الكروب ، ج ٢ ص ٩٦ ، سبط الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ،

قسم ١ ص ٣٦٠ . راجع أيضا :

John L. LA Monte, Taki Ed Din Prince of Hama, in Moslem World, Vol. 31, p. 152.

(١٠٨) هاجم روبين الثالث التركمان فخرج اليه صلاح الدين واستولى

منه على قلعة المناكير واسترد الاسرى المسلمين . انظر : ابن

شداد : النوادر السلطانية ، ص ٥٤ ، ابن واصل : المصدر

السابق ، ج ٢ ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، سبط بن الجوزي : مرآة

الزمان ، ج ٨ ، قسم ١ ، ص ٣٦٠ ، راجع أيضا :

Bar Hebraeus, Vol. 2, p. 310.

صلاح الدين الى مصر فوصلها في يناير ١١٨١م/شعبان ٥٧٦هـ (١٠٩) . ولم تتوقف مشاغله عن الفرنج عند هذا الحد ، بل شغله تماما ما حدث في الموصل وحلب (١١٠) . وهنا أيضا لم يشأ بوهيمند أن يتحرك منتهزا فرصة الخلافات بين أهل حلب وعز الدين مسعود ، بل أنه لم يظهر أى رد فعل لحماية أملاكه حين هاجم عز الدين مسعود اقليم دريساك وشيخ الحديد التى كانت مناصفة بين انطاكية وحلب، واكتفى بصلح مع عز الدين مسعود يستمر لمدة عامين (١١١) . كل ذلك جعل بوهيمند فريسة لتهديدات صلاح الدين في ١١٨٣م/٥٧٩هـ (١١٢) . ومهما يكن من أمر ، فان الاسباب التى دعت صلاح الدين لقبول صلح الفرنج في عام ١١٨٠م/٥٧٨ هـ ، كان هناك ما يماثلها - ان لم يكن أشد خطرا - لدى الفرنج بصفة عامة وامارة انطاكية بصفة خاصة . فاذا كانت انتصارات صلاح الدين المبكرة على الفرنج في مرج عيون ، وهدمه لحصن بيت الاحزان ، ثم اغارته على كونتية طرابلس ، كانت كلها بمثابة انذار بالسقوط الوشيك للمملكة ، فان مشكلة وراثة العرش التى ظهرت في أعقاب ذلك وانقسام الفرنج حولها ، كانت بمثابة انذار آخر بالكارثة التى حلت بهم في حطين وما تلا ذلك من خسائر فادحة (١١٣) . وقد قدر لبوهيمند أن يدلوا بدلوهم في هذه المشكلة وهو الذى كان كل ما يقوم به من أعمال تضر بالكنيسة اللاتينية والمملكة ومارته نفسها ، ذلك في وقت كان صلاح الدين يسير فيه بخطى سريعة نحو توحيد القوى الاسلامية تمهيدا لتوجيه الضربة النهائية

-
- (١٠٩) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠١ .
(١١٠) مات كل من سيف الدين غازي صاحب الموصل في يونية ١١٨٠م/ صفر ٥٧٦ هـ ، ولحق به الملك الصالح اسماعيل صاحب حلب في ديسمبر/رجب من نفس العام . وتولى عز الدين مسعود الحكم في الموصل وحلب التى تركها بعد ذلك لأخيه عماد الدين صاحب سنجار . انظر ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٥٤ - ٥٥ ، ابن الاثير : الكامل : ج ١١ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، ٢١٣ - ٢١٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٣٩ ، ٤١ - ٤٢ ، ٥٢ .
(١١١) « شيخ الحديد » قرية من اعمال العمق . انظر : ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ١٢٧ .
(١١٢) انظر ما يتقم من هذا الفصل ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .
(١١٣) R.L. Nicholson, Joscelyn III and The Fall of the crusader states, Leiden, 1973, p. 88.

للكيان الصليبي المتداعي . فقد تسبب بوهيمند باصطحابه لكونت طرابلس في رحلته الاخيرة الى بيت المقدس دون سابق انذار الى تخوف الملك الصليبي منهما والذي اعتقد أنهما يدبران أمر تنحيته عن عرش المملكة والاستيلاء على الحكم ، فسارع بعقد قران شقيقته ووريثته سبيل «Sibylla» من جى دى لوزينان «Guy de Lusignan» متخطيا بذلك من كانوا أكثر ملاءمة لهذه الزيجة من نبلاء المملكة . وهكذا اندلعت مشكلة وراثه العرش بين الفرنج الذين انقسموا فيما بينهم الى فريقين : الاول يقوده الملك بتاييد من الملكة الأم أجنيس «Agnes» وشقيقها جوسلين دى كورتيناى وهرقل بطريك بيت المقدس وفرسان الداوية . والثانى يقوده كونت طرابلس بتاييد من بوهيمند وأعضاء أسرة ابلين فى الرملة وصيدا وقيسارية (١١٤) . ولاشك أن ذلك ترك آثاره على العلاقات بين كونت طرابلس ومملكة بيت المقدس من الآن فصاعدا . ولا شك أن جهود ريموند واخلاصه للقضية الصليبية كان من الممكن أن تفيـد المملكة فى صراعها ضد صلاح الدين الا أن ذلك لم يعد موفورا ، خاصة بعد أن ضاعت آمال ريموند فى امكانية اعتلاء عرش المملكة أوحتى الوصاية عليها بعد موت بولدوين الرابع (١١٥) . وهكذا أسهم بوهيمند فى المشاكل التى أودت فى النهاية بمملكة بيت المقدس . ولم تكن هذه هى نهاية المشاكل التى تسبب بوهيمند الثالث فى اثارتها للفرنج فى فلسطين وطرابلس . بل انه قام بما كان من شأنه أن يشغلهم من بيت المقدس جنوبا وحتى انطاكية شمالا . فبينما أضعف مرض بولدوين الرابع السلطة الملكية فى بيت المقدس ، ووقعت المملكة فى الاضطراب نتيجة انقسام الفرنج ، بسبب مشكلة وراثه العرش ، لم تكن اماره انطاكية أقل اضطرابا من المملكة . وعرض

William of Tyre Vol. 2, p. 464; Otto of Fresing, Chronicon (١١٤) Continuatio Sanblasiana, in M.G.H.SS., Vol: xx, p: 318; Benedict of Peterbrough, Gesta Regis Henrici Secundi, ed., W. Stubbs, 2 Vols; in R.S., London, 1867, Vol. 1, p. 343; C.F. also Smith, Feudal Nobility and the kingdom of Jerusalem, 1174-1277, London, 1973; p. 104-105; J. La Monte, The Lords of Caesarea in the period of the crusades, in Speculum, Vol. 22, p. 151; M.W. Baldwin, Raymond III of Tripoli and the fall of Jerusalem, Princeton, 1936, pp.39-40.

R.L. Nicholson, Joscelyn III, p. 88.

(١١٥)

سوء سلوك بوهيمند الامارة النورماندية للخطر . فبموت الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين سارع بوهيمند بهجر زوجته اليونانية تيودورا (١١٦) ليعيش مع سيبيل «Sibylle» شقيقة زوجة صاحب حصن بزرية (١١٧) ، والتي تظهر بصورة كريهة فى المصادر المسيحية ، فهى امرأة خاطئة عند ميشيل السريانى ، ومنحرفة لا تتصرف الا باعمال السحر والشعوذة عند وليم الصورى (١١٨) . وكان ارتباط بوهيمند بها وبالا على الفرنج بعامة ، وعلى امارة انطاكية بصفة خاصة . ويؤكد ذلك ما ذكره ابن الاثير من أنها كانت تقوم بالتجسس على الصليبيين لحساب صلاح الدين حيث كانت « تراسله وتهاديه ، وتعلمه بالامور التى تؤثر » (١١٩) . ويزيد أبو شامة بقوله أنها كانت « فى موالاة السلطان ، عينا له على العدو ، وتهاديه ، وتناصحه ، وتطلعه على أسرارهم ، والسلطان يكرمها لذلك ويهدى اليها أنفس الهدايا » (١٢٠) . وبالرغم من ذلك فقد كان بوهيمند مفتونا بها ويرفض كل التوسلات التى رفعت

(١١٦) هكذا يسميها وليم الصورى بينما نجدها « ايرين » فى قوانين بيت المقدس انظر :

William of Tyre, Vol. 2, p. 453; Assises and Lignages des Croisades, in R.H.C. Lois, Vol. 2, p. 446.

(١١٧) حصن « بريزية » يقع على بعد ٤٥ كيلو مترا شرقى اللاذقية وعلى بعد ٣٠ كيلو مترا شمالى افامية من الجانب الغربى لنهر العاصى ومستنقعات الغاب . وكانت سيبيل هى ثالث امرأة ترتبط بها بوهيمند الثالث . فقد تزوج قبل عام ١١٧٠م/٥٦٦هـ من أورجو جليوزا Orgogliosa ابنة وليم فرزنل Guillaum Fresnel سيد حارم فى ذلك الوقت وأنجب منها ولدين (ريموند وبوهيمند) ، ثم تزوج فى ١١٧٥م/٥٧١هـ من تيودورا كومنين ابنة أخ مانويل كومنين وأنجب منها ابنتين (فيليبيا وكونستانس) أما سيبيل فقد أنجب منها ولدين (وليم وبوهيمند) وابنتين (اكيفا وأليس)

Dussaud, pp. 151-152; Rey, Histoire des Princes d'Antioche, pp. 379 ff; W.H. Rudt Collenberg, A fragmentary copy of an unknown version of the Lignages d'Outre-Mer, in E.H.R., Vol. 98; pp. 313-319, B. Hamiton, The Latin Church, p. 46.

Michel Le Syrien, t. 3, p. 389. (١١٨)

(١١٩) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٨ .
(١٢٠) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

اليه للانفصال عنها ، مما دفع البطريرك اللاتيني لانطاكية ايمرى دى ليموج ، الى أن يوقع قرار الحرمان على بوهيمند ومارته بصفة الاخير شخصا متزوجا بأكثر من امرأة في وقت واحد (١٢١) . الا أن بوهيمند وضع نفسه في حالة تمرد سافر ضد سلطة الكنيسة ، وبدأ في اضطهاد رجال الدين والبطريرك ، واستولى على أملاك الكنيسة ، وحاصرهم وهاجمهم في قلعة القصر التي لجأ اليها البطريرك هربا من بطشه، وهاجمهم «كما لو كان المسلمون هم الذين يقومون بذلك» (١٢٢) . فاضطر رجال الدين الى اللجوء الى حصن المرقب حيث تصدى رينو مازوير «Renoud Masoire» نائب بوهيمند هناك ، للامير وهزمه وردده الى أنطاكية ، واشتعلت بذلك حرب أهلية حقيقية في الامارة (١٢٣) . وازاء هذه المشكلة ، وبدلا من التفرغ لمواجهة صلاح الدين ، اضطر الملك بولدوين الرابع الى التدخل لانهاء النزاع بين الامير والكنيسة . ولما كان الملك يخشى ، انا ما قام باتخاذ اجراء عنيف ضد بوهيمند ، أن يدفع ذلك بالامير الى اللجوء الى صلاح الدين ، فقد أرسل اليه وفدا يضم هرقل بطريرك بيت المقدس ، ورينو دى شاتيون ، ومقدم الداوية ، ومقدم الاستبارية ، الذين اصطحبوا كونت طرابلس لاحتمال تأثيره على صديقه بوهيمند (١٢٤) . وانتهى الامر بأن يرد بوهيمند ما استولى عليه من أملاك الكنيسة على أن يرفع البطريرك قرار حرمانه عن الامارة دون بوهيمند طالما لم ينفصل عن سبيل (١٢٥) . وعاد المبعوثون الى بيت المقدس . الا أن التوتر بين بوهيمند وباروناته خطين هو محاولته الاستيلاء على مدينة بيروت لعزل امارة انطاكية قيليقياً . وآواهم الاخير ليبدأ بينه وبين بوهيمند خلاف استمر ، مع فترات وفاق متقطعة ، حتى موت روبين ، واستمر أيضا في عهد خلفه ليو الثاني (١٢٦) . ولحسن حظ الفرنج أن صلاح الدين لم يخرج من مصر

William of Tyre, Vol. 2, p. 454; Bar Hebraeus, Vol. 2, p. 310 (١٢١)

William of Tyre, Vol. 2, p. 454.

(١٢٢)

(١٢٣) رينو الثاني (١١٦٠ - ١١٨٣ م) انظر :

C. Ducange, Les Familles d'Outremer, ed. E.G. Rey, Paris,

1869, p. 392; Cahen, La Syrie du Nord, p. 423;

Delaville Le Roulx, Les Hospitaliers, p. 83-96; B. Hamilton, (١٢٤)

The elephant of christ, p. 101.

William of Tyre, Vol. 2, p. 456;

(١٢٥)

(١٢٦) كان من بين من لجأوا الى أرمينيا كل من جويسكارد دى ليل =

في تلك الفترة التي شغلوا فيها بمشاكلهم الداخلية التي كان لبوهيمند الفضل في اثارها الى حد كبير . واذا كانت سياسة رينو دي شاتيون ، كما يذهب كثير من المؤرخين ، قد تسببت في كارثة حطين ، فان سياسة بوهيمند قد حرمت الفرنج في بلاد الشام من مساعدة بيزنطة وأرمينيا وقبرص ، تلك المساعدة التي كانوا في حاجة اليها لتجنب هذه الكارثة . ونفس السياسة جعلت بوهيمند في شغل عن أن يدرك ما يقوم صلاح الدين من أعمال، لو كان قد تمعن فيها لأدرك أنها جزء من سياسة صلاح الدين لتقويض أركان امارته الصليبية . وكان أول ما قام به صلاح الدين تنفيذا لذلك قبيل حطين هو محاولته الاستيلاء على مدينة بيروت لعزل امارة انطاكية وكونتية طرابلس عن مملكة بيت المقدس . كما أن الاستيلاء على بيروت ، قالى جانب أنه سيقسم أملاك الفرنج الى شطرين ، فانه سيمد الاسطول المصري بقاعدة بحرية ممتازة في الساحل الشامى . وبذلك يمد مجال عمليات السفن المصرية التي ستتمكن من النقص في امداداتها في قاعدة بيروت القريبة بدلا من العودة الى مصر بعد طوافها في المياه الشامية . وهذا الامر سوف يمكنها أيضا من تشديد الحصار حول انطاكية من جهة البحر ، واذا ما استولى صلاح الدين على حلب ، فستقع انطاكية بين فكي الرحى (١٢٧) ففي أول أغسطس ١١٨٢م /ربيع ثانى ٥٨٧هـ ، بدأت السفن المصرية في حصار بيروت من جهة البحر ، بينما هاجمها صلاح الدين من جهة البر (١٢٨) . الا أنه يعد ثلاثين يوما من الحصار الناجح ، ظهرت ثلاثون سفينة صليبية ، فانسحب الاسطول المصري دون الدخول في معركة ، بينما رفع صلاح الدين الحصار برا وعاد الى دمشق بعد أن

= Gouiscard de L'Ile الذى يظهر ككندسطليل لانطاكية في عامى ١١٧٠م ، ١١٧٢م وأوليفر الحاجب «Olivier» الذى كان يحمل لقب حاجب انطاكية في عامى ١١٧٩م ، ١١٩٠م ، وغيرها من البارونات . انظر :

Michel Le Syrien, t. 3, p. 388-389; C.F. also, E.G, Rey, Les dignitaires, pp. 118, 127;

A.S. Ehrenkreutz, The place of Saladin in the naval history, (١٢٧) p. 108.

(١٢٨) ابن الاثير : الكامل ، ج ١ : ١١٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥ ، راجع أيضا :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 475-476.

وجد أن « أمر بيروت يطول وكان قد سبى الاسطول منها وسلب » (١٢٩) . وربما اكتفى صلاح الدين بما سلبه من بيروت ، خاصة بعد أن وصلته الانباء من مصر بأن سفينة صليبية آتية من أبوليا ، قد جنحت عند دمياط وأخذ المسلمون منها ١٧٠٠ أسيرا ، وهكذا منعوهم من تقوية صفوف الفرنج (١٣٠) . وربما أراد صلاح الدين أن لا يجهد قواته في حصار بيروت ، ليتجه بعد ذلك الى حلب التي فتحها في ١٢ يونية ١١٨٣م / ١٩ صفر ٥٧٩هـ . وعوض عماد الدين زنكى الثانى صاحبها بعدة مدن في اقليم الجزيرة، وعهد بحلب الى ابنه الظاهر (١٣١) . ولم يلبث من في قلعة حارم أن سلموها الى صلاح الدين في ٢٢ يونية ١١٨٣م / ٥٧٩هـ خشية أن يسلمها متوليها سرخك الى افرنج انطاكية بعد أن امتنع عن تسليمها الى صلاح الدين (١٣٢) . وبالنسبة لصلاح الدين ، فقد كانت حلب هى مفتاح الطريق الى النصر النهائى على الصليبيين (١٣٣) . وبالنسبة للجهاد ضدهم ، فقد كان فتحه لحلب هدفا غاليا وقد تحقق ، وتنتهى به مرحلة اثنى عشر عاما من الانتظار لتوحيد سوريا ومصر تحت قيادته منذ أن مات نور الدين . وأصبح بإمكانه الآن تهديد الصليبيين جميعا . وبالنسبة للصليبيين أنفسهم ، فكما لاحظ مؤرخهم وليم الصورى ، قد اكتملت الدائرة التى خطط صلاح الدين لحصارهم بها (١٣٤) . وبم أن انطاكية هى اقرب الامارات الصليبية الى حلب ، وأكثرها تعرضا لخطر

(١٢٩) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٩ . انظر أيضا : William of Tyre, Vol. 2, p. 476.

(١٣٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١١٧ .
(١٣١) مؤرخ مجهول : البستان الجامع لجمع تواريخ الزمان : نشره كلودكاهن ، مجلة الدراسات الشرقية ، ج ٧ - ٨ ، ص ١٤٤ .
(١٣٢) امتنع سرخك عن تسليم حارم الى صلاح الدين الذى بذل له ما يجب من الاقطاع فاشتط في الطلب ، وراسل الفرنج يستنجد بهم . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٧٠ . راجع أيضا :

Bar Hebraeus, Vol. 2, 316.

(١٣٣) M.C. Lyons and D.E.P. Jackson, Saladin, The Politics of the Holy War, Cambridge, 1982, p. 202.

(١٣٤) فى فبراير اجتمع مجلس الملك بولدوين وتقرر فرض ضريبة عامة على مواطنى المملكة من رجال دين وعلمانيين دون استثناء لجمع الاموال الكافية لدعم قوات المملكة ضد صلاح الدين . انظر : =

الفتح الاسلامى ، فقد سارع بوهيمند الى عكا طلبا لمساعدة ملك بيت المقدس الذى لم يستطع القيام بشىء سوى امداده بحوالى ثلاثمائة فارس لدعم الدفاع عن انطاكية (١٣٥) . ولم يكن هذا الدعم كافيا ، وسرعان ما عاد الفرسان الى المملكة ، ليبقى بوهيمند وحده فى مواجهة صلاح الدين « ورجفت انطاكية بعد ذلك رعبا » (١٣٦) . ولم يجد بوهيمند بدا من الاسراع الى طلب الهدنة من صلاح الدين بعد أن أطلق « سراح جماعة من المسلمين » (١٧٣) . وخشية احتمال وقوع مواجهة مكلفة مع صلاح الدين فى المستقبل ، فقد رأى أن يتنازل عن مدينة طرسوس لروبين الثالث الارمينى نظير مبلغ كبير من المال . فهو بذلك يتخلص من تبعة الدفاع عن مدينة بعيدة عنه ، وفى الوقت نفسه يوفر ما قد يحتاجه من أموال للمستقبل (١٣٨) . أما عن صلاح الدين ، فبعد أن اطمأن الى استقرار الامور فى شمال الشام ، توجه الى دمشق فى ١٤ أغسطس ١١٨٣م / ٢٢ ربيع ثان ٥٧٩هـ ، ليقوم بأمر أعماله ضد مملكة بيت المقدس قبل أن يوجه اليها ضربته النهائية . وجاء ذلك كرد فعل لما قام به رينودى شاتيون من أعمال أثارت صلاح الدين وزادت من ضعف المملكة الصليبية . وكان الفضل لما أتى به رينودى شاتيون من أعمال (١٣٩) أن يدرك صلاح الدين أهمية الاستيلاء

William of Tyre, Vol. 2, p. 490. C.F, also, B.Z; Kedar; The general Tax of 1183 in the Crusading kingdom of Jerusalem, in E.H.R. Vol. 89, p. 339,

William of Tyre, Vol. 2, p. 490. (١٣٥)

أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٤٧ ، راجع أيضا :

William of Tyre, Vol. 2, p. 491. (١٣٧)

Michel Le Syrien, Doc. Arm., p. 393-394. C.F, also, Nicholson, Joscelyn III, p. 94. (١٣٨)

(١٣٩) فى يناير ١١٨٢م / رمضان ٥٧٨هـ قام رينودى شاتيون بالاستيلاء على ميناء أيلة الواقع على خليج العقبة أعلى جزيرة العقبة المواجهة للميناء ، ومنها أغار على ميناء عيذاب المواجه لمدينة جدة وقامت سفنه بنهب السفن التجارية الاسلامية القادمة من جهة اليمن . ثم نزل على الشاطئ الشرقى للبحر الاحمر حيث أغار على القوافل الاسلامية هناك توطئة للاعتداء على الاماكن الشريفة بالحجاز ، الا أن العادل ، شقيق صلاح الدين ونائبه فى مصر ، أخرج الاسطول المصرى بقيادة حسام الدين لؤلؤ الذى استطاع اجهاض محاولة أرناط بعد أن دمر سفن الفرنج . وهكذا انقلبت محاولة ضرب الاسلام فى العمق الى بطولة للاسطول المصرى . =

على حصن الكرك الذى يتحكم فى الطريق من مصر الى الشام قاطعاً خطوط مواصلات صلاح الدين ، الى جانب تحكمه فى طريق الحج . وفى طريقه الى حصن الكرك استولى صلاح الدين على بيسان فى ٢٩ سبتمبر ١١٨٣م/ ٩ جمادى الآخرة ٥٧٩هـ . بينما عسكر جى دى لوزنيان الوصى على المملكة عند صفورية فى أوائل أكتوبر/نهاية جمادى الآخرة من نفس السنة ، ولم يجرؤ على مواجهة صلاح الدين (١٤٠) الذى بدأ فى حصار حصن الكرك فى أوائل نوفمبر/منتصف رجب مع قوات وصلته من مصر بقيادة أخيه العادل . ونصب عليه المنجنقات ، وأخذ فى ضربه ، واشتد فى حصاره ، ولم يقلع عن حصاره الا بوصول ملك بيت المقدس وقواته وكل بارونات المملكة الى جانب قوات انطاكية بقيادة بوهيمند وقوات طرابلس مع ريموند الذى أناط اليه الملك قيادة هذا الجيش الكبير وذلك فى أوائل ديسمبر/منتصف شعبان (١٤١) . واذا كانت المشاركة فى نجدة حصن الكرك تعد من أعمال بوهيمند التى تحسب له منذ فترة طويلة ، والتى لم يذكرها وليم الصورى صراحة (١٤٢) ، فانه قام قبل ذلك مباشرة باثارة مشكلة وراثية العرش مرة أخرى عندما شارك كونت طرابلس وكثير من نبلاء المملكة فى اقناع ملك بيت المقدس بالغاء وصاية جى دى لوزنيان ، كونت يافا وزوج سبيل شقيقة الملك ، على المملكة وتم تتويج بولدوين الخامس ابن سبيل الطفل . ففضى بذلك على آمال جى فى الوصاية أو فى

= انظر: أبوشامة: الروضتين، ج ٢، ص ٣٥، ابن الاثير : الكامل ج ١١، ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ، ص ٧٩ ، حسنين ربيع : بحر الحجاز فى العصور الوسطى ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ، ج ١ ، ص ٤٠٣ .
(١٤٠) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٦١ - ٦٣ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ص ٢٢٦ . راجع أيضا :

William of Tyre, Vol. 2, p. 498.

(١٤١) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٧٢ ، المقرئى السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٨١ - ٨٢ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٦٣ ، راجع أيضا :

Ernoul, pp. 102-106; William of Tyre, pp. 603-504.

(١٤٢) اعتاد وليم الصورى على اظهار بوهيمند الثالوث بصورة تخضع للنقد وذلك منذ تسببه فى ابعاد فيليب كونت الفلاندرز عن الاشتراك فى الحملة البيزنطية الصليبية على مصر . انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ١٨٣ - ١٨٥ .

عرش المملكة . فاعتكف بعسقلان تاركا يافا للملك الذى أعاد الوصاية على المملكة الى كونت طرابلس . وبالطبع لم يكن ذلك ليرضى الحزب المؤيد لجى لوزينيان . وبذلك زادت حدة الانقسام بين صفوف الفرنج . وكان لبوهيمند دوره فى هذا الانقسام فى الوقت الذى كان الفرنج فيه أشد ما يكونون حاجة الى الترابط (١٤٣) . واذا كانت سياسة بوهيمند قد ساهمت - كما ساهمت سياسة رينو دى شاتيون - فى تعريض المملكة الصليبية لخطر صلاح الدين بعد أن أضعفتها من الداخل ، فان سياسة بوهيمند هذه قد حرمت الفرنج من مساعدة كثير من الحلفاء الذين كان من الممكن أن يقفوا الى جانبهم فى أزمتهم المقبلة . وكان هؤلاء هم الارمن والبيزنطيون والقبارصة . فبعد موت مانويل كومنين فى ١١٨٠م/٥٧٦هـ تولت زوجته ماريا شقيقة بوهيمند الثالث الحكم كوصية على الامبراطور الطفل الكسيس الثانى (١١٩٠ - ١١٨٣م) حتى استطاع أندرونيقوس كومنين ، ابن عم مانويل ، الاستيلاء على العرش فى ١١٨٣م (١٤٤) . وفى نفس الوقت ظهر اسحق كومنين القائد البيزنطى الذى ثار على أندرونيقوس ، والذى اعتقله روبين الارمينى ، وبتدخل بوهيمند تمكن اسحق من التوجه الى جزيرة قبرص ، واستقل بها عن بيزنطة ولم تصل فديته الى الارمن ، فاحتل روبين أملاك جيرانه من بيت هيثوم فى غربى قيليقية والتابعين لبيزنطة . ولما كان بوهيمند يعتبر نفسه نائبا للسلطة البيزنطية العاجزة فى أرمينيا ، فقد استدعى روبين فى ١١٨٥م/٥٨١هـ متظاهرا بالاتفاق معه ، واعتقله ، ما جعل ليو الثانى شقيق روبين يدفع فديته الى بوهيمند ويتنازل له عن اذنة والمصيصة وطرسوس الى جانب قلعة سرفنتكار وتل حمدون ، أى ما يقرب من نصف السهل القيليقى . وما أن عاد روبين الى قيليقية ، حتى استرد كل شئ . ولم يستطع بوهيمند الا أن يقوم بعدة غارات دون جدوى (١٤٥) . وباستقلال اسحق كومنين - الذى ساهم فيه بوهيمند - بجزيرة قبرص ، أضيف عدو جديد الى قائمة أعداء ندرونيقيوس التى تضم الامبراطور الالماني فريدريك بربروسا ،

(١٤٣) William of Tyre, Vol. 2, pp. 501-502; Ernoul, pp. 96-102.

(١٤٤) Nicetas Choniates, pp. 356 ff. C.F. also Vasiliev, pp. 432-434

(١٤٥) Neophytus de Calamitatibus Gypri (in Preface to Itinerarium

Regis Ricardi.), in R.S., London, 1864; P. CLXXXVII;

وحلفاءه نورمان صقلية الذين حاول ملكهم وليم الثاني القيام بحملة لخلع أندرونيقوس عن عرش بيزنطة وكان هؤلاء هم نفس أعداء صلاح الدين . الامر الذى ساعد على التقارب بين بيزنطة ومصر . فعرض أندرونيقوس على صلاح الدين التحالف معه مدفوعا فى ذلك بالشعور بالخطر وذلك فى يونيو ١١٨٥م / ربيع أول ٥٨١هـ (١٤٦) ، على أن يكون لصلاح الدين كل ما يفتحه من أملاك الصليبيين فى بلاد الشام ماعدا عسقلان ، وأن يحوز هذه الاملاك تحت سيادة بيزنطة ، وأن يكون للامبراطور البيزنطى كل ما يستطيع الحليفان أخذه من سلاجقة الروم حتى انطاكية (١٤٧) . ووصل رد صلاح الدين الى القسطنطينية وتسلمه الامبراطور الجديد اسحق أنجيلوس (١١٨٥ - ١١٩٥م) الذى أكد تحالف سلفه مع صلاح الدين نظرا لتهديد النورمان للقسطنطينية (١٤٨) . ومما زاد من تقرب البيزنطيين من صلاح الدين دون الصليبيين ، ما قام به بوهيمند وريموند كونت طرابلس حين اعتقال الكسيوس أنجيلوس شقيق الامبراطور البيزنطى فى عكا ، وهو فى طريق عودته الى القسطنطينية بعد أن أقام فترة عند صلاح الدين (١٤٩) . ويتضح أثر ذلك عندما ظهر أسطول بيزنطى أمام قبرص دعما لهجوم صلاح الدين على بيت المقدس فى ١١٨٧م / ٥٨٣هـ (١٥٠) . وهكذا كان لبوهيمند النصيب الوافر فى أسباب التباعد

Dolger, Regesten, Vol. 2, n. 1553, p. 91; Magnus, Chronica; (١٤٦)
in M.G.H.SS., Vol. 17, p; 511; Ralph Niger, Chronica
Universali, in M.G.H.SS., Vol. 27, p; 338; Rohricht, Re-
gesta, no. 688, p. 183.

Magnus, Chronica, p. 511. (١٤٧)

(١٤٨) تولى اسحق أنجيلوس العرش بعد ثورة البيزنطيين ضد أندرونيقوس
نتيجة لاحتلال نورمان صقلية لمدينة سالونيك فى أغسطس
١١٨٥م . وباعتلاء اسحق عرش بيزنطة ينتهى عهد أسرة كومنين
فى الامبراطورية البيزنطية . انظر :

Magnus, Chronica, pp. 511-512. C.F. also, Visiliev, p. 473

Dolger, Regesten, no. 1607, p. 98. (١٤٩)

(١٥٠) قام أسطول دقلى بقيادة مارجريت البرنديزى بمهاجمة الاسطول
البيزنطى أمام قبرص . وأعاد صلاح الدين الكسيوس أنجيلوس
الى بيزنطة بعد أن فتح عكا انظر :

Charles M. Bran, The Byzantines and Saladin, 1185-1192,
Opponents of the third Crusade, in Speculum, Vol. 37,
p. 170.

بين بيزنطة والفرنج ، ودفع بيزنطة الى التحالف مع المسلمين ضدهم .
أما عن الارمن ، فان هجمات التركمان الرجل على أرمينيا وشمال الشام
كان من شأنها أن قاربت بين بوهيمند والارمن ، فتزوج ليو الثانى الذى
خلف روبين الثالث ١١٨٦م/٥٨٢هـ من شقيقة سيبيل زوجة
بوهيمند (١٥١) . وأثار هذا التقارب بين انطاكية والارمن مخاوف صلاح الدين
الذى خشى من وجود حلفاء على حدوده الشمالية فبعث ببعض قواته قبيل
موقعة حطين الى شمال الشام لمراقبة تحركات بوهيمند وليو . وكان لذلك أثره فى
حرمان صليبي فلسطين من مساعدة بوهيمند أو الارمن (١٥٢) . حدث
ذلك فى الوقت الذى كانت مشكلة وراثة العرش قد ثارت بين الفرنج من
جديد لتزيد من انشغالهم فيما بينهم وتضعف من جبهتهم أمام صلاح الدين
فى الوقت الذى استعد فيه لأن يطبق عليهم بكل قوته . فبعزل جى نوزينان
فى عسقلان ، عقد كونت طرابلس ، الوصى الجديد على بولدوين الخامس ،
هدنة لمدة أربع سنوات مع صلاح الدين (١١٨٥ - ١١٨٩م/٥٨١ -
٥٨٥هـ) (١٥٣) . ومات بولدوين الرابع فى مارس ١١٨٥م/ذى الحجة
٥٨٠هـ ولحق به بولدوين الخامس فى أغسطس ١١٨٦م/جمادى ثان
٥٨٢هـ . وبمساعدة جوسلين الثالث وبطريك بيت المقدس تم تتويج جى

(١٥١) قامت حركة هجرة واسعة للتركمان الرجل نتيجة لصراعهم ضد
الأكراد فى أعالي الجزيرة ، حيث تمكن التركمان بقيادة شخص
يدعى رستم من دحر الأكراد واجتاحوا الاملاك الاسلامية
والمسيحية على السواء . ويعد مرورهم ببلاد قلج أرسلان الذى
لم يتصد لهم بانشغاله فى تمرد أبنائه ضده ، تقدموا فى شتاء
١١٨٦م/٥٨٢هـ الى قيليقية ثم تجمعوا على حدود حلب وانطاكية
واندفعوا حتى اللاذقية حيث باغتهم بوهيمند الثالث وهم
منشغلين بالغنائم والتى استردها منهم بعد قضائه على الكثيرين
منهم ، وهرب الباقيون الى بلاد قلج أرسلان : انظر : ابن شداد :
النوادر السلطانية ص ٧١ ، راجع أيضا :

Robert d'Auxerre, Chronicon, in M.G.H.SS., Vol. 26, p. 251;
Sempad, p. 629, Vahram, p. 510; Benedict, Gesta Henrici, Vol.
2, p. 51.

(١٥٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٧٤ - ٧٥ .
(١٥٣) جمع ريموند كل بارونات المملكة وقادة الداوية والاستبارية لأخذ
موافقتهم على عقد الهدنة ، ووافقوا على اقتراحه بسبب القحط
الذى أصاب أقاليم المملكة . انظر :

Eracles, pp. 12-13; Ernoul, p. 121-128.

وسيبلا ملكا ومملكة على بيت المقدس وابعاد كونت طرابلس عن عرش المملكة . مما دفع بريموند الى معاداة جى وعقد هدنة مع صلاح الدين تخص طرابلس وحدها . وأيده فى ذلك بوهيمند الذى استقبل فى انطاكية كل نبلاء المملكة المؤيدين لكونت طرابلس والذين رفضوا أن يقسموا يمين الولاء للملك جى (١٥٤) . وما لبث بوهيمند أن عقد هدنة تخص انطاكية وحدها مع تقى الدين قائد القوات التى أرسلها صلاح الدين لمراقبة بوهيمند وليو الارمينى . وتم ذلك فى أواخر ربيع الاول ٥٨٣هـ / أوائل يونية ١١٨٧م (١٥٥) . وهكذا حرمت مملكة بيت المقدس من مساعدة كل من البيزنطيين ، والارمن ، والقبارصة ، ثم طرابلس وانطاكية ، فى مواجهتها مع صلاح الدين فى حطين ، فى الوقت الذى إضعفتها فيه مشكلة وراثة العرش والوصاية على المملكة ، مما أدى الى تفكك صفوف الفرنج فى بلاد الشام . وقد شارك بوهيمند فى كل عوامل الضعف هذه . لقد كانت مصالحه الخاصة فوق أى اعتبار حتى ولو كان هذا الاعتبار هو الصالح الصليبي العام . وربما أدرك صلاح الدين أنه ما من خطر يهدده من جانب الصليبيين فى انطاكية وأميرها بوهيمند الثالث بالذات ، الامر الذى أدركه نور الدين محمود من قبل ، وأكدّه المؤرخ الصليبي وليم الصورى . لذلك كانت سياسة صلاح الدين تجاه اماره انطاكية قبل موقعة حطين هى مجرد المراقبة والمهادنة ، حتى يتفرغ لتوحيد القوى الاسلامية فى مصر والشام والعراق تحت قيادته ، تمهيدا للقضاء على مملكة بيت المقدس ثم ليوجه جهوده بعد ذلك الى اماره انطاكية التى لن يقل حظها من سياسته عن حظ المملكة نفسها (١٥٦) . وأما عن موقعة حطين فمعروف

(١٥٤) كان على رأس المعارضين للملك جى بولدوين ابلين صاحب الرملة الذى استقبله بوهيمند ومن جاء معه من فرسان فى انطاكية ، وأقطعهم بعض الاقطاعات فى امارته . انظر : Continuation de Guillaum de Tyre, ed. M.R. Morgan, (Documents Relatifs a L'Histoire des Croisade-), Paris, 1982, p. 35; Ernoul, pp. 137-139; Gestes des chiprois, in R.H.C.-Doc. Arm, Vol. 1, p. 659.

(١٥٥) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٧٥ ، راجع أيضا : Sempad, p. 629; C.F. also, LA Monte, Taki Ed Din, p. 154.

(١٥٦) كان صلاح الدين بعد عقده الهدنة مع ريموند قد توجه الى العراق حيث هاجم الموصل، وانتهى الامر بمصالحته للزنكيين فى مارس =

أنها وقعت نتيجة للسياسة الخارقة لرينو دي شاتيون . فاستئوفت الحرب مع صلاح الدين ، وبالرغم من التصالح بين كونت طرابلس وجي لوزينان فقد سحقت قوات صلاح الدين الجيش الصليبي كله في معركة واحدة ، وذلك في يوم السبت ٤ يوليو ١١٨٧م / ٢٤ ربيع ثان ٥٨٣هـ . ثم أسر الملك جي وغالبية قاداته (١٥٧) وتوج صلاح الدين جهوده بفتح مدينة بيت المقدس في يوم الجمعة ٢ أكتوبر ١١٨٧م / ٢٧ رجب ٥٨٣هـ (١٥٨) لتعود المدينة المقدسة الى السيادة الاسلامية بعد ثمان وثمانين عاما من الاحتلال الصليبي لها ، وليفقد الصليبيون الذين فقدوا بعدها كل المملكة التي لم يتبق لهم منها سوى مدينة صور (١٥٩) وكانت هذه كارثة

= ١١٨٦م / ذي حجة ٥٨١هـ ، وصار عز الدين مسعود من أتباعه . وهكذا أمن صلاح الدين جبهة العراق وأتم توحيد كل القوى الاسلامية من العراق الى مصر تحت قيادته . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٦٧ - ٧١ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٣٠ - ٢٣٣ .

(١٥٧) وقع في أسر صلاح الدين كل من الملك جي وأخوه عموري دي لوزينان كندسطل المملكة ، ورينو دي شاتيون ، وجيرار ريد فورت مقدم الداوية ، وهيو الثالث امبرياكو صاحب جبيل ، وغيرهم من البارونات ومئات من فرسان الداوية والاسبتارية . بينما هرب أثناء المعركة كل من كونت طرابلس الذي توجه الى صور ثم الى طرابلس ، ويولدوين ابلين حاكم الرملة وجوسلين الثالث ورينالد حاكم صيدا . عن أحداث موقعة حطين انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٧٥ - ٧٨ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٤٠ - ٢٤٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١١٨٤ - ١٩٢ ، أبو شامة : الروضتين ج ٢ ، ص ٧٥ - ٨٠ ، مجهول : البستان الجامع ، ص ١٧٤ . وأيضا : Eracles, pp. 68-71; Ernoul, pp. 170-172; De Expogatione Terrae Sanctae per Saladinus Libellus, (ed. Stubbs), in R.S. London, 1871, pp. 31-34; Marino Sanudo, Liber Secretorum Fidelium Crucis, ed. j. Bongars, in G.D.F., Vol. 2, p. 194.

(١٥٨) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٢ . راجع أيضا : Ernoul, pp. 174-175, 211; Eracles, pp. 81-99.

(١٥٩) لجأ كل الهاريين من بين الصليبيين في حطين وكان من خرج منهم من المدن التي استردها صلاح الدين الى مدينة صور ، والتي وصل اليها كونراد دي مونتفيرات من القسطنطينية وتسلم قيادتها بموافقة الفرنج فيها . ورفض تسليمها الى صلاح الدين عندما =

لا سابق لها بالنسبة للصليبيين ، وخير دليل على حجم خسائريهم هو الايقاع الباهر الذي حقق به صلاح الدين فتحه لمدن مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس حتى بدأ في دخول اماره انطاكية (١٦٠) . واذا كان من الممكن الاخذ بأن بوهيمند الثالث لم يساهم أبدا في موقعة حطين (١٦١) ، فانه بعد فتح المسلمين لبيت المقدس مباشرة ، وحسب ما أملته الظروف في ذلك الوقت ، وليس عن رغبة منه ، وجد بوهيمند نفسه الامل الوحيد للفرنج في بلاد الشام ، بعد أن أطاح صلاح الدين « بنمط الحياة » Modus Vivendi الذي توصلوا اليه في الشرق الادنى الاسلامي (١٦٢) . فبعد دخول المسلمين مدينة بيت المقدس ، خرج من

ماجمها في ٢٦ نوفمبر ١١٨٧م / ٢٢ رمضان ٥٨٣هـ ورحل صلاح الدين عنها لشدة مقاومة الفرنج ولفشل أسطوله في حصارها عن طريق البحر وهزيمته أمام سطول الفرنج في صور بسبب اهمال بحارة الاسطول المصري . وقام كونراد بتقوية تحصينات صور حتى وصلت الحملة الثالثة . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٣ - ٨٤ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٦ . راجع ايضا :

Ernoul, pp. 179-183; 240-243; Eracles, pp. 74-78, 104-110;

C.F. also A.S.E Hrenkrutz, the place of Saldin in the Naval history, in J.A.O.S., Vol. 75, p. 111,

(١٦٠) بعد الانتصار على الفرنج في حطين بادر صلاح الدين بفتح مدن المملكة فبدأ صبيحة انتصاره في أخذ طبرية ثم عكا في ٨ يوليو / ٢٩ ربيع ثان من نفس السنة . ولم يستغرق سوى شهرين حتى كانت كل مملكة بيت المقدس في أيدي المسلمين . وبدأ في أخذ أملاك طرابلس في ٣٠ مايو ١١٨٨م / ربيع أول ٥٨٤هـ . وفي ١ يوليو / ١٤ جمادى الاولى لم يتبق في أيدي الفرنج في كونتية طرابلس سوى مدينة طرابلس نفسها وحصن الكراد . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٧٥ - ٨٦ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٤١ - ٢٥٤ ، ج ١٢ ، ص ٢ - ٣ .

Ralph Niger, Chronica Universali, in M.G.H.SS., Vol. 27, (١٦١) p. 336.

(١٦٢) خرج المسيحيون الكاثوليك من بيت المقدس بعد أن دفعوا فدية قدرها عشرة دنانير للرجل ، وخمسة للمرأة ، ودينارا للطفل ، وبقي بالمدينة المسيحيون الارثوذكس واليعاقبة بشرط دفع جزية مماثلة لفدية اللاتين . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٢ .

كان فيها من اللاتين متجهين شمالا الى طرابلس (١٦٧) بعد أن زودهم صلاح الدين بالمؤن وأمر بأن تصحبهم قوة من الجيش الاسلامي لحراستهم، حتى لا يتعرضوا لهجمات البدو حتى حدود طرابلس . وبمجرد أن دخل لاجئو الصليبيين حدود الكونتية ، اعتدى عليهم الصليبيون في نيفين ، واستولوا على المؤن التي معهم . وحين وصلوا الى مدينة طرابلس نفسها ، أمر ريموند بأن تغلق أبوابها دونهم ، ثم خرج فرسانه وسلبوهم كل ما تبقى معهم من أموال أمدتهم بها صلاح الدين (١٦٤) . وهكذا تعرض الفرنج من مملكة بيت المقدس لاعتداءات بنى جلدتهم في طرابلس . ونالوا معاملة سيئة لم يعاملهم المسلمون بها من قبل . وبقي جزء من اللاجئين خارج أبواب طرابلس لفترة طويلة حتى سمح لهم بالدخول اليها ، بينما توجه الجزء الاكبر منهم الى امارة انطاكية حيث آواهم بوهيمند ، ربما لاستخدامهم في الدفاع عن انطاكية اذا ما تقدم اليها صلاح الدين (١٦٥) . والى جانب ايوائه للاجئى بيت المقدس ، كان على بوهيمند أن يتحمل أعباء جديدة . فقد مات ريموند كونت طرابلس (١٦٦)

(١٦٣) خرج الفرنج في ثلاث مجموعات الاولى قادها الداوية ، والثانية بقيادة الاسبتارية ، والثالث بصحبة البطريرك هرقل وباليان ابلين . انظر : Ernoul, p. 231.

(١٦٤) Eracles, pp. 100-101.

(١٦٥) توجه جزء من هؤلاء الى أرمينية ثم الى القسطنطينية . وأما من خرج من اللاتين من عسقلان فقد توجهوا الى مصر ، وتم تجميعهم في الاسكندرية في داخل معسكر منعزل عن المدينة وتحت حراسة مشددة حتى لا يتعرض لهم أحد من المواطنين المتحمسين . وتم نقلهم في مارس ١١٨٨م / محرم ٥٨٤هـ الى صقلية على ظهر أسطول مسيحي : انظر .

Eracles, (MS. D) P. 74; Eracles, L'Estoire, p. 100-103; Ernoul, pp. 231 ff., Annales Salimbene, in M.G.H.SS, Vol 32, p. 5; Ralph Niger, Chronica Anglica, in M.G.H.SS., Vol. 27, p. 252, Robertus Canonicus. Chronicon, in M.G.H.SS Vol. 26, p. 252;

(١٦٦) اختلف المؤرخون حول وفاة ريموند الثالث . فيضعها رادولف أوف دكيتو في ١٧ أكتوبر ١١٨٧م / ١٢ شعبان ٥٨٣هـ ، ويضعها كفارو في عام ١١٨٨م / ٥٨٤هـ . وبم أن ريموند قد توجه بعد فراره من المعركة الى صور حيث بقي فيها فترة كما ورد في تاريخ بطاركة الاسكندرية ، وبم أن آخر ما ذكر من أعماله هو =

تاركا كونتيته ، بناء على وصيته ، لريموند الابن الاكبر لبوهيمنند الثالث . وهكذا انتهى عهد الاسرة البروفنسالية في طرابلس التي اضيفت الى املاك بوهيمنند في وقت كان هو بالكاد يستطيع أن يحمي امارته (١٦٧) . ومن هذا المنطلق ولشعوره بأنه الوحيد ، من بين قادة الفرنج الذي لم يتأثر بعد بنتائج موقعة حطين ، وربما ترقبا لأخطار المستقبل القريب ، فقد قام بدوره مع أيمرى بطريك انطاكية في حث

= قيامه باصدار منحة للبيزاوية في طرابلس يكون لهم بمقتضاها الحق في انشاء محكمة خاصة بهم الى جانب حرية التجارة وذلك في أغسطس ١١٨٧م / جمادى ثانی ٥٨٣هـ ، فلا بد وأن وفاته قد حدثت بعد أغسطس وقبل نهاية العام نفسه . وكان أكثر المؤرخين دقة في تحديد موعد وفاة ريموند هو ابن العديم الذي حددها بـ رجب ٥٨٣هـ / ٦ سبتمبر - ١٥ أكتوبر ١١٨٧م . في حين وضع بـ ندكت تاريخا خاطئا لوفاة ريموند عندما ذهب الا أنه مات فور انتهاء معركة حطين . انظر ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٩٤ ، راجع أيضا :

Raldulph of Diceto, Opera Historica, (ed. W. Stubbs), in R.S. ed. W. Stubbs), 2 Vols, London, 1876, Vol. 2, p. 56; Benedict of Peterborough Gesta Regis Henrici III, (ed. Stubbs), 2 vols, in R.S., London, 1867, Vol. 2; pp. 20-23; Caffaro de Cashifellone, Annales Ianuensis, in M.G.H.SS., Vol. 18, p. 55; Histoire des Patriarches d'Alexandria, in R.O.L. Vol. XI, p. 27; Rohricht, Regesta, no, 662, p: 176 C.F. also, Heyd, historie de commerce, t. 2, p. 150.

(١٦٧) في فبراير ١١٨٦م / ذى الحجة ٥٨٢ ، منح بوهيمنند الثالث جماعة الاسبتارية ملكية حصن المرقب وحصن القدموس وبلنياس وغيرها من القلاع الجنوبية لامارته ، وذلك لبعدها عن انطاكية نفسها وللتكاليف الباهظة التي يتحملها للدفاع عنها خاصة وقد أحاطت بها أملاك المسلمين بعد أن ضم صلاح الدين حلب الى أملاكه . وأكد بوهيمنند للاسبتارية في منحته حقهم في عقد المعاهدات الخاصة بهم مع المسلمين دون الرجوع اليه مع التزامه هو بتنفيذ بنود هذه الاتفاقيات والعكس صحيح اذا ما قام هو بعقد معاهدة مع المسلمين . الى جانب ذلك فقد أعفاهم من الضرائب المفروضة على المنقولات داخل وخارج امارته . وكانت هذه المنحة نصا صريحا على استقلال جماعة الاسبتارية في شمال الشام . انظر :

Cartulaire, t. 1, p. 783; Rohricht, Rogesta, no 649, pp. 171-172; J. Riley Smith, The knights of St. John, p. 68.

حكام غرب أوروبا على النهوض لانقاذ بقايا الكيان الصليبي في الشرق .
فارس مع المبرت كبير أساقفة طرسوس ومستشاره ، برسالة الى مسيحيي
أوريا يعلمهم فيها بسقوط بيت المقدس وعسقلان في أيدي صلاح الدين ،
وذلك في سبتمبر ١١٨٧م / رجب ٥٨٣هـ (١٦٨) وفي أول مجتمبر ١١٨٧م /
٢٦ جماد ثان ٥٨٣هـ ، بعث بطريرك انطاكية برسالة مماثلة الى هنري
الثاني ملك إنجلترا ، يخبره فيها بما تم من سقوط بيت المقدس ومدن
فلسطين في أيدي صلاح الدين وأسر الملك جى وقادة الفرنج ، ويحثه على
الاسراع بالحضور بنفسه الى الشرق أو ارسال النجدة ، والا
سقطت انطاكية نفسها في أيدي المسلمين (١٦٩) وبعد أن ظهر بوهيمنند
كمدافع عما تبقى من الكيان الصليبي ، وبعد أن ضم الى أملاكه كونتية
طرابلس ، وتجمع عنده كثير من الفرنج الذين سلموا معاقلمهم في فلسطين ،
الى جانب كون انطاكية معقلا حصينا يصعب اختراقه ، فقد أصبح في امكان الفرنج في
شمال الشام أن يعيدوا تشكيل قواتهم ، مثلما حدث في صور ، استعدادا
للقيام بضربة مضادة ضد صلاح الدين ومن الممكن الاخذ بأن كل ذلك دفع
بصلاح الدين الى مهاجمة امارة انطاكية في الحال وقبل أن يستفحل أمرها
مثل صور . وقد تميزت فتوحات صلاح الدين في شمال الشام على عكس
مثيلتها في فلسطين ، بأنها بدأت بسهولة ، ليل السكان المحليين في جنوب
امارة انطاكية الى المسلمين ، وخاصة النصيريين في جبل بهرا وفي حصن
بكسرايل الذي استقل به مكانه قبل موقعة حطين ، عن وصاية الفرنج ،
وأصبح سكان الجبال وقلعة أبو قبيس جيرانا لا يمكن أن يساندهم
الاستراتيجية في حصن المرقب (١٧٠) . الى جانب ذلك ، فقد تقوى صلاح الدين
بوصول امدادات من الموصل والجزيرة بقيادة عماد الدين زنكى
الثاني صاحب سنجار . وكان صلاح الدين قد بدأ بالاغارة على امارة
طرابلس بادئا بحصاره لحصن الاكراد بينما بعث ابنه الظاهر وابن أخيه
تقى الدين الى تيزين قبالة انطاكية لحفظ ذلك الجانب (١٧١) وأغار صلاح الدين

Rohricht, Regesta, no. 663, p. 176. (١٦٨)

Benidict, Gesta Henrici, Vol. 2, p. 36-38. (١٦٩)

(١٧٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣ . راجع أيضا :

Cartulaire, t. 1, p. 491.

(١٧١) وقد وصل اليه في ذلك الموضع كاتبه ابن شداد الى جانب وجود
العماد الاصفهاني وابن الاثير . لذا يتسم وصف حملة صلاح الدين =

على حصن الاكراد يوما واحدا ، بعد أن بقى قبائلته شهرا كاملا ينظم أمور جيشه « فما رأى الوقت يحتمل حصاره » (١٧٢) ، فأغار على العريمة وصافيتا واليحمور وغيرها . ثم استولى على انطرطوس في ٣ يوليو ١١٨٨ م / ٦ جمادى الاولى ٥٨٤ هـ بالسيف (١٧٣) . ثم بدأ صلاح الدين في اختراق حدود اماره انطاكية غربى نهر العاصى ، وهى المنطقة التى لم يفتحها نور الدين محمود . وتوجه السلطان الى مدينة جبلة ، التى جاء قاضيها منصور بن نبيل يعرض عليه تسليم المدينة مع حصن بكمرائيل الذى اتفق مع سكانه على ذلك (١٧٤) . فأسرع صلاح الدين منتهزا هذه الفرصة وعبر الطريق الضيق الواقع بين حصن المرقب وساحل البحر ، وكانت هذه محاولة لا تخلو من الخطر خاصة بعد أن وصل الاسطول الصلى من طرابلس مكونا من ستين سفينة ورسى أمام حصن المرقب . وأخذ رجاله يرمون المسلمين بالسهم . وتمكن صلاح الدين من المرور بقواته عبر المضيق باقامة الطارقيات والجفتيات بين رجاله وبين الساحل (١٧٥) . ووصل الى جبلة فى يوم الجمعة ١٦ يوليو ١١٨٨ م /

= فى اماره انطاكية بالوضوح . انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٦ ، العماد الاصفهاني : الفتح القسى فى الفتح القدسى ، تحقيق محمد محمد صبح ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .
(١٧٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٦ .
(١٧٣) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٨٧ .
(١٧٤) كان قاضى جبلة مقربا الى بوهيمند ويبدو أنه كان يدير شئون المسلمين فى الامارة وهى سياسة غريبة على الفرنج فى هذه الحقبة . انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣ .
(١٧٥) الطارقيات والجفتيات هى أنواع من الستائر أو المتاريس والحواجز التى تتخذ كسترة للرجال الذين يستعاض بهم فى جر المنجنيق وما شاكله من أن يرموا بحجارة منجنيق يقابله ، فيحمل عنهم مضرتها ويكفيهم سوء اصابتها وقد جاء وصف هذه الستائر فى مخطوط « تبصرة الباب الالباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الاسواء ونشر اعلام الاعلام فى العدد والآلات المعينة على لقاء الاعداء » الذى وضعه مرضى بن على مرضى الطرطوسى خصيصا لصلاح الدين . وقد نشرت مقتطفات من هذا المخطوط مع ترجمة فرنسية وتعليقات هامة للمؤرخ كلود كاهن . انظر : ابن واصل مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ . راجع أيضا : =

١٨ جمادى الاول ٥٨٤ (١٧٦) حيث دخلها بسهولة وترك الحامية الفرنجية بها تنسحب سالمة مقابل وعد باعادة أسرى المسلمين من انطاكية ، وذلك في ١٧ يوليو / ١٩ جمادى الاولى من نفس السنة (١٧٧) . ووصل الى جيلة سكان القدموس وبكسراييل والجبال ، يعلنون استسلامهم لصلاح الدين . وبذلك يكون قد تم اقامة خط اتصال مع المناطق الداخلية لشمال الشام (١٧٨) . ثم تلا ذلك بايقاع مدهش فتوح أخرى . ففي يوم الخميس ٢٣ يوليو / ٢٥ جمادى الاولى تسلم صلاح الدين ميناء اللاذقية وقلعته بعد أن أقنع قاضي جيلة قوابع الداوية الذين اعتصموا مع أهل المدينة وتجارها الفرنج بالقلعتين بالاستسلام ، وخرجوا بالأمان بعد أن تركوا ما لديهم من أموال وموئن وآلات وسلاح (١٧٩) . وفشلت محاولة قائد الاسطول الصقلي في اثناء صلاح الدين عن المضى في فتح اللاذقية وسائر أملاك انطاكية . وقابل صلاح الدين تهديدات القائد الصقلي له بحضور الجيوش الاوربية لنجدة الفرنج بتهديد مماثل لكل من يتجرأ ويحضر الى بلاد المسلمين (١٨٠) . وبعد أن رتب تقى الدين عمر في اللاذقية ، رحل صلاح الدين وفتح حصن صهيون بعد ضربه بالمنجنقات ، وذلك في يوم الجمعة ٣ يوليو / ٢ جمادى الآخرة . ومنح الفرنج فيه الامان مقابل فدية مماثلة لفدية اخوانهم في بيت المقدس . وتسلم نواب صلاح الدين الحصون التابعة لصهيون مثل

Claud Cahen, Un Traité d'Armurerie Compose pour Saladin, in B.E.O., Vol. 12, 1947-48, pp. 155-156.

- (١٧٦) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٩ ، العماد الاصفهاني : الفتح القسى ، ص ٢٣٣ . وقد أخذنا بروايتهما لمرافقتها لصلاح لصلاح الدين حتى ينتهى من حملته في امارة انطاكية .
- (١٧٧) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٩ ، العماد الاصفهاني : الفتح القسى ، ص ٢٣٣ .
- (١٧٨) ومنح صلاح الدين جيلة لسابق الدين عثمان بن الداية الذى كان بحوزته شيزر التى أخذها بعد فتح حلب . انظر : ابن الاثير الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤ .
- (١٧٩) ابن شداد المصدر السابق ، ص ٨٩ - ٩٠ ، العماد الاصفهاني : المصدر السابق : ص ٢٣٥ - ٢٣٧ .
- (١٨٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤ - ٥ . انظر أيضا : Eracles, p. 122; Ernoul, pp. 252-253.

العيدو وبلاطنس والجماهيرتين (١٨١) . وفي يوم الجمعة ٦ أغسطس/ ٩ جمادى الآخرة، فتح صلاح الدين حصن بكاس الذى استسلم من فيه بعد أن يؤسوا من مساعدة انطاكية لهم . وفي يوم الثلاثاء ١٠ أغسطس/ ١٣ جمادى الآخرة تسلم صلاح الدين قلعة الشجر التابعة لحصن بكاس . وفي يوم الجمعة ٢٠ أغسطس/ ٢٣ جمادى الآخرة فتح المسلمون حصن سرمانيية الذى منحه صلاح الدين لابنه الظاهر . ومن الملاحظ أن فتوح صلاح الدين من جبلة الى سرمانيية قد تمت كلها فى أيام جمع وخلال فترة تقل عن الشهرين (١٨٢) . واستمر صلاح الدين فى تقدمه شمالا حتى وصل الى حصن بزرية وبدأ فى حصاره فى يوم السبت ٢١ أغسطس/ ٢٤ جمادى الآخرة حيث تقرر مهاجمة الحصن من الجهة الغربية لعلو الجبال المحيطة به من جهتى الشمال والشرق ، ووعورة التل الملاصق له من جهة الشرق . ولما فشلت المنجنيقات فى الاضرار بالحصن بعد قذفه لمدة ثلاثة أيام ، قسم صلاح الدين قواته ثلاثة أقسام للتناوب على الزحف على برزية حتى يكل الفرنج بداخلها أمام الهجوم المستمر للمسلمين . وبدأت النوبة الاولى بقيادة عماد الدين صاحب سنجار ثم تبعه صلاح الدين بنوبة حيث انضم اليه العادل بالنوبة الثالثة وعماد الدين بنوبته للمرة الثانية ، فلم يمكن الفرنج من الاستمرار فى الدفاع عن الحصن وطلبوا الامان ، وملك المسلمون برزية وأسروا من فيه وذلك فى يوم الثلاثاء ٢٤ أغسطس/ ٧٢ جمادى الآخرة (١٨٣) . وترجع أهمية فتح هذا الحصن الى أنه كان فى مقابلة أفامية من الجهة الغربية لنهر العاصى ، وكان الفرنج فيه يناصفون أفامية فى أعمالها «وكان أهلها أضر شئ على المسلمين، يقطعون الطريق، ويبلغون فى الأذى» (١٨٤) . وكان صاحب برزية هو زوج لشقيقة سبيل زوجة بوهيمند أمير انطاكية وقد أطلق صلاح الدين سراح صاحب برزية

-
- (١٨١) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٠ - ٩١ ، العماد الاصفهاني : الفتح القسى ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ .
(١٨٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩١ - ٩٢ ، العماد الاصفهاني : الفتح القسى ، ص ٢٤٥ - ٢٤٧ .
(١٨٣) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٩٢ - ٩٣ ، العماد الاصفهاني : المصدر السابق ، ص ٢٤٨ ، ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧ - ٨ ، ابن العديم : زبدة الحلب : ج ٣ ، ص ١٠٥ .
(١٨٤) حضر ابن الاثير فتح برزية وشاهد وقائعه . انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٦ .

وزوجته حين اقتررب من انطاكية ، وربما كان ذلك ثمنا لتعاون سبيل زوجة بوهيمند مع صلاح الدين كما يذكر ابن الاثير (١٨٥) ، وليس استمالة لبوهيمند كما يذكر ابن شداد والعماد الاصفهاني ، فلم تكن هناك حاجة بصلاح الدين لأن يستميل بوهيمند في ذلك الوقت وهو الذي اقتررب من فتح انطاكية نفسها (١٨٦) . فقد اتجه صلاح الدين شمالا حيث وصل الى جسر الحديد خارج أسوار انطاكية من الجهة الشمالية ، وأقام عليه أياما ، ثم عبر دركوش الى سهل العمق ، وحاصر حصن دريساك الذي يملكه الداوية وذلك في يوم الجمعة ٥ سبتمبر/ ٨ رجب (١٨٧) . وبعد قذفه بالمنجنقات واحداث ثغرة بالسور ، طلب الداوية الامان ، وأمهلهم صلاح الدين لمدة ثلاثة أيام حتى يراجعوا أمير انطاكية الذي يبدو أنهم قد يؤسوا من قيامه بأى عمل تجاه المسلمين . وتسلم صلاح الدين حصن دريساك ، بعد أن خرج الداوية وكل منهم « بثيابه التى عليه بغير مال ولا سلاح » في ١٩ سبتمبر ١١٨٨ م / ٢٢ رجب ٥٨٤ هـ (١٨٨) . ثم عاد صلاح الدين جنوبا الى حصن بغراس الاقرب الى انطاكية . ورغم تخوف قواده حيث أنه « لا فرق بين حصره وحصرها » (١٨٩) الا أن صلاح الدين قد رتب غالبية قواته لمراقبة انطاكية حتى لا يفاجأ المسلمون بهجوم من الفرنج بداخلها . وصحب بقية جيشه للهجوم على حصن بغراس الذي

(١٨٥) « وكانت امرأة صاحب برزية أخت امرأة بوهيمند صاحب انطاكية وكانت تراسل صلاح الدين وتهاديه وتعلمه كثير من الاحوال التى تؤثر فأطلق هؤلاء لأجلها » انظر ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٨ .

(١٨٦) وقد أطلق صلاح الدين مع صاحب برزية وزوجته ابنة لهما مع زوجها وسبعة عشر شخصا آخرين . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٣ ، العماد الاصفهاني : الفتح القسى ص ٣٥٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٠٥ . ومنح صلاح الدين حصن برزية لعز الدين ابراهيم بن المقدم صاحب منبج وأقامية ، وكفر طاب . انظر : أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ٩٩ .

(١٨٧) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٣ ، العماد الاصفهاني : الفتح القسى ، ص ٢٥٥ .

(٨٨) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٣ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٨ ، العماد الاصفهاني : الفتح القسى ، ص ٢٥٥ -

٢٥٦

(١٨٩) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٨ .

استسلم من فيه من الداوية فجأة بالرغم من عدم تأثر الحصن بضرب المنجنوقات . وخرج الداوية من الحصن على قاعدة دريساك وتسلم المسلمون القلعة بما فيها من مؤن وسلاح وذلك في يوم الاثنين ٢٩ سبتمبر ١١٨٨م/ ٢ شعبان ٥٨٤هـ (١٩٠) . وهكذا فتح صلاح الدين كل معاقل امارة انطاكية التي لم يكن المسلمون قد استردوها في أيام نور الدين محمود . وهى المعاقل التى تقع من الجنوب الى الشمال بين نهر العاصى وساحل البحر . الى جانب حصنى الداوية دريساك وبغراس اللذين كانا يحميان انطاكية من جهة الشمال « وكانا لانطاكية جناحين » (١٩١) . ولم يبق الا فتح انطاكية نفسها ، والتي كانت شبه محاصرة بعد هذه الفتوحات الاسلامية وعزم صلاح الدين على مهاجمتها ، الا أن بوهيمند راسله طالبا عقد الهدنة معه على أن يطلق بوهيمند كل أسرى المسلمين في انطاكية « فكان عدتهم ألف أسير » (١٩٢) . وكان رسوله الى صلاح الدين هو شقيق زوجته . فقبل صلاح الدين عقد الهدنة مع بوهيمند . فقد لمس ارهاق قواته ، وخاصة فرق الجزيرة التي يقودها عماد الدين صاحب سنجار الذي ألح في طلب العودة الى بلاده (١٩٣) . واذا كان ابرام

(١٩٠) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٩٤ ، العماد : المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

(١٩١) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ص ١٣٢ .
(١٩٢) انفراد مؤلف البستان الجامع بتحديد عدد أسرى المسلمين في انطاكية . كما انفراد العماد الاصفهاني يذكر اسم مندوب صلاح الدين الذى ذهب الى انطاكية وتسلم الاسرى المسلمين وهو شمس الدولة بن منقذ . انظر : مجهوه : البستان الجامع ص ١٤٧ ، العماد الاصفهاني : الفتح القسى ، ص ٢٦٠ ، انظر أيضا : خريطة رقم (٣) .

(١٩٣) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٤ . ومن الملاحظ أن المصادر الصليبية قد ذكرت فتوحات صلاح الدين في امارة انطاكية بايجاز شديد ، واقتصرت على ذكر أسماء المدن الهامة فقط التي فتحها صلاح الدين ودون ذكر أى تواريخ محددة لهذه الفتوحات . فلم يكن أى ممن كتبوا تاريخ الشرق الفرنجى من المؤرخين الصليبيين حريصا على ذكر تفاصيل لانتصارات المسلمين كما كان يفعل وليم الصورى الذى كان يذكر كل ما يراه أو يسمع عنه بتفصيل ودقة بالغين ، ليظهر حقيقة الامور . الى جانب أن شمال الشام بما يضمه من أملاك الصليبيين لم يعد محل اهتمام أحد من مؤرخيهم الذين جاءوا بعد وليم الصورى الا حين =

الهدنة مع بوهيمند لم يكن على رغبة صلاح الدين ، فإنه فرض على بوهيمند شروطا تجعله المستفيد من الهدنة أكثر من بوهيمند نفسه . فقد تعهد بوهيمند باطلاق سراح كل الاسرى المسلمين لديه الى جانب أن الهدنة كانت تخص انطاكية وحدها . كما أنها كانت لمدة ثمانية أشهر فقط من أكتوبر حتى ١١٨٨م/شعبان ٥٨٤هـ الى مايو ١١٨٩م/ربيع أول ٥٨٥هـ (١٩٤) . ومعنى ذلك أن فترة الهدنة ستنتهى قبل موسم الحصاد « وادراك الغلة . فلا يقدر الفرنج على تحصيلها ونقلها واعدادها » (١٩٥) . كما تعهد بوهيمند أن يسلم انطاكية الى صلاح الدين اذا لم يأت من ينصرهم « من غرب أوروبا » (١٩٦) . وقد كان هذا الشرط أقل الشروط قيمة لصلاح الدين ، لأن بوهيمند ، بالطبع ، لم يكن ليسلم انطاكية دون مقاومة ، وربما كان متأكدا من حضور المدد على الأقل من انجلترا التى رد عليه ملكها يخبره بحضوره قريبا مع ابنه ريتشارد لنجدة بيت المقدس (١٩٧) . وهنا يبرز تساؤل هام : لماذا لم يستول صلاح الدين على مدينة انطاكية وقد فقدت كل مدنها الساحلية والداخلية ، وساعت أحوالها كما لمس المسلمون أنفسهم ذلك . ولم يكن من الصعب فتحها كما يذكر العماد الاصفهاني الذى كان ملازما لصلاح الدين فى ذلك

= يشترك صليبيوا انطاكية أو طرابلس فى أحداث تخص مملكة بيت المقدس . انظر :

Eracles, p. 122; Continuation de Guillaum de Tyre, p. 57; Ernoul, pp. 252-253.

(١٩٤) حدد كل من العماد الاصفهاني ، وابن الاثير ، وابن واصل مدة الهدنة بثمانية أشهر . بينما حددها ابن شداد بسبعة أشهر . وليس هناك أى دليل يساعد على الاخذ بأحد الرايين دون الآخر سوى اتفاق العماد وابن الاثير وهما معاصران للأحداث . لذا أخذنا بهذا الرأي . انظر : العماد الاصفهاني : الفتح القسى ، ص ٢٦٠ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٤ .

(١٩٥) العماد الاصفهاني : الفتح القسى ، ص ٢٦٠ .

(١٩٦) انفراد ابن شداد دون المؤرخين المسلمين بذكر هذا الشرط من شروط الهدنة . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٩٤ .

(١٩٧) Benedict of Peterborough, Gesta Henrici, Vol. 2, pp. 38-39

Roger of Hoveden, Chronica, ed. W. Stubbs, in R.S., 4

Vols, London, 1868-1871, Vol. 2, pp. 342-343.

الوقت (١٩٨) ؟ وهل كان طلب قوات الجزيرة بالعودة الى بلادها هو السبب الوحيد وراء قبول صلاح الدين الهدنة مع انطاكية وهي في هذه الحال ، كما يأخذ غالبية المؤرخين ؟ والاجابة على هذا السؤال تظهر من تتبع احوال صلاح الدين نفسه . فالى جانب وصول خطاب من الامبراطور الالماني فريدريك الى صلاح الدين يهدده فيه بوصوله مع كل شعوب أوروبا لنجدة بيت المقدس والفرنج في بلاد الشام ، وذلك في نبرابر ١١٨٨م/ ذى الحجة ٥٨٣هـ (١٩٩) . وبالرغم من رد صلاح الدين المماثل على الامبراطور وفي نفس الشهر (٢٠٠) ، الا أن خشية حضور الامبراطور الالماني كان أول الاسباب التي دفعت صلاح الدين الى قبول الهدنة مع بوهيمند ، وعدم البدء في حصار مدينة انطاكية ، ويؤكد ذلك ما يشعر به المسلمون عندما وصلتهم الاخبار بوصول حملة فريدريك الى القسطنطينية بعد عام « فاهتم المسلمون لذلك وأيسوا من الشام بالكلية » (٢٠١) ، « واشتد ذلك على السلطان وعظم عليه » (٢٠٢) . وهكذا أقلع صلاح الدين عن فكرة حصار انطاكية الذي كان من المؤكد أنه سيستغرق وقتا طويلا نظرا لحصانة المدينة المعروفة لدى المسلمين ، خاصة وأن صلاح الدين لم يكن قد أكمل بعد فتح بقية الحصون التي استعصت عليه في فلسطين (٢٠٣) . ومهما

(١٩٨) « فلما فرغ السلطان من شغل الحصون ، وظفر من فتوحها بالسر المصون ، حول على قصد انطاكية ، فانها كانت مريضة على شفا ، ورسم قوتها قد عفا ، وخلق ثيابها قد انتفى ، والدهر قد انتقم منها واشتفى ، ووجه صلاح الدين عن أهلها قد اختفى فلو صدقها وقصدها ، لحصن دعائمها وحصدها وكانت حينئذ انطاكية قد أسعر سعر الغلة ، وقل ساكنوها لما كانوا فيه من القلة ، والغرارة تساوى اثني عشر دينارا ، والقوم قد شارقوا تبارا وبوارا » . انظر : العماد الاصفهاني الفتح القسى :

ص ٢٥٨ ، ٢٦٠ .

Benedict of Peterborough, Gesta Henrici, Vol. 2, pp. 62-63 (١٩٩)

Radulf of Diceto, Vol. 2, pp. 49-50 Rohricht, Regesta, no. 671, p. 179.

Benedict of Peterborough Gesta Henrici, Vol. 2, pp. 62-63 (٢٠٠)
Rohricht, Regesta, no. 672, p. 179.

(٢٠١) أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ٨٢ .

(٢٠٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١١٥ .

(٢٠٣) بعد أن فتح صلاح الدين برزية ، بعث بأخيه العادل لفتح حصن الكرك وتم ذلك في نوفمبر ١١٨٨م/ رمضان ٥٨٤هـ ، بينما فتح صلاح الدين بنفسه حصون كوكب في نوفمبر ١١٨٨م/ شوال =

يكن من أمر ، فان سياسة صلاح الدين تجاه امارة انطاكية الصليبية لم تكن تختلف عن سياسته تجاه مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس . فقد اختط لنفسه سياسة واضحة . فبدأ بتثبيت أقدامه في سوريا وفلسطين بأن وحد القوى الاسلامية تحت قيادته من الجزيرة الى مصر ، ومؤمنا حدوده في اليمن وشمال افريقية ، حتى يتفرغ للقضاء على الكيان الصليبي الذي أنهكته الصراعات الداخلية والتي شارك فيها بوهيمند الثالث بنصيب وافر دون القيام بعمل من شأنه أن يقوى امارته ، خاصة أثناء فترة تشاحن صلاح الدين مع الزنكيين في حلب والموصل ، ذلك بالرغم من تكرار الفرص امامه ، الامر الذي جعل صلاح الدين يأمن جانبه ، واكتفى بمراقبة امارة انطاكية حتى تفرغ لها تماما بعد أن قضى على مملكة بيت المقدس أولا . وانتهى الامر بانطاكية التي امتدت حدودها في أيام كل من بوهيمند ، وتنكريد ، وروجردى سالرنو من حدود كونتية طرابلس جنوبا الى قيليقية شمالا ومن أبواب حلب شرقا الى ساحل البحر غربا ، وبعد أن فقدت الامارة الصليبية كل أملاكها ، ولم يتبق الا مدينة انطاكية نفسها ، أصبحت كما وصفها أحد المؤرخين المسيحيين « ترتجف مثل ساق نبات جافة في مهب الريح » (٢٠٤) .

ان التقييم الوحيد لانجازات صلاح الدين ضد الصليبيين ، الذين لم يثق لهم من حصاد ما يقرب مائة عام من النضال في الشرق الادنى الاسلامي سوى مدينة صور من المملكة ومدينة طرابلس وقاعة انطربطوس من كونتية طرابلس ، ومدينة انطاكية ، وحصن المرقب وميناء السويدية من امارة انطاكية ، هو أن الحروب الصليبية ، بل وتاريخ الامارات الصليبية في

= ٥٨٤ هـ ، وصفد في ديسمبر ١١٨٨م / ذي القعدة ٥٨٤ هـ ، وأخيرا شقيف أرنون في يوليو ١١٨٩م / جمادى الآخرة ٥٨٥ هـ . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٥ - ٩٨ ، ابن الاثير : الكامل ، ١٢ ، ص ١٠ - ١١ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٣٣ - ١٣٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٠٨ - ١١٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ . (٢٠٤) يصف المؤرخ الارمني جريجورى دغا ما أصاب انطاكية على أيدي صلاح الدين بما يفوق الاسر البابلي لليهود . انظر : Gregory IV, Dgha, Elegy on The Fall of Jerusalem, in R.H.C.Doc-Arm, Vol. I, p. 283

القرنين اللذين أعقبا استرداد صلاح الدين لمدينة بيت المقدس قد عوملت على أنها خاتمة للحركة الصليبية بصفة عامة (٢٠٥) . وبعد عودة بيت المقدس الى السيادة الاسلامية واندحار مملكة بيت المقدس الصليبية والقضاء على جيشها، واكتساح المسلمين لكونتية طرابلس وامارة انطاكية، كان على أوروبا أن تسرع لنجدة ما تبقى من ركائزها في بلاد الشام . وكان على حكامها أن يتناسوا ما بينهم من خلافات ، وعلى بابوييتها أن تنشط من جديد ، لرعاية الدعوة التي تبنتها وبشرت بها ، وبصفة عامة ، كان على الجميع أن يواجهوا صلاح الدين الذي أصبح رجل الساعة (٢٠٦) . وكان للندائات اليائسة التي خرجت من الشرق اللاتيني الى أوروبا بعد سقوط بيت المقدس أثرها في حث المجتمع الاوربي على ايفاد ما عرف في تاريخ الحروب الصليبية بالحملة الثالثة (٢٠٧) التي دفعتها الى الشرق الادنى الاسلامي حماسة كادت تضاهي تلك التي دفعت بالحملة الصليبية

(٢٠٥) كانت كلمة « خاتمة » هي عنوان آخر فصول كتاب المؤرخ و . ب . ستفنسن الذي كرمه للحديث عن تاريخ الامارات الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري . انظر : Stevenson, The Crusaders in the East, p. 289, L. LA Monte, From Crusader kingdom to Commercial colony, in B.P.I.A. S.S., Vol. 3, p. 288.

(٢٠٦) وصلت الى صلاح الدين رسالة من الامبراطور البيزنطي اسحق الثاني انجيلوس يهنئه فيها بانتصاره في حطين ، مصحوبة ببعض الهدايا ، ويبدى اعجابه بصلاح الدين بقوله « والآن أرسل اليك هذه الهدايا ، لأن من رأى أنك الآن ملك بحق ، وستبقى كذلك » . انظر : Magnus, Chronica, p. 512.

وفي نفس الوقت تعرضت البابوية وحكومات أوروبا لموجة من النقد الشديد من قبل المجتمع الاوربي الغربي لانشغالهم بخلافاتهم دون القضية الصليبية . انظر :

F.A. Throop, Criticism of papal Crusader policy, in Speculum, Vol. 13, p. 382.

(٢٠٧) الى جانب رسائل بوهيمند وايمري بطريرك انطاكية الى هنري الثاني ملك إنجلترا ، بحث قادة الداوية والاستتارية برسائل مماثلة الى حكام غرب أوروبا . كما توجه جوسياس رئيس أساقفة صور الى غرب أوروبا وقابل البابا وملكى إنجلترا وفرنسا بشأن انقاذ صليبي الشام . انظر :

Benedict of Peterborough, Vol. 2, pp. 13-14; Ansbert, Expositio Friderici, in M.G.H.S., Berlin, 1892, pp. 2-3; Magnus, Chronica, pp. 507-508; Ernoul, pp. 247-248; Chronica

=

الاولى (٢٠٨) . فقد تغاضى ملوك أوروبا عن خلافاتهم ، خاصة فيليب أغسطس ملك فرنسا (١١٨٠ - ١٢٢٣ م) وهنرى الثانى ملك انجلترا (١١٥٤ - ١١٨٩ م) وقررا الذهاب الى الشرق . وتقرر فرض ضريبة عامة ١١٨٨ م / ٥٨٤ هـ عرفت فى غرب أوروبا « بعشر صلاح الدين » (٢٠٩) . ولما تأخر ملكى فرنسا وانجلترا فى الخروج بحملتهما (٢١٠) ، خرج الامبراطور الالمانى فريديريك بربروسا (١١٥٢ - ١١٩٠ م) الى الشرق على رأس الشق الاول من الحملة الصليبية الثالثة وذلك فى أول مايو ١١٨٩ م / ربيع أول ٥٨٥ هـ بصحبة ابنه الاصغر فريديريك دوق سوابيا ، وجيش كبير . وفى يونية / ربيع ثان من نفس السنة دخل فريديريك بربروسا حدود الدولة البيزنطية حيث عبر مضيق البسفور الى آسيا الصغرى فى مارس ١١٩٠ م / صفر ٥٨٦ هـ بعد أن بثت بذور الحملة الصليبية الرابعة ، ووضعت أسس الامبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية قبل قيامها بخمسة

Colonienses in M.G.H.SS. in Usus Scholarum, 1880, pp. =
137-138.

J.O. Prestwich, Richard Coeur de Lion; Rex Bellicosus Ricardus Cuor di Leon nella storia et nella Legenda (Accademia nazionale dei lincei no. 253) (Rome, 1981) p. 13;
C.G. Flahiff, Deus Nonvult: A Critic of The Third Crusade, in M.S., Vol. 8, p. 161.

(٢٠٩) فرضت هذه الضريبة على كل أفراد الدولتين من رجال دين وعلمانيين ، وهى تقدر بعشرة فى المائة من ضريبة الدخل على المنقولات ، وتجبى لمدة ثلاث سنوات متتالية ويعهد بجبايتها الى جماعتى الداوية والاسبتارية ، على أن يجمعها رجال هنرى الثانى من المواطنين العلمانيين فى انجلترا وفرنسا . انظر :

Benedict of Peterborough, Vol. 2, pp. 30-32; William of Newburgh, Historia Rerum Anglicarum, Vol. 1, pp. 273-274.

(٢١٠) دبت المنازعات مرة أخرى بين ملكى انجلترا وفرنسا ولم تنته الا بموت هنرى الثانى فى ٦ يوليو ١١٨٩ م . ولما كان خلفه ريتشارد الاول صادق النية ، فى التوجه الى الاراضى المقدسة ، فقد قبل فيليب ملك فرنسا الصلح معه على أن يشتركا سويا فى الحملة المزمع قيامها . انظر :

Benedict of Peterborough, Gesta Henrici, Vol. 2, pp. 44 ff,

Rigord, Gesta philippi Augusti, in M.G.H.SS., Vol. 26, pp 289-290; Itinerarium peregrinorum et gesta regis Ricardi, ed. W. Stubbs, in R.S., London, 1864, pp. 146-149.

عشر عاما (٢١١) . واتخذ فريديريك نفس الطريق الذى سلكه مانويل كومنين الى كارثة ميريوكيفالون من قبل . وبالرغم مما بذله قلج أرسلان من وعود سابقة لفريديريك ، فانه لم يقدم له أية مساعدة . وبالرغم من أنه قد ترك مدينته قونية ليدخلها فريديريك ، الا أن الجيش الالماني قد عانى الكثير من اعتداءات قطب الدين بن قلج أرسلان واغارات قواته على أطراف الجيش الصليبي . وفي نهاية مايو ١١٩٠م / ٢٤ ربيع ثان ٥٨٦هـ عبر فريديريك جبال طوروس الى رمينيا حيث وصل الى سهل سلوقية ، ليلقى حتفه غرقا في نهر كاليكادنوس Calcadnus في ١٠ يونية ١١٩٠م / جمادى الاولى ٥٨٦هـ ، دون أن يصل الى بيت المقدس (٢١٢) وتولى قيادة

(٢١١) هاجم قطاع الطرق من الصربيين والبغار من ضل من جنود فريديريك الذى اتهم اسحق أنجيلوس باثارة هؤلاء ضده . واذ بعث فريديريك برسله الى القسطنطينية ليعلنوا عن قدومه اليها ، اتخذهم اسحق رهائن ولم يطلق سراحهم الا عندما علم أن فريديريك طلب من ابنه هنرى فى ألمانيا أن يعد أسطولا بموافقة البابا للهجوم على بيزنطة وانتهى الامر بالصلح بين الطرفين قبل دخول فريديريك اراضى بيزنطة . انظر :

Nicetas Choniates, pp. 538-544; Ansbert, Expeditio Friderici pp. 67 ff; 85-90; Epistolae de Morte Friderici Imperatoris, in M.G.H.SS., Berlin, 1892, p. 172, p 172-174; Annales Colonienses, in M.G.H.SS., Vol. 17, p 795; Aegido Aureaevalensis, Gesta Episcoporum Leodiensium, in M.G.H.SS., Vol. 15 p. 113; Annales Marbacenses, in M.G.H.SS, Vol. 17, p. 165. Cf. Also, J.W. Nesbitt, The rate of March of Crusading Armies in Eourope, in Traditio, Vol. 19, p. 178.

(٢١٢) اختلفت روايات المؤرخين حول موت فريديريك ف يرى بعضهم أن ملابسه الحربية ثقلت عليه عندما نزل الى مياه النهر دون خلعها فغرق ومات . بينما يرى البعض الآخر أن برودة المياه سببت لجسده المرهق مرضا فمات بعده ، ويرى آخرون أن التيار الشديد جرفه وجواده فغرق ومات . ويبدو أن الراى الاول هو الاقرب الى الحقيقة ، بحيث يمكن الاخذ باندفاع الامبراطور المجهد بسبب عبور جبال الالمانوس الى المياه لينعش جسده دون خلع الملابس الحربية الثقيلة ويطلق المؤرخون اللاتين على هذا النهر اسم نهر ساليف Salef . انظر ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١١٥ ، راجع أيضا :

Ansbert, Expeditio Friderici, pp. 90-92; Epistolae Morte Fri-

=

الجيش فريديريك السوابي ابن الامبراطور ، الا أن بعض قادته قرروا العودة الى بلادهم ، كما استقل بعضهم السفن من طرموس الى صور حيث تجمع الصليبيون بعد حطين . ومضى فريديريك السوابي بمن معه ممن تبقى من جيش والده ليجتاز سهل قيليقية ، حيث رحب به ليو الثاني وجاثليق الارمن جريجورى الرابع دغا ، ومكث دوق سوابيا هناك مريضاً لفترة بسبب حرارة الجو ، بينما تحركت قواته الى انطاكية على أن يلحق بها الدوق بعد أن يسترد عافيته (٢١٣) وبوصول بقايا جيش فريديريك الى انطاكية يمكن تلمس موقف بوهيمند الثالث من الحملة الصليبية بصفة عامة . واذا كان لفظ تلمس يوحى بعدم جلاء سياسته ، فذلك لأن سياسته كانت تنقسم بذلك ومستبقى هكذا حتى نهاية عهده ، خاصة فيما يتعلق بموقفه من الحملات الصليبية التي وصلت الى امارته ، وتلك التي وصلت الى مملكة بيت المقدس . ويمكن التأكد من طبيعة هذه السياسة بتتبع الاحداث التي شارك فيها بوهيمند نفسه . فبعد رحيل صلاح الدين عن انطاكية ، بعد ابرام الهدنة مع بوهيمند بقى فى طرابلس هيرفى دى دانزى «Hervey de Danzy» الذى جاء مع الاسطول الصقلى لمساعدة الصليبيين بعد حطين فى ١١٨٨م/٥٨٤ (٢١٤) . كما جاء الى طرابلس الملك جى دى لوزينان ليلحق بزوجته سبيلا ، وذهب الى انطاكية حيث تنامى بوهيمند العداءات القديمة ورحب بالملك وذلك فى يوليو ١١٨٨م/جمادى الاولى ٥٨٤ هـ . وبقي لدى بوهيمند حتى ابريل ١١٨٩م/صفر

derici Imperatoris, pp. 177-178; Annales Colonienses, in M.G.H.SS., 800; Andrew Marchionensis, Historia Regum Francorum, in M.G.H.SS. Vol. 26, p 211 Annales Placentini, in M.G.H.SS., Vol. 18, p 463 C.F, Also W: M: Ramsay, The Historical Geography of Asia Minor, London, 1890, p. 129, p. 129-130;

(٢١٣) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٢٤ - ١٢٦ ، أبو شامة الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، راجع أيضا :

Michelle Syrien, Doc-Arm., p. 403; Bar Hebraeus, Vol. 2, p. 334; Sicard of Cremona, Chronicon, in M.G.H.SS. Vol.31, p. 610; Rigord, Gesta Philippi II Augusti, in M.G.H.SS., Vol. 26, p. 292. CF.

Radulf Niger, Cronica Universali, in M.G.H.SS., Vol. 27, p.336 (٢١٤)

٥٨٥ هـ . وربما تشجع بوهيمند بوجود الملك ومن لحق به من الفرنج الى جانب الصقليين والجنوية (٢١٦) . وبمساعدة الصقليين والجنوية قام بوهيمند بغارة اجتاحت فيها اقليم اللاذقية ثم اقليم حارم ونهب المنطقة . وقتلوا من وجدوه من المسلمين والمسيحيين المحليين على حد سواء (٢٧١) ولم يشر أى من المؤرخين المسلمين الى هذه الواقعة، كما أن من ذكرها من المؤرخين اللاتين أو السريان ، لم يضع لها تاريخا محددا ، واكتفوا بذكرها ضمن أحداث عام ١١٨٩م/٥٨٥ هـ (٢١٨) ، مما دفع بعض المؤرخين الحديثين الى ذكرها بصورة مقتضبة . فيذكر كلود كاهن أن بوهيمند قد استرد شجاعته بوصول الاسطول الجنوى ووجود هيرفى فى انطاكية ، دون ذكر الغارة . ويرى ستفنسن احتمال قيام صلاح الدين بحملة أخرى على انطاكية فى ذلك الوقت (يناير ١١٨٩م/ ذى الحجة ٥٨٤ هـ) وهذا أمر مستبعد لوجود صلاح الدين خلال هذه الفترة فى حصار حصن كوكب (٢١٩) . واذا دققنا فى ظروف كل من بوهيمند وصلاح الدين الى جانب روايات المؤرخين يمكن أن نحدد تاريخ هذه الغارة . فهدنة بوهيمند مع صلاح الدين تنتهى فى مايو ١١٨٩م/ ربيع ثان ٥٨٥ هـ . وفى ذلك الوقت

(٢١٥) أطلق صلاح الدين سراح الملك جى فى يوليو ١١٨٨م/جماد أول ٥٨٤ هـ . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٧ ، ٩٨ .

(٢١٦) فى ابريل ١١٨٩م/ صفر ٥٨٥ هـ ، منح بوهيمند للجنوية حق انشاء محاكم خاصة بهم فى كل من انطاكية واللاذقية وجبيل ومن الملاحظ أن الفرنج كانوا يمنحون الامتيازات لجماعات الفرسان الرهبان وجاليات المدن التجارية فى أملاكهم التى استردها المسلمون على أن يعمل بهذه المنح فى حالة استردادها مرة أخرى من أيدي المسلمين . انظر :

Rohrict, Regesta, no. 68, pp. 181-182.

(٢١٧) كان المسيحيون الشرقيون من الارمن والشاميين فى اللاذقية قد حصلوا على موافقة صلاح الدين بالبقاء فى المدينة على أن يدفعوا الجزية كأهل ذمة ، بينما سار اللاتين الى انطاكية . انظر : العماد الاصفهاني : الفتح القسى ، ص ٢٣٩ .

(٢١٨) Bar Hebraeus, Vol. 2, p. 330; Itinerarium, p. 26; Michel Le Syrien, Doc.-Arm, p. 403; Radulf Niger, Cronica Universalis, p. 336.

(٢١٩) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٥ - ٩٦ . راجع أيضا : Stevenson, The Crusaders in the East, p. 260; Cahen, La Syrie du Nord, p. 430.

كان صلاح الدين مشغولا في حصار حصن شقيف أرنون الذي بداه في ١٠ ابريل ١١٨٩م/٧ ربيع أول ٥٨٥هـ ، وبقي على حصاره لمدة شهرين (٢٢٠) . ولما كان تاريخ المنحة التي قدمها بوهيمند الى الجنوية مقابل مساعدته في مشروعه المقبل يعود الى ابريل ١١٨٩م/صفر ٥٨٥هـ (٢٢١) ، فلا بد وأنه قام بغارته في الشهر التالي مباشرة حيث كانت الظروف مهيأة تماما ، فقد انتهت هدنته مع صلاح الدين ، ورحل ملك بيت المقدس والذي من المؤكد أنه من المعروف لدى بوهيمند أنه سيقوم بعمل من شأنه أن يزيد من مشاغل صلاح الدين . كما ضمن بوهيمند مساعدة الجنوية ، ولديه الصقليين منذ فترة الى جانب وصول الانبياء عن بدء تحرك فريدريك بربروسا الى الشرق في مايو ١١٨٩م/ربيع ثان ٥٨٥هـ ، وصلاح الدين مشغول في فلسطين لذا يكون شهر مايو ١١٨٩م/ربيع ثان ٥٨٥هـ ، هو أنسب تاريخ يمكن تحديده لهذه الواقعة . واذا كان بوهيمند لم يقم بأكثر من غارة دون احراز مكاسب كبيرة على حساب المسلمين في ذلك الوقت ، فقد كان ذلك يرجع الى وصول تقي الدين عمرا بن أخى صلاح الدين الذي كلفه السلطان بأن يسير فيمن معه من عساكره ومن يأتي من بلاد المشرق ويكون مقابل انطاكية لئلا يغير صاحبها على بلاد الاسلام عند انقضاء الهدنة (٢٢٢) . وهكذا استغل بوهيمند ، كما فعل مع كونت الفلاندرز من قبل ، وجود الجنوية وبعض نورمان صقلية ، وانشغال صلاح الدين في فلسطين للقيام بعمل ضد المسلمين واستمر بوهيمند في سياسته ، فعند وصول بقايا جيش فريدريك بربروسا الى انطاكية ، كانت حالة الالمان سيئة للغاية . فالى جانب مشقة الطريق ، والوصول الى انطاكية سيرا على الاقدام ، قام صلاح الدين بتكليف قوات حلب وبغراس بمباغتتهم ، فتم أسر بعضهم ، ووصلت البقية الباقية منهم الى انطاكية وهي تعاني من انتشار الوباء بين أفرادها (٢٢٣) . وفي ٢١ يونية ١١٩٠م/١٦ جمادى الاولى ٥٨٦هـ ، استقبل بوهيمند دوق سوابيا وقواته بحفاوة بالغة ، ويسر

(٢٢٠) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٧ - ٩٨ .
(٢٢١) راجع ما سبق من هذا الفصل ، ص ٢١٦ حاشية (٢١٦) .
(٢٢٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٣ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٠٩ .
(٢٢٣) كان صلاح الدين يتتبع أخبار تحركات فريدريك بربروسا =

لهم كل سبل الراحة ، وأعلن خضوعه وولائه لفريدريك السوابي ، كما أعلن نفسه تابعا للامبراطورية الالمانية . وترك له بوهيمند حرية التصرف في مدينة انطاكية وقلعتها التي أودع فيها الدوق كل ما معه من موال (٢٢٤) . كما حاول اقناعه بمشاركته في القيام بحملة ضد حلب ، خاصة ، وأن المسلمين كانوا منشغلين في صراع مع الفرنج حول عكا (٢٢٥) . ثم أن القيام بعمل آخر ضدهم في أماكن متفرقة من شأنه أن يزيد من أعبائهم ويضطرهم إلى بعثرة قواتهم مما يتيح للصليبيين في شمال الشام وفلسطين فرصة احراز مكاسب معقولة (٢٢٦) . وبالرغم من عدم التأكد من احتمال استجابة فريدريك لطلب بوهيمند من عدمه ، فقد فشلت مساعي بوهيمند بوصول كونراد دي مونتفيرات ابن عم دوق سوابيا ، من صور ، والذي أقنع الدوق

وعندما علم بوصوله . إلى الاراضي البيزنطية قام باخلاء بعض المدن التي يصعب عليه الدفاع عنها مثل اللاذقية وجبله ، كما أمر بهدم أسوار بعض مدن فلسطين مثل جبيل وطبرية ويافا وأرسوف وقيسارية وصيدا ، حتى لا يستخدمها العدو ضد المسلمين . وعلم صلاح الدين بوصول الالمان إلى قسطنطينية من جريجورى دغا جاثليق الارمن . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١١٥ ، ١٢٣ - ١٧٢ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٣ - ١٤ ، راجع أيضا :

Michel Le Syrien, Doc-Arm, p. 403; Sicard of Cremona, p. 610.

Ernoul, p. 259; Ansbert, Expeditio Friderici, p. 92; Eracles (٢٢٤)

L'Estoire, p. 108, Albert Miliol, Cronica imprratorum, in

M.G.H.SS., Vol. 31, p 650; Annales Marbacensis, in

M.G.H.SS., Vol. 17, p 165

(٢٢٥) بعد أن رحل جى من انطاكية وصل إلى صور في ابريل ١١٨٩م/

صفر ٥٨٥ هـ ، حيث رفض كونراد مرة أخرى أن يتولى الملك

حكومتها ؛ فاتجه جى بصحبة البيزاوية المختلفين مع كونراد

وبعض الصقليين إلى عكا على يستردها من المسلمين وهو في حاجة

إلى مدينة يعيد فيها تأسيس مملكته . وبدأ في حصارها في ٢٨

أغسطس ١١٨٩م/ ١٣ رجب ٥٨٥ هـ حيث استمر الصراع بين

الفرنج والمسلمين حول عكا إلى أن استردها الفرنج بوصول قوات

ريتشارد قلب الاسد وفيليب أغسطس وكانت محاولة جى من

الاعمال التي تحسب له من وجهة النظر الصليبية بالرغم من

تميزها بالمخاطرة . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ،

ص ١٥ - ١٦ راجع أيضا :

Ernoul, pp. 358-359; Eracles, pp. 124-127.

Itinenarium, p. 94.

(٢٢٦)

بمصاحبة الى طرابلس ليستقلوا السفن بعد ذلك الى فلسطين . فرحل
الامان بمصاحبة كونراد من انطاكية في ٢٨ أغسطس ١١٨٩م/ ٢٥ رجب
٥٨٦هـ (٢٢٧) . وأشيع أن كونراد كان قد حصل على ٦٠ ألف بيزنط من
صلاح الدين نظير اقناعه لفريدريك السوابي بترك انطاكية (٢٢٨) . ولكن
هذا الادعاء يمكن التغاضي عنه أمام حقيقة أن كونراد لم يكن ليبقى في
شمال الشام تاركا منافسه ، الملك جى ، على زعامة الفرنج يأخذ عكا
وحده . وربما يتحول بعد ذلك الى صور ليستردسلطته فيها (٢٢٩) .
وهكذا فشلت مساعي بوهيمند ، وإن كانت هذه المرة مقبولة ، للقيام
بنشاط ايجابي ضد المسلمين في شمال الشام ، مستغلا وجود بقايا قوات
بربروسا في مدينته التي غادرها فريدريك وتعرض مع قواته لهجمات
قوات حلب واللاذقية وحماة أثناء عبوره الطريق الساحلى « وأيدى
المسلمين تتخطفهم من حولهم نهبا ، وقتلا ، وأسرا ، حتى أتوا
طرابلس » (٢٣٠) . التي بقوا فيها أياما ثم رحلوا الى صور ثم الى عكا
حيث وصلوا الى المعسكر الصليبي في مساء يوم الثلاثاء ٧ أكتوبر ١١٩٠م/ ٦
رمضان ٥٨٦هـ (٢٣١) . وهكذا انتهى دور الشق الاول من الحملة الصليبية
الثالثة (٢٣٢) والذي كان على رأسه الامبراطور الالماني فريدريك بربروسا

(٢٣٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٣٦ ، راجع أيضا :
Itinerarium, p. 94; Sicard of Cremona, p. 172.

Itinerarium, p. 94. (٢٢٨)

(٢٢٩) الى جانب أن جثة فريدريك بربروسا كانت تتحلل وتقرر فصل
عظامه عن لحمه الذي دفن بكنيسة القديس بطرس بانطاكية على
أن تدفن عظامه في بيت المقدس ان تم فتحها ، الامر الذي دفع
ابنه الى أن يسرع بالرحيل من انطاكية : انظر : ابن شداد :
النوادر السلطانية ، ص ١٣٦ - ١٣٧ . راجع أيضا :

Arnold of Lubeck, Chronica Slavorum, in Ussum Scholarum,
Hanover, 1868, p. 139; Sicard of Cremona, p. 611; Cronica
Salembene p. 14; Ernoul, p. 259.

(٢٣٠) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٣٧ ، راجع أيضا :
Benedict of Peterborough, Vol. 2, p. 185.

(٢٣١) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .
(٢٣٢) مات فريدريك السوابي أثناء محاولة الفرنج انتزاع عكا من
المسلمين . وذلك في ٢٠ يناير ١١٩١م/ ٢٢ ذى الحجة ٥٨٦هـ
« وكان عرض له مرض الجوف ، فهلك به » انظر : ابن شداد
النوادر السلطانية ، ص ١٥٤ .

دون أن يصل الى بيت المقدس ، هدف الحملة المنشود . وهكذا حاول بوهيمند الثالث استغلال وجود بقايا جيش فريديك للقيام بحملة ضد حلب مستغلا كعادته انشغال صلاح الدين في صراعه ضد الملك جى وكونراد مونتفيرات حول عكا وفشل بوهيمند في ذلك ربما لأنه لم يكن يعنى الالمان - بالرغم من مباهج انطاكية - أمور شمال الشام بقدر ما كانت تعنيهم أمور بيت المقدس ، الامر الذى طابق تماما مصالح كونراد مونتفيرات مع ملك بيت المقدس حول السيادة على الصليبيين . فقد كان كل منهما يسعى الى تحقيق ذلك قبل وصول ملكى فرنسا وانجلترا .

أما عن الشق الثانى من الحملة الصليبية ، وموقف بوهيمند منه ، فان تتبع ذلك سيقدر ما اذا كانت سياسة بوهيمند تجاه الحملات الصليبية قد تغيرت أم لا . ففي الوقت الذى خرج فيه فريديك السوابى من انطاكية أواخر أغسطس ١١٩٠م/أواخر رجب ٥٨٦هـ ، كان ريتشارد الاول ملك انجلترا وفيليب أغسطس ملك فرنسا في طريقهما الى الشرق (٢٣٣) وبينما كان ريتشارد في قبرص اذ وصلت الى ميناء ليماسول في ١١ مايو ١١٩١م/

(٢٢٣) أبحر فيليب من جنوا بينما أبحر ريتشارد من مرسيليا ، ثم التقيا في جزيرة صقلية وقضيا بها حوالى ستة أشهر فرض ريتشارد فيها سيطرته على تنكريد خلف وليم الثانى ملك صقلية النورماندى . وثبت بذلك من جديد روح التنافس بين ملكى فرنسا وانجلترا فتوجه فيليب الى صور ، ومن هناك صاحب كونراد مونتفيرات الى عكا التى وصلا اليها في ٢٠ ابريل ١١٩١م/٢٣ ربيع الاول ٥٨٧هـ . أما ريتشارد فقد توجه الى جزيرة قبرص واستولى عليها من اسحق كومنين وتوجه بعد ذلك الى عكا في ٨ يونيو ١١٩١م/١٣ جمادى الاولى ٥٨٧هـ . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٦١ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣٠ - ٣١ . راجع أيضا: Itinerarium, pp. 177-204; Benedict of Peterborough, Vol. 2, pp. 162-168; Richard of Devizes, De Rebus Gestis Ricardi Primi, in Chronicles (ed. Howlett), 4 Vols, in R.S., London 1885-1890, Vol. III, pp. 423-426; Neophytus, De Calamitatibus Cypri, p. CLXXXV-CL XXXIV.; Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart, trans. By M.G. Hubert, New York 1976, pp. 79-92. CF. also, G.F. Hill, A History of Cyprus, 4 Vols, Cambridge 1940-41, Vol. 1, p. 321.

٥ ربيع ثان ٥٨٧هـ سفينة صليبية تقل عددا من البارونات الصليبيين على رأسهم الملك جى وشقيقه جيفرى لوزينيان ، وهمفرى صاحب تبنين ، وكثير من فرسان الداوية ، الى جانب ليو الارمينى وبوهيمند الثالث مع ابنه الاكبر ريموند . وجاء هذا الفريق من صليبي الشام طلبا لمساعدة ريتشارد ، فقد اتخذ فيليب اغسطس جانب كونراد وكان لابد وأن يأخذ ريتشارد جانب الملك جى . وبقي بوهيمند مع ريتشارد حتى غاد معه الى عكا وظل معه هناك لفترة ترك بعدها ابنه ريموند بصحبة الملك الانجليزى وقفل عائدا هو انطاكية (٢٣٤) . ولم يشر أى من المصادر الاسلامية أو الصليبية الى أى جهد شارك به بوهيمند الثالث فى أحداث حملة فيليب وريتشارد ، سوى أنه ترك ابنه ريموند بصحبة الملك الانجليزى فى عكا . وفى مقابل ذلك فانه استقبل فيليب أوغسطس فى انطاكية وهو فى طريق عودته الى بلاده ، بعد سقوط عكا فى أيدي الصليبيين (٢٣٥) . وهكذا ، فكما كان بوهيمند محايدا بين كونراد والملك جى ، فانه اتخذ نفس الموقف بين فيليب وريتشارد . لذلك حصل من الملكين على بعض التعزيزات والمؤن فى عامى ١١٨٩م و ١١٩٠م/٥٨٥هـ و ٥٨٦هـ (٢٣٦) . ولم تكن هذه هى الفائدة الوحيدة التى حققها من وجود

(٢٣٤) . اقتصرت غالبية المصادر على ذكر وصول الملك جى فقط الى قبرص . بينما ذكر وصول بوهيمند الى الجزيرة وكذلك بقية النبلاء كل من روجر أوف هوفدن والمخطوط D من تاريخ هرقل ، وأعمال ريتشارد . انظر :

Itinerarium, p. 202; Eracles, p. 167-Roger of Hoveden, Vol. 3, p. 108; Continuation, p. 165; Gesta Regis Ricardi, ed. W. Stubbs, in R.S., London, 1867, Vol. 2, p. 105; Ambroise, p. 94.

(٢٣٥) سقطت عكا فى أيدي الصليبيين فى ١٢ يوليو ١١٩١م/١٧ جمادى ثان ٥٨٧هـ . وغادرها فيليب فى ٣١ يوليو قاصدا صور بصحبة كونراد الذى لم يشأ أن يخدم تحت لواء ريتشارد الذى يساند منافسه الملك جى . ثم توجه فيليب الى انطاكية ربما لاسترداد عاقبته قبل أن يستكمل رحلته الى أوربا . ويعتقد ابن شداد خطأ أن فيليب مات فى انطاكية . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٩١ . راجع أيضا :

Benedict of Peterborough, 161. 2, p. 193; Itinerarium, p. 335.

Benedict of Peterborough, Vol. 2, p. 165. 168. (٢٣٦)

الحملة الصليبية الثالثة في الشرق ، والتي لم يشترك فيها لأنها لم تخدم مصالحه الشخصية ، فقد استغل فرصة رحيل كونراد مع دوق سوابيا الى فلسطين ، وتساعد العمليات العسكرية حول عكا بين المسلمين والفرنج ورحيل الظاهر صاحب حلب الى الجنوب لمساعدة أبيه (٢٣٧) ، وقام بغارة على أملاك حلب وذلك قبل أكتوبر ١١٩٠م/منتصف رمضان ٥٨٦هـ (٢٣٨) . الا أن نواب الظاهر في حلب استطاعوا مباغتته وردة الى انطاكية ، بعد أن قتلوا من قواته خمسة وسبعين رجلا (٢٣٩) . ودفعت هذه الغارة صلاح الدين الى تكليف أسد الدين شيركوه الثاني صاحب حمص بمراقبة الفرنج في طرابلس ، الذين « قد أخرجوا دشارهم وخیلهم الى مرج هناك ، وأبقارهم ودوابهم » فقام صاحب حمص بمهاجمة الفرنج « فأخذ منهم أربعمئة رأس من الخيل ، ومائة رأس من البقر ، وعاد الى البلد » ، وذلك في أواخر فبراير ١١٩١م/أوائل صفر ٥٨٧هـ (٢٤٠) . ولما شعر بوهيمند بيقظة المسلمين له ، استكان حتى العام التالي . فقد استغل بوهيمند فرصة انشغال المسلمين بقتال الفرنج في فلسطين ، وسقوط عكا في أيدي الصليبيين ، وقام بمحاولة لاسترداد جبلة واللاذقية - منفذا امارته الى غرب أوروبا وموردها الاقتصادي الكبير - الا أنه هزم مرة أخرى « وكسر كسرة عظيمة ، وقتل منه جماعة ، وعاد الى انطاكية

(٢٣٧) وصل الظاهر الى المعسكر الاسلامي عند عكا في يوم الاثنين ٥ أكتوبر ١١٩٠م/رمضان ٥٨٦هـ . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٤١ .

(٢٣٨) وصل خبر هذه الغارة الى صلاح الدين في يوم الخميس ٨ أكتوبر ١١٩٠م/١٦ رمضان ٥٨٦هـ . انظر : ابن شداد : المصدر السابق : ص ١٤٣ .

(٢٣٩) لم تذكر المصادر الصليبية هذه الواقعة . بينما ذكرها من المؤرخين المسلمين كل من ابن شداد وأبو شامة نقلا عن العماد الاصفهاني . ولقد ذكر أبو شامة عدد قتلى الفرنج . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٤٣ ، أبو شامة الروضتين : ج ٢ ، ص ١٦٤ ، وانفرد ابن العديم بذكر العديدين . انظر ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٠٩ .

(٢٤٠) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٥٥ .

مُخَذولاً « وذلك في أكتوبر ١١٩١م/رمضان ٥٨٧هـ (٢٤١) . وبعد سقوط عكا في أيدي الفرنج قام صلاح الدين بتخريب بعض المدن التي يصعب الدفاع عنها ، والتي ربما يحتلها الفرنج ويستخدمونها كقواعد للهجوم ضد المسلمين . وكان من بين هذه المدن عسقلان وحصن بغراس ، فالاستيلاء على عسقلان ربما يساعد على استيلاء الفرنج على بيت المقدس وقطع مواصلات صلاح الدين مع مصر وأمر صلاح الدين سليمان بن جنادر صاحب حارم بتخريب حصن بغراس وإخلائه من حاميته الإسلامية « فهدم بعضه » (٢٤٢) وسارع رجال بوهيمند إلى الحصن وحملوا إلى انطاكية ما وجدوه من قمح تركه المسلمون عند إخلائهم له بينما احتل ليو الأرميني حصن بغراس الذي لم يكن يهم الانطاكيين الذين كانوا يعانون من شدة القحط في الإمارة (٢٤٣) . وهكذا حاول بوهيمند الاستفادة من وجود الحملة الصليبية الثالثة في بلاد الشام ، وانشغال المسلمين بالدفاع عن مكاسبهم التي حققوها بعد انتصارهم في حطين ، للقيام بمحاولات لاسترداد حصن حارم أحيانا وجبلية واللاذقية أحيانا أخرى ، أو الإغارة على هذه المناطق إلا أنه فشل في كل محاولاته ولم يستطع أن يحقق أية مكاسب على حساب المسلمين في بلاد الشام . ولم يجنبه رد فعل المسلمين تجاه اعتداءاته إلا آخر أعمال الحملة الصليبية الثالثة نفسها ، بالرغم من عدم مساهمته فيها بالمرّة .

(٢٤١) دخل الصليبيون عكا في يوم الجمعة ١٢ يوليو ١١٩١م/١٧ جمادى الآخرة ٥٨٧هـ . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٦١ - ٧١١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٣١ - ٣٣ ، أبوشامة : الروضتين ، ج ٢ ص ١٨٨ ، المقرئ : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ص ١٠٥ . راجع أيضا :

Ernoul, pp. 274-274; Eracles, pp. 175-176; Itinenarium, pp.232
234: Benedict, Vol. 2, p. 179; Chronica Regia Coloniensis,
p. 154; Ralph of Diceto, Vol. 2, p. 94; Ambroise, pp.
217-218.

(٢٤٢) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ، راجع أيضا :

Bar Hebraeus, Vol. 2, p. 373.

(٢٤٣) مؤرخ مجهول : البستان الجامع ، ص ١٤٩ . راجع أيضا :

Bar Hebraeus, Vol. 2, pp. 336-337.

فبعد صراع دام عامين ، عقد ريتشارد الهدنة مع صلاح الدين ، وأصر ريتشارد على «دخول انطاكية وطرابلس في الصلح» (٢٤٤) . وبالرغم من أن الحملة الصليبية الثالثة قد ساعدت الفرنج على استرداد اقليم الساحل من صور الى يافا ، وأنها أعادت تأسيس المملكة الصليبية كقوة سياسية وعسكرية، وحفظت بقايا الكيان الصليبي من خطر صلاح الدين وهو في أوج انتصاره (٢٤٥) ، إلا أنها لم تحقق انجازا كبيرا . فلم يسترد الصليبيون بمساعدة أكبر الحملات الصليبية وأكثرها تنظيما الكثير مما فقدوه بعد حطين . وكان كل ما بقى في حوزتهم هو شريط ساحلي ضيق . وكان استيلاء ريتشارد على جزيرة قبرص ، هو أهم انجازات الحملة الثالثة . فقد أصبحت قبرص بعدا استراتيجيا للمملكة الصليبية ، كما أنها أمدت الفرنج في بلاد الشام بقاعدة بحرية ممتازة وكان ذلك « قوة للفرنج » (٢٤٦) ، كما أنها آوت مؤسساتهم حتى بعد سقوط آخر معاقلهم في الشرق الاسلامي . وفي النهاية ، لم تسترد الحملة الصليبية الثالثة بيت المقدس ، التي لم تعد هدف الحملات الصليبية فيما بعد ، حيث أصبحت مصر هي هدف أوربا المباشر (٢٤٧) . وربما أدرك

(٢٤٤) وقع ريتشارد على وثيقة الصلح في يوم الثلاثاء ٢ سبتمبر ١١٩٢م / ٢٢ شعبان ٥٨٨هـ بينما وقع عليها صلاح الدين في اليوم التالي . واستقر الصلح لمدة ثلاث سنوات وثمانية أشهر ، على أن يكون للفرنج صور وعكا وقيسارية وأرسوف وحيفا ويافا . وأن تخرب عسقلان . واشترط صلاح الدين دخول الباطنية في الصلح في مقابل دخول انطاكية وطرابلس فيه . وللطرفين حرية اجتياز بلاد الطرف الآخر . وأبحر ريتشارد الى بلاده في ١٩ أكتوبر ١١٩٢م / ١٠ شوال ٥٥٨هـ . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، العماد الاصفهاني : الفتح القسي ، ص ٦٠٥ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٠ - ٤١ . راجع أيضا :

Ernoul, pp. 292-293; Eracles, pp. 198-199; Richard Devise, pp. 444, 449; Itinenarium, pp. 440; Ambroise, p. 447.

(٢٤٥) سعي عاشور : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٠٢ . راجع أيضا : S. Painter, The Third Crusade, in Setton, Vol. 3, p. 85.

(٢٤٦) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣١ .

J. LA Monte, From Crusader kingdom to commercial colony. (٢٤٧) p; 286, 291; K. Norgate, Richard the Lion Heart, London, 1924, p. 269.

بوهيمند كل هذه الحقائق ، فأسرع الى بيروت ليقابل صلاح الدين لتأكيد صلح يافا ، وبمعنى آخر ليضمن صفح صلاح الدين عنه بعد ما قام به من اعتداءات على أملاك المسلمين في شمال الشام ، خاصة وقد عاد الظاهر الى حلب . فدخل بوهيمند على صلاح الدين في يوم الخميس ٢٠ أكتوبر ١١٩٢/٢١ شوال ٥٨٨هـ ، وبين أبو شامة كيف أن السلطان قد تأثر بثقة بوهيمند فيه بقوله « فما أحس به الا وهو واقف على باب خيمته ، وأعجبه استرساله اليه ، ودخوله بغير أمان عليه » (٢٤٨) . ومنحه صلاح الدين اقليم العمق ، وأرزغان ، الى جانب جزء من ريع مناصفات انطاكية ، يبلغ «خمسة عشر ألف دينار» (٢٤٩) .

كان لقاء صلاح الدين ببوهيمند الثالث هو آخر علاقته بالصلبيين . فلم يلبث أن عاد من بيروت الى دمشق ومات في صباح يوم الاربعاء ٣ مارس ١١٩٣م/٢٧ صفر ٥٨٩هـ (٢٥٠) . وبموته تبدأ فترة جديدة ومثيرة في تاريخ العلاقات السياسية بين اماره انطاكية الصليبية والمسلمين في شمال الشام ، تميزت بسمتين : الاولى ، وهي عدم حدوث صراع مباشر مع المسلمين الا من خلال صراعاتها المستمرة مع الارمن في قليقية ، وهي السمة الثانية لهذه الفترة ، فحتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري ، كانت العلاقات السياسية بين اماره انطاكية الصليبية والمسلمين هي نتيجة لعلاقاتها السياسية بالارمن . وهذا يدفع الدارس لتساير العلاقات السياسية لاماره انطاكية الصليبية بالقوى الاسلامية المجاورة الى التعرض دائما لأحوال المسلمين ، والارمن ، والصلبيين في المملكة الصليبية في عكا . ونبدأ ذلك بدراسة طبيعة العلاقات السياسية بين بوهيمند الثالث والمسلمين في فترة ما بعد صلاح الدين ، والتي ستنتهي بموت بوهيمند في عام ١٢٠١م/٦٠٧هـ . فبعد موت صلاح الدين يمكن

(٢٤٨) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ص ٢٠٧ ، ٢٢٣ .
(٢٤٩) وحدد أبو شامة المبلغ بعشرين ألف دينار . انظر : أبو شامة :
الروضتين : ج ٢ ص ٢٠٧ .
(٢٥٠) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٢٤٧ ، ابن الاثير : الكامل ،
ج ١٢ ، ص ٤٥ ، مجهول : البستان الجامع ، ص ١٥١ ،
أبو الفدا : المختصر ج ٣ . ص ٢٩٠ . سبط الجوزي : مرآة
الزمان ، ج ٨ ، قسم ١ ص ٤٢١ ، أبو شامة ، ج ٢ ، ص ٢١٥ ،
ابن واصل ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ .

اعتبار عصر خلفائه ، وخاصة حتى نهاية عهد بوهيمتد الثالث ، فترة توقف للمد الاسلامي . فقد كانت فتوحات صلاح الدين ، والتصدي للحملة الصليبية الثالثة ، التي تسببت في قيامها تلك الفتوحات ، قد استلزما جهدا كبيرا سعى خلفاء صلاح الدين الى تجنب القيام به ، وذلك لما دب بينهم من نزاعات (٢٥١) . فعند موت صلاح الدين كانت دولته مقسمة الى أربعة أطراف رئيسية ، الاول ممثلا في أكبر أبنائه الافضل ، الذي احتفظ بدمشق وفلسطين والساحل الشامي كله ، وكان يتمتع بالسيادة على كل افراد الاسرة لوصاية أبيه له بأن يخلفه في الحكم . ويخضع له صاحب حمص أسد الدين شيركوه حفيد شيركوه عم صلاح الدين . يأتي بعد ذلك ابنه العزيز الذي احتفظ لنفسه بمصر ، ثم ابنه الظاهر صاحب حلب الذي يخضع لسلطة صاحب حماة محمود بن تقي الدين عمر . وأخيرا العادل شقيق صلاح الدين ، الذي يحكم في أقاليم الجزيرة ، وديار بكر والاردن . والى جانب هؤلاء كان هناك الزنكيون في الموصل ، وسنجار ، ثم الارائقة في حصن كيفا وآمد ، وخرتبرت وخلاط (٢٥٢) . ولم يكن أي من هؤلاء - باستثناء الظاهر - يتمتع بالحس السياسي كما كان العادل الذي التزم بسياسة صلاح الدين ، وصقلته التجربة ، الى جانب تمتعه بالذكاء والنشاط . وفضلا عن ذلك فقد كان أقوى شخصية في الاسرة بعد رحيل صلاح الدين (٢٥٣) . وكان لابد وأن يبرز العادل كرأس للأسرة الايوبية التي لولاه لضاعت كل انجازاتها التي تحققت في عهد صلاح الدين . وعادت بذلك الوحدة الى الدولة الايوبية (٢٥٤) . وما يهمنا هنا من نتائج أن الظاهر صاحب حلب بقي خائفا من تدخل عمه في شئونه وكان هذا هو العامل المسيطر على سياسته كما حدث من قبل مع الصالح بن نور الدين

Radulf Niger, Chronica Anglica, in M.G.H.SS., Vol. 37, p 341 (٢٥١)

C.F. also, Cahen La Syrie du Nord, p. 579.

(٢٥٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٦ ، أبو شامة : الروضتين ،

ج ٢ ، ص ٢٢٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ .

Cahen, La Syrie du Nord, p. 580; R.S. Humphry, From Saladin (٢٥٣)
to the Mongols, New York, 1977. p. 130.

(٢٥٤) عن الخلافاث بين أبناء صلاح الدين والعادل انظر : ابن الاثير :

الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤٦ ، ٥١ - ٥٧ ، ٦٥ - ٦٩ ، ٧٥ ،

ابن واصل مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٣ - ١٣٤ .

محمود في مواجهة صلاح الدين ، الامر الذى فرض عليه سياسة الحوار مع جيرانه الفرنج . أما عن الفرنج أنفسهم فقبل رحيل ريتشارد الى أوربا (٢٥٥) عهد بالوصاية على بيت المقدس الى هنرى دى شامبانيا (٢٥٦) الذى ساعدته مشاحنات بنى أيوب على القيام بواجبه نحو الصليبيين ، فاستطاع أن يعيد الى مملكة بيت المقدس الجديدة قدرا من الامن . الى جانب ذلك تمكن هنرى من المحافظة على امارة انطاكية امام اطماع الارمن فيها . فقد قلبت فتوحات صلاح الدين في شمال الشام ميزان القوى بين انطاكية وقيليقية التى صارت بالنسبة للفرنج في شمال الشام ، مثل جزيرة قبرص بالنسبة للساحل السورى ، هى أقوى المواقع ، وصارت تمثل بعدا استراتيجيا للفرنج عامة (٢٥٧) . وحاول ليو الثانى

(٢٥٥) رحل ريتشارد من عكا في ٢٩ سبتمبر ١١٩٢م . وفي طريقه الى بلاده أسره دوق النمسا في ديسمبر من نفس العام ، وسلمه للامبراطور هنرى السادس الالماني الذى اعتقله حتى مارس ١١٩٤م . وعاد ريتشارد الى بلاده . واستمر في صراعه ضد فيليب ملك فرنسا ، حتى مات في ٢٦ مارس ١١٩٩م . انظر : Itinerarium, pp. 439-446; Amberoise, pp. 446-455. C.F. also, J.O. Prestwish, Rex Bellicosus, p. 15; Norgate, Richard Lion Heart p. 446.

(٢٥٦) جاء هنرى كونت شامبانيا الى الشرق في صيف ١١٩٠م . وعندما قرر ريتشارد استشارة الصليبيين فيمن يتولى الحكم في المملكة الصليبية اختاروا كونراد دون الملك جى ولم يلبث كونراد أن اغتيل في ابريل ١١٩٢م على ايدى الحشيشية تاركا زوجته ايزابيل شقيقة الملك بولدوين الرابع الصغرى ، وثبت أن قاتلى كونراد كانا من الحشيشية الذين دفعهم الى ذلك هنرى كونت شامبانيا حتى يستأثر بالحكم لنفسه . وتزوج هنرى بارمل كونراد ووريثة العرش في المملكة الصليبية . وان لم يتوج ملكا حتى وفاته . بينما منح ريتشارد جزيرة قبرص الى الملك جى بعد أن تركها له الداوية . انظر :

Eracles, pp. 195-198; Ernoul, pp. 290-291. C.F. also. Hill, A History of Cyprus, Vol. 2, pp. 36-38, 67-69; Charles E. Nowell, The Oldman of the mountain, in J.M.S., Vol. 22, p. 508; Patrick A. Williams, The Assassination of Conrad of Montferrat : Another Suspect ? ,in Traditio, Vol. 16, p. 389.

(٢٥٧) يعتبر وصف ويلبراند أوف أولدنبرج الذى جاء مبعوثا من =

الارمينى أن يستفيد من هذه الحقيقة للتخلص من السيادة اللاتينية على بلاده . وطمع في اماره انطاكية التى تقلصت تحت حكم بوهيمند الثالث .
ففى سنة ١١٩١م/٥٨٧هـ استولى ليو على حصن بغراس الذى أخلاه صلاح الدين من حاميته الاسلامية خشية سقوطه فى أيدي الصليبيين ، وحصنه بدلا من رده الى فرمان الداوية (٢٥٨) . وأثار ذلك مخاوف بوهيمند حيث كان حصن بغراس يحمى مدخل الامارة الشمالى (٢٥٩) .
ولما لم يضم بوهيمند حليفه السابق ليو الى صلحه مع صلاح الدين فى ١١٩٣م/٥٨٩هـ (٢٦٠) ، الى جانب ما كان يحمله ليو لبوهيمند من ضغينة لأسر شقيقه روبين الثالث من قبل (٢٦١) ، فقد قرر الانتقام من بوهيمند . واستطاع أن يحيك له مكيده بمشاركة سبيلا زوجة بوهيمند ، التى وعدها بمساعدة ابنها وليم على تولى حكم انطاكية دون ريموند وبوهيمند أبناء زوجها من زوجته الاولى (٥٦٢) . وفى أكتوبر ١١٩٣م/رمضان ٥٨٩هـ، اقترح ليو لقاء لانهاء مشكلة حصن بغراس، وأتى بوهيمند بصحبة زوجته وابنها الى بغراس حيث قبل استضافة ليو له فتم اعتقال بوهيمند والجزء الاكبر من حاشيته (٢٦٣) . واشترط ليو فى مقابل اطلاق

=
الامبراطور الالماني الى ليو الثانى الارمينى ، لحصن بغراس
هز أكثر النصوص معاصرة ، وقد وصفه بقوله « حصن قوى
للغاية ، له ثلاثة أسوار تعتليها الابراج ويحرس مداخل وممرات
وأراضى ليو الثانى الارمينى كما أنه يطل على مدينة انطاكية
مباشرة انظر : Wilbrand of Oldenberg, Peregrinatores, p. 136.

(٢٥٨) مجهول : البستان الجامع ، ص ١٤٩ ، راجع أيضا :
Bar Hebraeus, Vol. 2, p. 336 C.F. also, J. Riley-Smith, The
Castle of Baghras, p. 45.

(٢٥٩) Wilbrand of Oldenberg, peregrinatores, p. 136.

(٢٦٠) ربما كان ذلك ردا من بوهيمند على سياسة ليو الذى لم يساعد
انطاكية أثناء فتوحات صلاح الدين فى أملاكها بعد حطين .

(٢٦١) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٢٠٤ .

(٢٦٢) يذكر المخطوط D من تكملة وليم الصورى أن ليو وعد سبيلا
بالزواج منها ، وهذا غير مقبول خاصة وأن ليو كان متزوجا
بأختها فى ذلك الوقت . انظر : Continuation, p. 167.

(٢٦٣) كان بصحبة بوهيمند كل من ريتشارد اوف أرمينيا ، وراؤول
كندسطل انطاكية وبارثلميو مارشال انطاكية ، وأوليفر الحاجب
وآخرون . انظر : مجهول : البستان الجامع ، ص ١٥١ ، راجع
أيضا :

= Continuation, p. 167; Sempad, p. 631; Michel Le Syrien, Doc-

سراحهم أن يسلم اليه بوهيمند مدينة انطاكية . وبعث ليو بهيثوم حاكم سيس زوج أليس ابنة أخيه روبين ، نيابة عنه الى انطاكية، وبصحبة اثنين من أتباع بوهيمند لتسلمها . هنا وقع حادث انعكس على تاريخ امارة انطاكية في القرن ١٣م/٧هـ كله . فساكن انطاكية الذين أظهروا في مواجهة الخطر البيزنطى من قبل تمسكهم بالحكم اللاتينى ، أظهروا هذه المرة رد فعلهم ، الذى يتسم بالعنف ، ضد الحكم الارمينى . فقد سهل النبلاء الذين من أصل أرمينى لبارثلميو دخول المدينة ، فقامت ثورة بقيادة النبلاء اللاتين . وتم طرد الارمن خارج انطاكية واجتمع أهل انطاكية بقيادة البطريرك ايمرى دى ليموج « Aymeri de Limoge » فى كنيسة القديس بطرس ، وأعلنوا قيام قومون « مجلس شعبى » انطاكية (٢٦٤) . وأقسموا يمين الولاء لريموند الابن الاكبر لبوهيمند

Arm., p. 411; Bar Hebraeus, Vol. 2, p. 343; Gestes des chiprois, in R.H.C.Doc-Arm. Vol. 2, p. 666, C:F also, Rey, Dignetairs, pp. 118-121, 127.

(٢٦٤) جمع البطريرك ايمرى دى ليموج ساكن انطاكية فى كنيسة القديس بطرس، وتمت موافقتهم على انشاء قومون انطاكية الذى كان يتكون من رئيس (عمدة) وأعضاء يمثلون سكان المدينة والذين لابد حضورهم اجتماعات القومون . وكان يعلن عن اجتماع القومون بدق أجراس الكنيسة وانحصرت مهمة القومون فى الدفاع عن المدينة ضد الغزو الخارجى وادارتها فى غياب الامير . ونرى ذلك فى ١٢٠١م عندما حاول ليو الثانى الارمينى احتلال انطاكية . ويعتبر قومون انطاكية هو أقدم القومونات اللاتينية فى الشرق . فقد ظهر له مثيلان بعد ذلك لهما نفس المهام . الاول قومون عكا الذى تكون فى ١٢٣١م للتصدى لادعاءات ريتشارد فلانجيزى نائب الامبراطور الالمانى فريدريك الثانى . وآخر القومونات اللاتينية كان قومون طرابلس الذى تكون فى ١٢٨٨م للمشاركة فى اختيار حاكم جديد بعد موت بوهيمند السابع . انظر :

Continuation de Guillaum de Tyre, pp. 169-171; Gestes des Chiprois, p. 661; Ernoul, pp. 318-320; Sempad, p. 632; A.T.S. (ed. Rohricht), in A.O:L., Vol: 2, Paris, 1884, p. 434. C.F. also, L.M: Alishan, Léon Le Magnifique, Premier roi de Sissouan ou de L'Armino-Cilicie, trans. by G. Bayan, Venice, 1888; p. 126; J. La Monte, The communal movement : in 13th century, in Haskins, Anniversary Essay, Boston, New York, 1929, pp. 133, 125 125-129.

الذى أرسل الى أخيه بوهيمند حاكم طرابلس للقدوم لمساعدته ضد الارمن (٢٦٥) . ولم يجد ليو بدا من التراجع بعد نهب ضواحي انطاكية . وعاد بأسراه الى سيمس وسرعان ما قدم هنرى دى شامبانيا الى شمال الشام تلبية لاستغاثة الانطاكيين (٢٦٦) . وبعد أن عقد اجتماعا مع البطريرك وأبناء بوهيمند توجه الى قيليقية حيث تم الاتفاق على اعتراف بوهيمند بملكية ليو لكل ساحل خليج الاسكندرونة ، وحصن بغراس ، كما أحل ليو من يمين الولاء لبوهيمند . وفى مقابل ذلك يطلق سراح بوهيمند دون قدية . ولتعزيز هذه الاتفاقية تم الاتفاق على أن يتزوج ريموند الابن الاكبر لبوهيمند ، من أليس Alice ، ابنة شقيق ليو ، التى فقدت ، فى ظروف غامضة ، زوجها الاول هيثوم حاكم سيمس عشية عودته من انطاكية قبل سنة ١١٩٤م/٥٩١هـ . وتم اطلاق سراح بوهيمند الذى جعل البارونات يقسمون يمين الولاء لابنه ريموند كوريث له فى حكم انطاكية بعد موته (٢٦٧) . وهكذا ارتبط مصير انطاكية بمصير قيليقية من الآن فصاعدا . الا أن ليو لم يكن يرى أن هذه المصالحة مع بوهيمند تدعم موقفه ، شأنه فى ذلك شأن عمورى دى لوزينان حاكم قبرص (٢٦٨) فاتجه ليو

(٢٦٥) Continuation de Guillaum de Tyre, p. 171.

(٢٦٦) Continuation de Guillaum de tyre, pp. 171 ff.; Bar Hebaeus,

Vol. 2, pp. 345-346; Gestes des Chiprois, p. 662; Sempad, p. 632; Ernoul, pp. 343-324.

هذا وقد تلقى هنرى النداء من كل من قومون انطاكية وولدى بوهيمند الثالث وبطريرك انطاكية وفى طريقه الى انطاكية لى دعوة الحشيشية لزيارتهم لانهاء سوء التفاهم الذى سببه مصرع كونراد دى مونتفيرات . وبقي هنرى فترة لدى الحشيشية ثم توجه الى انطاكية .

(٢٧٦) تزوج ريموند من أليس فى بداية عام ١١٩٥م/بداية عام ٥٩٢هـ . انظر :

Eracles, p. 213; Ernoul, p. 319; Michel, Le Syrien, Doc-Arm., p. 411;

(٢٦٨) مات جى دى لوزينان فى مايو ١١٩٤م/جماد أول ٥٩٠هـ وتولى الحكم مكانه أخوه عمورى دى لوزينان صاحب يافا الذى تزوج ابنة ايزابيلا وريثة مملكة بيت المقدس وزوجة هنرى دى شامبانيا . ولجأ عمورى الى هنرى السادس الالماني ليتوجه ملكا على قبرص . وتم ذلك بقدوم كونراد أسقف هيلد سهايم فى سبتمبر ١١٩١م/ذى القعدة ٥٩٣هـ ، واعترف عمورى فى مقابل ذلك =

الى الامبراطور الالماني هنرى السادس الذى كان ينوى القيام بحملة صليبية جديدة تعوض ما فات آباءه من مجد . وكان هنرى فى ذلك الوقت هو أقوى حكام غرب أوروبا . وكما وعد الامبراطور عمورى من قبل ، فقد وعد ليو بأن يتم تتويجه ملكا حين يقدم بنفسه الى الشرق . ولم يحدث ذلك لموت هنرى السادس فى ٢٨ سبتمبر ١١٩٧م/ ١٤ ذى القعدة ٥٩٣هـ ، الا أنه قدم الى سيس كونراد أسقف هيلد سهايم بصحبة المندوب البابوى كونراد أسقف ماينز ، وتم تتويج ليو فى ١ يناير ١١٩٨م/ ربيع اول ٥٩٤هـ . وبذلك يكون قد حصل على اعتراف رسمى بسلطته الملكية من المجتمع الاوروبى الغربى وأصبح بإمكانه الآن أن يتصرف كند للاتين فى الشام (٢٦٩) . واذا كان الصليبيين فى انطاكية والارمن فى قيليقية قد انشغلوا بخلافاتهما التى تدخلت فيها مملكة بيت المقدس ، فان خلافت خلفاء صلاح الدين أيضا قضت على رغبتهم فى القيام بعمل ضد الفرنج فى بلاد الشام . وتم مراعاة هدنة صلاح الدين وريتشارد بالرغم من اعتداءات عز الدين أسامة أمير بيروت ، الذى دأب على نهب سفن الفرنج ، ولم يستطع العادل أو العزيز كبح جماحه أمام شكوى الصليبيين (٢٧٠) الا أن الحملة الصليبية الالمانية التى وصلت الى عكا فى أغسطس ١١٩٧م/شوال ٥٩٣هـ ، قد أثارت الصراع من جديد . واذا

بتبعيته لهنرى السادس انظر :

Eracles, pp. 209-212; Ernoul, pp. 302-303; Arnold of Lubeck, p. 304; Makhaeras, Leonitus, Recetal Concerning the Sweet Land of Cyprus, entitled Chronicle (ed. and trans. by Dawkins) 2 Vols, Oxford, 1932, Vol. 2, pp. 28-29.

(٢٦٩) كان الامبراطور البيزنطى الكسيوس الثالث انجيلوس (١١٩٥ -

١٢٠٣م) قد بعث بتاج الى ليوسعيا لجذبه الى تبعية بيزنطة وذلك فى بداية المفاوضات بين هنرى السادس وليو . الا أن هذا التاج لم يكن مقنعا لليو لارتباط الامبراطور البيزنطى بالمسلمين (بعث الكسيوس بخطاب الى الملك العزيز بمصر فى عام ١١٩٤م/

٥٩٠هـ) ومهما يكن من أمر فقد أصبح معترفا بليو الثانى الارمينى كملك من قبل الامبراطوريتين المسيحيتين . انظر :

Sempad, p. 633; Michel Le Syrien. Doc-Arm., p. 405; Samuel de Ani, p. 458; Vartan, p. 443; Vahram, p. 511;

(٢٧٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٥٩ . راجع أيضا :

Ernoul, pp. 315-316.

كان الصليبيون قد نجحوا في الاستيلاء على بيروت في أكتوبر ١١٩٧م/ ذي الحجة ٥٩٣هـ ، بعد هرب أميرها ورجاله ، فقد تمكن العادل من استرداد يافا في أغسطس/شوال من نفس السنة (٢٧١) . وانتهت الحملة الصليبية الألمانية دون أن تحقق نتائج حاسمة (٢٧٢) إلا أنها أعادت ربط أملاك الفرنج في فلسطين بطرابلس وبتى أن تتم عملية مماثلة لربط طرابلس بامارة انطاكية . وكان ذلك يتطلب استرداد الفرنج لجبله واللاذقية . الامر الذي حاول بوهيمند القيام به . وعندما علم الظاهر صاحب حلب بذلك أمر بتقويض قلاع اللاذقية وجبله ، فاذا لم يستطع منع الفرنج من الدخول الى هذه المعاقل ، فانه على الاقل سيحرمهم من استخدامها كقواعد هجوم ضد المسلمين . ولكن بوهيمند الذي توجه الى الصليبيين الالمان عند بيروت لم يحصل منهم على ما يبدو على التعزيزات التي كان يأمل في الحصول عليها . فعاد الى صور عشية الاستيلاء على بيروت . ومر بحصن المرقب حيث اجتمع بنواب الملك الظاهر ثم عاد الى انطاكية واسترد الظاهر جبله واللاذقية ، لتبقى انطاكية معزولة عن

(٢٧١) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٧٦ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ ، مجهول : البستان الجامع : ص ١٥٧ ، راجع أيضا : Ernoul, pp. 311-317; Eracles, pp. 224-227; Arnold of Lubeck, pp. 208-210; Chronica Regia Colonienis, in M.G.H.SS., in Usus Scholarum, p. 160.

(٢٧٢) مات الامبراطور هنري السادس في سبتمبر ١١٩٧م/شوال ٥٩٣هـ ولم يأت الى الشرق ، وقت في عضد الالمان الذين سبقوه الى فلسطين ، فأسرعوا بالعودة الى بلادهم كما مات هنري دي شامبانيا في ١٠ سبتمبر ١١٩٧م/٢٦ شوال ٥٩٣هـ قبل أن ينهض لنجدة يافا ، وتولى حكم المملكة الصليبية عموري دي لوزنيان بعد أن تزوج من ايزابيلا أرمل هنري ، وبذلك وحد جزيرة قبرص ومملكة عكا الصليبية تحت حكمه وذلك في يناير ١١٩٨م/ربيع أول ٥٩٤هـ . انظر ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٥٩ ، ٦٠ - راجع أيضا :

Ernoul, pp. 305-310; Eracles, pp. 220-223. CF, Also, Mas-Latrie, Histoire de L'île de Chypre sous Le regne des princes de la maison de Lusignan, 3 Vols, Vol. 1, Histoire, vols 2-3, Documents, Paris, 1852-1861, Vol. pp. 143-146; Hill A history of Cyprus, Vol. 2, pp. 58-59.

طرابلس وبقية أملاك الفرنج على الساحل السوري ، ومحرومة من ميناء اللاذقية الهام ، مما أضعف مواردها الاقتصادية خاصة بعد فقدانها لكل أملاكها بعد حطين . لقد أنقص ذلك الامر دخلها ، وقلل من الخدمة الاقطاعية العسكرية التي كان يقدمها النبلاء اللاتين حكام هذه الاملاك (٢٧٣) وكانت محاولة الاستيلاء على جبلة واللاذقية هي آخر علاقات بوهيمند الثالث السياسية بالمسلمين حتى نهاية عهده . فقد مات ابنه الاكبر ريموند في أوائل ١١٩٧م / أوائل ٥٩٣هـ تاركا طفلا يدعى ريموند روبين من زوجته الارمينية الليس وكان ريموند روبين وريثا لانطاكية بحق ولاية الحكم . وبعث بوهيمند الثالث بالطفل وأمه الى اى أرمينيا لضمان أمنهما ، وربما لابعاد الارمن عن حكم انطاكية . الا أن المندوب البابوى كونراد الذى توج ليو ملكا في ١١٩٨م / ٥٩٤هـ من قبل وجاء مع الحملة الالمانية ، توجه الى انطاكية حيث دفع بوهيمند الثالث الى أن يجبر نبلاءه على أن يقسموا يمين الولاء لرويموند روبين (٢٧٤) . ولم يعترف بوهيمند حاكم طرابلس بهذا الاجراء . وكان يسانده الداوية لحنقهم على ليو الذى لم يرد اليهم حصن بغراس معقلهم القديم . كما أيدته الاسبتارية ، لما بذله لهم من منح (٢٧٥) ، أيضا ، نال تأييد البيزاوية

(٢٧٣) ذكرت بعض المصادر الاوروبية مثل روجر اوف هوفدن وأرنولد لوبك أن بوهيمند قد استولى على جبلة واللاذقية بمساعدة الالمان وربما يرجع ذلك الى مبالغة هنرى دوق اللورين الذى جاء مع الحملة الالمانية . وخطابه الى رئيس أساقفة كولون ربما يكون تشجيعا لصليبي أوربا للقدوم الى الشرق وربما تمجيذا لاعمال الحملة الالمانية . وكان رسل الظاهر الى بوهيمند هم غرس الدين قلج صاحب دركوش وبكاس والروج ، وابن طمان أحد قادة الظاهر فى حلب . انظر : ابن العديم / زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٤٠ - ١٤٣ . راجع أيضا :

Roger of Hoveden, Vol. 4, p. 28; Arnold of Lubeck, p. 207;
Henry ducke of Lurein, Letter of Henry ducke of Lurein
to Archbishop of Cologne, in chronica Regia Coloniensis,
p. 160-161.

Eracles, p. 213; Arnold of Lubeck, p. 210. C.F. also Cahen, (٢٧٤)
La Syrie du Nord p. 591.

(٢٧٥) فى ٢٦ أغسطس ١١٩٩م . منحهم بوهيمند الرابع ملكية حصن
مرقية مقابل مساعدته ضد الحشيشية . انظر :

لنفس السبب (٢٧٦) . كما كان من الطبيعي أن ينال بوهيمند تأييد قومون انطاكية المعادى للارمن ، مما دفعه في نهاية ١١٩٨م/٥٩٤هـ الى أن يأتى الى انطاكية ويطرد والده، وأقسم له أعضاء القومون يمين الولاء . الا أن لجوء ليو الى البابا انوسنت الثالث جعل بوهيمند يعيد والده الى انطاكية بينما عاد هو الى طرابلس . واستطاع بوهيمند أن يكسب ود أبيه الذى اجتمع مع ليو وبطريق انطاكية الجديد بطرس دى انجوليم «Piere d'Angoulim» (١١٩٦ - ١٢٠٨م) لتسوية مشكلة بغراس (٢٧٧) . ولما رفض ليو اعادة الحصن الى الداوية الا بضمان حق ريموند روبين في حكم انطاكية رأى البطريق الذى انحاز مع قومون انطاكية الى صف بوهيمند حاكم طرابلس ، أن فى ذلك خطر على مركزهم ، وأرسلوا جميعا احتجاجا الى البابا (٢٧٨) . وهكذا وجد بوهيمند حاكم طرابلس الظروف مواتية أمامه لاعتلاء عرش انطاكية عند موت أبيه بوهيمند الثالث فى عام ١٢٠١م/٥٩٧هـ (٢٧٩) الذى اتسمت

* Cartulair, t. 1, no. 1031; Rohrich; Regesta, no 759, p. 202-CF. =
also, J. Riley-smith, The Nights of St. John, p. 152.

(٢٧٦) فى ٢٦ أغسطس ١١٩٩م عقد بوهيمند الرابع صلحا مع البيزاوية مقابل منحه اياهم تسعة آلاف بيزنط ووعده اياهم بالعفو عن مواطنيهم الذين تسببوا فى وقوع بعض التلفيات فى مدينة طرابلس . انظر : Rohricht, Regesta, no. 758, p. 202.
كما ساند بوهيمند الرابع البيزاوية فى خلافهم مع بطرس دى انجوليم أسقف طرابلس الذى اشتكى منهم فى خطابه الى البابا انوسنت الثالث . انظر :

Inuocent III : pope, Regesta, in p. L., Vol. 214, no. 516, Col.476
(٢٧٧) كان بطرس دى انجوليم يشغل منصب رئيس شمامسة طرابلس . وفى ١١٨٩م عند اطلاق سراح الملك جى دى لوزينان صاحبه بطرس الى عكا حيث بقى معه كمستشار له حتى تولى جى حكم قبرص فى ١١٩٢م فعاد بطرس الى طرابلس وشغل منصب أسقفها تحت حكم بوهيمند الرابع لمدة أربع سنوات . ولما مات رادولف الثانى بطريق انطاكية ١١٩٣ - ١١٩٦م تولى بطرس منصب انطاكية . انظر :

Eracles, p. 187; Strehlke, no. 27, pp. 23-24. CF. also, Maslatrie, Les Patriarches Latin d'Antioche, p. 194.

Innocent III, Regesta, Vol. 214. (٢٧٨)
(٢٧٩) يعتبر التاريخ الذى ورد فى حوليات الارض المقدسة هو أدق تاريخ لوفاة بوهيمند الثالث وهو عام ١٢٠١م/٥٩٧هـ . ولما =

سياسته تجاه المسلمين بسلبية ملحوظة اعتمادا على الحماية البيزنطية على انطاكية ، والتي تأكدت في عهده مقترنة بسيادة الامبراطور البيزنطي على بوهيمند ومارته وكان لها أثرها في الحفاظ على اماره انطاكية امام المد الاسلامي في عهد نور الدين محمود . ولم يكن لها أي أثر في عهد خلفه صلاح الدين الايوبي الذي خطط للقضاء على الفرنج بصفة عامة . وبدأ صلاح الدين بتدعيم موقفه في بلاد الشام بعد تثبيت مركزه في مصر . واكتفى في هذه المرحلة بمراقبة انطاكية حيناً، ومهادنتها حيناً آخر لما له من سلبية بوهيمند الثالث وعدم خطورته على المسلمين بالرغم من القرص التي توفرت لديه لدعم مركز امارته في هذه الفتوة . وكانت جهود بوهيمند القليلة لاسترداد أملاك امارته التي استردها نور الدين محمود للمسلمين فاشلة وضارة بمصالح الصليبيين في بلاد الشام . وتميزت سياسته بمحاولة استغلال وجود الجيوش الصليبية ضد مسلمي الشام الامر الذي أضعف الصليبيين الذين عانوا من مشكلة الوراثة التي كثيرا ما شارك بوهيمند في اثارها حتى استطاع صلاح الدين أن يوحد كلمة المسلمين تحت لوائه ، ثم يوجه ضربته القاضية للصليبيين في حطين ، ثم يقضى على مملكة بيت المقدس ، ليوجه جهوده بعد ذلك شمالا ليمتد من اماره انطاكية كل ما تبقى لها من أملاك غربي نهر العاصي . وهكذا تقلصت حدود الامارة الصليبية ولم تعد تجاوز أسوار مدينة انطاكية نفسها . وفي الوقت الذي شغل المسلمون فيه بخلافاتهم بعد صلاح الدين انغمس بوهيمند الثالث في خلافاته مع الارمن الامر الذي أضاع فرصة خلفه بوهيمند الرابع في القيام باسترداد أملاك انطاكية في الوقت الذي أجبرت فيه الظروف بني أيوب على تجنب الصراع مع الفرنج . وهذا ما ستكشف عنه صفحات الفصل التالي .

= كان آخر مرسوم وثقه بوهيمند يرجع الى مارس ١٢٠٢م/جمادى ثان ٥٩٧هـ وإشارة ليو الارميني الى البابا انوسنت الثالث في خطابه تبين أنه في يوليو ١٢٠١م/شوال ٥٩٧هـ كان قد مر على اعتلاء بوهيمند الرابع العرش ثلاثة أشهر فلا بد وأن يكون بوهيمند الثالث قد مات في ابريل ١٢٠١م/رجب ٥٩٧هـ . انظر : Innocent III, Regesta, Vol. 214, Col. 1003, C.F. also, C Cahen - La Syrie Du Nord, p. 594-595, no 3; Rey, Histoire des princes d'Antioche, p. 386.

الفصل الثالث

امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين في فترة توازن القوى بين الصليبيين والمسلمين (١٢٠١ - ١٢٣٣م/٥٩٧ - ٦٣٠ هـ)

- ١ - امارة بوهيمند الرابع الاولى (١٢٠١ - ١٢١٦م/٥٩٧ - ٦١٣ هـ) :
 - الهدوء النسبي في الصراع بين افرنج انطاكية وجيرانهم المسلمين ،
أسبابه .
 - موقف الايوبيين في حلب من الحرب الاهلية في انطاكية (١٢٠١م/٥٩٧ هـ) .
 - التحالف بين بوهيمند الرابع والظاهر غازي صاحب حلب ضد
ليو الثاني الارمني .
 - (١٢٠١ - ١٢١٦م/٥٩٧ - ٦١٣ هـ) أسبابه ، وآثاره .
- ٢ - امارة ريموند روبين الارمني في انطاكية وأثرها على العلاقات بين
انطاكية والمسلمين (١٢١٦ - ١٢١٩م/٦١٣ - ٦١٦ هـ) .
- ٣ - امارة بوهيمند الرابع الثانية (١٢١٩ - ١٢٣٣م/٦١٦ - ٦٣٠ هـ) :
 - موقف بوهيمند من الحملة الصليبية الخامسة ، وأثره على علاقات
انطاكية بالمسلمين . (١٢١٩ - ١٢٢١م/٦١٦ - ٦١٨ هـ) .
 - سياسة بوهيمند الرابع تجاه كل من الارمن وسلاجقة الروم ،
وأثرها على علاقات انطاكية بمسلمي حلب (١٢٢١ - ١٢٢٧م/٦١٨ - ٦٢٤ هـ) .
 - موقف بوهيمند الرابع من الحملة الصليبية السادسة ، وأثره على
العلاقات بين انطاكية وجيرانها المسلمين حتى نهاية عهده .
 - (١٢٢٨ - ١٢٣٣م/٦٢٤ - ٦٣٠ هـ) .

لم يجد جاك دي فترى «Jacques de Vitry» ذلك الخطيب الصليبي المتحمس ، من طيب الكلام ما يقوله عن رعايا أبرشيته من افرنج الشرق الذين بدوا - في نظر أقرانهم الوافدين من غرب أوربا لنجدتهم - مخنثين يعطوهم وشعورهم المجددة ، ووجوههم التي تغطيها المساحيق ، ووسائل المعيشة المترفة التي يعيشونها في بلاد الشام (١) . فهم في نظره « جيل فاسد ، وأبناء خبثاء منحطون ، لم يرثوا صفات آبائهم ، بل ورثوا ثرواتهم التي بذلوا في سبيلها الدماء . أما أبناؤهم المسمون بولان «Pullani» (٢) فقد جبلوا على التخث وحياة الدعة . وأصبحوا معتادين على الحمامات أكثر من اعتيادهم على المعارك . وهكذا بددوا ما حققه آبائهم . فعقدوا المعاهدات مع المسلمين ، ويسرهم كثيرا أنهم في سلم معهم . ويتعجل الواحد منهم الدخول في نزاع مع الآخر . وكثيرا ما أهاب بالمسلمين لمساعدته ضد مسيحيين آخرين » (٣) . وفي الحقيقة ، فقد نجح جاك دي فترى في تحديد طبيعة العلاقات بين الصليبيين والمسلمين ، والتي واكبت الفترة منذ وفاة صلاح الدين وحتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي / منتصف القرن السابع الهجري . فلقد لعبت الحرب ضد

(١) بدأ جاك دي فترى نشاطه الصليبي بالتبشير للحملة اللاتينية ، ثم كرس جهوده لخدمة القضية الصليبية في بلاد الشام . وفي عام ١٢١٧م عين جاك أسقفا لمدينة عكا . ورافق قوات الحملة الصليبية الخامسة الى دمياط في عام ١٢١٨م . وفي عام ١٢٢٩م عين كاردينالا وأسقفا لكنيسة بيت المقدس ومندوبا للبابا جريجوري التاسع انظر :

A. Stewart, Preface to the Extract From Jacques de Vitry's Abbreviated History of Jerusalem, in P.P.T.S. Vol.11,p.IV

(٢) تطلق كلمة Pullani أو Poulains على الاطفال المولودين لأمهات أوروبيات وآباء مسيحيين أطلقها الصليبيون الوافدون الى بلاد الشام على هؤلاء تحقيرا لهم بسبب الفوارق الجنسية والدينية ومعناها « المولدين » وقد اشتقت من كلمة أبوليا Apulia اسم أحد أقاليم جنوب إيطاليا . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، الطبعة الرابعة ، الاسكندرية ١٩٨٤م ، ص ١٠٦ ، حاشية (٣) . راجع أيضا :

Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 68.

Jacques de Vitry, History of Jerusalem, ed. A. Stewart, in (٣) P.P.T.S., Vol. XI, pp 64-65

المسلمين دورا ثانويا في الحوليات الصليبية المتعلقة بهذه الفترة ، بالمقارنة مع الحروب الاهلية التي كثيرا ما شبت بين الصليبيين أنفسهم . ولم تحتل الحروب ضد المسلمين الصفحات المناسبة لها الا بحلول المد المملوكي (٤) . وكانت الحروب التي خربت المدن الصليبية في القرن ١٣م / ٧هـ بالدرجة الاولى حروبا تجارية . ولم يكن النضال ضد المسلمين ، ولكن الحرب بين البنادقة والجنوية ، هي التي أثرت كثيرا على حياة الفرنج في الشرق (٥) . واذا كان حق جاك دي فترى ينصب فقط على بنى جلدهم الذين فترت حماسهم الصليبية ، فانهم لم يكونوا وحدهم هم الذين تجنبوا القتال . فالمسلمون بأنفسهم شاركوهم هذه السياسة . فحلت الدبلوماسية مكان القوة المسلحة . واذا كان خلفاء صلاح الدين قد تركزت دوافعهم الى ذلك في النزاعات التي قامت بينهم ، وظل الحذر يشوب علاقاتهم ببعضهم البعض ، فلم يكن الامر بالنسبة للصليبيين بمثل هذه البساطة . فالحملة الصليبية الثالثة لم تحل أى من المشاكل الرئيسية للمجتمع الصليبي في الشرق الادنى . فهذا المجتمع اذا كان له أن يستمر في الوجود ، فلا بد له من توافر قوات أكبر من أى قوة كان في مقدور أوروبا أن تبعث بها الى بلاد الشام . وكانت المستعمرات الصليبية في فلسطين وشمال الشام في حاجة الى القيام بفتوحات لتضمن أمنها وسلامتها . وهذا يعنى مزيدا من الرجال للقيام بأعباء القتال والدفاع عن المراكز الامامية للامارات الصليبية ، وأيضا للقيام بأعباء الحكم فيها . وطالما لم توفر هذه الاحتياجات ، فان المستعمرات اللاتينية ستبقى غير مستقرة . الى جانب ذلك ، فقد كانت هناك عدة حقائق جعلت الفرنج يميلون الى العلاقات السلمية مع المسلمين وليس الى مزيد من الحروب ضدهم .

(٤) John L. La Monte, The Significance of The Crusaders' States in Medieval History, in B., Vol. 15, p. 308.

(٥) قدر روتلان عدد قتلى الفرنج في الحرب بين الجنوية والبنادقة في مدينة عكا في عام ١٢٥٧/١٢٥٨م بحوالى عشرين ألف رجل . بينما كان عدد قتلاهم في موقعة حطين حوالى خمسة عشر الفا . Rothelin, Continuation de Guillaum de Tyr de 1229 à 1261, dite du manuscrit de Rothelin, in R.H.C.Occ., Vol. 2, p. 635 Cf. also. Runciman A History of the Crusades, Vol. 2, App. 2, p. 490.

فالمناطق التي تم فتحها أيام الحملة الصليبية الاولى ومازالت في أيديهم في بداية القرن ١٣م/٧هـ ، لم تكن أراضي خصبة من الناحية الزراعية (٦) . كما أنها لم تتعد كونها شريطا ساحليا ضيقا ، اعتمد اقتصاده على التجارة مع المسلمين في المناطق الداخلية من بلاد الشام . ولما كانت هذه التجارة في أيدي الجاليات الايطالية المستقرة في المدن الصليبية ، ولما كانت هذه الجاليات ضد فكرة الحرب لضمان استمرار مصالحها في الشرق ، فقد شجعت على استمرار الوجود السلمي المشترك وسط الاهواء الدينية المتشابكة بين الصليبيين والمسلمين (٧) . وخضع حكام الامارات الصليبية لتأثير هذه الجاليات ، حتى لا يفقدوا ما كانوا يحققونه من فائدة من وراء النشاط التجاري الذي تقوم به في مدنها وموانئهم ، خاصة وان استرداد صلاح الدين لمعظم هذه الموانئ والمدن الساحلية قد حرم الفرنج من كثير من الاموال التي كانوا يحصلون عليها في شكل ضرائب او مكوس في هذه الموانئ (٨) . الى جانب ذلك ، فقد اضطر الصليبيون الى تخفيض قيمة الضرائب لجذب التجار الايطاليين الى موانئهم (٩) كي

(٦) J. Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 415.

(٧) James A. Brundage, The Crusades : A Documentary Survey, Wisconsin, 1976, pp. 189-190; Robert, Lopez, The Trade of Medieval Europe, The south, in C.E.H., Vol. 2, Cambridge, 1952, p. 310.

(٨) كان هناك نوعان رئيسيان من الضرائب المقررة على السفن التي كانت ترسو في الموانئ الصليبية . الاول ويعرف «بضريبة الثلث» «Terciarian» وهي تجبي على الحجاج والبحارة الذين تقلهم هذه السفن ، وتقدر بثلث قيمة رسوم النقل لكل منهم . والثاني ويعرف «بضريبة الرسو» «Anchoragia» هذا الى جانب الضرائب المقررة على السلع نفسها والتي تقدر حسب قيمة السلعة نفسها . الى جانب الضرائب المجبأة على مرور السلع من بوابات المدن الصليبية الى المناطق الداخلية من بلاد الشام . ومما يذكر أنه في عام ١١٩٦م منح بوهيمند الثالث جماعة الاسبتارية بوابة في أسوار طرابلس ، على ان يقوموا بجباية الضرائب على كل أنواع البضائع التي تمر من خلالها . انظر : Rohricht, Regesta, no. 731, p. 195; J. Prawer, The Latin Kingdom, pp. 403-404, J. Riley-Smith, The Feudal Nobility, pp. 89- 89-95.

(٩) كان البنادقة يدفعون ٥٪ من قيمة الاقمشة الحريرية والكتانية ، =

تنتعش اقتصادياتهم ، بعد أن استحوذت مصر على الجزء الأكبر من حجم التجارة في شرقى البحر الابيض المتوسط (١٠) بالرغم من جهود البابوية لحصارها اقتصاديا بتحريم التجارة معها (١١) وفشلها عسكريا ، بعد أن

= و٧٪ من قيمة البضائع الأخرى كضريبة . وخفضت هذه الضريبة في عام ١١٥٣م الى ٤٪ و ٥٪ . وفي عام ١١٥٤م دفع البيزاوية نصف قيمة الضرائب المقررة على دخول وخروج البضائع في انطاكية . ولكنهم تمتعوا باعفاء كامل من كل هذه الضرائب عام ١١٨٧م . كما تمتع الجنوية في انطاكية وطرابلس بنفس الاعفاء في عام ١١٩٠م . وفي عام ١٢٠٠م خفض بوهيمند الرابع ضرائب الثلث للبيزاوية الى النصف . كما أعفى الجنوية في طرابلس من هذه الضريبة . انظر :

Tafel-Thomas, Vol. 1, no. 55, pp. 133-135; Rohricht, Regesta, nos., 292, 662, 695, r69, pp. 74, 176; 185; 205.

(١٠) بالمقارنة مع مصر وبيزنطة ، كانت الامارات الصليبية متواضعة من الناحية التجارية خاصة في النصف الثاني من القرن ١٢م/٦هـ . ولعل مصر هي الاكثر تفوقا في هذا الميدان . فبعض السلع الموجودة في سوريا اللاتينية كان يفضل شراؤها من مصر لرخص أسعارها ، كما أن بعض السلع لم تكن تتوفر الا في مصر كالكتان والشب النقى . كما أن موقف أباطرة بيزنطة بدءا من مانويل كومنين من التجار البنادقة ، وما تم من اعتداءات قام بها سكان القسطنطينية ضدهم في أعوام ١١٧١م و ١١٨٢م جعل البنادقة يتجهون الى مصر بحثا عن مكان بديل لنشاطهم التجارى مما زاد من تجارة مصر بعد عام ١١٨٤م . ويمكن التأكد من تفوق مصر في هذا الميدان يتتبع الارقام التى وردت في سجلات موثق العقود الجنوى جوفانى سكريبيا «Giovanni Scriba» والخاصة باتفاقيات جنوا التجارية مع بلدان الشرق الادنى . فمن بين ١١٢ اتفاقية نجد ٥٨ اتفاقية منها تخص الاسكندرية ، بينما يخص سوريا الفرنجية ٣٤ اتفاقية ويخص بيزنطة ٢٠ اتفاقية وبذلك يكون عدد الرحلات التجارية الى مصر ضعف عددها الى الامارات الصليبية . انظر :

E.H. Byrne, Genoese Trade With Syria, in A.H.R., Vol 25, p. 202; Cahen, Notes Sur L'Histoire des Groisades, III, in B.F.L.S., no. 8, 1951, p 332; R:S:L: Lopez, The Trade in Medieval Europe, the South, in C.E.H., Vol. 2, p. 310,

(١١) عقد البابا انوسنت الثالث (١١٩٨ - ١٢١٦) مجلس اللاتيران الرابع في نوفمبر ١٢١٥م في مدينة روما لاعلان قيام الحملة الصليبية الخامسة . ومن القرارات التى اتخذها المجلس قرارا =

انحرفت الحملة الصليبية الرابعة الى القسطنطينية بدلا من التوجه الى مصر ، وبذلك حرمت الإمارات الصليبية من النجيدات التي كانت في أمس الحاجة اليها (١٢) . وهكذا اضطر الصليبيون في بلاد الشام الى تجنب القتال ضد المسلمين ، حتى تتمكن أوروبا من ارسال القوالم الكافية للقيام بذلك . وحتى يتم هذا ، قاموا بتجديد الهدنة التي عقدها ريتشارد مع صلاح الدين في عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ ، عدة مرات (١٣) حتى يتفرغوا لما دب بينهم من خلافات كان أشدها تلك التي كانت بين اماره انطاكية والارمن ، والتي شغلت صليبي الشام والارمن وحتى البابوية نفسها . ولحسن حظهم جميعا أن مال المسلمون الى ذلك فقد كان لديهم أيضا ما يشغلهم عن قتال الفرنج من الخلافات المستمرة . لذلك كله اتسم تاريخ العلاقات السياسية بين اماره انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين خلال النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري بسمتين : الاولى وهى عدم حدوث صراع بين الطرفين . والثانية وهى الصراعات

بتحريم الاتجار مع مصر ، وجاء على لسان البابا « نحن نحرم ونلعن أولئك الافاقين وعديمى التقوى من المسيحيين الذين ينقلون الاسلحة والحديد والخشب الخاص ببناء السفن الى بلاد المسلمين ، وأيضا نحرم أولئك الذين يبيعون لهم السفن ، وأولئك الذين يقدمون لهم المساعدات الفنية والآلات وأى شئ آخر مما يضر بالاراضى المقدسة ونحن نأمر ونمنع كل المسيحيين من أن يرسلوا سفنهم أو يتجهوا الى بلاد المسلمين الذين يعيشون في الشرق لمدة أربع سنوات وبذلك يحرم المسلمون من المساعدة التي يحصلون عليها » ومن الواضح أن هذا القرار كان يخص البيزاوية الذين كانوا يمدون صلاح الدين بأدوات بناء السفن والمعدات الحربية . وأيضا بقية المدن التجارية الايطالية التي لم تستغن عن سلع مصر أو سلع الشرق الاقصى التي تصل الى مصر . والذين لم يراعوا أبدا تعليمات البابوية . انظر : J.A. Brundage, The Crusades p. 217; C.J. Hefele, Histoire des Conciles, ed. H. Leclercq, t. 5, Paris, 1913, pp. 1722 ff. S. Runciman, The Eastern Schism, A study of the Papacy and (١٢) The Eastern Churches During the XI th and XII th Century, Oxford, 1955, p. 147; H. Gregoire, The Question of The diversion of the Fourth Crusade, in B; Vol. XV; pp. 158-160.

Cahen La Syrie de Nurd, p. 579.

(١٣)

المستمرة مع الارمن . وليس معنى ذلك أن الحديث سينقطع عن علاقات انطاكية والمسلمين . بل ان الصراع بين بوهيمند الرابع والارمن كان من الاسباب التي قربت بين الاول ومسلمى حلب لفترة ليست بالقصيرة . وكان بوهيمند الرابع بالفعل في حاجة الى التعضيد من أى قوى كانت ، بعد أن تقطعت به الاسباب ، ويأس من وصول النجدات من أوروبا شأنه في ذلك شأن بقية الفرنج . فقد تغيرت استراتيجية الحروب الصليبية في القرن ١٣م / ٧هـ عما كانت عليه في القرن السابق . فبينما كانت الاهداف الفكرية والعسكرية للحملة الصليبية الاولى تتركز في الوصول الى بيت المقدس وأخذها من المسلمين ، فقد كانت عكا - كما حدث في الحملة الصليبية الثالثة - هي الهدف العسكرى ، وكان لها كميناء تجارى هام الاولوية على المركز الدينى للمسيحية . فأصبحت مدينة بيت المقدس بالنسبة لحملات القرن ١٣م / ٧هـ هدفا اصطلاحيا فقط . ووجهت الحملات كلها لفتح مصر ، وفشلت كلها أيضا في تحقيق ذلك . والذي حققته احداها من انجاز اما أنه لم يكن على حساب المسلمين ، أو أنه تسبب في بث الخلافات بين صفوف الصليبيين في بلاد الشام (١٤) . فالحملة الصليبية الرابعة بدلا من التوجه الى مصر كما خططت لها البابوية ، انحرفت الى القسطنطينية واستولت عليها لتحقيق النتيجة الحتمية للانشقاق بين شطرى العالم المسيحى . بعد أن اعتبرها البابا أنوسنت الثالث - ان لم يعتبرها جزاءا لكنيسة القسطنطينية على عصيانها لكنيسة روما - مجرد أمر واقع أو شيء قد تم *Fait Accompli* (١٥) ، كان على الامارات الصليبية في بلاد الشام أن تنتظر حتى تبعث أوروبا بحملة أخرى الى

J.L. La Monte, From Crusader Kingdom to Commercial Colony (١٤)
p. 291.

(١٥) تغير كل شيء يخص هذه الحملة بدءا من قيادتها الى هدفها . فقد تبنى فكرتها في ١٩١٩م تيبالد كونت شامبانيا الذى مات في ١٢٠١م ليحصل محله بونيفاس دى مونتفيرات . وكذلك مات مبشرها الاول بطرس كانتور رئيس أساقفة باريس في ١١٩٧ ليحل محله فولك أوف نويلي Fulk of Neuilly المصلح الدينى . ثم رفض الجنوية نقل الصليبيين بسفنهم من أوروبا ليحل محلهم في ذلك البنادقة . وكان هدف الحملة هو مصر ، الا أنها توجهت الى بيزنطة لتستولى على القسطنطينية وتؤسس فيها الامبراطورية اللاتينية (١٢٠٤ - ١٢٦١) . ويرى المؤرخ =

.....
.....
الصليبى أرنول أن الملك العادل قد دفع رشوة للبنادقة كي يبعدوا الحملة عن مصر ، بينما يرى جود فرى أوف فيلها رودين ، أحد المشاركين في الحملة ومؤرخها الاول والذي كان على رأس الوفد الذىفاوض البنادقة بشأن نقل القوات الى مصر أن البنادقة هم الذين دفعوا بالحملة الى بيزنطة ، متفقا في ذلك مع روبرت دى كلارى المؤرخ الثانى للحملة والمشارك فيها أيضا . كل ذلك دفع بالمؤرخين المحدثين الى اتهام البنادقة بتحويل مسار الحملة من مصر الى بيزنطة . الا أنه في الحقيقة ، فان كل قادة الحملة - وليس البنادقة فقط - كان لكل منهم دوافعه للاتجاه الى بيزنطة فيونيفاس مونتفيرات ذهب لينتقم لموت أخيه رينيه مونتفيرات زوج ماريا ابنة الامبراطور مانويل كومنين ، والذي قتل في الاحداث التى تلت تولى أندرونيقوس كومنين عرش بيزنطة بعد موت مانويل وذلك في عام ١١٨٣م . كما كان لفيليب دوق سوابيا دوره أيضا . فهو يكره أباطرة بيزنطة ، وكان زوجا لآيرينا ابنة اسحق انجيلوس وشقيقة الكسيوس الذى قدمه فيليب الى قادة الحملة لمساعدته على استرداد عرش أبيه من عمه الكسيس الثالث . كما كان للبنادقة أطماعهم في بيزنطة ، ولم ينسوا الامتيازات التى تمتعوا بها منذ أيام الامبراطور الكسيس كومنين في القسطنطينية ، ولم ينسوا أيضا ما عاناه تجارهم من اضطهاد فى العاصمة البيزنطية فى أعوام ١١٧١م و ١١٨٢م أيام مانويل وأندرونيقوس ، ويبغون الانتقام بالاستيلاء على القسطنطينية التى لم يصدقوا عندما رأوها أن « هناك مدينة فى العالم بهذا الوصف » على حد قول فيلها رديون . وهكذا تضافرت جهود غرب أوربا لتحويل مسار الحملة الرابعة الى بيزنطة وليس الى مصر . وعن الحملة وأحداثها والآراء التى ظهرت حولها . انظر :

Geofrey of Villehardouin, The Chronicle of the Fourth Crusade, trans. by F. Marzials, London, 1908, pp. 1 ff, 11 ff., 29 47; Robert of Clary, The conquest of Constantinople, trans. by E.H. McNeel, New York, 1966, pp. 34 ff, 57 ff, 67, 79 ff; Nicetas Coniates, pp. 736, 824, 854-855; Chronica Regia Coloniensis, in M.G.H. in Ussum Scholarum, pp. 157, 202-208; Ernoul, pp. 374-376. Cf. also, Vasilieve, Foundation of the Empire of Trabazon, in Speculum, Vol. 11, pp. 3 ff; Ostrogorsky, pp. 361-362; Luchier, Innocent 111 : La question d'Orient, Paris, 1907, p. 97; R. Lee Wolf, Baldwin of Flanders and Hainaut. First Latin Empror of constantinople, in Speculum, Vol. 27, pp. 281-

الشرق . واستغرق هذا ما يقرب من خمسة عشر عاما ، كان على الصليبيين خلالها أن يعتمدوا على مواردهم الخاصة ، وأن يرحبوا دائما بعقد الهدن مع المسلمين - الذين كان يرقب كل منهم الآخر في غيرة وحسد وخوف - ان لم يجدوا فيهم حلفاء لساندتهم ولو ضد اخوانهم من المسيحيين الآخرين . وكان هذا حال اماره انطاكية بصفة خاصة ، التي بحث أميرها بوهيمند الرابع عن حليف يسانده ضد مطامع الارمن في بلاده ، ولم يجد سوى الملك الظاهر صاحب حلب ليقوم بهذا الدور .

في الحقيقة كانت كل الظروف في شمال الشام تحتم وقوع الصدام بين بوهيمند الرابع وليو الاول الارميني . وكان لدى كل منهما ما يجعله يرى الآخر عدوه اللدود . فبالنسبة لبوهيمند ، فقد كان ابنا لبوهيمند الثالث من زوجته أورجيليوس وليس من سبيلا التي كانت تميل الى ليو لمساعدتها في الاستئثار بعرش انطاكية لابنائها هي . وبالتالي لم ينس بوهيمند الرابع ان ليو قام باعتقال أبيه بمساعدتها في ١١٩٣م/٥٨٩هـ (١٦) . وفي الوقت الذي بعث بوهيمند الثالث في ١١٨٧م/٥٨٣هـ بابنه بوهيمند الرابع الى طرابلس ليصبح كونتا لها بعد موت ريموند الثالث كونت تولوز ، عقد النية على أن يحكم ابنه الأكبر ريموند انطاكية من بعده (١٧) . وفي ١١٩٥م/٥٩١هـ تزوج ريموند هذا من الاميرة أليس ابنة روبين شقيق الاول . ومات

282; Charles M. Brand, A Byzantine Plan for the Fourth Crusade, in Speculum, Vol. 43, pp. 455; Joseph Gill, Franks, Venetians and Pope Innocent III, in S.V., 1970, pp. 87-88; T.S.R. Boas, Kingdoms and Strongholds of the Crusaders, London, 1971, p. 142; M.R. Gutsch, A twelfth century Preacher, Fulk of Neuilly, in Crusades and other Historical Essays Presented to Dana Munro, ed. L.J. Pachtow, York, 1928, pp. 183-186.

(١٦) انظر ما سبق من الفصل الثاني ص ٢٣٧ .
(١٧) عندما طلب ريموند كونت طرابلس من بوهيمند الثالث أن يبعث اليه بابنه ريموند كي يتسلم طرابلس لأن الكونت شعر يدنو أجله بعث اليه بوهيمند الثالث بأن ابنه ريموند سيحكم انطاكية وأنه يرسل اليه ابنه الاصغر بوهيمند الذي لديه من الشجاعة ما يجعله أهلا للحفاظ على طرابلس . انظر : Eracles, pp. 71-72.

ريموند مجنونا في ١١٩٧م/٥٩٣هـ تاركا زوجته حبلى في طفل وضعته بعد موت أبيه بفترة قصيرة (١٨) . واتخذ بوهيمند كونت طرابلس في حياة أبيه لقب أمير انطاكية في عام ١١٩٩م/٥٩٥هـ بمساعدة البيزاوية (١٩) مما أثار مخاوف ليو الاول الذي كان بوهيمند نفسه يرى خطره يزداد على امارته . فليو قام بالاستيلاء على حصن بغراس في عام ١١٩١م/٥٨٧هـ (٢٠) وأصبح يطل على مشارف انطاكية نفسها . كما أنه بحصوله على لقب ملك بتأييد من الامبراطور هنري السادس الالماني في عام ١١٩٧م/٥٩٣هـ (٢١) ، أصبح ندا للامراء اللاتين في شمال الشام . ولم ينس بوهيمند الرابع مطامع ليو في انطاكية ومطالبه بها حين أسر والده في ١١٩٣م/٥٨٩هـ . لذا فعندما مات بوهيمند الثالث في ابريل ١٢٠١/ رجب ٥٩٧هـ ، كانت الاميرة آليس وابنها ريموند روبين في أرمينيا حيث قام ليو بالوصاية على الطفل وتربيته . وسارع البارونات في انطاكية والذين كانوا يخشون المطامع الارمينية في اماراتهم ويحرصون على بقائها لاتينية ، سارعوا باستدعاء كونت طرابلس الذي وصل في يوم جنازة أبيه « واستدعى قومون انطاكية ، وكل النبلاء والفرسان وطلب أن يعترف به حيث أنه كان الوريث الشرعي للامارة التي مات أبوه من أجلها فاعترفوا به وأقاموه سييدا وأميرا عليهم » (٢٢) . وبتلقى كونت طرابلس يمين الولاء من القومون لم تعد هناك قيمة لحق ريموند روبين الذي لم يتسلم ميراثه من قبل . وكان ليو في طريقه الى انطاكية ، وعندما علم بما تم فيها عاد أدراجه الى قيليقية ليلحق به بعد ذلك النبلاء المواليين له من لاتين انطاكية الذين كانوا قد أقسموا يمين الولاء لريموند روبين من قبل ، والذين كان عليهم بعد ذلك أن يحاربوا في صفوف الارمن ضد بوهيمند الرابع (٢٣) . واذا كان للخلاف أن يقتصر على كونه بين بوهيمند وليو ،

Continuation de Guilluam de Tyre, pp. 167, 169, 177; Sempad, (١٨) p. 632.

- (١٩) انظر ما سبق من الفصل الثاني ، ص ٢٤٣ .
Bar Hebraeus, p. 336; Eracles, p. 136; Vahram d'édessé, (٢٠)
Chronique rimée, in R.H.C.-Doc. Arm, Vol. 1, p, 512,
Sempad, p. 633; Vartan, L'Histoire Universelle, in R.H.C.- (٢١)
Doc Arm., Vol. 1, p. 443.
Erades, p. 313; Sempad, p. 632. (٢٢)
(٢٣) يمدنا المؤرخ سمباد بأسماء كثيرة من بارونات انطاكية اللاتين =

فقد كان منا لممكن حسمه بمعركة أو تصالح يتلوه تنازل معين من أحد الطرفين للآخر كما كان يحدث من قبل بين بوهيمند الثالث وروبين شقيق ليو (٢٤) . إلا أن هذا الخلاف قد جذب الكثيرين من ذوى المصالح في شمال الشام ، أخذ بعضهم جانب بوهيمند الرابع ، بينما ساند البعض الآخر ليو الثانى مما أدى الى تصاعد المشكلة واستحواذها على اهتمام الدليبيين والارمن والبابوية وحتى المسلمين ، الامر الذى جعل وضع حد لهذا الخلاف يستغرق أكثر من خمسة عشر عاما . وتتبع تطورات هذا الخلاف يلقي الضوء على طبيعة العلاقات السياسية بين امارة انطاكية وجيرانها المسلمين خلال هذه الفترة ، الامر الذى يتطلب عرض الامر بشيء من التفصيل . فعندما تولى بوهيمند الرابع السلطة فى ١٢٠١م/٥٩٧هـ كان يؤيده قومون انطاكية الذى كان من الطبيعى أن يقف أعضاءه من اللاتين ضد أطماع الارمن فى امارتهم (٢٥) . ثم كان هناك فرسان الداوية الذين استولى ليو على قلعة بغراس أهم أملاكهم فى شمال الشام (٢٦) ، ثم جماعة الاسبتارية (٢٧) وأخيرا عرف بوهيمند الرابع كيف يستفيد من تأييد الملك الظاهر صاحب حلب ، الذى لم يتخل عنه لمدة تقرب من خمسة عشر عاما . ويتساءل المؤرخ الفرنسى « كلود كاهن » ما اذا كان بوهيمند يدفع

= الذين انجازوا لصف ريموند وبقوا فى أرمينيا حتى استولى الارمن على انطاكية فى ١٢١٦م وعادوا معهم اليها . ومن هؤلاء أوليفر «Olivier» الحاجب وروجردى مونت Roger de Monte كندسطل انطاكية ، وغيرها من الاسماء التى تظهر فى وثائق ليو وريموند روبين كمنح للاسبتارية فى ١٢١٠م ، مثل روبرت مانسل وآدم حاكم بغراس اللاتينى وايشفارد السرمينى شقيق أشارى السرمينى حارس انطاكية (قيم الخدم) لدى بوهيمند الرابع والذى سيفتح أبواب المدينة للارمن فى ١٢١٦م . انظر : Sempad, p. 639; Rohricht, Regesta, no-843; p. 225.

(٢٤) انظر ما سبق من الفصل الثانى ، ص ٢٠٢ .
Rey, Histoire des Princes d'Antioche, p. 392.

(٢٥)
J. Riley-Smith, Templars and Teutonic knights in Cilician Armenia, in The Cilician Kingdom of Armenia, ed. T.S.R. Boas, London, 1978, p. 102.

(٢٧) منح بوهيمند للاسبتارية ملكية حصن مرقلية بالقرب من حصن المرقب نظير خدمات تؤديها الجماعة له . انظر :
J. Riley-Smith, The Knights of St. John p. 152, n. 2.

للظاهر ثمنا لحمايته وتأييده لانطاكية ضد الارمن . ويصل كاهن الى أن
أحدا لم يستطع التأكد من ذلك (٢٨) . إلا أنه من الممكن الرد على هذا
التساؤل بالتمعن في ظروف شمال الشام في ذلك الوقت . فلقد كان من
الواضح للجميع مدى هلموح ليو الأرميني منذ استولى على قلعة بغراس
في ١١٩٠م/٥٨٦هـ ، وأصبح يشكل بذلك خطرا على المسلمين ولاتين
انطاكية على السواء . وكان من الطبيعي أن يهدف الظاهر الى أن يظل
الملك الأرميني بعيدا عن انطاكية ، والا ازداد خطره على حلب باستيلائه
على الأمانة الصليبية . وكان من الطبيعي أيضا أن يرعى الظاهر مصالح
الأمير بوهيمند الذي كان في مكانه أن يسبب الاضطراب ويثير المتاعب -
من طرابلس - لآي من الأمراء المسلمين في حمص و دمشق اذا ما انقلب
أحدهم ضد الظاهر (٢٩) . وبالنسبة لبوهيمند فيكفيه أنه في مكان الظاهر
أن يره خطر الارمن . وبذلك كان التعاون المشترك بين الظاهر وبوهيمند
الرابع ضرورة أملت ظروف كليهما ومصالحهما المشتركة . وبذلك لم يكن
الامر يحتاج الى أن يدفع بوهيمند للظاهر ثمن تحالفه معه كما يتساءل
كاهن . وفي الحقيقة فقد عرض كاهن أغلب هذه الحقائق إلا أنه لم يقدم
الاستنتاج الأخير ، ربما لاصراره على التوقف على دليل مادي يؤكد أو
ينفي ما اذا كان هناك ثمنا تقاضاه صاحب حلب من أمير انطاكية ليكون
سفده ضد الارمن . ويبدو أن المؤرخ الفرنسي قد نظر في تحليله لهذا
الموقف ، بين ملك حلب وأمير انطاكية ، الى رد فعل الملك الظاهر ، فقط
عند ظهور الخطر الأرميني ضد انطاكية . لذا لم ير كلود كاهن في الامر
سوى نجدة الظاهر لبوهيمند ، وبالتالي حدد كاهن العلاقة بحاجة اللاتين
في انطاكية الى نجدة مسلمي حلب ، ولم ير أن كليهما كان في حاجة الى
الأخر . ودليلنا على ذلك أنه منذ تولى الظاهر الحكم في حلب وحتى عام
١٢١٦م/٦١٣هـ لم يحدث بين انطاكية وحلب ما يعكر صفو العلاقات
بينهما سوى احتكاك بسيط بين رعايا حلب من قبائل التركمان وأتباع
بوهيمند في اقليم العمق لم ينتج عنه شيء بالمرّة ، وانتهى الامر بالمصالحة

Cahen, La Syrie du Nord, p. 593.

(٢٨)

(٢٩) لم تستقر الامور بين أفراد البيت الايوبى بعد موت صلاح الدين .
ويكفى أن سبب مجيء الحملة السادسة الى الشرق هو الخلاف
بين هؤلاء . انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

بين الطرفين وذلك في نهاية ١١٩٨م/بداية ٥٩٥هـ (٣٠) . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فعند عودة بوهيمند الثالث الى انطاكية بعد أن قابل قادة الحملة الالمانية التي استولت على بيروت في عام ١١٩٧م/٥٩٣هـ ولم يستطع أن ينال منهم أية مساعدة (٣١) ، فقد وصل بحرا الى قبالة حصن المرقب ، ذلك في الوقت الذي توقع فيه الظاهر أن يأتي بوهيمند بمساعدة الالمان للاستيلاء على اللاذقية وجبله بناء على ما أعلمه به رسل الملك العادل ، فأمر بهدم حصن جبلة واللاذقية (٣٢) . وإذا كان بوهيمند ، بعد أن تيقن من عدم مساعدة الالمان له ، قد أقلع عن محاولة الاستيلاء على هذين الحصنين ، فكان له أن يتوجه الى ميناء السويدية ومنه الى انطاكية مباشرة . الا أنه توقف قبالة حصن المرقب « وطلب غرس الدين وابن طمان (٣٣) فوصلا اليه وكلماه على جانب البحر ، فأشار عليهما بأن لا تهدم اللاذقية ، وأخبرهما أن الفرنج فتحوا صيدا وبيروت ، وعادوا الى صور ، فسير وأعلموا السلطان وهو بربحا (٣٤) فأمر

(٣٠) لم يذكر احتكاك التركمان بالفرنج سوى ابن العديم وارنول . والمح اليه البابا انوسنت الثالث في خطابه الى بطريرك بيت المقدس وأسقف عكا ورئيس أساقفة صور في ١٨ يناير ١١٩٩م/١٨ ربيع أول ٥٩٥هـ ، وهو التاريخ الذي يضعه كلود كاهن خطأ للتصادم بين الطرفين . فليس المقبول أن تصل الانباء عن ذلك الى البابا في روما ثم يتحدث هو عنها في خطابه الآتي الى الشرق في نفس وقت حدوث الاحتكاك . فإذا كان خطاب البابا قد وثق في ١٨ يناير ١١٩٩م/١٨ ربيع أول ٥٩٥هـ ، فلا بد أن الواقعة قد حدثت قبل ذلك بشهرين على الأقل حتى تصل أنباؤها الى ايطاليا ثم تعود في خطاب البابا . كما أنه لم يذكر التصالح بين الطرفين سوى ابن العديم . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ . راجع أيضا :

Ernoul, p. 322; Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 214, Col.816

- (٣١) انظر ما سبق من الفصل الثاني ، ص ٢٤٢ .
 (٣٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٤٠ - ١٤١ .
 (٣٣) غرس الدين قلج النوري كان من أمراء الملك الظاهر ، وكان صلاح الدين قد منحه قلاع الشجر وبكاس وشقيف دركوش ، ومات غرس الدين في عام ٥٩٤هـ ، وحسام الدين عثمان بن طمان أحد أمراء الظاهر في حلب ، انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٨١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٤١ .
 (٣٤) « ربحا » بلدة بنواحي حلب : انظر : ابن العديم زبدة الحلب . ج ٣ ، ص ١٤١ . حاشية (١) .

ببناء ما استهدم منها» (٣٥) ومن هذا النص يفهم أن بوهيمند قد سعى لمقابلة نواب الظاهر . وأفادهما ببعض المعلومات عن الصليبيين الالمان وطمانئهما على أنه لا ينوى أخذ اللاذقية وجبله (٣٦) . ويبدو أنه قد تم الاتفاق بينه وبين نواب الظاهر على التحالف ، ربما لأن بوهيمند الثالث قد يأس من الصليبيين في جنوب الشام ، ومن المعلوم أن بوهيمند الرابع أبقى على اتفاقيات أبيه مع كل الطوائف حتى مع المسلمين . وربما وجد انه من الاوفق له أن يستمر في اتفاق أبيه مع الصليبيين . ويؤكد ذلك أن الظاهر نفسه قد طلب من أمير انطاكية أن يمدّه بعشرة آلاف راجل من مشاته لمساعدته في الهجوم على ليو وذلك في عام ١٢٠٦م / ٦٠٢هـ (٣٧) . وبذلك يمكن أن نقرر بأن تأييد الملك انظار لبوهيمند الرابع في صراع الاخير ضد ليو الثاني الارميني لم يكن الا تنفيذا لاتفاقيات تعاون مشترك بينهما ، ولم تكن المساعدة من طرف واحد فقط (من الظاهر صاحب حلب) نظير مبلغ من المال . ومهما يكن من أمر ، فقد بدأ بوهيمند الرابع حكمه لانطاكية مستندا في ذلك الى تأييد قومون المدينة والبيزاوية ، وجماعتي الداوية والاسبتارية وأيضا الملك الظاهر صاحب حلب . بينما كان ليو يستند الى تأييد بطريرك انطاكية اللاتيني بطرس أنجوليم (٣٨) ،

(٣٥) - ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٤١ .

(٣٦) قام الظاهر بتعمير اللاذقية عام ١١٩٨م / ٥٩٤هـ وعمر ضياعها :

ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٤١ .

(٣٧) من بين المؤرخين المسلمين والصليبيين انفراد ابن واصل بذكر طلب الظاهر

لجند انطاكية : انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ،

ص ٧١٠ - ١٧١ .

(٣٨) كان بطرس أنجوليم ذا خبرة في الامور السياسية ولكن تعليمات

البابا انوسنت الثالث قيده ، ولم يستطع البطريرك أن يصل

الى اتفاق مع قومون انطاكية بعد أن أمره البابا أن يبعد الكنيسة

عن هذا الصراع . وسبب ذلك العدواة بين البطريرك وأعضاء

القومون ، وكان لذلك يؤيد مطالب ليو الارميني لأن البابا أبدى

رغبته في الحفاظ على الاتحاد ، وهذا أثار العدواة بين البطريرك

وبين جماعة الداوية أيضا . وكان البطريرك يتزعم الفريق

المعارض لبوهيمند الرابع دون أن يظهر ذلك . ولم يبدأ بطرس

في التحرك ضد بوهيمند الا في عام ١٢٠٦م . انظر :

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 241, Col. 474, Vol. 215,

Col. 698; Mas Latrie, Les Patriarches Latins d'Antioche,

in R.O.L., p. 195.

ثم الى علاقاته الطيبة بالبابوية (٣٩) مع أمله في اجتذاب القوى الموجودة في بلاد الشام الى جانبه متى استطاع ذلك (٤٠) .

بدأ الصراع حول انطاكية في نفس اللحظة التي اعتلى فيها بوهيمند الرابع هرقس الامارة . فقد رأى ليو أن الانتظار معناه أن خصمه سيتمكن من تعزيز مركزه ، فأسرع على رأس قواته وعسكر أمام أسوار انطاكية الشمالية . ولما لم يجد أنه في مقدوره عمل شيء ، عاد الى قيليقية (٤١) . وهذا الصراع حول انطاكية لمدة عام آخر لهدوء ليو واطمئنانه الى أن المشكلة ستحل لصالحه ، فقد كان هذا ما استشعره الملك

(٣٩) عندما توج ليو الثاني ملكا في ١١٩٧م بواسطة كونراد أسقف هيند سهايم وكونراد أسقف ماينز مندوبى هنرى السادس الامبراطور الالماني والبابا لوسيوس الثالث استطاع ليو أن يحصل على خضوع الكنيسة الارمينية لكنيسة روما وضمها لها . كما بعث الى البابا انوسنت الثالث في ١١٩٩م طالب بالمساعدة ضد المسلمين ، وأيضا للحصول على حقوق ريموند روبين في انطاكية ، ورد عليه البابا ردا مطمئنا طالما أن كنيسة أرمينيا تتبع كنيسة روما وتعاليمها بالنسبة لبعض الطقوس الدينية ، كما أرسل اليه البابا احدى رايات القديس بطرس . انظر :

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 214, Cols. 775-780, 810-815, 819-820; Kirakos de Gantzac, Histoire d'Arménie, in R. R.H. C. Doc.-Arm, Vol I, pp 422-423; Sempad, pp. 633-635. C.F. also, Riley-Smith, Templars and Teutonic Knights, p. 101.

(٤٠) استطاع ليو أن يحصل على تأييد جماعتي الاسبتارية والتوتون فيما بعد . انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٨ .

(٤١) لم تذكر المصادر الاسلامية هذه الواقعة ، كما لم تذكرها المصادر الارمينية وكل ما ورد عنها جاء في تاريخ هرقس وخطاب ليو الى البابا انوسنت الثالث أول أكتوبر ١٢٠١م ، والذي يزعم فيه ليو أن بوهيمند قد استجد بانك الظاهر صاحب حلب وأيضا بركن الدين سليمان سلطان السلاجقة الذي اعتقل ليو رسل بوهيمند اليه ، وأن ليو انسحب كي لا يقع صراع بين المسيحيين . وواضح أن ليو يثير البابا ضد بوهيمند لتحالف الاخير مع المسلمين وفي الحقيقة لم يكن الظاهر قد أمد بوهيمند بأية مساعدة في هذه المناسبة لانشغاله مع أخيه الافضل في خلافتهما مع الملك العادل حول دمشق في ذلك الوقت . انظر :

Innocent III, Regesta; in P.L., Vol; 214, Col. 1003; Eracles, p. 313.

الارمينى من رد البابا على رسالتيه السابقتين (٤٢) وبدا أن ذلك ممكنا بوصول المندوب البابوى الكاردينال « سوفريد دى سان براسيدس » « Soffred de St. Praxedis » الى عكا فى خريف ١٢٠٢م/٥٩٩هـ ، الذى بعث فى ١١ نوفمبر ١٢٠٢م/٢٤ هـفر - ٥٩٩هـ ، برسالة الى بوهيمند وقومون انطاكية طلبا لترتيب رحلته البحرية الى انطاكية ، ولما لم يتلق أى رد من هؤلاء أبحر بنفسه الى انطاكية ، حيث اجتمع ببوهيمند فى ٢ فبراير ١٢٠٣م/١٧ جمادى ول ٥٩٩هـ ، ولم يصل معه الى حل للمشكلة التى رفض بوهيمند أن يتفاوض بشأنها بالرغم من قبوله توسط سوفريد لحل مشكلة الامير مع الاسبتارية فى حصن الاكراد المتعلقة بالضرائب التى زعم بوهيمند أنه لم يتسلمها من الجماعة ، وانتهى الامر بأن أصدر المندوب البابوى قرارا بالحرمان ضد بوهيمند الرابع ، الامر الذى جعل الاخير يتشدد فى موقفه تجاه خلافاته مع الارمن (٤٣) وفى نهاية ١٢٠٢م/ربيع ثان ٥٩٩هـ استأنف ليو اعتدائه على أملاك بوهيمند . فقام بغارة على اقليم العمق حتى وصل الى جسر الحديد . ويبدو أنه قد قام بهذه الغارة قبل وصول المندوب البابوى الى انطاكية ، والا كان الاخير قد اتخذ منه موقفا ، وعلى الاقل يترتب فى اصدار قرار الحرمان ضد بوهيمند (٤٤) . وحدث فى العام التالى ما جعل ليو يشعر بأن ظروفه مواتية للقيام بعمل

(٤٢) كان ليو قد بعث الى البابا برسالة ثانية فى أكتوبر ١٢٠١م يشكر فيها البابا على راية القديس بطرس وعبر فيها عن ابتهاجه بقرب وصول مندوبى البابا الذين سيقدم لهم ليو أسراه من رسل بوهيمند الى ركن الدين سليمان ، ويطلب من البابا الاسراع بارسال النجديات من الغرب لقتال المسلمين المنشغلين بخلافاتهم ، كما طلب ليو من البابا أن لا يوقع أحد عليه بقرار حرمان الا البابا نفسه ، كما طلب طيلسانا لجريجورى السادس كاثوليك الارمن . ورد البابا عليه مستجيبا لكل طلباته ولم يتحدث عن مشكلة بغراس . انظر :

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 214, Cols. 1007, 1009; 1012, 1013.

Sofred de St. Praxides (Letter of Sofred to Innocent III), in (٤٣) P.L., Vol. 214, p. CLI ff, Rohricht, Regest, Suppl; no. 789 C., p. 51.

(٤٤) انفراد ابن واصل بذكر هذه الواقعة ولم يحدد لها تاريخا دقيقا . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب : ج ٣ ، ص ١٤٠ .

ضد بوهيمند الذى لم تتوفر له مثل هذه الظروف . فقد قدم الى بلاد الشام حشد من الصليبيين الذين لم يتجهوا الى القسطنطينية مع قوات الحملة الرابعة . فقدم الى عكا أسطول فلمنكى بقيادة جان دى نسل «Jean De Nesle» وذلك فى صيف ١٢٠٣م/٥٩٩هـ ، وبعده بفترة قصيرة وصل أسطول آخر قادم من البندقية يحمل فرسانا من فرنسا بقيادة رينارد الثانى دى دامبيير «Renard De Dampierre» وستيفن دى بيرش «Stephen De Perche» . ولما كانت هذه القوات مجتمعة قليلة العدد (٤٥) ، فقد رفض عمورى دى لوزينان ملك بيت المقدس (٤٦) أن ينصاع الى رغبات قادتها وأن يجازف بخرق الهدنة مع العادل وأن يسارع بقتال المسلمين . وعندما أمرهم الملك بالتريث لحين قدوم التعزيزات بوصول قوات الحملة الرابعة، ثار رينالد وى دامبيير، وستيفن دى بيرش وقررا التوجه الى شمال الشام (٤٧) . وصلت القوات الصليبية الى كونتية طرابلس ، وعند بلوغها جبله خرج حاكمها المسلم لملاقاتها ولما كان على هدنة مع الصليبيين فقد أمدهم بكثير من المؤن، وعندما عرف أن وجهتهم هى انطاكية ، حثهم على التريث والانتظار حتى يرسل الى الملك الظاهر فى حلب حتى يصل لهم على اذن منه بالمرور فى أراضيه من اللاذقية الى انطاكية ، الا أن الفرنج لم ينتظروا عودة الرسل وتسرعوا بالتحرك الى اللاذقية بالرغم من تحذير حاكم جبله المسلم الذى بين لهم مصيرهم بقوله

(٤٥) يحدد رنسيومان موعد قدوم هذه القوات الى سوريا بنهاية عام ١٢٠٢م/بدايات عام ٥٩٩هـ . وقد أخذنا برأى فيلهاردوين مؤرخ الحملة الرابعة . انظر :

Villehardouin, pp. 57-58. CF. also, Runciman, A History of the Crusades, Vol. 3, p. 101.

(٤٦) مات هنرى دى شامبانيا ملك بيت المقدس السابق فى ١٠ سبتمبر ١١٩٧م تاركا زوجته ايزابيلا وريثة المملكة التى تزوجت فى يناير ١١٩٨م من عمورى ملك قبرص بفضل مساعى كونراد رئيس أساقفة ماينز الالماني الذى هدف الى اخضاع مملكة بيت المقدس أيضا للامبراطور الالماني لخضوع عمورى للاخير بقبوله لقب ملك قبرص من الامبراطور فى ١١٩٧م . وتم تتويج عمورى فور زواجه من ايزابيلا وحكم حتى ١٢٠٥م انظر :

G. Hill, A History of Cyprus, Vol. 2, pp. 58 ff.

Villehardouin, pp. 57; Ernoul, p. 340; Eracles, pp. 246-247. (٤٧)

«يا سادة، انى على هدنة مع المسيحيين ولا أريد أن ألام على ما تأتون به ، وساقودكم من أرضى بسلام ، ولكنكم حالما تخرجون من أرضى ستؤسرون أو تقتلون» (٤٨) . فتحركوا « وفى عزمهم أن رأوا لهم مطمعا فى اللاذقية يأخذوها » (٤٩) . الا أنه بوصولهم الى اللاذقية كمن لهم سيف الدين ابن علم الدين بن جندر حاكمها وأخذهم على حين غفلة ، وقتل غالبية الصليبيين وأخذ الباقون أسرى الى حلب (٥٠) . وبينما لم يستفد بوهيمند بوصول هؤلاء، كان ليو أوفر حظا بوصول جان دى نسل وقواته الى أرمينيا بحرا حيث انضموا اليه فى صراعه ضد انطاكية (٥١) . وكان ليو قد فشل فى ١٣ ديسمبر ١٢٠٣م / ٢٧ ربيع ول ٦٠٠هـ - قبل وصول المدد الصليبي - فى دخول انطاكية التى جد فى حصارها ، فقد خرج الملك الظاهر من حلب ، وخيم على حارم ، فاتصل ذلك بليو ، فرحل عن انطاكية (٥٢) . وبقدوم الصليبيين اليه ، ولعدم وصول الفريق الاول من الفرنج الى بوهيمند ، الذى لم يتبق له من سند سوى مساعدة الملك الظاهر (٥٣) ،

Eracles, pp. 247-248.

(٤٨)

(٤٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٥٤ .

(٥٠) يتفق تاريخ هرقل مع مارينو سانوتو الذى ينقل عنه نفس الرواية فى تحديد عدد الصليبيين « بثمانين فارسا وكثير من المشاة » بينما يجعل مارينو من ستيفن دى بيرش قائدا للفرنج فى الوقت الذى يجعل تاريخ هرقل من رينالد دامبير القائد لهم . ولم يذكر هذه الواقعة من المؤرخين المسلمين سوى ابن العديم فقط . انظر : ابن العديم نفسه . راجع أيضا :

Eracles, pp. 248; Ernoul, p. 341; Marino Sanuto, Liber secretorum fidelium crucis, ed. J. Bongars, in GDF, Vol. 2, p. 203.

Eracles, 257, Sanuto, p. 203. (٥١)

(٥٢) يضع كلود كاهن هذه الغارة فى ربيع عام ١٢٠٣م / ٥٩٩هـ بالرغم من أنه يستشهد بابن واصل الذى يضعها فى نهاية السنة نفسها منفردا بذكرها دون بقية المؤرخين المسلمين . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٥٤ . راجع أيضا :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 602, n. 8.

(٥٣) سعى الاسبتارية الى فرض سيطرتهم على الاقليم الجنوبي لامارة انطاكية فخرجوا من المرقب وحصن الاكراد للهجوم على بعرين ، وخرج الملك المنصور صاحب حماة لملاقاتهم بعد حصوله على المدد من العادل ومن الامجد بهرام شاه صاحب بعلبك =

بعد أن توقفت المفاوضات بشأن مشكلة انطاكية (٥٤) ، تشجع ليو وقام في ٢٤ ديسمبر ١٢٠٣م/١٢ ربيع الآخر ٦٠٠هـ بمحاولة لدخول انطاكية مستغلا غياب بوهيمندي طرابلس، وبمساعدة قوات جان دي نمل الفرنسى تمكنت قوة من الارمن من دخول المدينة من بوابة القديس جورج ، وربما بمعاونة البطريرك بطرس أنجوليم الذى طلب منه ليو أن يستميل أعضاء القومون الى جانبه ، الا أن فرسان الداوية وبرجوازية انطاكية من اللاتين ظلوا على هدأ شديد تجاه ليو ، وتحصنوا بالقلعة ، ثم خرجوا فجأة وتمكنوا من طرد الفرقة الارمنية من المدينة بينما وجه رجال القومون نداء الى الملك الظاهر على جناح طائر (٥٥) ، ووصل المدد الحلبى الى

= والمجاهد صاحب حمص ، والظاهر صاحب حلب ، وتمكن من هزيمة قوات الاسبتارية وأسر عدد كبير منهم وذلك في ١٢ مايو ١٢٠٣م/٣ رمضان ٥٩٩هـ . وتوسط الداوية بين المنصور والاسبتارية لعقد الصلح ولم يقبل المنصور وذلك بالرغم من تهديد الداوية بقدوم كثير من الصليبيين من أوربا وحضور الملك عمورى لعقد الصلح بين الارمن وأمير انطاكية وتمكن المنصور في ٣ يونيو/٢١ رمضان من نفس العام من ايقاع الهزيمة بالاسبتارية عندما أغاروا على بعرين وقتل منهم وأسر الكثيرين ولم يشترك بوهيمند بنفسه في أى من المشروعين بالرغم من امكانية مساعدته للاسبتارية حيث يذكر ابن واصل أيضا خروج الفرنج من طرابلس في الواقعة الاولى . وهكذا بدا بوهيمند أمام الملك الظاهر كحليف مخلص: انظر ابن واصل : مفرج الكروب، ج٢، ص ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ١٠٨ - ١١٠ . راجع أيضا :

Smith, Knights of St. Jhon in Jerusalem, p. 137.

(٥٤) حضر كل من المبعوث البابوى سوفريد والملك عمورى لوزينان وقادة الداوية والاسبتارية الى انطاكية مع كثير من بارونات أوربا لحل المشكلة ، الا أن سوفريد عاد الى المرقب ومنه الى عكا لاشتداد مرض النقرس عليه ، وفتور همته بعد أن ذهب البارونات المذكورين الى أن المشكلة اقطاعية بحتة ، ولم تكن من شأن ممثل كنسى مثل سوفريد وذلك بعد أن استمالهم بوهيمند الى جانبه ، ورفضوا عرض ليو بتقديم عشرين ألف مقاتل مساعدة منه للفرنج ضد المسلمين . انظر :

Sofred, Letter of Sofred de St. Praxides, in P.L., Vol. 214, Col. CL- 11-CLIV.

(٥٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ص ١٥٥ ، راجع أيضا : Eracles, p. 257.

نهر العاصى بينما عسكر الظاهر بالقرب من حارم ، فاضطر ليو الى العودة الى بلاده (٥٦) . بعد ذلك مباشرة وصل الى قيليقية قادما من القسطنطينية بطرس كابوانودى سان مارسلو «Pierre Capuano De St. Marcello» يصحبه الاسقف المؤرخ سيكارد دى كريمونا «Sicard De Cremona» ولأن المبعوث البابوى الجديد كان يفتقر الى بعد النظر وحسن التصرف ، فقد فشل فى اخضاع طرفى النزاع لقراراته ، وزاد من تعقيد الامور ما قام به ليو من نهب لاملاك جماعة الداوية فى صخرة رسل «Roche de Riossol» وصخرة وليم «Roche de Guillaume» فى قيليقية ونهب قطعان الماشية الخاصة بالجماعة وحقولها فى المنطقة (٥٧) . ولم يوافق على اعادة كل هذا الى الداوية الا اذا قبلوا أن يقتصر نشاطهم على المجالات الدينية فقط ، وطلب أن تعتبر مشكلة بغراس ومشكلة انطاكية قضية واحدة (٥٨) . وزاد من تعقيد الامور أيضا ما قام به المبعوث البابوى من تصرف يتسم بالرعونة عندما دعا الى عقد اجتماع فى انطاكية ولم يدع اليه جاثليق الارمن جان كما وعده من قبل ، وعندما رفض ليو تعويض الداوية عن خسائرهم فى قيليقية أوقع عليه المبعوث

(٥٦) مرة أخرى يستشهد كلود كاهن بابن واصل فى ذكر هذه الواقعة ، الا أن كاهن يضعها فى ١١ نوفمبر/٤ ربيع أول من نفس السنة . ويضعها ابن العديم خطأ ضمن أحداث هام ١٢٠٤/٦٠١ هـ . انظر : ابن واصل مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٥٥ - راجع أيضا : Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 214, Col. 687; Ann. T.S., in A; O.L., t. 2, part 2, p. 435; Sicard de Cremona, Chronica, in P.L., Vol. 213 p. 535.

(٥٧) تقع قلعتا صخرة رسل وصخرة وليم بالقرب من « طريق الفرنج » «Port — Bonne» جنوبى أرسوس «Arsuz» أو «Arsuz» وأرسوس هى بلدة صغيرة يميز بها نهاية جبال الامانوس على شاطئ البحر بين الاسكندرونة ورأس الخنزير شمالى ميناء السويدية . « وطريق الفرنج » هو الطريق الذى يبدأ شمالى رأس الخنزير الى الاسكندرونة . وكان هذا الطريق تحت سيطرة الداوية حتى سقوط انطاكية فى ١٢٦٨م/٦٦٦ هـ . انظر : Dussaud, p. 443; T.S.R., Boas, Gazetteer, in The Cilician Kingdom of Armenia, p. 177.

(٥٨) Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 215, Cols. 504, 689-690

البابوى وعلى مملكته بقرار الحرمان (٥٩) . ولم يستطع بطرس كابوانو ان يقوم بشيء سوى اسداء النصيح - بناء على نصيحة كل من بطيريك انطاكية والمؤرخ سيكارد - لكل من بوهيمند وليو بعدم العمل على نشوب حرب ليس لها مبرر ، ورحل الى عكا فى يوليو ١٢٠٤م/ ذى القعدة ٦٠٠هـ (٦٠) . وكان هذا الاخفاق ضارا بالشام كله (٦١) . ولذا استجاب الصليبيون فى عكا لطلب مارى اوف فلاندرز زوجة بولدوين اول اباطرة القسطنطينية اللاتين والتي حضرت الى عكا فى ذلك الوقت . فبدأت المفاوضات من جديد على أن يتولى سوفريد المسئولية هذه المرة . ولأن ليو كان يثق به أكثر من ثقته ببطرس كابوانو ، فقد وافق ليو على عقد هدنة لمدة أربعين يوما واعادة صخرة رسل الى الداوية ، بينما رفض بوهيمند ذلك ، كما رفض السماح لمبعوث ليو بالمرور عبر أراضيه الى عكا . وهنا مال سوفريد الى جانب ليو (٦٢) بينما بقى بطرس كابوانو فى صف بوهيمند . ولانقسام مبعوثى البابا لم يكن من الممكن تحقيق أى اتفاق حول مشكلة انطاكية . ورحل المبعوثان الى القسطنطينية فى اكتوبر ١٢٠٤م/ صفر ٦٠١هـ (٦٣) . وكتب ليو والكاثوليك جان الى البابا يثنيان على سوفريد ويشكون من بطرس ، ويطلبان من البابا اجبار الداوية على الاقتداء بالاسبتارية فى موقفهم المحايد من المشكلة (٦٤) . وفى الواقع كانت

Sofred De Praxides, Letter of Sofred to Pope Innocent III, (٥٩)
in P.L., Vol. 214, Col. CLVIII.

Sofred de Praxides, Letter of Sofred to Pope Innocent III, (٦٠)
in P.L., Vol. 214, Col. CLIX.

Claud Cahen, La Syrie du Nord, p. 605. (٦١)

(٦٢) بعث سوفريد بالمؤرخ سيكارد الى كل من بوهيمند وليو . واضطر قنسطنطين دى كاما ردياس «Constantin de Camardias»

ابن عم ليو ومبعوثه الى الذهاب الى عكا بحرا كما ارسل بوهيمند جيوفرى «Geoffroy» أسقف طرابلس نيابة عنه . ورفض سوفريد تلبية طلب المبعوث الارمينى باصدار قرار الحرمان ضد بوهيمند الذى لم يات مبعوثه باعذار مقبولة لعدم حضوره او بدفاع جدى عن حقوقه . وأعلن سوفريد ميله الى جانب ليو ، الا أن معارضة كبير أساقفة قيسارية والمؤرخ سيكارد جعلت من حرمان بوهيمند أمرا مستحيلا . بينما رفع قرار الحرمان السابق ضد ليو . انظر :

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 215, Col. 509.

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol; 214, Col. CLIX. (٦٣)

Innocent III, Regesta, in P.L. Vol. 215, Col. 699. (٦٤)

الازمة قد خرجت من هذه المفاوضات الطويلة أكثر تعقيدا عن ذي قبل وأيضاً أكثر تعميماً . فقد ارتبط الصراع من أجل انطاكية بمختلف الصراعات التي كانت تمزق الشرق الأدنى وقتها . فلم يتمتع بوهيمنند الرابع بتأييد الداوية وقومون انطاكية فقط بل أيضاً بتأييد الملك الظاهر وسلاجقة قونية ، بينما تمتع ليو بتأييد بطريرك انطاكية والاسبترارية بالإضافة الى تأييد الملك العادل (٦٥) . ففي نهاية عام ١٢٠٤م/جمادى أول ٦٠١هـ ، زادت الأمور تعقيدا بالنسبة لبوهيمنند ، وذلك بدخول عنصر جديد من عناصر الخلاف الى الصراع بين بوهيمنند والارمن . فكان على بوهيمنند، الى جانب مقاومته لمطامع ليو في امارته، أن يقاوم ثورة اقطاعية قامت ضده في اقليم طرابلس قام بها رينوار «Renoart» (٦٦) حاكم نيفين (٦٧) الذي جذب بتمرده على سيده بوهيمنند عناصر أخرى الى مشكلة انطاكية بالرغم من أن المشكلة بينه وبين أمير انطاكية كانت اقطاعية بحتة . فقد تزوج رينوار هذا من ايزابيلا «Isabella» ابنة استيفورت «Astefort» حاكم حصن عكار (٦٨) دون الحصول على موافقة سيده

(٦٥) أعلن البابا أنوسنت الثالث ذلك في خطابه الى فيليب ملك فرنسا في عام ١٢٠٥م/٦٠١هـ ، مع أن الملك العادل لم يدل بدلوه في مشكلة انطاكية قبل ١٢٠٨م/٦٠٤هـ . وربما كان ذلك توقعاً من البابا . وان كان كذلك فإنه يكون قد أثبت بعد النظر . انظر: Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 215, Col. 698.

(٦٦) كان ول حكام نيفين هو رينوار دي نيفين الذي صاحب الملك عموري الاول الى القسطنطينية في ١١٦٩م . وثاني الحكام كان ابنه ريموند الذي أنجب ثلاثاً . الاولى اجلانتين «Eglantine» وتزوجت من روهارت «Rohart» حاكم حيفا . وهلفيس التي تزوجت حنا ابلين حاكم بيروت العجوز ، وأخيراً رينوار الثاني الذي ثار ضد بوهيمنند الرابع . انظر :

C.F. Ducange, Les Familles d'Outremer, ed. E. Rey, Paris, 1869, pp. 223, 413-141; J. L. LAMONTE, John Ibelin the old Lord of Beirut, in B. Vol 12., p. 420.

(٦٧) وهي مدينة أنف الحجر الحالية وتقع على بعد ١٦ كيلو مترا جنوبي طرابلس . انظر :

Dussaud, Topographie, p. 77.

(٦٨) حصن عكار يقع شمال شرقي طرابلس . انظر : Eracles, p. 314, Duassaud, Topographie, p. 88.

بوهيمند كما تفضى القوانين الاقطاعية في الشرق الفرنجى (٦٩) - ولما رأى بوهيمند أن في ذلك اهانة له ، فقد أمر باستدعاء رينوار ليمثل أمام محكمة الأمير في طرابلس التي أقرت بأن رينوار قد ارتكب خطأ في حق سيده بوهيمند ، وأقرت حق بوهيمند في الاستيلاء على اقطاعيات تابعة ، وبقي أن يتحول هذا الى أمر واقع . الا أن رينوار لم يمثل أمام المحكمة فبدأ بوهيمند يعد نفسه للقيام بعمل كبير ضد تابعه من ناحية وضد ملك أرمينيا من ناحية أخرى (٧٠) . لذا نجده قد سعى الى توثيق عرى الصداقة بينه وبين سادة جبيل والجنوية أيضا ، بمصاهرة صاحب جبيل (٧١) ، بمنح الجنوية مزيدا من الامتيازات في انطاكية وطرابلس على أن يحصل منهم على مساعدة مالية مقدارها ثلاثة آلاف دينار بيزنطى (٧٢) وسفینتین شراعتین وثلاثمائة مقاتل (٧٣) . كما عمل بوهيمند أيضا على التقارب

Eracles, p. 314.

(٦٩)

Eracles, p. 314-315.

(٧٠)

(٧١) تزوج جى حاكم جبيل من آليس Alice شقيقة بوهيمند الرابع الذى كان قد تزوج من بليزانس Plaisance شقيقة جى فى ديسمبر ١٢٠٤م . انظر :

E.G. Rex, Les Seigneurs de Gible, in R.O.L., Vol. 3, Paris 1893, p. 402.

(٧٢) كان الدينار البيزنطى «Solidus» مساويا فى وزنه للدينار الاسلامى (٢٥ر٤ جرام ذهب = ٦٦ حبة) الذى ضربه لأول مرة عبد الملك بن مروان فى عام ٧٤ - ٧٥ من الهجرة . وكانت العملات البيزنطية والفاطمية تتمتعان بثقة التجار الايطاليين أكثر من الدينارات الايوبية التى لم تكن بدرجة نقاء سابقيتها الا أنها كانت مقبولة لدى الاوربيين أكثر من الدينارات الذهبية التى ضربها الصليبيون فى بلاد الشام كعملة رسمية لآماراتهم بدلا من العملات الفضية التى سادت أوربا زمن الحروب الصليبية . واختار الصليبيون فى ضرب ديناراتهم أن يقلدوا الدينار الفاطمى لشدة نقائه عن الدينار العباسى . الا أن الدينار الصليبي لم يرق الى مستوى العملات الاملاية أو البيزنطية . انظر : ناصر النقشبندى : الدينار الاسلامى ، مجلة سومر ، بغداد ١٩٤٥ ، ج ٢ ، ص ١١٨ - ١١٩ . راجع أيضا :

A.S. Ehrentreutz, Arabic Dinars Struck by the Crusaders, in J.E.S.H.Q. 1964, pp. 169-170, 173-180; R.S. Lopez Back to Gold, in E.H.R. Vol. 9, 1957, pp. 219-221

(٧٣) قدم بوهيمند الى هنرى بسكاتورى «Henry Piscatore» دوق =

مع الاسبتارية ، بأن شجع حملة قامت بها الجماعة على أملاك الظاهر صاحب حلب دون أن يهتترك بوهيمند نفسه في ذلك حرصا منه على أن يبعث مواليا للملك الظاهر الذي يسانده دائما ضد ليو الثاني . إلا أن هذه الحملة الاسبتارية هذه المرة كان يختلف عن مشروعاتهم السابقة والتي كانت بمثابة مجرد غارات ضد المسلمين في حمص وحماة وشببيه بغارات الملك عموري نفسه ، التي لم تكن إلا استغلا لا لهدوء المسلمين بسبب ورود الأخبار بقرب وصول الحملة الصليبية المرتقبة الى بلاد الشام . والتي لم تكن في ذات الوقت إلا مجرد مظاهرات عسكرية يقوم بها الملأ ليحفظ مكانته بين المسلمين ووالصليبيين على السواء (٧٤) . ولم يكن هذا

= مالطة ، الذي كانت تتبعه السفن التي ساعدت بوهيمند ضد سيد نيفين ، حرية التجارة في انطاكية وطرابلس الى جانب تأكيده لكل امتيازات الجنوية في الامارة والكونتية التي سبق ومنحوا اياها هناك . الى جانب منحهم شارعا وحماما وكنيسة ومحكمة خاصة بهم في طرابلس ، ويفهم من ذلك أن الجنوية كانوا يهيمنون على جزيرة مالطة في ذلك الوقت بينما كان قائد الاسطول الذي ساعد بوهيمند كان يدعى البرتو جالينا Alberto Gulina انظر : Ogripanis Annale, in M.G.H., Vol. 18, p. 124-126; Rohricht, Regesta, no, 807, pp. 215-216; Heyd, Histoire de Commerce, t. 1 pp. 322-323.

(٧٤) في ١٧ مايو ١٢٠٣م/ ٣ رمضان ٥٩٩هـ تمكن المنصور صاحب حماة من هزيمة الاسبتارية الذين هاجموا بعيرين ، كما تمكن في ٣ يونية ١٢٠٣م/ ٢١ رمضان ٥٩٩هـ من هزيمتهم مرة أخرى . إلا أن الاسبتارية هاجموا حماة نفسها ونهبوا بلدة « الرقيطا » المجاورة للباب الغربي لحماة في العام التالي وأسروا كثيرا من المسلمين بعد أن هزموا قوات المنصور . كما أغار الاسبتارية في نفس السنة على حمص . أما الملك عموري فإنه قام بغارة على مصر في ٢٠ مايو ١٢٠٤م/ ١٨ رمضان ٦٠٠هـ ، فوصل بصحبة سبعين سفينة الى فرع رشيد ونهب رجاله مدينة « فوة » . وكان الملك عموري قد أغار على اقليم الاردن وعزم على قصد بيت المقدس لولا خروج العادل لصدده ، وتم الاتفاق بينهما على عقد هدنة في سبتمبر ١٢٠٤م/ محرم ٦٠١هـ تنازل بمقتضاها الفرنج عن نصف كل من صيدا واللد والرملة الخاص بالمسلمين ، الى جانب يافا التي كان قد استولى عليها منهم زمن الحملة الالمانية في ١١٩٧م/ ٥٩٣هـ حين استولوا على بيروت . انظر . ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٩٠ - ٩٢ ، ابن واهل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، وأيضا: سعيد =

النهج من الاعمال ضد المسلمين ليهم بوهيمند الذي كان يضمن هدوء أقرده المسلمين اليه وهو الملك الظاهر بتحالفه معه . الا أن مشروع الاسبتارية هذه المرة كان ضد اللادقية التي كان استيلاء الفرنج عليها يؤدي الى إعادة ربط أملاك بوهيمند في انطاكية وطرابلس وخاصة من ناحية الساحل . لذا لم يجد بوهيمند غضاضة في منح الاسبتارية عدة امتيازات بسيطة في الوقت الذي سيبدو فيه هو بعيدا عن الشبهات أمام ملك صليبي (٧٥) . وفي ربيع عام ١٢٠٥م / ٦٠١هـ ، قام الاسبتارية من حصن الاكراد بهجوم على اللادقية وجبله ، واستطاعوا أن يجذبوا قوات المسلمون في جبله الى كمين ، وقتلوا من المسلمين جماعة كثيرة ، وعادوا الى طرابلس وقد ملأوا أيديهم بالسبي والغنائم (٧٦) . وبذلك ضمن بوهيمند حياد الاسبتارية في خلافه مع تابعه صاحب نيقين ، خاصة وأن الأخير كان يتمتع بتأييد كل معارضى بوهيمند وخصومه وكان أول هؤلاء بطبيعة الحال هو ليو الثاني الذي رحب بالتحالف مع رينوار ليستطيع

= عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٤٤ ، راجع أيضا : Eracles, pp. 259-263.

(٧٥) في ديسمبر ١٢٠٤م وفي مارس ١٢٠٥م على التوالي ، وعد بوهيمند كلا من جى حاكم جبيل والاسبتارية ببيع عقارات من الاراضي في اللادقية وحصن صهيون اذا ما « ردها الله اليهم » انظر :

Cartulaire, Vol. 2, no. 1215; Rilley-Smith, The Knights of St. John, p. 138.

(٧٦) ذكر هذه الواقعة من المؤرخين المسلمين ابن واصل والمقریزی ، وكلاهما ذكر خروج الاسبتارية من طرابلس ومن المؤكد أن المقصود اقليم طرابلس الذي تقع فيه أملاك الاسبتارية في حصن الاكراد وحصن المرقب . ومن المؤكد أن المسلمين لم يتأكدوا من تورط بوهيمند في أعمال الاسبتارية . والدليل على ذلك أن هجمة الظاهر التالية وجهت الى أملاك الاسبتارية في حصن المرقب الذي هاجمه عسكر الظاهر بقيادة مبارز الدين أقبا الذي تمكن من هدم أحد أبراج الحصن أعلى الباب المواجه للساحل ، وكاد المسلمون يفتحون الحصن لولا مقتل قائدهم ، وذلك في أعقاب غارة الاسبتارية على اللادقية وجبله . انظر : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٦٥ ، المقریزی : السلوك ، ج ١ قسم ١ ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

تطويق خصمه من شمال انطاكية وجنوبها (٧٧) والى جانب ليو كان هناك من يؤيدون رينوار من بين سادة الفرنج في فلسطين ، والذين كانوا معارضين لمزاعم بوهيمند في السلطة . وكان من بين هؤلاء راؤول «Raoul» حاكم طبرية ، الذى كان شقيقه ايودز «Eudes» في ذلك الوقت يعمل في خدمة ليو في أرمينيا (٧٨) . وأخيرا كان هناك الملك عمورى الثانى الذى حقد على بوهيمند بسبب افساد الاخير لمحاولة عمورى في حل مشكلة انطاكية التى اشترك فيها بنفسه بصفته ملكا لبيت المقدس (٧٩) . وبهذا التأييد تشجع رينوار وقام بالاعتداء على أملاك سيده في اقليم طرابلس لعدة أشهر حتى اقترب من أبواب المدينة ، ولم يكن بوهيمند موفقا في صد تابعه المتمرد ومؤيديه وانتهى الامر بمعركة بين الطرفين انتهت بهزيمة بوهيمند وانسحابه ، ومقتل صهره هيو شقيق جى صاحب جبيل وذلك في مارس ١٢٠٥م / رجب ٦٠١هـ (٨٠) . وفي الوقت الذى يأس فيه بوهيمند من نجاح خطته وبدأ يفكر في استمالة رينوار ، مات الملك عمورى الثانى في أول ابريل ١٢٠٥م / ٣ شعبان ٦٠١هـ (٨١) ليفقد رينوار أهم سند له . فقد تولى أمور مملكة

Eracles, p. 314.

(٧٧)

(٧٨) كان راؤول حاكم طبرية منافسا للملك عمورى الثانى على العرش . وفي ١١٩٨م اتهمه ، ملك بأنه مدبر محاولة اغتياله . فقام بنفيه من المملكة ، فاتجه راؤول الى طرابلس حيث رحب به بوهيمند ، واقطعه اقطاعا هناك الا أنه بعد فشل ثورة رينوار ، اتجه راؤول مع أخيه أيدز الى القسطنطينية ، ثم عاد الى عكا بعد موت عمورى الثانى واشترك مع حنا ابلين في الحملة الخامسة على مصر ثم مات في عكا بعد ١٢٢٠م . انظر :

Eracles, pp. 230-231; 314-315; Ernoul pp. 311, CF. also, Riley Smith, The Feudal Nobility, pp. 156-159.

(٧٩) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٢٦٤ .

Eracles, p. 315; Gestes des Chiprois, p. 663;

(٨٠)

(٨١) مات الملك عمورى الثانى لوزينان اثر تناوله وجبة سمك ، ولحقت به زوجته ايزابيلا التى تركت خمسة أطفال من الاناث تولت ماريا ابنة ايزابيلا من كونراد مونتفرات وكبرى البنات عرش المملكة وتقرر تعيين حنا ابلين حاكم بيروت وصيا عليها . وبذلك يكون قد انفصل تاجا مملكتى قبرص وعكا بموت عمورى الثانى بعد أن آل عرش مملكة قبرص الى ابنه هيو الاول من اشيفا «Escheva» ، احدى سليلات أسرة ابلين ، الذى كان في العاشرة =

بيت المقدس حنا ابلين Jhon of Ibelin حاكم بيروت (٨٢) . والذي أظهر العداء لرينوار بالرغم من الروابط الاسرية بينهما (٨٣) . الى جانب ذلك فقد حمل بوهيمند على مساعدة الجنوية الذين امدوه بثلاث سفن حربية وأربعمائة مقاتل قادمين من مالطة لحصار نيفين (٨٤) . وفي شتاء عام ١٢٠٥م / ٦٠٢هـ قام بوهيمند بحصار رينوار الذي حاول أن يقاوم الا أنه لم يستطع الصمود أمام قوات بوهيمند والجنوية الذين استولوا على نيفين وأسر رينوار بالرغم من اصابة بوهيمند بسهم أثناء القتال أفقده إحدى عينيه (٨٥) . وعندما وصل الملك المجاهد أسد الدين صاحب حمص بقواته لنجدة رينوار الذي استغاث به ، لم يستطع عمل شيء لسقوط الحصن في أيدي بوهيمند . فأغار على ضواحي طرابلس حتى حصن الأكراد . « وأخذ من الغنم والمواشي ما لا يحصى » (٨٦) . ثم سلم رينوار حصن جبل عكار

= من عمره وكان الوصي عليه والترمونت بليار كندسطل مملكة عكا وزوج شقيقته الكبرى بورجون : «Bourgogne» انظر : Eracles, p. 305; Ernoul, p. 407; Gestes des chiprois, p. 663, Marino Saundo, Liber, p. 205. CF. also, Hill, A History of of Cyprus, pp. 66, 73-74.

(٨٢) حنا ابلين هو ابن باليان الثاني ابلين ، الابن الثالث لباليان الاول الذي جاء الى الشرق مع الملك فولك في ١١٣١م ، وكان باليان الثاني قد تزوج ماريا كومنين ابنة شقيق مانويل كومنين وأرملة الملك عموري الاول . لذا يعتبر حنا ابلين حاكم بيروت أخا غير شقيق للملكة ايزابيلا من أمها ماريا كومنين . ويطلق عليه سيد بيروت العجوز تمييزا له عن ابن أخيه حنا ابلين حاكم يافا وواضع مؤلف عن قوانين وعادات مملكة بيت المقدس . انظر : J. La Monte, John d'Ibelin the Old Lord of Beirut, in B. Vol. 12, pp. 418-419.

(٨٣) تزوج حنا ابلين من هلفيس Helvis شقيقة رينوار قبل زواجه من ميليسند دي أرسوف . انظر : Ducange, Familles, p. 222.

(٨٤) Eracles, p. 315.

(٨٥) بدأت المصادر الصليبية تطلق على بوهيمند الرابع لقب بوهيمند « الاعور » « Le Borgne » منذ ذلك الحين . انظر :

Eracles, p. 315; Gestes des chiprois, p. 663; Ann. T.S., p. 435;

Ogeriipanis Annales, in M.G.H.SS., Vol. 18, p. 124;

Marino Saundo, p. 205.

(٨٦) لم يذكر استنجد رينوار بالمسلمين سوى حوليات أوجرواكد ذلك =

الى بوهيمند (٨٧) الذى تفرغ لصد هجمات ليو على انطاكية التى لم يحفظها من السقوط فى ايدى الارمن أثناء انشغال بوهيمند فى قمع ثورة نيفين سوى نجدة الملك الظاهر لها . ففى صيف عام ١٢٠٥م / ٦٠١هـ ، وبعد أن أعاد ليو بناء قلعة قديمة فى الممر الواقع شمالى حصن دريساك لتهديد المسلمين فيه ، قام بالهجوم على التركمان النازلين باقليم العمق « فأخذ منهم عالما لا يحصى ، واستاق نعمهم ومواشيهم ، وسار الى دريساك ، فحرق روضها ، وعاد الى بلاده » (٨٨) ، كوسيلة للضغط على الملك الظاهر ، ولحملة على التخلي عن بوهيمند ، ولتحييده بخصوص الصراع حول انطاكية ، عرض ليو على الظاهر أن يرد اليه ما أخذه من اقليم العمق على أن « يخلى بينه وبين انطاكية » (٨٩) . وأظهر صاحب حلب قبوله لعرض ليو الذى جاء لحصار أنطاكية التى عانت من هذا الحصار ووقع فيها غلاء عظيم ، الا أن الظاهر استمر فى امدادها بالمؤن حتى قويت (٩٠) . وربما يثير تصرف الظاهر تساؤلا لماذا ترك ليو منذ البداية يهدد انطاكية دون التصدى له ، بينما اكتفى بامداد اللاتين فيها بالمؤن ؟ . والرد على هذا التساؤل يكمن فى أن الظاهر الذى استشعر - دون أن يتأكد - اخلال بوهيمند لمواثيقه معه ، واشترائه مع الاسبتارية فى الاعتداء على جبلة واللاذقية فى العام الماضى ، أراد أن يشعر بوهيمند بحاجته لمساعدة مسلمى حلب التى مازالت ضرورية للحفاظ على امارته من السقوط فى ايدى الارمن ، ليبقى بوهيمند على ولائه لتحالفه مع الظاهر، فحتى هذه اللحظة كان الظاهر نفسه يحتاج لبوهيمند . فهو من جهة لم يكن يطمئن لمشاعر عمه العادل نحوه ، ويخبرنا ابن واصل بأن الظاهر كان لا يزال على خوفه من العادل فى عام ١٢٠٧م / ٦٠٣هـ (٩١) .

= ذكر ابن واصل لغارة المجاهد . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٦٨ . راجع أيضا :

Ogeriipanis Annales, p. 124.

(٨٧) بعد البقاء فترة فى سجن بوهيمند توجه رينوار الى قبرص وعاش هناك حتى موته انظر :

- (٨٨) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٧٠ .
(٨٩) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .
(٩٠) ابن العديم : المصدر السابق ، نفس الجزء ونفس الصفحة .
(٩١) ترددت الرسل بين الملك الظاهر ، وعمه الملك العادل ، =

ومن جهة أخرى فإن الظاهر لم تكن لديه الامكانيات التى يستطيع بها أن يصد هجوم الارمن عن انطاكية ، وفى نفس الوقت يحتفظ بجزء منها فى حلب دفاعا عنها ضد أى هجوم من العادل عليها فى محاولة لأخذها لنفسه ، الامر الذى كان يخشاه الظاهر دائما ، لذا نجده يطلب المدد من بوهيمند ضد الارمن بعد قليل . كما نلمس عدم خروجه بنفسه لمساعدة العادل ضد الفرنج فى العام التالى (٩٢) . الا أن تصرف الظاهر أثار حفيظة ليو الذى وجد أن ملك حلب قد أضاع عليه فرصة الاستيلاء على انطاكية مرتين (٩٣) . وفى يوم الميلاد ٢٥ ديسمبر ١٢٠٥م / ١ جمادى الاولى ٦٠٢هـ ، هاجم ليو المسلمين فى حصن دريساك ، وصدده المسلمون بعد قتال شرس بين الطرفين ، فاجتاح ليو السهل المجاور للحصن ثم تراجع بقواته الى دروب جبل اللكام مستدرجا خلفه قوة من المسلمين الذين هلكوا بسبب عاصفة ثلجية (٩٤) ، فبعث الظاهر بالتعزيزات بقيادة ميمون القصرى (٩٥) الى حارم ، وبعث بقوة أخرى بقيادة سيف الدين بن علم الدين الى تيزين ، بينما كان ابن طمان يدافع عن دريساك ، واستمرت المناوشات بين الارمن فى بغراس والمسلمين فى دريساك الى أن خرج الظاهر بنفسه فى ابريل ١٢٠٦م / شعبان ٦٠٢هـ (٩٦) . الى حارم ثم الى جسر الحديد حيث طلب من انطاكية عشرة آلاف من المشاة الفرنج ليهاجموا ليو من جهة الجنوب بينما يهاجمه هو من جهة الشرق (٩٧) . كما بعث الظاهر الى عمه العادل يطلب المساعدة ، واستطاع أن يصد هجوم الارمن عند مرج دابق بعد وصول فرقة انطاكية (٩٨) . ولما

-
- = ومكاتبات ، ومعاينات استشعر منها الملك الظاهر . انظر :
 ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٧٤ .
 (٩٢) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٢٧٩ .
 (٩٣) كانت المرة الاولى فى عام ١٢٠٣م / ٦٠٠هـ . انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٢٦٥ .
 (٩٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٥٧ .
 (٩٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١١١ - ١١٢ .
 (٩٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٥٧ .
 (٩٧) ابن واصل : مفرج الكروب : ج ٣ ، ص ١٧١ .
 (٩٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ . انظر خريطة رقم (٤) .

تحول الظاهر والانطاكيون الى الهجوم ، ولما كان ليو يخشى المجازفة بالتعرض لغزو اسلامى فرنجى فى قيليقية ، فقد طلب الصلح من الظاهر « على أن يهدم الحصن الذى بناه فى مواجهة دريساك ، وأن يرد جميع ما أخذه فى الغارة ، ويرد جميع أسارى المسلمين الذين فى يده ، وأن لا يعرض لانطاكية وقرر الصلح الى ثمانى سنين » وذلك فى أغسطس ١٢٠٦م / محرم ٦٠٣هـ (٩٩) . وهكذا تحول الصراع بين بوهيمند الرابع وليو الثانى الارمينى حول انطاكية من خلافات بين المسيحيين وبعضهم البعض الى حرب سافرة بين ملك حلب وملك رمينيا .

وجاء دور بطريرك انطاكية اللاتينى بطرس كى يدنو بدلوه فى تعقد المشكلة وفى جذب أطراف أخرى اليها من مسلمين و صليبيين ، لتحل مشكلة انطاكية محل الصراع الصليبي الاسلامى فى الشرق الادنى ، ولتصبح هى قضية الساعة وحجر الزاوية فى تاريخ العلاقات السياسية بين المسلمين والصليبيين خلال الفترة التى تلت الحملة الثالثة حتى قدوم الحملة الخامسة ، أى ما يقرب من ستة عشر عاما كانت فيها مشكلة انطاكية هى المتنفس الوحيد للطرفين . وفى الوقت الذى تصالح فيه الملك الظاهر مع ليو الثانى لم يكن البابا أنوسنت الثالث قد تخطى عن محاولة حسم الخلاف بين بوهيمند وليو (١٠٠) . وفى نهاية ١٢٠٥م / ٦٠٢هـ

(٩٩) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٧١ ، أبو شامة :

الذيل على الروضتين ، بيروت ١٩٧٤م ، ص ٥٣ ، ابن العديم :

زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٥٨ .

(١٠٠) حتى يتجنب البابا معارضة أطراف النزاع العلمانيين ورجال

الدين كلف فى مارس من عام ١٢٠٥م الى جانب بطرس دى

لوسيديو «Pierre de Locédio» (بطريرك انطاكية فيما بعد)

وأحد أساقفة جبل تابور اثنين من العلمانيين هما برتولد دى

كاتزنلنبون «Berthold De Katzenellenbogen» وشخص

آخر يدعى جيراردى فورنيفال «Gérard De Fournival» على

أن يحققوا اتفاقا ما بين بوهيمند وليو خلال ثلاثة أشهر وأعطاهم

سلطة حرمان من يرفض فترة الهدنة أثناء التحكيم ، وكتب الى

ليو يعلمه كيف أن هذا فى صالحه . ولم يفلح فى ذلك : انظر :

Potthast, Regesta, Vol. I, nos. 2429, 2430;

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 215, Cols. 156-157; Rohri-

cht, Regesta, no. 802, p. 214.

كلف البابا بطرس كابوانو بالعودة مرة أخرى الى الشرق ليرعى مصالح كنيسة بيت المقدس التي هجرها البطريرك الى القسطنطينية في ١٢٠٣م/ ٥٩٩هـ مع غيره من اللاتين العلمانيين ورجال الدين الذين جذبتهم المغنم البيزنطية ، وايضا ليحل مشكلة انطاكية (١٠١) . الا أن المبعوث البابوي ما لبث أن دخل في خلاف مع بطريرك انطاكية بطرس أنجوليم حول بعض الوظائف الكنسية ، وانتهى الامر بأن أصدر المبعوث البابوي قرار الحرمان ضد البطريرك وحرمه من كل سلطاته الكنسية في انطاكية وذلك في ٢ فبراير ١٢٠٦م/ ٢٦ جماد ثان ٦٠٢هـ (١٠٢) . وزاد ذلك من دقة موقف البطريرك الذي كان قد فقد عطف قومون انطاكية ايضا بسبب تجاهله لحقوق الجالية اليونانية في انطاكية ، والتي كانت تشكل الاغلبية العظمى من سكان المدينة ، والمعارضة لقرارات القومون (١٠٣) ،

(١٠١) مات عموري الراهب بطريرك بيت المقدس في ١٢٠٢م ورشح بطرس اوف ليموج رئيس أساقفة قيسارية لمنصب البطريرك الا أن سوفريد لم يوافق على هذا الترشيح ، واختير هو نفسه بطريركا لبيت المقدس حتى رحل الى القسطنطينية في ١٢٠٣م . وبقي منصب بطريرك بيت المقدس شاغرا الى جانب موت الملك عموري في أول عام ١٢٠٥م وزوجته ايزابيلا فرأى البابا ضرورة تعيين بطريرك لبيت المقدس في الوقت الذي لم يكن هناك من يرعى مصالح المملكة أو الكنيسة ، حتى عين البرت أسقف فيرسلي بطريركا لبيت المقدس (١٢٠٥ - ١٢١٤م) ولم يصل هذا الى الشام الا في ١٢٠٦م . انظر :

Hamilton, The Latin Church, pp. 248-250.

(١٠٢) شغل منصب رئيس شمامسة انطاكية بموت شاغله غرقا فعين البطريرك أحد أولاد أخيه الذي لم يكن قد بلغ السن الذي يسمح له بشغل المنصب ، بينما عين المبعوث البابوي شخصا يدعى جان ، ورفض تعيين ابن شقيق البطريرك . انظر :

Innocent III, Regesta in p. 1., Vol. 215, Cols. 1278-1282:

Pothast, Regesta, t. 1, no. 3265.

(١٠٣) يذكر تاريخ هرقل أن بوهيمند قد جمع « الفرسان والاعيان الآخرين في ١٢٠١م ولم يذكر رجال الدين مما يدل على توقف هؤلاء عن الاشتراك في نشاط القومون منذ تولى بوهيمند الرابع للحكم . الى جانب أن القومون قد اتخذ من اشتراك رجال الدين (ولو اسميا) في القومون ذريعة لاجبارهم على الافاء بالالتزامات المالية التي تؤديها الجاليات الأخرى بأنطاكية ، ولاخصاعهم للقضاء العلماني على الأقل اذا كان الشاكي علمانيا . ولا جدال ان الكنيسة اللاتينية لم تكن لتسمح بمثل هذا التعدي على =

الى جانب كره اللاتين واليونانيين في انطاكية للارمن حلفاء البطريرك .
وجاءت قرارات المبعوث البابوي ضده كي تزيد من حرج موقفه . ولم
يكن بوهيمند الرابع وأعضاء قومون انطاكية يطعمون في فرصة أفضل
من هذه . فاستولى بوهيمند على العديد من ممتلكات الكنيسة وذهب
الى ما هو أبعد من ذلك بتعيينه لبطريرك يوناني لكنيسة انطاكية يدعى
سيمون الثاني «Simon II» ، الامر الذي ناضل من أجله أباطرة
الدولة البيزنطية من قبل دون طائل . وأدى ذلك الى التقارب بين
المبعوث البابوي والبطريرك اللاتيني الذي عادت اليه سلطاته ، فأصدر
قرار الحرمان ضد كل من بوهيمند والبطريرك
اليوناني وامارة انطاكية أيضاً (١٠٤) الا أن هذا لم يكن
ذا تأثير لأن منافسيه من أعضاء القومون اللاتين واليونانيين
والامير قد اعترفوا بمنافسه البطريرك اليوناني (١٠٥) . ودفع ذلك
البطريرك الى اتخاذ تدابير مضادة لبوهيمند . فقد بدأ يعد لقيام ثورة
في انطاكية تأييدا لريموند روبين في الوقت الذي كان ليو قد ربط فيه
طرفا آخر من أطراف الصراع بقضية انطاكية ولكن لصالح حفيد أخيه ،
وكان هذا الطرف هو جماعة الاسبتارية التي طالما حاول بوهيمند تحييدها
بينه وبين ليو (١٠٦) . وقرب نهاية عام ١٢٠٧م /منتصف عام ٦٠٤هـ ،

= حقوقها وامتيازاتها العادية . وكان من الطبيعي أن يلقي هذا
الموقف اللاديني من القومون تأييد بوهيمند الذي كان يسعى الى
تأكيد حقوقه ودخله بالاضافة الى مصيره
الذي كان يرتبط بولاء أعضاء القومون له ، مما دفع
البطريرك الى تأييد حقوق ريموند روبين في حكم انطاكية .
انظر :

Eracles, p. 313; Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 214, Cols.

512; CF; also, Rey Histoire des Princes d'Antioche, p. 344.

(١٠٤) وردت رواية هذه الاحداث في رسالة البابا انوسنت الثالث الى
البرت اوف فيرسلى بطريرك بيت المقدس في ٥ يناير ١٢٠٨م .
انظر :

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 215, Cols; L 278-1282.

B. Hamilton, The Latin Church in the crusader states, p. 218. (١٠٥)

(١٠٦) في ٢٢ مايو ١٢٠٧م منح ريموند روبين (بتأثير من ليو الثاني)
مدينة جبلة (وهى في أيدي المسلمين في ذلك الوقت) لجماعة =

قامت ثورة ضد بوهيمند بتحريض من البطريرك ، والاستبارية ، وكثير من النبلاء المعادين لبوهيمند والذين أدخلهم البطريرك سرا الى المدينة ، وبمساعدة هؤلاء فتحت أبواب انطاكية لقوات ليو وريموند روبين ، واحتل الثوار والارمن الجزء الاسفل من المدينة ، واستقبل البطريرك ريموند روبين في كنيسة القديس بطرس واعترف به أميرا لانطاكية ، بينما لجأ بوهيمند الى القلعة التي يحرسها فرسان الداوية لمدة ثلاثة أيام تمكن بعدها وبمساعدة الداوية من مباغته الارمن وسحق الثوار وطرد الارمن من المدينة الى حصن بغراس (١٠٧) مع الموالين لهم من نبلاء انطاكية (١٠٨) وفي أعقاب هذا النصر ، اعتقل بوهيمند البطريرك ، وحاول أن ينتزع منه اعترافا بشرعية حكمه للامارة ، وأمام رفضه العنيد ، ألقاه بوهيمند في السجن حيث مات بعد شرب زيت المصباح لشدة العطش ، وذلك في ٨ يوليو ١٢٠٨م / ٢٣ ذى الحجة ٦٠٤هـ

= الاستبارية وكل ما يحيط بها من أملاك ، وأكد ليو بخاتمة هذه الوثيقة ونلاحظ أنه من بين من شهودوا على تحريرها كان روبرت مانسل كندسطل انطاكية (١٢٠٧ - ١٢١٩) مما يدل على أن النبلاء اللاتين من انطاكية كانوا متواطئين مع ليو ضد بوهيمند الرابع الذي لم يعرف ذلك عن الكثيرين منهم . انظر :

Rohricht, Regesta, no. 820, p. 220. Rey, Les Dignitaires de la principauté d'Antioch, p. 119.

(١٠٧) يضع هيثوم وحوليات بيت المقدس وتاريخ أعمال القبارصة هذه الوقائع في يناير ١٢٠٨م / رجب ٦٠٤هـ . ولما لم يعلم البابا بها الا في فبراير من نفس السنة عن طريق رسالة من البرت دي فيرسيللي «Albert De Veicelli» بطريرك بيت المقدس (١٢٠٥ - ١٢١٤م) ، ومع ندرة عمليات السفر الى أوربا في فصل الشتاء ، فيمكن افتراض وجود فاصل زمني ملحوظ بين حدوث هذه الوقائع وبين روايتها في أوربا . انظر :

Héthoum de Gorigos, Table Chronologique, in R.H.C-Doc. Arm., Vol. 1, p. 479; Ann. T.S, p. 436; Gestes des chi-prois, p. 664, Innocent III, Regesta, in p. 1., Vol. 215. Cols. 1321-1323.

(١٠٨) يمدنا المؤرخ الارمني سمباد بأسماء الكثيرين من نبلاء انطاكية اللاتين ، الذين لجأوا الى قيليقية في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري في أواخر أيام بوهيمند الثالث وسيطرة بوهيمند الرابع على الامور في انطاكية في حياة والده . انظر : =

وبموت بطريرك انطاكية يكون بوهيمند قد تخلص من حدمناوئيه (١٠٩) .

الا أن البطريرك لم يقتصر دوره على التحريض للثورة ضد الامير ، بل انه كان قد أدخل فرسان الاسبتارية في دائرة الصراع نفسه ، كما فعل ليو (١١٠) . فقام الاسبتارية بالهجوم على حمص في محاولة للاستيلاء عليها من جهة ، ومن جهة أخرى لشغل المسلمين وخاصة الظاهر ، عن مساعدة بوهيمند ، واختاروا لذلك توقيتا مناسباً كانت فيه الخلافات بين بوهيمند والبطريرك على أشدها . ففي ربيع سنة ١٢٠٧م / ٦٠٣هـ أغار الاسبتارية من حصن الاكراد على اقليم حمص وحاصروا المدينة نفسها ، فاستنجد صاحبها المجاهد أسد الدين شيركوه بالملك الظاهر غازي الذي أرسل اليه قوة منعت عنه الاسبتارية (١١١) . وأثارت اعتداءات الاسبتارية على حمص الملك العادل الذي لم يكن قد نسي بعد اعتداءات القبارصة على السفن الاسلامية ، وعدم قدرة حنا ابلين الوصي على المملكة الصليبية على السيطرة على الفرنج ، فخرج العادل من مصر (١١٢) . ووصلت اليه الامدادات من حلب وحمص وحماة وبعلبك والجزيرة حتى بلغت قواته عشرة آلاف فارس عسكر بهم على بحيرة قدس ، وفي مايو ١٢٠٧م / شوال ٦٠٣هـ (١١٣) هاجم حصن الاكراد واشتد في قتاله واستولى على برج

Sempad, p. 639.

(١٠٩) لم يعلم البابا بموت البطريرك الا في يوليو ١٢٠٨م / ذي الحجة ٦٠٤هـ عن طريق رسالة من بطريرك بيت المقدس مؤرخه في الرابع من يوليو / التاسع عشر من ذي الحجة من نفس السنة . انظر : Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 215, Cols. 1428-1429.

(١١٠) عهد بطرس الى جماعة الاسبتارية بكل ثروته (في شكل جواهر) التي كان بوهيمند يسعى للاستيلاء عليها . انظر :

Riley Smith, The Knights of St. John. p. 155.

(١١١) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٧٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٧٢ .

(١١٢) قبل خروج العادل من مصر كان القبارصة قد استولوا على عدة سفن للمسلمين وأسروا من فيها . فأرسل العادل الى حنا ابلين يطلب رد الاسرى ، فأجاب الاخير بأن « أهل قبرص ليس لي عليهم حكم وأن رجعهم الى الفرنج الذين في القسطنطينية » ولما قصد العادل عكا اضطر الوصي على المملكة الصليبية أن يرد الاسرى الى العادل . انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ١٢٧ - ١٢٨ .

(١١٣) لم يخرج الظاهر بنفسه واكتفى كعادته بارسال فرقة من قواته =

اعزاز بالقرب منه (١١٤) ، وأسر منه خمسمائة رجل . ثم توجه إلى طرابلس واستولى على حصن القليعات (١١٥) ، ثم نازل طرابلس نفسها وحاصرها « وضيق على أهلها أشد تضيق » ، فبعث إليه بوهيمند « يخضع له ، وبعث له مالا وهدايا وثلاثمائة أسير ، ورغب في الصلح فصالحه » وذلك في ٢٧ يوليو ١٢٠٧م / ٣٠ ذى الحجة ٦٠٣هـ (١١٦) . ولما انتهى الأمر بين بوهيمند والملك العادل بالصلح ، ولما لم يخسر بوهيمند أكثر مما خسر الاسبتارية حلفاء ليو والبطيريك ، ولما كان الاعتماد على السلطة البابوية ، الأمر الذى تبقى أمام ليو ، ليس له من تأثير سريع في ذلك الوقت إلا ما يلبي احتياجات كنيسة انطاكية دون احتياجات ليو (١١٧) ، لكل ذلك ، لم يكن أمام ليو ، إلا الاستمرار في اعتدائاته على اقليم انطاكية . فقد قام بالاغارة على سهل انطاكية منتزعا أشجار

= كالتزام اقطاعى عسكرى يقدمه مقابل اقطاعه كما هو متبع في النظام الاقطاعى الايوبى . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٧٣ . راجع أيضا :
Hassanein Rabie, The financial System of Egypt, London, 1972, p. 32.

(١١٤) يذكر ابن نظيف أنها طاحونة اعزاز . واعزاز بلدة بين الساحل وحمص . انظر : ياقوت الحموى . معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣١٦ . ابن نظيف (أبو الفضائل الحموى) : التاريخ المنصورى (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) ، تحقيق أبو العيد دودو ، دمشق ١٩٨١ ، ص ٥٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٧٣ ، المقرئى : السلوك ، ج ٢ ، قسم ١ ، ص ١٦٦ .

(١١٥) القليعات : حصن يقع شمالى طرابلس بالقرب من الساحل . انظر : R.L. Wolf : and H.W. Hazard, Gazetteer, in Setton, Vol. 2, p. 797.

(١١٦) ابن نظيف : التاريخ المنصورى ، ص ٥٣ ، العسقلانى (عز الدين أبو البركات) : شفاء القلوب في مناقب بنى أيوب ، مخطوط بالمتحف البريطانى ، لوحة ٥٩ ب ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٧٣ .

(١١٧) كتب البابا إلى بطيريك بيت المقدس الذى عينه مبعوثا مقيما بالشرق كي يحسم الخلاف بين ليو وبوهيمند ، وأن يحمل بوهيمند على أن يبعد البطيريك اليونانى ، وأن يعيد بطرس الذى لم يكن قد علم بموته بعد . ولما علم بعث إلى بطيريك بيت المقدس يطلب منه إجراء انتخاب بطيريك جديد لانطاكية . انظر : -
Innocent III, Regesta, Vol. 215, Cols. 1428-1429.

الفاكهة ، وذابحا السكان ، وناهما كل الاقليم (١١٨) . ويبدو أن غارة ليو كانت مفاجئة لبوهيمند والملك الظاهر في نفس الوقت ، الى جانب وجود الملك الاشرف موسى صاحب حران وابن الملك العادل في ذلك الوقت في حلب في ضيافة الملك الظاهر وهو في طريق عودته من دمشق الى حران . ووجود الاشرف في حلب ووجود العادل في دمشق كان من الطبيعي أن يثير مخاوف الملك الظاهر (١١٩) . فانه اكتفى بارسال بعض من قواته بقيادة سيف الدين بن جندر الى السلطان السلجوقي كيخسرو ابن قلج ارسلان (١٢٠) حليف الظاهر ، والذي من المؤكد أن بوهيمند قد استغاث به أيضا ، والذي توجه الى بلاد ليو للضغط عليه . واستولى كيخسرو بمساعدة الحلبيين على حصن برتوس «Pertous» (١٢١) بالامان ، وهاجموا قلاعا أخرى (١٢٢) الامر الذي دفع ليو الى الدخول في اتفاقية مشروطة ، فقد وافق ليو على أن يرد حصن بغراس الى الداوية ، وأن لا يعرض لانطاكية ، وأن لا يعرض لبلاد السلطان الملك الظاهر (١٢٣) . وبالرغم من ذكر هذه الوقائع بهذا الوضوح ، الا أن المصادر العربية لم تذكر شيئا عن غارة ليو على انطاكية سبب حدوث هذه الوقائع . وقد وضع المؤرخ كلود كاهن غارة ليو في عام

(١١٨) نقل كاهن هذه الرواية عن ابن أبي طى وابن شداد (كتاب الجغرافيا) : انظر : Cahen, La Syrie du Nord, p. 614.

(١١٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٨٢ - ١٨٤ .

(١٢٠) وهو غياث الدين ابن قلج أرسلان . استولى في عام ١٢٠٤م / ٦٠١هـ على قونية من قلج أرسلان ابن أخيه ركن الدين سليمان الذي مات في العام السابق . انظر : ابن الاثير الكامل ، ج ١٢ ، ص ٩١ ، ٩٣ .

(١٢١) حصن برتوس ويسميه ابن واصل بغرقوس وابن العديم برنوس . وهو على بعد ١٥ ميلا من مرعش من جهة الشمال الشرقي . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٨٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٥٩ . راجع أيضا :

R.L. Wolf and H.W. Hazard, Gazetteer, in Setton, Vol. 2, p. 795

(١٢٢) لم يحددها ابن العديم أو ابن واصل . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٨٧ .

(١٢٣) انفرد ابن العديم بذكر تفاصيل الاتفاقية بينما لم يذكرها غيره من المؤرخين : انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٦٠ .

١٢٠٨م (جماد ثان ٦٠٤ - جماد ثان ٦٠٥ هـ) وعام ١٢٠٩م (جماد ثان ٦٠٥ - ٦٠٦ هـ) ، بينما وضع حملة كيخسرو في ربيع ١٢٠٩م/رمضان/شوال ٦٠٥ هـ. وفي كلتا الحالتين، فقد افتقرت روايته الى الصحة. أما عن غارة ليو ، فلا بد وأنها وقعت في عام ١٢٠٨م/٦٠٥ هـ ولم تتكرر في العام التالي له . فليس من المقبول أن ينتظر الملك الظاهر أن يغير ليو على انطاكية دون أن يتحرك الا عند تكرار هذا الهجوم وهو (الظاهر) الذي يهمله وجود بوهيمند حاكما لانطاكية. الى جانب ذلك فان المصادر العربية التي يستشهد بها كاهن في ذكره لغارة السلاجقة والحلبيين تضع هذه الغارة ضمن أحداث عام ١٢٠٨م/٦٠٥ هـ (١٢٤) . واذا كان عام ٦٠٥ هـ يواكب جزءا من عام ١٢٠٩م ، فان لما أورده ابن واصل بان عودة المسلمين عن بلاد الارمن لم تحدث الا لما « وقع الثلج » (١٢٥) يؤكد أن الحملة انتهت في شتاء عام ١٢٠٨م/٦٠٥ هـ لأن شتاء ١٢٠٩م يقع في منتصف عام ٦٠٦ هـ . ومن هذا كله نخرج بأن ليو قد أغار على انطاكية في خريف عام ١٢٠٨م/٦٠٥ هـ ، وأن حملة السلاجقة والحلبيين ضده كانت في شتاء العام نفسه . . واذا كان سلاجقة الروم قد بدوا يدلون بدلوهم في الصراع حول انطاكية ، فان الملك العادل نفسه بدأ كذلك يتدخل في نفس الامر ، وكل منهم يسعى لصالحه الخاص ، فالسلاجقة يهتمهم أن يحدوا من قوة ليو جارهم المشاكس ، في الوقت الذي يرى العادل أن خطر ليو في شمال الشام يشغل الظاهر عن مناوئة عمه . لذا سارع الملك العادل، الذي راسله ليو والتجأ اليه ، الى ارسال تعليماته الى كل من كيخسرو والملك الظاهر لعقد الصلح مع ليو (١٢٦) . وهكذا أصبح الصراع بين ليو وبوهيمند حول انطاكية مجالا لكل القوى الموجودة في بلاد الشام ، وفرصة للجميع لتحقيق المصالح الذاتية . فاذا كان الاسبتارية وبطيريك انطاكية اللاتيني قد اتخذوا صف ليو منافسة لقومون انطاكية والداوية الذين انحازوا لبوهيمند ، فان الملك العادل قد عمل على بقاء ليو كمصدر قلق لابن أخيه الغير خاضع له بدرجة كافية . ولم يكن تصرف العادل ، كما يرى كلود

(١٢٤) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٨٧ ، ابن العديم ،
المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .
(١٢٥) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٨٧ .
(١٢٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٦٠ .

كاهن (١٢٧) انحيازاً الى صف ليو . فلم تكن حملة العادل على اراضى طرابلس سوى حملة ضد الاسبتارية حلفاء ليو نفسه . وليس أدل على ذلك أكثر من تدابير الملك الارمينى الذى وجد أن سلوك العادل تجاهه يشوبه كثير من التحفظ . وان كان العادل يميل الى مساعدته ، فان نجدته له ليست قريبة منه بدرجة كافية . وفى النهاية فان التحالف مع حاكم مسلم مهما طال أمده ، فانه بالنسبة لحاكم مسيحى غير مأمون الى النهاية ، والجميع يتوقع قدوم حملة صليبية من غرب أوروبا فى أى لحظة . كل ذلك جعل من اتفاقية ليو مع كيخسرو حبراً على ورق ، كما دفع ليو الى البحث عن حلفاء آخرين يكون لهم ثر فعال أكثر من الاعتماد على مساندة الملك العادل . وفى ١٢١٠م / ٦٠٦هـ بدأ ليوبالاسبتارية حيث شهكرم على مساعدته فى صد هجوم السلاجقة ومنحهم حصن سلوقية Silifke (١٢٨) والحصن الجديد «Norport = Castellum Novum» ، وكمارديس «Camardias» (١٢٩) . ولكى يكمل ليو تكوين تخم للاسبتارية غربى قيليقية بينه وبين أملاك السلاجقة ، فقد استغل فرصة موت غياث الدين كيخسرو ، وارتباك خلفه عز الدين كيكائوس (١٣٠) ، وحاول الاستيلاء

Cahen, La Syrie Du Nord, p. 614. (١٢٧)

(١٢٨) تقع سلوقية على ربوة تطل على نهر ساليق ، والجسر الذى عليه الى الجنوب من ميناء أياس . انظر :

R. Fedden and J. Thomson, Crusader Castles, London, 1957, pp. 103-105.

(١٢٩) يقع الحصن الجديد وكمارديس شمالى سلوقية على نهر ساليق وهما قلعتان تتبعان مدينة سلوقية . كما أضاف ليو الى هذه المنحة حق الاسبتارية فى شن الحرب أو عقد اتفاقيات السلام مع السلاجقة فى قرمان دون الرجوع اليه . كما منحهم حرية خرق الهدن المعقودة بينه وبين المسلمين طالما يتطلب صالح الاسبتارية ذلك الى جانب أن الاسلاب التى يأخذونها من غاراتهم ضد المسلمين تكون لهم دون أن يطلب ليو منها شيئاً . انظر :

Cartulair, Vol. 2, p. 118, CF. also, T.S.R Boase, Gazetteer, in The Cilician Kingdom, of Armenia, p. 158; J. Riley-Smith, The knights of St. John, p. 132.

(١٣٠) بعد أن استولى كيخسروا على مدينة انطاكية التى تقع على الساحل الجنوبى لاملاك السلاجقة فى آسيا الصغرى ، وانتصر على تيودور الاول لاسكاريس الامبراطور البيزنطى فى نيقية ، قتل كيخسرو اثناء عملية المطاردة فى ظروف غامضة وترك ثلاثة أبناء ، عز الدين كيكائوس الذى خلفه فى الحكم ، وعلاء الدين كيقباز صاحب =

على قرمان «Karaman» التي وعد بها الاسبتارية أيضا (١٣١) . الى جانب ذلك ، فقد جعل ريموند روبين - عندما بلغ سن الرشد - يؤكد للاسبتارية منحة جبلة مضييفا اليها حصن بكسراثيل (١٣٢) . واذا كان ليو قد ضمن بتلك الامتيازات مساندة الاسبتارية له في موقفه من مشكلة انطاكية ، فانه لم يلبث أن اتخذ عدة اجراءات أضعفت مركزه تماما . فقد كان البابا قد مل المشكلة برمتها وعهد الى بطريك بيت المقدس في ١٢٠٩م / ٦٠٦هـ بالوصول الى عقد هدنة بين ليو وبوهيمند (١٣٣) . كما كتب الى ليو في نوفمبر ١٢١٠م / جمادى الاولى ٦٠٧هـ يخبره أنه قد طلب من بوهيمند أن يضع قلعة انطاكية في عهدة الداوية والاسبتارية وبطريك انطاكية اللاتيني الجديد بطرس دي لوسيديو «Pierre de Locidio» الذي لا يمكن الشك في حيده ، لكونه حديث العهد بمنصبه (١٣٤) . ورفض بوهيمند تنفيذ ذلك وانتهز ليو هذه الفرصة وقبل عقد هدنة مع بوهيمند الذي رفض تنفيذ تعليمات البابا ، وأصبح موقف ليو أفضل من ذي قبل (١٣٥) . كما قام ليو أيضا بالرد على البابا بايفاد ثلاثة مبعوثين

= توقات ، وابراهيم . واستغل ليو مع ظاهر الدين بن الدانشمند ومغيث الدين حاكم ارزن الروم تمرديقباذ على كيخسرو وساندوا الاخير . الا أن كيخسرو استطاع أن يخضع أخاه ، وحبسه ، ثم صالح لاسكاريس . انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١١٧ ، المقریزی : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ١٧٣ . راجع أيضا : Hethoum de Gorigos, p. 482. CF. also, Cahen, Pre-Otman Turkey, pp. 119-120.

(١٣١) قرمان هو الاسم التركي لها والاسم اليوناني هو لاراندا «Larada» وهي تقع في الجنوب الغربي من هرقلية . انظر : Cartulair, Vol. 2, p. 118, CF. also, Rohricht, Regesta, no. 843. lp. 225; Delaville Le Roulx, Les Hospitalliers, p. 433. Cartulaire, Vol. 2, p. 122, CF. also, Rohricht, Regesta, no. (١٣٢) 845, p. 226.

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 216, Cols. 18-19. (١٣٣)

(١٣٤) لجأ مجلس أساقفة انطاكية الى قلعة القصير الخاصة بكنيسة انطاكية حتى عين البابا في ١٢٠٩م بطرس أسقف دير لوسيديو بطريركا لانطاكية (١٢٠٩ - ١٢١٧م) انظر :

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 216, Cols 54-56. CF. also Rey, Les Dignitaires, p. 139.

(١٣٥) تعلل بوهيمند في رفضه بأنه يتبع الامبراطور البيزنطي . وهي =

الى روما أخبروا البابا أن ليو لم يستطع قتال المسلمين طالما أن عدم حل المشكلة يترك على حدوده مصدر خطر دائم ، فبعث البابا بالاسقف سيكارد مرة أخرى الى الشرق لحل هذه المشكلة وكان ذلك في ١٢١٠م/ ٦٠٦ هـ . الا أن الاخير لم يستطع عمل أى شئ (١٣٦) . وأضاع ليو على نفسه الفرصة في أن يحوز رضاء كنيسة روما في الوقت الذى فقد فيه بوهيمند ، بل انه ذهب الى أبعد من ذلك فعندما حاول بطريرك بيت المقدس أن يحل مشكلة بغراس أصر ليو على حل مشكلة انطاكية أولا ، ورفض المثل أمام البطريرك . ثم تجاوز حدوده واستولى على « طريق الفرنج المسمى » « Port Bonnel » (١٣٧) التابع للداوية وكل أملاكهم تقريبا في قيلقية وسهل انطاكية ، وهاجم فرقة من قواتهم كانت تحمل المؤن لحصن صخرة وليم الذى لم يكن قد أخذه منهم بعد . وقتل الارمن أحد فرسان الداوية ، وجرح مقدم الجماعة وليم اوف شارتر «William of Chartres» نفسه وكثير من أعضاء الجماعة وذلك في بداية ١٢١١م/ منتصف ٦٠٧ هـ . وبذلك تحول قرار الحرمان الذى كان حتى الآن يتخذ شكلا نظريا ، الى أمر واقع عندما أرسل البابا الى أساقفة سوريا وقبرص بنشر قرار الحرمان وأن يصبح نافذ المفعول ، كما أرسل الى الملك جان دى برين «Jean De Brienne» ، في ١٥ يونيو ١٢١١م/ ١ محرم ٦٠٨ هـ . لمساعدة الداوية في حملة ضد ليو لاستعادة حقوقهم في قيلقية (١٣٨) . ولما كان البابا يعلم أن بوهيمند يتمتع بتأييد الداوية ،

= حجة اتخذها لأن ذلك لن يضره شيئا طالما أن التأثير البيزنطى قد انتهى بموت مانويل . انظر :
 Luchaire, Innocent III, pp. 40-41; Grousset, t. 3, p. 259.
 (١٣٦) كانت رسالة ليو الى البابا في غسطس ١٢١٠م بينما كانت رسالة سيكارد في سبتمبر من نفس السنة . انظر :
 Innocent III, Regesta, in p. 1., Vol. 216, Cols. 310-311.
 (١٣٧) عن موقع ذلك الطريق انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٢٦٥ حاشية (٥٧) .
 (١٣٨) جان دى برين هو أحد أتباع فيليب ملك فرنسا . رشحه فيليب للزواج من ماريا وريثة مملكة بيت المقدس وكان عمره وقتذاك قد ناهز الستين عاما وتوج ملكا في أكتوبر ١٢١٠م . وكانت رسالة البابا موحدة للجميع . انظر :
 Eracles, p. 317, CF. also; Innocent III, Regesta, in P.L., Vol.

فقد خشى أن تتحول القوة التي يستمدّها بوهيمند من هذا التحالف الى مكاسب تأتي على حساب الكنيسة ، بعد أن تخرج موقف منافسه ليو بحرمانه رسميا . لذا اتخذ البابا اجراءا غريبا بالنسبة لهذه الظروف ، يجعلنا نرى نموذجا جديدا لدبلوماسية الحروب الصليبية عندما نرى أنه مما يتناقض مع وظيفته أن يرسل أحد الحكام المسلمين لصالح الكنيسة (١٣٩) . فكتب في ٧ مايو ١٢١١م / ٢١ يونيو ٦٠٨هـ خطابا الى الملك الظاهر ملك حلب يرجوه أن يعمل على حماية بطريرك انطاكية اللاتيني ، والعمل على أن لا يناله أى شخص بأى ضرر ، وأن يحمى كنيسة انطاكية (١٤٠) . وإذا كان تصرف البابا هذا يثير الدهشة الى حد ما (١٤١) ، فانه في نفس الوقت يثير تساؤلا هاما : هل كان الظاهر ملك حلب المسلم ، الذي كان منقذا لبوهيمند والسياسة اللاتينية في مواجهة الارمن سيصبح مخلصا للكنيسة اللاتينية في مواجهة اليونانيين واللاتين من بارونات انطاكية وأميرها أيضا (١٤٢) ؟ والاجابة على هذا التساؤل تتضح من التمعن في موقف البابا نفسه من مشكلة انطاكية . فمن الواضح أن انوسنت الثالث كان يسعى الى حماية استقلال الكنيسة اللاتينية وسط التيارات السياسية المتناقضة وكانت هذه أحد الاركان الرئيسية للحركة الصليبية نفسها (١٤٣) . ومن الواضح أيضا

216, Cols. 430-432; CF. also, J. La Monte, John d'Ibelin, =
in B., Vol. 12, p. 425.

Cahen, La Syrie du Nord, p. 617. (١٣٩)

(١٤٠) انظر ملحق رقم (١) بنهاية الرسالة ، راجع أيضا :

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 216, Col. 434.

(١٤١) « نرى البابا يذهب لمنع أغرقة كنيسة انطاكية الى حد أن يكتب رسالة ودية الى سلطان حلب » . انظر :

Grousset, Histoire de Croisades t. 4, p. 259.

Cahen, La Syrie du Nord, p. 617. (١٤٢)

(١٤٣) كان كل بطاركة انطاكية السابقين (فيما عدا رالف دمفرننت

Ralph of Domiront قد عينوا بواسطة أمراء انطاكية . أما بطرس

الثاني هذا فان بوهيمند الرابع لم تكن لديه السلطات التقليدية

لتعيينه . ويبدو أن البابا نفسه قد رشحه لهذا المنصب ، وتم تنفيذ ذلك على

أيدي مجلس كهنة انطاكية ، وتحت اشراف بطريرك بيت المقدس

بالرغم من اعتزال رئيس المجلس مع اثنين من أعضائه الى قلعة

القصر ، ورفضهم العون . انظر :

B. Hamilton, The Latin Church in the Crusader States, p. 219.

أنه يحاول المحافظة على توازن القوى بين بوهيمند وليو . فعندما حرم ليو من الكنيسة رسميا ، وألزم ملك بيت المقدس بمساعدة الداوية ضده ، كان يعلم أن في ذلك اطلاقا لأيدي بوهيمند الذي يهمله تثبيت حقه في الحكم ومركزه في انطاكية باستمالة العنصر اليوناني فيها على حساب رجال الدين اللاتين . وربما يتحول بعد ذلك الى جانب الداوية والملك ضد ليو ، وفي الحالتين كان سنده الاساسي هو حليفه الملك الظاهر . ولما كان الاخير يساند بوهيمند تحقيقا لمصالحه أيضا، فان مساندته للبطريرك ربما تبعده عن بوهيمند ، وهذا ما سعى اليه البابا وفشل فيه . فلم يكن لخطاب البابا أي تأثير لدى الملك الظاهر . ولم يباعد بين أمير انطاكية وحليفه الظاهر صاحب حلب سوى تعدى بوهيمند دون تفكير على أتباع ملك حلب من الحشيشية الذين كانت لهم نفس القيمة التي يتمتع بها بوهيمند كحليف ربما يفيد الظاهر في مواجهة طموح أي من أفراد أسرته في بلاد الشام أو مصر ولو عن طريق الاغتيال ، ودون المشاركة العسكرية (١٤٤) . وهكذا ، ففي الوقت الذي حاول فيه انوسنت الثالث أن يحافظ على توازن القوى بين ليو وبوهيمند نجد أن كلا منهما يسعى الى مزيد من التحالفات التي تجعل كفته هي الأرجح . فاذا كان ليو قد فقد عطف البابوية ، فانه سعى الى الحصول على التأييد من الحكام المسيحيين الآخرين . فراح يوثق عرى الصداقة بينه وبين أباطرة نيقية البيزنطيين (١٤٥) بعد أن وطدها مع ملك قبرص من قبل (١٤٦) . ثم سعى الى تجديد اتفاهه القديم مع الامبراطورية الالمانية التي لم يبق عاقلها

(١٤٤) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٢٩٧ .
(١٤٥) حاول ليو أن يعقد زواجا سياسيا بينه وبين أسرة لاسكاريس في نيقية الامر الذي فشل بسبب المعارضة الدينية من قبل رجال الدين الارمن . انظر :

Cahen, La Syrie du Nord, pp. 617-618.

(١٤٦) في ١٢١٠م تزوج ليو الثاني من سيبيل «Sibyl» الاخت غير الشقيقة لملك قبرص هيو الاول لوزينان لأبيه عموري الثاني وايزابيلا ملكة بيت المقدس السابقة . وكان ليو في ذلك الوقت في الستين من عمره ولما كانت سيبيل في الثانية عشرة ، وأنجب منها ليو ابنة في عام ١٢١٥م تدعى اورمانيان «Ormanian» كما دعم ليو هذه الرابطة الاسرية باتمام زواج ريموند روبين بالاخت الثانية هيلواس «Heloise» لملك قبرص في ١٢١١م . انظر : =

على وفاقه مع البابوية (١٤٧) . ولجعل ذلك الاتفاق محل التنفيذ ، فقد تقرب ليو بشكل كبير ، أكثر مما تقرب به بوهيمند ، من ممثلى هذه الامبراطورية فى الشرق ، وهم جماعة الفرسان التيوتون (١٤٨) ، التى

Sempad, p. 643; Hethoum de Gorigos, p. 482, CF. also, Hill, =
The History of Cyprus, Vol. 2, p. 76, n. 2.

(١٤٧) نجح أوتو الرابع فى أن يعطى عرش الامبراطورية الالمانية واقضاء فيليب السوابى شقيق الامبراطور السابق هنرى السادس وذلك فى ١٢٠٩م بعد اغتيال فيليب فى ١٢٠٨م . وتوج البابا انوسنت أوتو امبراطورا (١٢٠٨ - ١٣١٨م) فى ١٢٠٩ . وفى ١٢١٠م ذهب سفراء ليو بعد مقابلتهم للبابا الى أوتو الذى أرسل معهم تاجا ليو فى ١٢١١م وضعه ليو على رأس ريموند روبين وأعلنه وريثا له . بعد ذلك أرسل أوتو تاجا آخر مع ويلبراند أوف أولد نبيرج الى ليو انظر :

Wilbrand of Oldenberg, Peregrinotores, p. 179. CF. also, Cahen, La Syrie du Nord, p. 618.

(١٤٨) ترجع نشأة جماعة الفرسان التيوتون أو فرسان القديسة ماريالالمان الى عام ١١١٨م ، حين أقام الحجاج الالمان - فى عهد الملك بودلوين الاول - مستشفى صغير وكنيسة ومضيقة ألمانية لرعاية حجاجهم . وحصل الالمان فى بداية الامر على مساعدة جماعة الاسبتارية وربما حدث اندماج بين الجماعتين حتى أعلن البابا سلستين (١١٤٣ - ١١٤٤م) استقلال التيوتون . وكان مكان المؤسسة الألمانية فى بيت المقدس على الطريق المؤدى من البوابة الجنوبية الغربية للمدينة الى ساحة مسجد عمر بن الخطاب بجوار الحى الارمينى . واعتمدت الجماعة على دعم الحجاج الالمان فقط . ولأن المانيا لم تكن مركز هجرات ، فلم تكن جماعة التيوتون فى مثل غنى جماعتى الداوية والاسبتارية . كما أن تقلص مملكة بيت المقدس بعد حطين لم يمنح الجماعة الفرصة للنمو . وظهرت الجماعة بنشاطها فى الحملة الصليبية الثالثة أثناء حصار الفرنج لعكا فى عام ١١٨٩م . فأقام صليبيو مدينتى بريمن ولوبك مستشفى بالواح الخشب وأشرعة السفن وحصل كل من فريدريك السوابى وأخوه هنرى السادس على اعتراف البابوية بالجماعة فى عهد البابا كليمنت الثالث (١١٨٧ - ١١٩١م) ثم البابا سلستين الثالث (١١٩١ - ١١٩٨م) على التوالى . وبعد موت فريدريك السوابى بقى بعض الالمان فى الشرق ، ولما لم يحضر الامبراطور هنرى السادس الى الشرق ، فقد تحولت الجماعة الى جماعة عسكرية . وفى فبراير ١١٩٩م اعترف بها البابا انوسنت الثالث كجماعة صليبية مقاتلة . وتطورت الجماعة بسرعة لانتظام الامتيازات البابوية للجماعات العسكرية فى بداية القرن ١٣م / ٧هـ =

منحها ليو كثيرا من الامتيازات في قيليقية (١٤٩) أكثر مما منحهم اياه بوهيمند في أملاكه (١٥٠) . ولما شعر ليو بأنه قد ازداد قوة بذلك ، لم

= وكان أول مقدم لها هو هرمان سالزا «Herman von Salza»
الا أن تطورها وغناها لم يبلغا ما كان للداوية والاسبتارية . ولم
تكن قلعتها الرئيسية في القرين أو مونتفورت مثل قوة أملاك
الاسبتارية في حصن الاكراد أو الداوية في صفد . ويرجع ذلك الى
عدم تمتع التيوتون بشعبية الجماعتين الأخرتين كما كان الامر
بالنسبة لمؤيديها الاساسي فريدريك الثاني الذي كرهه الصليبيون في
بلاد الشام . لذا كانت كل أملاك الجماعة (٦٠ قرية) مشتراة .
ولم تتعد أملاكهم في انطاكية وطرابلس بعض الطواحين وحقول
الكروم أو بعض الدخول الثابتة التي كان يمنحهم اياها أمراء
انطاكية . ولم تتمتع الجماعة بالاستقلال الذاتي مثل الداوية
والاسبتارية ، لذا لم يلعب التيوتون دورا هاما في سياسة الشرق
اللاتيني لعدم تدخلهم في السياسات الصليبية والمكائد السياسية
التي تفشت بين الفرنج . انظر :

H. Prutz, Die Besitzungen des Deutschen ordens in Heiligen
Lande, Leipzig, 1877, pp. 34, 57; M. Tümler, Der Deu-
tschen ordens in Werden, wachsen und Wirken bis 1400,
Wien, 1955, pp. 579 ff, M. Perlbach, Die Statuten des
Deutschen Ordens, Halle, 1890, pp. 159 ff; Desmond
Seward, The Teutonic knights in History today, Vol. 20,
pp. 859 ff, J. La Monte, The rise and decline of a Fran-
kish seignury in Syria, in R.H., Vol. 15, pp. 317 ff, Rey
Conderund and G. Masterman, A visit to the ruined
Castle of the Teutonic knights, in P.E.F., 1919, pp. 71 ff;
D. Bashford, The Exploration of a crusader fortress-
(Montfort) in. J.C.U.L., Vol 22ff pp, 6 ff,

(١٤٩) منذ عام ١١٩٨م، وللتقرب من الامبراطور هنري السادس ظل ليو
يمنح التيوتون عدة امتيازات في قيليقية . كما أنه اعتبر نفسه أحد
أعضاء الجماعة أو أخا للجماعة ومنحهم كثيرا من القرى والقلاع
والاراضي الزراعية وحرية التجارة في أملاكه ، وكانت أهم القلاع
التي منحها لهم هي قلعة العمودين التي تتحكم في الطريق من
جبال الامانوس الى سيس ومنها الى نهر سيحون - وقد منحها
لهم في ابريل ١٢١٢م .

Wilbrand of Oldenburg, pp. 176-179; Strehlke, nos., 46, 47,
pp. 37-40.

(١٥٠) في سبتمبر ١٣٠٩م منح بوهيمند للتيوتون قطعة أرض تمتد من
السور الاساسي لبرج طرابلس الشرقي الى حدود أسقفية طرابلس =

يقم وزنا لتوبيخات البابا ، وفي خريف عام ١٢١١م/٦٠٨هـ ، قام فرسان
الداوية بحملة ضد ليو لاسترداد حصن بغراس بمساعدة فرقة من انطاكية
 وخمسين فارسا بعث بهم الملك جان دي برين تنفيذا لتعليمات
البابا (١٥١) . وحاصر الداوية حصن بغراس ، ولما شعر ليو بعزمهم على
أخذ الحصن ، عرض عليهم الصلح ، ووعدهم بأن يسلمه اليهم ، ولم يف
بوعده (١٥٢) . وفي عام ١٢١٢م/٦٠٩هـ ، بعث ليو بريموند روبين كي
يتلقى تدريبه العسكري الاول باحتياج سهل انطاكية . وأكثر من ذلك ،
فقد بدأ ليو باضطهاد رجال الدين اللاتين في قيليقية ، لتطويقهم قرار
الحرمان الصادر ضده (١٥٣) . وبعد كل هذه الاعمال التي أظهرت تمرد
ليو تماما ، وفي نهاية ١٢١٢م/منتصف ٦٠٩هـ فاجأ الجميع بسياسة
مغايرة . فرد الى الداوية كل ما كان قد استولى عليه من أملاكهم في قيليقية
وخليج الاسكندرونة ، واتفق معهم على أن يرد اليهم حصن بغراس بعد
أن يستولى على انطاكية ، وكتب الى البابا يعلمه بذلك ، ويطلب منه
اجبار بوهيمند على الدخول في مفاوضات جديدة مع ريموند
روبين (١٥٤) . فأوقف انوسنت قرار الحرمان الذي صدر ضد ليو وذلك
في مارس عام ١٢١٣م/شوال ٦٠٩هـ (١٥٥) ، وكان ذلك بداية لعهد

= وأرض الداوية في الجهة الغربية من أسوار طرابلس الى جانب
ثلاثة أبراج ليقم فيها فرسان الداوية - وكانت هذه المنحة النوحيدة
التي قدمها بوهيمند للجماعة حتى قدوم الامبراطور فريدريك
الثاني الى الشرق انظر :

Strehlke, no. 44, pp. 35-36; Rotricht, Regesta, no. 839-, p. 224,

Prutz, Die Besitzungen, p. 34.

Eracles, p. 417.

(١٥١)

Eracles, p. 137.

(١٥٢)

(١٥٣) مات أسقف طرسوس اللاتيني في عام ١٢١٢م/٦٠٩هـ الذي طالما

عارض سياسة ليو ، فاستولى الاخير على أملاك الكنائس اللاتينية
وأعطاهم اليونانيين ، واستقبل في قيليقية سمعان الثاني بطريرك
انطاكية اليوناني ، الذي نجح بطرس الثاني في حمله على
مغادرتها ، ولم يبق هذا في قيليقية بل توجه الى نيقية ومات
هناك

Cahen, La Syrie du Nord, p. 619; B. Hamilton, The Latin
Church, p. 221.

Innocent III, Regesta, in P.L. Vol. 216, Col. 747.

(١٥٤)

(١٥٥) جاء ذلك في رسالة البابا الى بطريرك بيت المقدس في ١٥/٢٢ مارس =

أحداث جعلت هذا العام يشهد تغيرا كبيرا في موقف بوهيمند ، وأبعدت عنه كل من تمتع بتأييدهم في السنوات السابقة ، وفي النهاية أدت تلك الأحداث الى أن يعتلى عرش امارة انطاكية حاكم غير لاتينى - لأول مرة - منذ أقامها بوهيمند الاول منذ ما يقرب من مائة وعشرين عاما قبل ذلك التاريخ . فبالطبع فان البابا - بعد خضوع ليو - لم يعد يؤيد بوهيمند الذى لم يكن يطلق عليه سوى اسم كونت طرابلس (١٥٦) . وبعد فترة قصيرة استدعى بطريرك بيت المقدس من جديد كلا من ليو وبوهيمند للمثول أمامه ، وبعد أن رأى بوهيمند يعترض عليه بالرأى غير المتوقع بتبعيته للامبراطورية البيزنطية ، أرسل الى البابا يعلمه بذلك ، وجاء رد البابوية بأن هذه خدعة من بوهيمند لا يجب أن يقيم لها البطريرك وزنا (١٥٧) . ومن سوء حظ بوهيمند أنه كان بذلك آخر من عصى ، وأصبح هو السبب فى ألا تصل مشكلة انطاكية الى حل أكثر مما وصلت اليه فى اليوم الاول من حدوثها بالرغم من هدوء الموقف بينه وبين ليو لمدة ثلاث سنوات لحرص الأخير على بقاء الأمور مع البابوية على ما هى عليه ، فيكون هو التابع المطيع ، ويكون بوهيمند هو الابن المتمرّد . ولما كان البابا يستطيع الآن أن يشهد الرحيل الوشيك للحملة الصليبية التى لم يتوقف أبدا عن الاعداد لها منذ انحراف الحملة الرابعة عن الهدف الذى رسمه لها ، وكرس كل سياسته الشرقية لهذا الهدف ، فقد بدأ بتهدئة الأمور بين أتباعه فى الشرق ، توفيراً لكل عوامل النجاح لهذه الحملة (١٥٨) . فعمل على مصالحة ليو مع الملك جان دى برين ،

= ١٢١٣ . انظر :

Rohricht, Regesta, no. 863, p. 232.

وجاءت هذه الرسالة بدون تاريخ فى سجلات البابا انوسنت الثالث . انظر :

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 216 Cols 792-793.

(١٥٦) لم يطلق البابا على بوهيمند لقب أمير انطاكية ، بل اقتصر على تسميته فى كل رسائله الى الشرق بلقب كونت طرابلس . ولم يطلق عليه لقب أمير الا مرة واحدة ، عندما طلب منه أن يكون لرهبان كنيسة القديس بولس فى انطاكية الحق فى اختيار رئيس لهم بأنفسهم انظر :

Innocent III, Regesta, Col. 1792.

Röhricht, Regesta, no, 868, pp. 533-534.

(١٥٧)

(١٥٨) خلال الخمسة عشر عاما الاولى من بابويته بعث انوسنت الثالث =

الامر الذى تحقق عام ١٢١٤م/٦١٠هـ ، بزواج الاخير من ستيفانى «Stephannic» ابنة ليو ، والذى تقوى به ليو أكثر (١٥٩) . وهكذا أصبح ليو يتمتع بتأييد البابوية ، وجماعة التيوتون ، والاسبتارية وأخيرا ملك بيت المقدس ، بينما كان قد أنهى خلافاته مع الداوية حلفاء بوهيمند ، ونجح بذلك فى تحييدهم فى خلافاته مع الاخير وابعادهم عنه . ولم يبق أمام ليو الا أن يفقد بوهيمند رضاء حلفائه المسلمين . وهذا ما حدث بالفعل . ففى نهاية عام ١٢١٣م/منتصف عام ٦١٠هـ اغتال اسماعيلية الشام ريموند (١٦٠) الابن الاكبر لبوهيمند الرابع فى كاتدرائية انطربوس (١٦١) . وأراد بوهيمند أن يثار لهذه الجريمة ، واستغل فرصة هجوم الاسبتارية على حمص وحماة بمساعدة الصليبيين من عكا وقبرص وقيليقية فى أكتوبر ١٢١٤م/جماد ثان ٦١١هـ (١٦٢) ، وهاجم

=
بالآلاف الرسائل التى تخص الدول المسيحية المهددة والتى تدعو الى قيام الحملات الصليبية التى لم يتجاهلها انوسنت أبدا . انظر : Edward Peters, Christian Society and Crusades (1198-1229), Philadelphia, 1971, p. IX.

(٢٥٩) أقرض الاسبتارية ليو ثلاثين ألف دينار اسلامى لاتمام هذا الزواج . انظر : ابن واصل مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ ، راجع أيضا : Hethoum de Gorigos, p. 482; Cartulair, Vol. 1, no. 1426, p. 682, CF. also, Riley Smith, The knights of St. John, p. 158.

(١٦٠) أنجب بوهيمند الرابع من زوجته الاولى بليزانس ابنة هيو حاكم جبيل أربعة أبناء مات ثلاثة وعاش الرابع وهو بوهيمند الذى سيخلفه فى حكم انطاكية ، وكان ريموند أكبر الاربعة ، وعينه بوهيمند وريثا له قبل أن يغتاله الحشيشية . ثم تزوج بوهيمند من ميليسند لوزينان ابنة هيو الاول ملك قبرص وأنجب منها ابنتان . انظر :

L. Brehier, The Various Bohemonds Princes of Antioch, in D.H.G.E., Vol. 9, p. 486

(١٦١) شك بوهيمند فى أن الاسبتارية هم الذين دفعوا الحشيشية على مقتل ابنه ، وكان الحشيشية يدفعون الجزية للاسبتارية . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٦٦ . راجع أيضا :

Willbrand of Oldenberg, Itinerarium, p. 170.

(١٦٢) رجع الفرنج من حمص وحماة بعد تدخل الملك الظاهر واكتفوا «من الملك المنصور بسبى حملة اليهم» انظر: ابن واصل: مفرج =

أهلاك الحشيشية ، وهاجم حصن الخوابى (١٦٣) ، وحاصره حصارا شديدا (١٦٤) ، فطلب الحشيشية الذين بالحصن النجدة من الملك الظاهر ، الذى بعث اليهم بمائتين من المشاة وفرقة من الفرسان ، ليدخلوا الى الحصن ويمنعوا الفرنج من الاستيلاء عليه (١٦٥) . ثم أمر الظاهر بخروج فرقة أخرى من حلب بقيادة سيف الدين ابن علم الدين ليشغلوا الفرنج من ناحية اللاذقية ، وبذلك يجعل الفرنج يغيرون من من اتجاههم . الا أن الفرنج عندما علموا بهذه التحركات نصبوا كمينا للمشاة والفرسان الذين كانوا يحرسونهم ، وذبحوا وأسروا أول من وصل منهم ، وأخذوا ثلاثين آخرين وذلك في ١٦ نوفمبر ١٢١٤م / ١١ رجب ٦١١هـ (١٦٦) . فخرج المعظم ابن الملك العادل من دمشق بعسكره ، ودخل أراضى طرابلس ، ونهب كل ضياعها ، فرحل الفرنج عن الخوابى (١٦٧) خاصة بعد أن أرسل الظاهر نجدة أخرى اليها ، استطاعت أن تدخل الحصن في وقت غارة المعظم ، وبعث الظاهر الى الفرنج يعلمهم أنه لا يمكنهم من الاسماعيلية فرحلوا الى انطاكية (١٦٨)

- ٢٢٣ ص ، ج ٣ ، الكروب ، =
لم يكن من الممكن أن يشارك الارمن في هذا المشروع ، وان كان قد شهد مقدم الاسبتارية حصار بوهيمند للخوابى . انظر :
Riley-Smith, The knights of St. John, p. 139.
وبالطبع لم يشارك القبارصة في هذا المشروع بصفة رسمية ولا بدأنهم كانوا بعض المرتزقة القبارصة .
(١٦٣) « الخوابى » قلعة على بعد ١٥ ميلا شمالى طرابلس وجنوبى انطربوس بطريق البحر . انظر : القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٤٦ .
(١٦٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ .
(١٦٥) يذكر كل من ابن واصل وابن الفرات على العكس من ابن العديم ، الذى كان أكثر دقة وتفصيلا في سرد أحداث هذه الواقعة ، أن الظاهر خرج بنفسه لنجدة الحصن : انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط تصوير شمسى ، ج ٧ ، لوحة ٦٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ص ١٦٦ .
(١٦٦) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .
(١٦٧) ابن العديم : المصدر السابق ، نفس الجزء ونفس الصفحة .
(١٦٨) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ ، ابن الفرات : المصدر السابق ، ج ٧ ، لوحة ٦٠ .

وأطلقوا الاسرى الذين أسروهم من أصحاب الظاهر . ولم يبق أمام بوهيمند إلا أن يبعث باعتذاره الى الظاهر (١٦٩) ، إلا أن الجفاء كان قد حل محل الود بين الظاهر وحليفه بوهيمند . أما عن سكان انطاكية ، الذين أرهقتهم الحرب ، فقد كان واضحا أنهم قلقين من أن تحل الحرب مع المسلمين محل الحرب مع الارمن ، وأصبحوا أقل قدرة على الاستمرار في الدفاع عن أنفسهم ، حتى أن بوهيمند أصبح يفضل الإقامة في طرابلس الأقل عوزا ، والاحسن مركزا (١٧٠) ، وهجر انطاكية ، وتركها فريسة للارمن . واستطاع ليو أن يستغل كل تلك الظروف ليحيك مؤامرة جديدة داخل انطاكية ، حيث بقى بعض رجال الدين والبارونات اللاتين على ولائهم له « فقد اكتسب ليو بوعده بالعطايا الكبيرة بعضا من كبار القوم بالمدينة ، الذين فتحوا له أبوابها في أثناء الليل » (١٧١) وكان على رأس هؤلاء أشارى «Acharie» وكيل انطاكية (١٧٢) ، الذى أرسل وفدا لاستدعاء ليو ، وفتح للارمن باب القديس بولس الواقع في الجهة الشمالية من أسوار المدينة في مساء يوم الاحد ١٤ فبراير ١٢١٦م / ٢٤ شوال ٦١٢هـ (١٧٣) . وقد اتفق كل المؤرخين المسلمين والصليبيين على هذا

(١٦٩) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٨ . راجع أيضا :
C. Defrémery, Nouvelle Recherches Sur Les Ismaéliens ou
Bathniens de Syrie, in J.A., 1855, pp. 40-41.

Cahen, La Syrie du Nord, p. 621. (١٧٠)

Sempad, p. 643. CF. also, H.F. Tournebize, Histoire politique
de l'Arménie, Paris, 1910, p. 198. (١٧١)

(١٧٢) « أشارى السريمى » تولى جده اسكيفارد السرمينى «Eschivard
de Sarmenia» منصب وكيل انطاكية (١١٤٩ - ١١٧٥م)
ثم تولاه والده جيرفاس (١١٨١ - ١١٩٩م) وأخيرا أشارى الذى
اختفى المنصب من انطاكية بعده . انظر :

E.G. Rey, Les Dignitaires, pp. 122-123.

(١٧٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٥٧٢ ،
ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ، ص ٢٣٣ ، ابن العديم : زبدة
الحلب ، ج ٣ ، ص ١٦٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ،
ج ٦ ، ص ٢١٣ ، العينى (بدر الدين) : عقد الجمان في تاريخ
أهل الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ج ٢٠ ، ورقة ٥٥١ ،
ابن كثير (الحافظ بن كثير) البداية والنهاية ، ١٤ جزء في ٧
مجلدات ، بيروت ١٩٧٧ ، ج ١٣ ، ص ٦٩ . راجع أيضا :

Ann. T.S., p. 436; Gestes de Chiprois, p. 665; Sempad, p. 643; =

التاريخ ، الا أن روهرشت وضعه في يناير/فبراير ١٢١٥م/شوال/ذى القعدة ٦١١هـ (١٧٤) مستندا الى بعض الوثائق التي حررها ريموند روبين للجنوية كامير لانطاكية في ٣١ مارس ١٢١٥م/٢٨ ذو القعدة ٦١١هـ ويؤكد فيها للاستتارية امتيازات بوهيمند الثالث لهم (١٧٥) . ونسى رهرشت أن ريموند روبين قد اتخذ لنفسه لقب أمير انطاكية حتى قبل أن يتحقق ذلك بتسع سنوات (١٧٦) . فليس من الغريب إذن أن يتبع ذلك قبل دخوله انطاكية بعام . الى جانب ذلك فانه على عكس الوثائق التي كثيرا ما كانت تواريخها محل نقاش ، فان التاريخ الذي أخذنا به ، والذي جاء على درجة كبيرة من الدقة بحيث تحدد فيه اليوم والشهر الذي سقطت فيه انطاكية في أيدي الارمن ، من الصعب التشكك فيه لأن مؤرخنا سبط ابن الجوزي ، الذي أورده ، كاد يكون شاهد عيان لهذه الواقعة (١٧٧) . وهكذا فمن المؤكد أن يوم الاحد ١٤ فبراير ١٢١٦م/٢٤ شوال ٦١٢هـ ، هو التاريخ الصحيح الذي دخل فيه الارمن انطاكية . ومهما يكن من أمر ، فقد احتلت قوات ليو النقاط الرئيسية في المدينة ، وقبل أن يرى السكان أى شيء ، وعند مطلع الفجر ، كان الارمن هم سادة انطاكية (١٧٨) . فدخل ليو بصحبة ريموند روبين وتوجهوا الى كنيسة القديس بطرس ، وقدموا فروض الولاء والطاعة الى البطريرك اللاتيني الذي أعلن ريموند

Hethoum de Gorigos, p. 483; Marino Sanudo, p. 206. CF. also, =
Runciman, Vol. 3, p. 138; Cahen, p. 621.

(١٧٤) ويتفق معه هاملتون أيضا . انظر :

R. Rohricht, Geschichte des konigreichs Jerusalem, 1100-1291,
Innsbruck, 1898, p. 716; B. Hamilton, The Latin Church,
p. 222.

Rohricht, Regesta, nos. 877, 878, pp. 236-237. (١٧٥)

(١٧٦) عندما منح ريموند روبين مدينة جبلة للاستتارية في ١٢٠٧م ، ثم أكد المنحة عندما بلغ سن الرشد في ١٢١٠م . انظر :

Rohricht, Regesta, no. 820, p. 220, no. 845 p. 226.

(١٧٧) وفيها أخذ ابن لاون انطاكية من الفرنج يوم الاحد رابع عشرين شوال وكنت في ذلك اليوم قد جلست عند الملك الظاهر بطلب في دار العدل ، فلما انقضى المجلس نزلت المنبر فقام الظاهر والتقاني وأجلسني الى جانبه ودفع الى بطاقة جاءته من حارم يخبره بذلك انظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٥٧٢ .

Eracles, p. 318.

(١٧٨)

أميرا على أنطاكية ، وهو الملقب الذي لم يستطع بوهيمند أن يحصل عليه رسميا حتى ذلك التاريخ . ثم قدم البارونات فروض الولاء الى ريموند كامير لهم (١٧٩) . ولجأ آخر أتباع بوهيمند مع الداوية الى القلعة ، الا أنهم ما لبثوا أن استسلموا ، ربما لشعورهم بفتور حماسة الداوية في الدفاع عن المدينة ، في الوقت الذي وصل فيه بوهيمند الى حصن المرقب ، ثم عاد الى طرابلس بعد أن تأكد له سقوط أنطاكية في أيدي خصومه (١٨٠) .

واذا كانت الظروف التي تهيأت أمام ليو ، الذي أحسن استغلالها ، هي التي جعلت بوهيمند يفقد تأييد البابوية ، والاسبتارية ، والتوتون ، وأخيرا ملك بيت المقدس بفضل جهود ليو . ففي الوقت الذي خسر فيه بوهيمند تأييد كل هؤلاء ، فإن ما يثير التساؤل هو أمر بقية حلفائه من الداوية ، وسكان أنطاكية وبطيريكها اللاتيني وفي النهاية الملك الظاهر ملك حلب . فكيف تقاعس هؤلاء عن الوقوف في صف بوهيمند ، والعمل على عدم سقوط أنطاكية في أيدي الارمن ، والحرص على بقاء بوهيمند أميرا لها في نفس الوقت ؟ وإذا رجعنا الى الوراء قليلا نجد أن ليو قد نجح أيضا في استمالة الداوية ، وبرجوازية أنطاكية وسكانها والبطيريك نفسه ، أما عن الداوية ، فقد وعدهم في ١٢١٢م / ٦٠٨ - ٦٠٩ هـ باعادة بغراس اليهم بعد استيلائه على أنطاكية ، ومن المؤكد أنه كان هناك اتفاق بين الطرفين على عدم تعرض الداوية لقوات ليو عند دخولهم المدينة . والدليل على ذلك سير الاحداث نفسها . فقد دخل الارمن المدينة ولم يعترضهم الداوية ولم يقوموا حتى بأى هجوم مضاد ضدهم كما في المرات السابقة ، وأخيرا سلم ليو حصن بغراس الى الداوية قبل أن يعود الى بلاده (١٨١) . أما عن سكان أنطاكية ، فقد دفع ليو ثمن ولاء قادتهم

(١٧٩) ورد ذلك في رسالة ليو الى البابا والتي يضعها رهرشت في عام ١٢٠٦م / ٦٠٣ هـ ، خطأ ، فإن إعادة حصن بغراس الى الداوية كما يذكر ليو في الرسالة لم يتم الا في ١٢١٦م / ٦١٣ هـ . انظر :

Rohricht, Regesta, no. 817, pp. 218-219; CF. also, A.W.

Lawrence, The Castle of Bagras, in the cilician Kingdom,

p. 46.

Sempad, p. 643. CF. also, Rey, Histoire des Princes d'Antioch, (١٨٠)

p. 395.

(١٨١) انفراد ابن واصل بذكر هذه الواقعة . انظر ابن واصل : مفرج

الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ .

من طبقة البرجوازية، كما أشار المؤرخ الارمينى سمباد من قبل (١٨٢) .
 وكان من السهل انقياد السكان الذين أجهدتهم أعباء الحرب ضد الارمن ،
 وهلوا مساندة بوهيمند (١٨٣) . وكذلك فعل ليو مع البطريك (١٨٤) .
 وإذا كان من السهل الاجابة على التساؤل السابق بالنسبة لهؤلاء ، لوضوح
 الدلائل عليها ، فان الامر يختلف بالنسبة لأهم مؤيدى بوهيمند ، ألا وهو
 الملك الظاهر ملك حلب ، فليس هناك أى دليل على تقرب ليو اليه الا
 بعد نجاح خطته . وليس أمامنا الا الرجوع الى الورا قليلا للاجابة على
 التساؤل الاصلى بالنسبة للملك الظاهر انذى طالما سارع بنجدة بوهيمند .
 فمنذ عام ١٢١٣م/٦٠٩هـ ، لم يكن هناك ما يعكر صفو العلاقات بين
 الظاهر وعمه الملك العادل الذى كان التوجس منه خيفة هو الدافع وراء
 حرص الظاهر على بقاء بوهيمند فى حكم انطاكية . بل انه حدث ما قرب
 بين الظاهر والعادل أكثر من ذى قبل . فقد تزوج الظاهر من ابنة عمه
 فى ١٧ يونية ١٢١٢م/١٥ محرم ٦٠٩هـ (١٨٥) . ثم جاءت غارة بوهيمند
 على أملاك الحشيشية فى ١٢١٤م/٦١١هـ (١٨٦) فى الوقت الذى صاروا
 فيه من أتباع الظاهر (١٨٧) ، الامر الذى باعد بين بوهيمند وبينه ،

Sempad, p. 643.

(١٨٢)

(١٨٣) « وملك ابن ولان ، ملك الارمن ، انطاكية ، وحسن الى أهلها ،
 وأظهر فيها العدل وكان الابرنس صاحبها ظالما ، فحسن موقع ابن
 لاون من أهل انطاكية » ويعتبر هذا النص من أندر الروايات التى
 تصلنا عن أحوال انطاكية فى القرن الثالث عشر الميلادى/
 السابع الهجرى ، حيث ندرت المعلومات عن لاتين شمال الشام
 بعد موت وليم الصورى لعدم اهتمام المؤرخين الصليبيين والمسلمين
 بشمال الشام نظرا لتركز الاحداث بين الفرنج والايوبيين ومن
 بعدهم المماليك فى فلسطين ومصر . انظر ابن واصل مفرج
 الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ .

(١٨٤) أعاد ليو رجال الدين اللاتين فى قيليقية الى مراكزهم فى أسقفيات
 انصيص وطرشوس . كما أنهى رعايته لسمعان الثانى بطريك
 انطاكية اليونانى الذى اضطر الى الخضوع للبطريك اللاتينى
 لانطاكية ثم اللجوء الى البلاط البيزنطى فى نيقية . انظر :

Hamilton, The Latin Church, pp. 222, 315.

(١٨٥) العسقلانى : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، مخطوط ، لوحة
 ٦٩ ب ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٦٣ .

(١٨٦) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ٢٩٣ .
 (١٧٨) فى عام ١٢١٢م/٦٠٨هـ أعلن جلال الدين حسن أمام الحشيشية =

نصار الظاهر أقل حرصا على الدفاع عن بوهيمند وزاد من التباعد بين الظاهر وبوهيمند ما قرب بين الاول وعنه . فقد وصلت الانباء عن قرب قيام حملة صليبية جديدة (١٨٨) ، الامر الذى تتلاشى امامه كل خلافات بنى أيوب ، ويجعل الظاهر لا يفرق بين بوهيمند وليو ، أو بين حليفه صليبي وعدو مسيحي (١٨٩) والخلاف بين هؤلاء فى ذلك الوقت بالذات كان يعد كسبا للمسلمين . فبينما كان ليو يدخل انطاكية فى موكب الفاتحين كان الظاهر يرعى مصالح رعاياه (١٩٠) واذا كان الظاهر لم يهب لنجدة انطاكية ، فان ليو أقدم على ما يطمئنه ، ويجعله يجنى أول ثمار سياسته ، ويؤكد له فضل اتباعها (١٩١) . وبذلك نجح ليو فى تحييد

= فى الموت للخليفة ببغداد أنه أظهر شعائر الاسلام وأمر رعيته بالحج وصيام رمضان واتباع المذهب السننى على مذهب الامام الشافعى . وأرسل الى أتباعه فى بلاد الشام يأمرهم بذلك ، وخضعوا للخليفة وللأيوبيين ، وخاصة الملك الظاهر . انظر : ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ، ص ١٧٣ - ١٣٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢١١ . راجع أيضا : أسامة زيد : الصليبيين واسماعيلية الشام فى عصر الحروب الصليبية ، الاسكندرية ١٩٨٠ ، ص ٢٣٧ . وأيضا :

C. Defrémery, 'Nouvelles Recherches, p. 39,

(١٨٨) عقد مجمع اللاتيران الرابع فى ١١ نوفمبر ١٢١٥م ، تحت رعاية البابا انوسنت الثالث الذى كان يتطلع الى ذلك منذ بداية بابويته . وحضر المجمع ٧١ من كبار رجال الدين ماعدا بطريرك انطاكية المريض وكذلك بطريرك الاسكندرية وبعثا بممثلين عنهما . ومن أهم قرارات المجمع هو اعلان قيام حملة صليبية جديدة التى من أجلها فرض السلام لمدة أربعة أعوام بين حكام أوروبا - ووافق المجمع على ارتقاء فريدريك الثانى عرش ألمانيا . انظر :

H. Leclercq, Lateran, Councils, in The Catholic Encyclopedia, Vol. 9, pp. 16-19, London, 1910, p. 19.

(١٨٩) « وكان بنو أيوب يتحاربون وتجرى بينهم العداوة ، ثم يجتمع بعضهم ببعض وربما سعد بعضهم الى قلاع بعض ، ثم يفارقه بعد المقام عنده على حال جميلة والعداوة والمنافرة باقية بحالها » انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢١٩ . (١٩٠) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٢٩٥ ، حاشية رقم ١٧٧ . (١٩١) « وصل رسول من ابن لاون الى الملك الظاهر برسالة مضمونها : انى مملوك السلطان ، ونمرس دولته . . . وان كان الابرنس قد خدم السلطان ، فخدمتى أكثر من خدمته ، . . . وقد أوصيت ابن اختى الذى نصبته بانطاكية بملازمة خدمته . . . وبعث ابن لاون =

الملك الظاهر في صراعه ضد بوهيمند حول انطاكية في الوقت المناسب ليطمئن الى استقرار الامور للحكم الارميني لانطاكية دون مقاومة . وهكذا يكون ليو قد استطاع أن ينهى هذا الصراع لصالحه ، ويحقق أهدافه في السيادة على انطاكية التي كانت هدفه منذ تولى الحكم في قيليقية ، فقبل المصاهرة بينه وبين بوهيمند الثالث كخطوة أولى لتحقيق هذا الهدف ، وكان عليه بعد ذلك أن يواجه منافسة بوهيمند الرابع حول انطاكية . وبدأ ليو باستمالة جماعة الاسبتارية المنافسين للداوية حلفاء بوهيمند ، ثم العمل على الاستحواذ على تأييد كل من كانوا يساندون خصمه ، وتميزت سياسته بحسن التوقيت ، فتصالح مع البابوية في الوقت الذي عصاها فيه بوهيمند ، واستمال جماعة التيوتون الحديثة العهد بالمنطقة بعد أن نال تأييد الامبراطور الالماني نفسه . ثم اشترى تأييد برجوازية انطاكية وسكانها وبطريركها اللاتيني الذين ملوا مساندة بوهيمند ، وأخيرا استطاع ليو أن يحرم بوهيمند من تأييد أقرب حلفائه . فحيد الداوية بعد أن لوح لهم بالأمل في رد بغراس ، أهم حصونهم ، اليهم وأخيرا استغل فرصة التباعد بين بوهيمند والملك الظاهر الذي فرضته خلافات بوهيمند مع الحشيشية الخاضعين للظاهر ، وأيضا الشعور الطبيعي بالتآلف بين الظاهر وعمه الذي فرضته المخاوف من وصول حملة صليبية جديدة الى الشرق ، ليزول الدافع من وراء حرص الظاهر على بقاء بوهيمند كحاكم لانطاكية . وهكذا كانت مشكلة انطاكية هي الشغل الشاغل للصليبيين والمسلمين على حد سواء ، والمتنافس الوحيد للطرفين خلال الفترة التي فشلت فيها أوربا في ارسال حملة جديدة الى الشرق بعد الحملة الثالثة .

بدأ ريموند روبين فترة امارته في انطاكية بداية حسنة وهو يتمتع بولاء أتباعه من بارونات انطاكية اللاتين ، وتأييد رجال الدين وعلى رأسهم بطريرك انطاكية نفسه ، ومساندة جماعات الفرسان الاسبتارية والتيوتون ، ورضاء جماعة الداوية ، وأخيرا بمساندة البابوية التي جعلته يحصل على اعتراف جماعى ورسمى بشرعية حكمه في الامارة

= مع هذه الرسالة هدية عظيمة فاخرة فمال الظاهر الى قوله، وبقي مترددا . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب، ج ٣، ص ٢٣٥ .

اللاتينية (١٩٢) - كل هذا جعل ليو يطمئن على أحوال ريموند ويرحل إلى قيليقية حيث دفع هناك ثمن نجاحه في شمال الشام (١٩٣) . وفي أنطاكية عادت كل الاسماء الكبيرة للنبلاء اللاتين ، والتي لم تكن تتمتع بأي حظوة لدى بوهيمند ، إلى الظهور في أيام ريموند ، ولأنهم ساعدوه ، فقد رد لهم اقطاعياتهم (١٩٤) . وإذا كان ليو قد أعاد حصن بغراس إلى فيرودي باراس «Feraud de Barras» نائب الاسبتارية في سلوقية ، وأكد لهم كل الامتيازات التي منحهم اياها من قبل (١٩٥) . فقد منح ريموند جماعة فرسان التيوتون حرية التجارة والانتقال عبر أملاكه دون دفع أية رسوم أو ضرائب (١٩٦) . كما حصل الداوية على كل أملاكهم في خليج الاسكندرونة وعادت لهم سيطرتهم على الطريق من بغراس إلى جبال الامانوس باستعادة حصن التينات «Callamella» شمالي

(١٩٢) لا توجد رسائل في هذه الفترة لانوسنت الثالث تخص انطاكية سوى رسالة وجهها فيما بين فبراير ١٢١٥م ويوليو ١٢١٦م إلى كل من ملك أرمينيا وملك قبرص وأمير انطاكية يحثهم على الاستيلاء على سفن المسلمين . ولأن انوسنت لم يلق بوهيمند أبدا بلقب أمير فمن المؤكد أنه يقصد ريموند . انظر :

Potthast, Regesta, Vol. 2, no. 5179, p. 453.

(١٩٣) انتهز عز الدين كيكافوس السلجوقي انشغال ليو في انطاكية . وهاجم أملاكه في قيليقية اتفاقا مع الملك الظاهر ، والذي رجع عن هذا الاتفاق بناء على نصيحة عمه الملك العادل الذي كان الظاهر ينبغي الحصول منه على اعتراف بابنه العزيز (ابن الظاهر) خلفا له في حكم حلب ، وتعلل الظاهر بهجوم نصرته الدين صاحب مرعش السلجوقي على اقليم البلاط ليخرق اتفاقه مع كيكافوس الذي اجتاحت السهل القليقي كله ، وأباد القوة التي أرسلها ليو ، وأسر الكثيرين من الارمن على رأسهم قنسطنطين عم ليو ، وكنسطل المملكة وآدم حاكم حصن بغراس السابق . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ، راجع أيضا :

Sempad Le Connetable, pp. 644-645; Hethoum, pp. 483-484-

CF. also, Cahen, Pre-Ottoman Turkey, p. 123.

(١٩٤) نرى غالبية هذه الاسماء تشهد على وثائق الامتيازات التي حررها ريموند للجنوية والاسبتارية في ٣١ مارس ١٢١٦م . انظر :

Rohricht, Regesta, nos. 877, 878, pp. 236-237.

Delaville Le Roulx, Les Hospitaliers, p. 148.

(١٩٥)

(١٩٦) في مارس ١٢١٩م . انظر :

Strelke, no. 51, p. 41.

الاسكندرونة (١٩٧) . أما عن الايطاليين ، فقد منح ريموند للجنوية محكمة خاصة في انطاكية في فبراير ١٢١٦م/ ذى القعدة ٦١٢هـ (١٩٨) . وفي ابريل ١٢١٦م/ محرم ٦١٣هـ منح البيزاوية الذين كانوا على علاقة سيئة ببوهيمند الرابع كل الامتيازات التي تمتعوا بها أيام بوهيمند الثالث (١٩٩) . كما أظهر ريموند احتراماً بالغاً للبابوية ، وكانت علاقته بالبابا هنوريوس الثالث لا تقل قوة عن علاقته بسلفه البابا انوسنت الثالث (٢٠٠) . فوضعه البابا الجديد تحت حمايته الخاصة ، وأوصى به كل القيادات الصليبية في بلاد الشام (٢٠١) . وهكذا بدا أن شعار ريموند هو العودة الى عهد بوهيمند الثالث ، والقضاء على عهد بوهيمند الرابع (٢٠٢) . أما عن السياسة الخارجية لريموند روبين ، وخاصة علاقاته السياسية بالمسلمين فليس لدينا ما يثبت أنه قد قام بأي عمل ضد المسلمين ، بالرغم من أن الفرصة قد توفرت له (٢٠٣) بما حل من خلافات

Riley-Smith, Templars and The Teutonic knights, p. 107. (١٩٧)

Rohricht, Regesta, no. 885, p. 238. (١٩٨)

Rohricht, Regesta, no. 886, pp. 238-239. (١٩٩)

(٢٠٠) مات البابا انوسنت الثالث في ١٦ يوليو ١٢١٦م وخلفه هوريوس الثالث (١٢١٦ - ١٢٢٧م) . انظر :

Ann. T.S., p. 436. CF also, Runciman, Vol' 3, p 145

(٢٠١) كتب هنوريوس في ٢٥ يوليو ١٢١٦ الى مقدم الاستتارية وفي نفس اليوم الى ليو ثم في ٢٧ يوليو من نفس السنة الى المبعوث البابوي بيلاجيوس ، وفي ٢٩ من نفس الشهر الى شعب انطاكية . وفي كل رسائله يطلب من الجميع تأييد ريموند وحمايته ويوصيهم به وبزوجته وابنتهما . وأخيرا في ١٥ أغسطس ١٢٧١م كتب الى ريموند نفسه يعلمه أنه يعترف به ميرا لانطاكية وأنه وضعه تحت حماية الكرسي الرسولي . انظر :

Honorius III, Pope, Regesta Honorii Papae III, ed. p. Pressutti, 2 toms, Rome, 1888-1895, t. I, nos. 676, 677, p. 118;

no. 682, p. 119, no. 693, p. 121, no. 707, p. 123

Cahen, La Syrie du Nord, p. 639. (٢٠٢)

(٢٠٣) بعد موت الظاهر استمر الخلاف بين أمرائه وأخواته لمدة أربعة أشهر . وانتهى الامر بأن يخلفه في الحكم ابنه العزيز (كان عمره قد جاوز العامين) وأن يكون ولي عهده أخوه المنصور (١٢ سنة) وأتابكه شهاب الدين طغرل . انظر : للعسقلاني : شفاء القلوب ، مخطوط ، لوحة ١٧٠ ، ابن نظيف الحموي ، التاريخ المنصوري ، ص ٧٣ - ٧٤ .

بين المسلمين في حلب بعد موت الملك الظاهر في ليلة الثلاثاء ٤ أكتوبر ١٢١٦م/٢٠ جمادى ثان ٦١٣ . كما أنه لم يستغل انشغال الحلبين في التصدي لاطماع سلاجقة الروم في حلب في العام التالي (٢٠٤) ولانشغال المسلمين في مصر وبلاد الشام بالتصدي للصليبيين من بواخر الحملة الصليبية الخامسة (٢٠٥) . ويبدو أن حادثة سن ريموند عندما اعتلى عرش انطاكية (٢٠٦) لم تؤهله لأن يحل محل أمرائها السابقين . وبعد أن بدأت امارته تحيطها بشائر السعادة ، فقد تغير الموقف تماما بعد فترة قصيرة . ففي ظروف غامضة ساءت العلاقات بينه وبين ليو الثاني الذي استطاع بمساعدة الداوية أن يهرب من انطاكية قبل أن يعتقله ريموند (٢٠٧) . وربما شعر ريموند بأن وصاية عمه عليه قد أثقلت كاهله ، وربما وجد أنه من حسن السياسة أمام رعاياه الجدد وغالبيتهم من اللاتين أن لا يبقى تحت وصاية أرمني ، ارضاء لمشاعر اللاتين الذين كانوا يمقتون النفوذ الارمني الذي يستشري في انطاكية دون أن يجدوا وسيلة لصدّه (٢٠٨) . وازاء تنكر ريموند لفضل ليو عليه ، فقد عين الأخير ابنته ايزابيل «Ezabelle» التي أنجبها حديثا وريثة له في قيليقية (٢٠٩) . ومن سوء حظ ريموند أن يفقد تأييد حليف آخر هام له ،

(٢٠٤) طمع عز الدين كيكافوس في حلب بعد موت الظاهر واقتنع الملك الافضل بن صلاح الدين صاحب سميساط أن يشاركه في ذلك على أن يأخذ الافضل مايفتحون من حلب ويأخذ عز الدين مايفتحونه في اقليم الجزيرة من أملاك الاشرف موسى ، الا أن عز الدين لم يف بوعده للافضل وفشل التحالف بانتصار الاشرف على كيكافوس في الجزيرة . انظر : ابن نظيف : التاريخ المنصوري ، ص ٧٤ .
(٢٠٥) انظر ما تقدم من هذا الفصل ، ص ٣٠٦ وما بعدها .
(٢٠٦) ولد ريموند في ١١٩٩م . وكان في السابعة عشرة من عمره عندما اعتلى عرش انطاكية انظر :

Continuation de Guillaume Tyre, pp. 167, 169.

(٢٠٧) أهان ريموند عمه الكبير اهانات بالغة وبقي ليو مريضا ومصابا بالشلل حتى مات ربما بسبب جحود ريموند . انظر :

Eracles, p. 347; Sempad, p. 644.

Eracles, p. 347, p. CF. also, E. Rey, Histoire des Princes (٢٠٨) n'Antioche, p. 397.

W.H. Rudt-Collenberg, The Rupenides, Hethumides and (٢٠٩) Lusignans, The Structure of the Armeno-Cilician Dynasties, Paris, 1963, p. 58 and tables 2.

بموت البطريرك اللاتيني لانطاكية في بداية عام ١٢١٧م وهو الذي كان مستشاره المخلص (٢٢٠) . واتسمت الحاشية التي أحاطت بريمووند بالجشع وسوء التدبير ، وأمام مطالبها أصبح السخاء الذي أظهره ريموند عبثا ثقيلًا على خزانته ، فلجأ إلى إجراءات أثارت استياء السكان ، وأفقدته شعبيته ، وأصبح متشككا في الجميع ، وراح يبطش برجال الدين والعامّة على السواء ، مما عرض تحالفه مع الكنيسة للخطر . وكان من الصعب أن يقف قومون انطاكية في صف ريموند ، الذي فرض ارادته على أعضائه ، ما لم يضمن هؤلاء الرخاء ، الأمر الذي لم يحدث أبدا ، وأصبحت سلطة ريموند تقع تحت رحمة الصدفة (٢١١) . وهكذا ساء موقف ريموند في انطاكية ، وعادت الفرصة تنهيا أمام بوهيمند الرابع لاستعادة سلطته فيها في الوقت المناسب . فقبل ذلك لم يكن في استطاعة بوهيمند أن يقوم بعمل مضاد ضد الأرمن . ففي البداية لم تكن قواته وحدها تكفي لمواجهة ليو ، وبعد ذلك كله كان عليه أن يشارك في صليبية ١٢١٧م/٦١٤هـ ، ثم كان عليه في ١٢١٨م/٦١٥هـ أن يدافع عن طرابلس ضد هجمات المسلمين . ثم تقوى بوهيمند في بداية ١٢١٨م/نهاية ٦١٤هـ بما حدث بينه وبين هيو الأول ملك قبرص (٢١٢) . وأخيرا استرد بوهيمند انطاكية بنفس الطريقة - الخيانة - التي فقدتها بها من قبل . فقد تم تنظيم مؤامرة على يد شخص يدعى وليم فارابل Guillaume Farable الذي استدعى بوهيمند من طرابلس ، فظهر الأخير فجأة في انطاكية ، فهتف سكانها بحياته ، واستطاع ريموند أن ينجو بنفسه

(٢١٠) مات بطرس الثاني في ربيع عام ١٢١٧م بسبب المرض الذي لازمه طويلا حتى أنه لم يتمكن من حضور مجمع اللاتيران الرابع في ١٢١٥م وأتاب عنه أسقف انطربوس . وبقي كرسي البطريركية شاغرا لمدة عامين حتى شغله بطرس دي كابوا Pierre de Capoue لمدة عام واحد (١٢١٩م) . انظر :

Alberic de Trois Fontains, in M.G.H.SS.; Vol. 23 p 903 Robert d'Auxerre, Chronicon, in M.G.H.SS., Vol. 26, p 281 CF also, E. Rey, Les Dignitaires, p. 140. B. Hamilton, The Latin Church, p. 223.

Eracles, p. 317.

(٢١١)

(٢١٢) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٣٧١ ، حاشية رقم ٢٦٣ .

متوجها الى قيليقية ، وعبثا حاول أن يسترد حظوة ليو ، وذلك في ابريل ١٢١٩م/صفر ٦١٦هـ (٢١٣) ولم يعد ينافس بوهيمند على انطاكية أحد. وهكذا ، بالرغم من الصراع الطويل والمستمر بين بوهيمند وليو حول انطاكية والاطراف العديدة التي شاركت فيه من اسلامية ومسيحية جريئا وراء مصالحها ، فلم تكن امارة ريموند روبين جديدة بأن تكون نتيجة لهذا الصراع المرير فلم تلفت فترة حكمه اليها الانظار . ولم تتعد أعماله القيام بتحرير عدة وثائق منح بمقتضاها الامتيازات لكل الذين ساندوه (٢١٤) ، والذين كانوا هم المستفيد الوحيد من وراء فوزه بكرسي انطاكية .

وفي الحقيقة لم يكن في وسع شمال الشام كله أن يلفت الانظار - أو يشهد صراعات بين الصليبيين والمسلمين - منذ ١٢١٧م/٦١٤هـ في الوقت

(٢١٣) كان آخر عمل قام به ريموند في انطاكية هو تحريره وثيقة في مارس ١٢١٩م منح بمقتضاها الفرسان التيوتون حرية التجارة في انطاكية . انظر :

Strelke, no. 51, pp. 41-42; Rohnicht, Regesta, no. 921, p. 242; Eracles, p. 318 Gestes des chiprois, p. 655, Ann. T.S., p. 437; Hethoum, p. 484.

(٢١٤) الى جانب منح ريموند للجماعات الرهبانية المقاتلة مثل الداوية والاسبتارية والتيوتون فقد قام بتقديم المنح للجماعات الدينية الأخرى لكسب ود الكنيسة والرأي العام الصليبي أيضا . ففي ١ سبتمبر من عام ١٢١٦م قدم لجماعة القديس العازر «St. Lazar» والمقيمين في بيت المقدس منحة عبارة عن ألف ثعبان ماء لاطعام مرضاهم . وقد نشأت جماعة القديس العازر لرعاية المجذومين في ١١٣٠م وكان مقرها بيت المجذومين «Dernus Le Prossorum» في السور الشمالي لمدينة بيت المقدس . وكان هدف الجماعة هو عزل مرضى الجذام عن المجتمع الصليبي لعدم توفر علاج لهذا المرض في العصور الوسطى . وعندما كانوا يضطرون للخروج من مقرهم كانوا يدقون جرسا لتحذير الناس ، وفي ١١٤٢م أصبح لهم دير وكنيسة . وفي ١١٥٥م كان لهم مقدم جماعة . وكان لهم منازل في طبرية وعسقلان وقيسارية وبيروت . ولم يشتركوا في عمل حربي سوى معركة غزة في ١٢٤٤م ضد الخوارزمية . وفي عكا كان لهم برج القديس العازر . انظر :

Cartulaire de St. Lazare, (ed. De Masy), in A.O.L., t. 2, no. XXXII, p. 149, CF. also, J. Prawer, The Latin kingdom of Jerusalem, pp. 275-276.

الذى تغيرت فيه السياسة في الشرق الادنى الاسلامى بعد موت الملك الظاهر ثم العادل وأخيرا ليو الثانى الارمينى ، ووصول الحملات الصليبية الى فلسطين ومصر ، وازدياد النشاط السلجوقى في قيليقية والجزيرة . وبينما كانت انطاكية هى التى تشد انتباه الجميع الى شمال الشام وتشغل الازدهان ، فى سوريا وبيزنطة وارمينيا ومصر وحتى فى روما نفسها ، بمشاكلها وسياسة أمرائها ، أصبح عليها الآن أن تشترك فى سياسات هؤلاء ، خارج حدودها ، والا ما شعر بها أحد ، وكأنها لا تهم . وكان من الممكن ألا نرى امارة انطاكية تحتل حيزا من صفحات الحوليات التاريخية لو لم يعد بوهيمند الرابع اليها . فحتى قبل عودته الى الحكم كان عليه أن يشارك فى الجهد الصليبي ضد المسلمين فى الوقت الذى يضع فيه عينه على امارته المسلوقة . فبعد أن انخرفت الحملة الصليبية الرابعة عن الهدف الذى حددته لها البابوية ، وبعد أن آل مصير من قاموا بحملة ١٢١٢م/٦٠٩هـ ، الى الهلاك والعبودية (٢١٥) ، ولأنها لم تكن بالحملة التى يمكن الاعتماد عليها فى الدفاع عن الكيان الصليبي ضد المسلمين واسترداد ما أخذه صلاح الدين ؛ بعد كل هذا لم تستغرق أوروبا وقتا طويلا فى الحزن عليها ، ولم تنشغل البابوية كثيرا فى نعيها للمجتمع الاوربي، بل انها حثت هذا المجتمع على القيام بحملة جديدة تخضع لسلطتها مباشرة .

(٢١٥) ضمت هذه الحملة آلاف الصبية من شمال فرنسا وغرب ألمانيا حيث دعا اليها صبي من فرنسا يدعى ستيفن . وفى ألمانيا دعا اليها صبي آخر يدعى نيقولا . وانتهى مصير الفرنسيين منهم الى أن أخذهم تاجران من مرسيليا فى سفنهم على أن ينقلوهم الى بلاد الشام ولم يدر أحد عنهم شيئا بعد ذلك . أما الالمان فقد بقى بعضهم فى جنوا والباقون منهم توجهوا الى روما حيث قابلوا البابا انوسنت الثالث ، ثم عاد جزء منهم الى بلادهم وهلك الباقون فى الطريق . وهناك رواية تشير الى أن الاطفال الفرنسيين قد تم بيعهم كعبيد فى الاسكندرية « بعضهم عاد الى بياكنزا ، وبعضهم عاد الى مرسليا ، ولكن اذا كانوا قد عبروا البحر الى الاراضى المقدسة أو ماذا كان مصيرهم ، فهذا أمر غير مؤكد ، وشيء واحد أكيد ، هو أن من بين الآلاف الذين خرجوا ، لم يعد الا القليلون » انظر :

Chronica Regiae Coloniensis M.G.H.SS., Vol. 27, pp. 17-18,

CF. also, Dana Monro, Children Crusade, in A.H.R.,

Vol. 19, pp. 516-524.

فأصدر انوسنت الثالث القرارات التي تضمن نجاح الحملة المأمولة بالصورة التي تخيلتها البابوية (٢١٦) . ولما مات انوسنت دون أن يشهد تحقيق مشروعه ، لم يكن خلفه هنوريوس الثالث (١٢١٦ - ١٢٢٧م) أقل منه حرصا على قيام الحملة التي تهدف الى الاستيلاء على مصر ، وتقوية المملكة الصليبية المتهالكة (٢١٧) . وأثار البابا حماسة أندرو الثاني «Andrew II» ملك هنغاريا ، وليوبولد السادس «Leopold VI» دوق النمسا ، اللذين وصلا الى عكا في أكتوبر ١٢١٧م/جماد ثان ٦١٤هـ ، في الوقت الذي وصل فيه اليها هيو الاول ملك قبرص (١٢٠٥ - ١٢١٨م) (٢١٨) ومن عكا أرسل الصليبيون الى بوهيمند كونت طرابلس ليأتى للمشاركة في الحملة ، ولحق بهم بوهيمند مع كثير من أتباعه (٢١٩) . وعقد الفرنج مجلس حرب في عكا تقرر فيه أن يهاجموا القلعة التي بناها الملك العادل على جبل الطور (٢٢٠) . وأسرع العادل من مصر الى

(٢١٦) عقد مجمع اللاتيران الرابع في روما في نوفمبر ١٢١٥م وأعلن فيه البابا انوسنت الثالث قيام الحملة الصليبية الخامسة التي تقرر لها أن تبحر الى الشرق من صقلية في أول يونيو ١٢١٧م . ومنح البابا كثيرا من الامتيازات لكل من يشارك فيها . كما هدد بالقطع والحرمان كل من لا يشارك أو يتخلى عن الحملة قبل تحقيق أهدافها . انظر :

Joseph P. Donovan, Pelagius and the Fifth crusade, Philadelphia, 1950, p. 26.

J. Brundage, The crusades, p. 214. (٢١٧)

Eracles, p. 322., CF. also, Runiciman, Vol. 3, pp. 147-148 (٢١٨)

(٢١٩) جاء معه كل من جى الاول أمبرياكو حاكم جبيل وشقيقه وليم وجيرار كندسطل طرابلس . وكان موجودا قادة الاسبتارية والداوية والتوتون وليم دى شارتر وجارين دى مونت وهرمان دى سالزا ، الى جانب ملك بيت المقدس والبطريرك رادولف وأعضاء أسرة ابلين وجاك دى فترى أسقف عكا . انظر : Eracles, p. 322.

(٢٢٠) بنى العادل هذه القلعة على جبل الطور بالقرب من عكا لتحرس اقليم الجليل ضد غارات الفرنج . وأمدّها بالرجال والسلاح ، فأصبحت خطرا على افرنج عكا ، وتم بناؤها في ١٢١٢م/ ٦٠٩هـ . انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٣٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢١٥ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ١٧٦ .

فلسطين ، ولما أثر الحذر في مواجهة الفرنج لقلعة قواته (٢٢١) ، فقد ارتد الى بيسان رغم معارضة ابنه المعظم عيسى ، ليرتد عنها الى دمشق خوفا من عدم اكتمال قواته (٢٢٢) التي تركها فريسة للصليبيين الذين استمروا ثلاثة أيام ينهبون ويقتلون فيها (٢٢٣) . ثم اتجهوا الى بانياس وحاصروها ثلاثة أيام وارتدوا الى عكا مرة أخرى (٢٢٤) وبعد فترة راحة قضائها الصليبيون في عكا بدأوا في حصار قلعة الطور لمدة تسعة أيام (٣٠ نوفمبر - ٧ ديسمبر ١٢٧١م / ٢٨ شعبان - ٦ رمضان ٦١٤هـ) (٢٢٥) . فكان عليهم أن يصعدوا الجبل يوم ولم يكن من الممكن استخدام آلات الحصار لارتفاع موقع القلعة ، وفشلوا في ٣ ديسمبر / ٢ رمضان في الوصول اليها ، وفي ٥ ديسمبر / ٤ رمضان وصلوا الى سوارها الا أن المسلمين قذفوهم بالنار الاغريقية فارتدوا الى أسفل الجبل ، وبقوا على حصارها ،

(٢٢١) يحدد سبط ابن الجوزي الذي كان في حلب في ذلك الوقت عدد قوات الفرنج بحوالي ١٥ ألف مقاتل ، بينما يذكر جاك دي فترى أن عددهم « يفوق الحصر » واتفق المؤرخون على قلعة قوات العادل حين خرج من مصر للقاء الفرنج : انظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٥٨٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ، ص ٣٥٥ ، المقرئ : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ١٨٦ ، العسقلاني : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، مخطوط ، لوحة ٦٢ أ راجع أيضا : Jacques de Vitry, Epistolae, ed. R.C.C. Huygens, Leiden, 1960, Letter 3, p. 98.

(٢٢٢) نهر العادل ابنه بالعجمية قائلا « بمن أقاتل ؟ أقطعت الشام ممالكك وتركت أولاد الناس الذين يرجعون الى الاصول » انظر : العسقلاني : شفاء القلوب ، مخطوط لوحة ٦٢ ب . (٢٢٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان : ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٥٨٣ . راجع أيضا :

Eracles, p. 324.

(٢٢٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٤٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ . راجع أيضا : Eracles, p. 324.

(٢٢٥) لم يحدد بداية حصار الفرنج للقلعة ونهايته سوى سبط ابن الجوزي ، ومؤرخ شفاء القلوب وقد اتفقا على هذا التاريخ . انظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٥٨٤ ، العسقلاني : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، مخطوط ، لوحة ٦٢ ب ، ٦٣ أ .

وتكبدوا خسائر كبيرة . الا أن الحامية التي بها أوشتت على الاستسلام للفرنج الذين داوموا على حصار القلعة « وكادوا يملكونها » (٢٢٦) . ولم ينقذها الا فتور حماسة الفرنج ، وعدم قدرة بوهيمند على الاستمرار في الحصار ، فنادى بالتخلي عن المشروع بأكمله ، وعاد الصليبيون الى عكا (٢٢٧) . فهل تم هذا لصعوبة الحصار أو اتفاقا مع المسلمين ، أم خوفا على انطاكية ؟ والطبع لم تكن صعوبة الحصار تدفع بوهيمند لأن يظهر بمظهر المتخاذل أمام أقرانه من الصليبيين . كما أنه لم يكن من السهل الاتفاق مع المسلمين دون مقابل ، ولن يحدث ما يثبت مساعدة المسلمين لبوهيمند في تحقيق هدفه المقبل . ولكن يبدو أن الامل في استعادة امارته قد راوده ، خاصة لوجود ملك قبرص والصليبيين ، وهؤلاء من الممكن الاتفاق معهم على مساعدته . فبعد أن شعر ملك المجر بعدم الرغبة في الاستمرار في قتال المسلمين (٢٢٨) ، رغم الحاج بطريك بيت المقدس (٢٢٩) ، اكتفى باقتناء بعض المخطفات الدينية وكأنه استعاد

(٢٢٦) لم يضع تاريخا لهذه الاحداث الا المؤرخ العسقلاني . انظر : العسقلاني : شفاء القلوب ، مخطوط ، لوحة ٦٢ ب - ٦٣ أ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٥٧ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٥٨٤ ، راجع أيضا : Paderborn, Oliver of Historia Damiatana, Trans, by J. Gavigan as (The Capture of Damietta), Philadelphia, 1948, p. 15. (٢٢٧) يرجع ابن واصل سبب رجوع الفرنج عن الحصار الى موت بعض ملوكهم . انظر : ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٥٧ . انظر أيضا :

Eracles, p. 325.

(٢٢٨) قام ابن أخت ملك هنغاريا بالغارة في اقليم البقاع وأغار على صيدا وشقيف أرنون ومرج عيون ، وتعرضت قواته لهجمات سكان الجبال والعواصف الثلجية ولم يعد من الخمسمائة هنغارى غير ثلاثة رجال ، بينما قتل الباقون ومنهم ابن أخت الملك انظر : أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٠٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ قسم ٢ ، ص ٥٨٥ . راجع أيضا :

Eracles, p. 324.

(٢٢٩) اضطر البطريك رادولف أن ينزل قرار الحرمان ضد الملك أندرو ورجاله . ومن المعروف أنه لم يشترك في حصار قلعة الطور لرضه . انظر :

Oliver, p. 17.

بيت المقدس نفسها (٢٣٠) . وقرر العودة الى بلاده ، فصحب بوهيمند وهيوس ملك قبرص الى طرابلس حيث تم زواج بوهيمند من ميلسند «Melisende» شقيقة هيو الذي مات فجأة بعد حفل الزفاف في ١٠ يناير ١٢١٨م/١٠ شوال ٦١٤هـ (٢٣١) . أما ملك هنغاريا فقد توجه الى أرمينيا ومنها الى أوربا بعد أن ضمن سلامة مروره عبر آسيا الصغرى من عز الدين كيكافوس السلجوقي (٢٣٢) . وربما جعل موت هيو ورحيل الملك أندرو من الصعب التأكد من محاولة بوهيمند الاستفادة بوجودهما لاسترداد انطاكية مع أن الظروف كانت مواتية لذلك . فالمسلمون مازالوا في شغل عن شمال الشام (٢٣٣) ، وليو في فراش المرض ، وريموند وحده في انطاكية . الى جانب أن الحملة على أملاك المسلمين في فلسطين ومصر لم تكن تهم بوهيمند شأنه في ذلك شأن أبيه ، ولا مانع لديه من الاستفادة بجزء من قواتها لصالحه الخاص ، وإن لم يكن ، فالبقاء في شمال الشام يجنبه التعرض لأية خسائر قد تلحق بالحملة التي يشارك فيها . وهذا ما سيثبته موقفه من الحملة الخامسة ومن بعدها السادسة أيضا . وهكذا كانت سياسة بوهيمند الرابع ، واهتماماته الشخصية أحد عوامل فشل الحملة الهنغارية التي افتقر قادتها الى التنظيم والى التمويل (٢٣٤) وأخيرا -

Oliver, p. 15. CF. also, Bridge (Antony), The Crusades, London (٢٣٠) 1980, p. 225.

(٢٣١) كانت بليزانس زوجة بوهيمند وابنة جى حاكم جبيل قدمايت منذ فترة وجيزة تاركة له أربعة أبناء . ومات هيو وهو في الثالثة والعشرين من عمره انظر :

Eracles, pp. 325, 360, Oliver, p. 17, Gestes Chiprios, p. 670; Ernoul, p. 412, Jacque de Vitry, Epistolae, III, p. 99. CF. also, Hill, History of Cyprus, Vol. 2, p. 82.

(٢٣٢) زار أندرو الاسبتارية في حصن الاكراد والمرقب حيث تبرع لاسبتارية الكرك بمبلغ مائة مارك للدفاع عن الحصن ، وفي أرمينيا خطب ابنه الثالث لاحدى بنات ليو الثانى ثم توجه الى القسطنطينية ومنها الى بلاده .

Hethoum, p. 484; Jacques de Vitry, Epistolae, III, p. 99.

(٢٣٣) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٣١٠ - ٣١١ .
(٢٣٤) يذكر تاريخ هرقل أن ليوبولد دوق النمسا اقترض خمسين ألف بيزنط من جى الاول حاكم جبيل حتى يستطيع الاستمرار بقواته في الشرق . انظر :

Eracles, p. 332. CF. also, E. Rey, Les Seigneurs de Gible, i R.O.L., Vol. 3, Paris, 1892, p. 403

كما أتهمهم أسقف عكا - بالافتقار الى العزم والشجاعة (٢٣٥) ، وكانت خسائرهم بلا طائل (٢٣٦) . وكان على ملك بيت المقدس أن ينتظر وصول مزيد من الصليبيين من أوربا (٢٣٧) . ولم تكن بوادر الحملة الصليبية الخامسة هي كل ما طغى على الاحداث في انطاكية ، أو كل ما شغل الايوبيين في تلك الفترة . فمما ضاعف من خطر هذه الحملة على الايوبيين ، أنها شجعت السلاجقة المتربصين بأملاتهم في الجزيرة وشمال الشام بدءا من القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى ، الذى يحدد نصفه الاول ، وخاصة عهد عز الدين كيكافوس وخلفه كيقباد ، ذورة ازدهار دولة السلاجقة في شبه جزيرة الاناضول (٢٣٨) . فتم اخضاع الاتباع من التركمان ، وازداد النشاط الاقتصادى بشكل لم تعرفه دولة السلاجقة من قبل ، وازدادت تجارتهم مع الغرب الاوروبى ، وهى موارد لم تكن تتوفر لدول الارمن في قيليقية ، ولا البيزنطيين في نيقية وطرابيزون (٢٣٩) . ومنذ الفتح اللاتينى للقسطنطينية لم تعد هناك دولة تثير مخاوف السلاجقة بشكل جدى ، خاصة بعد أن كونوا جيشا قويا من المرتزقة ، الامر الذى شجعهم على التدخل فى شئون شرقى آسيا الصغرى وشمال الشام (٢٤٠) . وكان أول تدخل سلجوقى فى شمال الشام عشية موت الملك

Jacque de Vitry, Epistolae, III, p. 98. (٢٣٥)

(٢٣٦) عندما حاصر الفرنج دمياط أمر العادل ابنه المعظم عيسى بهدم قلعة الطور لصعوبة المحافظة عليها ولاستخدام من فيها من المسلمين للدفاع عن دمياط . انظر أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٠٩ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٤٨ .

(٢٣٧) حتى وصول الامداد من أوربا قام ملك بيت المقدس بمساعدة دوق النمسا والاسبترارية فى تعمير قيسارية وبناء استحكاماتها ، كما قام الداوية بمساعدة الفرسان التيوتون ببناء قلعة قوية فى عثليت عرفت بقلعة الحجاج Chateau Pélerin انظر :

Oliver, pp. 17-19; Eracles, pp. 325-326.

Cahen, Pre Ottoman Turkey, p. 124. (٢٣٨)

(٢٣٩) ازدهرت الزراعة وتربية المواشى فى دولة السلاجقة مما ساعدها على الاتجار فى النباتات والفاكهة والاصواف ، الى جانب استغلال السلاجقة لمناجم الفضة والحديد . انظر :

Vincent de Beauvais, Speculum Historiale, Graz-Austria, 1965,

ch. 143-144. CF. also, Cahen, Pre Ottoman Turkey, pp. 157-168.

(٢٤٠) تكون جيش السلاجقة من التركمان والمرتزقة من الاسرى البيزنطيين الذين أسلموا واللاتين الى جانب العبيد : انظر :

الظاهر ، طمعا في حلب ، لولا اسراع الاشرف موسى الذى أجهض محاولة كيكافوس ونال في مقابل ذلك تبعية حلب له (٢٤١) . ومات كيكافوس في عام ١٢١٩ م قبل أن يثار لهزيمته بالقرب من البزاعة ، وأسرع شقيقه وخلفه كيقباز الى التصالح مع الاشرف ، حتى تستتب له الامور في قونية (٢٤٢) . وهكذا كان الخطر السلجوقي في آسيا الصغرى والخطر الصليبي المتجه نحو مصر هما جل اهتمام الايوبيين ، وأيضا المؤرخين ، حتى ارتبط تاريخ العلاقات السياسية بين اماره انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين بقدر ارتباطها بسياسة هؤلاء . وصار شمال الشام وهو يضم بقايا اماره انطاكية وكونتية طرابلس الصليبيتين يعتمد على اثر سياسة الامراء اللاتين فيهما كي يحتل بعضا من صفحات حوليات تاريخ الحروب الصليبية ، وان لم تبلغ ما بلغته في القرن الثانى عشر الميلادى/السادس الهجرى .

أحسن بوهيمند اختيار الوقت الذى يعود فيه الى عرش انطاكية . فقد مات ليو الثانى غير راض عن ريموند روبين ، وقبل موته حرم ريموند من أن يرثه ، والمسلمون والصليبيون مشغولون بالصراع حول الفوز بدمياط ، ولن يتفرغ الاستتارية ولا ملك بيت المقدس لمساندة ريموند الآن . فبعد وصول بقية الصليبيين الى عكا (٢٤٣) ، قرر الملك حنا التوجه بهم الى مصر ، هدف الحملة الذى حددته البابوية (٢٤٤) ، حيث

Cahen, La Syrie du Nord. p. 627; J. Richard, An account of the battle of Hattin, in speculum, Vol. 27, p. 173. =

(٢٤١) انظر ما سبق ، ص ٣٠٢ ، حاشية (٢٠٤) .
(٢٤٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٨٨ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٢٤٣) وصل جزء من الاسطول الفريزى الى عكا في ٢٦ ابريل ١٢١٨م ثم تبعه الجزء الثانى بعد أسبوعين ، ثم تلا ذلك الفرنسيون القادمون من ايطاليا . انظر :

Oliver, pp. 20-21; Ernoul, pp. 414-415; Jacque de Vitry, Epistolae, III, p. 99.

(٢٤٤) يذكر جاك دى فترى أن أوليفر مؤرخ الحملة الخامسة هو الذى نصح الفرنج بالتوجه الى مصر كما حدد مجلس اللاتيران الرابع في ١٢١٥م بينما ينسب ارنول هذه الفكرة للملك حنا برين . انظر : =

يمكن احراز أكبر المكاسب على حساب المسلمين (٢٤٥) . وبدأت الحملة بداية طيبة (٢٤٦) ومات العادل ، وأدى اضطراب أحوال ابنه وخلفه الملك الكامل الى سقوط دمياط في أيدي الفرنج في ٥ نوفمبر ١٢١٩م / ٢٦ شعبان ٦١٦هـ (٢٤٧) . مما دفع بالكامل الى عرض الصلح على الصليبيين مانحا اياهم فرصة إعادة تكوين مملكة بيت المقدس الصليبية مقابل الجلاء عن مصر . الا أن عجرفة المندوب البابوي بيلاجيوس (٢٤٨) وجهله بأوضاع

Jacque de Vitry, Epistolae, 3, p. 99; Oliver, pp. 22-23; Ernoul, pp. 414-415.

(٢٤٥) سبق أن نصح ريتشارد قلب الاسد قبل رحيله من الشرق بأن توجه المشاريع الصليبية ضد مصر . وكان قادة الحملة الرابعة يعلمون ذلك ، وطبق الاستراتيجية الجديدة قادة الحملة الخامسة ثم من بعدها السادسة والسابعة . انظر :

Geofrey, Villehardouin, p. 11.

(٢٤٦) في ٢٤ مايو ١٢١٨م / ٢٧ صفر ٦١٥هـ رحلت السفن الصليبية من عكا وبعد ثلاثة أيام بدأ الصليبيون في حصار دمياط ، وفي ٢٤ أغسطس استولوا على برج السلسلة الذي اعتبره المؤرخون المعاصرون « قفل البلاد المصرية » انظر : أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٠٩ ،

Oliver, pp. 23-27, Jacque de Vitry, Epistolae, III, p. 99.

(٢٤٧) مات الملك العادل في ٣١ أغسطس ١٢١٨م / ٧ جمادى الآخرة ٦١٥هـ في عالقين التي وصل اليها من مرج الصفر ، وكان سبب موته كما أجمع المؤرخون يرجع الى حزنه على سقوط برج السلسلة في أيدي الصليبيين ، وبعد موته تولى ابنه الكامل حكم مصر ، وابنه المعظم عيسى الحكم في دمشق ، وابنه الثالث الاشرف موسى الحكم في بلاد الجزيرة ، بينما كان الملك العزيز ابن الظاهر في حلب . وبعد موت العادل دبر أحد أمراءه الاكراد المعروف بعماد الدين ابن المشطوب مؤامرة لاحتلال الفائز الابن الرابع للعادل محل أخيه الكامل الذي تراجع عن مواجهة الفرنج وفكر في اللجوء الى اليمن التي يحكمها ابنه المسعود لولا وصول أخيه المعظم عيسى الى مصر . الا أن تراجعه مكن الفرنج من الاستيلاء على دمياط لفرار عسكره بعد انسحابه . انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١٤٩ - ١٥٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٧٠ - ٢٧٥ ، العسقلاني : شفاء القلوب ، مخطوط ، لوحة ٦٢ب ، ١٦٣ ، ٦٣ ب ، أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١١١ - ١١٢ ، ١١٦ ، ابن نظيف : التاريخ المنصوري ، ص ٧٦ - ٧٨ .

(٢٤٨) كان بيلاجيوس أسباني الاصل . ولا نعرف الكثير عن حياته =

الصليبيين والمسلمين بالشرق ، الى جانب غرور الجماعات العسكرية الدينية الثلاث ، ومصالح الايطاليين الخاصة ، أضاع كل تلك الفرص على الصليبيين (٢٤٩) . وقد منح الكامل الفرصة لأن يستعيد قواه مرة أخرى ، ويمتلك زمام الموقف (٢٥٠) . واضطر قادة الفرنج أن يقبلوا شروط

= الاولى ، عينه البابا انوسنت الثالث كاردينالا في ١٢٠٦م . وفي ١٢١٣م تولى مهمة تسوية مشكلة الكنائس اليونانية في الامبراطورية اللاتينية في بيزنطية ، ثم عينه البابا هنوريوس الثالث مندوبا بآبريا وقائدا للحملة الخامسة . وكان متصلب الرأي عديم الكياسة ، الامر الذي جعله يتصادم مع الملك حنا برين بخصوص قيادة الحملة . انظر :

Ernoul, p. 417. CF. also, P.J.P. Donovan, Pelagius and the Fifth Crusade, pp. 1, 4 ff.

(٢٤٩) عرض الكامل على الفرنج أن يعيد لهم كل فلسطين ماعدا اقليم الاردن ، ثم عرض عليهم اعطاءهم القدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبله والملاذقية وسائر ما فتحه صلاح الدين من أملاكهم بعد حطين ماعدا حصن الكرك ، ورفض الفرنج ذلك بالرغم من ميل ملك بيت المقدس الى قبول ذلك العرض . انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٥١ . راجع أيضا :

Eracles, p. 342; Oliver, p. 45; Ernoul, p. 435.

وعن الدراسات التي تتعلق بأسباب فشل الحملة الخامسة راجع : محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، الاسكندرية ١٩٨٥م ، ص ٣٤٧ - ٣٥٨ .

(٢٥٠) وصل الى مصر الملك الاشرف موسى بصحبة أخيه الملك المعظم

عيسى الذي كان قد توجه الى فلسطين لتدمير استحكامات بيت المقدس وغيره من القلاع وتحصين دمشق وتقوى بها الكامل الذي استغل خطأ بيلاجيوس بالزحف على القاهرة في وقت ارتفاع منسوب مياه النيل ، وفتح المسلمون السدود والجسور التي تحجز مياه الفيضان ، وانحسر الجيش الصليبي بين المياه وبين قوات المسلمين التي قطعت عليه خط الرجعة ، واضطر الفرنج الى طلب الصلح الذي وافق عليه الكامل ، الذي طلب أن يكون بيلاجيوس وملك بيت المقدس بين رهائنهم لديه . كما أن اعتماد بيلاجيوس على وصول فريدريك الثاني كان من أسباب رفضه لكل عروض الملك الكامل السابقة . انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٥١ ، أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٢٩ ، راجع أيضا :

Oliver, pp. 88-90.

الكامل كى يخرجوا من مصر وهم أحياء (٢٥١) ، لتنتهى الحملة الصليبية الخامسة بالفشل التام . واذا كانت أحداث هذه الحملة ونتائجها معروفة ، فان ما يهم هنا هو معرفة موقف الانطاكيين منها ، واثار ذلك على العلاقات السياسية بين امارة انطاكية والمسلمين . فحتى استيلاء الصليبيين على دمياط لم يكن بهم حاجة الى مساعدة أمراء أنطاكية ، سواء من ريموند روبين ، أو من بوهيمند الذى أقصاه عنها قبل سقوط دمياط - أول انجازات الحملة - فى أيدي الصليبيين بثمانية أشهر . ولما لم تكن الحملة على مصر تخدم مصالح بوهيمند فانه لم يشترك فيها منذ البداية . كما أنه لم يتحرك لصد هجمات الملك الاشرف على أملاك الاسبتارية فى حصن الاكراد وصافيتا ليشغل الفرنج عن دمياط فى يونيو ١٢١٨م/ربيع أول ١١٥هـ ، ولم ينقذ حصن الاكراد سوى انشغال الاشرف بالتصدى لاطماع السلاجقة فى حلب (٢٥٢) . الا أن الامر قد اختلف بعد أن أصبح بوهيمند حاكما لانطاكية . فنجدده يسرع لمساعدة الداوية فى مارس ١٢٢٠م/محرم ٦١٧هـ ، عندما أغار الملك المعظم عيسى شقيق الملك الكامل على مملكة بيت المقدس واستطاع الاستيلاء على قيسارية ، ثم هدمها ، فى الوقت الذى كان فيه الملك حنا دى برين قد عاد من مصر الى عكا ولم يستطع عمل شئ (٢٥٣) . وعندما تقدم المعظم الى عتليت معقل الداوية الذين عادوا من دمياط للدفاع عن أملاكهم ، أسرع بوهيمند بارسال النجيدات اليهم ، الامر الذى مكنهم من الصمود أمام حصار المعظم لهم ، مما دفعه الى الرجوع عنهم (٢٥٤) . واذا كانت مساعدة بوهيمند للداوية تصديا

(٢٥١) عقدت الهدنة لمدة ثمان سنوات ١٢٢١ - ١٢٢٩م على أن يعيد كل طرف ما لديه من الاسرى الى الآخر . انظر : المقرئزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٠٩ .

(٢٥٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٨٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ .

(٢٥٣) عاد حنا برين الى الشام بقصد التوجه الى أرمينيا بعد موت ليو الثانى ليطالب بحق زوجته ستيفانى الابنة الكبرى للملك ليو الذى عين الابنة الصغرى ايزابيل وريثة له . الا أن ستيفانى ماتت ثم لحق بها ابنها من الملك حنا الذى ضاع أمله بموتهما فى حكم قيليقية . انظر :

Ernoul, pp. 423, 427; Oliver, 62-63; Eracles 349.

Ernoul, p. 423; Oliver, pp. 67-68.

(٢٥٤)

للهجوم الاسلامي المضاد ضد الحملة الصليبية ، ودعما لهذه الحملة ، فقد كان الامر كذلك اذا ما أقدم بوهيمند على مساعدة الاستتارية ضد هجوم الملك الاشرف وهو الامر الذي لم يقدم عليه بوهيمند . وهنا يبرز تساؤل تحدد الاجابة عليه طبيعة موقف بوهيمند الرابع من الحملة الصليبية الخامسة . فمن الواضح - في الحالة الاولى - أن بوهيمند لم ينس أن الاستتارية هم حلفاء خصمه ريموند . فلماذا قام بوهيمند بمساعدة الداوية ؟ في الحقيقة لم تأت مساعدته للداوية عن رغبة تلقائية في مساعدتهم نتيجة لحماسة صليبية اعترت بوهيمند ، ولكنها كانت فرصة توفرت لبوهيمند كي ينال رضى المندوب البابوي بيلاجيوس ومن ثم يحصل على اعتراف البابوية به كأمر لانطاكية . فقد كان بيلاجيوس قد أصدر قرار الحرمان ضد بوهيمند حين أقصى ريموند عن عرش انطاكية (٢٥٥) . وكانت مساعدة بوهيمند للداوية بناءا على طلب المندوب البابوي نفسه كما يذكر أوليفر مؤرخ الحملة الصليبية نفسه (٢٥٦) . فاذا كان بوهيمند أول من لبى نداء بيلاجيوس ، فمن المؤكد أنه سينال عفوه ، وبذلك يمكن الاخذ بأن مساهمة بوهيمند الضئيلة في احداث الحملة الصليبية الخامسة ، التي وجهتها البابوية الى مصر ، والتي لم تكن تخدم مصالح بوهيمند ، جاءت في الوقت الذي أحس فيه بوهيمند بأنها ستخدم مصالحه الخاصة . ويتطابق موقفه هذا موقف والده بوهيمند الثالث من كل الحملات الصليبية التي عاصرها خلال فترة حكمه لانطاكية .

بعودة بوهيمند الى انطاكية عادت مشكلة انطاكية الى الظهور من جديد ، بمعنى أنها عادت الى سيرتها الاولى . فاصبحت الشغل الشاغل للصليبيين والمسلمين والارمن على السواء ، وكان الجميع قد وجدوا فيها وسيلة لتفريغ الطاقات حتى وصول حملة صليبية جديدة الى الشرق . فبعد أن غادر ريموند انطاكية ، ووجد أن ليو قد نأى عنه ، وعين ابنته وريثة له تحت وصاية آدم حاكم بغراس السابق ، فقد توجه الى دمياط .

Oliver, p. 53.

(٢٥٥)

(٢٥٦) طلب بيلاجيوس المساعدة من ملكة قبرص أليس «Alice» أرملة هيولوزينان ، وكذلك من سادة سوريا ، فلبى نداءه كل من بوهيمند والقبارصة وسادة جبيل وحنّا ابلين صاحب بيروت .
انظر : Oliver, p. 68.

يطلب المساعدة من بيلاجيوس (٢٥٧) . وبعد موت ليو عاد ريموند الى قيليقية ، واستولى على طرسوس وأذنة وبدأ في حصار المصيصة عندما داهمته قوات قنسطنطين رئيس عائلة هيثوم (٢٥٨) ، الذي استبدله بارونات قيليقية للوصاية على ايزابيل ابنة ليو بدلا من آدم الذي اغتاله الحشيشية ، وقبل وصول نجدة الاسبتارية من دمياط ، كان ريموند وأمه آليس أسرى لدى قنسطنطين حيث مات ريموند بعد فترة وجيزة (٢٥٩) . وكان تقلب الموقف السياسى فى قيليقية خطيرا بسبب مجاورتها لكيقباز أقوى الحكام السلاجقة (٢٦٠) ، الذى استولى فى ١٢٢١م/٦١٨هـ على الساحل الايزورى غربى قيليقية باستيلائه على القلعة البيزنطية القديمة كالانوروس Calanorus التى حولها الى ميناء نشط تحت اسم العلائية Alaiyya . وسرعان ما أصبحت كل انطاكية على حدود قيليقية الغربية تابعة له ، وانتقلت كل المناطق التى كان ليو وريموند قد استوليا عليها عشية سقوط أسرة كومنين الى ايدى السلاجقة (٢٦١) . كل ذلك جعل يارونات قيايقية يشعرون بفائدة زواج وريثة ليو دون تباطؤ ، وحبذا لو كان ذلك من شخص يوافق على شروطهم ويناسب متطلباتهم . ولما لم يكن هناك تفكير فى الابن البعيد لاندرو ملك هنغاريا الذى خطبها له فى ١٢١٨م/٦١٤هـ عند مروره بأرمينيا ، ولما كان العداء المشترك لريموند قد قارب بارونات قيليقية وبوهيمند الرابع ، فقد عرض الارمن على بوهيمند أن يتزوج ابنه فيليب من ايزابيل . وكان فيليب هو الشخص المناسب ، تماما لمثل هذه الزيجة . فالى جانب أن مساعدات الفرنج يمكن أن تكون ذات

(٢٥٧) يذكر ابن العبرى أن ريموند بقى مع الجيش الصليبي فى مصر حتى موت ليو . انظر :

Barhebraeus, p. 371.

(٢٥٨) كان قنسطنطين هو كاثوليك الارمن وهو ابن باسيل عم ليو الثانى . انظر :

Bar Hebraeus, p. 380.

(٢٥٩) أفرج قنسطنطين عن آليس Alice أم ريموند الانطاكية بتوسط البابا هنوريوس الثالث وماتت بعد ١٢٣١م . انظر :

Bar Hebraeus, pp. 379-380, Ann. T. S., p. 437; Regesta Honorii papae III, Vol. 1, no. 3495, p. 568; Vol. 2no. 3883, p. 56

Cahen La Syrie du Nord, p. 632.

(٢٦٠)

Bar Hebraeus, p. 385. CF. also, Cahen, Pre Ottoman Turkey, (٢٦١)

p. 124-125.

نفع (٢٦٢) فان هذا الزوج - البالغ من العمر ثمانية عشر عاما - زوجا جاهزا للاميرة الصغيرة ، وليس هناك أى احتمال لضم انطاكية الى قيليقية أو العكس لوجود شقيقين أكبر من فيليب في انطاكية (٢٦٣) . ولما اشترط الارمن أن يحترم فيليب الطقوس الدينية الارمنية وأن يتبع تعاليم الكنيسة الجورجية ، فلم يكن من الصعب على بوهيمند الذى كان قد أدخل بطريركا يونانيا الى كنيسة انطاكية ، أن يوافق على ذلك ، وتم الزواج في سبتمبر في يونية ١٢٢٢/جماد أول ٦١٩هـ . وافتتح فيليب عهده بأن ذهب تحت قيادة أبيه لصد هجوم سلجوقي على قيليقية حيث تمكن بوهيمند من هزيمة السلاجقة والاستيلاء على حصن سبيليا Sibelia الواقع جنوبى قرمان ، ويبدو أن بوهيمند قد استغنى عن تحالفه مع السلاجقة (٢٦٤) . الا أن فيليب قد أضاع المجد الذى بدأ به عهده كملك لقيليقية الارمنية . فأحاط نفسه بحاشية فرنجية ، وأساء معاملة أتباعه من الارمن (٢٦٥) . ولا شك أن بوهيمند أيضا كان يريد أن يحصل على بعض المكاسب لاماراته الفقيرة من ثروة ابنه الجديدة (٢٦٦) . وأصبح من

Sempad, p. 647.

(٢٦٢)

(٢٦٣) تزوج بوهيمند الرابع مرتين الاولى من بليزانس ابنة هيو شقيق جى الاول حاكم جبيل ، والثانية من ميلسند ابنة عمورى ملك قبرص . ورزق من زوجته الاولى بأربعة أبناء : ريموند الذى قتله الحشيشية في ١٢١٣م ، ثم بوهيمند الخامس ، ثم فيليب ، وأخيرا هنرى الذى مات غرقا في ١٢٦٣م وابنتين هما أورجيوزومارى . ورزق من زوجته الثانية بابنتين أيضا هما هلفيس ومارى التى تزوجت من شارل الاول دى أنجو ملك صقلية انظر :

Ducange-Rey, Familles d'Outremer, p. 205; E. Rey, Histoire des Princes d'Antioche, p. 392.

(٢٦٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢١٤ ، راجع أيضا : Bar Hebraeus, p. 380; Kirakos de Kantzag, Histoire de Arménie, in R.H.C.-Doc Arm, Vol. 1, p. 428; Michel Le Syrien, p.407

(٢٦٥) عزل فيليب السادة الارمن من مناصبهم وعين بدلا منهم أعضاء حاشيته من الفرنج وبدأ فى اهانة المقاتلين الارمن ، وبدأ يدعوهم بالاجلاف والفلاحين بدلا من المقاتلين . ولم يسمح لهم بالدخول عليه الا بصعوبة أو يشاركونه مائدة طعامه انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢١٤ . انظر أيضا :

Kirakos, p. 428, Vartan, p. 442; Bar Hebraeus, p. 380.

Cahen, La Syrie du Nord, p. 633.

(٢٦٦)

الصعب قيام التكافل الفرنجى الارمىنى ، فاستغل قنسطنطين السخط الذى اثاره نبا بان فيليب سيرسل الى انطاكية التاج والعرش الملكيين لقيليقية ، وجمع اعوانه فى نهاية ١٢٢٤م / ٦٢١هـ ، وبينما كان فيليب فى طريقه الى انطاكية ، مضى الليل فى تل حمدون ، فدخل بعض الارمن الى قيليقية واعتقلوا فيليب الذى وضعه قنسطنطين فى سجن سيس ، ورفض طلب بوهيمند باعادة ابنه دون منصبه ، وبقي فيليب فى حبسه فى القلعة العالية «Partzapert» (٢٦٧) وهنا تطورت مشكلة انطاكية مرة اخرى ولم يكن امام الخصمين الا الاستنجد بالمسلمين فى آسيا الصغرى ، وفى حلب . فاذا كان بوهيمند قد استرد انطاكية ، فقد فقد تايد البابوية والجماعات العسكرية . واثار الفتنة بين الداوية والاسبتارية . فعند خروج ريموند من انطاكية كان قد عهد بحراسة قلعتها الى جماعة الاسبتارية ، وما كاد بوهيمند يدخل الى المدينة حتى انتزعها منهم بالقوة ، وايد المندوب البابوى بيلاجيوس حقهم فى العودة الى احتلالها مع كل المدينة اذا استطاعوا ذلك (٢٦٨) ، واثار العناد حفيظة بوهيمند الذى نكل بالاسبتارية (٢٦٩) . فجدد بيلاجيوس قراره بحرمان بوهيمند من الكنيسة (٢٧٠) . وهو القرار الذى جعلته مشاغله فى دمياط ، او مساعدة بوهيمند للداوية فى عتليت يتناساه . ولأن حرمان بوهيمند يزيد عنادا ، وربما يدفعه الى القيام بعمل من شأنه أن يضر بالصلبيين بصفة عامة - كما أحس البابا هنوريوس الثالث - فقد رأى البابا أن من الحكمة أن يجعل مندوبه - العنيد بطبعه - يدرك ذلك . فكتب الى بيلاجيوس فى ٩ يوليو ١٢٢١م / ١٦ جمادى ول ٦١٨هـ وهو بمصر ينصحه بان يتعامل مع بوهيمند بحذر ، فان ضياع انطاكية ، كما قال البابا « سيكون أكثر خسارة للعالم

(٢٦٧) وهى قلعة على جبل مرتفع على بعد مسيرة يومين من سيس من جهة الجنوب . انظر :

Kirakos, p. 428; Vartan, p. 442; Michel Le Syrien, p. 407;

Samuel d'Ani, p. 460.

J. Delaville Le Roulx, Les Hospitaliers, p. 148. (٢٦٨)

(٢٦٩) استولى بوهيمند على كل أملاك الجماعة فى انطاكية وطرابلس وأعدم اثنين من الاسبتارية ، حرق أحدهما حيا . انظر :

Riley Smith, The Knights of St. John, p. 161;

Rohricht, Regesta, no 817, p. 219; Carl Rodenberg, Epistolalae (٢٧٠)

Saculi XIII e Regestis Pontificum Romanorum, 2 Vols,

Berlin, 1883-87, Vol. I, no. 291, p. 213.

المسيحي من ضياع أكثر من دمياط واحدة» (٢٧١) . وهنا يظهر البابا هنوريوس الثالث أكثر حرصا على انطاكية من كل الصليبيين في بلاد الشام ، كما تبدو انطاكية نفسها ، كمقل صليبي ، وقد زادت أهميتها لدى البابوية بعد أن فشلت الحملة الخامسة كحدث استراتيجية صليبية ضد المسلمين . ولو لم يكن البابا انوسنت الثالث قد فضل خضوع الكنيسة الارمنية لكنيسة روما على أمن واستقرار أحوال امارة انطاكية الصليبية ، لما بلغت الامارة هذه الدرجة من الضعف الذي اعترها بسبب كثرة الحروب ، وطول الصراع بين بوهيمند الرابع وليو الثاني الارمني ، ولتوفر الوقت أمام بوهيمند الرابع للعمل في سبيل تقوية امارته على حساب المسلمين ، الذين انشغلوا في خلافاتهم بعد صلاح الدين ، الى جانب انشغالهم بالتصدي للحملة الصليبية ضد مصر وفلسطين ، وان لم يكن ، لكان بوهيمند - على الاقل - قد ساهم بدرجة أكبر في المجهود الصليبي ، ولا كان اتخذ نفس موقف أبيه السلبي من الحملات الصليبية ، وهو المعروف بنشاطه وفطنته السياسية لثقافته وحسن ادراكه (٢٧٢) . الا أن ادراك البابا لكل ذلك قد جاء بعد فوات الاوان . فقد كان بوهيمند قد وعد الداوية بمدينة جبلة ليتصالح معهم في مواجهة الاسبتارية ، ونتج عن ذلك صراع بين الجماعتين حول ملكيتها لم يتوقف الا عندما حكم بيلاجيوس بأن تكون جبلة مناصفة بين الجماعتين (٢٧٣) . الى جانب ذلك ، فقد بدأ بوهيمند يستولى على مدخرات الكنائس اللاتينية في أملاكه لحاجته الملحة الى المال (٢٧٤) . وبذلك دخل في مشاكل

Rgesta Honorii Papae, Vol. 1, no 3495, p. 568. (٢٧١)

راجع ايضا ملحق رقم (٢) بآخر الرسالة .

(٢٧٢) يضعه فيليب دي نوفار ، الذي عرفه جيدا وأعجب بعلمه ووحدة ذهنه ، بين كبار المشرعين الفرنج في سوريا . انظر :

Philip de Novarre, Livre de form de Plait, in R.H.C. Lois.

Vol. 1, p. 570.

(٢٧٣) صدر قرار بيلاجيوس في أكتوبر ١٢٢١م . ولم يلبث أن شب النزاع مرة أخرى بين الجماعتين حول جبلة في عام ١٢٣٣م . ثم لم يلبث أن دب النزاع بين الاسبتارية والداوية في عام ١٢٣٣م في عهد بوهيمند الخامس .

Rohricht, Regesta, no. 949, pp. 251-252

(٢٧٤) فرض بوهيمند ضرائب على دير سان سيمون فارسل البابا الى بطريرك انطاكية والداوية يأمرهم بمنع بوهيمند من ذلك =

مع رينيه «Rineir» بطريرك انطاكية الجديد (٢٧٥) . فعاد البابا مضطرا الى اتباع أسلوب سلفه تجاه بوهيمند ، فحرم على الداوية في ديسمبر ١٢٢٤م/ذى الحجة ٦٢١هـ رسميا الاتصال ببوهيمند المحروم من الكنيسة ، ورفض أن يمنحه لقب أمير انطاكية . وفي ديسمبر ١١٢٥م/ذى الحجة ٦٢٢هـ سمح للاستبارية أن يقاوموا بالسلاح أعمال العنف التي يقوم بها بوهيمند ، بل حرضهم أيضا على محاولة انتزاع انطاكية منه وذلك في يناير ١٢٢٦م/محرم ٦٢٣هـ ، كما أن البابا أصدر قرارا بحرمان التجار اللاتين الذين يتوجهون الى انطاكية (٢٧٦) . وهكذا تعقدت الامور مرة أخرى بين بوهيمند والبابوية التي عززت مطالب الاستبارية ، والتي حرمتها من مساعدة الداوية الذين لم يعد طعم بغراس يؤثر فيهم (٢٧٧) . وبذلك لم يكن في وسع بوهيمند أن يتدخل بشكل فعال في قيلقية ، فحاول أن يثنى البابا عن عزمه ، والحصول منه على

= مشيرا الى أن بوهيمند يدعى لنفسه بأنه أمير انطاكية الامر الذي لا يأخذ به البابا ، وذلك في ٢٦ يونيو ١٢٢٤م . انظر :
Regesta Honorii Papae III, Vol. 2, no. 5061, p. 260.

(٢٧٥) مات بطرس الثاني بطريرك انطاكية في ١٢١٧م ، وبقي كرسيه شاغرا لمدة عامين . وكان ريموند روبين قد رشح لمنصب البطريركية المندوب البابوي بيلاجيوس ، ولما كان البابا قد اختاره رئيسا للحملة الخامسة فقد رفض الطلب في أغسطس ١٢١٩ . ورشح البابا بطرس كابوا «Peter Capua» أستاذ علم اللاهوت في مدرسة باريس الا أنه عينه كاردينالا بعد ذلك ، ولم يشغل بطرس كابوا منصبه في انطاكية أبدا . وفي ديسمبر ١٢١٩ كتب البابا الى مجلس كهنة انطاكية يعلمهم بأنه اختار رينيه «Rineir» كبطريرك لانطاكية . وهو توسكاني الاصل وكان مستشارا للبابا انوسنت الثالث وشغل منصب بطريرك انطاكية منذ عاد في ديسمبر ١٢١٩م حتى موته في ١٦ سبتمبر ١٢٢٥م وهو في زيارة لروما . انظر :

B. Hamilton, The Latin Church, pp. 224-226.

(٢٧٦) في ٢٦ يناير ١٢٢٦م كتب البابا هنوريوس الثالث الى أساقفة نيقوسيا وقيسارية والاستبارية يعلمهم بأنه من حق الاستبارية تولى مهمة حراسة انطاكية كما قرر المندوب البابوي بيلاجيوس ذلك من قبل . انظر :

Regesta Honorii Papae III, Vol. 2, no. 5 908, p. 400.

Cahen La Syrie du Nord, p. 634.

(٢٧٧)

مكتبة المهتدين الإسلامية

إذن للحصول على مساعدة الاسبتارية والداوية لانقاذ ابنه أسير الارمن .
الا أنه - حسب رواية ابن الاثير - فشل في ذلك ، فقد رد البابا بأنهم
« أهل ملتنا ولا يجوز قصد بلادهم » (٢٧٨) . فاضطر بوهيمنند الى
مصالحة علاء الدين كيقيباز سلطان السلاجقة - الذى كان يتحين الفرص
للتوسع على حساب جيرانه الارمن - واتفق معه على مهاجمة الارمن ،
فبدأ كيقيباز في غزو قيليقية معتديا على كل سكان السهل ، واستولى على
أربعة حصون ، رغم حصول قنسطنطين على مساعدة الاسبتارية والتوتون
وذلك في خريف ١٢٢٥م / ٦٢٢هـ (٢٧٩) . فأرسل قنسطنطين الى بوهيمنند
كى يأتى لأخذ ابنه من قلعة العمودين ، وعندما وصل الاخير الى تل
حمدون أبلغه الرسل بأنه لا جدوى من ذلك فقد أمر قنسطنطين بدس السم
لفيليب الذى مات بعد ذلك بقليل (٢٨٠) . فجمع بوهيمنند ما استطاع من
قواته للذهاب الى قيليقية وتخريبها . ومع أن الداوية لم يساعدوا
بوهيمنند الا أنهم لم يعترضوه أثناء مروره بممرات جبال الامانوس التى
يتحكمون فيها ، ولم يجد من يلوذ به سوى الحلبيين الذين لم يعد يعنيتهم
الدفاع عن بوهيمنند بعد أن زال السبب في ذلك بموت الظاهر والعاذل ،
وانتهاء التوتر في العلاقات بينهما ، ولم تعد هناك حاجة بالملك العزيز
أو بالوصى عليه - الاشرف موسى - للدفاع عن بوهيمنند الذى أصبح يشكل
خطرا على حلب اذا ما استولى على قيليقية . كما ألح قنسطنطين الى

(٢٧٨) لا توجد أى اشارة في سجلات البابا هنوريوس الثالث الى هذه
الوقائع التى انفرد مؤرخنا ابن الاثير بذكرها ، والتى تتسم
بصحتها لتطابقها مع مجرى الاحداث ، ولحصول ابن الاثير على
معلوماته « من أحد عقلاء النصارى ممن دخل تلك البلاد
وعرف حالها » انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢١٥ .
(٢٧٩) كان الاسبتارية - كما ذكر سمباد - يمدون قنسطنطين بأربعمائة
فارس كل عام لمساعدته ضد السلاجقة . وفي ١٢٢٨م أصبح
قنسطنطين أخا من اخوة الاسبتارية كما أنه أيد فريدريك الثانى
في نزاعه ضد بارونات مملكة بيت المقدس كصديق للفرسان
التوتون . انظر :

Sempad, p. 646. CF. also; Riley Smith, The Knights of St.
John, p. 160; Riley Smith, The Templars and The Teut-
onic Knights, in Cilician Armenia, in The Cilician
Kingdom, pp. 144-115.

Sempad p. 648; Kirakos, p. 429; Bar Hebraeus, p. 381, 389. (٢٨٠)

شهاب الدين أتابك حلب الذى بعث بفرقة من جيش حلب هاجمت حصن بغراس ، وبينما لم يستطع بوهيمنند عمل شيء ، « ولم يحصل على غرض » (٢٨١) عاد الى انطاكية . وهكذا فبدون مساعدة جماعات الفرسان الرهبان لم تكن قوات انطاكية وحدها تكفى للقيام بأعمال عسكرية كبيرة ، كما كان الحال أيام بوهيمنند الاول وتنكريد وروجر الانطاكى ، وحتى عهد رينودى شاتيون المعروف فى المصادر العربية باسم أرناط صاحب الكرك . ونتج عن تدخل الحلبيين فى الصراع بين بوهيمنند والارمن ، ومهاجمة الحلبيين لاملاك الداوية فى بغراس ، أن ظلت العلاقات متوترة بين الداوية والتركمان فى اقليم العمق شمالى انطاكية ، ونتج عن ذلك اعتداءات متبادلة بين الطرفين (فى ١٢٢٧م / ٦٢٤هـ) (٢٨٢) . بينما تمكن قسطنطين أن يسيطر على الامور فى قيليقية ، فزوج ابنه هيثوم بايزابيل أرملة فيليب الانطاكى بعد أن سلمها له الاسبتارية الذين لجأت اليهم فى حصن سلوقية Selfike . وصار هيثوم ملكا على قيليقية منذ ١٢٢٦م / ٦٢٣هـ (٢٨٣) ، واعترف قسطنطين بتبعيته للبابوية فى روما وللإمبراطور الالماني فريدريك وتصالح مع كيقيباذ (٢٨٤) .

(٢٨١) يعطينا ابن الاثير الرواية بشكل أكمل ، ولكنه من ناحية الترتيب الزمنى غامض ، ومن الصعب التوفيق بينه وبين ابن العبرى فى سرد التفاصيل . انظر ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢١٤ - ٢١٥ . راجع أيضا : Bar Hebraeus p. 381; Sempad, p. 648. (٢٨٢) أسر التركمان المقيمون بأطراف حلب أحد فرسان الداوية بانطاكية وقتلوه ، فهاجم الداوية قبائل التركمان فى اقليم العمق ، وقتلوا منهم وأسروا الكثيرين ، ونهبوا أموالهم . فأرسل شهاب الدين طغرل أتابك حلب الى الداوية بانطاكية يتهددهم بقصد بلادهم ، وقتل عسكر حلب فارسين من الداوية الذين اضطروا الى رد أسرى التركمان وأذعنوا بالصلح . وقد انفرد ابن الاثير بذكر هذه الواقعة دون المؤرخين المسلمين والصليبيين انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢١٩ .

(٢٨٣) رفضت ايزابيلا الاقتران بهيثوم الاول ولجأت الى الاسبتارية الذين باعوا الحصن الى قسطنطين حتى لا يظهروا كأنهم سلموا اليه الاميرة التى استجارت بهم ، ويكونوا بذلك جاحدين لفضل والدها عليهم ، انظر : Sempad, p. 648; Bar Hebraeus, pp. 381, 389; Kirakos, p. 429

Bar Hebraeus, p. 389-390; Sempad, p. 468.

(٢٨٤)

واذا كانت مصر ، منذ أن فتحها صلاح الدين الايوبي ، قد صارت هي مركز الثقل بالنسبة للعالم العربي الاسلامي ، والقوة المتصدية للوجود الصليبي في الشرق الاسلامي ، وخطفت الضوء من العراق وشمالي الشام ، واذا لم يكن يجعلنا نشعر بالوجود الصليبي في شمال الشام - بعد أن صار الاهتمام فقط بأحوال مملكة بيت المقدس - الا مشكلة انطاكية وازدياد القوة السلجوقية ، فانه بدءا من الربع الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري ، قد تحكمت في تاريخ بلاد الشام ظروف كانت خارجية تماما . وتمثلت تلك الظروف في ظهور الخوارزمية من جانب ، وسياسة الامبراطور فريدريك الثاني تجاه كل من البابوية والمسلمين من جانب آخر . وأصبح سرد تاريخ امارة انطاكية الصليبية أمرا ثانويا بالنسبة لمؤرخي هذه الفترة صليبيين كانوا أم مسلمين . وكان على حكام امارة انطاكية أن يساهموا في تطور هذه الظروف حتى ولو خارج حدود امارتهم ، حتى يقف المتتبع لتاريخ الحروب الصليبية على ذكر لاحوال الامارة الصليبية - التي طالما اختصت بجزء كبير من هذا التاريخ - في حوليات المؤرخين . ففي نهاية القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري ، قامت على أنقاض دولة السلاجقة في فارس امبراطورية شملت تركستان الوسطى (خوارزم) والجزء الاكبر من فارس تحت قيادة علاء الدين محمد (خوارزم شاه) (٢٨٥) . وبدلا من أن يعمل خلفه

(٢٨٥) يرجع أصل الخوارزمية الى محمد بن أنوش تكين الذي كان ابنا لأحد مماليك السلاجقة . وخدم محمد في الدولة السلجوقية ، وترقى في مناصبها حتى تولى حكم مدينة خوارزم ولقب بخوارزم شاه في ١٠٩٥م/٤٨٩هـ . ويعتبر هو مؤسس الدولة الخوارزمية التي ظهرت على أنقاض دولة السلاجقة التي أضعفتها انقسامات خلفاء السلطان ملكشاه ، فامتدت حدود دولة الخوارزمية في عهد السلطان علاء الدين خوارزم شاه (١١٩٩ - ١٢١٩م/٩٥٦ - ٦١٧هـ) من حدود الهند شرقا الى حدود العراق غربا ، ومن شمال بحر قزوين شمالا الى الخليج الفارسي والمحيط الهندي جنوبا . وكان لظهور المغول بقيادة جنكيز خان أثره في أن يهرب علاء الدين الى بحر قزوين حيث مات هناك في ١٢٢٠م/٦١٧هـ . وتولى من بعده ابنه جلال الدين منكبرتي الذي واصل المغول - ضغطهم عليه ، فاضطر الى اللجوء الى اقليم الهند ، وبقي هناك حتى عاد جنكيز خان بقواته الى جوف آسيا في ١٢٢٣م/٦٢٠هـ لفرض سيطرته وسيادته على بقية القبائل المغولية . فعاد السلطان جلال الدين منكبرتي الى فارس واستعاد سيطرته على =

جلال الدين منكبرتي على حماية العالم الاسلامي من الخطر المغولي (٢٨٦) ، او على مساعدة المسلمين في مصر وبلاد الشام للقضاء على الوجود الصليبي ، او حتى للتصدي للهجمات الصليبية المرتقبة ، فانه أصبح عاملا من عوامل ازدياد النزاع والفرقة بين أفراد البيت الايوبي ، بينما أصبحت قواته عاملا من عوامل التخريب والدمار في كل أرجاء الحد الشرقي من الدولة الايوبية (٢٨٧) . فبعد موت الملك العادل دب النزاع بين أبنائه الثلاثة الكامل والاشرف والمعظم (٢٨٨) ، الذين

=
البلاد واتخذ من اصفهان عاصمة له ، في ١٢٢٥م/٦٢٢هـ . ولتأمين حدوده ، ضغط منكبرتي على الخليفة العباسي في بغداد ، وأيضا على اقليم جورجيا ، واقترب بذلك من أملاك الاشرف موسى الايوبي في اقليم الجزيرة . انظر : النسوي (محمد بن أحمد بن علي) : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، نشره حافظ حمدي ، القاهرة ١٩٥٣م ، ص ١١ ، ابن الاثير : الكامل ، صفحات متفرقة ، راجع أيضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٩٨ ، أسامة زكي زيد : الخوارزمية ودورهم في الصراع الصليبي الاسلامي في عصر بني يوب ، مجلة كلية الاداب - جامعة الاسكندرية ، العدد ٣٠ ، الاسكندرية ١٩٨٢ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٩ . راجع أيضا :

W.E.D. Allen, The History of the History of the Georgian People, London, 1932, p. 110.

(٢٨٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٩٨ .
(٢٨٧) C. Cahen, Orient et Occident au temps des Croisades, Paris, 1983, pp. 183, 185.

(٢٨٨) بعد موت العادل استقر ابنه الملك الكامل محمد في حكم مصر على أن يكون رأس البيت الايوبي وصاحب السكة والخطبة في جميع الممالك الايوبية ، بينما كان للمعظم عيسى دمشق وبلادها الى عريش مصر ، والاشرف موسى البلاد الشرقية في اقليم الجزيرة وخلاط . وبينما للمظفر شهاب الدين غازي ميافارقين ، وللعزيز عثمان بانياس وعدة مواقع ، وللملك الصالح اسماعيل بصرى . وكان العادل قد ترك ستة عشر ولدا ذكرا سوى البنات . وبدأت الوحشة بين أبنائه المعظم من جهة والكامل والاشرف من جهة أخرى عندما توجه الاشرف الى الكامل في مصر بعد رحيل الفرنج عن دمياط. دون أن يستصحب المعظم الذي هاجم حماة وعاد عنها بناء على طلب أخويه اللذين نقل اليه انهما اتفقا عليه . انظر : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، مخطوط ، لوحة ٦٢ ، ٨٤ ب ، ٨٥ ، ابن نظيف الحموي : التارikh المنصوري ، ص ٧٦ - ٧٧ ، ٩٤ - ٩٥ .

كان اتحادهم هو العامل الرئيسى وراء اندحار الحملة الصليبية الخامسة ، وحماية ما حققه صلاح الدين من مكاسب جعلت ميزان القوى لصالح المسلمين دون الصليبيين . وفى ١٢٢٢ - ١٢٢٤م / ٦١٩ - ٦٢١هـ كان المعظم - ودون أن يتدخل تدخلا مباشرا - قد حرص شهاب الدين غازى شقيق الاشرف وصاحب أخلاط على الثورة ضد الاشرف بمعاونة مظفر الدين صاحب اربل ، فأعلن شهاب الدين عصيانه لأخيه الاشرف ، ، وهاجم مظفر الدين الموصل ، وتمكن الاشرف بتأييد الملك الكامل من اخضاع شهاب الدين ، وأخذ كل ما أقطعه اباه فى اقليم الجزيرة وترك له ميافارقين فقط (٢٨٩) . وفى ١٢٢٦م / ٦٢٣هـ وفى وقت واحد هاجم المعظم حماة وحمص ، وهاجم مظفر الدين حاكم اربل الموصل ، وهاجم الاراتقة بماردين وآمد ديار مضر ، وأخيرا هاجم جلال الدين الخوارزمى أخلاط ، وبذلك تعرضت كل أملاك الاشرف وحلفائه لهجوم المعظم وحلفائه (٢٩٠) . وفى مواجهة الاراتقة استدعى الاشرف كيقباز سلطان سلاجقة الروم الذى هزم مسعودا صاحب آمد ، بينما هاجم الاشرف ماردين . وفتح كيقباز حصن منصور وعدة حصون أخرى من أملاك الاراتقة ، الأمر الذى دفعهم الى مصالحة الاشرف الذى فشل فى حمل السلاجقة على إعادة ما فتحوه من أملاك الاراتقة فى اقليم الفرات الاوسط (٢٩١) . وعندما علم الاشرف بهجوم الخوارزمية على أملاكه فى أخلاط ، سارع بالتوجه الى دمشق لحث أخيه المعظم على توحيد الجبهة الايوبية فى مواجهة الخطر الخوارزمى (٢٩٢) ، الا أن المعظم قام باعتقال أخيه حتى يساعده فى الاستيلاء على حماة وحمص ، ثم مهاجمة أخيهما الكامل فى مصر . وكما يخبرنا سبط ابن الجوزى ، فإن المعظم لم يكن يطمع فى أملاك أخيه أو

(٢٨٩) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٩٣ - ١٩٤ ، ابن شداد (عز الدين محمد بن على) : الاعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ٣ أجزاء ، تحقيق يحيى عبادى ، دمشق ١٩٧٨م ، ج ٣ ، قسم ١ ، ص ٤٥٤ - ٤٥٥ .
(٢٩٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢٠٨ - ٢١٤ ، سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٦٣٤ وما بعدها .

(٢٩١) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢١ .
(٢٩٢) كان الاشرف أكثر احساسا بخطر الخوارزمية بحكم متخامة أملاكه فى الجزيرة وأخلاط لهم فى اقليم جورجيا . انظر : سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٩٨ .

يعترض على سياسته ضد الخوارزمية ، ولكنه كان يحمى نفسه ضد أى تحالف ربما ينشأ بين الكامل والاشرف ضده (٢٩٣) . وأظهر الاشرف موافقته على مطالب المعظم الذى أطلق سراحه ليعلن الاشرف عدم التزامه بكل وعوده له . فكاتب المعظم الخوارزمية واتفق معهم على التحالف ضد أخويه الاشرف والكامل (٢٩٤) . وهكذا التهب الموقف فى الشرق الأدنى بين المسلمين من بنى أيوب ، مما أنذر بحرب أهلية بين المسلمين (٢٩٥) . وإذا كان المعظم قد استعان بالخوارزمية لمساعدته ضد أخويه ، فإن الكامل قد استعان بالامبراطور فريديريك الثانى الالمانى (١٢٢٠ - ١٢٥٠ م) (٢٩٦) . فبعد فشل الحملة الصليبية الخامسة فى تحقيق أهدافها أصبح أمل البابوية معقودا الآن على حملة فريديريك الذى أرجأ الوفاء بنذره الصليبي أكثر من مرة ، وعندما قام بحملته كان محروما من الكنيسة (٢٩٧) . وكانت

(٢٩٣) أقسم المعظم لسبط ابن الجوزى الذى كان مقيما فى دمشق فى ذلك الوقت بذلك بقوله « والله ما خطر لى ذلك أبدا » انظر : سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٦٢٥ .
(٢٩٤) المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ١٥٨ . راجع أيضا : Humphreys, From Saladin to the Mongols, pp. 183-184.
(٢٩٥) أرسل جلال الدين الى المعظم خلعة « لبسها وشق بها دمشق ، وقطع الخطبة للملك الكامل » . انظر : المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٢٢ .
(٢٩٦) يذكر المقرئى : أن الكامل وعد فريديريك بأن يعطيه « بعض ما بيد المسلمين من بلاد الساحل » بينما يذكر العيني بأنه وعد الامبراطور بمدينة بيت المقدس نفسها اذا ما ساعده فى صراعه ضد المعظم . انظر : المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، العيني : عقد الجمان ، مخطوط ، ورقة ١٦٥ - ١٦٧ . راجع أيضا :

T.C. Van Cleve, The Crusade of Frederic II, in Setton, Vol. 2, p. 449; E. Blochet, Relations Diplomatiques des Hohenstaufen avec Les Sultans d'Egypte, in R.H., Vol. 80 (pp. 51-69) 1902, p. 53-54.

(٢٩٧) وعد فريديريك بأن يشارك فى الحملة الصليبية فى عام ١٢١٥ م . ولكنه أرجأ ذلك أكثر من مرة . وفى ١٢٢٥ م وبعد أن تزوج من يولاند ابنة حنا برين ملك بيت المقدس جدد وعده بأن يخرج الى الشرق فى ١٢٢٧ م . ولكنه أصيب بمرض الملاريا وبعث ببعض أسطوله الى الشرق فأصدر البابا جريجورى التاسع قرارا بحرمانه لعدم ثقته فيه ، ولكنه خرج بحملته فى ١٢٢٨ م رغم قرار البابا . انظر :

حملة فريديريك تتسم بالغرابة في كل تفاصيلها بدءا من شخص الامبراطور نفسه كقائد لها وحتى آخر نتائجها في الشرق . فبينما أعجب المسلمون بثقافته وميله اليهم (٢٩٨) ، وبينما رأى فيه رجل الشارع الاوربي أعجوبة الدنيا «Stupor Mundi» (٢٩٩) ، فقد رأت فيه الكنيسة الغربية وحكام قبرص ومملكة بيت المقدس حاكما مستبدا وابنا عاقلا لا يمكن الاعتماد عليه ، بعد أن تجلّى لهم هدفه في أن يكون السيد الاعلى لهم جميعا ، وهو الدافع الحقيقي من وراء قيامه بحملته الصليبية (٣٠٠) . ثم تمتد الغرابة لتشمل الحملة الصليبية السادسة نفسها أيضا . فالى جانب قيام شخص محروم كنسيا بحملة صليبية دون رضاء البابوية ، ثم

T.C. Van Cleve, The Emperor Frederick II of Hohenstufen, =
Oxford, 1972, p. 197.

(٢٩٨) يذكر عنه ابن واصل أنه كان « فاضلا ، محبا للحكمة والمنطق والطب ، مائلا الى المسلمين لأن مقامه في الاصل ومرباه بلاد صقلية » . كما يذكر المقرئى أنه كان « عالما متبحرا في علم الهندسة والحساب والرياضيات » . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٣٤ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٣٢ .

(٢٩٩) كان فريديريك حاد الذهن ، وفي الوقت الذي كان معظم حكام غرب أوربا تنقصهم الثقافة ، فقد كان فريديريك يتحدث بست لغات بطلاقة ، وهى الالمانية واللاتينية والفرنسية والايطالية واليونانية والعربية . ولديه معلومات كثيرة في عدة علوم من الفلسفة الى الطب . انظر :

Antony Bridge, The Crusades, p. 234.

(٣٠٠) بعد أن تزوج فريديريك من ابنة ملك بيت المقدس وأنجبت له ابنة كونراد وماتت في ١٢٢٨م ، أعلن فريديريك نفسه وصيا على المملكة وأقصى عنها حنا بريين ، وأرسل مندوبه توماس كونت أكيرا لتنفيذ ذلك . وفي الوقت الذي تخوفت فيه البابوية من ازدياد نفوذ فريديريك في جنوب ايطاليا وصقلية مما يهدد أملاكها في ايطاليا ، فرض فريديريك سيادته على جزيرة قبرص وأعلن نفسه وصيا على الملك الطفل هنرى الاول لأن مملكة قبرص كانت قد تأسست تحت سيادة الامبراطور هنرى السادس . كل ذلك جعله يتصادم مع حنا ابلين الوصى على الجزيرة وصاحب بيروت الذي تزعم حركة المعارضة ضد فريديريك في مملكة بيت المقدس التى توج فريديريك نفسه ملكا عليها في مدينة بيت المقدس بعد تسلمها . انظر :

Van Cleve, The Emperor Frederick II, pp. 208-223.

استعانة الملك الكامل به وهو الذى كان من المفروض أن يتصدى لحملة، ثم عرض عليه ما كان يعد أصلا الهدف من وراء حملته - مدينة بيت المقدس - فى مقابل مساعدته له ضد أخيه ، ثم قلة عدد القوات التى جاء على رأسها الامبراطور (٣٠١) ، وأخيرا موت المعظم عيسى نفسه (٣٠٢) ، وزوال سبب استعانة الكامل بفريدريك ، فالى جانب كل ذلك ، فإن أهم ما تميزت به حملته عن سابقتها من الحملات الصليبية أنها دون اراقة قطرة دم واحدة ، استطاع الامبراطور أن يحقق بحملته الغربية هذه كل ما فشلت فى تحقيقه الحملات الصليبية التى خرجت من أوروبا بعد حطين (٣٠٣) . وفى ١٨ فبراير ١٢٢٩م / ٢٣ ربيع أول ٦٢٦هـ ، عقدت اتفاقية يافا بين الكامل وفريدريك على أن يكون للفرنج مدينة القدس نفسها الى جانب الشريط الساحلى من عكا الى يافا ، الى جانب اقليم الناصرة وغربى الجليل بما فيه من حصون مثل تبنين والقرين وما يحيط بصيدا ، وأن يكون للمسلمين المسجد الاقصى وقبة الصخرة الى جانب حرية التردد اليهما وأداء شعائر الصلاة ، وأن يتم تبادل الاسرى بين الطرفين ، وأن تستمر الهدنة لمدة عشر سنوات وأربعة أشهر (٣٠٤) . وإذا كانت اتفاقية يافا لم تحظ برضاء المسلمين (٣٠٥) ولا الصليبيين

(٣٠١) لم يتعد عدد قوات فريدريك خمسمائة فارس وأحد عشر من المشاه . انظر :

R. Rohricht, Geschichte des knoigreichs Jerusalem, p. 777.

(٣٠٢) مات المعظم فى يوم الجمعة أول ذى الحجة ٦٢٤هـ / ١٢ نوفمبر ١٢٢٧م . وتولى حكم دمشق من بعده ابنه الناصر داود . انظر :

سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٦٤٨ .

H. Mayer, The Crusades, Trans. by J. Gillingham, Oxford, (٣٠٣) 1972, p. 228; Brundage, The Crusades, p. 222.

(٣٠٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٦٥٣ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٣٠ ، العيى : عقد الجمان مخطوط ، ج ٢١ ، ورقة ٢٢٣ . راجع أيضا :

Ernoul, p. 465; Eracles, p. 374; Gerold (Patriarch of Jerusalem),

Letter of Gerold to Pope Gregory IX, in Historia Diploma-

tica Frederici Secundi, ed. Huillard-Bréholles, 7 Vols in 12

parts, Paris 1852-1861, Vol. 3, pp. 86-87.

(٣٠٥) « ووصلت الاخبار بتسليم القدس الى الفرنج ، فقامت القيامة فى جميع بلاد الاسلام واشتدت العظام بحيث أنه أقيمت المآتم » . =

أنفسهم (٣٠٦) ، فإن ما يهمنا هنا هو موقف بوهيمند الرابع من الحصلة السياسية ككل ، وما صاحبها من أحداث ، وأثر ذلك على العلاقات السياسية بين إمارة انطاكية وجيرانها المسلمين . ففي البداية كان بوهيمند مواليا لفريدريك تمسما ، وفي ١٢٢٧م/٦٢٤هـ ، حقق توماس أكوينو «Thomas Aquino» مندوب فريدريك - الذي لم يكن قد حرم من الكنيسة بعد - قدرا من الاتفاق والمصالحة بين بوهيمند والاستبشارية (٣٠٧) . إلى جانب أنه ليس هناك ما يثير مخاوف بوهيمند من الامبراطور وبوهيمند يخضع للامبراطور اللاتيني بالقسطنطينية ، على عكس حكام قبرص الذين قامت مملكتهم تحت سيادة الامبراطورية الألمانية . كما صارت أليس ملكة بيت المقدس والوصية على ابنها الملك الطفل هنري الاول في

فكلف الناصر داود بن المعظم المؤرخ سبط بن الجوزي بأن يجلس بجامع دمشق ويذكر ما جرى على بيت المقدس في مجلس رثاء . بينما رد الكامل بأنه لم يتنازل للفرنج الا عن « كنائس وأدر خراب ، والمسجد على حاله ، وشعار الاسلام قائم ووالى المسلمين متحكم في الاعمال والضياع » انظر : سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان : ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٦٥٤ ، المقرئ : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٣٠ .

(٣٠٦) لم يرض الفرنج عن الوسيلة السلمية التي استردوا بها بيت المقدس من المسلمين الذين مازالت لهم أملاك في المدينة . كما أن المنطقة التي عرضها الكامل على فريدريك سبق أن رفض قبولها منه قادة الحملة الخامسة لصعوبة الدفاع عن بيت المقدس دون أن ينضم اليها اقليم ما وراء نهر الاردن . كما حقد الداوية والاستبشارية على فريدريك المحروم من الكنيسة . وأخيرا فقد استاء بارونات المملكة والبطريرك من فريدريك الذي توج نفسه ملكا عليهم رغم أنف الجميع فأصدر البطريرك قرار حرمانه على مدينة بيت المقدس كلها . انظر :

Hermann of Salza (Master of the Teutonic order) Letter of Hermann of Salza to Pope Gregory IX, in Historia Diplomatica Friderici Secundi, Vol. 3, pp. 90-93.

(٣٠٧) انفرد ابن نظيف الحموي بذكر هذه الواقعة وغيرها من الوقائع التي تخص الفرنج في بلاد الشام دون المصادر الصليبية التي اهتمت بما حدث في مملكة بيت المقدس بتفصيل أكثر مما ذكرت به أحداث انطاكية وطرابلس ، لذا نلاحظ وجود بعض التفاصيل الخاصة بالفرنج في شمال الشام تظهر في كتب المؤرخين المسلمين . انظر : ابن نظيف : التاريخ المنصوري ، ص ١٥٠ .

قبرص من أشياع الامبراطور (٣٠٨) . وعند اعلان وصول فريدريك الى جزيرة قبرص فقد ابحرت الملكة بصحبة بوهيمند من طرابلس متوجهين الى قبرص ، ولم يكن من قبيل المصادفة أن يمنح بوهيمند في ذلك الوقت عدة امتيازات لجماعة فرسان التيوتون ، الى جانب أنه جلب تعزيزا اوليا للامبراطور في قبرص ، كحليف وليس كتابع (٣٠٩) . ولم يكد بوهيمند يصل الى قبرص ، حتى اكتشف أن فريدريك لم يكن ينظر الى الامور نظرتة اليها ، فقد استطاع الامبراطور - بالقوة - أن يحصل لنفسه على الوصاية على ملك قبرص من بارونات الجزيرة ، وعندما طلب من بوهيمند أن يؤدي له يمين الولاء والتبعية عن أتباعه في انطاكية وطرابلس ، ولما رأى بوهيمند أنه محروم من الكنيسة ومحروم من المدد أيضا ، فقد ادعى المرض وهرب الى الشام حيث وصل الى حصن نيفين قبل أن يجبره الامبراطور على الخضوع له (٣١٠) . وربما انشغل الامبراطور في فرض

(٣٠٨) عهدت أليس بحكومة قبرص الى خالها فيليب ابلين الذي استأثر بالسلطة دونها ، فلجأت الى طرابلس وتزوجت من الابن الاكبر لبوهيمند الرابع والذي سيصبح فيما بعد بوهيمند الخامس . ولكنها لم تستطع أن تفرضه واليا على بارونات قبرص ، كما لم تستطع أن تجعلهم يقبلون بدلا منه عموري بارليس المناوىء لأسرة ابلين ولجأ بارليس أيضا الى طرابلس التي أصبحت ملجأ لكل خصوم أسرة ابلين الذين عينوا حنا ابلين حاكم بيروت وصيا على ملك قبرص بعد موت شقيقه فيليب ابلين في ١٢٢٧م . وكان زواج أليس من بوهيمند الخامس في ١٢٢٥م . انظر :

Francesco Amadi, Chroniques d'Cypre d'Amadi et de Strambaldi, ed. R. de Mas-Latrie, 2 Vols, Paris, 1891, 1893, Vol. pp. 117, 120, C.F. Also, Hill, The History of Cyprus, pp. 87-88,

(٣٠٩) قدم بوهيمند للامبراطور خدمة ٦٠ فارسا وكثيرا من المقاتلين الاخف تسليحا من الفرسان Sergeants . كما قدم له جى سيد جبيل ٣٠ ألف دينار اسلامي . انظر : ابن نظيف : التاريخ المنصوري ، ص ١٦٢ . راجع أيضا :

Eracles, pp. 366, 368; Gestes des chiprois, p. 681.

وعن منح بوهيمند للتيوتون انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٣٣٢ حاشية (٣١٤) .

(٣١٠) يذكر فيليب نوفار أن بوهيمند ادعى المرض والبكم وصاح بشدة : « آه آه آه وما أن وصل الى نيفين حتى شفى »

« Si contrefist le malade et le muet, et crioit trop surement

= A!a!a! « mais si tost come il fu a Nifin, Il fu gary. »

سيادته على قبرص ، وفي مفاوضاته مع الملك الكامل (٣١١) . لذا لم يتخذ قرارا بشأن بوهيمند الذي نراه في عكا مرة أخرى بصحبة الامبراطور في ابريل ١٢٢٩م/جمادى ثان ٦٢٧هـ أى قبل رحيل الامبراطور الى بلاده (٣١٢) . ولأن حملة فريديريك لم يتخللها أى عمل عسكري ضد المسلمين ، فلم تكن هناك حاجة لأن يساهم فيها بوهيمند أكثر مما قدمه للامبراطور من مساعدة وهو في قبرص . وحتى توقيع الاتفاقية مع المسلمين فإن موقف الامبراطور من بوهيمند كان موقفا عاديا لا غرابة فيه ، الا أن اتفاقية يافا قد فاجئتنا بعكس ذلك . فقد شمل اتفاق الامبراطور مع الكامل أملاك الصليبيين في فلسطين فقط دون شمال الشام . أى أن امارة انطساكية وكونتية طرابلس ، وهى أملاك بوهيمند ، لم تدخل ضمن الهدنة بين الطرفين . ويرى المؤرخ كلود كاهن أنه بسبب زيارة بوهيمند للامبراطور في عكا قبيل رحيل الأخير الى أوربا بشهر واحد ، لم يكن السبب في عدم دخول أملاك بوهيمند في الاتفاقية هو عدم خضوعه للامبراطور وهروبه من قبرص دون أن يقسم له يمين الولاء . ولم يعطنا كلود كاهن سببا بديلا لاستبعاد أملاك الأمير من اتفاقية الامبراطور مع المسلمين . وربما كان انشغال كلود كاهن بمعالجة أمور الشرق الأدنى ككل في هذه الفترة سببا في عدم تفرغه الكامل لمعالجة موقف الامبراطور من بوهيمند ، ذلك الموقف الذى لا يقل غرابة عن موقف

Gestes des chiprois, p. 682.

= انظر :

Eracles, pp. 368-369.

(٣١١)

(٣١٢) في ابريل ١٢٢٩م شهد بوهيمند على وثيقة حررها فريديريك الثانى

في عكا منح فيها لجماعة التيوتون برئاسة هيرمان أوف سالزا عدة أملاك في نيفين ، ونوربرت « القلعة الجديدة » الواقعة في قيليقية والتي يملكها الاسبتارية منذ منحها لهم ليو الثانى في سلوقية في ١٢١٠م وجاءت منحة فريديريك للتيوتون في نوربرت بناء على موافقة قنسطنطين والد هيثوم ملك أرمنيا ، الذى كان يؤيد موقف الامبراطور في الشرق تماما . أما عن تبنين فقد منحها فريديريك للتيوتون لساندتهم اياه ضد بارونات المملكة والداوية والاسبتارية كما منحهم معها كل ما كان في حوزة جوسلين كورتيناى . انظر :

Strehlke, no. 66, p. 54, Rohricht, Regesta, no. 1003, p. 363-264-265, CF. Also, Riey-Smith, The Feudal Nobility and the kingdom of Jerusalem, p. 171.

بوهيمنند نفسه من فريدريك بعد اعلان الاتفاق الذى سبق زيارة بوهيمنند للامبراطور . ولتوضيح موقف كل من بوهيمنند والامبراطور تجاه الآخر لابد من الرجوع الى نص اتفاقية يافا الذى من الواضح أن كلود كاهن لم يرجع اليه البتة . ففى نص الاتفاقية الذى ورد فى كل المصادر الاسلامية لا نجد أى ذكر لأملاك بوهيمنند ، وربما يوحى ذلك بأن أملاكه قد دخلت فى الهدنة التى عقدت بشكل عام دون تحديد أملاك معينة للفرنج فى بلاد الشام وبذلك تنطبق عليها الهدنة . أما النص الصليبي ، فان آخر فقراته تبين لنا نية الامبراطور المسبقة على استبعاد أملاك بوهيمنند من الاتفاقية أى أنه من الناحية العملية ، فان أملاكه كانت منطقة مسموح فيها بالاعمال العسكرية للمسلمين . واذا كان الامر كذلك ، فلابد وأن يعتبره بوهيمنند عقابا له من الامبراطور على عدم خضوعه له . ومع ذلك نراه يزور الامبراطور ، ويشهد على احدى الوثائق التى حررها الاخير فى عكا قبيل رحيله عن بلاد الشام . وهنا تبدو غرابة موقف بوهيمنند الذى كان من المفروض أن يناهز جانباً عن فريدريك الذى لم يضع فى اعتباره كقائد صليبي حماية أملاك الصليبيين فى شمال الشام . ومن المؤكد أن بوهيمنند قد أدرك أن أملاكه كان ولا بد أن يستبعدا الامبراطور من اتفاه مع المسلمين حتى ولو كان بوهيمنند قد خضع له . فقد استبعد الامبراطور من اتفاهيته مع الكامل ، الى جانب انطاكية وطرابلس ، أملاك الداوية فى انطربوس وأملاك الاسبتارية فى حصن الاكراد وصافيتا والمرقب (٣١٣) . ولوجود هذه الاملاك كلها فى نطاق أملاك بوهيمنند فلان أى هجوم اسلامى تسمح به الاتفاقية على هذه الاملاك الخاصة بجماعتى الداوية والاسبتارية لا يخرج عن كونه هجوما على أملاك بوهيمنند نفسها . ولذلك لم يجد بوهيمنند بدا من الظهور بمظهر اللامبالى أمام فريدريك حتى لا يصيبه منه أكثر مما أصابه . وهكذا كان وجود أملاك الداوية والاسبتارية فى حدود أملاك بوهيمنند سببا آخر كى يستبعد فريدريك انطاكية وطرابلس من اتفاهه مع الكامل . أما عن منح بوهيمنند عدة امتيازات للتوتون قبل توقيع الاتفاقية فقد جاء ذلك فى يناير ويونية من عام ١٢٢٨م ، أى قبل أن يغادر فريدريك أوربا متوجها الى الشرق . وربما

كان ذلك مقدمة من بوهيمند لشراء رضا الامبراطور (٣١٤) . ولما لم يجد كل ذلك ، اضطر بوهيمند أن يظهر في عكا حتى لا يفوته الاجتماع الذي عقده الامبراطور مع بارونات المملكة ، ويعرف ما يسفر عنه ذلك الاجتماع ، أو على الأقل ليظهر تأييده - ولو سرا - للداوية والاستبائية ضد فريدريك ، الأمر الذي من شأنه أن يقرب بينه وبين الكنيسة وبارونات المملكة الذين ربما يحتاج لمساعدتهم بعد أن قرر فريدريك عدم مده بالمساعدة من قبل نوابه الذين تركهم يحكمون في عكا بعد سفره الى أوربا (٣١٥) وربما كان عدم موافقته على الاتفاقية (٣١٦) يمنحه

(٣١٤) في يناير ١٢٢٨م منح بوهيمند الرابع الفرسان التيوتون في شخص مقدم الجماعة هرمان أوف سالزا طاحونة هوائية على نهر العاصي خارج أسوار انطساكية بملحقاتها من ريع المياه وبركة الاسماك ومعصرة الكروم ، مع حق التيوتون في الاحتفاظ بدخل الطاحونة من طحن الغلال فيها ، الى جانب الحديقة التي بجوار الطاحونة . وفي يونية من نفس العام منح بوهيمند لجماعة التيوتون أيضا دخلا سنويا قدره مائة دينار تدفع على أربعة أقساط (كل ثلاثة أشهر ٢٥ دينارا) من ريع السوق والسلسلة في مدينة عكا التي كانت من حق بوهيمند ، وفي ضرائب تفرض على البضائع الواردة الى الميناء . انظر :

Strehlke, no. 61, p. 50, no. 64, p. 53; M. Tumler, Der Deutsche Orden in Werden, Wachsen, und Wirken bis 1400 mit einem Abriader Geschichte des Ordens bis Zur neuesten Zeit, Montreal-Wien, 1955, no. 8 p. 64; Rohricht, Regesta, nos. 979, 989, pp. 257, 261.

وعن هذه الضرائب انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٢٤٩ ، حاشية (٨) .

(٣١٥) عين فريدريك قبل رحيله في أول مايو ١٢٢٩م كلا من باليان ابلين سيد صيدا ، وجارنييه الالماني (مندوب الملك حنا برين) نائبين عنه في حكم المملكة وبقي أتو مونتيليارد كندسطبلا للملكة ومتوليا أمر الجيش . أما في قبرص فقد عين نوابه كلا من عموري بارليس وجافين شنشيني وعموري سيد بيسان وهيو سيد جبيل ووليم سيد ريفيه وعهد الى الاربعة الآخرين بشخص الملك الصغير هيو الذي رتب زواجه من أليس مونتفيرات التي كان والدها من مؤيدي فريدريك في ايطاليا . انظر :

Letter of Gerold Patriach of Jerusalem to Pope Gregory IX, p. 87; Ernoul, p. 466; Eracles, p. 375. CF. also, Hill, A History of Cyprus, pp. 89 ff.

(٣١٦) « لم يوافق على هذه الاتفاقية » الداوية ولا كونت طرابلس =

بعض الهدوء من جانب المسلمين في دمشق المعارضين - بزعامة الناصر داود - لنفس الاتفاقية . وممها يكن من أمر ، فقد انتهت حملة فريديك الثانى الصليبية ، وقد حققت الهدف المرسوم لها ، والذي فشلت الثلاث حملات السابقة عليها في تحقيقه . الا أن سياسة الامبراطور قد زرعت بذور الحرب الاهلية بين الفرنج في بلاد الشام (٣١٧) . كما أن دبلوماسيته مع المسلمين كوسيلة بديلة عن الحرب لم تكن ترضى جماعتي الداوية والاسبتارية اللتين رأتا أن السلم مع المسلمين فيه تحديد لنشاطاتهما العسكرية في المنطقة . وكان أن تحقق هدفهما بأن استبعدت أملاكهما من اتفاقية فريديك والكامل الامر الذى عرض أملاك بوهيمند الرابع في انطاكية وطرابلس لكثير من الاضطراب والخطر فور رحيل الامبراطور . ففى أثناء حصار الكامل والاشرف للناصر داود في دمشق (٣١٨) ، بعث الكامل بسراياه لمهاجمة الاسبتارية في حصن الاكراد بينما كان بوهيمند يهاجم الحشيشية الذين يتمتعون بحماية الاسبتارية (٣١٩) الذين حصلوا من البابا جريجورى التاسع (١٢٧٢ - ١٢٤١م) على تأكيد جديد بحرمان

His treugis non Consenserunt Templarii nec comes Tripolitanus» =
 Annales Dunstaplenses, in M.G.H.SS., Vol. 27, p 508 : انظر :
 (٣١٧) لم يؤيد الامبراطور سوى التيوتون والبيزاوية بينما كان على رأس المعارضين بارونات المملكة تحت قيادة الابليين والاسبتارية والداوية . انظر :

Eracles, p. 374.

(٣١٨) اتفق الكامل والاشرف على اقتسام أملاك الناصر داود ابن أخيهما المعظم ، فاستوليا في ١٢ يوليو ١٢٢٩م / ١ شعبان ٦٢٦هـ على دمشق التى أخذها الاشرف وترك أملاكه في اقليم الجزيرة للكامل . بينما عوضا الناصر داود عن دمشق بحصون الكرك والبلقاء والصلت والاغوار والشوبك ، وسرعان ما تنازل الناصر عن الحصن الاخير لعمه الكامل . انظر : المقرئى السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٢٧ ، ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ، ص ٢٢٤ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٦٥٧ .
 (٣١٩) كان الحشيشية يدفعون الجزية للاسبتارية ولم تذكر المصادر العربية غارة المسلمين على حصن الاكراد . انظر :

Annales de Waverley, in M.G.H.SS. Vol. XVII, p, 461, Annales

Dunstaplenses, in M.G.H.SS. Vol. XVII, p 509

Riley, Smith, the knights of St. John, p. 139.

بوهيمنند (٣٢٠) . كما قام الاسبتارية في سبتمبر ١٢٢٩م/ذى القعدة ٦٢٦هـ بمهاجمة بعرين (٣٢١) . وفي يولية من عام ١٢٣٠م/رمضان ٦٢٧ استغلوا غياب الاشرف موسى عن دمشق ، وانشغاله في محاربة الخوارزمية في اقليم الجزيرة (٣٢٢) واتفقوا مع الداوية في انطرطوس وهاجموا حماة ، لاجبار أميرها المظفر تقي الدين محمود على دفع الجزية التي كان يؤديها لهم أخوه قلج أرسلان . الا أن المظفر فاجاهم بهجومه عليهم عند أفنون (٣٢٣) بين حماة وبعرين ، « فلم يثبتوا له ، وولوا منهزمين ، وقتل من خيالتهم ورجالتهم خلق كثيرا ، وأسر جماعة واسترد ما غنموه » (٣٢٤) . ووصل فرسان الاسبتارية أعمالهم العدوانية على أملاك المسلمين بأن هاجموا مدينة جبلة في شتاء نفس العام « ودخلوا اليها وأخذوا منها غنيمة وأسرى » (٣٢٥) . فأرسل شهاب الدين الى طغرل

(٣٢٠) أصدر البابا قرار الحرمان ضد بوهيمنند في ٥ مارس ١٢٣٠م . وأعلن بطريرك بيت المقدس رجال الدين في انطاكية بهذا القرار في ١١ يوليو . انظر :

Riley-smith, The knights of St. John, p. 161.

(٣٢١) كان صاحبها قلج أرسلان بن الملك المنصور بن تقي الدين عمر وبقيت له بعرين بعد أن أخذ منه الكامل حماة وأعطاه لأخيه المظفر . انظر : ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٧٩ ، ابن نضيف الحموي : التاريخ المنصوري ، ص ١٨٨ .

(٣٢٢) في ابريل ١٢٣٠م/جمادى الاولى ٦٢٧هـ استولى الخوارزمية على أخلاط فتحالف الاشرف مع علاء الدين كيقيباذ السلجوقي ضدهم واستطاع الحليفان أن يهزما جلال الدين الخوارزمي قرب أرنبجان ، وفر جلال الدين الى أذربيجان واسترد الاشرف أخلاط وتصلح مع جلال الدين الذي لم يلبث أن قتل في ١٢٣١م/٦٢٨هـ . وتمزقت دولته وصارت جيوشه تعمل كمرتزقة لدى مختلف حكام المسلمين . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٩٤ - ٣٠٠ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ، قسم ٢ ص ٦٥٩ - ٦٦٩ .

(٣٢٣) « أفنون » قرية قرب بعرين تعرف الآن بقفيلون على بعد ٣٥ كيلو مترا من حماة . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٣٠٣ ، حاشية ٣ .

(٣٢٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٣٠٣ .
(٣٢٥) ذكر كل من ابن واصل وابن العديم أنه كان في ذلك العام « للفرنج =

أتاك حلب العسكر « مع بدر الدين الوالى (٣٢٦) وأغاروا على ناحية المرقب ، ونهبوا حصن بانياس وخربوه ، وسيروا أسرى الى حلب « (٣٢٧) . ولم يتم التوصل الى الهدنة بين الحلبيين من جهة الداوية والاسبتارية من جهة أخرى الا فى ٢٣ يونية ١٢٣١م / ٢٠ شعبان ٦٢٨هـ (٣٢٨) . ولا جدال أن بوهيمند الرابع لم يكن له أى دور فى هذه العمليات . فلم يكن بوهيمند فى سن تسمح له بالقيام بعمليات عسكرية خاصة مشاركة منه للاسبتارية والداوية حتى لا يظهر وكأنه حليف لهما فى الوقت الذى كانت فيه هاتين الجماعتين من المناوئين لريتشارد فلانجيرى «Richard Filangieris» نائب الامبراطور فريدريك متعاونين فى ذلك مع الابليين فى عكا (٣٢٩) . واكتفى بوهيمند ، مستغلا

حركة « . ولم يذكر أنهم هاجموا جبلة غير ابن الاثير الذى اتفق معهما على ذكر هذه الواقعة ضمن أحداث عام ١٢٣١م / ٦٢٨هـ . انظر : ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢٣٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٣١١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ .

(٣٢٦) كان بدر الدين الوالى أميرا جليلا وكان متوليا قلعة جعبر فى أيام الملك الظاهر الى أن أخذها الملك العادل فولاه الظاهر قلعة حلب الى أن ولاها للاتاك شهاب الدين قبيل وفاته . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٣١١ .

(٣٢٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ - ٢١٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٤ ، ص ٣١١ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢٣٥ .

(٣٢٨) لم يذكر هذه الهدنة بين المسلمين والفرنج سوى ابن العديم ، وان لم يحدد لنا مدتها . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢١٠ .

(٣٢٩) فى ٢٣ يولية ١٢٣٠م تصالح فريدريك الثانى مع البابا جريجورى التاسع بمقتضى معاهدة سان جرمان ورفع البطريرك الحرمان عن مملكة بيت المقدس وأخذ فريدريك أذنا من البابا بارسال جيش الى الشام لحماية المملكة الصليبية . فبعث ريتشارد فيلانجيرى كمندوب امبراطورى بصحبة ثلاثين سفينة . ولما رأى ريتشارد أن حنا ابلين قد تحصن فى قبرص توجه بالاسطول الى بيروت وحاصرها ، ثم استولى على صيدا وصور ، ثم توجه الى عكا حيث قبله البارونات مندوبا عن الامبراطور ، فصادر ريتشارد أملاك أسرة ابلين الامر الذى دفع البارونات بتشكيل قومون يتصدى لسلطة المندوب الامبراطورى . انظر :

فطنته السياسية بالاستفادة من الخلافات والصراعات بين الابليين وحلفائهم من جهة ، وبين مندوب فريديريك من جهة أخرى ، في الوقت الذي حرص على أن يظهر بمظهر المحايد بين الطرفين في صراعهما (٣٣٠) . وبالفعل فقد تمت المصالحة أخيرا بين بوهيمند والاستبارية والكنيسة . وشهدت السنوات الاخيرة من حكمه نهاية الخلاف - الذي استمر طوال فترة

Peter W. Edbury, *The Ibelins Counts of Jaffa : a Previously unknown passage from the Lignages d'Outremer*; in E.H.R., Vol. 89, 1974, pp. 604-610.

(٣٣٠) سعى الابليون الى ضم بوهيمند الرابع الى جانبهم ضد فلانجيري الذي كان نائبا bailli للامبراطور فريديريك ، ولتحقيق ذلك سعوا الى المصالحة التي تمت بين بوهيمند والاستبارية . كما وافق بوهيمند على طلاق ابنه بوهيمند الخامس من أليس ملكة بيت المقدس لأن الزوجين كانا أقارب من الدرجة الرابعة وهو ما تحرمه الكنيسة في ذلك الوقت وما كان قد اعترض عليه البابا هنوريوس الثالث . وعرض حنا ابلين على بوهيمند - تعويضا عن تلك الزيجة - أن يتزوج هنري أصغر أبناء بوهيمند من ايزابيلا شقيقة هنري الاول ملك قبرص ، الامر الذي يجعل أمير أنطاكية يتولى في النهاية عرش قبرص . وانتظر بوهيمند حتى يرى ماستسفر عنه المفاوضات بين الابليين ونائب الامبراطور . وعبثا راح حنا ابلين يعطى لبوهيمند الوعود باقطاع في قبرص اذا ما بعث بمساعدة برية وبحرية له لصد نفوذ نواب الامبراطور في الجزيرة . وبدأ بوهيمند ودودا في أول الامر . وسرعان ما انتصر فلانجيري على الابليين في موقعة قرية ايمبرت بالقرب من صور في ١٢٣٢م ، فأبدى بوهيمند فتورا تجاه بارونات المملكة . وقدم المؤرخ فيليب أوف نوفار الاقطاع لبوهيمند الذي وعده به حنا ابلين من قبل وتم زواج ابنه من ايزابيلا القبرصية . الا أن بوهيمند كان يفضل سيادة الامبراطور البعيدة عنه على سلطة الابليين القريبة جدا . وبدا أكثر اتفقا مع فلانجيري ومنح شقيقه لوثير اقطاعا في انطاكية الا أنه أصم أذنيه عن استغاثة فلانجيري به حين هزمه الابليون في قبرص التي استعاد هنري الاول نفوذه فيها . وظهر بوهيمند كمحايد بين الطرفين . انظر :

Eracles, pp. 361, 386-407; Gestes des Chiprois, pp. 673, 700, 708 ff., 719, 735; Amadi, *Chroniques d'Cypre*, Vol. 1, pp. 123-124; Honorius III, pope, *Regesta*, t. 2, no. 6271, p. 485; Hill, *A History of Cyprus*, Vol. 3, pp. 143-154. H.E. Mayer, *The Communal movement in the Holy Land*, in *Traditio*, Vol 2, p. 444. J. Riley Smith, *The Assis Sur La Lige*, in *Traditio*, Vol. 27, p. 199.

حكمه - بين الطرفين . ففي ٢٦ أكتوبر ١٢٣١م/ ٢٨ ذى الحجة ٦٢٨هـ صدق جيرولد أوف لوزان Gerold of Lausanne بطريرك بيت المقدس (١٢٢٥ - ١٢٣٩م) على الصلح بين بوهيمند والاسبترية ، واعترفت البابوية للمرة الاولى ببوهيمند كامير لانطاكية ، وتنازل الاسبتارية عن كل الامتيازات التي منحها اياهم ريموند روبين ، واعترفوا لبوهيمند بكل حقوقه الاقطاعية (٣٣١) . وفي ١٠ ابريل ١٢٣٣م/ ٢٨ جماد ثان ٦٣٠ هـ ، صدق البابا جريجورى التاسع على اتفاقية بوهيمند مع الجماعة ، ورفع قرار الحرمان الصادر ضده (٣٣٢) . ومات بوهيمند قبل أن تصل موافقة البابا على منحه لقب أمير انطاكية (٣٣٣) ، الأمر الذى لم يستطع أن يحققه طوال عهده فيها ، والذى كان سببا فى أن يستمر فى صراعه ضد الارمن حولها طيلة عشرين عاما ، مما جعله ينشغل عن المسلمين طوال تلك الفترة ، بل ويتحالف معهم الى جانب السلاجقة الروم ، ضد الارمن ، دون أن يتفرغ لتحقيق أية مكاسب على حساب المسلمين ، أو حتى يسترد لامارته ما كان قد ضاع من أملاكها على أيدي صلاح الدين بعد حطين . وكل ذلك جعل فترة حكم بوهيمند الرابع تتسم بالهدوء النسبى فى علاقاته بالمسلمين . ولم يكن الصراع ضد الارمن فقط هو السبب وراء هذا الهدوء ،

(٣٣١) لم يحتفظ الاسبتارية الا بحقهم فى مدينة جبلة وبكسراييل Chateau de La Vieille كما منح بوهيمند الاسبتارية باسم أبنائه بوهيمند الخامس وهنرى دخلا سنويا مقداره ٣٦٠ ديناراً من كونتية طرابلس ودخلا آخر قدره ٨٧٣ ديناراً من اماره انطاكية ، وذلك فى ٢٧ أكتوبر ١٢٣٢م . انظر :

Rohricht, Regesta no. 1032, pp. 269-270, no. 1033, p. 270,

Cartulair, t. 2, nos, 1999, 2003, 2048, pp. 427-428.

Ann. T.S., p. 439; Gurtulair, t. 2, no 2048, p 452 (٣٣٢)

مات بوهيمند قبل مارس ١٢٣٣م/ جماد ثان ٦٣٠ هـ . فأخر (٣٣٣)

ما نجده من أعمال قام بها هو منحته للاسبتارية فى ٢٧ أكتوبر

١٢٣٢م/ ١٠ محرم ٦٣٠ هـ بينما نجد ابنه وخلفه بوهيمند الخامس

يوثق - كامير لانطاكية وكونتا لطرابلس - منحتين للبيزاوية يؤكد

فيهما ما منحهم اياه كل من ريموند بواتيه وبوهيمند الثالث

أمراء انطاكية من امتيازات وذلك فى مارس ١٢٣٣م/ جماد ثان

٦٣٠ هـ . انظر :

Rohricht, Regesta, nos., 1041-1042, p. 272.

بل كانت هناك عوامل أجبرت كلا من المسلمين والصليبيين بصفة عامة على تجنب القيام بأعمال عسكرية أحدهما ضد الآخر . وكان الخلاف بين خلفاء صلاح الدين الأيوبي وتخوف كل منهما من الآخر هو دافعهم وراء ذلك . بينما كان فشل الحملتين الثالثة والرابعة في تحقيق أمن واستقرار الإمارات الصليبية ، وانتظار الفرنج في بلاد الشام للحظة التي يتأهب فيها الغرب الأوربي لنجدتهم ، وفقر المناطق التي أصبحوا يحتلون في بلاد الشام وحاجتهم إلى المكاسب التجارية التي تتحكم فيها الجاليات الإيطالية ، سببا في أن ينهجوا سياسة سلمية تجاه المسلمين ، وأصبحت الحرب بين بوهيمند الرابع والأرمن هي شغل الصليبيين الشاغل . طالما أنه ليس هناك أمل في وصول حملة صليبية جديدة . واستمر بوهيمند على سياسة سلفه بوهيمند الثالث بالنسبة للحملات الصليبية ، فان لم تكن هذه الحملات ستحقق له أهدافه الخاصة ، فهي - وحتى ما ستحققه لمملكة بيت المقدس - ليست ذات أهمية بالنسبة له . ولولا مشاركته - خارج حدود أمارته - في سياسات الصليبيين والمسلمين في آسيا الصغرى وفلسطين ومصر ، لكان من الصعب أن نجد ذكرا لامارة انطاكية في كتب المؤرخين في تلك الفترة . ومع ذلك فمن فترة حكم بوهيمند الرابع نخرج بانطباع عنه كرجل نشط ، تارة لا يعرف التردد ، وتارة مخادع وسياسي ماهر ، يضعه فيليب نوفار الذي أعجب بعلمه وحدة ذهنه بين كبار المشرعين الصليبيين (٣٣٤) . وبموت بوهيمند يمكن أن نعتبر أنه قد مات آخر أمير لانطاكية . فسيحمل ثلاثة من خلفائه هذا اللقب ، ولكنهم لن يكونوا أمراء بالفعل لانطاكية التي أفقرتها الحروب الداخلية ، وبعدها مباشرة هجمات التركمان ، ثم ذبول نشاطها التجاري ، فقد عزلها العائق التي كانت تشكله اللادقية التي يحكمها المسلمون ، والتي لم تعد بالنسبة لانطاكية ذلك الميناء المزدهر ، الذي يعتبر منفذها إلى الغرب الأوربي ، ووسيلة اتصالها السهلة بكونتية طرابلس . إلى جانب ذلك فقد دارت في موانئ لبنان الجنوبية وقبرص أحداث التاريخ الفرنجي الداخلي والتي كانت تتطلب اهتماما أكبر مما تتطلبه امارة انطاكية في شمال الشام . ومنذ الغزو المغولي والرد المملوكي عليه ، أصبحت مصر هي أهم بلد إسلامي

Philip de Novarre, Livre de Forme de Plait, in R.H.C. Lois, (٣٣٤)
Vol. 1, p. 570.

يجذب الانظار . وخرج شمال الشام على مدى ثلاثين سنة تقريبا من التاريخ العام للمنطقة ، وقد ظهر ذلك جليا في الجزء الاخير من فترة حكم بوهيمند الرابع ، وسيتأكد في عهد بوهيمند الخامس . ومنذ ذلك الوقت تقريبا ، لم تعد هناك علاقات بين تاريخ امارة انطاكية الصليبية وبين أمرائها أنفسهم (٣٣٥) .

الفصل الرابع

امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين

في فترة التفكك الصليبي والاسلامى

(١٢٣٣ - ١٢٥٨/٦٣٠ - ٦٥٦ هـ)

- ١ - اماره بوهيمند الخامس (١٢٣٣ - ١٢٥١م/٦٣٠ - ٦٤٩ هـ) :
 - تحالف بوهيمند الخامس مع الاسبتارية ضد المسلمين في بعـرين ١٢٣٤م/٦٣١ هـ : أسبابه والنتائج المترتبة عليه .
 - تحالف بوهيمند الخامس مع الداوية ضد أرمن قيليقية ١٢٣٤م/٦٣١ هـ ، وانعكاسه على العلاقات الانطاكية الاسلامية .
 - موقف بوهيمند الخامس من الصراع بين الداوية وبين الايوبيين في حلب (١٢٣٣ - ١٢٣٧م/٦٣٠ - ٦٣٤ هـ) : أسبابه ونتائجه .
 - موقف الامير الانطاكى من الصراع بين الخوارزمية والايوبيين في بلاد الشام (١٢٤١ - ١٢٤٤م/٦٣٨ - ٦٤١ هـ) .
 - سياسة بوهيمند الخامس السلمية تجاه المسلمين : أسبابها ، ونتائجها (١٢٤٤ - ١٢٥١م/٦٤٢ - ٦٤٩ هـ) .
- ٢ - اماره بوهيمند السادس (١٢٥٢ - ١٢٦٨م/٦٤٩ - ٦٦٦ هـ) :
 - الحملة السابعة على مصر ، ، وآثارها على العلاقات بين اماره انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين (١٢٥٢ - ١٢٥٤م/٦٥٠ - ٦٥٢ هـ) .
 - موقف بوهيمند السادس من الحرب الاهلية بين الصليبيين في مملكة بيت المقدس وأثره على العلاقات السياسية بين اماره انطاكية والمسلمين (١٢٥٤ - ١٢٥٨م/٦٥٤ - ٦٥٦ هـ) .

رحل الامبراطور فريديريك الثانى من عكا (١) « مكروها ، تلاحقه اللعنات وألفاظ السباب » لأنه حاول فرض سيطرته وسيادته على بارونات مملكة بيت المقدس كحاكم فعلى بينما كان الحاكم الشرعى «de Jure» - ابنه كونراد الثالث - قاصرا (٢) . ولم يقدر صليبيو الشام انجازات الامبراطور حق قدرها . واعتبروا حملته زيارة قام بها سلطان ايطاليا الى صديقه سلطان مصر (٣) . وقد شغلهم أمر التخلص من نفوذ نائب الامبراطور فى المملكة عن الاستفادة بما حققه لهم فريديريك . وبدلا من تحصين مدينة بيت المقدس أو التوسع فى الاقاليم التى استردها لهم الامبراطور ، راحوا يدخلون فى صراع ضد نائبه ، وبدا أن الهدف الصليبي القديم لم يعد ذا أهمية لديهم . وبعد أن تكتلوا جميعهم ضد فريديريك ، راح كل منهم يعمل لصالحه الخاص محققا النذر القليل على حساب المسلمين الذين - بدورهم - شغلهم عن الصليبيين خلافت أعضاء البيت الايوبى المستديمة ، الى جانب أخطار الخوارزمية ، وأطماع سلاجقة الروم ، وأخيرا الخطر المغولى المحدق بالجميع . ولم يسمح للطرفين بالمضى فى تلك السياسة الا الشئ الوحيد الذى استفادا منه وحققته لهم اتفاقية فريديريك مع المسلمين ، ألا وهو الهدنة لمدة عشر سنوات . الا أن ذلك لم يكن ينطبق على امارة انطاكية وأملاك أميرها فى طرابلس ، وهى المنطقة التى وجد فيها الاستتارية والداوية مجالا لنشاطهما العسكرى ضد المسلمين ، والتى كانت تحف بها الاخطار التى كانت تتهدد أملاك المسلمين من جهة الشرق ، ودفعت بآثارها الى اقليم انطاكية كله . وهكذا كان تاريخ العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين رهنا بالظروف الخارجية ، وليس كما تفرضه سياسة أمرائها كما كان الامر أيام بوهيمند الاول ومن بعده تنكريد ثم روجر الانطاكى . ومهما يكن من أمر فان ظروف بوهيمند الخامس لم

(١) رحل فريديريك من عكا فى صباح يوم أول مايو ١٢٢٩م/٥ جماد ثان ٦٢٦هـ ، عندما اجتاز وحاشيته شارع الجزارين قذفه سكان الشارع بأمعاء الحيوانات وروثها . انظر : Eracles, P. 375; Ernoul, p. 466; Les Gestes des Chiprois, pp. 683-684.

(٢) Eracle, p. 374. CF. also, Riley-Smith, The Feudal Nobility, p. 167.

(٣) Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 322.

تكن لتسمح له بأن يضع لنفسه سياسة خارجية تعيد لانطاكية بالنسبة لجيرانها المسلمين ، وضعها الذي تمتعت به في القرن الثاني الميلادي القرن السادس الهجري . فلم يكن بوهيمند نفسه أميرا قويا ، لذا بدأ يكسب ود البابوية (٤) وأقام في طرابلس تاركا انطاكية التي لم تكن سلطته نافذة فيها مثلما كانت سلطة القومون الذي سيطرت عليه الجالية البيزنطية (٥) . وبدأ بوهيمند يكتسب تأييد الايطاليين حتى ينمى موارد خزانته في طرابلس بعد أن ضعفت موارد انطاكية الاقتصادية (٦) . ولم يكن في امكانه القيام وحده بأى عمل عسكري ضد المسلمين . واذا قام بذلك تعاوننا مع غيره من الصليبيين ، فقد كان ذلك لضمان التعاون المشترك في أوقات الازمة فقط . ولما كانت الهدنة بين الكامل والصليبيين في فلسطين قد أجبرت جماعات الفرسان الرهبان وهم القوة الصليبية التي كان بمقدورها القيام بأعمال عسكرية لانتعاش مواردها (٧) . على

(٤) تم اطلاق بوهيمند الخامس من اليس ملكة قبرص في ١٢٣٧م بناء على أوامر البابوية لصلة القرابة التي بينهما ، فقد كانا أولاد عمومة من الدرجة الرابعة وهو ما كان يحرم عليهما الاقتران ببعضهما حسب تعاليم الكنيسة الرومانية . وفي ١٢٣٥م تزوج بوهيمند الخامس من لوسى دي سيني Lucie de Segni ابنة الكونت بول الاول دي سيني ابن الكونت ريتشارد دوق سورا Richard duc de Sora شقيق البابا انوسنت الثالث والتي رشحها له البابا جريجوري التاسع انظر :

Pope Gregory IX, Regester, ed. L. Auvrray (Bibliothèque des Ecoles Franciases d'Athènes et de Rome, Sér 2), 3 Vols. Paris 1896-1955, Vol. 1, no 10, p. 7; Les Gestes des Chiprois, p. 748.

Cahen, La Syrie du Nord, p. 659. (٥)

(٦) أكد بوهيمند الخامس فور توليه السلطة (في مارس ١٢٣٣م) للبيزاوية كل الامتيازات التي منحها لهم ريموند الثالث كونت طرابلس وبوهيمند الرابع في انطاكية وطرابلس . انظر :

Rohricht, Regesta, nos. 1041-1042, p. 272. CF. also, Heyd, Histoire de Commerce, t. 1, p. 323.

(٧) كانت البابوية وحكام غرب أوربا يبعثون بالهبات والمساعدات للجماعات العسكرية الدينية في بلاد الشام بشكل منتظم منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي . انظر :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 660.

التخلى عن مشروعاتهم العسكرية ضد المسلمين في فلسطين . فقد وجدت جماعتا الاسبتارية والداوية في أملاك بوهيمنند في انطاكية وطرابلس قاعدة لعمليات عسكرية ضد المسلمين المجاورين . فبعد تولى بوهيمنند الخامس الحكم في انطاكية ، اضطر الى المساهمة في حملة قامت بها جماعة الاسبتارية - من حصن الاكراد - ضد أمير حماة المظفر تقى الدين الثانى ، في محاولة منها لاجباره على الاستمرار في دفع الجزية التى كانت تجبها من حماة (٨) . وفى الحقيقة ، كانت هذه الحملة ذات دلالات هامة . وتستحق الدراسة لما تلقيه من ضوء على أحوال كل من الصليبيين والمسلمين في بلاد الشام . وأيضا لما كان عليه موقف مؤرخى الطرفين منها . ففى الوقت الذى لم يذكرها أى من المؤرخين المسلمين بالمرّة ، بالرغم من معاصرة بعضهم لاحداثها (٩) ، ولم يذكرها من المؤرخين الصليبيين سوى كاتب حوليات الارض المقدسة ، وتاريخ هرقل (١٠) . الا أن هذين المصدرين لم يضعوا تاريخا محددا لهذه الواقعة ، فى الوقت الذى كانت التواريخ التى وردت بهما لها تفتقر الى الدقة . فبينما يعطينا الاول تاريخين لها وهما عامى ١٢٣٥م/٦٣٢هـ و ١٢٣٦م/٦٣٣هـ (١١) ، فيضعها الثانى فى عام ١٢٣٣م/٦٣٠هـ ، وبعد موت بوهيمنند الرابع مباشرة (١٢) ، دون أن يحدد أى منهما فى أى وقت من هذه الاعوام قام الاسبتارية بحملتهم ضد صاحب حماة . وهذا جعل هـى لافيلازو مؤرخ جماعة الاسبتارية الحديث يجتهد فى تحديد زمن هذه الواقعة ، معتمدا على بعض الوثائق الصليبية . فوضعها فى أكتوبر ١٢٣٣م/محرم ٦٣١هـ (١٣) . الا أن تحليله للاحداث لم يكن قاطعا .

Eracles, p. 403.

(٨)

(٩) يقرر ابن واصل أنه كان فى دمشق قبل وصول الملك الكامل اليها بعدة يام . وحين وصل الكامل قرب حمص كان ابن واصل فى حماة . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٧٤ - ٧٥ .

Ann. T.S. p. 439; Eracles, pp. 403-405

(١٠)

Ann. T.S., p. 439.

(١١)

Eracles, p. 403.

(١٢)

(١٣) نقل أغلب المؤرخين الحديثين عن ديلا فيلازو أحداث الواقعة وأخذوا بنفس التاريخ الذى حدده الاخير لها . انظر : =

فقد اعتمد في رأيه هذا على أساس وجود حنا ابلين الذى شارك في الحملة في عكا في التاريخ الذى حدده لها ، بينما تواجد في قبرص في يوليو- وأغسطس ثم في نوفمبر وديسمبر من نفس العام . وبالطبع لا يمنع ذلك أن يعود حنا الى الشام في العام التالى ، خاصة أنه ليس هنا ما يدل على عدم حدوث ذلك (١٤) . فبالرغم من اعتمادنا في تحديد تاريخ هذه الواقعة ، على نص ورد في أحد المصادر الاسلامية ، رغم بساطته ، الا أنه جعلنا نقطع بأن التاريخ الادق لهذه الواقعة هو شهر يونية ١٢٣٤م رمضان ٦٣١هـ . ولتفصيل ذلك يجدر تتبع الاحداث منذ بدايتها . فعندما رفض المظفر صاحب حماة أن يدفع الجزية التى كان يؤديها سلفه وأخوه قليج أرسلان للجماعة ، جمع جويرين «Guerin» مقدم الاسبتارية (١٢٣٠ - ١٢٣٦م) خمسمائة فارس وألف وخمسمائة من المشاة من جماعته وطلب المساعدة من كل الجهات الصليبية ، وسرعان ما انضمت اليه فرقة من الداوية بقيادة مقدمهم أرمان دى بريجور «Armand de Périgord» . وأتى من مملكة بيت المقدس ثمانون فارسا بقيادة بيير دى أفالون «Pierre de Avalon» ابن أخت الكندسطل مونتبليارد ، كما أتى لمشاركة الاسبتارية في مشروعهم مائة فارس من قبرص بقيادة حنا ابلين حاكم بيروت وجوتيبه دى برين زوج أخت هنرى ملك قبرص . وأخيرا بعث بوهيمند الخامس أمير انطاكية بثلاثين فارسا من انطاكية

Delaville Le Roulx, Les Hospitaliers, pp. 171-172; King, The Knights Hospitallers, p. 214; Riley-Smith, The Knights of St. John, p. 325.

هذا وقد حدد كلود كاهن عام ١٢٣٤م/٦٣١هـ تاريخا لهذه الواقعة الا أنه اكتفى بذلك دون أن يحدد في أى وقت من السنة قام الاسبتارية بحملتهم . انظر :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 650, n. 1.

(١٤) في هذه الشهور كان حنا ابلين متنقلا بين نيقوسيا وفماجوستا شاهدا على بعض الوثائق التى حررها هنرى الاول ملك قبرص مانحا بمقتضاها بعض الامتيازات التجارية للجنوية ، وعاقدا معهم اتفاقية دفاع مشترك ، الى جانب بعض الامتيازات الأخرى لغيرهم من الفرنج . انظر :

L. de Mase Latrie, Histoire de L'île de Chypre, t. 2, pp. 51-56-58; t. 3, pp. 638-639.

بقيادة أخيه الأصغر هنرى (١٥) . وهكذا تجمع من صليبي قبرص وانطاكية ومملكة بيت المقدس الى جانب الاسبتارية والداوية ما يقرب من ثمانمائة فارس والفين من المشاة كما أحصاهم تاريخ هرقل ، ومن الملاحظ أن معظم هذه القوات كان من جماعة الاسبتارية مما يدل على مدى امكانيات الجماعات العسكرية الدينية التي لم يعد في مقدور الامراء الصليبيين أن يبلغوا ما بلغته هذه النجاعات من قوة بدءا من القرن الثالث عشر الميلادى/القرن السابع الهجرى (١٦) . وتجمع الصليبيون في سهل البقيعة جنوبى حصن الكرك (١٧) ، وبعد مسيرة في الليل ، وصلوا عند الفجر أمام بعرين ، واحتلوا ضيعتها ونهبوها دون أن يواجهوا أحدا من سكانها الذين تحصنوا بقلعتها . ثم اتجهوا الى قرية ميريامين «Miryamin» على بعد سبعة كيلو مترات جنوب شرقى بعرين (١٨) ، حيث بقوا هناك لمدة يومين وأرسلوا فرقا لنهب المنطقة ، وبعد أن نهبوا اقليم بعرين قاموا بنفس الشيء في قرية السماقية «Somaquie» (١٩) . وبقي الفرنج ينهبون ويعيثون فسادا في اقليم بعرين لمدة ثمانية أيام دون أن يخرج لهم المسلمون أو يخضع لهم المظفر صاحب حماة . ولم يعد الاسبتارية عن أعمالهم العدوانية في أملاك المظفر الا بقدم الملك الكامل من مصر على رأس جيش كبير (٢٠) . وكان الملك الكامل متوجها مع كل أمراء بنى أيوب في مصر والشام الى اقليم الجزيرة لمحاربة علاء الدين كيقباز سلطان سلاجقة الروم (٢١) . وكما يذكر تاريخ هرقل ، فان

(١٥) Eracles, p. 403-404. CF. also, p. Des Champs, Le Crac des

Chevaliers, Paris, 1934; pp. 128-129.

Cahen, La Syrie du Nord, p. 660. (١٦)

P. Des Champs, Le Crac des Chevalier, pp. 128-129. (١٧)

Grousset. t. 3, p. 362. (١٨)

(١٩) ويكتبها ديسو بسماكية «Bismaqiya» وهى على طريق صافيتا فى ريفية .

Dussaud, Topographie historique, p. 311.

Eracles, p. 405. (٢٠)

(٢١) عن الخلافات بين بنى أيوب والسلاجقة فى اقليم الجزيرة انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٣٢٠ - ٣٢٢ ، ج ٤ ، ص ٧٤ - ٧٥ ، النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرى ، ص ١٧ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، نشره كلود كاهن ، مجلة الدراسات الشرقية، ج ١٥ ، ١٩٥٥، ١٩٥٧م، ص ١٣٩ =

الكامل توسط لانهااء للخلاف بين المظفر والاستتارية . وقنع المظفر بان يدفع الجزية التى يطلبها الاستتارية . وبالفعل تم الاتفاق على ذلك فرحل الاستتارية وأعاونهم من الفرنج عن بعرين (٢٢) . ولم يكن يحسم اختلاف المؤرخين حول تاريخ حملة الاستتارية على بعرين سوى تاريخ وصول الملك الكامل . وبتتبع تحركات قوات السلطان من مصر الى أن وصل الى اقليم حمص حيث قام بالتوسط بين المظفر والاستتارية ، يمكن تحديد تاريخ وجود الصليبيين فى اقليم بعرين فى الوقت الذى كان فيه الكامل فى سلمية التى بقى فيها حتى خرج الى اقليم الجزيرة . فقد مخرج الكامل من مصر « فى ليلة السبت خامس شعبان ٦٣١هـ / ٦ مايو ١٢٣٤م » (٢٣) . وبعد أن وصل الى دمشق ليصطحب أخاه الملك الأشرف ، توجهها معا الى حمص ليرافقهما صاحبها الملك المجاهد اسد الدين ، ووصلا الى سلمية فى يونيو ١٢٣٤م / رمضان ٦٣١هـ كما حدد كل من ابن واصل والمؤرخ المجهول لبنى أيوب (٢٤) . ولما كان الصليبيون مقيمين فى ذلك الوقت فى اقليم بعرين ، ولم تستغرق حملتهم كلها الثمانية أيام كما حدد تاريخ هرقل (٢٥) ، فيمكن الاخذ بأن الاستتارية قاموا بحملتهم على بعرين فى أواخر مايو / أوائل يونيو ١٢٣٤م / أواخر شعبان / أوائل رمضان ٦٣١هـ (٢٦) . وان دلت رواية تاريخ هرقل عن مدى الامكانيات البشرية العسكرية الرهبانية فى ذلك الوقت ، والتى لم تتوفر للامراء الصليبيين فى بلاد الشام ، فانها أيضا قد ألقت الضوء على سياسة بنى أيوب تجاه الفرنج فى بلاد الشام . ففى الحقيقة ، كان الخطر بالنسبة للاستتارية وحلفائهم أكبر من خطرهم أنفسهم على صاحب حماة . فقد تجمع تحت لواء الملك الكامل « أكثر

= - ١٤٢ ، العسقلانى : شفاء اللقوب ، مخطوط ، لوحة ٨٦ أ
- ٨٦ ب .

(٢٢) Eracles, p. 405.

(٢٣) المقريزى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ، ص ٢٤٧ .

(٢٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٧٥ ، العسقلانى : شفاء القلوب ، لوحة ٨٦ أ .

(٢٥) Eracles, p. 405.

(٢٦) وضع كاهن عام ١٢٣٤م / ٦٣١ - ٦٣٢هـ تاريخا لهذه الواقعة دون تحديد شهر لها . انظر :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 650.

من ستة عشر دهليزا لسته عشر ملكا ، لم يجتمع مثلهم لملك قبل الملك الكامل « (٢٧) . ومع ذلك فقد فضل الكامل التفرغ لمحاربة السلاجقة على مساندة المظفر ضد الاستتارية لذا أقنعه بدفع الجزية (٢٨) ، وقد لمس الكامل ضالة الخطر الصليبي بالمقارنة بالخطر السلجوقي . ولم تكن الجزية عن بعيرين بالنسبة له تستحق ضياع أخلاط أو غيرها من أملاك الايوبيين في اقليم الجزيرة (٢٩) .

واذا كان بوهيمند الخامس قد ساعد الاستتارية في الحصول على جزيتهم من صاحب حماة ، فانه أيضا قدم المساعدة لجماعة الداوية في حملتهم ضد أملاك هيثوم الاول ملك أرمينيا . الا أن مشاركته للداوية في هذه الحملة لم تكن مجرد مساعدة لحلفاء صليبيين فقط ، بل أنها كانت بدافع الانتقام من الارمن الذين لم يغفر لهم بوهيمند أبدا اعدامهم لأخيه فيليب من قبل ، وارتقاء الاسرة الهيثومية عرش أرمينيا على حسابه (٣٠) . وهكذا ظلت العلاقات بين انطاكية والارمن متوترة حتى وصول لويس التاسع الى بلاد الشام (٣١) . وفي الحقيقة ، فان الارمن لم يبادروا أبدا بالهجوم على بوهيمند الخامس . فقد كانت سياسة

(٢٧) « الدهليز » هي الخيمة التي ترافق السلطان في الحرب، انظر : ابن العديم : زبدة الطلب ، ج ٣ ، ص ٢٧١ ، حاشية (١) ، المقرئزي : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٤٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٧٥ .

(٢٨) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٢٥ . راجع أيضا :

Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 362.

(٢٩) فشلت الحملة الايوبية ضد السلطان السلجوقي ، ويرجع ذلك الى الداء المستديم الذي أصاب خلفاء صلاح الدين ، وهو الانقسام على أنفسهم ، وتشككهم في بعضهم البعض . فقد خشي الاشرف والمجاهد أن ينقل الكامل أمراء البيت الايوبي الى بلاد الروم اذا ما تمكن من امتلاكها ويستأثر هو ببلاد الشام ومصر . لذا بدأ التخاذل عليهم . واستوحش كل منهما من الآخر مما ساعد السلاجقة على التصدي لهم . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٧٧ ، وما بعدها ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٤١ ، العسقلاني : شفاء القلوب ، مخطوط ، لوحة ٨٦ ب . Eracles, p. 405.

(٣٠)

(٣١) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٣٩١ .

قنسطنطين أكثر تحفظاً من سياسة ليو الثانى ، وأقل منها انغماساً فى شئون اللاتين . فقد كان عليه أن يؤمن حدود بلاده ضد الخطر السلجوقى الدائم (٣٢) الذى جعل الارمن يبقون على حذر فى كل مكان آخر . أما بالنسبة للداوية فبينما استقبل الارمن فى عام ١٢٣٢م / ٦٢٩ - ٦٣٠ هـ ريتشارد فيلانجيرى نائب الامبراطور الالمانى فريدريك الثانى ، ولما كان هيثوم تابعا اسميا للامبراطورية ، فقد مال الى دعم جماعة التيوتون الالمانية بمنحها عدة أملاك فى قيليقية ، وفى نفس الوقت كى يضمن مساعدتها له فى حماية حدوده الشرقية ضد السلاجقة . وفى يناير ١٢٣٦م / جمادى الاولى ٦٣٣ هـ منحهم حصن الهارونية (٣٣) الذى كان يسيطر مع حصن سرفنتكار (٣٤) على الطرق المؤدية الى مرعش وملطية خلال جبال الامانوس الشمالية ، وهى الطرق المؤدية الى قيليقية من جهة الشرق (٣٥) . وعلى العكس من ذلك فقد كانت علاقته متوترة مع

(٣٢) قام علاء الدين كيقباز بغزو قيليقيا فى ١٢٣٣م وعند موته فى ٣١ مايو ١٢٣٧م / ٦٣٤ هـ ، تولى الحكم من بعده ابنه غياث الدين كيخسرو الثانى دون أخويه الآخرين عز الدين وركن الدين (من زوجته الايوبية) . ورفض كيخسرو التصالح مع الارمن الا فى مقابل وعد منهم بأن يمدوه بكتيبة عسكرية تعمل فى خدمته عند كل طلب وتتكون من ١٤٠٠ مقاتل . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ص ١٢٤ . راجع أيضا :

Vincent de Beauvais, Speculum, Libr : XXX, Ch. 144, Lib. XXXI, Ch. 145.

T.S.R. Boase, Gazetteer, in The Cilician Kingdom of Armenia, (٣٣) p. 166.

(٣٤) « سرفنتكار » حصن منيع تحميه ضخور كبيرة وتحيط به غابات الصنوبر ذات الاشجار البالغة الضخامة والارتفاع ويقع على الجانب الجنوبى لجبال الامانوس . انظر :

P. Deschamps, Le Chateau de Serventcar en Cilicie, in Syria, Vol. 18, 1937, pp. 379-388.

(٣٥) منح هيثوم التيوتون أيضا كل الاراضى المحيطة بالهارونية ومزارعها وما فيها من كنائس وقلاع صغيرة الى جانب حقهم فى جباية المكوس من قاطنى المنطقة من الارمن كما أعلن هيثوم نفسه « أخا لفرسان التيوتون » . انظر :

Strhelke, Tabulae Ordinis Theutonici, no. 83, p. 65.

الداوية . ففي عام ١٢٣٣م/٦٣١هـ تشكك قنسطنطين وابنه هيثوم الاول في أن الداوية يدبرون مؤامرة ضدهما ، فاعتقل قنسطنطين بعض أعضاء الجماعة وأمر باحراقهم أحياء وشنق البعض الآخر منهم (٣٦) . وهكذا اجتمعت أحقاد بوهيمند وأحقاد الداوية ضد الارمن وقررا معا القيام بحملة ضدهم . وفور انتهاء حملة الاسبتارية ضد بعيرين زحف الحليفان على طرسوس، وخرج بوهيمند في هذه الحملة بقواته بينما قاد الداوية مقدمهم أرماند دي بريجور . وعندما علم قنسطنطين بذلك سارع بارضاء الداوية ، وقدم لهم بعض التنازلات ، وعقد معهم صلحا منفردا (٣٧) . وهكذا تخلى الداوية عن بوهيمند الذي اضطر الى العودة الى بلاده دون أن يحقق غرضه (٣٨) . وهكذا في الوقت الذي سعى فيه بوهيمند لمساعدة الداوية على حساب الارمن ، ولينتقم في نفس الوقت لمقتل أخيه ، نجد الداوية يتخلون عنه حين لوح لهم الارمن ببعض الامتيازات في قيليقية ، مما يدل على أن الصليبيين كانوا أشتاتاً وليسو جماعة ، وذلك منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي/القرن السابع الهجري . وذهب كل منهم يعمل لصالحه الخاص دون النظر الى الصالح الصليبي العام ، وضاعت وحدة الهدف التي تميزت بها سياستهم حين قدموا الى الشرق الاسلامي أول مرة .

واذا كان بوهيمند الخامس قد ساعد الاسبتارية ضد حماة ، واذا كان قد حاول مساعدة الداوية ضد الارمن ، فانه لم يكن يجازف أبدا بحسن علاقاته مع مسلمي حلب جيران انطاكية الاقربين ، وعمل على بقاء العلاقات الحسنة - التي استمرت طيلة خمسة عشر عاما بين والده وبين الملك الظاهر من قبل - مع الملك العزيز . وعمل على ألا يكون

Eracles, p. 405. (٣٦)

(٣٧) منحهم قنسطنطين حصن التينسات الواقع شمالي ميناء الاسكندرونة . انظر :

Eracles, pp. 405-406. CF. also, Riley-Smith, The Templars and the Teutonic knights, p. 109.

(٣٨) في ١٢٣٧م حرم البابا جريجوري التاسع على الجماعات العسكرية وبوهيمند وهنري ملك قبرص القيام بأي عمل ضد قنسطنطين . انظر :

Pope Gregory IX, Registre, t. 2, no. 3597, p. 618; Mas La Trie, Histoire de Chypre, t. 2 p. 60.

لاستبعاد أملاكه من اتفاقية السلام بين فريدريك والكامل أى مفعول فى الفترة التى لم تكن موارد انطاكية تسمح له فيها بالدخول فى صراعات مع جيرانها المسلمين . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان بوهيمند لم يكن يتميز بقوة الشخصية كامير صليبي ، وقنع بالبقاء فى طرابلس ، ولم يحاول استغلال اضطراب أحوال المسلمين فى بلاد الشام ، واستمرار المنازعات بين أعضاء البيت الايوبى ، والتى لم تنته الا بسقوط دولتهم فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى/أواسط القرن السابع الهجرى . لكل ذلك لم يكن مما يقره بوهيمند أن يستفيد الداوية من اضطراب أحوال المسلمين فى حلب بعد موت الملك العزيز (٣٩) ، وانغماس مسلمى حلب فى الخلاف الذى دب بين كل أعضاء البيت الايوبى ، وأدى الى انقسامهم بصورة لم تحدث من قبل . فقد كانت علاقة الداوية وهم ، يملكون حصن بغراس ، بمسلمى حلب ، وهم يملكون حصن دريساك (٤٠) فى توتر دائم (٤١) واستغل الداوية فرصة موت العزيز

(٣٩) مات الملك العزيز ملك حلب فى نوفمبر ١٢٣٦م/ربيع أول ٦٣٤هـ، وتولى الحكم بعده ابنه الناصر يوسف الثانى تحت وصاية عم والده - المعظم تورانشاه - وجدته لأبيه ضيفة خاتون التى تشككت فى نوايا شقيقها الملك الكامل سلطان مصر وتحالفت ضده مع كل من كيخسرو الثانى السلجوقى والمجاهد صاحب حمص والاشرف صاحب دمشق الذى استمر أخوه الصالح اسماعيل فى هذا الحلف بعد أن خلف الاشرف فى حكم دمشق . واستولى الكامل على دمشق فى يناير ١٢٣٨م/جماد أول ٦٣٥هـ ومات الكامل فى ١٣ مارس ١٢٣٨م/٢٣ رجب ٦٣٥هـ تاركا الاسرة الايوبية كلها منقسمة على نفسها، ومستمرة فى الانقسام الذى لم ينته الا بنهاية حكم الايوبيين فى مصر والشام . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، صفحات متفرقة ، العسقلانى : شفاء القلوب ، مخطوط ، لوحة ٨٦ ب - ٨٨ ب ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٤٢ - ١٤٤ .

(٤٠) يقع حصن دريساك على المنحدرات الشرقية لجبال الامانوس بين ممرات الامانوس والبوابات الشامية ويشرف على اقليم العمق ، والطريق منه الى مرعش ، وبذلك فهو يتمتع بأهمية استراتيجية كبيرة وينافس حصن بغراس فى أهميته خاصة أن المسافة بينهما هى ١٥ كيلو مترا . انظر : T.S.R. Boase, Gazetteer, p. 162.

(٤١) فى عام ١٢٢٦م/٦٢٣هـ قام الملك العزيز بالاغارة على الارمن فى حصن بغراس دون أن يحقق أية مكاسب هامة . وقد انفرد سம்பاد بذكر هذه الواقعة . انظر : Sempad, p. 648.

لتحقيق مكاسب على حساب التركمان المقيمين في اقليم العمق ، ظنا منهم أن الحلبيين لن يتدخلوا لصالح التركمان الذين يسببون لهم المتاعب دائما (٤٢) . وفور موت العزيز قام الداوية بالهجوم على جماعات التركمان ، واستولوا على أغنامهم « ومواشى لغيرهم كثيرة » (٤٣) . فخرج المعظم توران شاه على رأس قوات حلب وأمرع بحصار الداوية في بغراس ، وقام المسلمون بنقب الاسوار ، واستمروا في حصارهم للداوية حتى نفذ ما لديهم من مؤن وأشرف المسلمون على أخذ الحصن (٤٤) ، فلولا أن سارع بوهيمند بالتوسط لدى الحلبيين ، وأقنعهم بالعدول عن حصار بغراس ، وعقد هدنة مع الداوية ، ولحسن العلاقات بينه وبين حلب ، فقد وافق المعظم على ذلك ورحل المسلمون عن بغراس (٤٥) . وهكذا قام بوهيمند بمساعدة الداوية بالرغم من خذلانهم إياه من قبل في قيليقية ، ورغم غضبه منهم إلا أنه شفع فيهم لدى المسلمين (٤٦) . ولولا توسطه هو بالذات لما قبل المعظم الهدنة معهم (٤٧) . وإذا كان بوهيمند بتدخله هذا قد دافع عن الداوية وحفظ لهم حصن بغراس الهام ، فإنه لا شك أن وجودهم في هذا الحصن أكثر أمنا لانطاكية مما لو كان في أيدي غيرهم سواء أرمن كانوا أم مسلمين . وفي نفس الوقت فإنه ظهر بمظهر المحافظ على حسن علاقاته مع مسلمي حلب . فهو لم يتدخل

(٤٢) في أوائل عام ١٢٣٧م / ٦٣٤هـ أغارت جموع التركمان بقيادة أمير منهم يسمى قنغر ونهبوا ضياعا متعددة في أكثر من مرة . فخرج اليهم عسكر حلب « فكسر ذلك العسكر ونهب » انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ - ٢٢٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ١٣١ ، العيني : عقد الجمان : مخطوط ، ورقة ٣٧٦ - ٣٦٨ .

(٤٣) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣٠ . ومن الملاحظ أن ابن واصل ينقل أحداث هذه الفترة بالكامل من ابن العديم ويورد نفس روايته . انظر ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ١٣١ .

(٤٤) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣١ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، مجلد ٢ ، ص ١٦٦ .

(٤٥) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣١ ، أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٣ ، مجلد ٢ ، ص ١٦٧ .

(٤٦) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣١ .

(٤٧) أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٣ ، مجلد ٢ ، ص ١٦٧ .

عسكريا لصالح الداوية ولكنه توسط فقط بين الطرفين ، وكان من المصلحة للحلبيين في فترة اضطراب أمورهم وخلافهم مع الملك الكامل أن يستجيبوا لطلب بوهيمند بشأن التصالح مع الداوية في بغراس ، بالرغم من أنهم « لو أقاموا عليها يومين آخرين ، لما استطاع من فيها الصبر على المدافعة » (٤٨) . إلا أنهم لم يأمنوا عواقب الأمور بعد ذلك في حالة ما إذا استعان الداوية بمن لا يحرص على حسن علاقاته بمسلمي حلب من الفرنج غير بوهيمند ، ذلك في الوقت الذي ربما يبخل فيه الكامل بمساعدتهم . وهكذا رحل المسلمون عن بغراس بعد أن خربوا اقليمها ، وتوجهوا الى دريساك (٤٩) . ولم يكن هذا الدرس كافيا ازاء غطرسة وليم دي مونتفيرات «Guillaume de Montferrat» قائد الداوية في انطاكية ، الذي تلقى المساعدة من جى حاكم جبيل - الذي بدأت علاقاته بسيدة بوهيمند تسوء - وخرق الهدنة التي سعى بوهيمند لعقدها مع الحببيين لصالح الداوية (٥٠) . وفي يونيو ١٢٣٧م / ذى الحجة ٦٣٤هـ (٥١) زحف وليم مع قواته من بغراس عن طريق حجر شغلان (٥٢) الى دريساك بنية الاستيلاء على الحصن من المسلمين (٥٣) (٥٣) . وبدأ الداوية في حصار

- (٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣١ .
 (٤٩) ابن العديم : المصدر السابق ، نفس الجزء ونفس الصفحة ،
 ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ١٣٣ .
 (٥٠) ابن العديم : نفسه ، راجع أيضا :

Matthew Paris, Chronica Majora, ed. H.R. Luard, in R.S., 7
 Vols, London, 1872-1882, Vol. 3, p. 404.

(٥١) بالرغم من أن المؤرخ ابن العديم كان معاصرا لأحداث هذه الفترة ، حيث كان مقيما بحلب ، إلا أنه لم يمدنا بتاريخ هذه الواقعة . ولم نقف لها على تاريخ سوى عند المؤرخ الانجليزي متى الباريزي الذي كان يطلع على التقارير التي ترد الى بلاده عن أحوال الفرنج في بلاد الشام . وفي الحقيقة فإن متى الباريزي يعد من أهم المصادر التي تمدنا بمعلومات عن أحوال انطاكية في تلك الفترة التي ندرت فيها في كثير من المصادر المعاصرة . انظر :
 Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 3, p. 406.

(٥٢) « حجر شغلان » هو أحد ممرات جبال الامانوس ويمتد حتى حصن دريساك مارا بأسفل قلعة صخرة رسل . انظر :
 T.S.R. Boase, Gazetteer, in The Cilician Kingdom of Armenia,
 p. 166.

- (٥٣) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣١ .

الحصن ومهاجمته بعد أن أقاموا معسكرهم في منطقة الاشجار المحيطة به ، وعبثا حاول أسرى الداوية في داخل دريساك تحذير وليم ورفاقه وحثهم على التراجع واتخاذ الحيطة من عسكر حلب ، واعلامهم باستعداد المسلمين لهم ، طالبين منهم العودة من حيث أتوا (٥٤) . وبالفعل حاول بعض فرسان الداوية اقناع وليم بالتراجع الى بغراس لحين جمع مزيد من القوات ، الا أنه رفض ذلك ، واتهمهم والاسرى الفرنج الذين حذروهم بالجبن والخيانة ، فما كان من هؤلاء الا أن عادوا الى بغراس ، وتركوه لمصيره (٥٥) . ونزل جماعة من جنود دريساك لقتال الداوية وحلفائهم في ربض الحصن ، الى أن وصل الخيل الى عسكر حلب الذين سارعوا لنجدة الحصن (٥٦) . وعندما وصل عسكر حلب وقد نال التعب من الفرنج « وكلت خيولهم ، فوقعوا عليهم ، فانهزم الفرنج هزيمة شنيعة » على حد قول ابن العديم الذي كان موجودا في حلب في تلك الفترة (٥٧) . وهكذا أدت غطرسة قائد الداوية في انطاكية الى كارثة حلت بالجماعة . فبينما يذكر ابن العديم أنه لم ينج من الداوية الا القليل (٥٨) ، يمدنا المؤرخ الانجليزى متى الباريزى بنص هام يبين لنا حجم الكارثة التى حلت بالداوية ، اذا ما وضعنا في الاعتبار أن الموارد البشرية وخاصة الفرسان ، كانت هى جل اهتمام الفرنج في بلاد الشام . فيذكر متى الباريزى أنه قد قتل من الفرنج مائة فارس

(٥٤) صاح الفرنج محذرين زملائهم قائلين « اهربوا أيها البؤساء اهربوا . لماذا تندفعون نحو دماركم . انكم جميعا لميتون . ان أعداءكم مستعدين لكم بأمر من ملك حلب الذى كمن لكم » .
 «Fugite, miseri, Fugite. Quidruitis in mortem propriam ? Mortuieetis omnes. Parati sunt infiniti hostes vestri Cum tota provincia adjacente, in stragem vestram communiter pracparati., praecepto Soldani Halapensis, qui vobis insidias praeparavit». Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 3, p. 405.

- Idem. (٥٥)
 (٥٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ١٣٣ . راجع أيضا : خريطة رقم (٥) .
 (٥٧) ابن العديم : المصدر السابق ، نفس الجزء ونفس الصفحة .
 (٥٨) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣٢ .

من فرسان الداوية ، وثلاثمائة من رماة السهام ، الى جانب عدد كبير من الفرنج العلمانيين من جبيل وغيرهم أيضا من مشاة الداوية وحلفائهم ، وكان من بين القتلى وليم مونتفيرات نفسه وحامل لواء الجماعة (٥٩) . الى جانب هذه الخسائر في الارواح ، فقد أفقدت هذه الهزيمة فرسان الداوية شجاعتهم ، ولم يقوموا باى أعمال عدوانية ضد المسلمين في حلب لسنوات طويلة تالية ، « ولم ينعشوا بعدها ، وكانوا قد استطالوا على المسلمين والفرنج » (٦٠) . وكان للكارثة وقع كبير حتى في أوروبا نفسها . فقام أعضاء جماعتى الداوية والاسبتارية في أوروبا بارسال النجيدات لداوية الشام (٦١) . كما اهتم البابا جريجورى التاسع بمصير الاسرى من الداوية ويدفع فديتهم (٦٢) . وبالطبع لم يشأ بوهيمند

(٩٥) كان حامل اللواء فارسا من الداوية الانجليز ويدعى رينالد دى أرجنتون Reginaldus de Argentomio ويبلغ متى الباريزى فى تحديد عدد قتلى المسلمين بثلاثة آلاف رجل ، ربما تمجيذا للداوية ولحث المسؤولين فى انجلترا على ارسال المساعدات للفرنج فى الشام ، وهو ما حدث بالفعل . انظر : Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 3, p. 405; Ann. T.S., p. 439. Albéric des Trois Fontaines, Chronicon, in M.G.H. SS., Vol. 23, p. 942.

(٦٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ١٣٣ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، مجلد ٢ ، ص ١٦٧ .

(٦١) حين وصلت أنباء الكارثة التى حلت بداوية الشام ، استعد الداوية والاسبتارية المقيمون فى انجلترا للانتقام لآخوانهم . فبعثت جماعة الاسبتارية بمقدمها الالماني الاصل ثيودريك دى نوسا Theodric de Nussax بصحبة فرقة من الداوية ومبالغ من المال ، كما ذهب معهم كثير من فرسان الداوية من مختلف أنحاء أوروبا . انظر :

Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 3, p. 406. CF. also, Addison, The Knights Templars, p. 166. King. The Knights Hospitallers, p. 220; Riley-Smith, The Knights of St. John, p. 173.

(٦٢) فى ٢٣ ديسمبر ١٢٣٧م / ٣ جماد أول ٦٣٥هـ كتب البابا جريجورى التاسع الى كل من هنرى الاول ملك قبرص وبوهيمند الخامس أمير انطاكية والبرت بطريرك انطاكية وجيروالد بطريرك بيت المقدس يطلب منهم السعى لاطلاق سراح أسرى الداوية وتبادلهم =

في هذه المرة أن يتدخل لصالح الداوية ، الذين خرقوا الهدنة التي كان له الفضل في عقدها مع مسلمي حلب ، والتي كان من شأنها أن أبقت لهم على ملكيتهم لحصن بغراس ، ولا لوم عليه في ذلك . وهكذا حرص بوهيمند على أن يسود السلام بينه وبين جيرانه في شمال الشام . ولم يكن لديه مانع أن يساهم في أعمال الداوية في أرمينيا . بينما شارك بنصيب ضئيل - حسب امكانياته - في مشروعات الاسبتارية في وسط الشام . وبذلك يكون قد حرص تماما على مسالمة المسلمين المجاورين لأملاكه التي استبعدتها اتفاقية التكامل وفريدريك التي عمل بوهيمند على أن لا يكون لها تأثير على امارة انطاكية وكونتية طرابلس اللتين يتولى حكمهما . وبالطبع كانت سياسته توافق تماما ظروف المسلمين جيران انطاكية مما ساعد على استقرار الامور بين الطرفين (٦٣) .

بموت الكامل - ويمكن القول دون مغالاة أنه بموت صلاح الدين - لم يظهر السلطان الايوبي الذي يستطيع توحيد الصف على الجانب الاسلامي . وبرحيل الامبراطور فريدريك الثاني - وبالأحرى بموت الملك بولدوين الرابع - لم يوجد الملك الصليبي الذي يقوم بنفس الدور على الجانب الصليبي . وحتى نهاية الصراع الصليبي الاسلامي ، كانت المنازعات بين أفراد الطرفين هي الحاكم الوحيد الذي يشكل السياسة العامة لكل منهما . وظهر هناك عامل آخر كان له دوره في تشكيل السياستين معا ، ألا وهو الخطر المغولي . وفي الحقيقة من الصعب

= مع أسرى من المسلمين على أن يدفع هو فدية البعض منهم . ولم يطلق سراح الداوية الا في عام ١٢٤١م . انظر Gregory IX, Pope, Regesta; Vol. 2, nos. 3991, 3992, 3996 4000, p. 833; Alberic des Trois Fontaines, Chronicon, in M.G.H.S., Vol. XXIII, p 942; Philip Mousket, Histria rerum Francorum, in R.H.G.F., Vol. XXII, p 62; Annales Colonienses Maximi, in M.G.H.S., Vol. XVII, p 846 (٦٣) حاصر الملك الكامل دمشق وأخذها من الصالح اسماعيل شقيق الاشرف موسى، في أول عام ١٢٣٨م/٦٣٥هـ واستعدت حلب لحصار الكامل لها لتحالفها مع الصالح اسماعيل ضد الكامل ولم يكن أي من المسلمين متفرغا لحرب الفرنج . انظر المقرئى السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٩٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ .

التعامل مع أحد العاملين دون التفكير في الآخر ، كما أنه من الصعب معالجة تأثير أحدهما على الجانب الاسلامي واغفاله على الجانب الصليبي . فاذا كان التشكك والريبة والانقسام قد شابت العلاقات بين افراد البيت الايوبى ، وجعلتهم يظهرون بمظهر الخامل أمام الفوضى الفرنجية ، ملتمسين العذر لاغارات الجماعات العسكرية (٦٤) ، واذا كان عدم محاولتهم استرداد مدينة بيت المقدس خيرا دليلا على مدى انغماسهم في الخلافات التى أصبحت داءا لم يمنح هذه الاسرة الفرصة لاستكمال مجد مؤسسا صلاح الدين ، تاركين تلك الفرصة وذلك المجد لماليكهم ، اذا كان الامر كذلك على الجانب الاسلامي ، فان الصليبيين أنفسهم قد أنهكتهم النزاعات المستمرة بين طوائفهم ، وتضارب المصالح الخاصة لكل منهم . واذا كانت النزاعات قد انتهت بين بوهيمند الرابع والاسبغارية والارمن ، ثم بين بارونات الشرق الفرنجية والامبراطور فريديريك ونوابه من بعده ، فانها لم تلبث أن دبّت بين الاسبغارية والداوية ، ثم بين الجنوبية والبنادقة ، وأخيرا بين أمراء انطاكية واتباعهم من سادة جبيل . وتدخل المسلمون في أغلب هذه الخلافات . كما تدخل الفرنج في خلافات المسلمين . ولم يكن غير عادى أن نرى الداوية والاسبغارية متحالفين مع المسلمين ضد قوى صليبية أخرى (٦٥) . وبالطبع لم تكن أحوال امارة انطاكية ولا موارد أمرائها تسمح لآى منهم أن يخطط لنفسه سياسة مستقلة ، تبتعد كثيرا عن السياسة العامة التى حددتها كل هذه الظروف . لذلك كانت معالجة تاريخ العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين ترتبط ارتباطا وثيقا بمعالجة الوضع الشامل في الشرق الادنى في تلك الفترة . فقد جاءت وفاة الملك الكامل نذيرا بتفكك الدولة الايوبية وانهارها (٦٦) لوقوع الخلاف بين أمرائها . فبعد موته تولى الحكم في مصر ابنه الاصغر العادل الثانى ، كسلطان أعلى للدولة الايوبية ، بينما استولى ابنه الصالح نجم الدين على دمشق

Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 366. (٦٤)

La Monte, From Crusader Kingdom to commercial Colony, (٦٥)
p. 298.

(٦٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٣١ .

من عمه الصالح اسماعيل في يناير ١٢٣٩م/جمادى الآخرة ٦٣٦هـ (٦٧) ،
ليستردها الاخير في سبتمبر ١٢٣٩م/صفر ٦٣٧هـ (٦٨) . فتحالف الصالح
أيوب مع الناصر داود صاحب الاردن والكرك واستولى على مصر من
أخيه العادل في ١٩ يونية ١٢٣٩م/٢٤ ذى القعدة ٦٧٣هـ (٦٩) ، ولم يعد
أمامه من طموح سوى استعادة دمشق مرة أخرى (٧٠) . وهكذا تركز
الصراع بين الصالح أيوب في مصر ، وعمه الصالح اسماعيل في دمشق .
وكما كان الامر مع كثير من أسلاف الصالح اسماعيل من حكام دمشق ،
فعند شعوره بالخطر من قبل سلطان مصر ، فقد اضطر الى التقارب مع
الفرنج . وكانت الظروف مواتية لذلك ، ففي ١٢٣٩م/٦٣٧هـ انتهت
الهدنة التى عقدها الكامل مع فريدريك ، والتى تعد من أطول الهدن
التى عقدت بين المسلمين والصليبيين (٧١) . وكانت قد وصلت الى عكا
قوات الحملة التى نظمها البابا جريجورى التاسع بقيادة تيبالد أوف
شمبانيا Tibald of Champagne (٧٢) . وبعد انعقاد مجلس حرب في
عكا ، تقرر البدء بمهاجمة أملاك الصالح أيوب في غزة وعسقلان ، ثم

- (٦٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، ابن
العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٤٦ .
(٦٨) أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، مجلد ٢ ، ص ٦٣٦ ، أبو شامة :
الذيل على الروضتين ، ص ١٦٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ،
ج ٥ ، ص ٢٣٠ .
(٦٩) ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٢٨ - ٧٢٩ ،
ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٤٨ ، ابن العديم : زبدة
الطلب ، ج ٣ ، ص ٢٤٧ .
(٧٠) « فلما تحقق ما جرى وتوجه نجم الدين أيوب بالعساكر الى مصر
واقعه الطمع في أخذ دمشق » انظر : الصفدى : تاريخ مصر ،
مخطوط ، ورقة ٥٩ ب . راجع أيضا :
Cahen, Syrie du Nord. p. 647.
(٧١) Riely-Smith, Peace never established : The Case of The King-
dom of Jerusalem, in J.R.H.S, Vol. 28, p. 100.
(٧٢) كان تيبالد ملكا لنافار ، وخرج استجابة لدعوة البابا جريجورى
التاسع الذى بعث برسله الى فرنسا ووصلوا جميعا الى عكا في
أول سبتمبر ١٢٣٩م/٣٠ محرم ٦٣٧هـ ، انظر :
Eracle, pp. 413-414; Rothelin, Continuation de Guillaume
de Tyr de 1229-1261 Dite du Manuscrit de Rothelin, in
R.H.C.Occ., Vol. 2, p. 528

مهاجمة دمشق بعد ذلك (٧٣) . وبعد نهب قافلة اسلامية متجهة الى دمشق ، اندفعت جموع الصليبيين الى غزة لتحل بها الهزيمة على ايدى القوات التي بعث بها الصالح أيوب من مصر في ١٣ نوفمبر ١٢٣٩م/١٤ ربيع ثان ٦٣٧هـ (٧٤) . وبعد استيلاء الناصر داود على بيت المقدس عذد وصول الفرنج الى عكا (٧٥) ، وبعد تخلى صاحب حماة عن تحالفه معهم (٧٦) ، فقد قبلوا التحالف مع الصالح اسماعيل الذي عرض عليهم أن يسلم لهم بيت المقدس وكل ما قدمه الكامل الى فريدريك من قبل ، وأشرف بنفسه على تسليم شقيف أرنون وصفد اليهم بالرغم من ثورة الرأي العام الاسلامي في بلاد الشام ضده (٧٧) . كل ذلك ليناصروه ضد الصالح أيوب . وبعد انتصار الفرنج والصالح اسماعيل على الناصر داود الذي انسحب الى الكرك ، وبعد أن تخلت قوات الشام عن الصالح اسماعيل والمنصور ابراهيم صاحب حمص (٧٨) وانضمامها الى قوات الصالح أيوب ، وقعت الهزيمة بالفرنج قرب غزة ، فراجع الفرنج الى

Eracles, pp. 414; Ms. of Rothelin, pp. 531-532. (٧٣)

(٧٤) المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٩٢ ، أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٧٠ راجع أيضا :

Eracles, pp. 414 ff. Ms. of Rothelin, pp. 533 ff.

(٧٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ . راجع أيضا :

Ms. of Rothelin, pp. 529-531; Eraoles, p. 416.

(٧٦) طلب المظفر صاحب حماة مساعدة الفرنج ضد الصالح اسماعيل صاحب دمشق وشيركوه صاحب حمص وضيقة خاتون الوصية على حلب . انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٣٦ .

(٧٧) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٣٢ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ص ١٥٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٣٠١ - ٣٠٤ .

(٧٨) خلف المنصور ابراهيم أباه المجاهد أسد الدين شيركوه الثانى ابن عم صلاح الدين الايوبى . وكان صلاح الدين قد أقطعه حمص في ١١٨٥م/٥٨١هـ فبقى بها الى أن مات في الثلاثاء ٢٠ رجب ٦٣٧هـ/١٥ فبراير ١٢٣٩م . وبقى المنصور يحكم في حمص الى أن مات في الاربعاء ٢٨ يونية ١٢٤٦م/١١ صفر ٦٤٤هـ . انظر : سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٣١ ، ٧٦٤ .

عسقلان ليعقدوا صلحا مع الصالح أيوب في ١٢٤٠م/٦٣٨هـ (٧٩) لترحل الحملة الفرنسية من عكا الى أوربا في سبتمبر ١٢٤٠م/ربيع ول ٦٣٨هـ ، بعد أن استرد الفرنج بيت المقدس وعسقلان وصفد التي أخذها فرسان الداوية (٨٠) . وكان من شأن ذلك أن يثير حسد الاسبتارية الذين يؤيدون سياسة التصالح مع مصر وليس مع دمشق كما يرى الداوية ، الا أن ريتشارد كورنوال شقيق هنري الثالث ملك انجلترا الذي وصل الى عكا في ١١ أكتوبر ١٢٤٠م/٢٢ ربيع أول ٦٣٨هـ على رأس قوات من انجلترا (٨١) كان أمهر من أن يميل الى جانب دون الآخر ، واستطاع بحسن سياسته أن يستفيد من الظروف المحيطة به . فعند وصوله توجه من عكا الى عسقلان حيث قابل رسل الصالح أيوب الذي كان يهمله ابعاد الفرنج عن مصر ، فعرض الصلح على ريتشارد الذي ألح لرسل الصالح أيوب بما يعرضه عليه الصالح اسماعيل من بلاد ، فاضطر الصالح أيوب الى أن يتنازل لهم عما يفوق ما أثار الرأي العام الاسلامي من قبل ضد الكامل من تنازلات قدمها للامبراطور فريدريك ، فكان للفرنج بيت المقدس وبيت لحم ومجدل يابا وعسقلان الى جانب شقيق أرنون واقليم الجليل بما فيه من حصون مثل تبين وهونين وكوكب والطور وطبرية (٨٢) . ورحل ريتشارد من عكا في مايو ١٢٤١م/ذى القعدة ٦٣٨هـ بعد أن حقق للفرنج بعض الاستقرار المؤقت الذي يسمح لهم بالمضى

(٧٩) من الغريب أن لا يذكر كل من سبط ابن الجوزي وابن واصل وابن العديم ، وكلهم من المعاصرين لهذه الاحداث ، شيئا عن وجود حملة تيبالد أو حتى حملة ريتشارد كورنوال التي جاءت بعدها . وربما كان هجوم الخوارزمية على حلب وبلاد الشام أخطر بالنسبة لهؤلاء من الخطر الصليبي . انظر : المقریزی : السلوك ، ج ١ ، قسم ٨ ، ص ٣٠٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٢٣ . راجع أيضا :

Eracles, pp. 414-515; Ms. of Rothelin, pp. 536 ff;

Eracles, pp. 417-418; Ms. of Rothelin, pp. 551-553. (٨٠)

Matthew Paris, Chronica Mjora, Vol. 4, p. 139 (٨١)

(٨٢) لم نقف على أى رواية فى المصادر الاسلامية عن حملة ريتشارد كورنوال أو اتفاقاته مع المسلمين . انظر :

Eracles, pp. 421-422; Matthew Paris, pp. 139-145; Ms. of Rothelin, pp. 555-556.

في خلافاتهم الداخلية . بعد رحيل الحملة الانجليزية تفجرت الخلافات مرة أخرى بين الفرنج وكان مبعثها تضارب مصالح جماعتي الداوية والاسبتارية . فبينما واصل الداوية أعمالهم العدوانية ضد المسلمين ، ورفضوا مبدأ التصالح مع مصر (٨٣) ، رأى الاسبتارية عكس ذلك ، وحاول فلانجيري نائب فريدريك أن يستفيد من ذلك الخلاف ليقوى السلطة الامبراطورية في المملكة الصليبية فاتخذ جانب الاسبتارية ، وفشل في ربيع ١٢٤٣م / ٦٤٠هـ في الاستيلاء على عكا (٨٤) . وعاد الى ايطاليا بعد أن استدعاه الامبراطور لفشل سياسته في الشرق . وحلت أليس ملكة قبرص ، والزوجة السابقة لبوهيمند الخامس ، محل فريدريك وابنه كونراد - الملك الشرعي لبيت المقدس - الذي وصل الى السن التي تؤهله لتولى أمور بيت المقدس (٨٥) . وبذلك تنتهي كل آثار السيادة الامبراطورية على مملكة بيت المقدس ، وليبق الفرنج دون قيادة تجمع كلمتهم . واذا كان التخلص من سلطة الامبراطور قد توافق مع مصالح بارونات المملكة وجماعتي الداوية والاسبتارية ، فان الاحداث أثبتت أن

(٨٣) أغار فرسان الداوية على مدينة حبرون في ١٢٤٢م ، فبعث الناصر داود صاحب الكرك قواته لاعتراض الطريق المؤدى الى بيت المقدس ولجباية ضرائب على التجار الفرنج المارين بهذا الطريق مما أثار حنق الداوية في صفد ويافا ، فخرجوا من يافا وهاجموا نابلس في أكتوبر ١٢٤٣م / جماد أول ٦٤١هـ وقتلوا الكثيرين من المسلمين والمسيحيين بها ، « وأحرقوا جامعها . وأخذوا منبر الخطيب » انظر : المقرئزي : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٣١١ . راجع أيضا :

Ann. T.S., p. 440; Mathew Paris, Chronica Majora, Vol. 4, p. 197.

(٨٤) لتحالف الجنوبية والبنادقة وفيليب مونتفورت صاحب تبنين ضده . انظر : Ann. T.S. p. 441; Eracles, p. 422

(٨٥) بلغ كونراد بن فريدريك الثاني وصاحب الحق الشرعي في حكم مملكة بيت المقدس الخامسة عشرة من عمره وهي السن التي تؤهله لاعتلاء عرش المملكة في ابريل ١٢٤٣م ولكنه لم يحضر الى الشرق واكتفى بارسال مندوب عنه Bailli وهو توماس كونت أكيلا الذي كان مبعوث أبيه الى الملك الكامل من قبل واستطاعت أليس ملكة قبرص ان تتولى الوصاية على المملكة حتى يأتي كونراد بشخصه الى الشرق . انظر :

Runciman, A History of the Crusades, Vol. 3, pp. 220 f.

ذلك كان بمثابة كارثة على الصليبيين جميعا في بلاد الشام (٨٦) .
فسرعان ما دب الخلاف مرة أخرى بين الصالح أيوب في مصر والصالح
اسماعيل في دمشق ، وتعاضد الاخير مع الناصر داود صاحب الكرك
والحلبين وصاحب حمص ، كما قد قام الحلفاء بالتفاوض مع الفرنج
بشأن تحالفهم جميعا ضد سلطان مصر . كذلك سعى الصالح أيوب الى
التحالف مع الفرنج ضد أمراء الشام المسلمين . وكان الفضل لمهارة قادة
الداوية في أن عرض كل من الصالح اسماعيل والصالح أيوب على الفرنج
التنازل نهائيا عن بيت المقدس بما فيها من أملاك المسلمين (الحرم
الشريف) ، وهو ما لم يتنازل عنه الكامل لفريدريك نفسه ، وما لم يقبله
الفرنج بصفة عامة والداوية بصفة خاصة في ذلك الوقت (٨٧) . وهنا
تعارضت اتجاهات الاسبتارية مع سياسة الداوية ، وانتصرت سياسة
الداوية ، ووافق بارونات المملكة على التحالف مع الصالح اسماعيل ،
حيث يضمن ذلك لهم ولاء أمراء الشام كلهم في حلب ودمشق
والاردن (٨٨) . وليضمن أمراء الشام اخلاص الفرنج لهم ، وعدوهم بأن
يمنحهم جزءا من أراضي مصر بعد الانتصار على الصالح أيوب (٨٩) .
ولم يجد الصالح أيوب ازاء هذا الخطر الذي يتهدهه الا الاستنجاد
بحلفائه القدامى من فلول الخوارزمية (٩٠) الذين كان عرضه عليهم -

- (٨٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٤٢ .
(٨٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٣٣٢ ، المقریزی :
السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٣١٥ ، أبو المحاسن : النجوم
الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٢٢ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ،
ص ١٥٥ .
(٨٨) ورد هذا الرأي في خطاب ارمان بريجورد «Armand de Périgord»
مقدم الداوية الى الراهب الانجليزى روبرت أوف ساندفورد
Robert of Sand Ford في نهاية عام ١٢٤٣م /منتصف عام ٦٤٢هـ . انظر :
Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 4, pp. 289-298.
(٨٩) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٣٣٢ . راجع أيضا :
R.S. Humphreys, From Saladin to the Mongols, p. 274; S.
Runciman, The Crusader States, 1243-1291; in Setton,
Vol. 2, p. 561.

(٩٠) عندما فتح الملك الكامل آمد في ١٢٣١م /٦٢٩هـ ولى ابنه الصالح
نجم الدين نائبا عنه فيها وفي بلاد الجزيرة . ولما مات السلطان =

بالنسبة لهم - فرصة نادرة تتيح لهم في بلاد الشام ومصر مأوى أكثر أمنا من اقليم الجزيرة (٩١) . فسارع الخوارزمية بالاندفاع الى بلاد الشام مدمرة كل ما صادفها في الطريق حتى وصلت الى فلسطين ، وفي ٢٣ أغسطس عام ١٢٤٤م/ ١٥ ربيع الاول ٦٤٢هـ ، اقتحموا مدينة بيت المقدس وانتزعوها من الفرنج بعد أن بذلوا فيهم السيف ، لتضيع منهم المدينة الى الابد (٩٢) . وفي ذلك الوقت تحركت قوات الفرنج ودمشق وحمص والكرك بقيادة المنصور صاحب حمص والناصر داود من عكا الى

جلال الدين منكبرتي بعد هجوم التتار على الخوارزمية ، لجأت قواته الى علاء الدين كيقباز سلطان سلاجقة الروم فتقوى بهم الا أن خلفه وابنه غياث الدين كيخسرو الثاني انقلب عنهم ، فلجأ الخوارزمية الى الصالح أيوب الذي استأذن والده في عام ١٢٣٦م/ ٦٢٤هـ في استخدامهم عنده ولما أذن له الكامل أقطعهم اقطاعات في اقليم الجزيرة . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ١٣٣ - ١٣٥ .

(٩١) استقر الخوارزمية في ديار مضر من أملاك الصالح أيوب ودخلوا في حرب مع الحلبيين الذين هزموهم في مارس ١٢٤٠م/ رمضان ٦٣٨هـ هزيمة فادحة ، ثم تحالف الحلبيون مع المنصور ابراهيم صاحب حمص وأنزلوا بالخوارزمية هزيمة أخرى في أغسطس ١٢٤٢م/ صفر ٦٤٠هـ واستولى الحلبيون على ديار مضر . كما استولى السلاجقة على آمد من تورانشاه ابن الصالح أيوب في عام ١٢٤١م/ ٦٣٩هـ . وعبثا حاول شهاب الدين غازي حاكم ميفارقين الذي كان يتهدهه تقدم السلاجقة أن يعيد جميع الخوارزمية وأن يسترد لهم أملاكهم وأملاك تورانشاه ، فمضى بهزيمة ساحقة على أيدي السلاجقة الذين استولوا على غالبية اقليم الجزيرة ولم يتركوا خربت برت للخوارزمية ويتصالحوا مع الايوبيين هناك الا باستيلاء المغول على خلاط ووصول خطرهم الى الجزيرة والاناضول . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ - ٢٧٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٢٨١ - ٢٨٤ ، ٢٩٢ - ٢٩٦ ، ٣٠٤ - ٣١١ ، ٣٢٧ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٥٤ - ١٥٥ . راجع أيضا :

Bar Heraeus, Chronography, p. 406.

(٩٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٣٣٧ ؛ المقرئزي : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٣١٧ ؛ أسامة زيد : الخوارزمية ، ص ١٦٨ . راجع أيضا :

Chronica de Mailros, ed. A. and M. anderson, London, 1936, pp. 92-93.

غزة ، بينما تجمعت هناك قوات مصر بقيادة الامير المملوكى ركن الدين بيبرس الذى انضمت اليه قوات الخوارزمية . وفى يوم الاثنين ١٧ أكتوبر ١٢٤٤م / ١٤ جمادى الاولى ٦٤٢هـ نشبت المعركة بين الطرفين ، وانتهت بانتصار قوات الصالح أيوب والخوارزمية وفرار قوات المسلمين الشامية ، وتدمير كل الجيش الصليبي عند قرية الحربية التى عرفت فى المصادر الصليبية باسم La Forbie الواقعة على أميال قليلة شمال شرقى غزة (٩٣) . وكانت هذه الهزيمة تعد أسوأ كارثة حلت بالصليبيين منذ هزيمتهم فى حطين لكثرة ما تكبدوه فيها من خسائر فى الارواح والعتاد ، لذا كانت موقعة غزة جديرة باسم موقعة حطين الثانية (٩٤) ، خاصة

(٩٣) قدر سبط ابن الجوزى الذى وصل الى غزة صبيحة اليوم التالى للمعركة عدد قتلى الفرنج بأكثر من ثلاثين ألفا ، الى جانب ثمانمائة أسير نقلوا الى مصر . بينما اكتفى مكملو تاريخ وليم الصورى (تاريخ هرقل ومخطوط روتلان) بالقول بأن قتلى الفرنج بلغوا أعدادا كبيرة فان العدد الذى أورده سبط ابن الجوزى الذى شهد عملية احصاء قتلى الفرنج هو العدد المقبول بالرغم من أن حولية سالمين تؤكد أن قتلى الفرنج كانوا ستة عشر ألفا فقط . ومهما يكن من أمر فقد كان من بين قتلى الفرنج كما يؤكد تاريخ هرقل ومخطوط روتلان كل من مقدم الداوية ، ورئيس أساقفة صور ، وأسقف الرملة ، وحننا ووليم سادة البترون ، بينما وقع فى الاسر كل من مقدم الاسبتارية الذى مات فى أسره وكونت يافا وكندس طرابلس . ولأذ بالفرار الى عسقلان بطريك بيت المقدس وفيليب مونتفورت مع ثلاثة من فرسان الداوية وستة وعشرين من فرسان الاسبتارية كما ذكر تاريخ هرقل . بينما ذكر مقدم الاسبتارية الى رئيس الجماعة فى مدينة نيو كاسل بانجلترا كما ذكر متى الباريزى أنه هرب من الداوية ١٨ فارس ومن الاسبتارية ١٦ فارس . انظر : سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٤٤ - ٧٤٦ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٣١٧ ، أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٧٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٦ ، ص ٣٢٣ . راجع أيضا :

Eracles, pp. 429-431; MS. of Rathelin pp. 563; Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 4, pp. 307-311, Chronica de Moilros, pp. 92-94, 159-160; Cronica Salmbene in M.G.H.SS., Vol. 32, p 177

Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 416.

(٩٤)

لما تبعها من ضياع أملاك كثيرة للفرنج في فلسطين ، وما حققه الصالح أيوب من تدعيم لسيادته في بلاد الشام (٩٥) . ونلاحظ في هذا العرض للتاريخ العام للصراع الصليبي الاسلامي مدى ضالة الدور الذي لعبته القوى الصليبية في شمال الشام بصفة عامة ، وامارة انطاكية بصفة خاصة في الصراع الصليبي الاسلامي . واذا كان لابد من تحديد دور بوهيمند الخامس - كأمير لانطاكية - في كل ذلك ، فانه في الانشقاقات التي وقعت بين الفرنج في مملكة بيت المقدس لم يقم نفسه بصورة تعرض أملاكه للخطر - شأنه في ذلك شأن أبيه - أكثر مما ينبغي (٩٦) . ففي ١٢٤٣م / ٦٤١هـ استقبل بوهيمند لوثير Lothair شقيق ريتشارد فيلانجيري الذي طرده بارونات المملكة من صور ، حيث قدم له مساعدة بسيطة ، وزوجه من ابنة أحد أثرياء انطاكية التي بقي بها لوثير حتى موته (٩٧) . وبالنسبة للتحالفات الصليبية الاسلامية التي انتهت بدحر الصليبيين في موقعة غزة ، لم يقدم بوهيمند أية مساهمة لحملتي تيبالد الرابع وريتشارد كورنول . الا أنه لم يشأ أن يبدو بمظهر المتخاذل تجاه المشروع الصليبي العام ، فبعث في ١٢٤٤م / ٦٤٢هـ بأبناء عمه حنا ووليم سيدي البترون (٩٨) ، وحنا كندسطل طرابلس مع قوة صغيرة للمساهمة

(٩٥) بعد موقعة غزة فقد الفرنج كل مكاسبهم الاخيرة في فلسطين . فقد استولى الصالح أيوب على جزء من أملاك الناصر داود . وفي ١٢٤٧م / ٦٤٥هـ انتزع دمشق من الصالح اسماعيل ، ثم قضى على الخوارزمية في العام التالي بمساعدة أمير حمص . وفي ١٢٤٩م / ٦٤٧هـ سلم أبناء الناصر داود حصن الكرك بعد فرار أبيهم الى العراق . وفي ١٢٥٧م / ٦٥٥هـ استولى الصالح أيوب على عسقلان وطبرية من الفرنج . ولم يبق من ينافسه في بلاد الشام سوى الناصر الثاني صاحب حلب الذي استولى على حمص في ١٢٤٨م / ٦٤٦هـ . انظر سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٥٢ - ٧٦٢ ، ٧٦٦ ، ٧٧٠ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٥٦ - ١٥٧ . راجع أيضا :

Eracles, pp. 432; Ann. T.S.; p. 440

Cahen, La Syrie du Nord, p. 651.

Gestes des Chiprois, p. 735.

(٩٦) كان حنا ووليم أبناء بوهيمند حاكم البترون الابن الاصغر

لبوهيمند الثالث وعم بوهيمند الخامس . وقد تولى بوهيمند

والد حنا ووليم حكم البترون بزواجه من ابنة بليبانو البيزاوي =

في التحالف الصليبي مع أمراء الشام المسلمين ضد الخوارزمية والصالح أيوب (٩٩) . وكما كانت الخسارة فادحة لفرنج فلسطين فانها كانت تشكل كارثة أيضا بالنسبة لفرسان انطاكية . فقد سقط في المعركة حنا ووليم ابنا عم بوهيمند ، ولم ينج من القتل سوى كندسطل طرابلس الذي وقع في الاسر (١٠٠) . وجاءت معركة غزة كنقطة تحول في تاريخ الامارات الصليبية في بلاد الشام بعد خسارتهم الفادحة في الارواح التي لم يعوضوها أبدا . وكانت اماره انطاكية في أمس الحاجة الى من يدافع عنها وخاصة من الفرسان (١٠١) . وهكذا لم تساهم اماره انطاكية بدور ملموس في الصراع الصليبي الاسلامي منذ عام ١٢٣٧م / ٦٣٤هـ وحتى عام ١٢٤٤م / ٦٤٢هـ . وسار أميرها بوهيمند الخامس على سياسة جده وأبيه . فلم تكن تهمه أية مشاريع صليبية سواء ضد مسلمي مصر أو

«Piebano» الذي تزوج وريثة الاقطاع أيام ريموند كونت

طرابلس . انظر :

E.G. Rey, Les Seigneurs de Gible, in R.O.L, Vol. L 3, Paris,

1895, p. 302; C. Ducange, Les Familles d'Outremer, p. 257.

(٩٩) ذكرت حولية سالمين أن بوهيمند أمد الفرنج بثلاثمائة فارس وكذلك فعل هنري ملك قبرص ومات الجميع أثناء المعركة وأخذ بذلك المؤرخ الحديث جروسيه . الا انه من الصعب الأخذ بذلك . فلم تكن موارد بوهيمند تسمح له بإيفاد هذا العدد من الفرسان في ذلك الوقت . كما أن مؤرخي الصليبيين المعاصرين مثل كاتب تاريخ هرقل ومخطوط روتلان لم يذكر من رجال بوهيمند سوى ابني عمه وكنداسطبله . وبالطبع فهؤلاء كانوا أتباعه في كونتية طرابلس وليس في انطاكية . ويؤيد ذلك ما جاء في حولية مدينة مالروس الاسكتلندية من أن فرنج المملكة الصليبية حاولوا عبثا الاستنجاد ببوهيمند وملك قبرص ضد الخوارزمية حتى قبل استيلاء الاخيرين على بيت المقدس . ولكن بوهيمند لم يكلف نفسه حتى بالرد على استغاثة الفرنج . بينما اعتذر ملك قبرص خوفا من التتار . ولنا أن نقبل تلك الرواية لاعتیاد وصول التقارير من المملكة الصليبية الى انجلترا عن أحوال الفرنج في تلك الفترة . انظر :

Cronica Salimbene, p. 177; Chronica de Mailros, p. 92. CF.

also, R. Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 417.

Eracles, p. 430.

Cahen, La Syrie du Nord, p. 651.

(١٠٠)

(١٠١)

مسلمى الشام ، ما لم تكن فيها فائدة لأملاكه فى انطاكية وطرابلس . ومن هنا كان دوره فى هذه المشاريع ضئيلا للغاية . وبينما لم يكن لديه أى مانع لمشاركة الجماعات العسكرية الدينية فى مشاريعها ضد المسلمين فى حماة ، أو ضد الارمن فى قيليقية ، فانه حرص كل الحرص على أن يسود حسن الجوار بينه وبين جيرانه المسلمين فى حلب حتى لا يكون هناك تأثير لاستبعاد أملاكه من اتفاقية الكامل وفريدريك . وهكذا سادت العلاقات السلمية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين طوال عهد بوهيمند الخامس .

واذا لم يكن ضعف شخصية بوهيمند الخامس (١٠٢) يسمح له بالقيام بدوره المنتظر كأمر صليبي ، فان أحوال امارة انطاكية نفسها لم تكن لتسمح له - بنفس القدر - بالقيام بنفس الدور . والوقوف على الاسباب التى جعلت بوهيمند الخامس يتخذ سياسة سلمية خالصة ، بشكل لم نعهده بالنسبة لأى من أسلافه ، تجاه جيران انطاكية المسلمين يعتبر من الضرورى بمكان ، خاصة وأنه لم يكن هناك ما يحول بين بوهيمند الخامس وبين القيام بواجبه الصليبي . ففى خلال فترة حكمه لم يكن هناك صلاح الدين آخر ليوحد كلمة المسلمين ، ولينتزع من الصليبيين بصفة عامة ، ومن صليبي انطاكية بصفة خاصة ، غالبية أملاكهم كما كان الامر أيام جده بوهيمند الثالث . كما لم يكن هناك صراع دائم بينه وبين الاسبتارية والارمن وحتى البابوية وكنيسة انطاكية ليعرقل جهوده الصليبية كما كان الحال أيام والده بوهيمند الرابع . وأخيرا لم يكن ثمة صراع بينه وبين أتباعه ، ولم تكن هناك حرب أهلية بين الصليبيين فى مملكة بيت المقدس لتشده اليها ، لينشغل بكل ذلك عن مناوئة المسلمين كما كان الامر أيام خلفه وابنه بوهيمند السادس (١٠٣) . بل على العكس من ذلك ، فقد انتهت خلافاته وخلافات أسلافه المستديمة مع الارمن

(١٠٢) سيطرت زوجته وأقاربها الايطاليين على الامور فى طرابلس وعينت أخاها بول الثانى أسقفا لها . وقربت اليها أقاربها الذين استولوا على المناصب فى طرابلس مما أثار سخط النبلاء اللاتين . كما ضعفت سيطرة بوهيمند على أتباعه فى جبيل . انظر :
E. Rey, Histoire des Princes d'Antioche, p. 400.

(١٠٣) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٣٩٦ وما بعدها .
مكتبة المهتدين الإسلامية

بفضل مساعى لويس التاسع (١٠٤) . وقدم له الاخير من المساعدة ما لم تقدمه أوربا كلها لامارة انطاكية فى أى وقت من الاوقات (١٠٥) . ذلك فى الوقت الذى كان فيه المسلمون فى فرقة لم تحدث بينهم من قبل ، والخطر المغولى يعوق نشاطهم ضد الفرنج ، وكانت الفرصة مواتية للنيل منهم فى أى وقت وفى أى مكان ، وكان من السهل التحالف مع الارمن أو السلاجقة لتحقيق مكاسب على حساب مسلمى شمال الشام . الا أن ذلك لم يحدث أبداً، لذا كان من الضرورى تفقد أحوال امارة انطاكية حتى نقف على الاسباب الحقيقية التى حدثت ببوهيمند الخامس الى انتهاج هذه السياسة السلمية تجاه جيرانه المسلمين . واذا بدأنا بظروف بوهيمند نفسه ، نجد أن علاقاته مع جماعة الداوية كانت متوترة بسبب عدم التزامهم بالهدنة التى عقدها لهم مع مسلمى حلب ، ثم عدم رضائه عن أعمالهم العدوانية ضد أملاك الحلبيين فى دريساك وفى اقليم العمق فى عام ١٢٣٧م/٦٣٤هـ ، ثم عدم مساندته لهم ضد قوات حلب عند بغراس فى العام نفسه . وفى نفس الوقت ساءت العلاقات بينه وبين جماعة الاسبتارية ليستمر الخلاف بينهما حتى عام ١٢٤١م/٦٣٨هـ وذلك بسبب النزاع بين الطرفين على ملكية اقطاع مرقية (١٠٦) ، ومساندتهم للحشيشية ، الذين

(١٠٤) عندما وصل رسل كل من بوهيمند وهيثوم الى لويس وهو فى قبرص وقبل ابصاره الى مصر ، طلب الملك الفرنسى انهاء كل الخلافات القديمة ، بين أمراء انطاكية وملوك قيليقية الارمن وعقد هدنة لمدة سنتين بين الطرفين ، وتم ذلك بالفعل فى يونية ١٢٤٩م/ربيع أول ٦٤٧هـ . وليس من الغريب أن لا يحدثنا أى من مؤرخى الارمن المعاصرين عن هذه الاحداث بعد صمتهم عن كثير من أحداث المنطقة فى تلك الفترة . انظر :

Vincent de Beavais, Speculum Historiale, Libr. XXX, Ch. 96.

(١٠٥) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٣٧٦ .
(١٠٦) فى عام ١١٩٨م تنازل بوهيمند الثالث عن هذا الاقطاع الواقع شرقى طرابلس للاسبتارية . وفى العام التالى أعادوه اليه ليكون قاعدة للهجوم على قلاع الحشيشية فى الخوابى والكهف وأبو قبيس على أن يعود الاقطاع الى الاسبتارية بعد موت بوهيمند ، وبالطبع لم يردده اليهم خلفه بوهيمند الرابع لمساندتهم لريموند روبين الدائمة ضده . وفى ١٢٣٤م وبعد موت بوهيمند الرابع رفع الاسبتارية الامر الى البابا جريجورى التاسع الذى فوض أسقف بانياس ليحكم فى الامر . ولأن الاخير كان يقيم فى حصن المرقب =

يدفعون الجزية لهم ، ضد بوهيمند (١٠٧) . وهكذا لم يكن في مقدور بوهيمند أن يركن الى مساعدة جماعتي الداوية والاسبتارية . أما عن جماعة فرسان التيوتون ، فالى جانب عدم استطاعة هذه الجماعة القيام بأعمال عسكرية كبيرة ، لقلة امكانياتها بالمقارنة بسابقتها ، فان علاقة بوهيمند بالتيوتون كانت مرتبطة تماما بعلاقته بالارمن التي مازالت متوترة (١٠٨) . ولذلك لم يكن أمام بوهيمند سوى الاعتماد على موارده الخاصة في الوقت الذي حرم فيه من مساعدة الداوية والاسبتارية اللتين كانتا مصدر القوة الوحيد في الشرق اللاتيني في ذلك الوقت واذا كانت المعلومات الخاصة بصليبي شمال الشام قد ندرت في تلك الفترة - بعد انتهاء تاريخ وليم الصوري الجامع الشامل - لاستحواذ مملكتي بيت المقدس وقبرص على اهتمام المؤرخين الصليبيين ، ولعدم ظهور

= مع الاسبتارية لاستيلاء المسلمين على بانياس ، فلم يقبل بوهيمند الخامس حكم الاسقف ، وفي ١٢٤١م كلف البابا بطريرك انطاكية البرت الذي حكم بأن يعين بوهيمند نائبا لدير الاقطاع حيث كان وريث الاقطاع قاصرا على أن يدفع بوهيمند تعويضا للاسبتارية وحين يصل الوريث الى سن الرشد فله أن يقرر من يتبع كسيد له بوهيمند أو الاسبتارية، ولم يعرف هذا القرار وان كان الاسبتارية قد بقوا على علاقات حسنة مع سادة مرقية الى النهاية . انظر : Riley-Smith, The knights of St. John, p. 452-453.

(١٠٧) في ٢٠ أغسطس ١٢٣٦ بعث البابا جريجوري التاسع بخطاب الى رئيس اساقفة صور واسقفى صيدا وبيروت يطلب منهم أن يثنوا الاسبتارية عن مساعدة الحشيشية وعن الحماية التي عرضوها عليهم ضد اخوانهم الصليبيين نظير جزية سنوية يدفعها لهم الحشيشية كما بعث البابا بخطاب مماثل . الى مقدم الداوية . وعن نفس الخطاب وترجمته . انظر :

E.J King, The Knights Hospitallers, pp. 234 235.

(١٠٨) في ١١ ابريل ١٢٧٣م بعث البابا الى بوهيمند والجماعات العسكرية الرهبانية وهنرى الاول ملك قبرص يطلب منهم عدم القيام بأى اجراء ضد قنسطنطين . ولما كان بوهيمند في حاجة الى المعونة من أى جهة فلم يجد ما يمنع أن يشهد على بعض الوثائق التي منح حنا بارليس حاكم بيسان بمقتضاها بعض الامتيازات للتيوتون في يناير ١٢٣٦م . انظر :

Gregory IX (Pope), Regesta, Vol. 2, no. 3597, p. 618; Strehlke, Tabulae Ordinis Theutonici, nos. 81, 82, pp. 64-65; Rohricht, nos. 10689, 1069, pp. 278-279.

مؤرخ صليبي يفرد تاريخا لانطاكية مثل كاتب الجستا ووالتر المستشار ،
فان تتبع النذر اليسير من المعلومات التي وردت في المصادر الصليبية
المعاصرة لبوهيمند ، والرجوع الى ما ورد في حوليات القرن الثاني عشر
الميلادي/القرن السادس الهجري الصليبية من شأنه ، أن يمكننا من الوقوف
على امكانيات بوهيمند الخامس العسكرية . فحتى عام ١١١٩م/٥١٥هـ
كانت قوات انطاكية تكاد تقترب في عددها من قوات مملكة بيت المقدس
نفسها (١٠٩) . ويخبرنا جوتيه المستشار مؤرخ روجر الانطاكي ، والذي
رافقه في القتال ضد ايلغازي الارتقي في معركة ساحة الدم بأن قوات
انطاكية قد تكونت من سبعمائة فارساً وثلاثة آلاف من المشاة (١١٠) .
ومن المعروف أن غالبية هذه القوة قد أبيدت في المعركة، ولم توفر لانطاكية
بعد ذلك نفس القوة العددية ، وعانت الامارة من النقص المستمر في عدد
الفرسان . فنجد المسلمين بقيادة نور الدين محمود يهزمون الانطاكيين
بقيادة ريموند دي بواتيه في موقعة انب عام ١١٤٩م/٥٤٤هـ ، ويقتلون
منهم ألف وخمسمائة ما بين فارس وراجل ، ويأسرون مثلهم (١١١) . وفي
الحقيقة ، فقد كانت خسائر انطاكية في تلك المعركتين فادحة ولم يكن من
السهل تعويضها ، بل أن النقص في عدد قواتها زاد بهزيمة الفرنج في
حارم عام ١١٦٤م/٥٦٠هـ أمام نور الدين محمود (١١٢) . وكان عدم
ظهور أية مقاومة من افرنج انطاكية لاجتياح صلاح الدين لكل أملاكها
بعد حطين خير دليل على فقر مواردها العسكرية . وبحلول القرن الثالث
عشر الميلادي/القرن السابع الهجري استمرت قوات امارة انطاكية
العسكرية في الاضمحلال وخير دليل على ذلك أن بوهيمند الرابع لم يكن
في مقدوره أن يقدم للامبراطور فريدريك حين قابله في قبرص في عام
١٢٢٨م/٦٢٥هـ من المساعدة سوى ستين فارساً (١١٣) . بينما تناقص

(١٠٩) R.C. Smail, Crusading Warfare, Cambridge, 1956, p. 90.

(١١٠) Walter the Cancellor, Bella Antiochena, p. 88.

(١١١) لم يذكر عدد قتلى الفرنج في هذه المعركة سوى بدر الدين

الدمشقي وابن منكلي . انظر : بدر الدين الدمشقي : الدر الثمين

في سيرة نور الدين مخطوط ، ورقة ٥٧ ، ابن منكلي : كتاب

الاحكام المملوكية ، مخطوط ، تصوير شمسي ، لوحة ٥٣ .

(١١٢) انظر ما سبق من الفصل الاول ، ص ١٥٦ .

(١١٣) Eracles, p. 368; Gestes des Chiprois, p. 681.

هذا للعدد الى النصف حين قدم بوهيمند الخامس مساعدته للاستتارية في حملتهم على بعيرين في عام ١٢٣٤م/٦٣١هـ (١١٤) . وفي عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ لم يستطع بوهيمند أن يبعث لمساعدة الفرنج ضد الخوارزمية في معركة غزة ، التي كان الفرنج فيها في أشد الحاجة الى المقاتلين ، سوى ابني عمه سادة البترون وكندسطل طرابلس (١١٥) واذا كان بوهيمند قد حرم ، بسبب خلافاته مع جماعات الفرسان الرهبان من مساعدة الداوية والاستتارية في الوقت الذي كانت انطاكية تعاني من النقص الشديد في القوات وبخاصة الفرسان منها ، فقد أصبح من العسير عليه القيام بأعمال عسكرية ضد المسلمين . فان تقلص حدود امارة انطاكية منذ فتوح صلاح الدين قد أبقى على هذا النقص في عدد المقاتلين بها ، اذا ما وضعنا في الاعتبار أن الخدمة العسكرية الاقطاعية الصليبية كانت تؤدي في مقابل تملك الارض (١١٦) . وبينما شغل الفرنج في مملكة بيت المقدس بخلافاتهم التي دبت بين كل طوائفهم ، ولم يعد هناك من ملوك بيت المقدس من يقدم المساعدة لانطاكية كما كانت الحال أيام بولدوين الاول وخلفائه من ملوك القرن الثاني عشر الميلادي ، وأصبح على انطاكية أن تعتمد على مواردها الخاصة ، وقل عدد المدافعين عنها ، فانها تعرضت لهجمات مستمرة غير متوقعة من قبائل التركمان . وكان من شأن هذه الهجمات والغارات المخربة أن تضر بالامارة الصليبية أبلغ الضرر . فاذا كان الفرنج في انطاكية قد أمنوا جانب المسلمين في شمال الشام لتصالح بوهيمند الخامس الدائم معهم ، ولانشغال المسلمين أيضا في خلافاتهم ، فان الخطر جاء من جهة أخرى ، ودفعت به نحو انطاكية ظروف خارجية تماما . ففي ١٢٢٥م/٦٢٢هـ اندفع الخوارزمية نحو اقليم جورجيا (١١٧) وفي ١٢٣٢م/٦٢٩هـ هزموا الجورجيين وأخضعوهم

Eracles, p. 403.

(١١٤)

(١١٥) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٣٦٧ .

F.W. Edbury, Feudal Obligation in The Latin East, in B. (١١٦)

Vol. 97, p. 351.

(١١٧) يقع اقليم جورجيا بين البحر الاسود وبحر قزوين وعاصمته تفليس

وعرف الجورجيون المسيحية في القرن الرابع الميلادي ، وكانت

كنيستهم أرثوذكسية وتحت التأثير اليوناني ، وكانت تتبع كنيسة

انطاكية وتخضع لبطريك انطاكية . انظر :

لسلطتهم (١١٨) . وأمام هذه الهجمات اندفعت قبائل التركمان (١١٩) ، الى الاناضول وأرمينيا واستقرت هناك . وفي ١٢٤٠م / ٦٣٧هـ ثار تركمان الاناضول بقيادة شخص يدعى بابا اسحق «Papa Ishaq» (١٢٠) واندفعوا داخل اقليم الفرات وجبال طوروس الشرقية لغزو الاناضول الاوسط ، الا أن السلاجقة تمكنوا من اخمد هذه الثورة (١٢١) . الا أن

M.F. Brosset, Histoire de La Géorgie, St. Petersburg, 1849, pp. 313-316; W.E.D. Allen, A History of The Georgian People, London, 1932, pp. 266-269. =

Juvaini (A la-adin Ata Malik). The History of The World-Conqueror, Trans. by J.A. Boyle, 2 Vols, Manchester, L 958, Vol. 1, pp. 438-439. Vincent de Beauvais, Speculum Historiale, Libr. XXX, Ch. 94, 96. CF. Also, Brosset, Histoire de La Géorgie, pp. 504-505; W. Allen, A History of The Georgian People, p. 111. (١١٨)

(١١٩) التركمان عشائر من الرعاة الرحل الوافدين من اواسط آسيا والذين ساقوا قطعان ماشيتهم أمامهم ، وأتوا لينصبوا خيامهم أحيانا على هضاب الاناضول السلجوقية وأحيانا على أراضي حلب ، وأحيانا في مراعى انطاكية . ويعطينا تاريخ هرقل نتفة ممتازة من « علم وصف السلائل البشرية وعاداتها » «Ethnography»

« هؤلاء التركمان هم اناس متوحشون ليس لديهم مدن أو قلاع ، وهم دائما يعسكرون في خيام مصنوعة من اللباد ، ولديهم حيوانات بأعداد كبيرة مثل الاغنام والثيران والماعز والابقار ، ويعملون بالرعى ، ولا يقومون بزراعة الارض أبدا » . انظر : Eracles, p. 435.

(١٢٠) ويكتبه فنسنت دي بيفيه باللاتينية كالآتي «Paperoissole» وقد وضعنا الاسم بالانجليزية حسب ما أورده كلود كاهن وجان ريتشارد . انظر :

Vincent de Beavais, Speculum, Libr-XXX, Ch. 140. CF. also, Cahen, Pre Ottoman Turkey, p. 136; Jean Richard, An Account of the Battle of Hattin Preferring to the Frankish Mercenaries in Oriental Moslem State, in Speculum, Vol. 22, p. 172.

(١٢١) تمكن السلاجقة من اخمد ثورة « بابا اسحق » الذي ادعى أنه « نبي » بمساعدة المرتزقة الفرنج لدى السلطان كيخسرو . وقد تمكنوا من هزيمة اسحق بالقرب من قيسارية في اقليم كبادوكيا في عام ١٢٤١م . انظر :

الضغط المغولي قد ازداد على العراق والجزيرة ، ولحسن حظ شمال الشام أن تلقت إرمينيا وآسيا الصغرى - كما حدث تماما أيام الغزو السلجوقي في القرن الحادى عشر الميلادى/القرن الخامس الهجرى - الموجة الاولى من هذا الغزو (١٢٢) . وفى ٢٦ يونيو ١٢٤٣م/١٣ محرم ٦٤١هـ اندفع المغول الى الجزيرة وملطية وتمكنوا من هزيمة كيخسرو الثانى سلطان السلاجقة ومن انضم اليه من الحلفاء (١٢٣) . وانتقاما من أرمن قيليقية الذين سلموا أم السلطان كيخسرو للتتار ، فقد تحالف كيخسرو مع قنسطنطين دى لامبرون ابن عم قنسطنطين كاثوليك الارمن وابنه الملك هيثوم الاول وذلك فى ١٢٤٥م/٦٤٣هـ . وكادت طرسوس تسقط فى أيدي الحليفين لولا موت كيخسرو فجأة فى ١٢٤٦م/٦٤٤هـ ، أما قنسطنطين دى لامبرون الذى أصبح بلا حليف يسانده فقد خضع لسيطرة التركمان (١٢٤) . وبالرغم من موت كيخسرو فان السيادة

Vincent de Beauvias, Speculum Libr. XXX, Ch. 140; Bar Hebraeus, pp. 405-406. CF. also, J. Richard, An Account of The Battle of Hattin, p. 173.

C. Cahen, Orient et Occident au temps des Croisdes, Paris, (١٢٢) 1983, p. 197.

(١٢٣) كان فى نصره غياث الدين كخسروا فى هذه المعركة قوات من حلب . وكان بين حلب وسلاجقة الروم تحالف منذ تزوج كيخسرو الثانى بغازية خاتون شقيقة الملك الناصر يوسف الثانى ملك حلب ، وزواج الاخير من ملكة خاتون شقيقة كيخسرو وذلك فى عام ١٢٣٧م/٦٣٥هـ ، وكان المؤرخ ابن العديم هو محرر عقدى الزواج انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ، ٢٦٧ - ٢٦٨ ، ابن واصل مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ١٨٣ - ١٨٦ ، ٣٢٦ - ٣٢٧ . راجع أيضا :

Vincent de Beauvais, Speculum, Libr. XXX, Ch. 147, L 50; Juvaini, The History, Vol. 2, pp. 507-508; Bar Hebraeus, The Chronography, p. 407; Kiracos de Gantzae, Histoire d'Arménie, p. 138.

Vincent de Beauvais, Speculum, Libr. XXX, Ch. 144, Libr. (١٢٤) XXX Ch. 29; Kiracos, Histoire d'Arménie, p. 142; Sempad, Chronique, pp. 649-651; Bar Hebraeus, The Chronography, p. 408.

المغولية لم تكتمل لعودة قواتها الى الشرق (١٢٥) تاركة الحرية للتركمان للقيام بكل أنواع الشغب والفوضى ، خاصة وأن الخلافات قد نشبت أيضا بين خلفاء كيخسرو (١٢٦) وهكذا أصبح الميدان خاليا أمام التركمان لعدة سنوات ، ولم يمه هذه الحالة من الفوضى سوى الغزو المغولي في عام ١٢٦٠م (١٢٧) . وبات محتما أن يكون هناك تأثير لهذه الفوضى ، وقدر لامارة انطاكية أن تكون هي مجال هذا التأثير . فقد مضى وقت طويل على استقرار قبائل التركمان في اقليم العمق الواقع بين انطاكية وبغراس .

(١٢٥) مات الخان أوجوداي «Ogodai» في ديسمبر ١٢٤١م ثم مات خلفه كيوك «Guyuk» في ابريل ١٢٤٨م وقامت الخلافات بين الامراء المغول وانتهت بتولى منكوب بن جنكيز خان خانا للمغول بمساعدة باطو نائب والده في غربي آسيا ، وتولى أخوه هولكو حكومة فارس ، وتولى أخوه الثالث قوبلاي الحكم في البلاد الشرقية والصين .

Juvaini, The History, Vol. 2, pp. 501-502, 546; Bar Hebraeus, The Chronography, pp. 410-411 CF. also, J.A. Boyle, Dynastic and Political History of the Ilkhans, in CH.H.R., Vol. 5, p. 336.

(١٢٦) ترك كيخسرو الثاني ثلاثة أبناء عند موته . الأكبر هو عز الدين كيكافوس (١١ سنة) من أم يونانية ، والوسطى ركن الدين قلج أرسلان (٩ سنوات) من أم تركية من قونية والاصغر هو علاء الدين كيقباز (٧ سنوات) من أم جورجية وهو الذي اختاره أبوه لخلافته . الا أن النزاعات قامت بين كيكافوس وقلج أرسلان . بينما تولى كيكافوس الحكم في قونية ، حكم قلج أرسلان في الاناضول الشرقي بمساعدة باطو قائد المغول الذي خضع له قلج أرسلان . انظر :

Vincent de Beauvais, Speculum, Libr. XXXI, Ch. 26-28; Bar Hebraeus, The Chronography, pp. 412-414.

(١٢٧) فور هزيمة المغول للسلاجقة قام التركمان بنهب اقليم البستان وملطية ، ولم يستطع كيخسرو الانتصار عليهم الا بمساعدة قنسطنطين دي لامبرون ابن عم قنسطنطين والد هيثوم الاول . كما نهب التركمان من خرج من الشام وسادت الفوضى المنطقة ما بين الاناضول وشمال الشام . انظر: ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣ ، ص ٢٦٩ . راجع أيضا :

Bar Hebraeus, The Chronography, p. 408; Vincent de Beauvais, Speculum, Libr. XXXI, Ch. 151. CF. also, C. Cahen, Les Turcuman de Rum, in B., Vol. 1, 1953, p. 15.

ولم تكن هجمات الداوية عليهم سوى هجمات صغيرة لخطف الماشية . ولم يكن وجود التركمان يشكل خطورة على صليبي انطاكية ، ولكن بتزايد عدد الفرق التركمانية الوافدة من الاناضول وقيليقية ازدادت عمليات النهب التي كانوا يقومون بها ، وكان على انطاكية التي كانت اضعف من حلب أن تعاني أكثر منها من هذه الفوضى . وفي عام ١٢٤٧م/ ٦٤٥هـ تحقق الفرنج من حدوث التغيير . فحتى ذلك الوقت كان عدد قليل من الرجال المسلحين يكفي لصد التركمان المتلهفين على الغنائم وليس على القتال (١٢٨) . ولكنهم الآن لم يعودوا يتجنبون المعارك ، وكانوا يستغلون ثقة الفرنج ، ويباغتونهم ، وشيئا فشيئا أصبحت المناطق الريفية حول انطاكية فريسة لهم (١٢٩) في ١٢٤٨م/ ٦٤٦هـ ، وبينما كان لويس التاسع راسيا بأسطوله بجزيرة قبرص في طريقه الى مصر ، طلب منه بوهيمند وبطريك انطاكية المساعدة ضد التركمان ، فأرسل الملك الى انطاكية ستمائة فارس (١٣٠) ولكن سرعان ما فشلت حملة لويس على مصر ، ولم يكن في امكانه الا أن يضمن - بمشقة - أمن مملكة بيت المقدس (١٣١) . وبوصول أنباء هزيمة الصليبيين في مصر انطلقت جموع التركمان في ١٢٥١م/ ٦٤٩هـ لتجتاح ضواحي انطاكية . وأخذ التركمان ينهبون المحاصيل ، ويخطفون قطعان الماشية ، ويخربون الحقول ، ويقتلون السكان الذين اضطروا الى الفرار تاركين أملاكهم نهبا للتركمان الذين اعتمدوا على حماية مسلمي حلب لهم (١٣٢) . وفي ١٢٥٢م/ ٦٥٠هـ واصل التركمان اعتداءاتهم على الفرنج مما دفع بكثير

Marino Sanudo, Liber Secretorum, 218.

(١٢٨)

Eracles, p. 435.

(١٢٩)

(١٣٠) من الغريب أن جوانفيل مؤرخ حملة لويس لم يذكر شيئا عن ذلك . انظر :

Vincent de Beauvais, Speculum, Libr. XXXI, Ch. 96.

(١٣١) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٣٩٥ .

(١٣٢) في الحقيقة لم يكن هناك تحالفا بين بوهيمند والناصر يوسف

ابن الملك العزيز صاحب حلب . فعند عقد هدنة الداوية في

١٢٣٧م/ ٦٣٤هـ كان الناصر تحت وصاية جدته . ولم يمنعه بعد

ذلك عن انطاكية سوى الخطر المغولي وهجمات الخوارزمية على

حلب ، وسياسة بوهيمند السلمية تجاه المسلمين . انظر :

Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 5, p. 228.

من سكان انطاكية الى أن يغادروا المدينة بعد أن ضاقت بهم الاحوال ، ولم يترك التركمان من يغادر المدينة ، بل أسروا الكثيرين منهم وهم في طريقهم الى طرابلس ، وبعثوا بهم الى حلب (١٣٣) . وهكذا وقعت انطاكية تحت طائلة الهجوم التركمانى ، فى الوقت الذى كان بوهيمند الخامس يتوقع مداومة المغول لأملاكه ، خاصة بعد أن رفض الخضوع لتهديدات بيجو القائد المغولى الذى بعث به الخزان باطو الى غربي آسيا . فبعث الأخير الى بوهيمند - والى هيثوم ملك قيليقية - يأمره بالخضوع فى ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ويأمره بثلاثة أشياء لم يكن بوسع بوهيمند أن يقوم بأى منها . فكان على بوهيمند أن يدمر كل استحکامات مدنه وقلاعها ، ثم عليه أن يرسل الى الخزان كل الايرادات - ذهباً وفضة - التى يحصل عليها من امارته ، وأخيراً عليه أن يرسل الى منغوليا بثلاثة آلاف عذراء . الا أن بوهيمند رفض تنفيذ هذه المطالب ، وقرر تحدى أوامر المغول (١٣٤) . ولم يعرف بوهيمند رد فعل تصرفه لدى الخزان (١٣٥) . لذا كان يتوقع هجوم التتار على أملاكه ، وربما أثر الاحتفاظ بالقوات التى بعث بها اليه الملك لويس للدفاع عن طرابلس ، ولم يشأ أن يجهدا فى الدفاع عن انطاكية ضد التركمان ، الامر الذى من شأنه أن يثير حفيظة مسلمى حلب ضده . وهكذا أصبحت انطاكية فريسة لهجمات التركمان مما كان له أسوأ الاثر على الامارة الصليبية المتهاكمة . ففى الوقت الذى اعتمدت فيه الامارات الصليبية على التجارة مع المدن الاسلامية الداخلية فى بلاد الشام ، حيث يتوجه المسلمون الى الموانى الصليبية لعقد

(١٣٣) أمدتنا المصادر الانجليزية التى احتوت على تقارير ورسائل قادة الفرنج الى المسئولين فى انجلترا بمادة نادرة عن أحوال انطاكية والفرنج وعلاقاتهم بالمسلمين كان من الصعب الحصول عليها بعد انتهاء كتاب ابن العديم . انظر خطاب أمين خزانة الاسبتارية فى عكا «جوزيف دى كوسى» الى « والتر دى سان مارتى » فى انجلترا الذى أورده متى الباريزى . انظر :

Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 5 pp. 305-306.

Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 4, pp. 389-390, CF. (١٣٤)
also, Jean Richard, The Mongols and the Franks, in J.A.
H., Vol. 3, no. 1, p. 48.

Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 4, p. 390.

(١٣٥)

صفقاتهم ، ويدفعون للفرنج ضرائب متنوعة على هذه التجارة الى جانب المكوس التى يجبيها الفرنج نظير مرور السلع من بوابات المدن الصليبية الى المدن الاسلامية (١٣٦) ، فان الفوضى التى سببها التركمان لم يكن يامن معها المسلمون المرور عبر أقاليم انطاكية الى طرابلس ، فقل عدد المسلمين الذين كانت تعج بهم موانى طرابلس والسويدية كما رأى ذلك جاك دى فترى منذ ثلاثين عاما قبل ذلك التاريخ (١٣٧) . وبالطبع كان لذلك تأثير على اقتصاد انطاكية . فلم تكن السفن الايطالية لتأتى الى ميناء السويدية أو حتى طرابلس دون أن يضمن التجار الاوربيون الرواج لسلعهم . وخير دليل على ذلك قلة الامتيازات التى منحها أمراء انطاكية للجاليات الايطالية المتحكمة فى تجارة الشرق خلال القرن الثالث عشر الميلادى/القرن السابع الهجرى . فلا نجد أية امتيازات منحت للبنادقة بدءا من عهد ريموند روبين وحتى نهاية عهد بوهيمند السادس (١٣٨) أما عن الجنوية فكانت آخر امتيازاتهم فى انطاكية فى عهد ريموند روبين (١٣٩) . وكذلك كانت آخر امتيازات البيازنة فى انطاكية (١٤٠) . وفى ١٢٣٣م/٦٣١هـ نالوا آخر هبة لهم من بوهيمند الخامس فى

(١٣٦) عن أنواع هذه المكوس انظر ما سبق من الفصل الثالث ، ص ٢٤٩ ، حاشية ٨ ، ٩ .

(١٣٧) « وحين كنت على مشارف طرابلس خرج للقائى كونت المدينة وأمير انطاكية (بوهيمند الرابع) مع كثير من الجنود ، وقضيت شهرا فى تلك المدينة ، ولما كانت اللغة العربية هى اللغة السائدة فى هذه المدينة ، فقد كنت أتحدث غالبا من خلال المترجمين » . انظر :

Jaques de Vitry, Epistolae II, p. 93.

(١٣٨) كانت المنحة التى حصلوا عليها فى ١١٨٣م من بوهيمند الثالث هى آخر ما حصلوا عليه من امتيازات فى انطاكية حتى منحهم بوهيمند السابع فى ١٢٧٧م حرية البيع فى طرابلس . انظر : Rohricht, Regesta, no. 632, p. 167, no. 1412, p. 366.

(١٣٩) كانت آخر منحة لهم فى انطاكية فى عهد ريموند روبين الذى منحهم فى فبراير ١٢١٦م حق انشاء محكمة خاصة بهم . انظر :

Rohricht, Regesta, no. 885, p. 238.

(١٤٠) أكد ريموند روبين فى ابريل ١٢١٦م للبيازوية كل المنح التى منحها اياهم بوهيمند الثالث فى انطاكية .

Rohricht, Regesta, no., 886, p. 239.

طرابلس (١٤١) . هذا ، الى جانب أن غارات التركمان ونهبهم للحقول الانطاكية باستمرار وهجرة المزارعين الانطاكيين وسكان المدينة قد أثر على الانتاج الزراعى الوفير الذى اشتهرت به المدينة والذى اندهش له ويلبراند أوف أولدنبيرج عند زيارته لها فى عام ١٢١١م/٦٠٩هـ (١٤٢) . وكذلك على الصناعات التى اشتهرت بها انطاكية مثل صناعة الزجاج والنسيج التى رآها الراهب اليونانى - الكريتى - حنا فوقاس رائجة فى عام ١١٨٥م/٥٨١هـ (١٤٣) . وكل ذلك أدى الى اضمحلال الامارة التى نعم سكانها بالرخاء طويلا (١٤٤) . فهجرها سكانها ، بعد أن ضاقت بهم السبل أمام الاخطار المحيطة بهم من جانب جماعات التركمان المغيرين عليهم بصورة مستمرة ، وخوفا من الخطر المغولى المحدق بهم . وكذلك فعل أميرها بوهيمند الخامس الذى أثر البقاء فى طرابلس تاركا انطاكية دون مدافع . واكتفى بوهيمند باتباع سياسة سلمية خالصة تجاه جيران انطاكية المسلمين طوال فترة حكمه للامارة الى أن مات فى عام ١٢٥١م/٦٤٩هـ (١٤٥) .

(١٤١) فى مارس ١٢٣٣م أكد بوهيمند الخامس للبيزاوية كل المنح التى حصلوا عليها فى طرابلس فى عهد ريموند الثالث ثم فى عهد بوهيمند الثالث . انظر :

Rohricht, Regesta, nos. 1041-1042, pp. 272.

(١٤٢) كان نهر العاصى وروافده يمد انطاكية بوفرة من المياه تروى الحدائق والبساتين والحقول المتعددة والغنية بأنواع الفاكهة والنباتات المختلفة . انظر :

Willbrand of Oldenburg, Itineraium Terrae Sanctae, p. 172.

Joanes Phocas, Compendiaria, p. 927. (١٤٣)

(١٤٤) « كانت نساء أنطاكية تتزين بالحلى والجواهر ، ويرتدين فاخر الثياب مثل نساء العرب . انظر :

Walter the Cancellor, Bella Antiochena, p. 113.

(١٤٥) اكتفى كاتب حوليات الارض المقدسة بوضع وفاة بوهيمند فى عام ١٢٥١م/٦٤٩هـ . وكان مارينو سانودو أكثر دقة حين ذكر أن موت بوهيمند وقع بعد ذهاب الملك لويس الى قيسارية فى ٢٩ مارس/٤ محرم من نفس السنة . ولا يوجد أى دليل على أن وفاة بوهيمند وقعت فى يناير ١٢٥٢م/ذى القعدة ٦٤٩هـ كما يذهب كل من كاتب حوليات الاراضى وكلود كاهن . انظر :

Ann. T.S., p. 445, Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 220

CF. also, Cahen, La Syrie du Nord, p. 702.

أنجب بوهيمند الخامس من زوجته لوسى ابنا يدعى بوهيمند ، تولى الحكم فى انطاكية وطرابلس باسم بوهيمند السادس (١٤٦) . كما أنجب بوهيمند الخامس ابنة تدعى بليزانس Plaisance تزوجت فى سبتمبر ١٢٥٠م / شعبان ٦٤٨هـ من هنرى الاول ملك قبرص (١٤٧) . ولم يبد بوهيمند السادس اهتماما كبيرا بشئون انطاكية فى السنوات الاولى من حكمه . لذا نجده يقبع فى طرابلس كما فعل أبوه من قبل . وفى الحقيقة لم تكن الظروف التى دفعت بأبيه الى ذلك قد تغيرت كثيرا ، ولم تكن أحوال انطاكية بالتالى قد تحسنت عن ذى قبل ، بل ان كل شئ صار الى أسوأ مما كان . لذلك لم تختلف سياسة بوهيمند السادس عن سياسة سلفه تجاه المسلمين كثيرا . فقد واصل التركمان هجماتهم على اقليم انطاكية فى نفس العام الذى تولى فيه بوهيمند السادس الحكم فى الامارة ولكن فى هذه المرة كانت هجمات التركمان أشد قسوة . فقد هاجموا الاقليم كله ، وقتلوا من وجدوه من السكان ، وأسروا المزارعين ، ونهبوا الماشية واستولوا على البضائع الواردة الى انطاكية والخارجة منها . كما قاموا بحرق المحاصيل وتدمير

(١٤٦) اتفق المؤرخون الحديثون على أن بوهيمند السادس قد ولد فى عام ١٢٣٧م / ٦٣٤هـ دون تحديد تاريخ دقيق لمولده . ولما جاء فى خطاب البابا انوسنت الرابع والمؤرخ بالسابع من نوفمبر ١٢٥٢م / ٣ رمضان ٦٥٠هـ ، والذى أرسله الى كل من بطريك انطاكية وأسقف طرابلس لمساعدة بوهيمند على تولى أمور الحكم فى انطاكية ، بأن بوهيمند قد بدأ بالفعل عامه الخامس عشر ، وأنه سيتمه فى أول أغسطس ١٢٥٣م / ٤ جماد ثان ٦٥١هـ ، فيمكن الاخذ بأن بوهيمند السادس قد ولد فى أغسطس ١٢٣٧م / ٧ ذى الحجة ٦٣٤هـ . انظر :

Innocent IV, Pope, Registers, Vol. 3, no. 6070, p. 126.

Ducange. Rey, Familles d'Otremer, p. 206.

(١٤٧) انفرد مارينو سانودو بتحديد تاريخ الزواج . وقد مات هنرى الاول ملك قبرص (١٢١٨ - ١٢٥٣) فى ١٨ يناير ١٢٥٣م . وقبل موته بعدة أشهر ، أنجبت له بليزانس ابنه وخلفه هيو الثانى ملك قبرص (١٢٥٣ - ١٢٦٧م) وماتت بليزانس فى سبتمبر ١٢٦١م وهى وصية على مملكة بيت المقدس (١٢٥٨م - ١٢٦١م) . انظر :

Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 220; Eracles, pp. 439.

الحقول وحدائق الكروم ، ودمروا كل ما وجدوه أمامهم ، ولم يصبح في مقدور سكان المدينة الخروج منها بعد أن وصلت هجمات التركمان حتى أسوار المدينة نفسها . ولم يعد باستطاعة الفرنج في انطاكية مزاولة أى نشاط خارج مدينتهم . وبذلك يكون التركمان قد جعلوا امارة انطاكية لا تتعدى أسوار المدينة بعد أن أصبح كل الاقليم حولها قفرا ، وتابع سكان انطاكية هجرتهم من المدينة التى طالما عمرت بسكانها واشتهرت بكثرتهم وبتعدد جنسياتهم (١٤٨) . وأصبحت انطاكية التى كانت مرآة الشرق Speculum Orientis وعاصمته « مضغة للكلاب » على حد تعبير بوهيمند السادس نفسه حين بعث في ١٤ مايو ١٢٥٥م / ٥ ربيع ثان ٦٥٣هـ بخطاب الى هنرى الثالث ملك انجلترا (١٢١٦ - ١٢٧٢م) مستغيثا به وطالبا مساعدته العاجلة لانقاذ المدينة من مصيرها المشئوم (١٤٩) . وواصل التركمان هجماتهم على أملاك بوهيمند حتى وصلوا الى كونتية طرابلس نفسها وأحرقوا الكثير من القرى المجاورة لحصن الاكراد ، وأخذوا سكانها أسرى الى شيزر (١٥٠) . ولم يجد بوهيمند من يمد له يد المساعدة من صليبي الشام ، فبعث باستغاثته الى هنرى الثالث ملك انجلترا ، الا أن مشاغل الاخير لم تمكنه من نجدة انطاكية (١٥١) . ولم

(١٤٨) وجد وليبراندأوف أولدنبرج أثناء مروره بانطاكية الى أرمينيا في ١٢١١م أن انطاكية تضم بين سكانها عربا وسريان وأرمن ويونانيين ويهودا الى جانب اللاتين الذين كانوا يحكمون الامارة . انظر : Willbrand of Oldenburg, Itinerarium, p. 172.

(١٤٩) Bohemond VI, Letter of Bohemond VI Prince of Antioch to Henry III King of Englan, in Annales de Burton, ed. H.R. Lourd, in Annales Monastici, I, (R.S., 36). London, 1864, pp. 369-371

راجع أيضا ملحق رقم (٣) بآخر الكتاب .

(١٥٠) Mathew Paris, Chronica Majora, Vol. 5, pp. 305-306.

(١٥١) منذ تولى هنرى الثالث عرش انجلترا (١٢١٦ - ١٢٧٢) أعلن ثلاث مرات عن نذره بالقيام بحملة صليبية وكان نذره الاول فور توليه العرش ، والثانى في ١٢٥٠م ، والثالث أنابه في القيام به ابنه الامير ادوارد في عام ١٢٧١م . وعندما بعث اليه بوهيمند السادس باستغاثته كان هنرى الثالث مشغولا في حرب أسرة الهوهنشتاوفن في جزيرة صقلية انظر :

Annales de Burton, p. 371. CF. also, S. Lloyd, Political Cru-



تتلق الامارة شيئاً من المساعدة وكانت كنيسة أوفر حظاً وكان الفضل للبطريرك أوبيزودى فيتشى Opizo de Fieschi (١٥٢) . في أن تحصل كنيسة انطاكية على المساعدات من البابوية ، وتنال الامارة بعضاً من تلك المساعدات (١٥٤) الا أن هذه المساعدات قد استنفدت في اجراءات بعض التحصينات لقلعة القصير التي صارت للبطريركية الكاثوليكية في انطاكية منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري (١٥٤) . لذلك لم تكن كل هذه المعونات تمثل شيئاً ازاء جسامه الاخطار التي أحاطت بانطاكية وكنيسةها معا . فلم تقتصر متاعب اماره انطاكية على خطر التركمان فقط ، بل تعدت ذلك الى أن بوهيمند تولى الحكم تحت وصاية أمه الاميرة لوسى التي أقامت في طرابلس تاركة انطاكية نهبا للصراعات التي لا تنتهى بين السكان اليونانيين واللاتين في المدينة . وكان يتولى الحكم نائب ، الى جانب القومون الذي كان من المفروض أن يخضع لسلطة

sades in England, in Crusades and Settlement, ed. Peter =
W. Edbury, Cardiff, 1985, p. 113-121.

(١٥٢) مات البرت دى ريزاتو بطريرك أنطاكية (١٢٢٧ - ١٢٤٦) أثناء حضوره مؤتمر ليون الكنسي الذي عقده البابا انوسنت الرابع (١٢٤٣ - ١٢٥٤م) في فرنسا للاعداد لحملة صليبية جديدة . وبقي كرسي بطريركية انطاكية شاغرا لمدة عامين حتى عين البابا ابن أخته أوبيزودى فيتشى بطريركا لانطاكية (١٢٤٧ - ١٢٩٢م) والذي حضر الى الشرق مع حملة لويس ، ثم عاد الى روما في ١٢٥٣م وأطلع خاله على احوال انطاكية وكنيسةها بعد أن دمرتها هجمات التركمان . انظر :

B. Hamilton, The Latin Church, p. 232.

(١٥٣) أمر البابا بان تحول دخول أسقفية نيقوسيا بقبرص الى بطريرك انطاكية منذ عام ١٢٥٤م . كما أمر بان يحصل بطريرك انطاكية على دخل سنوي لمدة ثلاث سنوات من كنائس قبرص لتحسين قلعة القصير . وعندما بعث البابا في ١٢٥٣م بدعم الى لاسبتارية أمر بان يكون هذا الدعم للدفاع عن انطاكية وأجبر الداوية على عدم تحويل جزء من هذا الدعم لمملكة بيت المقدس . كما تدفقت معونات البابا الكسندر الرابع (١٢٥٤ - ١٢٦١م) على انطاكية . انظر :

B. Hamilton, The Latin Church, pp. 232-233; Cahen, La Syrie du Nord, pp. 97-98.

Cahen, La Syrie du Nord, p. 697.

البطريرك الكاثوليكي (١٥٥) . إلا أن الأخير تضاءلت أهميته كثيراً منذ أن خضع البطريرك اليوناني للبابوية وأقام في انطاكية (١٥٦) . لذلك كان القومون موضع سخط السكان الوطنيين في انطاكية الذين كانوا يفضلون الحبر الارثوذكسي الذي ما لبث نفوذه أن تفوق على نفوذ نظيره اللاتيني الذي اضطر - بعد أن تزعزع مركزه - إلى الرحيل إلى أوربا تاركاً أحد القساوسة لينوب عنه (١٥٧) . وهكذا ترك غياب الأمير والبطريرك الميدان خالياً أمام صراعات الطوائف المختلفة في انطاكية ، ومؤامرات السكان الشرقيين الذين كانوا يكتنون العداء للعنصر اللاتيني ، وأصبحت انطاكية معرضة للسقوط في أيدي المسلمين . ولما كانت علاقة بوهيمنند الخامس بجماعة الاسبتارية استمراراً للشقاق الدائم بين أمراء انطاكية وهذه الجماعة منذ عهد بوهيمنند الرابع ، ولم تتحسن بالرغم من اتفاق الطرفين في ١٢٥٦م / ٦٥٤هـ (١٥٨) ، فلم يتوان بوهيمنند عن انتهاز

E. Rey, Histoire des Princes d'Antioche, p. 401. (١٥٥)

(١٥٦) مات البطريرك البيزنطي لانطاكية سمعان في ١٢٣٩م وتولى بعده

البطريركية اليوناني داود (١٢٤٥ - ١٢٥٨م) وجاء إلى

انطاكية وأقام بها . ثم خلفه البطريرك ايوثيمويوس

Euthymius (١٢٥٨ - ١٢٧٤م) . وبينما خضع داود للبابا

الروماني ، فقد رفض ايوثيمويوس ذلك فأوقع به أوبيزو بطريرك

انطاكية قرار الحرمان من الكنيسة بناء على أوامر البابا

انوسنت الرابع ، إلا أنه بعد خضوع انطاكية للمغول ، عاد

ايوثاموس إلى انطاكية بناء على رغبة هولاكو . فذهب البطريرك

أوبيزو إلى روما ولم يعد إلى انطاكية . انظر :

E. Rey, Histoire des Princes d'Antioche, p. 401; B. Hamilton,

Latin Church, p. 325; Chahen, La Syrie du Nord, p. 685.

(١٥٧) أناب عنه كلا من بارثلميو Bartholomew الذي أصبح أسقفاً

لأنطربطوس (١٢٧٢م - ١٢٩٢م) ثم كريستيان الدومنيكاني

الذي قتله بيبيرس عندما فتح انطاكية في ١٢٦٨م . انظر : جوزيف

نسليم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام (هزيمة لويس

التاسع في الاراضي المقدسة) ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ٣٠٦ .

(١٥٨) طلب الاسبتارية من بوهيمنند الخامس في ١٢٥٦م التخلي عن كل

المطالب التي أثارها هو وكل أسلافه ولم يستمر هذا الاتفاق .

وصادر الأمير ممتلكات الجماعة ، وفي ١٢٥٩م وقع الطرفان

على معاهدة تصالح بينهما ووعد الأمير بأن يعيد للاسبتارية كل

ما صادره من قرى وأراضي ، ومنحهم حرية التجارة المطلقة =

فرصة وجود الملك لويس في بلاد الشام ليطلب مساعدته التي تعتبر من الانجازات الهامة للملك الفرنسي (١٥٩) . وفي الحقيقية فقد جمعت حملة الصليبية السابعة بين سمات كل الحملات الصليبية السابقة لها . فاذا كان سقوط الرها في أيدي عماد الدين زنكي في ١٢٤٤م/٥٣٩هـ ، ثم سقوط بيت المقدس في أيدي صلاح الدين في ١١٨٧م/٥٨٣هـ ، قد دفع بغرب أوروبا الى ارسال الحملتين الثانية والثالثة على التوالي ، فان سقوط بيت المقدس للمرة الثانية على أيدي الخوارزمية في ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ، قد جعل أوروبا تسارع بايفاد الحملة السابعة كرد فعل لاستغاثة الشرق اللاتيني (١٦٠) . كما ضمت حملة لويس صليبيين من مختلف بلدان

= دون تحصيل أية رسوم على سلعهم في كل أملاكه وأن يلجأ الطرفان الى التحكيم في مسألة الضرائب الجمركية التي كانت الجماعة تطالب بها في انطاكية . انظر :

Inventaire de Pièces de L'ordre de L'Hopital, ed. J. Delaville
Leroux, R.O.L., Vol. III, 1895, no. 305, p 94

Jean Richard, *Saint Louis, roi d'un France Feudale Soutien* (١٥٩)
de La Terre Sainte, Fayard, 1983, p. 250.

(١٦٠) في نوفمبر ١٢٤٤م ، أي بعد موقعة غزة واندحار الصليبيين على أيدي الخوارزمية ، بعث روبرت أوف نانتيس بطيريك بيت المقدس (١٢٤٠ - ١٢٥٤) بأسقف بيروت جاليران Galerand (١٢٤٤ - ١٢٤٥) كمندوب عنه الى أمراء غرب أوروبا يطلب نجدتهم ، وسافر معه ألبرت دي ريزاتو بطيريك انطاكية اللاتيني (١٢٢٧ - ١٢٤٦م) . وقد حضر الاثنان مؤتمر ليون الكنسي (٢٨ يونيو - ١٧ يوليو ١٢٤٥م) بفرنسا الذي عقده البابا انوسنت الرابع بشأن اخضاع الامبراطور فريدريك الثاني ، وتعرض المؤتمر لأحوال الفرنج في بلاد الشام وأوضح جاليران النكبات التي تلاحقت باللاتين ، واعتداءات الخوارزمية عليهم . فاعلن البابا قيام حملة صليبية جديدة مانحا الغفران لكل من يشترك فيها بالرغم من رغبته السابقة في تجميع ما أمكنه من قوات لحربه ضد فريدريك انظر :

Matthew Paris, *Chronica Majora*, Vol. 4, pp; 430 ff; Ms. of
Rothelin, pp; 565-566; Jean de Joinville, *Chronicle of the
Crusade of St. Lewis*, ed. and trans by Frank Marziak,
London, 1965, 163.

راجع أيضا : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٤٨ - ٤٩ .

أوروبا (١٦١) . ومثل كل حملات القرن الثالث عشر الميلادي/القرن السابع الهجري ، فقد كانت مصر هي هدف الحملة الاساسي (١٦٢) . والظروف مهيأة لتحقيق هدف الحملة بسهولة لانقسام المسلمين في مصر والشام وتفرق كلمتهم (١٦٣) . الا أن هذه الحملة فقد اختلفت عن كل

(١٦١) الى جانب شقيقى الملك روبرت كونت أرتوا وشارل كونت أنجو وابنى عمه هيو دوق برجنديا وبطرس كونت بريتانى ، فقد اشترك في الحملة أمراء من كل أنحاء فرنسا وانجلترا واسكتلندا الى جانب جوانفيل مؤرخ الحملة وصديق الملك . وبالطبع لم يكن للامان أن يشتركوا في هذه الحملة والامبراطور فريدرىك محروما من الكنيسة ومناوئا للبابوية . انظر : Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 5, pp. 22-25; Joinville, pp. 163-166. H. Mayer, The Crusade, p. 251; B.Z. Kedar, The Passenger List of a Crusader Ship., 1250; in S.M., Vol. 13, p. 268.

(١٦٢) أقلع لويس من فرنسا في ٢٥ أغسطس ١٢٤٨م/٤ جماد أول ٦٤٦هـ وتبعه المشتركون في الحملة . ووصل أسطول الملك الى جزيرة قبرص في ١٧ سبتمبر ١٢٤٨م/٢٧ جماد أول ٦٤٦هـ . وبعد عقد مجلس للتشاور حضره مقدمو الداوية والاسبتارية في عكا ورسل بوهيمند وهيثوم الارمينى تقرر أن تكون مصر هي هدف الحملة . فهي مصدر القوة بثرائها وخصوبتها للعالم الاسلامى ، ومن المعروف أن سلاطينها على استعداد أن يتنازلوا عن بيت المقدس وربما فلسطين كلها في مقابل جلاء الحملات الصليبية عن مصر . انظر :

Joinville, pp. 167-171; CF. also, C-Cahen, Saint Louis et L'Islam, in J.A. 1970, p. 5.

(١٦٣) رفض الملك لويس رأى الداوية بأن يستفيد أثناء اقامته في قبرص من النزاعات التى نشأت بين الايوبيين في مصر وفي الشام وقرر مهاجمة مصر مباشرة . ففي ذلك الوقت كان الناصر يوسف الثانى ملك حلب قد استولى على حمص من ابن عمه الاشرف موسى في ١٢٤٨م/٦٤٦هـ فخرج الصالح أيوب من مصر الى دمشق وبعث بقواته بقيادة الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ لآخذ حمص من الحلبين فحاصرها فخر الدين طوال الشتاء . ولما علم الصالح أيوب أن الخطر الصليبي يتهدد مصر ، وافق على عقد الصلح مع الناصر يوسف الذى بقيت حمص له ، وكان الذى توسط في الصلح بين الطرفين هو الشيخ نجم الدين البادرائى رسول الخليفة العباسى المستعصم بالله (١٢٤٢ - ١٢٥٨م/٦٤٠ - =

ما سبقها من حملات صليبية أخرى في عدة أمور . . فقد تولى قيادتها ومستوليتها الملك لويس وحده (١٦٤) ، واتخذت طابعاً فرنسياً بحثاً (١٦٥) . وأخيراً ، بعد فشل الحملة في الاستيلاء على مصر (١٦٦) ،

= (٦٥٦ هـ) . وعاد الصالح أيوب إلى مصر ليحصن دمياط ضد الفرنج . ابن العميد : أخبار الأيوبيين ص ١٥٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٧٠ ، ٧٧٢ . راجع أيضاً : Joinville, p. 172.

(١٦٤) بالرغم من أن البابا انوسنت الرابع هو أول من دعا للحملة الصليبية وبالرغم من أن الملك لويس كان يعرف بمكانة رجال الدين وكان من مبادئه أن القارس وأن كان ملكاً فإنه أقل درجة من الكاهن ، إلا أنه في حملته ، فإن وجود رجال الدين فيها كان لاقامة الصلوات فقط ، وأصبح لويس بمبادئه وحفاظه على التقاليد المسيحية التي بثها في أوروبا البابا جريجوري الأول ، فإنه أصبح البطل الوحيد للمشروع الصليبي . انظر :

Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 6, pp. 102, 172. P.A,

Throop, Criticism of Papal Crusade Policy in old French and provençal, in speculum, Vol. 13, p. 384; E. Delaruelle,

L'Idée de Croisade Au Moyen Age, Torino, 1980, p. 245.

(١٦٥) لم يكن غير لويس التاسع من ملوك أوروبا مستعداً للقيام بالحملة الصليبية . فبينما كان هنري الثالث ملك إنجلترا مشغولاً في قمع تمرد كونتاته ، وبينما كانت البابوية والامبراطور فريديريك يشغلان ألمانيا وكل إيطاليا بخلافاتهما وحربهما ضد بعضهما البعض ، جاء نذر لويس بالقيام بحملة صليبية ، إذا ما شفى من مرض الحمى الذي أصابه في نهاية عام ١٢٤٤م ، مزامناً لدعوة البابا للقيام بحملة لانقاذ الكيان الصليبي في الشرق . ولأنفراد لويس بقيادة الحملة ، ولكون غالبية المشتركين فيها فرنسيين ، فقد غلب عليها الطابع الفرنسي البحث . انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٥٣ ، راجع أيضاً :

Join Ville, p. 163. Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 4,

p. 397. CF. also, Jean Richard, La Politique Orientale de

Saint Louis, La Croisade de 1284, Paris, 1976, p. 197.

(١٦٦) أمضى لويس في قبرص ثمانية أشهر (سبتمبر ١٢٤٨ - مايو ١٢٤٩م / جمادى الأولى ٦٤٧ - صفر ٦٤٧ هـ) ووصلت الحملة إلى دمياط في ٥ يونيو ١٢٤٩م / ٢١ صفر ٦٤٧ هـ ، واستولى الفرنج على دمياط في ٦ يونيو ١٢٤٩م / ٢٢ صفر ٦٤٧ هـ - =

وعلى العكس من كل الزعماء الصليبيين السابقين - ماعدا قادة الحملة الاولى - الذين اضطروا بمجرد انتهاء حملاتهم - سواء بالنجاح أو بالفشل - الى العودة الى غرب أوروبا ، فان الملك لويس قد قرر البقاء في الشرق (١٦٧) . وبقي في بلاد الشام لمدة أربع سنوات (١٢٥٠ - ١٢٥٤م / ٦٤٨ - ٦٥٢هـ) ليس أملا منه في تولي حكم مملكة بيت المقدس ، ولا لفرض سيادته على بارونات الشرق الفرنجي ، وإنما نتيجة للسماح التي اتصف بها والتي كانت تتميز بها شخصيته التي لم يعهد الصليبيون في أوروبا أو الشرق اللاتيني مثلها منذ وفاة صلاح الدين الايوبي (١٦٨) . فقد شعر لويس بأن الهزيمة في مصر كانت غلطته هو ، وأن عليه أن يكفر عن تلك الغلطة (١٦٩) . وقام خلال مدة اقامته في بلاد الشام بعدة أعمال تعد تعويضا بسيطا للفرنج عن فشل حملته في مصر . فالى جانب قيامه بتحسين المعاقل الصليبية في فلسطين مثل عكا وحيفا

=
لهروب المدافعين عنها بعد اعتقالهم في موت الصالح أيوب (مات في ٢٣ نوفمبر ١٢٤٩م / ١٥ شعبان ٦٤٧هـ) ثم زحف الفرنج على القاهرة الا أن الفشل كان نصيب الحملة كلها . ويرجع ذلك الى عدة أسباب أهمها هزيمة قوات روبرت كونت أرتوا في المنصورة ، وانتشار المرض بين قوات لويس الى جانب تولي المماليك بقيادة بيبرس البندقداري أمور الدفاع عن المنصورة ، وأخيرا حماسة المسلمين في القتال . وانتهى الامر بأسر الملك لويس الذي اضطر الى قبول الصلح مع المسلمين والتوجه الى عكا بعد أن أسر المسلمون الكثير من الفرنج . وقد أورد الدكتور جوزيف نسيم تفصيلا لكل هذه الاحداث في كتابه عن حملة لويس على مصر يعد تاريخا شاملا لهذه الحملة . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على مصر وهزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور ، الاسكندرية ١٩٨٤م . صفحات متفرقة ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٥٨ وما بعدها .

(١٦٧) رحل لويس من مصر الى عكا في ٨ مايو ١٢٥٠م / ٤ صفر ٦٤٨هـ انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على مصر ، الملحق الرابع (جدول تواريخ الحملة) ص ٣٢٦ .

(١٦٨) E. Dalaruelle, L'Idée de Croisade Au Moyen Age, p. 253.

(١٦٩) على الاقل بتحرير الاسرى الفرنج الذين تركهم في مصر وكان يشعر بمسئوليته عنهم . انظر :

Join Ville, p. 240 Jean Richard, La Politique Orientale, p. 206.

وقيسارية ويافا (١٧٠) ، فانه حاول تدعيم موقف الصليبيين بدبلوماسيته
الفائقة (١٧١) مستغلا الانقسام الذى دب بين المماليك فى مصر والايوبيين
فى بلاد الشام ، لتحقيق مكاسب للفرنج على حساب المسلمين (١٧٢) كما

(١٧٠) جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ،
ص ٣٠٠ وما بعدها .

(١٧١) C. Cahen, Saint Louis et L'Islam, p. 7, Jean Richard, La
Politique Orientale de Saint Louis, p. 207.

(١٧٢) تولت شجر الدر زوج الصالح أيوب مقاليد الامور فى مصر بعد
أن أخفت نبأ موته عن الجيش الذى كان يقا تل قوات الملك
لويس ، حتى تولى ابنه المعظم تورانشاه حاكم حصن كيفا
الحكم بعد أبيه . الا أن العلاقات بين تورانشاه وزوج أبيه
ومماليكه لم تكن على ما يرام ، فقام المماليك بقتله فى مايو
١٢٥٠م/صفر ٦٤٨هـ لينتهى حكم بنى أيوب فى مصر . وتزوجت
شجر الدر من الامير عز الدين أيبك التركمانى قائد العسكر
وأصبح سلطانا لمصر فى يولييه/ربيع ثان من نفس العام ، ليبدأ
بحكمه عهد الدولة المملوكية فى مصر ، الامر الذى لم يرض عنه
الايوبيون فى بلاد الشام بزعامه الناصر داود صاحب حلب الذى
استولى على دمشق ، ورفض الخضوع للمماليك . واستولى
المماليك على غزة فى أكتوبر/رجب من نفس السنة وتمكنوا من
رد الهجوم الايوبى على مصر وهزموا الايوبيين فى موقعة
العباسة فى ٢ فبراير ١٢٥١م/٩ ذى القعدة ٦٤٨هـ . وحاول
الملك لويس أن يحقق مكاسب على حساب المسلمين المتنافرين .
واستغل محاولة الناصر داود وعز الدين أيبك التحالف معه كل
ضد الآخر واستطاع أن يعقد معاهدة مع المماليك فى مايو
١٢٥١م/صفر ٦٤٩هـ ، على أن يسلموه كل أسرى الفرنج فى مصر
منذ موقعة غزة ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ، ويسلموا بيت المقدس للفرنج
مقابل تعهده بمشاركتهم فى حملتهم ضد الايوبيين . الا أن توسط
ال خليفة العباسى المستعصم بالله ، وعقد الصلح بين مسلمى مصر
والشام قد أضاع الفرصة على لويس . لمزيد من التفاصيل انظر :
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٦ ، ص ٣٦٤ - ٣٧٥ ، ج ٧ ،
ص ١ - ١٠ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٣٤٧
٣٨٥ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٥٩ - ١٦٤ ، سبط
ابن الجوزى : مرآة الزمان : ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٧٥ - ٧٨٩ .
راجع أيضا : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد
الشام ، ص ١٣٩ - ١٨٧ ، انظر أيضا :

Joinville, Passim; Rotelin, pp. 624-28.

حاول استمالة خصومهم من الحشيشية (١٧٣) والمغول (١٧٤) . وفازت انطاكية بنصيب وافر من جهود الملك الصليبي ، الامر الذي ساعد على استقرار الامور فيها . فالى جانب ارساله بالامدادات العسكرية الى بوهيمند الخامس من قبرص (١٧٥) ، فان وجود الملك نفسه في بلاد الشام وسياسته الدبلوماسية تجاه المماليك في مصر والايوبيين في دمشق قد جعلت الاخيرين ينشغلون - مثل المماليك - في السعى الى كسب ود الملك أحدهما دون الآخر . فكان لانطاكية أن تنعم بالسلام طالما كان لويس موجودا في الشرق (١٧٦) . الى جانب ذلك فقد كان للويس مساع ذات نتائج مباشرة في استقرار الامور في اماره انطاكية . ففي عام ١٢٥٢م/٦٥٠هـ بلغ بوهيمند السادس الخامسة عشرة من عمره ، وكان من حقه أن يتولى الحكم في انطاكية حسب قوانين الامارة (١٧٧) ويتخلص من وصاية أمه ، فاستغل وجود لويس في يافا (١٧٨) ورافق أمه

(١٧٣) بعث شيخ الحشيشية في الشام بمندوبه الى الملك لويس حين قدم من مصر الى عكا طالبا منه أن يدفع ثمن حياد الحشيشية بين لويس والمسلمين وسلامة الملك نفسه كما فعل فريدريك الثاني ، وكما يفعل المسلمون . الا أن الملك الصليبي لم يخضع لهذا التهديد وطلب من رسل الحشيشية العودة اليه بعد خمسة عشر يوما بعد أن عنفهم قادة الداوية والاستتارية على تهجمهم على الملك . وعاد الرسل الى لويس بكثير من الهدايا من رئيسهم ، وردهم الملك بمثلها مع رسوله . ولم يعف الملك الحشيشية من الجزية التي كانوا يدفعونها للاستتارية كما طلبوا منه عند زيارتهم الاولى . انظر : Joinville, pp. 248-251.

- (١٧٤) انظر ما يتقدم من الفصل الخامس ، ص ٤٢٦ وما بعدها .
(١٧٥) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٣٧٦ .
(١٧٦) في الحقيقة لم يعد لهدنة لويس مع المماليك (لمدة عشر سنوات) في مايو ١٢٥٢م بعد تصالح الاخيرين مع الايوبيين بعد توسط الخليفة العباسي بين الطرفين أي معنى . ولم يجبر المسلمين والصليبيين على عقد الهدنة لمدة عشر سنوات في ١٢٥٦م/٦٥٤هـ سوى وصول الخطر المغولي من حدود العراق ، الامر الذي أجبر الايوبيين والمماليك على التصالح فيما بينهما أيضا . انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٥٩ . راجع أيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١١٠٤ - ١١٠٥ .
(١٧٧) Innocent IV, Pope, Register, Vol. 3, no. 6070, p. 126.
(١٧٨) أقام لويس في يافا من مايو ١٢٥٠ الى نهاية يونية ١٢٥٣ . =

في زيارتها للملك . ولما كان بوهيمند يتسم بالذكاء والنشاط كما لاحظ جوانفيل نفسه ، فقد نصبه الملك فارسا وسط التكريم وفي احتفال مهيب (١٧٩) . وما أن حصل على لقب فارس حتى فاتح الملك بشأن توليه أمور الحكم في انطاكية مبينا له ما تتعرض له امارته من ضعف وانهيال تحت وصاية أمه وبسبب بقائها في طرابلس واهمالها شئون انطاكية قائلا له كما أورد جوانفيل « يا سيدى ، صحيح أن لوالدتي الحق أن تبقينى تحت وصايتها أربع سنوات أخرى ، ولكن ليس من الحكمة أن تترك أراضى تضيع وتنهار ، اننى انما قول ذلك يا سيدى لأن مدينة انطاكية في طريقها الى الانهيار على يديها ، لذا ألتمس من مولاي أن يحثها على امدادى بالمال اللازم كي أستطيع الذهاب لانقاذ شعبي الموجود هناك ومساعدته » (١٨٠) . وبين بوهيمند للملك أن بقاءه مع أمه في طرابلس لن يعود بالنفع عليه أو على أملاكه ، بل سيتطلب نفقات باهظة وستضيع الاموال دون طائل (١٨١) . ومن الواضح أن الملك قد تأثر ببرصانة الامير الصغير وشجاعته السابقة لأوانها فأمر الاميرة الام بان تنفذ مطالب ابنها . وبينما بقيت هى في طرابلس ، فقد توجه بوهيمند الى انطاكية مزودا بالاموال والاسلحة اللازمة لوضع المدينة في حالة دفاع . ولم ينس فضل الملك الذى نصبه فارسا فأضاف الشعار الفرنسى الى شعار انطاكية ، كما بدأ في استخدام أسلحة على نمط الاسلحة الفرنسية (١٨٢) . وفي

= انظر :

Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 514.

(١٧٩) « لم يسبق لى أن قابلت صبيا في مثل عقله وذكائه » .

Joinville, p. 266. Ann. T.S., p 267

راجع أيضا : جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٣٠٧ .

Joinville, p. 266.

(١٨٠)

Joinville, p. 267.

(١٨١)

(١٨٢) كان شعار فرنسا في ذلك الوقت هو العلم الخاص بدير القديس

دنيس St. Denis ولونه أحمر ، وهو مشقوق من جانبه الطليق

ليبدو كالأسنّة النار عندما يرفرف . وكان في أول الامر شعارا

لرجال الدير ثم أصبح شعارا للملوك فرنسا منذ عهد فيليب

أغسطس وابنه لويس الثامن ، بعد ضم مقاطعتي بنتواز ومننت

الى الدومين الملكى . كما توجد قطع نقدية ضربها بوهيمند

السادس من الذهب والفضة عليها شعار الملك الفرنسى . « المسيح =

مايو/نوفمبر ١٢٥٢م صدق البابا أنوسنت الرابع (١٢٤٣ - ١٢٥٤م) على قرار الموافقة على تولى بوهيمند الحكم في الامارة في سن الخامسة عشرة ، خاصة وأن امرأة - والدته - لا يمكنها القيام بأعباء امارة انطاكية وكونتية طرابلس معا ، أو القيام بالواجبات العسكرية الخاصة بالدفاع عن انطاكية ضد المسلمين (١٨٣) . وهكذا تخلص بوهيمند من وصاية أمه ، وخطيت انطاكية بوجود أميرها فيها ليرعى شئونها . ومن جهود الملك لويس لمساعدة أمراء انطاكية والتي جنى ثمارها بوهيمند السادس هو مساعى الملك الفرنسى لانهاء الخلاف بين بوهيمند الخامس وهيثوم الاول ملك الارمن القليلقى . فحين وصلته رسل بوهيمند وهيثوم في قبرص قبل هجومه على مصر ، فقد توسط الملك لعقد الصلح بين الأمير الصليبي والملك الارمينى ، وتحسنت العلاقات بين الطرفين (١٨٤) . وبعودة بوهيمند السادس الى انطاكية عمل على التقارب مع هيثوم ، وتوثقت عرى الصداقة بزواج بوهيمند السادس من سيبيل Sibylle ابنة هيثوم في سبتمبر ١٢٥٤م/شعبان ٦٥٠هـ أى بعد مغادرة لويس لبلاد الشام بعدة أشهر (١٨٥) . وكان هذا الزواج بداية تحالف انطاكي أرمني راح يقوى على مرالايام (١٨٦) . وكان الفضل في أن يحل الوئام بين الأرمن

يقهر ، المسيح يحكم ، المسيح يهيمن «

«Christus Vincit Christus regnat, Christas imperat»

وهو الهتاف الذى صيح به أول مرة عند تتويج شارلمان امبراطورا في ٨٠٠م والذى اعتيد الصياح به عن تتويج الملوك في أوربا بعد ذلك . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٣٠٩ ، حاشية رقم ٢ . راجع أيضا :

Shulmberger, Numismatic des croisades, p. 54; C. Jordan, Louis

IX and the Challenge of The Crusades; pp. 132-133; H.

Thurston, Acclamations, in The Catholic Encyclopaedia,

Vol. 1, pp. 97-99.

Innocent IV, Pope, Registers, Vol. 3, no. 507, p. 126. (١٨٣)

Vincent de Beauvais, Speculum Historiale, Lib. XXXI, Ch. (١٨٤)

96; Marino Sanudo, Liber secretorum, p. 220.

(١٨٥) وتزوجت ابنة أخرى لهيثوم من باليان حاكم صيدا في عام

١٢٥٦م . انظر :

Eracles, p. 412, Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 242.

Cahen, La Syrie du Nord, p. 702.

(١٨٦)

وصليبيى انطاكية الى الملك لويس الذى كانت له المبادرة فى قيام هذه العلاقة الجديدة التى أفادت انطاكية كثيرا . فقد توسط هيثوم لانهاء كل الخلافات القديمة بين جماعة الاسبتارية وامارة انطاكية ، وقبل بوهيمند عقد صلح كامل مع هيو ريفل «Hague Revel» مقدم الاسبتارية (١٨٧) ، أعاد بوهيمند بمقتضاه كل الاراضى التى استولى عليها أمراء انطاكية من الجماعة منذ عهد بوهيمند الرابع ، وذلك فى ابريل ١٢٥٩م/جماد أول ٦٧٥هـ (١٨٨) . كما توسط هيثوم بين بوهيمند السادس وأتباعه الثائرين ضده فى طرابلس لانهاء الخلاف بين الطرفين ولتحقيق خضوع هؤلاء للامير الانطاكى (١٨٩) . وفى ١٢٦٣م/٦٦١هـ ساعد هيثوم صهره بوهيمند فى التخلص من التهديد باغرة انطاكية (١٩٠) . وأهم من كل ذلك فقد أدخل هيثوم امارة انطاكية وبوهيمند فى التحالف مع المغول الامر الذى - وان جعل من انطاكية هدف المسلمين وعجل بنهايتها - أفاد انطاكية فى استرداد بعض أملاكها التى ضاعت منها منذ أيام صلاح الدين (١٩١) .

(١٨٧) تم هذا الصلح فى عام ١٢٥٩م بفضل مساعى هيثوم الاول ، وقد تولى هيوريفل منصب مقدما لاسبتارية (١٩ أكتوبر ١٢٥٨ - ١١ ابريل ١٢٧٧م) بعد وليم دى شاتينوف (٣١ مايو ١٢٤٣ - ٢٠ فبراير ١٢٥٨م) . انظر :

Grousset, *Historie des Croisades*, t. 3, p. 516; Delaville Le Roulx *Les Hospitaliers*, p. 214.

(١٨٨) وقع الطرفان على معاهدة تصالح بينهما ووعد بوهيمند بأن يعيد الى الاسبتارية كل ما كان قد صادره من قرى وأراضى ، ومنحهم حرية التجارة دون تحصيل أية رسوم على تجارتهم فى كل أنحاء أملاكه . واتفق الطرفان على اللجوء الى التحكيم فى مسألة الضرائب الجمركية والاعفاء منها فى انطاكية . انظر : *Inventaire des pièces de Terre Saint de L'Ordre de L'Hopital*, ed. J. Delaville Le Roux, in *R.O.L.*, Vol 3, 1895, no 313, p. 95.

(١٨٩) عن هذه الخلافات انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٤٠١ وما بعدها .

(١٩٠) خلف يوثبيوس بطريرك انطاكية اليونانى ، ونقل الى أرمينيا باتفاق بين بوهيمند وهيثوم انظر :

Runciman, Vol. 3, p. 319.

(١٩١) لم يكن هجوم المماليك على انطاكية بعد انتصارهم فى عين جالوت =

وهكذا فان التحالف الوثيق بين بلاطى انطاكية وسيس ، وتكوين كتلة فرنجية - أرمينية على خليج الاسكندرونة يعد أخطر العقبات التى يمكن أن تواجه المسلمين . وكان ذلك من الاعمال التى دامت لسنوات طويلة والتى تعزى الى لويس التاسع .

واذا كانت مساعدات لويس لانطاكية تعد من أهم انجازاته تأثيرا بالنسبة لصليبيى الشام ، واذا كان بوهيمند الخامس لكل الاسباب التى دفعته من قبل الى مسالة المسلمين - وربما لأنه لم يعيش طويلا - لم يستغل فرصة حصوله على الامدادات الفرنسية فى القيام بعمل ضد المسلمين ، فان بوهيمند السادس لم يأت بجديد . فالى جانب عدم قيامه بأى عمل عسكرى ضدالمسلمين ، فان موقفه تجاه حملة لويس لم يتغير عن موقف أسلافه منذ بوهيمند الثالث . فهو - بوهيمند السادس - قد استفاد من وجود الملك الفرنسى فى بلاد الشام . فتمكن من التخلص من وصاية أمه ، وتولى الحكم فى امارته ، وحصل على الاسلحة والاموال اللازمة لتقويتها الى جانب وجود القوات الفرنسية لديه ، وأخيرا تحسن العلاقات بينه وبين الارمن . وبالطبع لم تكن حملة لويس فى حاجة الى مساندة أمير انطاكية . فعندما وصلت الحملة الى مصر لم يكن بوهيمند يمتلك من أمره شيئا وهو تحت وصاية أمه . الى جانب استمرار الغارات التركمانية على انطاكية ، بينما كان مسلمو حلب تحت حماية المغول الذين اقترب خطرهم (١٩٢) . وفى الوقت الذى لم يتمكن فيه بوهيمند من أن يحيد عن سياسة أبيه السلمية تجاه المسلمين من جيران انطاكية ، فان من حسن حظه أن المسلمين أنفسهم قد انشغلوا فى الخلافات التى نشبت بين الناصر صاحب حلب ودمشق ، وبين المماليك فى مصر . ولذلك كله بدا أن قبائل التركمان الرحل هم الذين تولوا مهمة الصراع ضد الصليبيين فى شمال الشام نيابة عن بنى أيوب حتى يأتى الوقت الذى يتولى فيه المماليك المهمة التى لم يتحمل القيام بها غيرهم منذ موت صلاح الدين .

= سوى انتقاما من بوهيمند لتحالفه مع التتار ، ذلك التحالف الذى جره اليه صهره ملك قيليقية الارمينى هيثوم الاول . انظر ما يتقدم من الفصل الخامس ، ص ٤١٤ .
(١٩٢) انظر ما يتقدم من الفصل الخامس ، ص ٤١٤ .

لم تكن قدسية لويس التاسع وورعه ، أو حتى إعادة بناء بعض استحكامات المدن الصليبية التي قام بها ، هي ما كان يحتاجه الصليبيون ، بقدر ما كانوا في حاجة الى ملك يرعى شئونهم ويوحد كلمتهم . وفي الحقيقة فقد قام لويس ، دون قصد ، بدور الحاكم الفعلي «de Facto» لمملكة بيت المقدس - برضاء كل الفرنج الذين أنكروا ذلك المنصب على الامبراطور فريدريك من قبل - في غياب حاكمها الشرعي «de Jure» . (١٩٣) فكانت للملك لويس السيادة على كل طوائف الفرنج (١٩٤) . لذا لم يشذ عن السياسة التي اختطها الملك أي من حكام الصليبيين في بلاد الشام ، وصارت الامور طوال فترة وجود لويس في الشرق وكان الصليبيين جميعا شعب واحد في مملكة مغايرة تماما عن تلك التي تركها فريدريك عند رحيله من عكا الى أوربا (١٩٥) . الا أن حملة لويس التاسع ، فبقدر ما قدمت لنا الكثير عن شخصية الملك الذي يبدأ

(١٩٣) مات هنري الاول ملك قبرص في يناير ١٢٥٣م وأصبحت زوجته بليزانس وصية على المملكة وابنها الملك الطفل هيو الثاني . ولما لم تحضر الى عكا ، فلم يعترف بارونات مملكة بيت المقدس بوصايتها على المملكة نيابة عن ابنها الذي يلي كونراد الثاني ملك ألمانيا في حق وراثته المملكة ، فقد تولى حنا ابلين حاكم أرسوف أمور المملكة ، بينما تولى الملك لويس الادارة الفعلية للحكومة . انظر :

Eracles, pp. 441-442; J. Riley-Smith, The Feudal Nobility, p. 216, Hill, History of Cyprus, Vol. 2, p. 149.

(١٩٤) خضع له بوهيمند أمير انطاكية كسيد أعلى له ، عندما نصبه لويس فارسا في يافا . ثم خضع له مقدم الداوية وقبل العقوبة التي وقعها عليه الملك حين تفاوض مع الناصر داود بشأن قطعة أرض كان الداوية يستخدمونها دون مناصفتها مع الناصر . وكان ذلك يمثل علاقة بالفرنج مع ملك دمشق في الوقت الذي اتفق فيه لويس مع المماليك ضد الأخير . ورأى لويس في ذلك تعديا على سلطاته فأمر بنفى مارشال الداوية من المملكة ولم تشفع له توسلات الملكة مارجريت زوجة لويس ولا حتى ركوع فرسان الداوية ومقدمهم وهم حفاة أمام الملك ، انظر :

Joinville, pp. 263-264.

Jean Richard, Saint Louis, Roi d'un France Féodale, Soutien (١٩٥) de la terre Sainte, p. 254.

به في أوروبا عهد جديد ، وسياسة جديدة (١٩٦) ، بقدر ما كانت مشروعا صليبيا فاشلا ، مثل الحملة الثانية ، وان كان أثر الصدمة الناجمة عن فشل حملة لويس قد امتد الى غرب أوروبا (١٩٧) . واذا كانت آثار فشل الحملة على أوروبا معنوية ، فانها بالنسبة لمملكة بيت المقدس كانت مادية ذات ضرر بالغ ، فقد خسر الفرنج الكثير من المقاتلين (١٩٨) . كما ان دبلوماسية لويس لم تحقق شيئا بالنسبة لصليبي فلسطين . فقد جعل توسط الخليفة العباسي بين الايوبيين في دمشق والمماليك في مصر محاولة لويس للانتفاع بالخلاف بين هؤلاء وتحالفه مع المماليك حبرا على ورق (١٩٩) . ولم يسترد الملك بيت المقدس ، كما لم يكن اتصاله بالحشيشية ذات نفع ، وأخيرا فشلت اتصالاته بالمغول أعداء الاسلام . لذلك كانت مساعداته لانطاكية الى جانب أعمال التحصينات التي قام بها في بعض مدن مملكة بيت المقدس هي أهم انجازات حملته . الا ان هذه التحصينات لم توحد كلمة الفرنج ، فبرحيل الملك الفرنسي ، ولافتقار من تولوا أمور المملكة الصليبية الى قوة الشخصية ، فقد عادت الفرقة الى صفوف الفرنج ، ودب الخلاف بين كل طوائفهم . وعاد الصليبيون يتناسون الهدف من قدومهم الى الشرق الاسلامي ، وثبت حقا أن الرحلة من أجل « المدينة المقدسة » « Sancta Cuitas » (٢٠٠) لم تكن الا مشروعا خاصا بكنيسة روما وحدها ، بينما أصبحت هذه

(١٩٦) تغيرت الاوضاع في غرب أوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي / القرن السابع الهجري عن القرن السابق له ، ففي منتصف القرن الثالث عشر كانت النهضة الاوربية الوسيطة قد أخذت تأتي أكلها ، وأدت بالمجتمع الغربي الى التفكير في آمال جديدة ومثل جديدة ، وأهداف جديدة أو حياة جديدة . انظر : سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ج ٢ ، ص ٢١٩ .

(١٩٧) كان التساؤل الذي ساد أوروبا في ذلك الوقت هو «كيف تفشل حملة يقودها قديس مثل الملك لويس » وكان من الضروري البحث عن كبش فداء لهذا الفشل . وتمثل ذلك في الكنيسة ورجال الدين الذين دعوا لهذه الحملة . انظر :

P.A. Throop, Criticism of Papal Crusading policiy, pp. 400-404.

Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, p. (١٩٨)

Jean Richard, La Poltique Orientale des saint Louis, p. 206. (١٩٩)

Oridric Vitalis, Historia Ecclesiastica, Vol. 5, p. 6. (٢٠٠)

هذه الرحلة من أجل المصالح التجارية التي أذهبت ريح الفرنج بسبب الحرب الاهلية التي بدأت بين جاليات المدن الايطالية البحرية في عكا ، وشملت طوائف الفرنج من انطاكية شمالا حتى يافا جنوبا . وفي الحقيقة لم تكن تلك الحرب الاهلية وليدة الساعة ، بل انها ترجع الى بداية القرن الثالث عشر الميلادي اوائل القرن السابع الهجرى . فاذا كانت الموانى الاسلامية في بلاد الشام ومصر لم تجذب اليها قبل بدء الحركة الصليبية من تجار اوربا غير تجار مدينة أمالفي الذين كانوا يقومون بتنظيم عمليات الحج الى الاراضى المقدسة ، فان الحروب الصليبية قد فتحت أسواقا رائجة في الشرق الاسلامى أمام تجار بيزا وجنوا والبندقية . وفي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي أواسط القرن السابع الهجرى ، كان الرخاء التجارى للجاليات الايطالية في الشرق قد وصل الى أقصى درجاته . فسنوات السلام بين المسلمين والصليبيين التي سبقت عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ قد سمحت بنمو العمليات التجارية بين الشرق والغرب (٢٠١) . وفي نفس الوقت أيضا كانت الامتيازات التي حصلت عليها الجاليات الايطالية - المتحكمة في تجارة الشرق - من الحكام الصليبيين قد زادت بدرجة من لم يكن من السهل معها أن يكون للملك بيت المقدس أنفسهم أية سلطة على قومونات هذه الجاليات الايطالية والبروفنسالية والقطلانية . وبتعدد جنسيات التجار الاوربيين في المدن الساحلية التي يسيطر عليها الصليبيون ، ولتمييز الميدان التجارى بشدة المنافسة ، فقد كان لابد وأن تتعارض المصالح ، وتنشأ المنازعات ، ولم يكن من السهل التدخل لفض هذه المنازعات للحكم فيها ، لضعف شخصية الاوصياء على مملكة بيت المقدس من جهة ، ولازدياد نفوذ

Jean Richard Colonies marchandes Privilégies et march (٢٠١) Seigneurial, in Moyen Age, Vol. 59, 1935, pp. 325-340; J. Riley-Smith, Government in Latin Syria and the commercial Privileges of foreign merchants, in Relations between East and West in Middle Ages, ed. Baker, Edinburgh, 1973, pp. 116-118; Cahen, Notes Sur L'Histoire des Croisades III, In B. F.L.S., Vol 8, 1951, p 328

وسلطات قناصل وقومونات الجاليات التجارية من جهة أخرى (٢٠٢) .
 وكان النزاع قد بدأ بين البيزاوية والجنوية في مارس ١٢٤٩م/ذى الحجة
 ٦٤٦هـ (٢٠٣) . وفي ١٢٥٠م/٦٤٨هـ نشب القتال بين الجنوية
 والبنادقة (٢٠٤) . وفي ١٢٥٦م/٦٥٤هـ تجدد النزاع بين الجنوية والبنادقة
 مرة أخرى في عكا حول ملكية دير القديس سابا St. Saba الواقع
 على التل الذي يفصل بين حي الجنوية وحي البنادقة في المدينة . وادعى
 كل من الطرفين أحقيته في امتلاك الدير بناء على قرار من البابا الكسندر
 الرابع (٢٠٥) . وسارع الجنوية بتملك الدير واندفعوا بمصاحبة البيزاوية
 الذين تاحلفوا معهم الى حي البنادقة وسفنهم ونهبوها جميعا (٢٠٦) .
 وسرعان ما تحول هذا الشجار الى حرب أهلية شملت كل بارونات الشرق
 الفرنجي . فتدخل فيليب مونتفورت حاكم صور لصالح الجنوية منتهزا
 الفرصة لطرد البنادقة من مدينته التي يستحوذون على ثلثها . كما
 تحالف الجنوية مع حنا ابلين حاكم أرسوف والوصى على مملكة بيت
 المقدس ، الذي كان ابن عمه حنا سيد يافا سيساند البيزاوية ، وبمساعدة
 سيد أرسوف هاجم الجنوية برج البيزاوية في عكا ونهبوه لتحالف
 الاخيرين مع البنادقة (٢٠٧) . وكانت هذه هي آخر انتصارات الجنوية .

Jean Richard, The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. B, pp. (٢٠٢)
 356-357.

(٢٠٣)* اضطر لويس التاسع أن يؤجل من رحيله من قبرص الى مصر
 حتى شهر مايو من السنة بسبب ذلك النزاع الذي وقع في عكا
 بعد أن نجح حنا ابلين حاكم أرسوف في عقد الصلح بين الطرفين
 لمدة ثلاث سنوات . انظر : Eracles, pp. 436-437.

Annale Januenses, in M.G.H.S., Vol. XVIII, p 238 (٢٠٤)

Heyd, Histoire de Commerce, t. 1, pp. 244 ff. (٢٠٥)

Eracles, p. 443. (٢٠٦)

(٢٠٧) في ١٨ يوليو عام ١٢٥٧م/٤ رجب ٦٥٥هـ عقدت معاهدة بين

مدينتي بيزا والبندقية للدفاع المشترك ، وذلك بسبب النزاع

الذي قام بين بيزا وجنوا حول مدينة القديسة جيليا

«Santa Gilia» في جزيرة سردينيا . انظر :

Eracles, p. 443. CF. Also, Heyd, Histoire de Commerce, t. 1,
 p. 346.

فقد أرسلت البندقية أسطولاً بقيادة لورنزو تيبولو «Lorenzo Tiepolo» الذي اقتحم السلسلة التي مدها الجنوية لسد الميناء الداخلي ، واستطاع البنادقة السيطرة على الميناء ، وأحرقوا عدة سفن جنوية ، ونزلوا الى الرصيف واستولوا على دير القديس سابا الذي حوله الجنوية الى حصن لهم . وتمكن البنادقة من حرق عدة سفن للجنوية كانت راسية بالقرب من أرسوف ، وأصبحت عكا في متناول أيديهم بعد أن حوَصِرَ الجنوية في الحى الخاص بهم (٢٠٨) . وبنهاية عام ١٢٥٧م/نهاية ٦٥٥هـ كان كل حكام الشرق اللاتينى قد تورطوا في هذا النزاع (٢٠٩) . فلم يعد حنا سيد أرسوف يساند الجنوية ، وانضم الداوية والتوتون والبرفنساليون الى البنادقة والبيزاوية ، بينما ساند الاسبتارية والقطلانينون جانب الجنوية (٢١٠) . وفي ول فبراير ١٢٥٨م/٢٤ محرم ٦٥٦هـ وصل الصراع الى درجة لم يكن من السهل معها عقد أى صلح بين الطرفين ، وذلك بوصول بوهيمند السادس أمير انطاكية الى عكا ، بصحبة أخته بليزانس أرملة هنرى الاول ملك قبرص ، وابنها هيو الثانى وريث مملكة بيت المقدس . وحاول بوهيمند الحصول على اعتراف بحق ابن اخته في الحكم تحت وصاية أمه . وبالطبع قوبل طلبه بالرفض من قبل الجنوية وحلفائهم من الاسبتارية والقطلانين . وكان بوهيمند قد تم استدعاؤه بواسطة مقدم الداوية وكونت يافا - وكلاهما من مؤيدى البنادقة - لعقد الصلح ، وقد كان ذلك كافياً لتمسك الجنوية والاسبتارية بحق كونراد الثالث في حكم المملكة . ولما غضب بوهيمند لذلك التحدى ، عاد مع أخته الى طرابلس بعد أن فازت بالوصاية على المملكة . وأصدر بوهيمند تعليماته لنائب أخته - حنا حاكم أرسوف - بأنه « اذا لم يطلب الاسبتارية والجنوية والقطلانينون العفو ، فعليه - سيد أرسوف - أن يوقع عليهم أشد العقاب . وعليه ألا يدخر أموال الأمير - بوهيمند - لأنه لديه ما يكفي » وهكذا لم يفتح بوهيمند خزائنه فقط لهذا الغرض ،

Annales Januenses, p. 240; *Eracles*, p. 447; *Gestes des Chiprois*, (٢٠٨) pp. 742-748.

Jean Richard, *The Latin Kingdom of Jerusalem*, Vol. B., p. 365. (٢٠٩)

Runciman, *The Crusader states, 1243-1291*, in Setton, pp. (٢١٠) 568-569.

بل أنه أمد حننا بثمانمائة جندي فرنسي لدعم موقفه ضد الجنوية وحلفائهم (٢١١) . وفي يوليو ١٢٥٨م / ٣ رجب ٦٥٦هـ أصدر البابا الكسندر الرابع أوامره لأطراف النزاع بوقف القتال بينهم في خلال ثلاثة أيام ، وعقد هدنة مباشرة ، ووصل الى سوريا مندوب عن كل جالية لتنفيذ أوامر البابا . الا أن جنوا كانت قد أرسلت أسطولا في يونية من نفس العام حيث توجه الى صور ليصحب بقية السفن الجنوية الراسية هناك الى عكا ، بينما توجه عبر الطريق البري فيليب مونتفورت ودارت معركة بين الحلفاء وبين البنادقة في ٢٤ يونية ١٢٥٨م / ٢٠ جماد ثان ٦٥٦هـ ، انتهت بهزيمة الجنوية وفقدتهم لغالبية سفنهم وارتدادهم الى صور تاركين عكا نهائيا (٢١٢) . وهكذا انقسمت مملكة بيت المقدس الصليبية الى شطرين متعادين ، عكا ويسيطر عليها البنادقة ، وصور ويسيطر عليها الجنوية (٢١٣) . وفشلت مساعي توماس آجنى أسقف بيت لحم ، المندوب البابوي الذي وصل الى عكا في ابريل ١٢٥٩م / جمادى أول ٦٥٧هـ ، لفض النزاع بعد أن رفض كل من البنادقة والبيزاوية عودة الجنوية الى حيزهم في عكا (٢١٤) . ولم يعوض الجنوية خسارتهم في بلاد الشام سوى احتلالهم مكانة البنادقة في القسطنطينية التي استردها البيزنطيون في ٢٥ يولية ١٢٦١م / ٢٦ شعبان ٦٥٩هـ بمساعدة الجنوية الذين لم يكن يهمهم في صراعهم مع البنادقة أن تكون الخسارة على الجانبين - في بلاد اشام وفي بيزنطة - من نصيب الصليبيين (٢١٥) . وبالرغم من

(٢١١) MS. of Rothelin, pp. 634-635-Ann. T.S., pp 447-448 Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 220.

(٢١٢) Ann. T.S., pp. 448-449; Annales Januenses, p. 240; Eracles, p. 445.

(٢١٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١١١٠ .
(٢١٤) Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 221; Ann. T.S., pp, 248-249

(٢١٥) كان الامبراطور ميخائيل الثامن باليو لوج (١٢٥٩ - ١٢٨٢م) هو آخر أباطرة بيزنطة في نيقية . ولأن القسطنطينية ، التي استولى عليها صليبيو الحملة الرابعة بمساعدة البنادقة ، كانت تحيط بها المياه من ثلاث جهات وقوية الاستحكامات من الجهة الرابعة ، ولا يمكن مهاجمتها برا ، فقد كان على باليو لوج أن يهاجمها من جهة البحر ، ولم يكن يشكل مامه عقبة سوى حاجته الى =

ذلك لم يقلع الجنوية عن محاولة استرداد أملاكهم في عكا ، دون أن يستطيع أى من حكام الصليبيين التوسط بين الطرفين (٢١٦) . ولم ينته الصراع بين الطرفين الا فى عام ١٧٢٠م/٦٦٨هـ بفضل مساعى الملك لويس التاسع (٢١٧) . واذا نظرنا الى نتائج الحرب الايطالية فى بلاد

= أسطول لمحاربة الاسطول البندقى الذى سيدافع عن القسطنطينية . لذلك لم يكن أمام باليو لوج سوى الاستعانة بالجنوية . فعقد معهم اتفاقية فى ١٠ يوليو ١٢٦١م ، كان من أهم بنودها العشرة : أن يكون التحالف دائما بين باليولوج والجنوية لقتال البنادقة ، وأن يمدد الجنوية بخمسين سفينة يمونها على نفقته لاسترداد العاصمة البيزنطية ، وأن يكون للجنوية الحق فى التجارة فى كل أنحاء أملاك باليو لوج الحالية والتى سيساعدوه فى استردادها من اللاتين ، وأن يعفى الجنوية من دفع أية رسوم على عملياتهم التجارية على أن يعامل التجار اليونانيون فى جنوا بالمثل . وأن يكون للجنوية كنيسة وحماما ومنازل خاصة فى كل مدن الامبراطورية . وأن يحكم الجالية الجنوية قناصل من جنوا ، وتكون لهم محاكمهم الخاصة بهم . وأن يقصى التجار من المدن المنافسة لجنوا - ماعدا البيزاوية - من كل مدن باليو لوج . وأن تحول الى الجنوية كل امتيازات وأملاك البنادقة فى القسطنطينية اذا ما تم استردادها . وأخيرا يعتبر الامبراطور البيزنطى أن الجنوية أتباع له . انظر :

Dolger, Regesten, Vol. 3, no. 1890. CF. also, D.J. Geanakoplos, Emperor Michael Palaeologus and the West, Harvard, 1973, pp. 87-89; A. Vasiliev, History of the Byzantine Empire pp. 538-539.

(٢١٦) يذهب البعض الى أن الجنوية عقدوا تحالفا مع السلطان الظاهر بيبرس لمهاجمة البنادقة فى عكا . ودليلهم على ذلك ظهور بيبرس أمام عكا فى ١٧ ابريل ١٢٦٣م/٥ جمادى الآخرة ٦٦١هـ كما ذكر المقرئى ، الا أنه لا يوجد ما يؤيد ذلك الرأى . فكل من أتى من رسل الفرنج ومنهم رسل فيليب مونتفورت حليف الجنوية والذى من الممكن أن يتفاوض مع بيبرس نيابة عنهم ، قد جاء بطلب الهدنة مع بيبرس كما يفهم من رواية المقرئى . انظر المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٨٤ ، ٤٨٨ - ٤٨٩ . راجع أيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١١١٠ - ١١١١ .

(٢١٧) فى سبتمبر ١٢٦٣م/٢ ذى القعدة ٦٦١هـ حاول البنادقة الاستيلاء على صور فشلوا . ولم ينتج عن ذلك الا حصول الجنوية على =

الشام ، فانها بذرت بذور الخلاف بين كل طوائف الصليبيين في المنطقة .
وأكثر الضرر وقع بمدينة عكا عاصمة الصليبيين ، حيث تهدم الجزء
الاكبر من مبانيها واستحكاماتها الى جانب ذلك فقد قتل من الصليبيين
ما يقرب من عشرين ألف شخص ، وأحرقت ثمانون سفينة في الميناء حسب
احصائية روتلان (٢١٨) . وهكذا فبدلا من تدعيم الجاليات الايطالية
لموقف المملكة الصليبية في الشرق ، فانها مزقتها بسبب المنافسة والمصالح
الشخصية المتضاربة ، وأوقعت بها ضررا لم يكن في امكان المسلمين
أنفسهم أن يوقعوه بها كما يقرر روتلان (٢١٩) . وأهم مظاهر هذا التمزق
الذي أصاب صفوف الفرنج جميعا في بلاد الشام كنتيجة لانغماسهم في
الحرب الاهلية، هو ما حدث من خلاف بين بوهيمند السادس أمير انطاكية
- بصفته كونتا لطرابلس - وبين أتباعه في جبيل ، ولم يكن هذا الخلاف
الا حربا أهلية أخرى نشبت في كونتية طرابلس ، وكان لها تأثيرها على
انطاكية بالطبع . فمن الطبيعي أن يأخذ حكام جبيل - وفاء لأصلهم
الايطالي - صف الجنوبية في حرب دير القديس سابا (٢٢٠) . وعندما

= كل امتيازات البنادقة في صور . وفي أغسطس ١٢٦٧م / ٢ ذي
القعدة ٦٦٥هـ هاجم الجنوبية عكا ، واستولوا على برج الميناء
وأحرقوا سفينتين للبنادقة الا أن الاسطول البندقي استطاع
ردهم عن المدينة . انظر :

Heyd, Histoire du Commerce, t. 1, p. 355; Jean Richad, The
Latin Kingdom, pp. 368-389.

MS. of Rothelin, p. 635. (٢١٨)

MS. of Rothelin, p. 635. (٢١٩)

كانت جبيل قد سقطت في أيدي الفرنج في عام ١١٠٩م وأخذها (٢٢٠)

برتراند دي تولوز بمساعدة الجنوبية . وتنازل كونت طرابلس
عن اقطاع جبيل لمدينة جنوا التي تنازلت عنه بدورها لأحد
مواطنيها وهو وليم أمبرياكو الذي شارك في الحملة الصليبية
الاولى . ونجح ابنه هيو الاول (١١١٧ - ١١٣٥م) ثم من بعده
وليم الثاني (١١٣٥ - ١١٥٧م) في اقامة اقطاع قوى في جبيل
لا يتبع الا سادة طرابلس . واذا كانت سلالة كونتات طرابلس
البروفنساليين موالية للجنوية ، فان أسرة نورماندى - بواتييه
في انطاكية التي ورثت الحكم في طرابلس بعد موت ريموند
الثالث قد احتفظت بكل ولائها للبنادقة . انظر :

E. Rey, Les Seigneurs de Giblet, in R.O.L., Vol. 3, Paris, 1906,
pp. 399-402.

وصل بوهيمند الى عكا كان الجنوية يسرون في أحد شوارع المدينة أثناء قتالهم ضد البنادقة ، وتصادف مرور بوهيمند واتباعه من الفرمان الذين كان من بينهم برتراند الثانى ابن عم هنرى حاكم جبيل (٢٢١) . وحاول بوهيمند اجبار تابعه على مشاركته في قتال الجنوية ، ولم يقبل بوهيمند توصلات تابعة كى يعفيه من القيام بذلك ضد بنى جلده ، وعندما أجبره بوهيمند على الاشتراك في القتال وضع برتراند رمحه خلف ظهره وصاح في الجنوية « اننى برتراند حاكم جبيل » ولم يشأ أن يقاتلهم ، فاستبد الغضب ببوهيمند (٢٢٢) . ولم يكن ذلك هو السبب الوحيد في الخلاف بين بوهيمند وسادة جبيل . بل ان هنرى حاكم جبيل نفسه الذى لم يكن على وفاق مع سيده بوهيمند ، وأعلن استقلاله عنه بمساعدة الجنوية وذلك في أكتوبر ١٢٥٢م / شعبان ٦٥٠هـ ، لم يكن يستطيع الذهاب الى طرابلس دون الحصول على اذن بالمرور عن طريق مقدم الداوية . كما أن هنرى قد ساعد الجنوية صراحة في صراعهم ضد البنادقة حلفاء بوهيمند . فقد أتى اليهم في عكا بامدادات كثيرة مما زاد من هوة الخلاف بين الامير واتباعه (٢٢٣) . وقد استغلت أميرة أمبرياكو توتر العلاقات بين بوهيمند وبارونات طرابلس ، وقاموا بثورة شاملة ضده . ففى طرابلس استوطن كثير من أفراد أميرة الاميرة لوسى أم بوهيمند السادس من الايطاليين ، وشغلوا أعلى المناصب فى الكونتية بمساعدة الام (٢٢٤) وأثار ذلك سخط البارونات

(٢٢١) وهو برتراند الثانى وينتمى الى برتراند الاول ثالث أبناء وليم الثانى حاكم جبيل . انظر :

F. Rey, Les Seigneurs de Giblet, pp. 410-411.

Gestes des Chiprois, p. 744.

(٢٢٢)

(٢٢٣) هنرى حاكم جبيل (١٢٥٢ - ١٢٦٢م) ابن جى الاول .

انظر :

Gestes des Chiprois, p. 748. CF. also, E. Rey, Les Seigneurs de Giblet, pp. 403-404.

(٢٢٤) شغل شقيقها بول الثانى منصب أسقف طرابلس (١٢٦١ -

١٢٨٥) بعد موت أسقفها السابق أوبيزو Opizo (١٢٤٩ -

١٢٥١م) انظر :

B. Hamilton, The Latin Church, p. 236. E. Rey, Histoire des Prince d'Antioche, p. 400.

الفرنج في الكونتية ، وكان من بين هؤلاء وليم حاكم البترون (٢٢٥) أحد أبناء عمومة بوهيمند الذي تحالف مع برتراند أمبرياكو ، وثار الجميع ضد بوهيمند . وفي ١٢٥٨م/٦٥٦هـ (٢٢٦) حصل الثوار على مساعدة الاسبتارية ، وحاصروا بوهيمند في طرابلس . وحاول بوهيمند القيام بهجوم من داخل المدينة ، ولكنه انسحب الى مدينته بصعوبة بالغة ، وتبعه برتراند حتى أبواب طرابلس وأصابه بجرح في كتفه . وبقي بوهيمند محاصرا داخل طرابلس حتى أسعفه حلفاؤه من الداوية بالنجدة التي فكت حصاره . وسعى بوهيمند للانتقام ، فتم اغتيال برتراند أثناء زيارته لاحدى القرى التابعة له (٢٢٧) . واذ شعر بوهيمند بالارتياح ، فان هنرى حاكم جبيل وابن عم برتراند بقي على استقلاله عن سلطة بوهيمند بمساعدة الجنوية ، وتراجع وليم حاكم البترون الى عكا . الا ان العداء لم ينته بين بوهيمند السادس وامرة أمبرياكو الا بانتهاء الامرتين معا (٢٢٨) . وهكذا شغل كل حكام الصليبيين في بلاد الشام بالصراع بين الجنوية والبنادقة ، ذلك الصراع الذى أشاع الفرقة بين صفوفهم فى الوقت الذى كانوا فيه فى أشد الحاجة الى الوئام والتكاتف ، حيث وصل الخطر المغولى من الشمال ، بينما الخطر المملوكى ينمو فى مصر . ولم تكن امارة انطاكية بمنأى عن التأثير بنتائج هذا الصراع . فقد ترك بوهيمند كل الفرقة الفرنسية ، التى بعث بها لويس التاسع للدفاع عن انطاكية وهو بقبرص ، فى عكا . وبذل من الاموال - لدعم البنادقة ، ولدعم حقوق ملك قبرص فى المملكة الصليبية - ما كانت انطاكية فى أشد الحاجة اليه . وهكذا جاءت فترة حكم بوهيمند الخامس

(٢٢٥) ويقع حصن البترون جنوبى طرابلس مباشرة على الساحل . وقد انتقلت سيادة البترون فى ١١٨٠م/٥٧٦هـ الى أحد التجار البيزاويين ويدعى بليبانو ، الذى تزوج بوريثته الاقطاع الذى صار ملكا لهذا الفرع من أسرة أمراء انطاكية . وكان وليم هو ابن حننا سيد البترون الذى مات مع أخيه وليم فى معركة غزة ١٢٤٤م/٦٤٢هـ فتولى حكم البترون بعد والده . انظر :

Eracles, p. 51; Gestes des Chiprois, p. 750, n. a.

Gestes des Chiprois, pp. 748-749.

(٢٢٦)

Gestes des Chiprois, pp. 749-750.

(٢٢٧/

Cestes des Chiprois, p. 750.

(٢٢٨)

والست سنوات الاولى من حكم بوهيمند السادس لتمييز فترة شاذة من فترات تاريخ العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين . وهى فترة سادتها العلاقات السلمية بين الطرفين . فقد اتبع امراء انطاكية فيها سياسة سلمية خالصة تجاه جيرانهم المسلمين . واذا كانت ظروف بوهيمند السادس لم تمكنه من القيام بعمل عسكرى ضد المسلمين فى بلاد الشام لوقوع مسلمى حلب تحت حماية المغول ، ولتورطه هو فيما شجر من خلافات شملت كل طوائف الصليبيين فى المنطقة وشغلته عن واجبه الصليبي ، فان اتباع بوهيمند الخامس لنفس السياسة لم يكن الا لضعف شخصيته ، ثم لقلة موارد امارته فى الوقت الذى حرم فيه من مساعدة جماعتى الداوية والاسبتارية لخلافاته معهما ، وهما المورد الوحيد الذى كان يمكن أن يمد له يد المساعدة . ثم وقوع انطاكية فريسة لهجمات التركمان التى أجهدت سكان المدينة ، فهجروها بعد أن ساءت أحوالها الاقتصادية وأصبحت لا تجد من يدافع عنها فى الوقت الذى اقترب فيه الخطر المغولى من بلاد الشام ، حيث أصبح على الصليبيين والمسلمين على حد سواء تدبير أمورهم استعدادا للدفاع عن أنفسهم . وكان على انطاكية نفسها أن تتخذ سياسة تحميها من الخطر المغولى من جهة ، ومن الخطر المملوكى من جهة أخرى ، ولم تكن هذه السياسة سوى التحالف مع الارمن ثم مع المغول أنفسهم ، الامر الذى سبب وضع نهاية لتاريخ الامارة الصليبية نفسها . وهذا ما ستكشف عنه الصفحات التالية .

الفصل الخامس

سقوط امارة انطاكية الصليبية

(١٢٥٩ - ١٢٦٨م / ٦٥٧ - ٦٦٦ هـ)

- ١ - التحالف الانطاكي الارمني المغولي ضد المسلمين (١٢٥٩م / ٦٥٧ هـ) ، وآثاره .
- ٢ - سياسة المماليك تجاه انطاكية بعد موقعة « عين جالوت » (١٢٦٠ - ١٢٦٨م / ٦٥٨ - ٦٦٦ هـ) .
- ٣ - أحوال امارة انطاكية قبل سقوطها في أيدي المماليك .
- ٤ - سقوط مدينة انطاكية وانتهاء امارتها الصليبية (١٢٦٨م / ٦٦٦ هـ) .
- ٥ - أحوال أمراء انطاكية في طرابلس (١٢٦٨ - ١٢٨٩م / ٦٦٦ - ٦٨٨ هـ) .

في الوقت الذي كان فيه نجم صلاح الدين الايوبي آخذا في الصعود في أنحاء العالم الاسلامي ، كان هناك نيزك يتحرك على بعد سبعة آلاف ميل في أبعد أصقاع آسيا الوسطى وأكثرها عزلة ، وكان مقدرا لهذا النيزك ذي الضوء المهلك أن يأخذ في الصعود حتى يخضع ويرهب الامم من بحر الصين شرقا حتى المحيط الاطلنطي غربا (١) ولم يكن هذا النيزك سوى الطفل « تيموجين » « Temujin » الذي ولد في عام ١١٦٧م / ٥٦٣هـ (٢) والذي عرف باسم جنكيز خان « Chingiz — Khan » ، وقد تلقب به حين تزعم كل قبائل المغول في عام ١٢٠٦م / ٦١٢هـ (٣) . وبعد أن وضع القانون الذي تمكن بمقتضاه من تنظيم ادارة أمور امبراطوريته (٤) ،

Bridge, The Crusades, p. 259.

(١)

Juvaini, p. 35.

(٢)

(٣) وضعت هويلون « Hoelun » طفلها بينما كان زوجها زعيم القبائل المغولية يسوجاي « Yesugi » يقاتل جيرانه من قبائل التتار . ولما عاد الاب بعد انتصاره على التتار وقتل زعيمهم تيموجين ، علم بمولد ابنه فسماه باسم الزعيم التتري المهزوم تفاؤلا بالنصر على التتار . وعن قبائل المغول ومواطنيها وعاداتها وتقاليدها انظر : عبد السلام عبد العزيز فهمي : تاريخ الدولة المغولية في ايران ، القاهرة ١٩٨١م ، ص ٩ ، وما بعدها . راجع أيضا :

Juvaini, p. 35; CF. also : Bridge, The Crusades, p. 256; Runciman, A History of the Crusades, Vol. 3, p. 237.

(٤) عرف القانون الذي وضعه جنكيز خان بـ « الياسا » « Ysa » وهو يحدد حقوق وامتيازات زعماء العشائر المغولية وحقوق الخان نفسه من الخدمات التي يؤديها له أتباعه ، والنظام الضرائبي في الامبراطورية ، ونظام الخدمة العسكرية الى جانب القوانين الاجتماعية والتجارية ، وقد التزم جنكيز خان نفسه بتنفيذ هذه الشرائع حتى يحتذى به في ذلك كل شعبه وخلفائه . وهكذا وضع جنكيز خان دستورا أدى الى ترابط دولة المغول الشاسعة التي لم تكن عاداتها السابقة تفي باحتياجات المجتمع المغولي والدولة المغولية الجديدة ، وكان لاتباع المغول لهذا الدستور أثره في ترابط دولتهم وتفوقها وبروزها . وعن مواد قانون الياسا انظر : عبد السلام عبد العزيز فهمي : تاريخ الدولة المغولية في ايران ، ص ٣٣ - ٣٧ . راجع أيضا :

Runciman, A History of the Crusades Vol. 3, pp. 241-242.

وبعد أن أصبح تحت امرته أضخم جيش عرفه التاريخ حتى ذلك الوقت (٥) ، بدأ جنكيز خان في التوسع ليكون هو الذي دفع بالمغول الى التاريخ العالمى (٦) . وحين مات جنكيز خان فى عام ١٢٢٧م/٦٢٣هـ كانت امبراطوريته تمتد من كوريا شرقا الى فارس غربا ، ومن جنوب روسيا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا (٧) . وفى عهد خلفه أقطاى

(٥) كان نظام الخدمة العسكرية فى الامبراطورية المغولية يشمل الذكور من سن السادسة عشرة الى سن الستين ، وبلغ عدد القوات المغولية أرقاما تعد خيالية فى ذلك الوقت ، وان كان المؤرخون الحديثون قد ذكروا الأرقام التى وردت فى المصادر المغولية . وفى حملات جنكيز خان على فارس فى الفترة من ١٢١٩م الى ١٢٢٣م/٦١٦ - ٦٢٠هـ (بلغ عدد قواته ما يقرب من ثمانمائة ألف رجل كما يذهب مورجان ، ، بينما يذكر مارتن أن جنكيز خان قد زحف على شمال الصين فى ١٢١١م/٦٠٧/٦٠٨هـ ، ومعه ١١٠ ألف مقاتل ، وأنه فى ١٢١٧م/٦٠٨هـ بلغ عدد قواته ١٢٩ ألف مقاتل . انظر :

David O. Morgan, The Mongols in Syria, in Crusades and Settlement, ed. P.W. Edbury, Cardiff, 185, p. 232; H. Desmond Martin, The Hongol Army, in J.R.A.S., 1943, pp. 46-48.

(٦) لم يكن الفرنج فى أوربا أو الشرق اللاتينى قد عرفوا شيئا عن التتار الا بعد مرور ثلاثين عاما من انتخاب جنكيز خان قائدا لكل قبائل المغول فى مجلس المغول الوطنى « قوريلتاي » « Quriltay » الذى عقد فى ١٢٠٦م/٦٠٢هـ . ولم يكن غير بعض التجار المسلمين والمسيحيين النساطرة الذين ذهبوا الى جوف آسيا حتى الصين هم الذين يعرفون هؤلاء المغول دون الشعور بخطرهم . فقد وصلت السفارات العربية الى بلاد الصين منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وعرف الصينيون بلاد العرب باسم بلاد تاشى « Tachi » وهو اسم مشتق من كلمة طيىء اسم القبيلة العربية المعروفة . انظر فيصل السامر : السفارات العربية الى الصين فى العصور الوسطى الاسلامية ، مجلة الجامعة المستنصرية ، ج ٢ ، بغداد ١٩٧١م ، ص ٣٤٤ . راجع أيضا :

Jean Richard, The Mongols and the Franks, in J.A.H., Vol. 111, p. 45; Gregory, G. Guzman, Simon of Saint Quintin and the Dominican Mission to the Mongol Baiju, in Speculum, Vol. 46, p. 232.

Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, p. 242 ff.

Ogetei (١٢٢٧ - ١٢٤١ م) (٨) تمكنت القوات المغولية من القضاء على دولة الخوارزمية في فارس وأذربيجان في ١٢٣١م/٦٢٨هـ (٩) بينما قام باطو «Batu» في ثلاث سنوات (١٢٣٧ - ١٢٤٠م/٦٣٤ - ٦٣٧ هـ) من فتح روسيا وتدمير مدينة كييف نفسها ، ثم بدأ في الهجوم على أوروبا نفسها ، ففي ٩ ابريل ١٢٤١م/٢٥ رمضان ٦٣٨ هـ ، سحق المغول القوات البولندية وحلفاءها من فرسان التيوتون بقيادة هنري الثاني دوق سيلزيا «Silesia» في معركة ليجنتز «Liegnitz» (١٠) . ثم اتجه باطو الى بلاد المجر وهزم ملكها بيلا الرابع «Bela IV» في ابريل ١٢٤١م/شوال ٦٣٨ هـ ، وكان على باطو أن يعود الى قراقوروم حتى يشترك في انتخاب زعيم مغولي آخر خلفا لاقطاي الذي مات في ١١ ديسمبر ١٢٤١م/٥ جماد ثان ٦٣٨ هـ (١١) . وفي ١٢٤٣م/٦٤١ هـ ، تمكن بيجو «Baiju» القائد الذي بعث به باطو ، من هزيمة كيخسرو الثاني سلطان سلاجقة الروم بالقرب من أذربيجان ، والاستيلاء على أرزن الروم وملطية وسيواس وقيصرية ، وأخضع السلاجقة وقبلوا دفع الجزية ، ولم يلبث

(٨) تولى أقطاي الحكم كخان أكبر للمغول وهو ثالث أبناء جنكيز خان ، بينما اكتفى اخوته ، جفطاي وطولي ، بما منحهم جنكيز خان من اقطاعات شرقى الصين في منشوريا وحول نهر أمور . وبموت الاخ الثالث جوجي حاز أبناؤه باطو وأوردا وبركة وشييان الاقاليم الغربية حتى نهر الفولجا . انظر :

Juvaini, pp. 40-42. CF. also, Runciman, A History of the Crusades, Vol. 3, pp. 248-249.

(٩) انظر ما سبق من الفصل الرابع ، ص ٣٦٤ ، حاشية (٩١) .

Juvaini, pp. 268-269.

(١٠) بموت أقطاي تولت زوجته تورجين «Toregene» الوصاية

(١٢٤٢ - ١٢٤٦م/٦٤٠ - ٦٤٤ هـ) على ابنها جيوك «Guyuk»

الذي تولى الحكم لمدة ثلاث سنوات (١٢٤٦ - ١٢٤٨م/٦٤٤ - ٦٤٦ هـ) . انظر :

Juvaini, pp. 270-271; Bar Hebraeus, pp. 410-411; J.A. Boyle, Dynastic and Political History of the Il-Khans, in C.H.I, Vol. 5, p. 337.

الارمن في قيليقية أن حذوا حذوهم (١٢) . وهكذا وصل النفوذ المغولي الى أوربا وحدود أوربا وحدود العراق في وقت واحد ، تسبقه أنباء القتل والتدمير وسفك الدماء التي أثارت مخاوف العالمين الاسلامي والمسيحي معا . وبعد فترة هدوء أملتها ظروف المغول انفسهم (١٣) ، كان لهذه المخاوف أن تتحقق . ففي يناير من عام ١٢٥٦م / ذى الحجة ٦٥٣هـ اندفع جيش مغولي بقيادة هولاكو عبر نهر جيحون الى فارس (١٤) ، حيث بدأ بالاستيلاء على قلعة الموت مقر الحشيشية ، والقضاء على زعيمهم

(١٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ . راجع أيضا: Vincent de Beavais, *Speulum Hisoriale*, Lib XXX, Ch. 147, 150; Bar Hebraeus, *Chronography*, p. 407; Juvaini, pp. 507-508.

(١٣) مات الخان جيوك في عام ١٢٤٨م / ٦٤٦هـ ، وبمساعدة باطو تم انتخاب منكو Mangu ابن طولى وحفيد اقطاي ، خانا للمغول (١٢٥١ - ١٢٦٠م / ٦٤٩ - ٦٥٨هـ) ودارت حرب أهلية بين زعماء المغول الآخرين وبين باطو وابناء طولى لمدة عام . وأخيرا تم الاعتراف بمنكو الذي عهد الى أخيه قوبيلاي «Kubilin» بفتح شرقى الصين ، وبقي في منغوليا منكو وشقيقه الاصغر بوقا «Arike-Boke» ، وبقي باطو في جنوب روسيا حيث أسس القبيلة الذهبية التي سماها المسلمون بالقفجاق وعهد بحكومة فارس الى هولاكو الاخ الثالث لمنكو . انظر : Juvaini, pp. 261-268, William of Rubruk, *Itinearorium*, trans by W.W. Rockhill, Hokluyt Society, Ser. 2, Vol. 4, London, 1900, pp. 163-164. CF. also, H. H. Howarth, *History of the mongols*, 5. Vols London, 1876-1878. Vol. 1. pp 170-ff. J.J. Saunders, *the History of mongol Conquest*, London, 1971, pp. 99-101.

(١٤) صاحب هولاكو في حملته التي كلفه بها منكو زوجته طقزخاتون Tuguz Khatum وودليه الكبيرين (لم نعرف منهما سوى يشموط) . وانضم اليه في أفغانستان المؤرخ علاء الدين الجوينى الذى كان بمثابة «Bitikchi» سكرتير أو ناصح لهولاكو . ومع هؤلاء كان جيش كبير يدل على مبلغ ضخامته أن عدد المكلفين باقامة آلات الحصار في هذا الجيش قد بلغ ألف رجل من الصينيين . انظر :

Juvaini, pp. 596, 607-611 CF. also E. Bretschneider, *Mediaeval Researches from Eastern Asiatic sources*, 2 Vols, London, 1888, Vol. p. 113.

ركن الدين خورشاه ، وذبح كل أتباعه ، وهدم كل أملاكهم ، وذلك في بدايات عام ١٢٥٧م/٦٥٥هـ . وإذا كان قضاء هولاكو على باطنية فارس يلسم الجراح المسلمين ، كما يرى علاء الدين الجويني مؤرخ هولاكو المسلم (١٥) ، فإن هولاكو لم يلبث أن استعد لجرح المسلمين أشد الجروح الما ، وذلك بالقضاء على الخلافة العباسية في بغداد ، وتدمير كل مظاهر الحضارة التي اشتهرت بها المدينة ، واجتياح أملاك المسلمين حتى غزة . فقد كانت بغداد هي هدف هولاكو بعد أملاك الحشيشية في فارس . وكان الخليفة العباسي في ذلك الوقت هو المستعصم بالله (١٢٤٢ - ١٢٥٨م/ ٦٤١ - ٦٥٦هـ) الذي اشتهر بالخمول وضعف الهمة ، وضعف أحوال الخلافة في عهده . ولم يهتم باقترب الخطر المغولي من العراق ، وعلى حد تعبير المؤرخ أبي المحاسن فقد « أهمل أمر هولاكو حتى كان في ذلك هلاكه » (١٦) . وبعد أن رفض الخليفة في بادئ الأمر عرض هولاكو عليه بالخضوع لسيادة المغول (١٧) ، لم تشفع له محاولاته لاسترضاء الأخير (١٨) الذي بدأ في السير نحو بغداد في نوفمبر ١٢٥٧م/ذي القعدة

(١٥) « كان ذلك العمل يلسم الجراح المسلمين ، وعلاجاً لخلل الايمان ، اللهم أنزله بكل الطغاة » كانت هذه العبارة هي خاتمة كتاب علاء الدين عطا ملك الجويني . ومن أسف أنه لم يستمر في تدوين تاريخ أعمال هولاكو وخاصة ما يخص استيلائه على بغداد . وقد سمح هولاكو للجويني بالاطلاع على ما وجده المغول من كتب عديدة في مكتبة الحشيشية فاحتفظ الجويني بنسخ القرآن وأحرق كل ما يتعلق بهرطقة الحشيشية . انظر : رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ، ج ١ ، ص ٢٤٩ وما بعدها . راجع أيضا : Juvaini, pp. 618 ff, 722-725. CF. also, J. Saundens, The history of the Mongol conquest, p. 230, n. 70.

(١٦) لم يهتم الخليفة المستعصم بأمور دولته ، كما أخذ بنصيحة وزيره ابن العلقمي وأنقص عدد الجيش من مائة ألف إلى عشرين ألفاً فقط . كما اتهم المؤرخ أبو المحاسن الوزير بالاتصال بالمغول وتشجيعهم على غزو البلاد في الوقت الذي برأه فيه رشيد الدين الهمداني . انظر : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤٧ - ٤٨ ، رشيد الدين الهمداني : جامع التواريخ ، م ١ ، ج ١ ، ص ٢٧٤ . (١٧) رشيد الدين : جامع التواريخ : م ٢ ، ج ١ ، ص ٢٦٧ . (١٨) بعث بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل إلى الخليفة يحذره من المغول الذين أمروا لؤلؤ بتجهيز نفسه بالموءن والسلاح ، إلا أن مكاتبة =

٦٥٥ هـ . وفي يناير ١٢٥٨ م / محرم ٦٥٦ هـ ، قضى المغول على جيش الخليفة الذى خرج لملاقاتهم بقيادة ركن الدين الدوادار (١٩) . واندفعوا الى داخل بغداد في ٢٧ يناير ١٢٥٨ م / ٢٠ محرم ٦٥٦ هـ (٢٠) ، وقاموا بذبح غالبية سكان المدينة (٢١) . وأمر هولاكو بإشعال النيران في أنحاء المدينة « وخربت بغداد الخراب العظيم ، وأحرقت كتب العلم التى كانت بها من سائر العلوم والفنون التى ما كانت في الدنيا » (٢٢) . وكان جل هم هولاكو هو القضاء على الخليفة العباسى نفسه حتى يقضى على زعامة الامة الاسلامية ورمز وحدتها . وتم قتل الخليفة المستعصم بالله في ٢٠ فبراير ١٢٥٨ م / ١٤ صفر ٦٥٦ هـ (٢٣) بعد ن سلم الى هولاكو كل ما كنت تحويه خزائن الخلافة

=
لؤلؤ السرية لم تصل الى الخليفة حيث أخفاها عنه وزيره الشيعى ابن العلقمى ، الذى لم يكن لأحد معه كلام في تدبير أمر الخليفة . ولما تحقق الخليفة من تحرك التتار نحو بغداد بعث اليهم بشرف الدين ابن الجوزى رسولا يعدمهم بأموال عظيمة الا أن طلبه قد قوبل بالرفض . انظر : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(١٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٤٩ ، أبو الفدا : المختصر ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠٢ .

(٢٠) ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٦٦ .

(٢١) حدد كل من أبى الفدا وأبى المحاسن عدد قتلى المسلمين في بغداد بثمانمائة ألف قتيل ، بينما اكتفى ابن العميد بقوله « وقتلوا أكثر أهلها » في حين ذكر شانج تى المبعوث الذى أوفده منكو خان من قراقورم الى هولاكو في عام ١٢٥٩ م / ٦٥٧ هـ أن قتلى المسلمين بلغوا « عشرات الآلاف » . انظر : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٥٠ ، أبو الفدا : المختصر ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٦٦ . راجع أيضا :

Chang To (Sishiki), Record of an embassy to the regions in The West, trans. by E. Bretschneider, in Medieval Researches, Vol. 1, p. 139. CF. Aaso, J. Saunder, The History of the Mongol Conquest, p. 111.

(٢٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٥١ .

(٢٣) اختلفت الروايات حول الطريقة التى قتل بها الخليفة العباسى . فبينما نلمس من روايتى كل من أبى المحاسن وأبى الفدا أن الخليفة اما خنق أو وضع في بساط أورفس حتى مات أو أغرق في نهر دجلة ، يذكر ابن العبرى أن المغول قد وضعوا الخليفة في =

العباسية من ثروات (٢٤) . وكان لسقوط بغداد في أيدي المغول ، ولأعمال العنف التي قام بها المغول في المدينة والتي انتهت بمقتل الخليفة العباسي أثره في إثارة الفزع في قلوب المسلمين في البلدان المجاورة (٢٥) مما دفع بهم إلى الاجتهاد في كسب ود هولاكو بالحضور إليه في بغداد وإظهار خضوعهم وتبعية لهم . فجاء كل من عز الدين كيكايوس الثاني سلطان سلاجقة الروم وأخوه قلع أرسلان الرابع (٢٦) . كما بعث الناصر يوسف الثاني صاحب حلب ودمشق بابنه العزيز إلى هولاكو ليعلن له خضوع والده للمغول (٢٧) . وهكذا اشترى السلاجقة والناصر يوسف زعيم

كيس وأخذوا في رفضه بأقدامهم حتى مات . إلا أن المؤرخين الأرمن ، الذين اشترك بنو جلديتهم في الهجوم على بغداد ، فقد أوردوا رواية أخرى تتفق مع رواية المؤرخ الفارسي ناصر الدين الطوسي ومؤداها أن هولاكو أحضر الخليفة ، وعرف منه أين احتفظ بكنوز الخلافة ، وسأله لماذا لم يكن بها جيشا للدفاع عن بغداد ، فرد الخليفة بأن هذه مشيئة الله ، فأمر هولاكو بحبس الخليفة في برج القلعة حتى يموت جوعا أو يأكل من أمواله إذا شاء . وقد اتفق في ذلك كل من كيراكوس وفارتان ، بينما اتفق هايتون مع ابن العبري في روايته . هذا في الوقت الذي اكتفى فيه رشيد الدين المهداني بقوله أن المغول « قضوا على الخليفة ، وعلى ابنه الأكبر ، وخمسة من الخدم كانوا في خدمته » انظر : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٥٠ ، أبو الفدا : المختصر ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ ، رشيد الدين : جامع التواريخ ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٢٩٤ . راجع أيضا :

Bar Hebraeus, p. 431; Hayton, La Flor des Estoires de La Terre de Orient in R.H.C.-Doe. Arm. Vol 2, p 169, Kirakos de Ganjak, Hisoire d'Arménie (extrait), ed. M. Dulaurier, in J.A., Vol. XI, 1858, p. 488; cf. also, G.M. Wickens, Nasir Ad. din tusi on the fall of Bagdad, in J.S.S., Vol. 7, pp. 23 ff, J.A. Boyle, The death of the Last Abbasid caliph, in J.S.S., Vol. 6, pp; 159-160.

Vartan, Histoire Universelle, Extrait, ed. M. Dulaurier, in J.A., (٢٤) Vol. 16; 1860, p. 291.

- (٢٥) سعيد عاشور : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ١١٢٠ .
 (٢٦) رشيد الدين المهداني : جامع التواريخ ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٣٠١ .
 (٢٧) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ١٦٨ ، رشيد الدين : جامع التواريخ ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .

الايوبيين في بلاد الشام أمنهم وسلامتهم بالخضوع لهولاكو . الا أن ذلك لم يكن الا لفترة معلومة . فقد كان فتح بلاد المسلمين في بلاد الشام ومصر هو غاية المغول . وحتى يحين الوقت المناسب لذلك ، قام هولاكو بالاستيلاء على ميفارقين ، آخر المراكز الاسلامية التي رفضت الخضوع لسلطته في اقليم الجزيرة (٢٨) . وحاصر ميفارقين لمدة عامين حتى سقطت في يديهم في عام ١٢٦٠م / ٦٥٨هـ ، « وقتل صاحبها الكامل ابن شهاب الدين غازي ابن الملك العادل ، وكل من فيها » (٢٩) . وبينما بعث هولاكو بجزء من قواته للاستيلاء على ميفارقين ، تفرغ هو للاستيلاء على أملاك المسلمين في بلاد الشام . ولما كان الناصر يوسف قد أرسل ابنه العزيز الى هولاكو من قبل ، تظاهر الاخير بقبول الهدايا التي بعث بها الناصر يوسف ، وبقبوله لخضوع الاخير له ، وبقبول عذره في عدم الحضور بنفسه لانه « قبالة العدو ، وبلاده في وسط بلاد الفرنج ، فما يمكنه أن يتركها ويحضر . فظاهر هولاكو قبول العذر وباطنه بخلاف ذلك » (٣٠) ، الا أن فتح الشام قد حان وقته ، وتعلل هولاكو بأن الناصر لم يحضر

(٢٨) بعث هولاكو بابنه يشموط لفتح ميفارقين . وكان صاحبها هو الملك الكامل ناصر الدين محمد بن شهاب الدين غازي بن السلطان العادل الايوبي ، وقد تولى الكامل الحكم في ميفارقين بعد موت أبيه في عام ١٢٤٧م / ٦٤٥هـ وقاوم بيجو قائد باطو من قبل ورفض الخضوع للحكم المغولي . انظر : ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ، قسم ٢ ، ص ٤٧٤ ، ٤٨٩ ، رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ، ج ١ ، ص ٣٠٦ . راجع أيضا :

Vartan, Histoire Universelle, p. 292.

(٢٩) بدأ حصار التتار للمدينة في يوم الاربعاء ١١ نوفمبر ١٢٥٨م / ١٢ ذي القعدة ٦٥٦هـ . ويذكر المؤرخ الارمني فارتان أن الارمن والجورجيين قاموا بدور فعال في حصار وسقوط ميفارقين مما جعل المدينة تعاني من مجاعة شديدة بالغ المؤرخ في وصفها . أما الكامل محمد فقد قطع المغول أجزاء كثيرة من لحمه وأجبروه على ابتلاعها حتى مات ، فقطعوا رأسه وطاقفوا بها في المنطقة حتى يكون عبرة لغيره من حكام المسلمين الذين يفكرون في عدم الخضوع والاستسلام للمغول . انظر : ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ، قسم ٢ ، ص ٥٠٠ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٦ . راجع أيضا :

Vartan, p. 293.

(٣٠) ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٦٨ .

بنفسه للقاءه وهو ما اعتبره اهانة لشخصه ، وبعث بتهديداته الى الناصر يأمره بمرعة الحضور اليه والدخول في طاعته (٣١) . فخاف الناصر وبعث بأولاده وحريمه الى حصن الكرك (٣٢) . وبعث الى مصر يطلب مساعدة المماليك الذين وعدوه بما طلب (٣٣) . الا أن الوعد لم يكن هو ما يحتاجه الناصر بقدر ما كان يحتاج الى تنفيذه . والى جانب ذلك فقد أوهن من عزيمة الناصر يوسف ما حدث من تأمر بعض عسكره عليه ، وميل وزيره للتقار وتخويفه للناصر من مواجهتهم (٣٤) . كل ذلك جعل الناصر يقيم في دمشق تاركا حلب في حراسة ابنه ونائبه المعظم توزانشاه (٣٥) . وهكذا وجد هولاكو الطريق أمامه ممهدا للاستيلاء على أملاك الايوبيين ، فاندفع بقواته في سبتمبر ١٢٥٩م /شوال ٦٥٧هـ ، واستولى على دنيسر وأمد ونصيبين واستسلمت له كل من الرها وحران . ولما رفض أهل سروج الاستسلام فتحها هولاكو عنوة وقتل كل أهلها (٣٦) . كما استولى المغول على قلعة البيرة واربل ومنبج ، وبذلك يكونوا قد استولوا على كل اقليم الجزيرة وأخضعوه لسيادتهم (٣٧) . ولم يبق أمام هولاكو سوى فتح أملاك المسلمين في بلاد الشام حتى يدخل مصر بعد ذلك . وهنا وصل اليه هيثوم ملك قيليقية الارمينى وهو في مدينة الرها يستعد لدخول الشام . ونصحه بالبدء بالاستيلاء على مدينة حلب التى يسيطر

- (٣١) المقرئى : السلوك : ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤١٥ - ٤١٦ .
 (٣٢) ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٦٨ .
 (٣٣) أبو المحاسن : النجوم ، ج ٧ ص ٧٢ - ٧٣ ؛ ابن العميد : أخبار ، ص ١٧٠ .
 (٣٤) اتفق بعض عسكر الناصر مع المغيـث صاحب الكرك على أخذ دمشق من الناصر ، الا أنه تمكن من اخماد الفتنة ورد المغيـث الى الكرك ، بينما فر المتآمرون الى غزة . انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٧٤ ، الهمذاني : جامع التواريخ ، م ١ ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .
 (٣٥) أبو المحاسن : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٧٤ .
 (٣٦) ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٠ ، ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ، قسم ١ ص ١٠٩ ، الهمذاني : جامع التواريخ ، م ٢ ج ١ ، ص ٣٠٦ ؛ أبو المحاسن : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٧٤ . راجع أيضا :
 Bar Hebraeus, p. 435.
 Bar Hebraeus, p. 435.

صاحبها الناصر على كل سوريا ، وهى عاصمته الاصلية التى سيؤدى سقوطها الى فتح بقية المدن الاسلامية فى بلاد الشام ، وبعدها يمكن استعادة الاراضى المقدسة من أيدي المسلمين . وعرض هيثوم على هولاكو مساعدته ومساعدة قواته التى بلغت ١٢ ألف رجل (٣٨) . ويبدو أن هولاكو قد اقتنع بفكرة هيثوم وسر لمساعدة الارمن له . فبادر بالمسير الى بلاد الشام وبدأ فى حصار حلب فى ١٨ يناير ١٢٦٠م / ٩ صفر ٦٥٨هـ ، وبعد حصار دام أسبوعا ، تمكن المغول والارمن من اقتحام المدينة التى رفض المعظم بن صلاح الدين أن يسلمها لهم دون قتال (٣٩) . وكما حدث فى كل المدن الاسلامية التى فتحها المغول من قبل ، فقد قاموا بنهب المدينة ، وقام الارمن بمهمة ذبح سكان حلب بينما قام ملكهم هيثوم باشعال النيران فى مسجد حلب بنفسه (٤٠) . وأسر المغول من سكان حلب من بقى على قيد الحياة ، حيث تم بيع هؤلاء كرقيق فى « بلاد الارمن وبلاد الفرنج » (٤١) . ثم هاجم المغول قلعة حلب فى ٢٦ يناير ١٢٦٠م / ١٠ صفر ٦٥٨هـ واستولوا عليها وأسروا من فيها (٤٢) . وهكذا سقطت

Hayton, La Flor de Estoires, p. 170. (٣٨)

(٣٩) ابن العميد : المصدر السابق ، ص ١٧٧ ؛ المهذاني : جامع التواريخ ، ص ٣٠٦ ؛ المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٢٢ .

(٤٠) أبو الفدا : المختصر ، مجلد ٢ ، ج ٤ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧١ ؛ رشيد الدين المهذاني ، جامع التواريخ ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٣٠٦ . راجع أيضا :

Bar Hebraeus, pp. 335-336; Hayton, La Flor de Les Estoires, pp. 170-71.

(٤١) قتل المغول كما يذكر ابن العميد ، الذى كان فى دمشق فى ذلك الوقت ، من مسلمى حلب ومن هرب اليها من مسلمى المدن الأخرى عددا لا يحصى حتى قيل أن «ما قتل فى بغداد ولا فى مدينة من مدائن العجم مثلها وامتلات الطرقات والاسواق من القتلى بحيث كانت عساكر التتار يمشون عليها بخيولهم لكونهم لا يجدون موضعا خاليا من مقتول » ومن رواية المقرئى يمكن التأكد من أنه نقل عن ابن العميد هذه الاحداث . انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧١ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٢٢ .

(٤٢) يذكر ابن العميد : أن هولاكو لم يبق الا على المعظم تورانشاه =

المدينة التي طالما تصدت لهجمات البيزنطيين والصليبيين من قبل . وتم احترام كل الكنائس المسيحية في حلب والمعبود اليهودي ، بينما قام المغول والارمن باجتياح أماكن العبادة الاسلامية وحرقها (٤٣) . وتم بعد ذلك اخضاع الملحقات الغربية لحلب . فتم فتح حصن حارم الذي رفضت حاميته التسليم الا بضمان رجل مسلم ، وقام المغول بذبح أفراد الحامية عن آخرهم مع نسائهم وأطفالهم (٤٤) . وكان لكل ذلك صدى مخيفا في أنحاء بلاد الشام جعل الجميع من مسلمين وصليبيين يسارعون الى معسكر هولاكو لاعلان خضوعهم له . فاسرع الاشراف مومى صاحب حمص الى هولاكو معلنا له ولاءه وخضوعه ، فأقره الأخير على ما بيده من أملاك على أن يكون تابعا له (٤٥) كما فر الى مصر المنصور بن المظفر صاحب حماة بأهله تاركا أهل حماة يسارعون بطلب الامان من هولاكو الذي أجابهم الى مطلبهم وبعث اليهم بنائب مغولى ليحكم المدينة (٤٦) . وأخيرا فر الناصر يوسف من دمشق بعد أن علم بما حدث في حلب ، واتجه الى مصر في يوم الجمعة ٣١ يناير ١٢٦٠م / ١٥ صفر ٦٥٨هـ بصحبة أمرائه وأهله تاركين دمشق خالية من المدافعين عنها « وأهلها على الاسوار يشتموهم ويدعون عليهم ويقولون تركتمونا طعما للتتار لا كتب الله عليكم السلامة » (٤٧) . وبهروب الناصر يوسف من دمشق تنقضى مملكته في الجزيرة وحلب وتنقضى معها في ذلك النهار دولة بنى أيوب

لـ كبر منه وبسالته في القتال . انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧١ ، رشيد الدين المهداني جامع التواريخ : ص ٣٠٧ ، بو الفدا : المختصر ، مجلد ٢ ، ج ٣ ، ص ٢١١ . انظر أيضا :

Vartan, Histoire Universelle, p. 293.

(٤٣) Bar Hebraeus, p. 336; Hayton, La Flor des Estoires, p. 171.

(٤٤) لم يترك المغول أحدا ممن كان من المسلمين في حارم الا وقتلوه ، ولم ينج الا رجل واحد وبالطبع لم يكن مسلما . فقد كان صائغا أرمينيا . انظر : رشيد الدين : جامع التواريخ ، ص ٣٠٧ .

(٤٥) ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٣ .

(٤٦) كلف المنصور صاحب حماة أحد نوابه ويدعى شجاع الدين مرشد يتولى أمور المدينة ، «وأوصاه بمدارة التتار فداراهم ولم يتعرضوا لحماه ولا لاحد من المدينة البتة » . انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٣ .

(٤٧) أشار مرء الناصر عليه بئن يراسل قطز في مصر ليتفقا معا على =

في بلاد الشام (٤٨) . ولم يكن بنو أيوب وحدهم هم الذين دفعهم الفرع الذي أثاره الغزو المغولي للشرق الأدنى الى الخضوع للمغول أو الى الهرب والتخلي عن بلادهم ، فقد شعر بنفس الفرع الصليبيون أنفسهم . ولما كان الخطر المغولي قد وصل الى حلب ، فإن أول من شعر بهذا الخطر من الفرنج هم أهل انطاكية ، فسارع أعضاء قومون انطاكية وقدموا فروض الولاء والطاعة الى المغول بعد أن تولاهم الفرع عندما رأوا جحافل التتار تجتاح حدود انطاكية مدمرة المناطق الريفية - بالرغم من حاجة التتار الدائمة للكلأ - ومستولية على بلاطنس وحصن صهيون . وسبق ذلك أهل انطاكية أميرهم في الخضوع

= لقاء هولاكو . فأخذ الناصر أهله وحاشيته معه وتوجه الى غزة . وهناك تردد في دخول مصر خوفا من قطز ، واكتفى بإرسال زوجته شقيقة علاء الدين كيكافوس سلطان السلاجقة وابنه منها وبعض أمرائه الى مصر ، حيث ظن قطز أنها مكيدة من الايوبيين لدخول مصر وأخذها منه ، فأمر بمصادرة كل ما مع أهل الناصر من أموال وبعث الى السلاجقة بزوجة الناصر وابنها منه . وعاد الناصر الى الشام حيث قبض عليه كتبغا قائد قوات هولاكو وبعث به ومن معه لهولاكو الذي أكرم وفادة الناصر في البداية ووعدته بأن يرد اليه كل بلاده الى أن علم بهزيمة قواته في عين جالوت ومقتل كتبغا فأمر بقتل الناصر وحاشيته ، فأخذهم بعض التتار الى جبال سلماص في بلاد العجم وقتلوا الناصر وأخاه الظاهر والصالح صاحب حمص ومن معهم . ولم ينج من القتل سوى العزيز ابن الناصر الذي شفعت فيه طقز خاتون زوجة هولاكو . ولقد أخذنا هذه الرواية عن ابن العميد الذي كان معاصرا للأحداث حيث هرب من دمشق الى صور عقب خروج الناصر منها خوفا من المغول كما أن الروايات الأخرى التي وردت في المصادر لم تكن بتمام رواية ابن العميد . انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٢ - ١٧٦ ، المقرئ : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ، ص ٤١٠ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٧٧ ، رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٣٠٨ . راجع أيضا :

Hayton, La Flor des Estoires, p. 171.

للمغول (٤٩) . وقد تصور الانطاكيون أن النتيجة الوحيدة لخضوعهم للتتار هي دفع الجزية ، إلا أن الاحداث أثبتت غير ذلك ، فقد خضعت انطاكية للاهانة الدينية . فقد كان يوثيميوس Euthymius بطريرك انطاكية اليوناني ، الذي طرده بوهيمند من المدينة وقطعه من الكنيسة البطريرك اللاتيني أوبيزو من قبل ، قد وصل الى هولاكو وأعلن خضوعه له ، فما كان من الاخير الا أن قرر إعادة البطريرك اليوناني الى منصبه في انطاكية (٥٠) . وفي الحقيقة لم يكن بوهيمند في حالة تسمح له بمقاومة الغزو المغولي ، فحذا حذو رعاياه في انطاكية وأعلن خضوعه للتتار بكل ممتلكاته في انطاكية وطرابلس . وبالرغم من ضمانات الامن التي طلبها بوهيمند ، فإن المغول استمروا في الاعتداء على أملاك انطاكية ، وذبح رعايا بوهيمند ونهب ممتلكاته ، فما كان من الاخير الا أن استغل دعوة صهره هيثوم بالتوجه الى هولاكو بنفسه ، وذهب بوهيمند الى القائد المغولي وألقى بنفسه تحت أقدامه وأعلن خضوعه له (٥١) . ولم يكن

(٤٩) بعث توماس أجني أسقف بيت لحم ، ومندوب البابا في الاراضي المقدمة وسادة الفرنج بها من علمانيين ورجال دين بخطاب الى شارل كونت أنجو شقيق لويس التاسع في ٢٢ ابريل ١٢٦٣م/٩ جماد أول ٦٥٨هـ يصفون له أخطار الزحف المغولي على بلاد الشام ويطلبون مساعدته . انظر :

Lettre des Chrétiens de Terre Saint. a Charles D'Anjou (ed. De laborde), in R.O.L., Vol. 2, Paris, 1894, pp. 213-214

(٥٠) تولى يوثيميوس منصب بطريرك انطاكية (١٢٥٨ - ١٢٧٤م) بعد البطريرك داود (١٢٤٥ - ١٢٥٨م) . انظر ملحق رقم (٦) بآخر الرسالة . راجع أيضا :

Lettre à Charles d'Anjou, p. 213.

(٥١) ذهب بوهيمند الى هولاكو باعتبار الاول صهر الملك الارمني وليس باعتباره أميرا لاتينيا . انظر :

Hayton, La For, p. 171. *Lettre à Charles d'Anjou*, pp. 213-214;

Letter of Thomas Agni the Papal Legate to all kings, Princes, Archbishops, etc. (1 Mar. 1260), Menkonis Chronicon, in M.G.H.S., Vol. 23, pp. 547-549; *Letter of Thomas Berard Master of the Temple to Amadeus preceptor of the Temple in England* (4 Mar. 1260), in *Annales Burtonensis*, pp. 491-495; Bar Hebraeus, *The Chronography*, p. 436.

تصرف بوهيمند يعد قدوة للفرنج في عكا . فلما انحصر هؤلاء في عكا
وصور وفي أملاك الداوية في صفد وعتليت ، وفي أملاك التيوتون في
القرين ، فانهم جميعا قرروا - بالرغم من المخاوف التي انتابهم -
الاستعداد والمقاومة . ولادراكهم أن مقاومتهم لن تطول، فانهم بعثوا الى
شارل كونت أنجو شقيق الملك الفرنسي لويس التاسع يطلبون مساعدته
الفورية لهم (٥٢) . وقد دأب المؤرخ الفرنسي رينيه جروسيه على توجيه
اللوم الى صليبي المملكة الصليبية لاضاعتهم على أنفسهم فرصة ذهبية
لن تعوض بعدم تحالفهم مع هولاء ضد المسلمين في مصر وبلاد الشام ،
في الوقت الذي كانت حملة هولاء فيه « حملة نسطورية »
« Une Croisade Nestorienne » ضد المسلمين (٥٣) . وجه جروسيه لومه
الى الصليبيين في فلسطين على مساعدتهم للمماليك بالبقاء محايدين بين
الاخيرين وبين التتار ، وعدم التعرض لقوات المماليك وهي في طريقها
امام عكا لملاقاة المغول في عين جالوت (٥٤) . كما مدح بعض من تأثروا برأى
جروسيه ، الملك الارميني - الذي أصبح تابعا للمغول - لبعد نظره

Lettre à charles, d'Anjou, p. 214.

(٥٢)

(٥٣) كانت قطز خاتون زوجة هولاء مسيحية من النساطرة ، وكذلك
كانت أمه سورقتاني « Sorqotani » ، كما كان كتبغا قائد قوات
هولاء من النساطرة أيضا . وبقي هولاء على بوذيته . وبالرغم
من تأثير أمه وزوجته وقائده الواضح عليه في تعامله مع المسيحيين
الشرقيين في المدن التي فتحها من فارس الى بلاد الشام ، إلا أن
حسن معاملة المغول لهؤلاء المسيحيين وحتى للمسلمين كان
مرتبطا بمدى خضوع هؤلاء للسيادة المغولية . فإذا كان الغزو
المغولي قد احترم الكنائس الشرقية ، فاننا نجد أم هولاء نفسها
قد أقرت ببناء مدرستين في بخارى (المدارس المسعودية) اكراما للمسعود
بن محمد حاكم اقليم كاشغر المسلم الذي عينه في منصبه الخان
أقطاي ، وكانت المدرستان لتعليم العلوم الاسلامية (على المذهب
الحنفي) انظر : رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ، م ١ ،
ج ١ ص ٢٢٠ . راجع أيضا :

Juvaini, pp. 97 n. 3; 108 n. 31, 109; CF. also, A.S, Atiya, The
Crusade in the Late Middle Ages, London, 1938, p. 245;
R. Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, pp. 525-30,
580-606.

(٥٤) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

مكتبة المهتدين الإسلامية

بالمقارنة بصليبي مملكة بيت المقدس محدودى التفكير (٥٥) . وفى الحقيقة فان هناك بعض الحقائق التى تجعل من الصعب قبول هذا الرأى . ويعد تفصيل ذلك من الاهمية بمكان ، ليس فقط للرد على رأى جروسىه وغيره من المؤرخين ، بل لأنه يلقى الضوء على حقيقة العلاقات التى سادت بين بوهيمند السادس والمغول بعد خضوعه لهم ، وعلى الدوافع التى حملته على ذلك . وهذا يتطلب العودة الى الورا قليلا لتتبع تطور العلاقات بين المغول وبين الصليبيين والمسلمين معا . فان الفرنج - سواء كانوا فى أوربا أو بلاد الشام - ولم يعرفوا شيئا عن التتار وخطرهم الا بعد مرور ثلاثين عاما من اختيار جنكيز خان زعيما للمغول (١٢٠٦م/٦٠٣هـ) ، وكان الفارون من جنوب روسيا حين غزاها باطو فى ١٢٧٣م/٦٣٥هـ هم أول من قدم المعلومات عن الخطر المغولى الى غرب أوربا ثم توالى وسائل التحذير من الخطر المغولى الى أوربا فى عام ١٢٤١م/٦٣٩هـ حين اجتاحت التتار جورجيا وأرمينيا (٥٦) .

(٥٥) Denis Sinor, Les relations entre les Mongols et L'Europe jusqu'à la mort d'Arghon et de Béla IV, in J.W.H., Vol. 3, 1956, pp. 49-50.

(٥٦) بعث الملك بيلا «Bella» الرابع ملك المجر (١٢٣٥ - ١٢٧٠م) بأكثر من مبعوث الى الشرق قبل الغزو المغولى لبلاده . وأكثر من عرف من هؤلاء المبعوثين كان الراهب الدومنيكانى جوليان «Julian» الذى سافر فى ١٢٣٦/١٢٣٧م عن طريق القسطنطينية ثم شمالا حتى نهر الفولجا حيث وجد التتار . وقدم جوليان تقريرا عن رحلته فى خطاب الى الاسقف ساليفوس أوف بيروجيا «Salivus of Perugia» المندوب البابوى فى بلاد المجر . انظر : Denis Sinor, Un Voyageur du Treizième Siècle : Le Dominican Julien de Hongrie, in B.S.O.A.S., Vol 14, 1958, pp 589-602; Jean Richard, The Mongols and Frunks, in J.A.H., Vol. 3, 1969, p. 45.

ويذكر متى الباريزى أنه قد أشيع فى أوربا أن زعيم الحشيشية فى فارس قد بعث برسله الى ملكى انجلترا وفرنسا فى ١٢٣٨م/٦٣٦هـ يعرض عليهما التحالف ضد المغول الذين اجتاحتوا أوربا وغربى آسيا وتميزوا بالعنف والهمجية . وفى أوربا عرف الجميع أن الخوف من المغول هو الذى منع أمير انطاكية بوهيمند الخامس فى سنة ١٢٤٤م/٦٤٢هـ من الانضمام الى الفرنج ضد الخوارزمية فى معركة غزة . انظر :

ونتيجة لذلك ، فقد قام البابا انوسنت الرابع (١٢٤٣ - ١٢٥٤ م) الذي كان بالفعل يستعد للدعوة الى حملة صليبية جديدة ، بوضع « علاج ضد الخطر المغولى » « *Remedium* Contra Tartaros » فى جدول أعمال مؤتمر ليون الكنسى عام ١٢٤٥ م / ٦٤٣ هـ (٥٧) وفى نفس العام بعث البابا بثلاث سفارات الى المغول . الاولى منها ضمت راهبين من جماعة الفرنسيسكان (٥٨) حمل كل منهما رسالة من البابا الى خان المغول

Matthew Paris, *Chronica Majora*, Vol. 3. pp. 488-489; Vol. 4. pp. 76-78, 131-132, 389-390.

P. Pelliot, *Les Mongols et La Papauté*, in *R.O.C.*, Vol. (٥٧) 23, 1922-23, pp. 238-240. Gregory G. Guzman, *Simon of Saint-Quintin and the Dominican Mission, The Mongol Baiju : A Reappraisal*, in *Speculum*, Vol. 46, 1971, p. 233; J. Richard, *The Mongols and The Franks*, p. 47; W. Baldwin, *Missions to the East in the Thirteenth and Fourteenth Centuries*, in *Setton*, Vol. 5, Wisconsin, 1985, p. 471.

(٥٨) كان لفساد نظام الاديرة البندكتية الذى نشأ فى أوربا فى أواخر القرن الخامس الميلادى أن قامت حركة الاصلاح الكولونى فى أواخر القرن العاشر الميلادى . وكان من النتائج التى ترتبت على الاصلاح الكولونى أن الديرية أصبحت لها مكانة بارزة فى المجتمع الاوربى الغربى الوسيط ، وفى الكنيسة اللاتينية . ولما كانت أديرة كولونى لا تتسع للعدد الهائل من من الذين اعتنقوا الرهبانية فقد فكر الكثيرون فى انشاء جماعات جديدة تحتضن الفائض من الناس ، ولاستكمال مشروعات كلونى والقيام بمشروعات جديدة . ومن أهم هذه الجماعات كانت جماعة الاخوان الفرنسيسكان التى أنشأها فرنسيس الاسيزى Francis of Assisi وهو ايطالى من مدينة أسيزى . أسس جماعته فيما بين عامى ١١٣٨ م و ١٢٢٦ م . ولم يكن يستهدف من نظامه أن يعيش الرهبان داخل أديرتهم للعبادة فقط ، وانما الاندماج فى الحياة العامة للوعظ والتبشير ، وقد انتشرت تعاليم هذه الجماعة ، وغيرها من الجماعات التى قامت بدور كبير فى حركة التبشير المسيحية التى انتعشت بدءا من منتصف القرن ١٣ م / ٧ هـ ، مثل جماعة الدومنيكان والسترشيان واخوان جيراند مونت والاخوان الكارثوذيان ، انظر : جوزيف نسيم يوسف : تاريخ العصور الوسطى الاوربية وحضارتها . الاسكندرية ، ١٩٨٤ . ص ١٧٠

يدعوه فيها الى اعتناق المسيحية على المذهب الكاثوليكي ، واحلال السلام محل الحرب بين الغرب والتتار (٥٩) . وكان المبعوث الاول من هذين السفيرين هو لورنس البرتغالي «Lawrence of Portugal» الذي لا يوجد أى تفسير عن عودته من الشرق أو حتى عن رحلته الى المغول (٦٠) . والثانى كان جون أوف بلانوكاربيينى «John of Plano Carpina» (٦١) وكان أن قابل كاربيينى جيوك خان وحضر حفل تنويجه فى قراقورم (٢٤ أغسطس ١٢٤٦ م) وأكرم الخان وفادة مبعوث البابا بها الا أن الرد المغولى على مطالب البابا كان يطابق القاعدة التى وضعها جنكيز خان ليحدد بها علاقة المغول مع سائر حكام العالم ، وهى أنه « هناك اله واحد فى السماء ، وعلى الارض يوجد سيد واحد فقط هو جنكيز خان » وطلب الخان المغولى من البابا خضوعه هو وسائر الملوك المسيحيين للسيادة المغولية (٦٢) . وكانت سفارة البابا انوسنت

(٥٩) كما كلف البابا رسوله بجمع المعلومات الممكن جمعها عن هذا الشعب الغامض والوسائل المناسبة للتصدى له . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٢٥٨ . راجع أيضا :

J. Richard, The Mongols and the Franks, p. 47.

(٦٠) جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٢٥٨ . راجع أيضا :

Guzman, Simon of Saint Quentin, p. 234.

(٦١) غادر كاربيينى مدينة ليون فى ١٦ ابريل ١٢٤٥م بصحبة بندكت البولندى كمترجم له ورفيق رحلته بعد أن مرض كلاوس البوهيمى الذى كان من المفروض أن يصاحبه الى الشرق . وكان خطاب البابا الى الخان يحمل تاريخ ١٣ مارس ١٢٤٥م . كاربيينى الى بولندا ثم روسيا ، ومن آسيا الوسطى اتجه الى منغوليا حيث عاد الى أوروبا فى نوفمبر ١٢٤٧م . وقد نشر رودنبرج النص اللاتينى لخطاب البابا الى خان المغول جيوك . وللمزيد عن رحلة كاربيينى . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ . راجع أيضا :

Rodenberg, Epistolae Sacculi, in M.G.H., Vol. 2, no 105;

W.W. Rockhill, The Journey of Frair John of Pian De Carpine, as narrated by Himself, Hakluyt Society, Ser. 2 Vol. 4, London 1900, pp. 1-33. CF. also, A.S. Atiy, The Crusades in the Later Middle Ages, pp. 238-239.

(٦٢) ورد النص الاصلى لخطاب جيوك الى البابا فى حولية سالبين .

الثالثة الى المغول تضم رهبانا من جماعة الدومنيكان (٦٣) . ورأس هذه السفارة أسلين اللباردى Ascelin (٦٤) ولكن المهمة التي أوكلت الى أعضاء هذه السفارة اختلفت عن مهمة سابقتها . وقد حددها لنا سيمون أوف سان كوينتين في تقريره عن الرحلة . فقد أمر البابا مبعوثه أن يصل الى أول جيش مغولى تصادفه البعثة في فارس ، وأن يحض قائد هذا الجيش على أن يمتنع عن نهب الناس وخاصة المسيحيين منهم ، وأن يعتنق المسيحية ، وأن يتوب عن خطاياہ (٦٥) . وكان أول من قابلته البعثة من قادة التتار هو بيجو الذى بعثه باطو ، زعيم القبيلة الذهبية التى كانت قد فتحت جنوب روسيا ، الى غربى آسيا فصادفته البعثة وهو في تبريز في ٢٤ مايو ١٢٤٧م / ١٧ محرم ٦٤٥هـ (٦٦) . وكان رد بيجو

انظر :

Cronica de Salembene, in M.G.H.S., Vol. 32, Vol. 32, pp 207-208. CF. also, Pelliot, Les Mongols et La Papautt, in R.O.L., Vol. 23, 1922-23, pp 6-30

(٦٣) مؤسس هذه الجماعة راهب من أصل أسباني يدعى القديس دومنيك «St. Dominico» وكان تاسيسها في عام ١٢١٥م بقصد مكافحة تيار الهرطقة الذى بدا واضحا في الكنيسة وخارجها في أخريات القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر الميلاديين . وأساس تعليم هذه الجماعة هو الوعظ والارشاد بين الناس حتى اشتهر أعضاؤها باسم الاخوان المبشرين «Fratres Praedicatores» انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ١٩٤ ، حاشية رقم ٥ .

(٦٤) سحب أسلين في هذه الرحلة ثلاثة من الدومنيكان وهم الكسندر وألبرت وسيمون أوف سان كوينتين الذى كتب كل شيء عن هذه الرحلة في كتابه الذى وضع له عنوانا « تاريخ التتار » «Historia Tartarorum» والذى ضمنه فنسنت دى بيفييه في موسوعته مرآة التاريخ «Speculum Historiale» واحتل عمل سيمون الكتابين الاخيرين من موسوعة فنسنت «Libre 31-32» وقد رحل أسلين من ليون في مارس - ابريل من عام ١٢٤٥م وعاد الى أوربا في سبتمبر - أكتوبر ١٢٤٨م وقد عبر أسلين ورفيقه أوربا الى أرمينيا وسوريا وجورجيا . انظر :

Vincent de Beauvais, Speculum, Historiale, Lib. 32, Ch. 50.

CF. also, Guzman, Simon of Saint Quintin, p. 240.

Vincent de Beauvais, Lib. 32, Ch. 40.

(٦٥)

(٦٦) بقيت البعثة في معسكر بيجو حتى ٢٥ يوليو ١٢٤٧م، أى أنها =

على البابا أن خطابه وكلمات المبعوث البابوي قد أدت اليه النصيحة بعدم القتل والتدمير ، ولكنه رفض دعوة البابا باعتناق المسيحية ، وكرر أن إرادة الله أن يحكم المغول العالم . ثم أصدر القائد المغولي أوامره الى البابا بأن يحضر بشخصه اليه وأن يعلن خضوعه أمامه ، وإن لم يفعل فإنه سيعتبر عدوا للمغول (٦٧) . وهكذا فشلت محاولات البابوية في اجتذاب المغول الى صف المسيحية ضد المسلمين ، ومع ذلك فقد كان المطلب الوحيد للمغول هو خضوع البابا التام ، مع ملوك أوربا ، للسلادة

فصت في المعسكر تسعة أسابيع فقط . انظر :

Vincent de Beauvais, Lib. 32, Ch. 48.

(٦٧) عادت السفارة بخطاب بيجو المؤرخ في العشرين من يوليو ١٢٤٧م وأرسل بيجو مع مبعوثي البابا سفيرين من أتباعه المسيحيين الأول هو أيبك «Aibeg» والثاني يدعى سارجيس . وبينما يذكر متى الباريزي أن البابا استقبل مبعوثين منغوليين في عام ١٢٤٨م/٦٤٦هـ إلا أنه لم يذكر أي شيء يخص المهمة التي جاء من أجلها هذين المبعوثين ، بينما يسجل سيمون أن بيجو بعث بسفيرين الى البابا بصحبة مبعوثه أسلين . وقد ورد اسم السفيرين في خطاب بيجو الى البابا . وبقي السفيرين في ليون حتى موت الامبراطور فريديريك الثاني في عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ وعودة البابا الى روما . ومن المؤكد أن مهمة هذين المبعوثين كانت التجسس لمعرفة مدى قوة كل من البابوية ودول غرب أوربا لتحديد موقف المغول من الغرب الأوربي على ضوء المعلومات التي تصل اليهم . ومن المؤكد أيضا أن الأوربيين شعروا بذلك بعد أن عقد معهم البابا انوسنت الرابع عدة اجتماعات لمعرفة مدى استعداد الخانات لتقبل الدخول في المسيحية الكاثوليكية . والدليل على ذلك أن كلا من وليم روبرك رفض أن يصطحب معه أي سفير مغولي الى أوربا حين ذهب لمقابلة منكوك خان في عام ١٢٥٢م/٦٥٠هـ . بحجة أنه ليس له أن يقبل ذلك دون إذن من الملك لويس التاسع وهو مجرد مبعوث بسيط . ويرى بليوت أن مبعوثي بيجو لم يكونوا من التتار فالأول يدل اسمه على أنه تركي والثاني من المسيحيين النساطرة . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ . راجع أيضا :

Vincent de Beauvais, Speculum Historiale, Lib. 32, Ch. 49-51;
Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 5, p. 37. CF. also,
Pelliot, Les Mongols et La Papauté, in R.O.L., Vol. 4,
1924, p. 237.

المغولية (٦٨) . واذ تغاضت البابوية عن محاولاتها في استمالة المغول ، فقد كان للسلطة العلمانية الاوربية أن تحاول النجاح فيما فشلت فيه السلطة الدينية . وكان أن عادت المفاوضات بين المغول وبين أوربا حين بعث جغتاي خان بسفارة الى الملك لويس التاسع وهو في قبرص ، قبل توجهه الى مصر (٦٩) يدعوه فيها للقيام بعمل مشترك ضد المسلمين واستعادة الاراضى المقدسة منهم (٧٠) . وقد شجع هذا الملك الصليبي ودفعه الى الرد على سفارة جغتاي بسرعة مغتنما الفرصة لاكتساب المغول الى جانبه (٧١) . وعادت البعثة التى أوفدها لويس الى خان

(٦٨) اذا كانت بعثة أسلين الى المغول قد فشلت في تحويل الخان وشعبه الى المسيحية وهى مهمتها الاساسية ، فانها نجحت في مجال آخر ، فقد كانت سببا في وجود تاريخ ميمون أوف سان كوينتين الذى أمدنا بتفصيل دقيق عن البعثة نفسها ، ومعلومات وفيرة عن الشعب المغولى وعاداته ، وعن غزو المغول لأوربا الشرقية والشرق الادنى الاسلامى ، في الوقت الذى تصادمت فيه المصالح المغولية الصليبية الاسلامية بشكل مصيرى . انظر : Guzman, Simon of Saint Quintin, p. 249.

(٦٩) جغتاي هو ابن كاشيوم «Qashium» شقيق جنكيز خان ويأخذ اسمه في تاريخ الجوينى أشكالا مختلفة منها «Aylctay» «Eljigidei» وكان جغتاي قائدا لقوات المغول في تبريز التابعة لباطو رئيس القبيلة الذهبية التى فتحت جنوب روميا والمجر وبولندا ، وبعد ذلك سيطر على جغتاي قيادة القوات المغولية شمالى اقليم الجزيرة . وكانت السفارة تتكون من نسطوريين أحدهما يدعى داوود والآخر مرقس . Juvaini, p. 184, Joinville, p. 168. CF. also, Baldwin, Missions, p. 476.

(٧٠) بالرغم من أن لهجة رسالة جغتاي الى لويس كانت أكثر ودا من تلك التى وصلت الى البابوية ، فان الغرض منها كان ايجاد تأثير طيب لدى الملك الفرنسى ، الامر الذى من شأنه أن يجنب المغول أية مواجهة مع جيوش لويس اذا تقدم التتار نحو بغداد . انظر : جوزيف نسيم يوسف: العدوان الصليبي على بلاد الشام، ص ٢٦٢ - ٢٦٥ . راجع أيضا :

Baldwin, Missions, p. 476; p. 476; Atiya, The Crusades, pp. 241-242.

(٧١) غادر المبعوثان المغوليان قبرص في ٢٧ يناير ١٢٤٩م ومعهما بعثة من قبل لويس تتكون من ثلاثة من الدومنيكان هم أندرو دي =

التتار ، تحمل نفس الرد الذى تلقته البابوية من قبل ، وكان أيضا على الملك الفرنسى أن يرسل جزيته الى قراقورم كل عام (٧٢) ورغم ذلك - وكما فعل البابا من قبل - لم ييأس الملك الصليبي من النجاح في التحالف مع المغول بعد حملهم على اعتناق المسيحية الكاثوليكية (٧٣) . فبعث بمسفارة أخرى (٧٤) عادت تحمل ردا مغوليا أعنف مما جاءت به

لونججيمو ومعه شقيقه وليم الذى كان يحسن التحدث باللغة العربية ثم يوحنا الكركسكونى . وبعث لويس معهم هدايا كثيرة لخان المغول عبارة عن خيمة من القماش القرموزى على هيئة كنيسة صغيرة ، ومعها كل ما يلزم لاقامة القداس المسيحى . ووصلت البعثة الى جنغطاي الذى أرسل أعضائها الى قراقورم حيث مات كيوك خان المغول وقابلت زوجته قلقميش «Qulqamis» البعثة ثم قدمتها الى ابنها منكو الخان الجديد . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٢٦٦ - ٢٦٨ . راجع أيضا :

Joinville, p. 253-258; CF. also, Baldwin, Missions, p. 477.

(٧٢) بعد أن عدد منجوا للملك لويس في رسالته البلاد التى فتحها وأسماء الملوك الذين أخضعهم التتار لسلطانهم أضاف « لذلك فنحن ننصحك بأن ترسل إلينا عام بعام بشيء من ذهبك وفضتك وهكذا تبقىنا أصدقاء ، فإن لم تفعل ذلك فإننا سندمرك أنت وشعبك كما دمرنا الملوك المذكورين » . وقد وصلت البعثة الى لويس وهو في قيسارية بعد فشل حملته على مصر (١٢٥١م) . انظر :

Joinville, pp. 2558-259.

(٧٣) جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٢٧٠ .

(٧٤) تكونت هذه السفارة من وليم روبروك أحد الرهبان الفرنسيين ، وراهب آخر هو برثليميو الكريمنى ، وتابع يسمى نيقولا . وخرجت السفارة من عكا في ١٢٤٢م الى القسطنطينية ومنها الى معسكر سارتاك «Sartak» أحد قادة المغول بالقرب من نهر الفولجا حيث أبدى وليم تشككه في مسيحية سارتاك . ثم توجهت السفارة الى معسكر باطو قائد القبيلة الذهبية الذى كان مقيما شرقى نهر الفولجا في مدينة اردو . ثم وجه باطو السفارة الى قراقورم لمقابلة منكو خان حيث وصل وليم هناك في ٢٧ ديسمبر ١٢٥٣م وفي أغسطس ١٢٥٤م غادرت السفارة منغوليا حيث وصلت الى عكا في مايو ١٢٥٥م ، وكان الملك لويس قد وصل الى فرنسا . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٢٧٢ . وما بعدها . راجع أيضا :

سابقته (٧٥) . وهكذا عندما حاولت السلطات الدينية والعلمانية الصليبية أن تجتذب إلى صفها العنصر المغولي ضد المسلمين في مصر وبلاد الشام، وبعثت السفارات إلى بلاد المغول لاستمالتهم وللتجسس عليهم ، وجدت أن عليها أن تخضع للمغول كسادة العالم ، في الوقت الذي حمل رد المغول إلى البابا لويس التاسع سفراء مغوليين بعثوا أصلا للتجسس أيضا ، ولمعرفة مدى قوة أوربا وجيوشها الصليبية (٧٦) . ولم يكن عرض المغول على الصليبيين بالقيام بعمل مشترك ضد المسلمين لاستعادة الأراضي المقدسة للمسيحية إلا رخصة يصل بها جواسيسهم إلى الجيوش الصليبية للوقوف على مدى قوتها واستعدادها لهجوم خانات المغول الذي لن يفرق بين مسلم ومسيحي . وبينما فشلت السلطات الصليبية في مسعاها ، نجح المغول في التمويه على حكام المسيحية الذين ملأهم الأمل الكاذب بالتحالف مع من رأوهم أعداء للمسلمين فقط (٧٧) . ومما يثبت أن

William Rubruck, Itinerarium, Passim. CF. also, Haworth, =
History of the Mongols, Vol. 1, pp. 170 ff.

(٧٥) « اذا عرفت أوامرنا وأطعنا ابعث اليينا بمعوثيك . واذا لم تطعنا فلا تقل لنفسك أن بيننا وبينكم بحار وجبال ، فستعرف ما في مقدورنا القيام به » . انظر :

William Rubruck, Itinerarium, pp. 250-251.

(٧٦) كما كان النجاح الوحيد الذي حققته سفارات البابا إلى خانات المغول يتمثل في التاريخ الذي وضعه سيمون أوف سان كوينتين ، فإن نجاح سفارات لويس تمثل في وصف الرحلة إلى الشرق الذي تركه لنا وليم روبروك والذي يعد دليلا على الارتحال في أعماق آسيا وسجلا نادرا عن عادات وتقاليد المغول . وفيما عدا ذلك فإن سفارات البابوية والملك لويس لم تؤت ثمارها . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٢٦١ - ٢٦٤ ، ٢٧١ . راجع أيضا :

Baldwin, Missions, p. 479; A.S. Atiya, The Crusades, p. 243.

(٧٧) يذكر متى الباريزي أن أنباء اعتناق جغتاي للمسيحية كانت تبعث على التفاؤل في الأوساط الأوروبية . ولم يكتشف أحد أن المغول لا يحبون أن ينادوا بالمسيحيين بل يفضلوا أن ينادوا بالمغول «Moal» وتأكد أن سارتاك مسيحيا كما كان يعتقد الملك لويس . انظر :

Mathew Paris, Chronica Majora, Vol. 5, p. 87; William Rubruck, Itinerarium, pp. 107, 123.

المغول لم يتخلوا أبدا عن خضوع الصليبيين لهم ، الخطاب الذى بعث به هولاكو الى الملك لويس التاسع بعد موقعة عين جالوت (سبتمبر ١٢٦٠م / رمضان ٦٥٨ هـ) مباشرة والذى تم اكتشافه حديثا (٧٨) ، ويحاول فيه هولاكو أن يقنع اللاتين بالهجوم على المسلمين من جهة البحر ، بينما يقوم المغول بالهجوم عليهم برا ، ويصبح من السهل التغلب على المسلمين في مصر وبلاد الشام بضربة صليبية مغولية واحدة (٧٩) . الا أن هولاكو بالرغم من دحر قواته على أيدي المماليك ، وبالرغم من اضطراب أحواله في بلاده (٨٠) واحتمال حاجته للتحالف مع الملك الفرنسى ضد المماليك ، الا أنه أعقب عرضه هذا بتهديد الملك الفرنسى بأنه « اذا لم تصل مساعدته قريبا فانه أى (لويس) سيجرب المصير الذى حاق بالعاصين لأوامر المغول » (٨١) . وهكذا يتضح من كل ردود المغول على البابوية والملك لويس ، أن خانات قراقورم لم يعرضوا على

(٧٨) اكتشف هذا الخطاب بول ميفيرت «Paul Meyvaert» ضمن صفحات مخطوط بالمكتبة الاهلية بمدينة فيينا . والمخطوط يتحدث عن حياة القديسين اللاتين . ويحتل الخطاب آخر صفحة بالمخطوط . ومن محتويات الخطاب يمكن التأكد من أنه قد كتب بعد موقعة عين جالوت مباشرة (سبتمبر ١٢٦٠ / شوال ٦٥٨ هـ) . انظر :

Paul Meyvaert, An Unknown Letter of Hulagu, Il-Khan of Persia to King Louis IX of France, in Viator, Vol. 11, 1980, pp. 245-261 (the Letter in pp. 252-259).

Paul Meyvaert, An Unknown Letter, p. 259. (٧٩)

(٨٠) مات الخان منجو شقيق هولاكو في ١١ أغسطس ١٢٥٩م / ٢٠ شعبان ٦٥٧ هـ ، فاضطر هولاكو الى سحب جزء من قواته وتوجه الى شرقى فارس حتى يرقب ما ينتج عن الصراع الذى نشأ بين شقيقه قبيلاي وأريق بوقا الذى أخضعه قبيلاي في ١٢٦١م / ٦٥٩ هـ . وتولى الحكم في منغوليا . كما قام النزاع بين هولاكو وبركة خان القبيلة الذهبية الذى كان يميل الى المسلمين ، وهزم هولاكو في منطقة القوقاز الفاصلة بين أملاكهما في ١٢٦٩م / ٦٦٧ هـ ، وترك هولاكو مع كتبغا عشرة آلاف مقاتل في سوريا . انظر : رشيد الدين المهدانى : جامع التواريخ ، ص ٣٠٨ ، راجع أيضا :

Hayton, La Flor, p. 173; Bar Hebraeus, p. 439; CF. also, Howorth, History of the Mongols, Vol. 3, p. 151.

Paul Meyvaert, An Unknown Letter, p. 249.

(٨١)

الصلبيين الا الخضوع وليس التحالف . وبالطبع لم يكن لصلبيى مملكة بيت المقدس أن يتخلصوا من خطر المماليك - الذين لم تكن أحوالهم قد استقرت في مصر بعد - بالخضوع لسطوة المغول التي لا ترحم . واذا كان هيثوم الاول ملك قيليقية الارمينى قد انتابه الخوف من المغول عندما رآهم يخضعون سلاجقة الروم في عام ١٢٤٣م/٦٤١هـ ، وتأكد من وصول الخطر المغولى الى بلاده ، فسارع بايفاد شقيقه المؤرخ سمباد في ١٢٤٨م/٦٤١هـ الى بلاط جيوك خان يعرض على الاخير خضوعه وولائه (٨٢) ، واذا كانت سفارة سمباد قد ملأت المسيحيين قاطبة بأمل كاذب في استمالة المغول الذين ضمنوا لهيثوم - المسيحى - سلامة ووحدته بلاده (٨٣) ، اذا كان الامر كذلك فان الزيارة التي قام بها الملك هيثوم بنفسه الى بلاط الخان منكو في عام ١٢٥٤م/٦٥٢هـ (٨٤) قد زادت من أوهام العالم المسيحى في امكانية اجتذاب المغول ضد المسلمين (٨٥) . وربما كان لما أورده المؤرخ الارمينى هايتون أثر كبير في ازدياد الامل لدى الحالمين من الصليبيين في حسن نوايا المغول تجاه قضيتهم ، وأيضا في دفع رينيه جروميه وغيره من المؤرخين الحديثين الى لوم الصليبيين في مملكة بيت

(٨٢) توجه سمباد الى منغوليا في عام ١٢٤٨م/٦٤٦هـ وعاد الى أرمينيا في عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ ، Sempad, p. 561.

(٨٣) كانت الرسالة التي بعث بها سمباد الى زوج شقيقته هنرى الاول ملك قبرص عام ١٢٤٨م/٦٤٦هـ والتي كتبها في مدينة سميرقند وهو في طريقه الى قراقورم تحمل أنباء عن ازدياد انتشار المسيحية في آسيا وخاصة بين المغول ، الامر الذى زاد من تفاؤل الاوربيين وأملهم في دخول المغول الى حظيرة كنيسة روما . انظر :

William of Nangis, Vie de Saint Louis, in R.H.G.F. Vol. XX, pp. 361-363, Hayton, La Flor, p. 163.

(٨٤) عاد هيثوم الى سيس في نهاية يوليو ١٢٥٥م/جمادى ثان ٦٥٣هـ . وقد قام كثير من المؤرخين الحديثين بترجمة الجزء الخاص برحلة هيثوم الى قراقورم من المخطوط الخاص بتاريخ كيراكوس الارمينى الذى لم يذكر أية تفاصيل عن اتفاقية هيثوم مع خان المغول . انظر :

Bretschneider, king Haithon's journey to Mongolia, in Medieval Researches, pp. 163-171; J.A. Boyle, The Journey of Hetum 1; King of Little Armenia, to the court of the Great khan Mongke, in C.A.J., Vol. 9, 1964, pp. 175-189.

Peter Jackson, The Crisis in the Holy Land, 1260; in E.H.R., (٨٥) 1980, p. 486.

المقدس على عدم محاولتهم التحالف مع المغول (٨٦) . فقد ذكر هايتون أن الملك الارميني قد طلب من منكوخان المغول سبعة طلبات وافق عليها منكودون ترده . وكان أهم هذه الطلبات اثنان : الاول منهما أن يقبل الخان المغولي الدخول هو وشعبه في المسيحية ، وثانيهما أنه على منكودون أن ينتزع الاراضي المقدسة من أيدي المسلمين ويردها الى حوزة المسيحية (٨٧) . الا أن التمعن في رواية هايتون وتتبع سير الاحداث بعد ذلك ، يثبت أن التحالف بين المغول والصليبيين كان مستحيلا قيامه . فرواية هايتون التي كتبها في فرنسا ١٣٠٧م / ٧٠٥هـ (٨٨) ليس لها - اذا كانت رواية صادقة - نظير في كتابات مؤرخ معاصر مثل كيراكوس الذي كتب رواية مفصلة عن رحلة هيثوم الى بلاط الخان . كما لم يذكر عنها شيئا المؤرخ الارميني سمباد شقيق هيثوم نفسه عند حديثه عن رحلة أخيه الى قراقورم . الى جانب ذلك ، فإن هيثوم قد توجه لمقابلة منكودون كتابع يملأه الخوف وليس كحليف وند . فعندما اعتلى منكودون العرش « أرسل باطو الى الملك هيثوم يأمره بالذهاب الى بلاط منكودون خان ، فرحل هيثوم الذي كان يخشى الخان » (٨٩) . وهكذا يمكن تحديد نتائج محاولة هيثوم لتلافي الخطر المغولي بخضوعه التام للتتار وليس تحالفه معهم ،

(٨٦) مع أن التاريخ الذي وضعه هايتون (كتب في ١٣٠٧م / ٧٠٥هـ في فرنسا) يعد مسحا تاريخيا للشرق ، الا أنه في حقيقته كان مجرد دهاية سياسية للارمن . انظر :

A.S. Atiya, *The Crusades in The Later Middle Ages*, pp. 62-63; Peter Jackson, *The Crisis*, p. 485.

(٨٧) كانت بقية طلبات هيثوم السبعة هي كالاتي: أن يعيد المغول كل ما فتحوه من أملاك هيثوم، وأن يحصل على مساعدة قوات المغول القريبة من بلاده في الوقت الذي يطلبها فيه ، وأن يعيد المغول الى الارمن كل الاراضي التي استولى عليها المسلمون من قبل وانتقلت الى حوزة التتار . وأخيرا أن يكون لهيثوم الحق في الاحتفاظ بكل ما يغنمه من أراضى المسلمين دون أن يعارضه المغول . وقد أورد مارينو سانودو هذه الرواية بالنص . انظر :

Hayton, *La Flor*, pp. 164-166; Marino Sanudo, *Liber Secretorum*, pp. 236-237.

Hayton, *La Flor*, pp. XXV-XIVI. (٨٨)

Bretschneider, *King Haithon's Journey* p. 166; J. Boyle, *The Journey of Hetu'm I*, p. 178. (٨٩)

وبامكانية خضوع أمير انطاكية - صهر هيثوم - الصليبي لهم ، الامر الذي لابد وأن حدثهم به هيثوم الذي لم يكن يعبر ، عند زيارته للخان المغولي ، عن سياسته الشخصية ووجهة نظره فحسب، بل عن سياسة صهره بوهيمنند السادس أيضا (٩٠) . ومن كل ما سبق يتضح لنا أن الصليبيين في مملكة بيت المقدس كان عليهم أن يعلنوا خضوعهم التام للسيادة المغولية ، و فرق كبير بين الخضوع وبين التحالف الذي لامهم على عدم تحقيقه كثير من المؤرخين الغربيين الحديثين . ويتأكد ذلك بتتبع موقف المغول من الفرنج في بلاد الشام منذ فتح التتار لاقليمى جورجيا وأرمينيا وانتصارهم على سلاجقة الروم ، وحتى تصادمهم مع المماليك في عين جالوت . فقد رأينا فيما سبق (٩١) . أن بيجو قد طلب من بوهيمنند الخامس الخضوع له وارسال جزية سنوية لم يكن بمقدور الأمير الصليبي الوفاء بها . وبعد استيلاء هولاكو على حلب (يناير ١٢٦٠م / صفر ٦٥٨هـ) تلقت حكومة عكا الصليبية انذارا من هولاكو يطلب فيه أن تخضع له (٩٢) . وعندما

(٩٠) في الحقيقة لم نقف على نص تاريخي يثبت ذلك ولا يسمح لنا بالأخذ بهذا الرأي الذي يتفق عليه كل من الدكتور سعيد عاشور والدكتور السيد عبد العزيز سالم سوى امكانية وقوف هيثوم على أحوال إمارة انطاكية وأميرها صهر الملك الأرميني ، والتي لا تسمح لبوهيمنند أن يقاوم الخطر المغولي المحدق بالجميع . انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١١٢٣ - ١١٢٤م ، السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ ، ص ١٧٣ .

(٩١) انظر ما سبق من الفصل الرابع ، ص ٣٧٧ .

(٩٢) كتب توماس أجنى أسقف بيت لحم ومندوب البابا في المملكة الصليبية في أول مارس ١٢٦٠م إلى ملوك وأمراء أوروبا ورجال الدين فيها ، يخبرهم فيها بانذار هولاكو للفرنج والذي اعتبره توماس دليلا على كفر هولاكو بقوله :

«Etenim idem Rex Tartarorum nobis Litteras blasfemiae Plenas in Deum Viventem in audite superbie destinavit .. Dominus Deus Israel, .. inclina aurem tuam, et Audi Omnia verba regis Tartarorum, qui misit, ut exprobaret nobis Deum Viventem, dicens, tuum posse esse in celis, Mangakan vero in terris.»

» حقا ان نفس ملك التتار قد أرسل إلينا خطابات مليئة بالكفر ضد الرب الحي بكبرياء لم يسمع به ... يا رب اسرائيل ، ... أنصتوا جيدا واسمعوا كل كلمات ملك التتار التي بعث بها كي =

اضطر هولاء الى الرحيل عن بلاد الشام بعد موت الخان الكبير ترك قائده كتبغا على رأس جزء من قواته وبعثه « الى دمشق والشام وأوصاه بأهلها ويحفظ البلاد وأن يكون قبالة الفرنج » (٩٣) . وعندما استسلمت دمشق للمغول « خافت الفرنج منهم خوفا كثيرا ، وحصنوا بلادهم وحملوا الى كتبغا التقدم والهدايا الكثيرة فطلب منهم أن يخربوا الاسوار التي على مدنهاهم وقلاعهم ، فلم يوافقوه على ذلك » (٩٤) . وبالطبع لم يكن هدم وتخريب أملاك الفرنج شرطا يطلبه من يريد التحالف معهم . واذا كان كل ذلك يعد دليلا على عدم امكانية قيام التحالف بين الفرنج في مملكة بيت المقدس والمغول ضد المسلمين ، فانه في ذات الوقت يثبت أن كل ما كان يريده المغول من الصليبيين هو الخضوع المسيحي التام لسلطة الخان العظيم، وهو نفس الخضوع الذي أبداه كثير من بنى أيوب المسلمين للمغول . وبذلك لم يكن يهم المغول أن يكون التابع مسلما أو مسيحيا . ومهما يكن من أمر ، فقد كان على بوهيمند السادس أن يدفع ثمن السلام الذي منحه آياه المغول . فبعد أن سجد أمام هولاء مثل العبيد (٩٥) ، وافق على إعادة البطريك اليوناني الى منصبه في بطريركية انطاكية ، مضحيا بذلك بوحدة الكنيسة اللاتينية في الشرق (٩٦) . وبالطبع لم تكن مصالح الكنيسة تهم بوهيمند ، الذي حرص مثل أسلافه من أمراء انطاكية - بدءا ببوهيمند الثالث - على مصالحه الشخصية دون النظر الى المصالح الصليبية العام . وتلقى بوهيمند من المغول في المقابل ثمن خضوعه لهم . فقد سلم له المغول كل أملاكه في وادي نهر العاصي والتي كانت بحوزة المسلمين مثل دركوش وكفردوبين وكفر بليمس وكشفهان التي بقيت في حوزته حتى سقوط انطاكية في أيدي المماليك في عام ١٢٦٨م/٦٦٦هـ (٩٧) . كما استولى بوهيمند في نفس

= يفترى على الرب الحي قائلا ، سلطتك في السماء وسلطة منكرو خان على الارض « : انظر :

Letter of Thamas, Agni, p. 548.

(٩٣) ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٣ .

(٩٤) ابن العميد : نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٩٥) Letter of Thomas Berard, p. 492-493.

(٩٦) Peter Jackson, The Crisis in The Holyland, p. 494.

(٩٧) يذكر ابن عبد الظاهر أن استيلاء بوهيمند على هذه الاماكن قد =

الوقت على اللاذقية (٩٨) وجبله (٩٩) . وهكذا استغل بوهيمند الفوضى التي أثارها الغزو المغولي في أملاك المسلمين ، واستطاع ربط كونتية طرابلس بامارة انطاكية بعد انفصال دام ثلاثة أرباع القرن (١٠٠) . وكان على

= وقع عند أخذ المغول لحلب ، ونفس الرواية ذكرها ابن الفرات . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦م ، ص ٣٢٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط تصوير شمسى ، مجلد ١٢ ، لوحة ٢٩ .

(٩٨) يذهب كلود كاهن الى أن استيلاء بوهيمند على اللاذقية كان بمساعدة الداوية والاسبتارية دون أن يقدم ما يثبت ذلك . وفي الحقيقة ليس هناك ما يؤكد اشتراك الجماعتين مع بوهيمند في أخذ اللاذقية . وقد ذكر بيبرس في خطابه الى بوهيمند السابع في ١٢٨٥م/٦٧٣هـ يلومه على أن والده (بوهيمند السادس) قد استولى على اللاذقية دون وجه حق . ومن المرجح أن بوهيمند استغل فترة الفوضى التي سببها الغزو المغولي بين صفوف المسلمين وسارع بالاستيلاء على اللاذقية لأهميتها في ربط أملاكه في انطاكية وطرابلس الى جانب كونها ميناء انطاكية الرئيسي . وأول اتفاق بين بوهيمند والاسبتارية بخصوص اللاذقية كان في الاول من مايو ١٢٦٢م/٩ جماد ثان ٦٦٠هـ حيث منح بوهيمند نصف اللاذقية للاسبتارية . وأخذ الداوية نصفها الآخر . انظر : ابن عبد الظاهر الروض الزاهر : ص ٤٤٥ . راجع أيضا :

Cartulaire, Vol. 2, no. 3022, p. 29; Inventaire des Pièces de Terre Sainte de L'Ordre de L'Hopital, ed. J. Delaville le Roulx; in R.O.L., Vol. 3, 1895, nos. 325-326, p. 98
CF. also, Cahen, La Syrie du Nord, p. 706.

(٩٩) يفهم من رواية ابن عبد الظاهر أن الداوية والاسبتارية قاما بمساعدة بوهيمند في استرداد جبله من المسلمين ، وتقاسمت الجماعتان المدينة بينهما ونفس الشيء ذكره ابن الفرات . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مجلد ١٢ ، لوحة ٣٢ .

(١٠٠) بعد أن هرب الناصر من دمشق اتفق الوزير الحافظي مع أهلها على تسليمها لنواب هولاكو الذي عين بها حاكما مغوليا يساعده ثلاثة من الفرس ، وأمر بحسن معاملة أهلها ، ثم أصدر مرسوما للاشرف موسى صاحب حمص بأن يكون نائبه في دمشق وبلاد الشام . انظر : ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ؛ المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

بوهيمند بعد ذلك أن يشارك المغول في دخول دمشق (١٠١) . وتم دخول المدينة دون مقاومة من أهلها في أول مارس ١٢٦٠م /منتصف ربيع أول ٦٥٨هـ (١٠٢) بينما رفض والى قلعة دمشق تسليم القلعة وقرر مقاومة قوات كتبغا ، واستمر في مقاومة هجوم المغول لعدة أيام ثم سلمها بالأمان (١٠٣) . وفي دمشق ، وكما كان الامر في كل المدن الاسلامية التي استولى عليها المغول من قبل ، حصل المسيحيون على حق الاحتفال علانية بسيادة عقيدتهم . فأمر بوهيمند الذى رافق كتبغا وهيثوم بأن يحول مسجد دمشق الجامع الى كنيسة ، ولم تسلم أماكن العبادة الاسلامية في المدينة من الاعتداءات (١٠٤) وتلا سقوط دمشق سلسلة من الهجمات المغولية على بقية المدن الاسلامية استولى المغول فيها على ماردين (١٠٥) ، وخربوا بانياس وبعلبك ووصلوا الى غزة (١٠٦) . ولكن

(١٠١) رشيد الدين الهمذاني جامع التواريخ ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٣٠٧

.. ٣٠٨ .

(١٠٢) ابن العميد : تاريخ الايوبيين ، ص ١٧٤ .

(١٠٣) كتب الزين الحافظى الى هولاكو بما حدث فأمر بقتل الوالى

محمد بن قريجه الذى قاوم المغول وقتله الزين الحافظى بنفسه

حسب أوامر هولاكو . انظر : ابن العميد : اخبار الايوبيين ،

ص ١٧٤ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٢٦ ،

أبو الفدا : المختصر ، مجلد ٢ ، ج ٣ ، ص ٢١٢ .

(١٠٤) أمر بوهيمند بأن يقام القداس فى المسجد وأن تدق الاجراس ، كما

أمر رجاله أن يسكبوا الخمر على جدران سائر المساجد فى دمشق ،

وأن يدخلوها مع مواشيهم وأن يأكلوا فيها لحم الخنزير وأن

يتفوهوا بالالفاظ البذيئة . وكلف بوهيمند عشرة من رجاله بالقيام

بذلك تشفيا فى المسلمين . انظر : اليونينى (قطب الدين) :

ذيل مرآة الزمان ، جزءان حيدر آباد ١٩٥٤ - ١٩٥٥ م ، ج ٢ ،

ص ٣٦٢ . راجع أيضا : Gestes des Chiprois, p. 751.

(١٠٥) يذكر ابن العميد أن المغول أمروا عليها الملك المظفر ابن الملك

السعيد بعد موت أبيه أثناء حصارهم للمدينة ، وبعد أن خضع

لهم المظفر ، قتل المغول كل أمرائه وأمروه بتخريب أسوار

المدينة . انظر : ابن العميد : اخبار الايوبيين ، ص ١٧٥ .

(١٠٦) ويذكر أبو المحاسن أن بوهيمند قد ساعد التتار فى فتح بعلبك

وكان ينوى طلبها من كتبغا لنفسه . انظر : أبو المحاسن : المنهل

الصابى والمستوفى بعد الوافى ، مخطوط بدار الكتب المصرية ،

٣ أجزاء ، ورقة ٣٨٢ : المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ،

ص ٤٢٦ .

السؤال الذى يطرح نفسه الآن : هل بعد أن وصل المغول فى مد سلطانهم على أملاك المسلمين حتى حدود مصر ، كان على الفرنج فى مملكة بيت المقدس أن يعاودوا المحاولة للتحالف معهم ؟ فمازال رينيه جروسيه يلقى باللوم على صليبيى المملكة لعدم اسراعهم بموالاتة المغول ، ويبين المؤرخ الفرنسى كيف فاز هيثوم الارمينى وبوهيمند بكل أملاكهم التى كانت بحوزة سلاجقة الروم وبنى أيوب قبل الغزو المغولى مكافأة لهما على خضوعهما لهولاكو (١٠٧) . ويرى أن سجاد بوهيمند واذلاله أمام هولاكو أمرا طبيعيا مادام صار صنيعا وحليفا لهولاكو (١٠٨) . فهل كان الصليبيون فى عكا سيقبلون استعادة مدينة بيت المقدس - التى صارت عكا كميناء تجارى لديهم أهم كثيرا من أى أثر دينى - وكل أملاكهم السابقة تحت السيادة المغولية بعد أن رفضوا استعادتها تحت السيادة الالمانية ؟ وفى الحقيقة فإن كل ما حدث كان يمنع قيام التعاون المشترك بين الطرفين . فالفرنج فى عكا منقسمون على أنفسهم بعد الحرب الاهلية التى نشبت بينهم جميعا . ولم يكن من السهل توحيد كلمتهم بشأن التعاون مع المغول (١٠٩) . ولم يكن فى وسع البنادقة أن يجازفوا بتجارتهم مع مصر بعد أن خسروا صداقة بيزنطة التى اكتسبها الجنوبية فى الوقت ذاته . وأيضا بعد أن تحولت تجارة الشرق الاقصى ، التى كانت تجتاز الطريق الى الخليج العربى والبحر الاحمر ، الى البحر الاسود حيث وطد الجنوبية مركزهم بتحالفهم مع البيزنطيين (١١٠) . كما كانت الكنيسة اللاتينية فى المملكة الصليبية وفى روما نفسها مازالت تعاني من أثر الصدمة التى سببتها عودة البطريرك اليونانى الى بطريركية انطاكية بفضل النفوذ المغولى على بوهيمند

Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, pp. 585-586. (١٠٧)

Grousset, Histoire des Groisades, t. 3, p. 586. (١٠٨)

Cahen La Syrie du Nord, p. 708. (١٠٩)

بالرغم من موافقة ميخائيل باليو لوج امبراطور بيزنطة اليونانى (١١٠)

على اعادة الاتفاق مع البنادقة فى ١٢٦٨م/٦٦٦هـ واعادة امتيازات

البنادقة اليهم فى عاصمته ، وكذلك موافقته على عودة التجار

البنادقة فى حيهم فى القسطنطينية فى ١٢٧٧م/٦٧٥هـ الا أن اعادة

فتح القسطنطينية كان قد قضت على احتكار البنادقة لتجارتها

انظر :

Louise Buenger Robert, Venice and the Crusades, in Setton,
Vol. 5, pp. 438-444.

السادس . كما كان كثير من اللاتين في المملكة معادين للمغول بسبب التأثير الارميني في الوقت الذي لم يستفد فيه من الغزو سوى المسيحيين الارثوذكس ، ولم يكن الفرنج قد نسوا كيف عامل المغول المسيحيين في أوروبا وأخيرا بسبب السمعة الرهيبة التي كانت تسبق المغول في كل مكان ، فقد كان هذا هو التأثير الذي أحدثه المغول الذين لهم عادات بربرية جدا (١١١) بدا معها أنهم يقصدون إبادة الحضارة كلها . أما عن تسهيل الفرنج لأمورية الجيش المملوكي في عبور الاراضى الصليبية لملاقاة المغول ، والذي يعتبره جروسيه تحالفا مع المسلمين ضد المغول حلفاء المسيحيين ، ويلوم الفرنج عليه (١١٢)؛ فإن التحالف الصليبي الاسلامي لا يعتبر أمرا مشينا في مواجهة المغول الا اذا كان مشينا في مواجهة الخوارزمية (١١٣) . والى جانب ذلك فان ما أغفله جروسيه (حين أقام دعوته) ، وما يعبر عن الموقف المسيحي الصليبي النهائي تجاه المغول ، هو حرمان بوهيمند السادس وقطعه من الكنيسة لمولاته للمغول الامر الذي يعد أبلغ رد على دعوى جروسيه (١١٤) . وأخيرا فانه من المؤكد

(١١١) أكد سيمون أوف سان كونتين أن العنف واثارة الرعب في القلوب كانا تكتيكا عسكريا يتبعه المغول تجاه أعدائهم . فأحيانا دون داع لاثارة الفزع في قلوب أهالى المدن التى سيتوجهون لفتحها فانهم يقومون بأكل لحوم الاناث من أهالى آخر مدينة فتحوها . وكانوا يتبعون ذلك مع المدن التى تقاومهم ولا تخضع لهم دون قتال . ويعدد سيمون الوسائل التى سلكها المغول في قتل سكان مدينة الدريند التى تقع على شاطئ بحر قزوين بالقرب من تفليس والتى فتحوها في عام ١٢٣٩م كما أطلق متى الباريزي في أكثر من مناسبة اسم أكلة لحوم البشر على المغول . انظر : Vincent de Beauvais, Speculum, Lib XXX, Ch. 77, 83; Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 4, p. 76, Vol. 6, p. 77. CF; also, Gregory G. Guzman, Simon of Saint Quentin as Historian of the Mongols and Seljuk Turks, in M.H. (new series), Vol. 3, 1972, p. 160.

Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, pp. 525-530, 580-606. (١١٢)

Cahen, La Syrie du Nord, p. 708. (١١٣)

(١١٤) في ٢٦ مايو ١٢٦٣م / ١٦ رجب ٦٦١هـ ، أصدر البابا أوربان الرابع قرار الحرمان ضد بوهيمند السادس لخضوعه للمغول وأحلاله بطريركا يونانيا أرثوذكسيا في كرسي بطريركية انطاكية محل البطريرك اللاتيني الكاثوليكي، وبعث البابا بذلك في خطاب =

أن كلا من بوهيمند وهيثوم اذا كانا يعرفان أن هولاكو سيغود بجزء كبير من قواته الى الشرق ، وأن الممالك في مصر قد استعدادوا للقاء المغول ، وأن النفوذ المغولي سينتهى من بلاد الشام في أسرع وقت ، وأن الاميرين الانطاكي والارميني سيكونا هدف الانتقام الاسلامي ، ما كانا تحالفا مع المغول . وهكذا كان على انطاكية أن تدفع ثمن خضوع أميرها للمغول ، وثمان تحسن علاقاتها بالارمن . وهكذا بعد أن بدا أن الملك لويس هو العون الفعال ، وارتكن الارمن على الامل في نجاحه في فتح مصر ، اذ بحملته تفشل تماما ، في ضمان أى أمن للمسيحيين الصليبيين والارمن في مواجهة المسلمين من أيوبيين وسلاجقة . فاضطر هيثوم الاول الى البحث عن سند آخر ولم يكن ذلك سوى التتار . فخضع لهم وتحالف معهم - فقد كان هو أكثر المستفيدين من الغزو-المغولي للشرق الادنى الاسلامي - ، بينما خضع بوهيمند أمير انطاكية للسيادة المغولية بحكم الضرورة ، وليتجنب وامارته المتهالكة مغبة عصيانه لانذارهم الذى تجاهله أبوه من قبل (١١٥) . أما عن الصليبيين في عكا ، فبينما كانت قوات كتيبغا تندفع الى داخل دمشق ، كان بارونات عكا في اجتماع ليناقشوا الموقف . فاما أن يخضعوا للمغول واما يعانون ما عاناه المسلمون من قوات كتيبغا . وقد رأوا أن يستبعدوا فكرة الخضوع لانهم أدركوا أن عليهم بالرغم من خضوعهم للمغول دفع جزية ضخمة عينا ونقدا وهو أمر لم يكن بمقدورهم القيام به (١١٦) . ولما اجتاحت المغول بعض القرى الفرنجية ، ولما لجأ بعض المسلمين الفارين من الغزو المغولي الى القلاع الصليبية مفضلين الاسر الفرنجي على الموت بوسائل المغول ، فقد كان على الفرنج أن يحسبوا حساب الغزاة الجدد . ولما لم يكن بينهم ملك يقرر أمورهم ، ورفضوا من قبل زعامة بوهيمند السادس ، ولم يكن المندوب البابوي توماس أجنى رجل دولة بارع ، الى جانب عدم درايته بسياسة الشرق ، فقد رحل البطريرك جيمس

الى بولس أسقف طرابلس . انظر :
Urban IV, Pope Riegestres d'Urban iv, ed. M.J, Guiraud, 4
Vols, Paris, 1892-1929, Vol. 2, no. 292, p. 133.
B. Hamilton, The Armenian Church and The Papacy at the (١١٥)
time of the Crusades, in E.C.R., Vol. X, 1978, p. 81.
Jean Richard, The Latin Kingdom, Vol. B, p. 388. (١١٦)

بانقليون - «James Pan Taléon» - البابا أوربان الرابع فيما بعد - (١١٣) الى روما في نهاية ١٢٥٨م / ٦٥٦هـ (١١٨) ويعكس خطابهم الى شارل كونت أنجو مدى ذهولهم لما حدث حولهم في المنطقة من تطورات ، حتى أنهم ندموا على اندحار أعداء الامس «الايوبيين» (١١٩) لكل ذلك لم يكن أمام الفرنج سوى الاستعداد داخل معاقلهم حتى تصلهم النجدة من أوربا (١٢٠) . الا أنه حدث ما غير سياسة الفرنج وساعد على تغيير ظروف بلاد الشام تماما . ففي الوقت الذي بدا فيه كتبغا تعاطفا مع المسيحيين ومضطهدا للمسلمين ، قام جوليان حاكم صيدا (١٢١) بما أفسد العلاقة الفرنجية المغولية الجديدة . فلم ير جوليان في اندحار المسلمين أمام المغول سوى فرصته في الاغارة على أملاك المسلمين حوله ،

(١١٧) شغل بطريرك بيت المقدس (١٢٥٥ - ١٢٦١م) منصب البابوية لمدة أربع سنوات (١٢٦١ - ١٢٦٤) بعد موت البابا الكسندر الرابع (١٢٥٤ - ١٢٦١م) في مايو ١٢٦١م . انظر : Eracles, pp. 445-446; CF. also, B. Hamilton, The Latin Church, p. 270.

(١١٨) يذكر هرقل أن البطريرك رحل الى أوربا حتى لا يأخذ الاوامر من مطارنته ، وترقى أسقف بيت لحم توماس آجنى ، الى وظيفة المندوب البابوي فور رحيل جيمس . انظر : Eracles, p. 446.

(١١٩) Lettre a Charles d'Anjou, p. 207.

(١٢٠) يذكر كل من روتلان ومارينو سانودو أن الفرنج استعدوا للحصار بأن قطعوا أشجار البساتين المحيطة بعكا وهدموا ما بنوه من أبراج في هذه البساتين ، ومن المقبرة أخذوا الحجارة لاستخدامها كقذائف ضد آلات حصار المغول . انظر : Ms. of Rothelin, p. 636; Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 221.

(١٢١) خلف جوليان في حكم صيدا أباه باليان ابلين وظل جوليان في حكمها (١٢٤٧ - ١٢٧٥م) دون أن يتمتع بقرارات أبيه وأحواله السياسية وتزوج في ١٢٥٢م من أيوفيمي «Euphemie» ابنة هيثوم الارميني . وفي ١٢٦٠م باع صيدا والشقيف للداوية لعدم استطاعته الدفاع عنهما بعد تدمير المغول لاسوار صيدا . ومات جوليان في ١٢٧٥م تاركا زوجته الارمينية وثلاثة أبناء جون وباليان ومارجريت . انظر : John L. La Monte, The Lords of Sidon, in B., Vol. 17, 206-209.

فقام بغارة على مرج عيون وعاد بأسلابه الى الشقيف . ولم يكن ابن أخت كتبغا المسئول عن المنطقة التى تتاخم صيدا ليطيق صبرا على هذا التعدى الفرنجى . فخرج لعقاب جوليان ، الا أن الاخير هزمه وقتله ، فبعث كتبغا الذى ملأه الغضب بقوة أغارت على صيدا وقوضت الاسوار ، وقتلت من وجدته من الفرنج . الا أن المغول لم يهاجموا القلعة التى وصل اليها جوليان على سفينة جنوبية كانت فى طريقها من صور الى أرمينيا ، كما لم يهاجموا المدينة كلها . ولم يعد كتبغا يثق فى الصليبيين الذين لم ينسوا بدورهم نهب المغول لصيدا (١٢٢) . حدث ذلك فى الوقت الذى فتح فيه المماليك باب المفاوضات مع الفرنج . فبعد أن تحدى سيف الدين قطز (١٢٣) . الانذار المغولى (١٢٤) . وخرج بجيش مصر فى ٢٧ يولية

(١٢٢) يذكر اليونينى أن المغول أخذوا من صيدا ثلاثمائة أسيرا . انظر : اليونينى (قطب الدين) : ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٣٦٠ . راجع أيضا :

Ann. T.S., p. 440. Hayton, La Flor, p. 174, Eracles, pp. 444-445.

(١٢٣) كان قطز مملوكا لشخص يدعى ابن الزعيم فى دمشق ، وهناك رواية تقول بانه ابن أخت خوارزم شاه ، وانتهى به الحال بعد قضاء التتار على الخوارزمية الى الرق ، ثم صار أحد مماليك عز الدين أيبك التركمانى زوج شجر الدر بعد موت الصالح نجم الدين أيوب . وكان قطز من أخص مماليك أيبك وقادته . وهو الذى قتل فارس الدين أقطاى منافس أيبك على عرش مصر . وبعد موت أيبك وشجر الدر ، صار قطز أهم شخصية فى بلاط المنصور نور الدين ابن أيبك الذى تولى السلطنة فى ١٢٥٧م / ٦٥٥هـ ، وكان عمره خمسة عشر عاما . لذلك استفحل أمر قطز وصار هو المشار اليه بديار مصر . ولما وصل الخطر المغولى الى غزة أدرك قطز أن السلطان المنصور ليس أهلا للقيام بأعباء الجهاد ضد المغول فقرر خلعه وتمت مبايعة قطز فى ٦ نوفمبر ١٢٥٩م ١٧ ذى القعدة ٦٥٧هـ باسم السلطان سيف الدين قطز . وبقي المنصور معتقلا حتى تولى بيبرس البندقدارى الحكم فى مصر ونفاه وأمه وأخاه الى نيقية . انظر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٤١ ، ٥٥ ، ٨٤ ، وما بعدها ، ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٧٨ - ٧٩ ، المقرئ : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ،

(١٢٤) عندما بعث هولاكو برسله الاربعة الى قطز يطلبون منه الاستسلام ويهددونه بخراب مصر ان لم يخضع لهولاكو أمر قطز بقتل =

١٢٦٠م / ١٥ شعبان ٦٥٨ (١٢٥) ؛ استولت مقدمة جيشه بقيادة الامير بيبرس البندقدارى على غزة بعد فرار نائب كتبغا منها (١٢٦) ؛ واقتربت قوات مصر من عكا ، وحتى يأمن قطز جانب الفرنج ، فقد بعث اليهم يطلب حيادهم بينه وبين المغول ، وأن لا يعترضوا طريقه أثناء المرور في أراضيهم . وهكذا ضمن قطز عدم قيام أى تحالف بين المغول والفرنج في الوقت الذى كان يعرف فيه أن هولاكو قد عاد الى فارس، ولم يكن مع كتبغا القوات المغولية الكبيرة كالمعتاد (١٢٧) . ولما جاءت مبادرة قطز في وقت لم يكن قد نسى فيه الصليبيون اعتداء المغول على صيدا ، فقد أبدوا استعدادهم للتعاون معه لولا أن نصيحة مقدم جماعة التيوتون قد حددت هذا التعاون بمجرد السماح لقطز بالمرور عبر الاراضى الفرنجية واطهار روح الود تجاهه

= الرسل وعلقت رؤوسهم على باب زويلة . انظر : المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .
(١٢٥) اليونينى : ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٣٦٥ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ص ٤٢٩ ، ابن بيلك (الدوادارى) : الدرّة الزكية فى أخبار الدولة التركية (وهو الجزء الثامن من كنز الدر وجامع الغرر) تحقيق أولرخ هارمان ، القاهرة ١٩٧١م ، ص ٤٩ .
(١٢٦) المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٠ ، رشيد الدين الهمذانى : جامع التواريخ ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٣١٣ .
(١٢٧) برحيل هولاكو كان لابد وأن يتناقض عدد المغول فى الشام . وقد اختلف المؤرخون حول عدد القوات التى تركها هولاكو مع كتبغا . فبينما اتفق كل من فارتان وكيراكوس الارمينيان على أن كتبغا دخل المعركة ومعه عشرون ألف مقاتل بما فيهم من أرمن وجورجيين ، فان تاريخ هرقل يحدد قوات كتبغا بمائة ألف مقاتل . بينما اتفق ابن العبرى وهائتون على أنهم فقط عشرة آلاف . ويبدو أن العدد الذى أورده فارتان وكيراكوس هو الاقرب الى الدقة . انظر :

Eracles, p. 444; Vartan, Histoire Universelle, p. 294; Kirakos de Gan Jack, Histoire d'Arménie, p. 498; Hayton, La Flor, p. 172-173; Bar Hebraeus, The Chronography, p.437. CF. also, Peter Thorau, The Bttle of Ayn Jalut : a Re-Examined, in Crusade and Settlement pp. 236-237.

المماليك (١٢٨) . وهكذا تفرغ قطز لملاقاة كتبغا وقواته ، ووصل قطز الى عين جالوت (١٢٩) في يوم الخميس ٢ سبتمبر ١٢٦٠م/ ٢٤ رمضان ٦٥٨ هـ . فخرج كتبغا من حمص ووصل الى عين جالوت فجر اليوم التالي الجمعة ٣ سبتمبر ١٢٦٠م/ ٢٥ رمضان ٦٥٨ هـ حيث التقى الجمعان وانتهى الامر بانتصار المسلمين ومقتل كتبغا وغالبية قواته وأسر ابنه مع بقية التتر (١٣٠) . واذا كان المؤرخون قد اتفقوا على أن موقعة عين جالوت كانت احدى المعارك التاريخية الحاسمة (١٣١) ، وأن انتصار المسلمين - وهزيمة المغول - في هذه المعركة قد غير ما كان بداؤه مقدر للشرق الادنى الاسلامي ، من شكل تاريخي يشبه ما قدر لشرق آسيا وشمالها ؛ الى الشكل التاريخي الذي ضاع الامل في تحقيقه بموت صلاح الدين الايوبي ، والذي نجح المماليك في تحقيقه والعمل على استمراره لمدة تقترب من الثلاثمئة عام (١٣٢) ، اذا كان الامر كذلك فانه من الأخرى الوقوف على أسباب انتصار المسلمين الحقيقية

(١٢٨) يذكر المقرئ أن الفرنج خرجوا لمقابلة قطز « بتقادم وأرادوا أن يسيروا معه نجدة فشكرهم » بينما يذكر ابن عبد الظاهر أن بيبرس دخل عكا للتفاوض مع الفرنج وعرف أحوالهم وأراد أن يحث قطز على أخذها أولا لولا رفض الأخير للفكرة . وذكر روتلان أن مقدم التيوتون كان يرى أن المسلمين سيوجهون جهودهم ضد الفرنج حالما يتلخصون من التتار . ويبدو أن مصالح التيوتون في أرمينيا كانت تتفق ومصالح المغول حلفاء الأرمن . انظر : المقرئ : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٠ ، ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٦٤ . راجع أيضا :

Ms. of Rothelin, p. 637, Gestes des Chiprois, pp. 752-754.

(١٢٩) مدينة صغيرة بين بيسان ونابلس . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٦٩ .

(١٣٠) يذكر ابن العميد أن المماليك أسروا « قتلوا قيميشت ولد كتبغا وقبجق أخو كتبغا وزوجة كتبغا وانهزم بيدرا ومعه جماعة من التتار ومضوا الى هولاكو . انظر : ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ١٧٥ ، المقرئ : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٠ - ٤٣١ ، رشيد الدين المهذاني : جامع التواريخ ، م ٢ ج ١ ص ٣١٣ - ٣١٥ .

(١٣١) Cahen, La Syrie du Nord, p. 710; Ruciman, A History of the Crusades, Vol. 3, p. 313.

Peter Thorau, The Battle of Ayn Jalut, p. 236.

(١٣٢)

مكتبة المهتدين الإسلامية

في هذه المعركة . فلا شك أن حياض الفرنج الذي حققه قطز قد جنب المسلمين القتال على الجبهتين في وقت واحد ، وضمن للمسلمين عدم قيام تحالف بين المغول والفرنج في الوقت الذي وقف فيه قطز على مدى قوة المغول (١٣٣) . إلى جانب ذلك ، فإن عدد القوات التي خاض بها قطز المعركة ، كان على الأقل لا يقل عدد قوات كتبغا (١٣٤) كما أن تكون قوات الطرفين كان له أكبر الأثر في انهزام المغول أمام قوات قطز . فبينما كان جيش قطز يضم بين صفوفه القوات المملوكية المصرية إلى جانب من « وصل إلى مصر من عسكر الملك الناصر ومن اجتمع عنده من التركمان والشهزورية » (١٣٥) وكلهم ممن يكرهون التتار ، فقد تكون جيش كتبغا من التتار ومن والاهم من أمراء مسلمي الشام . وكان من بين هؤلاء من اشتد في قتال المسلمين مثل الملك السعيد صاحب بانياس (١٣٦) . ومنهم

(١٣٣) بالرغم من معرفة قطز برحيل هولاكو مع غالبية قواته ، إلا أنه حتى وصوله إلى عين جالوت كان يخشى قوة المغول ، ولم يؤكد له قلة أعدادهم عن المعتاد سوى الرسالة التي بعث إليه صارم الدين أزيك مملوك الأشرف صاحب حمص الذي جاء مع سيده بصحبة المغول إلى مكان المعركة ، والتي أوردها قيرطاي العزى . انظر ابن أيبك الدواداري : الدرة الزكية ، ص ١٥٧ ، راجع أيضا :

G. Levi della vida, L'invasion dei Tartari in Siria nei 1260 nei record di un testimone Oculare, in *Orientalia*, Vol. 4, 1935, 253-276; Cahen, *La Chronique de Kirtay et Les Francs*, in *J.A.*, Vol. 229, 1937, pp. 140-145.

(١٣٤) يرى بعض المؤرخين أن عدد قوات المماليك في معركة عين جالوت كان ضعف قوات المغول . انظر :

Peter Thorau, *The Battle of Ay Jalut*, p. 237.

(١٣٥) « الشهرزورية » نسبة إلى شهر زور ، وهي إحدى جهات كردستان ، وفر أهلها إلى الشام ، ومصر من وجه التتار ، وتزوج بيبرس من هؤلاء وحالفهم . انظر : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠١ ، حاشية ١ ، ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ١٧٥ ؛ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ص ٣٦٥ . (١٣٦) كان السعيد صاحب بانياس والصبيبة هو ابن العادل الثاني . وبقي محبوسا بالشام حتى موت الصالح أيوب وابنه تورانشاه ، وأخرجه التتار من حبسه في قلعة البيرة فصار معهم . ولما انهزم المغول حاول التقرب من قطز الذي أمر بقتله . انظر : اليونيني : =

من قام بدور كبير في مساندة قطز وهزيمة المغول مثل الملك الاشرف (١٣٧) ، وأخيرا مملوك الاخير صارم الدين أزيك (١٣٨) ومن رواية أزيك والتي أوردتها المؤرخ قيرطاي كما رواها له أزيك ؛ نقف على طبيعة الدور الذي لعبه الاخير والاشرف موسى في هزيمة المغول ، وأيضا على حقيقة ما حدث في تلك المعركة . فغالبية المؤرخين يذهبون الى أن قطز كلف ببيرس بأن يذهب ببعض قواته لمناوشة المغول والانسحاب أمامهم لجرهم الى مكان يكمن فيه قطز لهم مع الجزء الاكبر من جيشه ، ثم ينقض عليهم ويباغتهم . ووقع المغول في كمين المماليك بالرغم من أنهم كانوا يألفون أسلوب القتال هذا . لذلك فأننا نميل الى الاخذ برواية قيرطاي ، الى جانب أن من أخبره بتفاصيلها كان مشاركا في هذه الاحداث . فقد وصل صارم الدين من الموصل الى معسكر كتبغا وهو على نهر الاردن في طريقه لمواجهة جيش قطز ، وبعث صارم الدين بـ غلام لديه ، على أنه جاسوس للمغول ، الى قطز وبيرس ليعرفهم « أن التتار لا شيء فلا تخافوا منهم ، وأن تكون ميمنة المسلمين قوية بالخيول والرجال ، وأن التتار في عسكر قليل ، وأوصيته أن يوصي المسلمين أن يكون الملتقى عند طلوع الشمس . وأنا والملك الاشرف في مسيرة التتار ، فاذا رأيتهم رنكي (علمي) احملاوا على ولعي أصحابي وأنا والملك الاشرف ننهزم بين

= ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧ ؛ ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٥ .

(١٣٧) كان الاشرف موسى صاحب حمص قد وصل الى حلب لمقابلة هولاكو الذي منحه مرسوما بأن يكون نائب التتار في دمشق وبلاد الشام بعد أن توسط له مملوكه صارم الدين أزيك الذي تقرب من هولاكو وصار يتظاهر بالخضوع له . انظر : ابن أبيبك الدواداري : الدرة الزكية ، ص ٥٥ - ٦٦ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ص ١٧٣ ، ١٧٤ . راجع أيضا :

Levi della Vida, L'invasione dei Tartari, pp. 362-363; Cahen, La Chronique de Kirtay, p. 145.

(١٣٨) كان صارم الدين أحد مماليك الاشرف موسى صاحب حمص ، وحين هاجم المغول حلب تخفى بزيهم وتقرب من هولاكو بحسن حديثه وسرعة بديهيته . انظر : ابن أبيبك الدرة الزكية ، ص ٥٣ ، وأيضا :

Levi della Vida, L'invasione dei Tartari, p. 359.

أيدىكم (١٣٩) . وهكذا فبالإضافة الى العوامل السابقة ، فان انسحاب صاحب حمص ومماليكه من بين صفوف التتار كان هو السبب المباشر في كسر ميسرة الجيش المغولى الذى لاقى المسلمين بعد المسير طوال الليل ، وبعد أن اشتد الحر بعد طلوع الشمس ، ونال من المغول التعب فى الوقت الذى انقض عليهم قطز بقواته الاكثر عددا أو الاكثر راحة . ولم تكن هزيمة المغول فى عين جالوت هى النتيجة الوحيدة لهذه المعركة ، بل تلاها انتهاء السيادة المغولية فى بلاد الشام . واسترد المسلمون دمشق (١٤٠) وحلب (١٤١) . وخضع للسيادة المملوكية كل من حاكمى حمص وحماة الايوبيين (١٤٢) . وهكذا عادت الوحدة الاسلامية لتضم

(١٣٩) يبدو من رواية قيرطاي أن كتبغا كان لديه الوقت الكافى ليسان صارم الدين مملوك الاشرف عمن يخصه كل علم من أعلام الجيش المملوكى وذلك قبل أن يشتبك مع المسلمين ، مما يدل على أن وقوع التتار فى كمين أعدده المسلمون لهم كان أحد الاعذار التى أوردها رشيد الدين الهمذانى لكتبغا خاصة وأن ابن عبد الظاهر مؤرخ بيبرس لم يذكر شيئا عن هذا الكمين . انظر : ابن أيبك : الدرة الزكية ، ص ٥٧ ، ابن عبد الظاهر : ، ص ٦٣ - ٦٤ ، رشيد المهدانى : جامع التواريخ م ٢ ، ج ١ ، ص ٣١٣ . وأيضا : Levi della Vida, L'invasione dei Tartari, p. 366.

(١٤٠) هرب زين الدين الحافظى وزير الناصر يوسف فى دمشق ونواب التتار من دمشق بعد يومين فقط من هزيمة كتبغا ، أى فى ٤ سبتمبر ١٢٦٠م / ٢٧ رمضان ٦٥٨هـ ودخلها قطز فى ٩ سبتمبر / ٢ شوال من نفس العام . انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٥ - ١٧٦ ؛ المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٢ . لم يذكر أى من المؤرخين عن استرداد المسلمين لحلب من التتار شيئا سوى تعيين قطز لعلاء الدين ابن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل كنائب عنه فى حلب . ولم يزد على ذلك سوى بيبرس الدودارى الذى ذكر أن قطز أرسل الى حلب من العسكر من يحفظها وذلك بعد دخوله دمشق . ويذكر ابن عبد الظاهر أن قطز حين أناب علاء الدين بحلب سماه بالملك السعيد لأنه يشاركه فى اسمه (المظفر) . انظر : بيبرس الدودارى : زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة النبوية مخطوط بمكتبة البودليان ، ج ٩ ، لوحة ١٧٦ أ ، ١٧٧ ب ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٦ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٣ ، ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٩٦ .

(١٤٢) أعاد قطز كل ملاك المنصور صاحب محاة اليه ، كما أنه أقر =

مصر وبلاد الشام الامر الذى كان يشكل خطرا داهما بالنسبة للصليبيين في بلاد الشام ، وكانت امارة انطاكية هى اول من يداهمه هذا الخطر .

« لقد زحف علينا في الماضي ملك فرنسا ، وملك انجلترا ، وملك المانيا وامبراطور الرومان . وقد مروا كسحابة بددتها الرياح . فليأتوا ، فليأت الملك شارل ، فليأت ومعه اليونانى والمغولى ، سنغتنى من كنوزهم ، وفي الحرب سيكتب لنا المجد كمنتصرين » هذه الكلمات ينسبها وليم الطرابلسى (١٤٣) الى السلطان بيبرس (١٤٤) . واذا كانت هذه

=
الاشرف صاحب حمص على املاكه « ولم يعارضه في شيء بالجملة » وكان الاشرف قد توجه الى تدمر بعد هزيمة التتار ثم أرسل قطز يطلب امانه فآمنه قطز . مما يدل على رضاه عنه بعد انسحابه من بين صفوف التتار في عين جالوت الامر الذى يؤكد صدق رواية قيرطاي ، والا كان قطز قد قتله كما فعل بالسعيد بن العزيز صاحب بانياس الذى استمر في مساندة التتار في عين جالوت . انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٥ - ١٧٦ ؛ بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، مخطوط ، لوحة ١٧٥ ب ، ١٧٦ أ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٣ .

(١٤٣) كان وليم الطرابلسى أحد أعضاء جماعة الرهبان الدومنيكان في عكا ، وواحدا ممن بعثوا بتقاريرهم الى البابا جريجورى العاشر (١٢٧١ - ١٢٨٦م) بناء على طلب الاخير للوقوف على أصلح السبل لاهياء الروح الصليبية . انظر :

William of Tripoli, Tractatus de Statu Saracenorum, ed. Hans Prutz, in Kulturgeschichte der Kreuzzuge, Berlin, 1883, p. 587.

(١٤٤) بعد أن رتب قطز أمور الشام عاد الى مصر وقتل بتدبير من الامير

بيبرس البندقدارى . ولقد اختلف المؤرخون حول سبب مقتل قطز والوسيلة التى قتل بها وأيضا حول تاريخ مقتله . فقد اتفق كل من المقرئى واليونينى وأبوالمحسن وبيبرس الدوادارى على أن بيبرس ضمّر لقطز لعدم موافقته على منحه حلب ، وأنه قتله عند دخولهم مصر عند الصالحية أثناء عملية صيد ، واشترك بيبرس مع أمراء قطز في مقتل الاخير . بينما اتفق كل من ابن عبد الظاهر وشافع بن على وابن العميد على أن سبب مقتل قطز هو تغيره ناحية بيبرس وتخوف كل منهما من الآخرين . وإن كان ابن عبد الظاهر يجعل من بيبرس القاتل الوحيد . وكان =

الكلمات تعكس مدى استعداد بيبرس للتصدي للوك أوربا ، فانها دليل واضح على أنه ركز سياسته للقضاء على الكيان الصليبي المتداعى فى بلاد الشام ، وأنه أعد نفسه لتنفيذ هذه السياسة . وفى الحقيقة فان كل الانجازات التى حققها بيبرس تدل على أنه كان يتميز بالذكاء وحسن السياسة والشجاعة والحس الدبلوماسى المرفه . ويعتبر بيبرس من الشخصيات النادرة فى التاريخ الاسلامى ، ولولا قسوته تجاه أعدائه لما ضاهاه صلاح الدين فى عظمة شخصيته (١٤٥) . وقبل أن يبدأ بيبرس مشروعه ضد الصليبيين ، اتخذ سلسلة من الاجراءات الداخلية فى مصر ، كان من شأنها تدعيم مركزه داخليا وخارجيا . فبدأ باكتساب أهل مصر الى جانبه (١٤٦) . ثم تلا ذلك بسلسلة من أعمال التحصينات لكل خطوط دفاعه فى مصر وبلاد الشام . ولدعم قواته العسكرية قام بتجديد الاسطول

= مقتل قطز يوم السبت ٢٤ أكتوبر ١٢٦٠م / ١٧ ذى القعدة ٦٥٨هـ . كما ذكر ابن عبد الظاهر وليس ٢٥ أكتوبر / ١٥ ذى القعدة كما ذكر ابن العميد ، وان كان السبت يوافق ٢٣ أكتوبر / ١٦ ذى القعدة . ودخل بيبرس مصر واعترف به الامراء سلطانا وتلقب بالملك الظاهر . انظر : المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٥ ؛ اليونينى : ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ، ص ٣٧٠ ، أبوالمحسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٨٣ - ٨٤ ، بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، مخطوط ، لوحة ١٧٧ ب ، ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٧٦ - ٦٨ ؛ شافع بن على : حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تصوير شمسى لوحة ٨ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٦ . راجع أيضا : جمال الدين سرور دولة الظاهر بيبرس فى مصر ، الزاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٤١ .

(١٤٥) جاء فى تقرير وليم الطرابلسى الى البابا أن بيبرس لم يكن أفضل من يوليوس قيصر فى الامور العسكرية لكنه كان أسوأ من نيرون الامبراطور الرومانى فى شروره . انظر :

William of Tripoli, Tractatus de Statu Saracenorum, p. 587.

(١٤٦) رفع بيبرس كل الضرائب التى كان قطز قد فرضها على أهل مصر استعدادا لقتال المغول ، فاطمان الناس بعد أن كانوا يخشون عودة المماليك البحرية وسوء مملكتهم وجورهم . انظر : شافع بن على : حسن المناقب ، لوحة ١١ ؛ المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٧ - ٤٣٨ ؛ جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس ص ٤٦ .

المصري الذي أهمل أمره منذ أيام صلاح الدين (١٤٧) . وأخيرا أقام نظاما بريديا على درجة كبيرة من الكفاءة أتاح له - وهو الذي كان يتحين الفرص لمفاجئة خصومه - أن يقف على كل ما يجرى على حدوده البعيدة وفي كل أنحاء دولته (١٤٨) . ثم وجه بيبرس جهوده للقضاء على كل أشكال التمرد بين أمرائه (١٤٩) . وأضاف صفة الشرعية على حكمه بأن جعل القاهرة مقرا للخلافة العباسية التي أقرت حكمه بامتنان (١٥٠) .

(١٤٧) وصل عدد سفن بيبرس الى الاربعين سفينة ، وأعاد ترميم سور الاسكندرية وكل القلاع التي هدمها المغول عند فتحهم لبلاد الشام . وقد أورد ابن عبد الظاهر قائمة بكل أعمال التحصينات التي قام بها بيبرس . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٩٠ - ٩٣ .

(١٤٨) أقام بيبرس نظاما بريديا دقيقا . فكان الخبر يصل الى دمشق في أربعة أيام . ولا يبقى الخطاب في مدينة من المدن أكثر من مدة كتابته ، ويمكن هذا بيبرس من ترتيب أمور الشام وقلاعه ومدنه . كما مكنه ذلك من الوقوف على أحوال الصليبيين في بلاد الشام . الى جانب ذلك ، فقد جند بيبرس الكثير من السكان المسلمين القاطنين على حدود أملاك الفرنج أو المغول في أعمال التجسس على هؤلاء ، مما ساعد على معرفة تحركاتهم ونواياهم تجاهه . وكان من أهم جواسيسه على الفرنج ، البحريين في لبنان . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٩٥ ؛ صالح ابن يحيى : تاريخ بيروت ، نشره لويس شيخو ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٦٧ - ٦٩ . راجع أيضا :

Cahen La Chronique de Kirtay, p. 144; Kamal Salibi, The Buhturids of the Garb, in Arabica, Vol. 8, 1961, p. 87.

(١٤٩) بعد أن قضى صاحباً حمص وحماة على محاولة المغول لاسترداد حلب في ديسمبر ١٢٦٠م/٦٥٩هـ ، تمرد الأمير علم الدين سنجر الحلبي في دمشق بعد مقتل قطز ولم يعترف بحكم بيبرس وأعلن نفسه سلطاناً في دمشق وتسمى بالملك المجاهد ، الى أن بعث بيبرس بالامير علاء الدين البندقداري الى الشام وتمكن من قمع حركة سنجر في ١٧ يناير ١٢٦١م/١٣ صفر ٦٥٩هـ ، كما أخضع بيبرس تمرد الأمير شمس الدين أنوشي البرلي نائب بيبرس في نيسابان الذي خرج الى حلب طامعا فيها ثم هرب الى سنجار حيث بقى مع التتار . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٩٤ - ٩٨ ، ١١٣ - ١١٤ ؛ شافع بن علي : حسن المناقب ، لوحة ٢٣ ؛ بو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٠٤ - ١٠٨ . (١٥٠) كان احياء الخلافة العباسية واعترافها بحكم بيبرس يعد سندا شرعيا له وتعويضا للمسلمين عما فقدوه عند غزو المغول لبغداد التي أصبحت القاهرة حاضرة الخلافة بدلا منها . منذ استقبل =

وهكذا انفرد ببيرس بحكم دولة تمتد من شمال الشام حتى بلاد النوبة ، وكانت كل السلطات في يده هو . وتميزت الادارة في دولته بأنها كانت أكثر مركزية وأكثر تنسيقا ، وأكثر فاعلية من الادارة الايوبية (٥١) . كل ذلك مكن ببيرس من القيام بمشروعه ضد الصليبيين في بلاد الشام . الا أنه قبل تنفيذ مشروعه هذا قام باتخاذ الاجراءات لتدعيم مركزه أمام الفرنج والمغول أيضا . فنجدته يوطد علاقاته ببركة ، خان القبيلة الذهبية ،

=
بيبرس أحد أبناء البيت العباسي ويدعى أحمد بن الخليفة الظاهر بن الناصر واعترف به خليفة للمسلمين باسم المستنصر بالله . ثم سيره ببيرس بصحبة ألف فارس الى العراق لاسترداد بغداد من المغول الا أنه قتل . فأرسل ببيرس من أحضر اليه من بغداد أبا العباسي أحمد الملقب بالامام الحاكم وهو ابن خمس عشرة سنة الى مصر والتقاءه بدمشق وسيره الى مصر وكانت مبايعته له في عام ١٢٦٢م / ٦٦٠هـ . انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، شافع بن علي حسن المناقب ، لوحة ١٥ ؛ الصفدي (الحسن) : تاريخ مصر ، مخطوط ، بمكتبة المتحف البريطاني ، لوحة ١٦٤ - ٦٤ ب ؛ النعيمي : أرجوزة في الخلفاء والسلاطين أمراء المؤمنين ، مخطوط بمكتبة المتحف البريطاني ، لوحة ٧٢ أ . وللمزيد عن مشروع ببيرس لاحياء الخلافة العباسية وأهدافه ونتائجه . انظر : جمال الدين سرور : دولة الظاهر ببيرس ، ص ٥٠ وما بعدها . راجع أيضا :

John Andrew Boyle, The death of the Last Abbasid Calif in J.S.S., Vol. 6, 1961, pp. 145-161; G.M. Wickens, Nasir, AD-Din Tusi on the fall of Baghdad, in J.S.S., Vol. 7, 1962, p. 23-35.

(١٥١) كانت الدولة الايوبية عبارة عن اتحاد بين امارات مستقلة تربط بينها العلاقات الاسرية لحكامها . بينما كانت الدولة المملوكية عبارة عن دولة مركزية . وكانت بلاد الشام بالنسبة لمصر الايوبية امارات مساوية لها ، بينما كانت بالنسبة للمماليك مقاطعة مصرية . وبينما كان نظام الوراثة هو المبدأ الاساسي في دولة بنى أيوب فان الانتخاب (ماعدا في حالات قليلة) هو مبدأ المماليك . وبينما كانت الجيوش الايوبية تخضع أولا للحكام المحليين ، فقد كان الجيش المملوكي هو الدولة نفسها انظر :

R.S. Humphreys, The Emergence of the Mamluk Army, in S. I, Vol. 14, 1977, pp. 67-99; P.M. Holt, The Position and Power of the Mamluk Sultan, in B.S.O.A.S., Vol. 38, 1975, pp. 237-249.

الذين اعتنق الاسلام وصار معاديا لهولاكو. وللتضييق على المغول وحلفائهم الارمن ، قدم بيبرس المساعدة الى عز الدين كيكائوس السلجوقي . كما تحسنت علاقات بيبرس بميخائيل الثامن امبراطور نيقية - ثم القسطنطينية - البيزنطى (١٥٢) وللوقوف على حقيقة نوايا غرب أوروبا تجاه مصر ، وللحصول على المعلومات بشأن كل مساعدة تهدف أوروبا الى ارسالها للصليبيين في بلاد الشام ، فقد أقام بيبرس ، علاقات ودية مع مانفريد «Manfred» حاكم صقلية (١٥٣) . وكان ذلك دافعا لشارل كونت أنجو ، عدو مانفريد اللدود ، لأن يبعث بسفارة ودية الى القاهرة ينشد فيها صداقة بيبرس (١٥٤) . وهكذا حقق بيبرس هدفه في عزل الامارات الصليبية في بلاد الشام ، في الوقت الذى كانت قوة الصليبيين قد استهلكتها خلافاتهم الداخلية ، التى لا تكاد تنقطع والحروب الاهلية بين الجاليات الايطالية ، وفي الوقت الذى استعد فيه بيبرس لتوجيه ضرباته اليهم ، كان القتل والنهب والخلاف من الروتين اليومي لصليبي

(١٥٢) نرى سفراء هؤلاء في بلاط بيبرس فور توليه الحكم . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٨٧ - ٨٩ ، ١١٦ ، ١٢٤ - ١٢٦ ، ١٢٨ .

(١٥٣) مات الامبراطور فريديريك الثانى في ١٢٥٠م وخلفه ابنه كونراد الرابع ، بينما تولى الحكم في صقلية مانفريد الابن الغير شرعى لفريديريك على أن يحكمها باسم أخيه كونراد . وفشل البابا انوسنت الرابع في أخذ صقلية من مانفريد الذى استمرت العداوة بينه وبين البابوية حتى قتل في يناير ١٢٦٦م في معركة ضد شارل كونت أنجو شقيق لويس التاسع ، والذي جندته البابوية لتحقيق أهدافها ضد أسرة الهوهنشتاوفن . الا أن شارل حل محل الاباطرة الالمان في طموحاتهم لتحقيق المكاسب على حساب البابوية في ايطاليا وصقلية وحتى الدولة البيزنطية . انظر :

M.M. Ziada, The Mamluk Sultans to 1293, in Setton, Vol. 2, pp. 748; Rohricht, Les Derniers Temps du Royaume de de Jerusalem, p. 368.

(١٥٤) وصل رسول شارل الى القاهرة في يولية ١٢٦٤م/رمضان ٢٦٢هـ ومضمون كتابه المحبة والمشايعة . « ووصل كتاب أستاذ داره بأن مخدمه أمره بأن يكون أمر السلطان نافذا في بلاده وأن أكون نائب السلطان كما أنا نائبه » . انظر : عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٠١ ؛ المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ص ٥١٣ .

عكا (١٥٥) الذين دفعتهم متاعبهم الداخلية الى طلب الصلح من بيبرس في عام ١٢٦١م/٦٥٩هـ ، ثم في عام ١٢٦٢م/٦٦١هـ . وفي المرتين فرض بيبرس شروطا لم يكن الفرنج يقبلونها أو يتحملون قبولها ، وفشلت مساعيهم ، وكان ذلك ما يريده هو (١٥٦) . وإذا كان ذلك هو حال الفرنج في فلسطين ، فان عدوه الاول لم يكن سوى بوهيمند السادس أمير انطاكية وهيثوم الاول ملك قيليقية الارمينى خاصة وأن أملاك هؤلاء كانت قريبة من حلفائهما مغول فارس . ومن هنا كان مصدر خطرهما على حدود بيبرس الشمالية ، خاصة على حلب التى تقع بالقرب من انطاكية وكل الاقليم الارمينى الذى يسيطر عليه هيثوم ، والذى قدمه له هولاكو ثمنا لخضوعه له ويضم برج الرصاص ومرزبان ودريساك، وأصبح في مقدور هيثوم أن يدخل بسهولة الى سهل انطاكية ومقاطعة حلب (١٥٧) . لذلك

(١٥٥) تجدد القتال بين الجنوية والبنادقة في عكا في ١٦ أغسطس ١٢٦١م/١٥ رمضان ٦٥٩هـ حين هجم لوتشيو جريمالدى قائد الاسطول الجنوى على المدينة واستولى على البرج البحرى ثم توجه الى صور ليظهر أسطول البنادقة ويدمر عدة سفن ، جنوية ، وانسحبت السفن الجنوية الباقية الى صور . انظر : Eracles, pp. 455-456. CF. also, Heyd, Histoire du Commerce, t. 1, p. 354.

(١٥٦) حضر حنا ابلين صاحب يافا الى بيبرس وهو على العوجا في طريقه الى دمشق في ١٢٦١م/٦٥٩هـ وأمنه بيبرس على بلاده . ثم لما وصل بيبرس الى دمشق جاءه رسل الفرنج من عكا يطلبون الهدنة فاشترط عليهم بيبرس شروطا كثيرة لم يقبلوها فزجرهم وطردهم ، وعندما أغار المسلمون من بعلبك على الفرنج جاء الاخرون يطلبون الهدنة ، فقبل بيبرس ذلك لغلاء الاسعار في الشام « وأن كثرة الجلب انما يكون من بلاد الفرنج » وتقرر الصلح على ما كان الامر عليه أيام الناصر يوسف وأن يطلق سراح أسارى المسلمين . ولما تأخر الفرنج في ذلك استخدم بيبرس أسارى الفرنج الى دمشق واستعملهم في العمائر « وفي ١٢٦٣م/٦٦١هـ جاء رسل الداوية والاستتارية يطلبون الصلح فطردهم بيبرس . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ١١٧ - ١١٨ ، ١٥١ - ١٥٧ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ، ص ٣٦٤ ، ٤٨٤ - ٤٨٧ .

(١٥٧) وتمكن هيثوم بتأييد المغول من هزيمة قلع أرسلان السلجوقي في عام ١٢٥٩م/٦٥٧هـ كما تمكن من اخضاع التركمان الذين استقروا على الحدود الغربية لقيليقية وجرح قائدهم قرمان وحرر من سطوتهم اقليم سلوقية في ١٢٦٣م/٦٦١هـ انظر : =

كله أصبح الارمن وصليبيو انطاكية هما هدف بيبرس الاول . وأخيرا فان موالاة هؤلاء للمغول واعتداءاتهم على المسلمين بصورة متكررة في دمشق وحلب جعلت منهم هدف انتقام بيبرس ، وخاصة هيثوم الذى أصبح في نظر المسلمين هو السبب في جلب جحافل المغول الى العراق والشام . ولم يكن تهديد حلب وأملاك المسلمين في شمال الشام هو السبب الوحيد الذى جعل من قيليقية وانطاكية مصدر خطر بالنسبة للمسلمين ، وانما كان للعامل الاقتصادى أيضا أثره في ذلك . فان الغزو المغولى لغربى آسيا قطع طرق التجارة البرية بين آسيا وغرب أوروبا ، الامر الذى زاد من أهمية طريق البحر الاحمر ومصر التى انتعشت تجارتها واستطاعت أن تحتكر تجارة البحر المتوسط (١٥٨) . الا أن المغول شجعوا - بعد استقرارهم في جنوب روسيا وفارس - التجار على اجتياز الطرق البرية من الصين الى موانى البحر الاسود أو الى اياس في قيليقية (١٥٩) . ولم تعد مصر تقع على أرخص طريق تجارى بين شرق آسيا وغرب أوروبا (١٦٠) . ولزيادة الأهمية التجارية لميناء اياس - التى سيطر الجنوسية على تجارتها وتجارة البحر الاسود - قام بوهيمند بمنح البنادقة امتيازات تجارية في بلاده في عام ١٢٧١م/٦٦٩هـ . وأصبح ميناء اياس أهم منافذ السلع الشرقية الى البحر المتوسط بعد أن سيطرت مصر على موانى الشام وفلسطين (١٦١) . الا أن ذلك النشاط التجارى الارمنى هدد

Cahen, Quelques textes négligés concernant les Turcomans de Rum, in B, Vol. 14, 1939, pp. 133-134; S. Der Nersessian, The Kingdom of Armenia, in Setton, Vol. 2, p. 653.

(١٥٨) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٥٤ .

Heyd, Histoire du Commerce, t. 2, p. 70. (١٥٩)

Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, p. 350-360. (١٦٠)

(١٦١) وصف الايطالى ماركو بولو ميناء اياس في عام ١٢٧١م/٦٦٩هـ وهو في طريقه الى الصين بقوله أنه « مدينة حسنة وعظيمة ولها تجارة عظيمة .. وكل التوابل والاقمشة الحريرية والمذهبة والصوفية تأتى الى هذه المدينة » . انظر :

Marko Polo, The Description of the World, ed. A C. Moule and Paul Belliot, London, 1938, p. 94. CF. also, Heyd, Histoire du Commerce, t. 2, pp: 73 ff.

احتكار مصر للتجارة بين الشرق والغرب وجعل من قيليقية هدفا لحملات المماليك (١٦٢) بعد أن أصبح الارمن أخبث عدو للإسلام (١٦٣) . ومع أن ازدياد تجارة آسيا أدى الى ازدهار ميناء اياس الارمينى وقلل من قيمة الموانى الصليبية ، الا أن فائض هذه التجارة استمر في التدفق الى عكا واللاذقية التى درج تجار حلب المسلمين على النزوح اليها بسلعهم . وكان من الضرورى أن يعود هذا المركز التجارى الى أيدي المسلمين (١٦٤) . وكى يقوم بيبرس بتنفيذ سياسته تجاه الارمن ثم الصليبيين ، كان من الضرورى الفصل بينهما وعزل قيليقية عن بلاد الشام . ولم يكن ذلك يتأتى الا بالاستيلاء على انطاكية نفسها . وقبل كل ذلك كان لابد وأن يؤمن بيبرس خطوط مواصلاته بين مصر ودمشق وحلب . ولقد بدأ بيبرس بمناوشة الفرنج فى انطاكية أولا حيث أغارت القوات التى بعث بها بيبرس ، ضد شمس الدين البرلى فى ١٢٦١م / ٦٥٩هـ ، على أملاك أنطاكية ، ووصلت هذه القوات حتى ميناء السويدية وأحرقت عدة مراكب كانت بالميناء وخربوه (١٦٥) . وفى يوليو ١٢٦٢م / رمضان ٦٦٠هـ كلف بيبرس كلا من الامير شمس الدين سنقر الرومى مقدم عسكر حلب ، والمنصور صاحب حماة ، والاشرف صاحب حمص بالاغارة على انطاكية وتوجه المسلمون الى الاقليم الواقع بين انطاكية والساحل ونهبوا ميناء السويدية ، وأحرقوا بعض المراكب الراسية فيه ، وأسروا من الفرنج ما يقرب من ثلاثمئة أسيرا (١٦٦) . وفى يوليو ١٢٦٤م / ذى القعدة ٦٦٢هـ توجه هيثوم

(١٦٢) Ziada, The Mamluk Sultans, p. 655.

(١٦٣) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ، ص ١٥٠

(١٦٤) Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, p. 360.

(١٦٥) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ١١٣ .

(١٦٦) أخطأ ابن عبد الظاهر حين ذكر أن المسلمين أخذوا ميناء

السويدية فى هذه الغارة . فحسب رواية شافع بن على فان المسلمين قد اكتفوا بالاغارة على الميناء دون أخذه . ويتأكد ذلك من رواية ابن عبد الظاهر نفسه عن حصار بيبرس لانطاكية فى عام ١٢٦٨م / ٦٦٦هـ حين يذكر أن قسما من جيش بيبرس قد توجه الى السويدية لمنع وصول المساعدات الى انطاكية مما يدل على أن الميناء كان لا يزال فى أيدي الفرنج حتى سقوط انطاكية . ولم يذكر أبو الفدا بصراحة ميناء السويدية فى روايته عن هذه الغارة . كما حدد عدد أسرى الفرنج بأكثر من ثلاثمئة أسير بينما حدده كل من ابن عبد الظاهر وشافع بن على بمائتين وخمسين أسيرا . =

وبوهيمند السادس الى معسكر هولاکو في تبريز حيث طلبا منه المساعدات الفورية ، وبفضل توسط هولاکو استطاع هيثوم أن يعقد صلحا مع قلج أرسلان سلطان سلاجقة الروم ، وبذلك أمن جانب السلاجقة (١٦٧) . فجمع قواته في سرفنتكار في أواخر عام ١٢٦٤م / أوائل ٢٦٢هـ بقصد الهجوم على أملاك المسلمين في شمال الشام . وكان بيبرس يقظا لتحركات هيثوم فأمر بخروج قوات حمص وحماة للقيام بهجوم مضاد حيث تم صد الارمن ، فاستدعى هيثوم المغول الموجودين لدى السلاجقة (٧٠٠ فارسا) ، وفرسان انطاكية (١٥٠ فارسا) والبسهم ملايس المغول لاحداث التأثير المطلوب في نفوس المسلمين . وتوجه الارمن وحلفاؤهم الى حارم ، ونهبوا جبل ليلون والفوعة وسرمين والجزر واقليم العمق ، وتعقب قوات الحشيشية من سرمين الارمن الذين أفسد مشروعاتهم سقوط الامطار والثلوج ، « وانقطعت عنهم الميرة ، فخافوا ، وتأخروا راجعين » (١٦٨) . ولقد

= ويذكر كل من كاتب تاريخ أعمال القبارصة، وكاتب تاريخ هرقل أن المسلمين عادوا عن انطاكية لحضور هيثوم الذي استنجد بهولاکو وقوات التتار لانقاذ انطاكية. بينما لم يذكر المؤرخون المسلمون شيئا عن هذه النجدة الارمنية المغولية. ويبدو أنه قد حدث خلط لدى مؤرخي اللاتين بين مجيء هيثوم وحملته ضد حلب بعد زيارته لهولاکو في عام ١٢٦٤م / ٦٦٢هـ ، خاصة وأن مؤرخي الارمن قد حرصوا على تسجيل كل مساعدات المغول لهيثوم في كتاباتهم . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ١٣٠ ، ٣٠٧ ، شافع بن علي : حسن المناقب ، لوحة ٧٢ ، أبو الفدا : المختصر ، مجلد ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ . راجع أيضا : Eracles, p. 446; Gestes des Chiprois, p. 755.

(١٦٧) يرجع الفضل في الوقوف على هذه الاحداث للرواية الدقيقة التي أوردها ابن عبد الظاهر عن رحلة هيثوم الى هولاکو ، والتي جاءت أكثر تفصيلا من رواية المؤرخ الارمني فارتان الذي كان في بلاط هولاکو حين وصل الى هناك كل من بوهيمند وهيثوم ، ويبدو أن الحديث عن كرم هولاکو لفارتان ورجال الدين الارمن قد شغل الاخير عن الاهتمام بوجود سيده هيثوم وما تم له . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ١٩١ . راجع أيضا :

Vartan, Histoire Univeressole, p. 300.

(١٦٨) يضع اليونيني هذه الاحداث في عام ١٢٦٣م / ٦٦١هـ خطأ ، ويتحدث عن نجاحات الارمن والحشيشية فقط ، بينما يورد =

اتبع بيبرس سياسة المناوشة نفسها تجاه الصليبيين في فلسطين (١٦٩) .
الا أنه بموت هولاكو في ٨ فبراير ١٢٦٥م / ٢٠ ربيع ثان ٦٦٣هـ ، زال
الخطر المغولي وأصبحت بلاد الشام مفتوحة أمام أعمال بيبرس النارية (١٧٠) .
فحمل بيبرس على الفرنج في فلسطين ، واستولى في شهرين (فبراير -
مارس ١٢٦٥م / ربيع ثان - جماد ول ٦٦٣هـ) على قيسارية وحيفا ،
ودمر عتليت بعد مقاومة الداوية بالقلعة ، ثم أرسوف وقتل كل من فيها
من الاسبتارية ، وفي العام التالي فتح صفد وقتل كل من فيها من الداوية ،
ثم تبنين وهونين (١٧١) . ولما أصبح بيبرس واثقا من عدم حدوث ما يثير

= ابن عبد الظاهر انجازات المسلمين فقط في الوقت الذي ذكر شافع
بن على الاحداث فيه باختصار شديد . انظر : ابن عبد الظاهر :
الروض الزاهر ، ص ١٤١ - ١٩٢ ، شافع بن على : حسن
المناقب ، ص ٧٥ ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ،
ص ٥٣١ ، النويري : نهاية الارب في فنون الادب ، مخطوط ،
تصوير شمسي ، بدار الكتب المصرية ، ج ٢٨ ، لوحة ٧٩ .
(١٦٩) بدأ بيبرس بمهاجمة عكا في ١٥ ابريل ١٢٦٣م / ٤ جمادى الآخرة
٦٦١هـ ، ولدة يومين كما هاجمت قواته عتليت وقيسارية . انظر :
ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .
(١٧٠) مات هولاكو في مدينة أذربيجان في ٨ فبراير ١٢٦٥م / ٢٠ ربيع
ثان ٦٦٣هـ ، وتولى حكم مغول فارس بعده ابنه أباقا الذي
يسميه المؤرخون المسلمون أبغا . وماتت طغزخاتون بعد وفاة زوجها
بثلاثة أشهر ، ولم يكن في استطاعة أباقا الذي اتبع نفس سياسة
أبيه أن يقوم بأية محاولة ضد المسلمين في بلاد الشام أو مصر ،
وذلك لانشغاله في استكمال حروب أبيه ضد مغول القبيلة الذهبية
في جنوب روسيا بقيادة بركة خان المسلم وحليف بيبرس الذي
هزم أباقا في العام التالي ، وأدى فرض الصلاة في كل ما استولى
عليه من أملاك أباقا . ومات بركة في نفس العام ليستمر النزاع
بين حلفائه وأباقا . لذا لم يتمكن أباقا من الاشتراك في جهد ضد
المسلمين بالرغم من تحالفه مع ميخائيل الثامن باليو لوج
امبراطور بيزنطة الذي زوج أباقا من ابنته بعد موت هولاكو
مباشرة . انظر : رشيد الدين المهداني : جامع التواريخ ، م ٢ ،
ج ١ ، ص ٣٤١ ، ابن الوردي (زين الدين عمر) : تمة المختصر
في أخبار البشر ، جزآن ، تحقيق أحمد رفعت البدرأوى ،
بيروت ١٩٧٠م ج ٢ ، ص ٣١٢ . انظر :

Vartan, Histoire Universelle, pp. 307 310, Bar Hebraeus,
The Chronography, pp. 444-445.

(١٧١) تم فتح قيسارية في ٢٧ فبراير ١٢٦٥م / ٩ جمادى الأولى ٦٦٣هـ ، =

قلقه على خطوط مواصلاته بين مصر وشمال الشام ، فقد استطاع أن يوجه ضرباته الى انطاكية وقيليقية حيث عدواه بوهيمند السادس وهيثوم الاول (١٧٢) . وكان أن بدأ ببيرس بالهجوم على أملاك بوهيمند . ففي ١٩ نوفمبر ١٢٦٥م / ٨ صفر ٦٦٤هـ ، قام بوهيمند بجمع قواته مع امدادات من الداوية والاسبطارية من طرابلس للهجوم على حمص . وتصدت له قوات علم الدين الباشقردى نائب ببيرس في حمص وحالت دون عبوره نهر العاصى والاقتراب من المدينة . ولما فشل بوهيمند في عبور النهر من مكان آخر ، اندفعت اليه قوات المسلمين ، فترجع الفرنج يتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون منهم الكثيرين ، أما بوهيمند فقد « قنع من الغنيمة بالاياب ، وكان له أمل فخاب » (١٧٣) . وكان عليه أن يستعد لتلقى هجمات ببيرس المتوالية على أملاكه . وفي الحقيقة فان الفرنج جميعا كان عليهم أن يستعدوا لنفس المصير . فقد كان عام ١٢٦٦م / ٦٦٤هـ من الاعوام التى زخرت بفتوح ببيرس في كل أنحاء الشرق الادنى . ولأنه كان يعد للقيام بمشروع كبير ضد كل أعدائه من أرمن و صليبيين ، فقد قام بالاعداد لهذا المشروع بصورة تدل على حسن تدبيره (١٧٤) فقد أمر باقامة جسر على نهر الفرات بالقرب من الرحبة ، وأمر ببناء « مراكب بدمشق ،

= وارسوف في ٢٩ ابريل / ١١ رجب من نفس السنة ، وصفد في ٢٣ يوليو ١٢٦٥م / ١٨ شوال ٦٦٤هـ . انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٣٠ - ٢٦٣ . راجع أيضا :
Ann. T.S., pp. 451-452, Eracles, pp. 450, 484-485 CF. ako,
Rohricht, Les derniers Temps, pp. 377-384.

Cahen, La Syrie du Nord, p. 715. (١٧٢)

(١٧٣) ويذكر العيني أن بوهيمند هزم عند مخاضة بلالة التى حاول عبور نهر العاصى منها الى حمص . انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٤٥ ؛ شافع بن على : حسن المناقب ، لوحة ٨١ ؛ العيني : عقد الجمان ، مخطوط ، ج ٢٢ ، ورقة ٢٦٨ .

(١٧٤) أحسن ببيرس اختيار هذا الوقت للقيام بمشروعه ضد الارمن والصليبيين لانشغال أباقا خان مغول فارس في القتال ضد بركة خان مغول روسيا حتى ينفرد ببيرس بالارمن حلفاء المغول دون أن يخشى وصول المغول لمساعدة هيثوم ، انظر :

Michael Prawdin, L'Empire Mongol et Tamerlan, Paris, 1937,
p. 153.

وجّهت الى البيرة « (١٧٥) . كل ذلك لايهام المغول بأن خطوته التالية ستكون ضدهم ، في الوقت الذي بدأ يعد للتمويه على الفرنج . فقد خرج بيبرس من مصر في ٨ مايو ١٢٦٦م / أول شعبان ٦٦٤هـ . وفي ١٠ مايو ٣ / شعبان (١٧٦) وصل الى غزة حيث قسم جيشه الى قسمين . وبعث بالقسم الأول ويقوده الامير سيف الدين قلاوون الى حمص دون أن يعرف هؤلاء الى أين ستكون وجهتهم التالية قبل وصولهم الى حمص (١٧٧) . وكانت هذه عادة بيبرس في تحري السرية التامة في تحركات قواته وتحركاته هو؛ مما ساعده كثيرا على نجاح قواته في انجاز المهام الموكولة اليها دائما في الوقت الذي كان هو حريصا فيه على مراقبة تحركات أعدائه لحظة بلحظة (١٧٨) . لذلك كانت المهمة التي كلف بها قلاوون قواته ناجحة بعد كل هذه التدابير . ففي الوقت الذي اتجه فيه بيبرس الى عكا زاد من التمويه على الفرنج ، فوزع القسم الثاني من قواته في مواقع شتى . فتوجه الامير علاء الدين البندقداري الى صور ، بينما توجه الامير بدر الدين القيمري وبدر الدين بيمري الى حمص والقرين معقل فرسان التيوتون ، في الوقت الذي توجه فيه فخر الدين الحمصي الى جبل عامله حيث قلاع الحشيشية ، وتوجه ناصر الدين القيمري الى جهة عتليت (١٧٩) . وبذلك يكون بيبرس قد شغل الفرنج جميعا في وقت واحد دون أن يعرفوا أي من مواقعهم سيكون هدفا لهجمات المسلمين . وهنا أصدر أوامره الى قلاوون

-
- (١٧٥) شافع بن علي : حسن المناقب السرية ، مخطوط ، لوحة ٨١ .
(١٧٦) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٥٠ ؛ شافع بن علي : حسن المناقب ، مخطوط لوحة ٨٥ .
(١٧٧) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٥٠ .
(١٧٨) كان بيبرس يستخدم سكان الشام المسلمين في التجسس على الفرنج والمغول . فنراه يعلم بتحركات بوهيمند قبل هجومه الأخير على حمص . لذا استعدت له قوات حمص ولم تمكنه من الاقتراب من المدينة « فاحترز منه وجعل عليه عيوننا » انظر : شافع بن علي : حسن المناقب ، مخطوط ، لوحة ٨١ .
(١٧٩) استقر الحشيشية في ثمان قلاع حول طرابلس وهي مصيف والكهف والعلقيات والقدموس والخوابي والمنيقة والرصافة وأبو قبيس . انظر :
C. Defrtmerp, Nouvelles, Recherche p. 48.

بالهجوم على نواحي طرابلس ، وكما يذكر ابن عبد الظاهر أن الهجمة كانت مفاجئة للفرنج ، فتمكن قلاوون من فتح حصون حلبا وعرقا والقليعات (١٨٠) . وبذلك سيطر المسلمون على الطريق بين طرابلس وحمص (١٨١) . ولما خرج الفرنج من صافيتا الى حصن الاكراد تمكنت قوات قلاوون من اباداة خمسين من رماة السهام الصليبيين الذين خرجوا تمهيدا لهجوم مضاد على المسلمين (١٨٢) . فخرج بعض فرسان الداوية للاغارة على جامعى الكلا المسلمين ، فانقضت عليهم قوات الحراسة الاسلامية وقضت عليهم وأسرت بعضهم (١٨٣) . وهكذا فى أسبوع واحد (٢ يونية - ٩ يونية ١٢٦٦م / ٢٧ شعبان - ٤ رمضان ٦٦٤هـ) (١٨٤) ، تمكن قسم من قوات بيبيرس من فتح ثلاثة حصون صليبية وأسر الكثيرين من الفرنج وأخذ ما كان لديهم من مؤن وعتاد (١٨٥) . هذا ، بينما كان

(١٨٠) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ : شافع بن على : الحسن المناقب ، مخطوط لوحة ٨٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، ج ١١ لوحة ٩٩ - ١٠٠ : النويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، ج ٢٨ ، لوحة ٨٧ . راجع أيضا : Ann. T.S., p. 452.

(١٨١) Cahen, La Syrie du Nord, p. 715.
(١٨٢) اعتبر مارينو سانودو أن هذه الحملة كانت كارثة بالنسبة للصليبيين فى شمال الشام ، انظر : شافع بن على : حسن المناقب ، مخطوط ، لوحة ١٠٨ ، النويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، ج ٢٨ ، لوحة ٨٧ . راجع أيضا :

Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 222.
(١٨٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٥٢ ، النويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، ج ٢٨ ، لوحة ٨٧ .
(١٨٤) يضع مارينو سانودو ظهور قلاوون أمام طرابلس فى ٢ يونيو / ٢٧ شعبان ، ويحدد ابن عبد الظاهر نهاية الحملة بيوم ٩ يونيو / ٤ رمضان . ولم يضع أى من بقية المؤرخين تاريخا لهذه الحملة . انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٥٢ . راجع أيضا :

Marino Sanudo, Liber, p. 22.

(١٨٥) استسلم للمسلمين جماعة من الفرنج بالقرب من حصن الاكراد وهرب كل من كان من الفرنج فى حلبا وعرقا ، كما أسر المسلمون بعض من داوية صافيتا وقتلوا البعض الآخر ووجد المسلمون فى حلبا « كثيرا من نحاس وصناديق وسكر وغيره » كما وجدوا فى عرقا من الغلات شيئا كثيرا والمزروعات شيئا كثيرا » انظر : =

بيبرس قد هاجم عكا واستولى على صفد وتبنين وسيطر بذلك على اقليم الجليل (١٨٦) . وكانت مكاسب بيبرس في حملته هذه كثيرة . ويكفى أن نعرف حدود هذه الحملة التي حددها بدقة ابن عبد الظاهر حتى نقف على طبيعة هذه المكاسب « وقد توالى المكاسب وعمت الغارة بلاد الفرنج من حدود طرابلس الى قريب أرسوف » (١٨٧) . وفي الحقيقة لم يدرك الخطر المحدق بالصليبيين في تلك الفترة سوى جماعة الاسبتارية الذين سارعوا يطلب الصلح من بيبرس (١٨٨) . فبعث مقدم الاسبتارية الى دمشق برسول لمقابلة بيبرس ولطلب الصلح على أملاك الاسبتارية من جهة حمص وحماة وقلاع الحشيشية (١٨٩) . ولم يقبل بيبرس عقد الهدنة مع الاسبتارية الا بعد تنازلهم عن كل ما كانوا يجبونه من جزية على حماة وحمص وقلاع الباطنية وعلى أن يكون لبيبرس حق خرق الهدنة وقتما شاء (١٩٠) . وهكذا اشترى الاسبتارية أمنهم وسارعوا باسترضاء بيبرس وسرعان ما أدرك الداوية أنه من الحكمة أن يحذوا حذو الاسبتارية . فبعد

= ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، ج ١١ ، لوحة ٩٩ - ١٠٠ .

(١٨٦) Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, 321.

(١٨٧) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٥٢ .

(١٨٨) كان الاسبتارية قد بعثوا برسولهم وبيبرس على حصار صفد ولكنه

« اهتم بأمر صفد لأنها الغصة في حلق الشام والشجا في صدر

الاسلام » انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٥٣ .

(١٨٩) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٦٦ ؛ شافع بن على :

حسن المناقب ، مخطوط لوحة ٩١ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول

والملوك ، مخطوط ، ج ١٢ ، لوحة ٦ .

(١٩٠) حرص المؤرخون على ذكر قيمة الجزية التي تنازل عنها

الاسبتارية . فقد اتفق كل من ابن عبد الظاهر وشافع على أنها

كالآتي : أبو قبيس ثمانمائة دينار وقلاع الدعوة ألف ومائتي دينار

الى جانب خمسين ألف مد حنطة ومثلها من الشعير ، وعلى

حمص وحماة أربعة آلاف دينار . بينما أضاف كل من النويري

وابن الفرات جزية عينتاب وشيزر وهي خمسمائة دينار الاولى

وستمائة للثانية . انظر ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ،

ص ٢٦٦ ؛ شافع بن على : حسن المناقب ، مخطوط ، لوحة ٩١ ؛

النويري : نهاية الارب ، مخطوط ، ج ٢٨ ، لوحة ٩١ ؛ ابن

الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، ج ١٢ ، لوحة ٦ .

سقوط صفد في أيدي المسلمين سارع مقدم الداوية الى استرضاء بيبرس عندما علم بنزول قلاوون على طرابلس ، لعله يحمي أملاكه في صافيتا وانطرطوس . وأحضر معه ثلاثمائة أسير من المسلمين ليظهر حسن نواياه للمسلطان (١٩١) . ولم يقبل بيبرس منحه الامان الا بعد أن تنازل مقدم الداوية عن نصف مدينة جبلة التي يشارك فيها الاسبتارية ، وتسلم علاء الدين بن القاضي وحسام الدين الجلدكي نواب بيبرس ما يخص الداوية في جبلة ، ورفض الاسبتارية التخلي عن نصيبهم في المدينة ، فاعتدوا على نواب الظاهر بمساعدة بوهيمند ، وقتلوا بعض رجالهم ، فأمر بيبرس بقتل من كان بحمص من الاسبتارية (١٩٢) . وإذا كان الداوية والاسبتارية وكل حكام الفرنج (١٩٣) قد سعوا لاسترضاء بيبرس ، وفي مقابل بعض التنازلات قد حصلوا على الهدنة معه ، فكان هذا لعدم وجود سبيل آخر أمامهم . أما بوهيمند وهيثوم ، فقد اعتقدا أن أسلم طريق لتفادي خطر بيبرس هو طلب النجدة من المغول ، خاصة بعد أن رفض بيبرس التصالح مع هيثوم ، واتضحت نيته على الانتقام من الاثنين معا (١٩٤) . الا أن طلب المساعدة من المغول كان من شأنه أن يزيد من عداة بيبرس لهما ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فانهما لم يفتننا حتى الآن الى أن أحوال مغول فارس

(١٩١) كان مقدم الداوية في ذلك الوقت هو توماس بيرار «Thomas Berard» (١٢٥٦ - ١٢٧٣م) وسماه ابن عبد الظاهر افرير ما هي صافاج . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٦ .

(١٩٢) ذكر ابن عبد الظاهر ومن نقل عنه من المؤرخين هذه الاحداث حين حديثهم عن سقوط انطاكية في عام ١٢٦٨م / ٦٦٦هـ . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٣٠ ، شافع بن علي : حسن المناقب ، السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦ ، ص ١٣٧ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، ج ١٢ ، لوحة ٣٢ .

(١٩٣) وصلت رسل الفرنج من صور وبيروت وصهيون تطلب الصلح مع بيبرس . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(١٩٤) في عام ١٢٦٣م / ٦٦١هـ بعث هيثوم برسله الى مصر للاتفاق مع بيبرس بشأن الصلح « وأحضروا معهم الهدايا النفيسة ، فلم يتفق له صلح ، لتعذر ما التمسوه » وقد انفرد شافع بن علي بذكر هذه الواقعة من بين كل المؤرخين . انظر : شافع بن علي : حسن المناقب ، ص ١٠٢ .

بعد موت هولاكو لم تكن تمكن ابنه أباقا من الاسراع بتقديم يد العون الى بوهيمند وهيثوم لصد خطر المماليك ، البعيد عنه ، وترك خطر بركة الذي اعتنق الاسلام وخطره اشد على املاك أباقا . ومهما يكن من امر ، فقد ذهب هيثوم الى المغول يطلب المساعدة وترك ولديه ليو وثوروس يتوليان امور قيليقية اثناء غيابه (١٩٥) . ولما علم بيبرس بذلك بادر بارسال أوامره بخروج المنصور صاحب حماة على رأس القوات التي أغارت على طرابلس ومعه قلاوون والتوجه الى قيليقية . وفي ٨ أغسطس ١٢٦٦م/ ٥ ذى القعدة ٦٦٤هـ ، خرج المنصور بقواته (١٩٦) . الى دريساك وبغراس وظن الارمن أن المسلمين لن يستطيعوا الوصول اليهم (١٩٧)

(١٩٥) في الحقيقة لم نعثر على أى دليل في روايات المؤرخين على وصول هيثوم الى تبريز عاصمة أباقا ، أو مقابلته له . ويبدو أن أباقا لم يكن لديه الوقت لمقابلة الملك الارمينى لانشغاله بحرب بركة خان في ذلك الوقت . ولقد انفرد جريجور أوف أكانك بتحديد المكان الذى وصل اليه هيثوم بأنه معسكر مغولى تابع لأباقا في اقليم البستان حيث طلب من قائد المعسكر امداده بفرقة من المغول وعاد بعد يومين . انظر :

Grigor of Akanc, History of the Nation of the Archers (The Mongols), Ed. and trans. by R.P. Blake and R.N. Frye, in H.J.A.S., Vol. 12, 1949, p. 357; Vahram Rabuni, Chronicle of the Armenian kingdom in Cilicia, ed. and trans. by C.F. Heumann, in Translation; from the Chinese and Armenian, London. 1831, pp. 50-51. Hayton, La Flor, 177; Vartan, Histoire Universelle, p. 311.

(١٩٦) حدد شافع بن على خروج المسلمين الى بلاد الارمن في شهر سبتمبر/ ذى الحجة . ولما كان بيبرس معتادا على اصدار أوامره لقواته بالتحرك في اللحظة الاخيرة قبل تنفيذ مشروعاتها ، ولما كان عنصر المفاجأة الذى حرص عليه بيبرس دائما يحتم خروج هذه القوات فور صدور أوامره اليها فأننا أخذنا بالتاريخ الذى أورده ابن عبد الظاهر ، والذى يتفق مع أبى الفدا في تحديد هذا التاريخ لبدء الحملة (وان كان أبو الفدا لم يحدد يوم التحرك) وقد أصدر بيبرس أوامره بالتحرك في الاول من أغسطس/السابع والعشرين من شوال من نفس السنة . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٦٣ ، ٢٧٠ ؛ شافع بن على : حسن المناقب السرية ص ١١١ ، ١١٥ ؛ أبو الفدا : المختصر ، مجلد ٢ ، ج ٤ ، ص ٣ ؛ المقرئى : السلوك ، ج ٢ ، قسم ٢ ، ص ٥٥٢ .

(١٩٧) أرسل قلاوون رسولا الى ليويطلب منه الاستسلام والدخول تحت =

لوعورة الممرات الى قيليقية . الا أن المسلمين نجحوا في مباغته الارمن بعد القيام بحركة التفاف سريعة، وأسر ليو بن هيثوم وقتل أخوه ثوروس وعمه سمباد وكندسطلبل المملكة (١٩٨) ، وانتشرت القوات الاسلامية في سهل قيليقية ودمروا كل ما صادفوه من حقول وقرى في أقاليم سرفنتكار وتل حمدون ، وأحرقوا من أملاك الداوية حصنى العمودين والتينات بعد فتحهما وأسر من فيهما . ورحل المسلمون الى سيمس عاصمة هيثوم وخربوها وأحرقوا كنيستها ، ووصلت هجماتهم الى المصيصة وأذنة وطرسوس وميناء اياس وعادوا الى حلب وقد غنموا « مالا يعبر عنه من الجواهر والمواشى والاسرى » (١٩٩) حيث قابلهم ببيرس في ١٥ سبتمبر ١٢٦٦م / ١٣ ذى الحجة ٦٦٤هـ ، وأحسن معاملة ليو ابن هيثوم (٢٠٠) الذى عاد الى بلاده ليجدها خرابا ، ويعانى من الحزن على موت أحد ولديه ، وأسر الثانى ، وضياع كل جهوده فى اعلاء شأن مملكته التى لم تقم لها من بعد

= المراحم السلطانية فاعتقل الرسل وقيدهم ولم يعط سمعا ولا طاعة . انظر : شافع بن على : حسن المناقب السرية ، ص ١١٥ . (١٩٨) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٧٢٠ ، شافع بن على : حسن المناقب ، السرية ، ص ١١٥ . راجع أيضا :

Grigor of Akanc, The History of the Nation of Archers, p.535; Hayton, La Flor, p. 177; Vartan, Histoire Universelle, p. 311; Vahram d'Edesse, Chant Populaire Sur La Captivite de Leon Fils du Roi Héthoumi, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1, pp. 540; Vahram Rabuni, Chronicle, pp. 50-51; Le Roi Héthoum II, Poème, in R.H.C.-Doc. Arm, Vol. 1, pp. 551-552. Sempad, p. 652; Bar Hebraeus, The Chronography, pp. 445-446.

(١٩٩) كانت مغانم المسلمين فى هذه الحملة تعد أضخم ما غنمته جيوش اسلامية منذ وقعة حطين . ويحدد المؤرخ الارمنى فارتان عدد الاسرى الذين أخذهم المسلمون بحوالى أربعين ألف أسير : انظر:

Vartan, Histoire Universelle, p. 311.

Grigor of Akanc, The History of the Nation of Archers, (٢٠٠) p. 573.

ذلك قائمة (٢٠١) . وهكذا كان ارتباط انطاكية بالسياسة الارمنية منذ سعى لويس التاسع الى تحسين العلاقات بين بوهيمند الخامس وهيثوم الاول (٢٠٢) ، كان هذا الارتباط وبلا على انطاكية التي جرها هيثوم الى الخضوع للمغول ومشاركتهم في كل ما ارتكبوه من جرائم في حق الاسلام والمسلمين في بلاد الشام ، الامر الذي جعل من بوهيمند وهيثوم اول الاعداء الذين خطط بيبرس للانتقام منهم لموالاتهم للمغول . وبينما كانت الدلائل تشير الى انه لم يكن من السهل قيام تحالف بين الصليبيين في عكا والمغول ، فقد ألزمت احوال انطاكية والخوف من التهديد المغولي - بوهيمند السادس - بالدخول في طاعتهم على يستفيد من غزوهم لبلاد المسلمين . وفي الوقت الذي اعتبر الصليبيون في عكا وفي روما ان بوهيمند قد تحالف مع اعداء المسيحية ، فقد تم حرمانه من الكنيسة اللاتينية وكان عليه ان يستعد لهجمات بيبرس المتلاحقة على امارته . واذا كان هيثوم بتحالفه مع المغول ومنافسة بلاده لمصر في المجال التجاري يعد اخطر من بوهيمند ، فان فتح بلاده كان يحتم فتح انطاكية أولا . وهكذا أصبحت انطاكية هدف بيبرس الذي بدأ بتوطيد مركزه في مصر ، وعلاقاته بحكام غرب أوربا ومغول روسيا حتى يتمكن من عزل الفرنج في بلاد الشام ، وشغل مغول فارس بتحالفه مع مغول روسيا الامر الذي حرم الارمن وانطاكية من مساعدتهم . وبدأ في توجيه ضرباته التمهيدية الى انطاكية بعد ان أمن طريق مواصلاته بين مصر وحلب ، بالاستيلاء على معاقل

(٢٠١) اشتد حزن هيثوم على ضياع كل جهوده ، وكان حزنه على موت ابنه ثوروس وأسر ابنه ليو أشد ، فترهب وعاش بقية حياته في أحد الديرية تحت اسم « مقار » حتى مات في ١٢٦٩م/٦٦٧هـ بعد فك أسر ابنه . انظر :

Grigor of Akanc, The History of the Nation of Archers, p. 573; Vahram Rabuni Chronicle. p. 53.

(٢٠٢) كانت مساعي لويس في ذلك الشأن تتوافق مع احساس من الارمن وافرنج انطاكية أنهما أمام أخطار مشتركة - في عهد بوهيمند السادس وهيثوم توشك أن تعصف بهما ، ولم يكن هناك أي أمل في أية مساعدة من داخل بلاد الشام أو من خارجها ، في الوقت الذي اقترب الخطر المغولي من جهة وخطر المماليك من جهة أخرى .

الفرنج في اقليم الجليل استعدادا لتوجيه الضربة النهائية الى امارة
انطاكية الصليبية .

ذهل الصليبيون عندما رأوا أسوار انطاكية وضخامتها في عام
١٠٩٧م/٤٩١هـ (٢٠٣) ، ولم يستطيعوا اقتحامها الا بعد حصار دام أكثر
من سبعة أشهر (٢٨٤) . وعندما وصل صلاح الدين أمام أسوارها في عام
١١٨٨م/٥٨٤هـ ، أثر عقد الهدنة مع بوهيمند الثالث لتعب قواته بعد
فتوحه التي تلت انتصاره في حطين ، ولادراكه لصعوبة الاستيلاء على
انطاكية ذات الحصانة والمنعة (٢٠٥) . أما بيبرس فقد جاء الى انطاكية
« وحاصرها وأخذها دون مقاومة » . كان هذا ما أورده كل من تاريخ
هرقل وتاريخ أعمال القبارصة ومارينو سانودو والذين لم تتعد رواية أى
منهم عن سقوط انطاكية في ايدى بيبرس الاربعة أسطر (٢٠٦) . والمقارنة
بين ما حدث في الثلاث مناسبات التي هوجمت فيها انطاكية توحى بما
كانت عليه أحوالها قبيل سقوطها في أيدي المماليك . فقد كان بوهيمند
السادس مقيما في طرابلس ، وعهد بحكم المدينة وادارتها للكندسطل
سيمون مانسل «Simon Mansel» (٢٠٧) . وإذا كان الغزو المغولى

Raimond d'Agiles, Historia Francorum, p. 242. (٢٠٣)

(٢٠٤) بدأ حصار الصليبيين لانطاكية في ٢١ أكتوبر ١٠٩٧م/٢٨ شوال

٤٩١هـ ، وسقطت المدينة في أيديهم في ٣ يولية ١٠٩٨م/١ رجب

٤٩١هـ . انظر : ابن العديم : زبدة الطلب ، ج ٢ ، ص ١٣١ ،

١٣٤ . راجع أيضا : Gesta Francorum, p. 28, 46.

(٢٠٥) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٤ .

(٢٠٦) جعلت سرعة سقوط انطاكية المؤرخين اللاتين يتغاضون عن ذكر

المقاومة الواهنة التي أبدتها صليبيو المدينة أمام المسلمين .

انظر : Eracles, p. 456;

Gestes des Chiprais, p. 771; Marino Sanudo, Liber Secretorum,
p. 223.

(٢٠٧) كان سيمون مانسل هو آخر من شغل منصب كندسطل أنطاكية ،

وهو ابن روبرت مانسل الذى شغل نفس المنصب في عهد ريموند

روبين ، وكان روبرت من أقارب سمباد كندسطل أرمينية القليقية

والذى أوصل اليه مجموعة قوانين انطاكية ليترجمها سمباد الى

الارمنية . انظر :

E. Rey, Les Dignitaires de La Principaute d'Antioche, pp.

119-120.

لبلاد الشام قد منح انطاكية فترة راحة من هجمات التركمان ، وأعاد الطمأنينة الى سكان انطاكية رعايا بوهيمند حليف المغول . فقد نتج عن ذلك أن جذبت انطاكية مرة أخرى عددا كبيرا من سكانها الذين هجروها أمام غارات التركمان ضدها (٢٠٨) . كما تم ربط انطاكية بطرابلس بعودة ميناء اللاذقية الى حوزة بوهيمند أثناء فترة اضطراب المسلمين التي أعقبت اقتحام المغول لبلاد الشام . الا أن ميناء اللاذقية لم يكن مفيدا من الناحية التجارية لانطاكية كما كان في القرن السابق . فقد جذبت موانئ البحر الاسود وميناء اياس الارمني تجارة شرق آسيا عبر الطريق البري . ولما كانت جنوا قد احتكرت تجارة هذه الموانئ وتجارة القسطنطينية التي ساعدت البيزنطيين في استردادها ، واستمرت في الاتجار مع مصر ، فقد حرصت البندقية على حسن علاقاتها بمصر ، ولم يكن الخاسر في هذا الميدان سوى موانئ الصليبيين في بلاد الشام . ولم يكن لهذه الموانئ أن تزدهر الا بعودتها الى أيدي المسلمين (٢٠٩) . وهكذا كانت موانئ البحر الاسود ، واياس والقسطنطينية والاسكندرية تعفى التجار الاوربيين من اعطاء أهمية كبرى لعكا واللاذقية (٢١٠) . ولما وصلت هجمات قادة بيبرس الى ميناء السويدية فان منافذ امارة انطاكية البحرية لم تعد محطاً لتجار حلب الذين لم ينسوا بعد اعتداءات المسيحيين عليهم تحت حماية المغول . وهكذا بقيت انطاكية على وضعها الاقتصادي المتهالك منذ عهد بوهيمند الخامس . أما عن الوضع الاستراتيجي لانطاكية فلم يكن قد بقي لها من أملاكها سوى ميناء السويدية واللاذقية العقيمين ، الى جانب عدة قلاع استولى عليها بوهيمند أثناء فترة وجود المغول في بلاد الشام (١١)

(٢٠٨) يتضح ذلك من عدد أسرى الفرنج لدى بيبرس حين فتح المدينة . انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٤٧٣ ، حاشية (٢٤٧) .
(٢٠٩) دأبت الاساطيل الجنوبية على نقل الرقيق من موانئ البحر الاسود الى مصر . انظر :

Runciman, A History of The Crusades, p. 360.

(٢١٠) Eugene H. Byrne, The Genoese Colonies in Syria, in The Crusades and Other Historical Essays Presented to Dana C. Muuro, ed. Louis J.J. Paetow, New York, 1928, p. 180; Cahen, Notes Sur L'Histoire des Croisades III, p. 343.

(٢١١) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .

هذا ، بينما يقبع المسلمون في جيلة مناصفة مع الاسبتارية . وفي الجنوب كان استيلاء بيبرس على عرقا وحلبا والعليقة وخضوع الحشيشية له (٢١٢) قد أغلقا طريق الاتصال بين انطاكية وطرابلس . ومن حمص وحماة وحلب كانت الجهة الشرقية لانطاكية حتى أسوارها تحت سيطرة المسلمين . أما الجهة الشمالية فباستيلاء المماليك على دريساك ١٢٦٦م / ٥٦٤هـ كان قد تم غلق الاتصال بين انطاكية وحلفائها الارمن وتم عزلها تماما . واكتملت حلقة الحصار حولها من كل جهة (٢١٣) . وهذا عن انطاكية ، أما عن أميرها نفسه ، فقد عزلته الظروف أيضا عن كل حلفائه . فقد تأكد من انشغال المغول تماما في حروبهم ضد أبناء عموماتهم حتى أنهم لم يقدموا لهيثوم المساعدة التي تمكنه من انقاذ مملكته من أيدي المسلمين (٢١٤) . وهذا الأخير صهر بوهيمند والسبب في جره الى فلك المغول ، كان غارقا في أحزانه ، ولم يكن ليجازف باغضاب بيبرس ، الذي يحتفظ بابنه الوحيد أسيرا ، لديه ، بمساعدة صهره الفرنجي (٢١٥) . أما عن الاخوة الصليبيين - خاصة الداوية والاسبتارية - فلم تكن أحوالهم أحسن حالا . فقد تقلصت حدودهم تماما ، ولم تعد الشريط الساحلي الضيق الممتد من بيروت شمالا الى أرسوف جنوبا بعد أن فتح المسلمون يافا وشقيف أرنون (٢١٦) . فسارع الفرنج في بيروت بايفاد رسول يهادن بيبرس (٢١٧) .

(٢١٢) في فبراير ١٢٦٧م / جماد ثان ٦٦٥هـ وصل رسل الحشيشية الى القاهرة « وقالوا هذا المال الذي كنا نحمله قطيعة للفرنج قد حملناه لبیت مال المسلمين لينفق في المجاهدين » انظر : المقریزی : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٥٧ .

(٢١٣) Rohricht, Etudes sur les Derniers Temps du Royaume de Jerusalem, pp. 390-391.

(٢١٤) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٤٦١ حاشية (١٩٥) . راجع أيضا :

Grigor of Akanc, The History of The Nation of Archers, p. 357.

(٢١٥) في ديسمبر ١٢٦٦م / ربيع أول ٦٦٥هـ أي بعد أسر ليو بن هيثوم بحوالي أربعة أشهر وصل رسول من قبل هيثوم الى القاهرة ليتفاوض مع بيبرس بشأن إطلاق سراح ليو الذي لم يطلق مراحه إلا بعد سقوط انطاكية . انظر ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٢١٦) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٤٦٨ .

(٢١٧) في أبريل ١٢٦٨م / شعبان ٦٦٦هـ وصل رسول من بيروت الى بيبرس =

وتلاه رسول من اسبترارية حصن الاكراد (٢١٨) وأخيرا رسول من الداوية يطلب الامان لأملاك الجماعة في صافيتسا وانطرطوس (٢١٩) . وهكذا أتى الصليبيون ليتملقوا ببيرس حتى يضمنوا أن تظل أراضيهم في مأمن من الحرب ، وهكذا ترك بوهيمنند السادس وحده ليوواجه انتقام ببيرس في الوقت الذي راحت فيه الجماعات العسكرية التي كانت تحرس الطريق بين انطاكية وطرابلس - والتي كثيرا ما حصلت على امتيازات من أمراء انطاكية كان من شأنها أن تدعم موقفها في الشرق اللاتيني - تطلب السلام من ببيرس (٢٢٠) الذي قدر له أن تكون نهاية مائة وسبعين عاما من الوجود الصليبي في شمال الشام على يديه هو .

كان آخر ما أوصى به هولانكو صارم الدين أربك مملوك الاشرف صاحب حمص (٢٢١) قبل أن يغادر هولانكو ليلحق بكتبغا الذي توجه للقاء قطز على عين جالوت هو قوله « يا صارم اذا وصلت الى كتبغا وببيدرا ساعدهم على فتح بخش الفار ، يعنى بذلك الديار المصرية ، فاني أمرتهم أن يفتحوا مصرا » (٢٢٢) . وهكذا ظلت مصر منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي/أوائل القرن السابع الهجري الهدف الاساسي لكل من كان يسعى الى السيطرة على الشرق الادنى الاسلامي . وبعد أن أصبح الاستيلاء على مصر هو الضمان الوحيد لاسترداد الصليبيين لمملكتهم

= بعد أن استولى على شقيف أرنون « بهدية وجماعة من المسلمين . كانوا أخذوا في البحر » انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٩٩ ؛ المقریزی : السلوك ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٦٦ .
(٢١٨) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .
(٢١٩) « وأحضر الاسارى الذين عنده من المسلمين وكانوا مقدار ثلاثمائة أسير » انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٠٦ .
(٢٢٠) Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 640.
(٢٢١) كان صارم الدين أربك بصحبة هولانكو في الموصل قبل أن يغادرها الاخير الى فارس . انظر :

Levi della Vida, La Chronique de Qirtay, p. 365.

(٢٢٢) « ان التتار مثل مصر عندهم مثل بخش الفار اذا عبر من مكان لا يخرج الا منه لضيق المسلك » انظر :

Levi della vida, La Chronique de Qirtay, p. 365.

التي قضى عليها صلاح الدين الايوبي ، فقد أصبحت مصر الهدف الاستراتيجي لكل من الحملات الصليبية الخامسة والسادسة والسابعة ، وظلت مصر تمثل نفس الهدف بالنسبة للتتار . فمن مصر ، وبموارد مصر ، خرج صلاح الدين وقضى على مملكة الصليبيين . ومن مصر وبمواردها أيضا ، قدر للمماليك أن يقضوا على بقايا الاحتلال الصليبي لبلاد الشام (٢٢٣) ، وكان أول ما سقط هو إمارة انطاكية . وكعاداته دائما في اتخاذ التدابير التي تضمن نجاح مشروعاته ضد الصليبيين ، قام ببيبرس بعدة عمليات عسكرية كان من شأنها أن تجعل من انطاكية مدينة معزولة محرومة من كل مساعدة ممكنة ، وهدفا سهلا لقواته . فقد خرج ببيبرس من مصر في ١٩ فبراير ١٢٦٨م / ٣ جمادى الآخرة ٦٦٦هـ ، ووصل الى غزة ، ومنها الى يافا التي سلمها أهلها اليه في ٦ مارس / ٢٠ جمادى الآخرة (٢٢٤) . وفي ٥ ابريل / ١٩ رجب بدأ في حصار شقيف أرنون وضربها ستة وعشرون منجنيقا . وبعد أسبوع فتح المسلمون إحدى قلعتيها ، ثم سقطت القلعة الثانية بعد اثني عشر يوما من بدء الحصار (٢٢٥) . وبفتح ببيبرس ليافا والشقيف ، لم يبق للفرنج جنوبى عكا سوى قلعة عتليت التي يمتلكها الداوية (٢٢٦) . وبعد أن استقبل ببيبرس رسل بيروت الذين جاءوه يطلبون الامان ، رحل الى بعلبك ، ومنها الى طرابلس ، وظهر أمام المدينة في ٣٠ ابريل ١٢٦٨م / ١٥ شعبان ٦٦٦هـ حيث فتح رجاله برجا خارج المدينة وقتلوا من فيه من الفرنج ،

(٢٢٣) J.J. Saunders, Aspects of the Crusades, p. 35.

(٢٢٤) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ ؛ شافعي بن علي : حسن المناقب السرية ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ، مفضل ابن أبي الفضائل : النهج السديد والدر الفريد ، نشره بلوشيه في بنزولوجيا الشرق ، ج ١٢ ، ١٩١١ ، ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ، راجع أيضا :

Eracles, p. 456; Gestes des Chiprois, p. 771.

(٢٢٥) كان بالشقيف ٤٨٠ مقاتل أرسلهم ببيبرس الى صور بصحبة الامير بدر الدين بيسرى . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ؛ مفضل ابن بي الفضائل : النهج السديد ، ص ٥٠٧ ؛ شافعي بن علي : حسن المناقب السرية ، ص ١٢٥ - ١٢٦ . راجع أيضا :

Eracles, p. 456, Gestes des Chiprois, p. 771.

Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, p. 324. (٢٢٦)

وأغار بيبرس على طرابلس « وأخرب قراها ، وقطع أشجارها ، وغور مياهها وأنهارها » (٢٢٧) . وهكذا قام بيبرس بتهديد بوهيمند في طرابلس ، في الوقت الذي سارع مقدم الداوية بايفاد رسله الى بيبرس بطلب الامان لاملاك جماعته في صافيتا وانطرطوس (٢٢٨) . وبعد أن طلب الاستتارية في حصن الاكراد أمان السلطان (٢٢٩) ، لم يبق من الفرنج من يخشى جانبه أثناء مهاجمة انطاكية . فرحل بيبرس من أمام طرابلس في ٩ مايو/ ٢٤ شعبان (٢٣٠) دون أن يطلع أحدا من قواده على وجهته حتى يحقق عنصر المفاجأة الذي كان يحرص على الاستفادة به دائما . ووصل الى حمص ، ومنها الى حماة حيث قسم جيشه الى ثلاثة أقسام : الاول ويقوده الامير بدر الدين الخازندار ، والثاني ويقوده الامير عز الدين ايغان ، والثالث ويقوده بيبرس بنفسه (٢٣١) . وكان هدف بيبرس من

-
- (٢٢٧) ويضيف ابن عبد الظاهر الى قول مفضل ابن أبي الفضائل « وقطعت الاشجار وهدمت الكنائس ، وقين المياه ، وقناتها الرومانية ، وهي بناء عظيم لم ير مثله » انظر : مفضل ابن أبي الفضائل : النهج السديد ، ص ٥٠٧ ، ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٥ ، شافع بن علي : حسن المناقب السرية ، ص ١٢٧ .
- (٢٢٨) ابن عبد الظاهر الروض الزاهر ، ص ٣٠٦ ، المقرئ : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٦٦ ، العيني : عقد الجمان ، مخطوط ، ج ٢٢ ، ورقة ٢٨١ .
- (٢٢٩) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٥ ، مفضل ابن أبي الفضائل : النهج السديد ، ص ٥٠٧ - ٥٠٨ ، الكتبي (محمد بن شاكر) : عيون التواريخ ، مخطوط ، تصوير شمسي ، ج ٢ ، لوحة ٢٩١ .
- (٢٣٠) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، ج ١٢ ، لوحة ١٦ .
- (٢٣١) أورد ابن عبد الظاهر تفصيلا لتقسيم بيبرس لجيشه ، ولم يذكر شافع ابن علي سوى أن السلطان ، قام بتوزيع قواته دون تفصيل . بينما نقل رواية ابن عبد الظاهر كل من ابن الفرات والنويري . إلا أن العيني لم يذكر أن الفرقة التي توجهت الى ميناء السويدية كانت تحت قيادة الامير سيف الدين قلاوون الالفى ، وقد نقل العيني ذلك عن بيبرس الداوادر في حين أن الاخير ذكر فتح انطاكية في اختصار شديد مثله في ذلك مثل مفضل ابن أبي الفضائل واليوني والكتبي . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، =

وراء تقسيم قواته هو تحقيق أمرين في وقت واحد . أولهما أن يموه على الفرنج داخل انطاكية ، وعلى بوهيمند في طرابلس كما يذكر شافع بن على (٢٣٢) فلن يتمكن الفرنج من تحديد هدف ببيرس خاصة بعد أن توجهت قواته الى ثلاث مناطق مختلفة . فقد توجه القسم الاول الى الساحل حيث ميناء السويدية حيث تم قطع الاتصال بأنطاكية عن طريق البحر ، وتوجه القسم الثانى شمالا الى دريساك حيث تم غلق المداخل القيليقيية فى وجه أى مساعدة ربما يجازف هيثوم بارسالها لانطاكية . وأخيرا توجه القسم الثالث من جيش المسلمين ، ويقوده ببيرس نفسه ، الى انطاكية من الجهة الجنوبية بعد مروره بأفاميسة ، ثم الشغفر وبكاس (٢٣٣) . وهكذا تم احكام الحصار حول انطاكية وهو ثانى أهداف ببيرس من وراء تقسيم قواته . وفى يوم الاربعاء ١٥ مايو ١٩٦٨م/أول رمضان ٦٦٦هـ وصل ببيرس الى انطاكية (٢٣٤) . وبعد يومين كانت كل

- ص ٣٠٧ ؛ شافع بن على : حسن المناقب ، ص ١٢٧ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١٢ لوحة ٢٦ ، النويرى نهاية الارب ، مخطوط ، ج ٢٨ ، لوحة ٩٤ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٦٦٧ ؛ العينى : عقد الجمان ، مخطوط ، ج ٢٢ ، ورقة ٢٨ ، ببيرس الدودار : زبدة الفكرة ، مخطوط ، ج ٩ ، لوحة ١٩١ ، مفضل ابن أبى الفضائل ، النهج السديد ص ٥٠٨ ؛ الكتبى : عيون التاريخ ، مخطوط ، ج ٢٠ ، لوحة ٢٩١ - ٢٩٢ ؛ اليونينى : ذيل المرأة الزمان ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ ؛ ابن أيبك الدوادار : الدرة الزكية ، ج ٨ ، ص ١٢٦ .
- (٢٣٢) شافع بن على : حسن المناقب ، ص ١٢٧ .
- (٢٣٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٧ . راجع أيضا خريطة رقم (٦) .
- (٢٣٤) يضع كل من رنسيما وجروسيه وصول ببيرس الى انطاكية فى ١٤ مايو/ ٣٠ شعبان . وهذا يتعارض مع تاريخ سقوط المدينة (١٨ مايو/ ٤ رمضان) الذى اتفقت عليه المصادر الاسلامية ، وأيضا الذى يأخذ به جروسيه ورنسيما . وقد أخذنا تواريخ حصار انطاكية وسقوطها من خطاب ببيرس الى بوهيمند السادس الذى أخبره فيه بسقوط مدينته فى أيدي المسلمين . والذى أورده من المسلمين كل من ابن عبد الظاهر ، وابن الفرات ، والعينى وشافع ابن على والنويرى . انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٠٩ - ٣١٢ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، ج ١٢ ، لوحة ٢٧ - ٢٨ ؛ العينى : عقد الجمان ، =

قواته تحيط بالمدينة (٢٣٥) . وخرج الكندسطليل سيمون مانسل بجماعة من عسكر انطاكية في اتجاه قوات بيبيرس ، واشتبك بفرقة يقودها الامير شمس الدين أقسنقر في قتال انتهى بأسر الكندسطليل على أيدي أحد غلمان أقسنقر ، وتم احضاره بين يدي السلطان الذي كلفه بالعودة الى انطاكية ، ليسأل أهلها الاستسلام لبيبيرس الذي لم يشأ أن يهاجم المدينة قبل اعطاء الفرصة لمن فيها من الفرنج ليسلموها بالامان (٢٣٦) . وترك سيمون ابنه رهينة لدى بيبيرس ، ودخل هو الى المدينة ، وعاد بصحبة عدد من رجال الدين الذين أخذوا يترددون بين المدينة ومعسكر بيبيرس لمدة ثلاثة أيام دون أن ينجحوا في اقناع من بداخل انطاكية من الفرنج بالتسليم (٢٣٧) . ولما كان يوم السبت ١٨ مايو / ٤ رمضان بدأ بيبيرس في شن الهجوم على أسوار المدينة من كل جانب (٢٣٨) . وتمكن المسلمون من تسلق الاسوار من الجهة الجنوبية بالقرب من القلعة حيث ترتفع الارض خارج السور ، وتدفقت قوات بيبيرس الى الجزء الاعلى من المدينة « دون مقاومة » على حد تعبير المؤرخين اللاتين (٢٣٩) . ويرى المؤرخ الفرنسى رينيه جروسيه أن مرة حدوث الكارثة بالنسبة للفرنج قد أوقعت المؤرخين الصليبيين في الخطأ ، اذ قالوا ان انطاكية لم تقاوم الهجوم الاسلامى . ويرى جروسيه أن سكان انطاكية قد قاتلوا قتالا شديدا قبل أن ينجح المسلمون في اقتحام الاسوار من جهة القلعة (٢٤٠) . ويستشهد

= مخطوط ، ج ٢٢ ، ورقة ٢٨٣ - ٢٨٦ ؛ شافع بن على : حسن المناقب السرية ، ص ١٢٨ ١٣٢ ، النويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، ج ٢٨ ، لوحة ٩٥ . راجع أيضا :
Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 641; Runciman, A History of the Crusades, Vol. 3, p. 324.

(٢٣٥) النويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، ج ٢٨ ، لوحة ٩٤ ؛ المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ، ص ٥٦٧ .

(٢٣٦) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٧ .

(٢٣٧) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ، ص ٣٠٨ .

(٢٣٨) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ، ص ٣١١ .

(٢٣٩) Eracles, p. 456, Gestes des Chiprois, p. 771. Marino Sanudo, Liber, p. 223.

Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 641. (٢٤٠)

جروسيه بما ذكره كل من أبى الفدا والمقریزی وابن الفرات (٢٤١) . الا أن هؤلاء قد نقلوا عن ابن عبد الظاهر نصا أضافه الاخير ربما تمجيذا لجهد المسلمين في اقتحام أسوار المدينة ، حيث أن عساكر بيبرس « طافت بالمدينة والقلعة على اتساعها وقاتل أهلها قتالا شديدا » (٢٤٢) وإذا كان سكان انطاكية قد قاوموا المسلمين وقاتلوا قتالا شديدا ، فهل كانت انطاكية تسقط في نفس يوم الهجوم عليها ؟ ثم ان المصادر لم تشر الى أية خسائر لقوات بيبرس ، ولم يذكر أى من المؤرخين المسلمين أن بيبرس قد استخدم منجنيقا واحدا لضرب أى جزء من أسوار انطاكية كما حدث بالنسبة لشقيف أرنون التى سقطت بعد أكثر من عشرة أيام من حصار المسلمين لها وضربها بستة وعشرين منجنيقا (٢٤٣) . فهل كانت تحصينات الشقيف وأسوارها حتى أسوار عكا نفسها أقوى من أسوار انطاكية ؟ وإذا كان هناك خطأ في روايات المؤرخين اللاتين ، فانه يقع فقط بالنسبة للتاريخ الذى أوردوه لسقوط انطاكية (٢٤٤) . وهكذا اقتحم المسلمون أسوار انطاكية من الجهة الجنوبية « وشرعوا في النهب والقتل والاسر ، وما رفع السيف عن رجل في المدينة » (٢٤٥) . ولجا الى القلعة ثمانية آلاف من السكان بينما أحاط أمراء بيبرس بآبواب المدينة حتى لا يفر منها أحد (٢٤٦) . ولما لم يكن بالقلعة ما يكفى الفرنج من مؤن ، فقد بعثوا

(٢٤١) أبو الفدا : المختصر ، مجلد ٢ ، ج ٤ ، ص ٤ ، المقریزی : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٦٧ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، ج ١٢ ، لوحة ٢٦ . راجع أيضا : Grousset, Histoire des Groisades, t. 3, p. 461.

(٢٤٢) ابن عبد الظاهر . الروض الزاهر ، ص ٣٠٨ .
(٢٤٣) المقریزی : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٦٥ .
(٢٤٤) يضع كاتب تاريخ هرقل سقوط انطاكية في ٢٧ مايو ، بينما يضعه كاتب مآثر القبارصة في ١٩ مايو ، في حين وضعه مارينو سانودود في ٢٩ مايو . انظر :

Eracles, p. 457; Gestes des Chiprois, p. 771; Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 233.

(٢٤٥) يذكر ابن عبد الظاهر أنه كان بأنطاكية « فوق المئة ألف حسب ما عده نائب التتار » . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٨ .

(٢٤٦) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٨ ، المقریزی : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٧٦ .

الى بيبس يطلبون الامان لانفسهم في يوم الاحد ١٨ مايو ١٢٦٨م/٥ رمضان ٦٦٦هـ ، فامنهم بيبس ، وتسلم المسلمون القلعة وأسروا من فيها (٢٤٧) وأطلق بيبس سراح الكندسطل ميمون مع أهله وأقاربه ، فتوجه بهم الى سيس (٢٤٨) . وبقي بيبس لمدة يومين يباشر تقسيم الغنائم على أمرائه وجنوده ، وأحرق قلعة انطاكية ، « وعم الحريق انطاكية ، وأخذ الناس حديد أبوابها ، ورصاص كنائسها ، وأقيمت الاسواق بظاهرها ، فقصدوها التجار من كل جهة » (٢٤٩) . وتلا سقوط انطاكية استسلام سكان دركوش وكفر دوين وكفر تلميس ، وهى القلاع التى استولى عليها بوهيمند السادس غداة سقوط حلب فى أيدي المغول ، فتسلمها نواب بيبس فى ٢٤ مايو/ ١١ رمضان من نفس السنة (٢٥٠) . وأخيرا تسلم بيبس نصف أعمال قلعة القصير التابعة لبطريرك انطاكية (٢٥١) . وبسقوط انطاكية وكل ما حولها من قلاع ، ولما استكان

(٢٤٧) حددت المصادر اللاتينية عدد قتلى الفرنج بسبعة عشر ألف شخص ، وعدد الاسرى بما يزيد على المائة ألف . بينما لم تحدد المصادر الاسلامية عدد القتلى لكثرتهم وذكر ابن عبد الظاهر أنه « لم يبق غلام الا وله غلام ، وتقاسم الناس النسوان والبنات والاطفال » . انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٠٩ . راجع أيضا :

Eracles, p. 457; Gestes des Chiprois, p. 771; Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 223; Bar Hebraeus. The Chronography, p. 448.

(٢٤٨) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر : ص ٣٠٩ .
(٢٤٩) بيع الصبى من الفرنج باثنى عشر درهما ، والفتاة بخمسة دراهم ، واستغرق المسلمون يومين يجمعون المغانم وظل بيبس حتى غروب الشمس يباشر قسمتها على رجاله . فقد « أحضر القبان لوزن الاموال والمصاغ . والذهب والفضة وطال الوزن فقسمت النقود بالطاسات » . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٢٣ .

(٢٥٠) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .
(٢٥١) كان بطريرك أنطاكية اللاتينى فى أوربا ولم يعد الى الشرق الا فى ١٢٨٠م/٦٧٨هـ وأتاب عنه فى القصير قسيس يدعى وليم بقى على حسن علاقته بالمسلمين . ويذكر ابن عبد الظاهر أن بيبس لم يشأ أن يأخذ القصير لأن رجال الدين اللاتين بها « زعموا أن بأيديهم خطا من عمر بن الخطاب رضى الله عنه » . انظر : =

الارمن ، خشي الداوية في حصن بغراس مغبة الحياة وسط أملاك المسلمين ، فتركوا القلعة وعدة قلاع صغيرة حولها ، فأسرع شمس الدين أقسنقر باحتلالها في يوم السبت ٢٦ مايو/ ١٣ رمضان « ووجدها المسلمون عامرة بالحواصل والذخائر وكل ما يدخر في مثلها من الحصون ، وصارت في حوزة الاسلام بغير تعب » (٢٥٢) . ولم يعرف بوهيمند ما حدث لبلاده ، وتكفل ببيرس بنفسه باخباره بالكارثة التي أحاقّت به في رسالة مليئة بالسخرية والتهديد أملاها السلطان على كاتبه المؤرخ ابن عبد الظاهر (٢٥٣) . وبينما كان بوهيمند السادس يقرأ خطاب ببيرس اليه ، كان الاخير يعود بالحدود الشمالية للدولة المملوكية الى ما كانت عليه أيام صلاح الدين . فبينما كان ببيرس يقضى فترة راحة في انطاكية ، وصل اليه رسل الملك هيثوم الارميني يعرضون عليه عقد اتفاق أعاد الارمن بمقتضاه كل ما كانوا قد أخذوه من المسلمين أثناء الغزو المغولي لبلاد الشام ، مثل بهنسا ودربساك ومرزبان ورعبان والزرب وشيخ الحديد وبذلك عاد النفوذ الاسلامي يمتد حتى مداخل قيليقية (٢٥٤) . الى

= ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٢٥ . راجع أيضا :
Hamiton, The Latin Church, p. 235, 237; Cahen, La Syrie du
Nord, p. 717

(٢٥٢) سلم الداوية أيضا قلاعهم في صخرة رسل وحجر شغلان وميناء الفرنج «Port Bonnel» ولم يترك الداوية في بغراس سوى امرأة عجوز . وتسلمها المسلمون في يوم السبت ٢٧ مايو ١٢٦٨م ١٣ رمضان ٦٦٦هـ . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٢٥ . شافع بن علي : حسن المناقب ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ، راجع أيضا :

Eracles, p. 457; Gestes des Chiprois, p. 771.

(٢٥٣) يعتبر هذا الخطاب ثبوتا دقيقا لأحداث حصار انطاكية وسقوطها في أيدي المسلمين الى جانب كونه تهديدا لبوهيمند السادس ، الامر الذي حرص ببيرس على اتباعه حتى كان له أثره في عزل بوهيمند داخل طرابلس حتى موته في الوقت الذي أخذ ببيرس من طرابلس ما أمكنه من أملاك . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٩ - ٣١٢ .

(٢٥٤) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٧٢ - ٣٢٨ . راجع أيضا :

Hayton, La Flor, p. 178; Bar Hlebraeus, The Chronography, p. 448.

جانب ذلك ، فقد أعاد هيثوم الى بيبرس الامير سنقر الاشقر الذى أصر بيبرس على عودته اذا ما أراد الملك الارمينى فك أسر ابنه ليو (٢٥٥) . وعاد ليو الى قيليقية حيث مات أبوه وتولى هو الحكم فيها . واذ خضعت أرمينيا ، وضاعت انطاكية ، وتخلى الداوية عن بغراس ، يكون بيبرس بذلك قد أعاد شمال الشام الى حوزة المسلمين ، وعاد بحدود المنطقة الى ما كانت عليه حين قدوم الصليبيين الى الشرق منذ مائة وسبعين عاما . ولم يتبق من امارة انطاكية الصليبية شئ سوى ميناء اللاذقية الذى أصبح جيبا معزولا ، وقلعة القصير التى ادارها نائب البطريرك لمدة سبع سنوات على أنه أحد أتباع السلطان (٢٥٦) . واذا كان استيلاء الصليبيين على مدينة انطاكية فى ١٠٩٧م/٤٩١هـ يمثل ظهور أول وجود صليبي فى بلاد الشام ، فان استرداد بيبرس لها يحدد نهاية الاحتلال الصليبي لشمال الشام . ولم تنهض مدينة انطاكية مرة أخرى ، فبعد أن فقدت أهميتها التجارية (٢٥٧) ، وفقدت أيضا أهميتها الدينية . فقد أدرك المسيحيون المحليون حقيقة الاوضاع الجديدة وعادت المسيحية الشرقية الى الحياة فى ظل التسامح الاسلامى القديم ، فانتقلت الكنائس الارثوذكسية واليعقوبية

(٢٥٥) انفرد المؤرخ الارمينى جريجور بذكر رواية تبين سبب اصرار بيبرس على استرداد الامير سنقر الاشقر وان كان قد حدد مكان حدوثها بغداد بدلا من حلب كما يذكر ابن عبد الظاهر . فحينما دخل المغول حلب (بغداد عند جريجور) فقد هرب منها بيبرس وسنقر ، ولما كان بيبرس يمتطى جودا ضعيفا فقد أثر سنقر أن يترك جواده القوى لبيرس حتى يتمكن من الهرب ، بينما وقع سنقر فى قبضة المغول . ولذلك لم ينس بيبرس صنع سنقر . وقد ذهب هيثوم الى أباقا يستجديه أن يسلمه سنقر حتى يسترد ابنه أسير بيبرس . ويذكر ابن عبد الظاهر أن هيثوم أقسم على الاتفاقية فى ٣١ مايو ١٢٦٨م/٧١ رمضان ٦٦٦هـ ، بينما أقسم عليها بيبرس فى ٣ شوال/١٦ يونية من نفس العام وتوجه ليو الى أرمينية بعد ثمانية أيام . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٢٧ - ٣٢٩ . راجع أيضا :

Grigor of Akanc, History of The Nation of the Archers, pp. 355, 357, 359, 369-371.

(٢٥٦) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٤٤٤ . راجع أيضا : Runciman, A history of the crusades, Vol. 3, pp. 326-327.

(٢٥٧) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .

الى دمشق (٢٥٨) . واقتصرت حدود بطريركية انطاكية الكاثوليكية على خمس مدن ساحلية هي جبيل وطرابلس وانطـرطوس وبلنياس واللاذقية (٢٥٩) وبالطبع كانت أهم مراكزها الدينية في طرابلس ، الا أن السلطة الدينية تركزت في قبضة بارثلميو «Bartholomew» أسقف انطـرطوس (١٢٧٢ - ١٢٩٢م) الذي شغل منصب وكيل البطريرك اللاتيني الغائب (٢٦٠) . ولم تكن أحوال البطريركية وأسقفياتها بخير ، فالبطريرك غائب في أوربا، وضياع أملاك كنيسة انطاكية أضرب دخل كنيستها كثيرا (٢٦١) . ولم تعد انطاكية مدينة الله (٢٦٢) . أما عن أهمية المدينة الاستراتيجية والعسكرية ، فقد عادت حلب هي المعقل الاسلامي الاول الذي يحمي شمال الشام من الخطر الوحيد في ذلك الوقت ، وهو الخطر المغولي في الاناضول (٢٦٣) . ولم تعد انطاكية سوى مدينة اسلامية يقطنها

Runciman, A History, Vol. 3, p. 326. (٢٥٨)

راجع أيضا : خريطة رقم (٧) .

Hamilton, The Latin Church, p. 237. (٢٥٩)

(٢٦٠) بقي البطريرك أوبيزو في أوربا ، ولم يكن لديه أي رغبة في العودة الى الشرق . وتولى بارثلميو ادارة كنيسة انطاكية نيابة عنه حتى خلى كرسى أسقفية انطـرطوس فشغله بارثليمو في ١٢٧٢م . انظر :

B. Hamilton, The Latin Church, p. 237.

(٢٦١) الى جانب ضياع كثير من أملاك انطاكية فقد كان ريع جبلة واللاذقية منذ ١٢٦٠م/٦٥٨هـ مناصفة مع المسلمين . وبينما كانت اللاذقية تضم من الفرنج عددا يمنح الكنيسة دخلا منتظما ، فقد كانت جبلة في انهيار وسيطرة الفرنج على ما حولها من أراض غير مقررة ، فقد قرر البابا كلمنت الرابع نقل أسقف جبلة الى أسقفية بوتنزا «Potenza» بايطاليا لأن ريع أسقفيته في جبلة لم يكن كافيا له . انظر :

B. Hamilton, The Latin Church, p. 287.

(٢٦٢) أمر بيبرس باحراق وهدم كل الكنائس الموجودة داخل مدينة انطاكية انتقاما من بوهيمند على تعديه على المساجد في دمشق حين دخلها مع المغول . وقد كتب بيبرس تفصيلا لما حدث في انطاكية حين فتحها وذلك في خطابه الى بوهيمند السادس . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣١١ - ٣١٢ . النويري : نهاية الارب ، مخطوط ، ج ٢٨ ، لوحة ٩٥ .

Rohricht, Etudes sur Les dernier temps du Royaume de Jeru- (٢٦٣)
salem, p. 403.

المسلمون ومن خضع لهم من المسيحيين الشرقيين من مختلف المذاهب (٢٦٤) . وبعد أن دمر بيبرس استحكاماتها لم يبق سوى بقايا أسوارها حتى القرن ١٩م/١٣هـ (٢٦٥) .

عندما حلت الكارثة بالصلبيين على أيدي صلاح الدين ، نهض الغرب الاوربي . لانقاذ ركائزه في بلاد الشام . ووصل تهديد الحملة الثالثة - حتى قبل تحرك قادتها من أوربا - الى صلاح الدين وهو على أبواب انطاكية (٢٢٦) . وعندما حلت نفس الكارثة بالصلبيين على أيدي بيبرس اختلف الامر . فلم يكن في مقدور أوربا أن تبعث بنجدها للكيان الصليبي المتداعي في الشرق . فقد كانت الخلافات متفجرة بين كل قادة الغرب . فالبابوية في صراع ضد حلفاء فريديريك الثاني ، وهؤلاء في صراع ضد شارل كونت أنجو الذي استعانت به البابوية لمساندتها في هذا الصراع . وملك انجلترا في صراع ضد نبلائه الثائرين في مقاطعة ويلز . وأطماع شارل كونت أنجو في ايطاليا وصقلية وبيزنطة أعاققت قيام جهد مشترك بين روما وبين القسطنطينية حليفة المغول وحليفة الجنوية أعداء كونت أنجو الذي دأب على مهادنة بيبرس (٢٦٧) . وهكذا جاءت كل الجهود التي بذلتها أوربا لنجدة الصليبيين في بلاد الشام جهودا بالية خاصة بعد أن فترت الحماسة الصليبية في الغرب الاوربي . وحتى يحين وقت القيام بهذه الجهود ، فقد أكمل بيبرس اقتلاع ما أمكنه اقتلعه من المعاقل الصليبية الباقية . وكانت معظم جهوده في ذلك مركزة ضد أمراء انطاكية القابعين في طرابلس . فبعد أن فرغ من أمر انطاكية ، توجه الى دمشق

(٢٦٤) عندما زار بوركارد انطاكية في ١٢٨٣م/٦٧١هـ ذكر أن بها كثيرا من المسلمين والسوريين واليعاقبة والمسيحيين والفرس واليونانيين والمصريين والاثيوبيين والجورجيين والارمن . انظر :

B. urchard of Mount sion, Description of the Holy Land, in P.P.T.S., Vol. 12, p. 19.

E.G. Rey, Etudes sur Les Monuments de L'architecture militaire des croisades, p. 183.

omuments de L'architecture militaire des croisades, p. 183.

(٢٦٦) انظر ما سبق من الفصل الثاني ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

F.M. Powicke, King Henry III and The Lord Eduard, 2 (٢٦٧) Vols, Oxford, 1947, Vol. 2, pp. 599-601.

حيث استقبل رسل الفرنج في بيروت (٢٦٨) ، ورسل ميخائيل الثامن امبراطور القسطنطينية (٢٦٩) ، وأخيرا رسل شارل كونت أنجو (٢٧٠) . وكانت ردود بيبرس على كل هذه السفارات تبين حسن نواياه تجاه هؤلاء ، وهكذا اطمأن بيبرس الى استمرار عزل الصليبيين في بلاد الشام ، وركن هو الى الراحة حتى شتاء ١٢٦٩م / ٦٦٧هـ (٢٧١) . أما عن بوهيمند السادس ، فلم يطلب الهدنة من بيبرس المتربص به كما فعل سائر قادة الفرنج في بلاد الشام ، وذلك على أمل أن يتمكن من الحصول على مساعدة خارجية . وفي الواقع كان كل ما يحدث يمنحه الأمل في ذلك . ففي عكا ، هدأت خلافات الفرنج ، وتم انتخاب هيو الثالث ملك قبرص وصيا ثم ملكا لمملكة عكا الصليبية ، فسعى الأخير الى توحيد قوى الصليبيين فيها (٢٧٢) . الى جانب ذلك ، فقد تواترت الأنباء عن وصول

(٢٦٨) مات حنا ابلين سيد بيروت في ١٢٦٤م / ٦٦٢هـ وانتقلت ملكية بيروت الى ابنته ايزابيلا التي مات هيو الثاني ملك قبرص قبل أن يتم زواجه منها وهي التي بعثت الرسل الى بيبرس « بهدية وأسارى مسلمين » ، انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥٨ . راجع أيضا :

Runciman, A History of the Crousades, Vol. 3, p. 329.

(٢٦٩) عرض الامبراطور ميخائيل على بيبرس أن يتدخل الاول لعقد الصلح بين أباقا قائد مغول فارس وزوج ابنة الامبراطور من جهة وبين بيبرس وحلفائه مغول القبيلة الذهبية في روسيا من جهة أخرى ولم يجبه بيبرس صراحة الى ذلك . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٣٤ .

(٢٧٠) بعث كونت أنجو برسول الى بيبرس يوصيه بالفرنج في بلاد الشام ورفع السيف عنهم فقبل السلطان شفاعته فيهم . وجدير بالذكر أنه وصل مع رسول شارل رسول البابا كليمنت الرابع الذي جاء متخفيا ليعرف نوايا بيبرس . وليس أدل على اختلاف رد فعل انتصارات بيبرس لدى حكام أوروبا عن رد فعل انتصارات صلاح الدين ، وعدم اهتمامهم بضياح انطاكية ، أكثر من وصول هذه السفارات الى بيبرس . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٣٦ .

(٢٧١) ذهب بيبرس الى الحجاز لاداء فريضة الحج في يولية ١٢٦٩م / ذي القعدة ٦٦٧هـ . وعاد الى بلاد الشام في نهاية أغسطس / نهاية ذي الحجة من نفس السنة . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٢٧٢) مات هيو الثاني ملك قبرص في ديسمبر ١٢٧٦م / ربيع ثان =

حملة صليبية جديدة الى الشرق يقودها لويس التاسع وادوارد ابن هنرى الثالث ملك انجلترا ، وجيمس الاول ملك أرجون ، الى جانب مساعى البابا كليمنت الرابع للحصول على مساهمة مغول فارس فى ذلك الجهد الصليبي . وكل ذلك أثار قلق بيبرس ، فمنح الفرنج فى عكا هدنة مؤقتة (٢٧٣) .
الا أن الامل الذى راود بوهيمند لم يلبث أن انقشع . فالحملة الارجونية لم تكن سوى كوكبة من الفرسان لا أهمية لها (٢٧٤) . واتجهت حملة ملك فرنسا الى تونس ، وانتهت بموته وبموت الروح الصليبية الاوربية معه (٢٧٥) . وتأخرت حملة ادوارد الامير الانجليزى ، كل ذلك أتاح لبيبرس

= ٦٦٦ هـ ، فخلفه فى الحكم الوصى هيو لوزينان باسم هيو الثالث . وتم تتويج الاخير ملكا لمملكة عكا فى مدينة صور فى ٢٤ ديسمبر ١٢٦٩م / ٢٤ ذى الحجة ٦٦٤ هـ ، وتقارب هيو مع فيليب مونتفورت سيد صور . وزوج أخته مرجريت من يوحنا ابن فيليب . كما عمل على اتمام زواج همفرى الابن الثانى لفيليب من ايشيتا ابنة حنا ابلين الثانى سيد بيروت الذى مات فى ١٢٦٤م / ٦٦٢ هـ ، وترك بيروت لابنته الكبرى ايزابيلا . انظر :

Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, pp. 643-646.

(٢٧٣) بعث هيو برسله الى بيبرس وتم الاتفاق على أن تكون الهدنة خاصة بعكا وضياعها ، وأن تكون حيفا للفرنج ولها ثلاث ضياع وبقية بلادها مناصفة وكذلك بلاد الكرمل ، وأن يكون للفرنج عتليت ومعها خمس قرى ، والباقي مناصفة ، والقرين وله عشر قرايا والباقي للسلطان ، وصيدا للفرنج ، واتفق على الصلح بالنسبة لجزيرة قبرص . الا أن هيو طلب أن يكون لقبرص صلحا منفردا وأن يكون الصلح دائما ما لم تصل نجدة من أوربا ، وأن لا يدخل الباطنية فى الهدنة ، وكان ذلك عكس ما اشترطه بيبرس فلم يتم ابرام الهدنة لذلك واصل المسلمون اغاراتهم على عكا وصور . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ص ٣٣١ - ٣٣ ، ٣٤٧ . (٢٧٤) أبحر ملك أرجون من برشلونة فى سبتمبر ١٢٦٩م / محرم ٦٦٨ هـ الا أنه عاد الى بلاده بعد هبوب عاصفة على أسطوله ، ووصل الى عكا ولديه فرناندو وبدرى فى نهاية السنة . الا أنهما لم يفعلوا شيئا بعد أن علما بوقوع الحامية الفرنسية التى تركها لويس التاسع تحت قيادة سارجينس فى عكا فى أيدي المسلمين . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٦٢ - ٣٦٤ . راجع أيضا :

Eracles, pp. 457-478 Ann. T.S.P. 454.

(٢٧٥) استعانت البابوية بشارل كونت أنجو شقيق الملك لويس للقضاء على أسرة الهوهنشتاوفن فاستولى شارل على صقلية فى ١٢٦٥م / =

حرية الحركة دون تحسب لوصول أية مساعدات الى فرنج الشام . فشرع في اكمال مشروعه ضد بوهيمند السادس ، وكان ذلك على حساب الصليبيين في كونتية طرابلس سواء كانوا من الجماعات العسكرية أو بوهيمند نفسه . فخرج بيبرس من مصر في ٢٥ يناير ١٢٧١/١٠ جماد ثان ٦٦٩ هـ ، وسرعان ما راح يجتاح المناطق المحيطة بطرابلس (٢٧٦) . وفي ٢٠ فبراير/٨ رجب ٦٦٩ هـ من نفس السنة بدأ في حصار قلعة صافيتا التي يملكها فرسان الداوية ، والتي سارع أهلها بتسليمها الى المسلمين ورحلوا بالامان الى انطرطوس (٢٧٧) . وفي ٣ مارس/٩ رجب بدأ في حصاره لحصن الاكراد الذي يملكه فرسان الاسبتارية ، والذي يعتبر من أمنع الحصون الصليبية الباقية في وسط بلاد الشام ، وتسلمه من الاسبتارية في ٧ ابريل/٢٤ شعبان (٢٧٨) . وكان سقوط هذا الحصن - الذي لم يستطع صلاح الدين

= ٦٦٣ هـ من مانفريد ابن فريديك الثاني ، ثم هزم خليفته الامبراطور كونراد وأعدمه وأصبح سيدا على جنوب ايطاليا وصقلية، وأخيرا كان له دوره في التأثير على الملك لويس في توجيه حملته الى تونس حيث أوهمه بأن المستنصر بالله الحفصي (١٢٤٩م - ١٢٧٧م/٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) يرغب في التحول الى المسيحية في الوقت الذي هدف شارل الى فتح تونس التي ساعد أميرها المتمردين من نبلاء صقلية ضد كونت أنجو وأبحر لويس في يولية ١٢٧٠م/ذى القعدة ٦٦٨ هـ من فرنسا ووصل الى قرطاجنة في ١٨ يولية/٢٧ ذى القعدة من نفس السنة الا أن المرض تفشى بين أفراد الحملة ومات معظمهم وكان من بين الموتى الملك لويس نفسه . ووصل شارل الى تونس في أغسطس ١٢٧٠م/ذى الحجة ٦٦٨ هـ حيث قدم له المستنصر بالله مبلغا من المال كجزية له . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٧٣ . راجع أيضا :

Joiville, pp. 319-324. CF. also, Joseph R. Strayer, The Crusades of Saint Louis, in setton, Vol. 2. p.

(٢٧٦) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٧٤ ؛ المقریزی : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٩٠ .

(٢٧٧) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٧٤ ، راجع أيضا : Eracles, p. 640; Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 224.

(٢٧٨) صاحب بيبرس في حملته على حصن الاكراد كل من المنصور صاحب حماة وسيف الدين صاحب صهيون ونجم الدين ابن الشعراء ، وابنه شمس الدين وهم قادة الباطنية في بلاد الشام =

وهو في قمة انتصاراته أن يفتحه - يعنى تحكم ببيرس في الطرق المؤدية الى طرابلس ، وحصر بوهيمند السادس فيها . وبعد تلقى هيو دى ريفيل مقدم الاسبتارية لرسالة ببيرس التى يشره فيها بسقوط حصن الاكراد ، سارع هيو الى طلب الهدنة من ببيرس (٢٧٩) . وحذى حذوه مقدم الداوية فى أنطرطوس ، الذى ارتجف للاحتفاظ بالهدنة التى سبق ومنحه اياها ببيرس (٢٨٠) . وفى ٢٩ ابريل ١٢٧١م / ١٧ رمضان ٦٦٩هـ بدأ ببيرس فى حصاره لحصن عكار من أملاك بوهيمند ، وتسلمه فى ١١ مايو/ آخر رمضان ، وسمح لحاميته بالانسحاب الى طرابلس (٢٨١) . وبعد فتح المسلمين لهذه الحصون التى كشفت مدينة طرابلس أمام ببيرس ، تمدنا المصادر الاسلامية بسلسلة المراسلات التى تم تبادلها بين السلطان وبين بوهيمند السادس ، والتى تؤكد لنا استمرار ببيرس فى كراهيته لبوهيمند تابع المغول ، وتهديد السلطان المستمر له للضغط عليه عساه أن يسلم طرابلس أو على الاقل يطلب مهادنة السلطان . وفى نفس الوقت فان هذه المراسلات تبرز لنا المعالم التى لم تمدنا بها المصادر الصليبية لشخصية بوهيمند السادس . فنراه بالرغم مما يحدق به من أخطار ، لم يفقد الامل فى وصول المساعدات الاوربية حتى آخر وقت . ونراه ذا عزيمة وبأس شديدين ، وان كان بائسا ، فان بأسه كان بطوليا أعاد الى الذاكرة صلابه

= وكان ببيرس قد أخضعهم وأخذ قلاعهم وعرضهم عنها بأملاك فى مصر . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٧١ - ٣٧٥ ٣٧٦ ؛ مفضل بن أبى الفضائل : النهج السديد ، ص ٥٢٨ - ٥٢٩ . راجع أيضا :

Eracles, p. 460; Marino Sanudo, p. 224.

(٢٧٩) اتسمت كل مكاتبات ببيرس الى الفرنج بالمخزية والتهديد حتى يدفعهم الى طلب الهدنة كى يتفرغ للهجوم على غيرهم من الصليبيين . فقد كتب ببيرس الى هيو يعلمه بفتحه لحصن الاكراد « الذى حصنته وبنيتة وخليته ، وكنت الموفق لو أخليتة ، واتكلت فى حفظه على اخوتك فما نفعوك ، وضيعتهم بالاقامة فيه فضيعوه وضيعوك » . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٧٦ .

(٢٨٠) اشترط ببيرس على الداوية فى أنطرطوس أن يتنازلوا عن مناصفات البلاد للمسلمين . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر : ص ٣٧٨ .

Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 657.

(٢٨١)

بوهيمند الاول وتنكريد وروجر الانطاكي (٢٨٢) وفي نفس الوقت فان هذه المراسلات توضح بجلاء الحال التي أصبح عليها بوهيمند السادس في طرابلس (٢٨٣) . وفي الوقت الذي استعد فيه بيبرس للهجوم على طرابلس ، وصلت له الانباء بوصول الامير ادوارد الى عكا . ولم يشأ بيبرس أن يغفل أمر ادوارد ، فأجاب بوهيمند الى طلب الهدنة لمدة عشر سنوات (٢٨٤) . ثم قام بيبرس بتدبير أمر عمارة حصن عكار والاكراذ ، ثم توجه الى مصر . وفي طريق عودته اليها لم يشأ أن يترك حصن القرين «Montfort» في أيدي فرسان التيوتون والواقع بين صفد والساحل ، فبدأ في حصاره في ٥ يونية ١٢٧١م / ٢٤ شوال ٦٦٩هـ ، واستسلم من فيه من فرسان التيوتون بعد أسبوع من حصار بيبرس لهم ، وأمر بيبرس بهدم

(٢٨٢) أورد ابن عبد الظاهر الرسالة التي هدد فيها بيبرس عدوه بوهيمند بقوله « كتابنا هذا يبشرك بأن علمنا الاصفر نصب مكان علمك الاحمر ... فتعرف كنائسك وأسوارك أن المنجنيقات تسلم عليها الى حين الاجتماع عن قريب .. فليجهز القومص مراكبه ومراكب أصحابه والا فقد جهزنا قيودهم وقيوده » . بينما أورد مفضل ابن أبي الفضائل خوارا آخر دار بين بيبرس وبوهيمند بعد فتح حصن الاكراذ . فعندما قال بيبرس لبوهيمند « أنى تروح منى ، والله لابد أن آخذ قلبك من جسدك ، وما ينفعك ابقا ابن هولاون » فأخذ بوهيمند يحترس على نفسه ولا عاد يركب ولا يتصيد خوفا من الاسماعيلية لئلا يقتلوه ، ولما علم بيبرس ذلك سير اليه غزلانا مذبوحة ورسالة يقول فيها « لما اتصل بنا امتناعك من التصرف خوفا على نفسك وهجرانك للصيد الذي هو غاية مرامك ، بعثنا اليك نصيبا من الاجحاف بك والميل عليك » فبعث بوهيمند يسأل عن سبب مجيء السلطان الى طرابلس ، فرد بيبرس بقوله « لأرعى زرعكم وأخرب بلادكم وأعود انشاء الله في السنة الآتية اليكم لأخذ أرواحكم » . فامتنع بوهيمند عن تنفيذ شروط السلطان لعقد الهدنة التي طلبها الامير بقوله « لما أخذ منى انطاكية بالسيف كان عذري مبسوط عند الفرنج .. وأنا أعلم أنى لا أقدر به لكننى لا يحسن أن أسلم اليه من غير قتال حتى لا يكون على عتب من ملوك الفرنج » . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٨٠ - ٣٨١ ؛ مفضل ابن أبي الفضائل : النهج السديد ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ . (٢٨٣) « فبقى في مدينته في حبس بل في رمس » انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٨٣ . (٢٨٤) مفضل بن أبي الفضائل : النهج السديد ، ص ٥٣٣ - ٥٣٥ .

الحصن (٢٨٥) . وفي نفس الوقت كان قد أرسل الى مصر يأمر ابن حسون قائد الاسطول بمهاجمة جزيرة قبرص حتى يشغل الفرنج عنه ليتمكن من الوصول الى مصر دون الاحتكاك بالصليبيين في عكا ، خاصة بعد أن علم بوصول الملك هيو واجتماعه بادارد في عكا . الا أن عاصفة بحرية حطمت إحدى عشرة سفينة بالقرب من ميناء النمسون في الوقت الذي تمكن فيه بيبيرس من الوصول الى مصر استعدادا لمواجهة ادوارد (٢٨٦) . ولم تكن حملة الاخير أكثر من سابقتها الارجونية نجاحا ، فالى جانب قلة قواته (٢٨٧)

(٢٨٥) يذكر ابن عبد الظاهر أن حصن القرين كان « من أمنع الحصون وأضرها بصفد » . بينما ذكر ابن شاطر أن بناء الحصن كان من الحجر الصلد وبين كل حجرين عامود حديد ملزوم بالرصاص لذلك قرر بيبيرس للحجارين عن كل حجر ألف درهم . كما يذكر ابن عبد الظاهر وابن الفرات . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ؛ ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، ج ١٢ ، لوحة ٨١ ؛ ابن شاطر الكتبي : عيون التاريخ ، مخطوط ، ج ٢٠ ، لوحة ٣٣٠ .

(٢٨٦) خرجت سبع عشرة سفينة من مصر في مايو ١٢٧١م / شوال ٦٦٩هـ وعادت ست سفن فقط وبقي بحارة السفن التي غرقت من المسلمين في أمر الفرنج في قبرص حتى أفرج عنهم فيما بعد . وأمر بيبيرس ببناء عشرين سفينة جديدة ، ولم يتأثر بهذه الخسائر ، ورأى أن فقدان لعدة سفن أفضل من فقدان حصن أو قلعة . ورد على رسالة ملك قبرص التي بعث بها الى بيبيرس يتشفى فيها من المسلمين « وما العجب أن نفخر بالاستيلاء على حديد وخشب ، الاستيلاء على الحصون الحصينة هو العجب .. وفي يوم ننشئ عدة قطائع ولا تنشأ لكم من حصن قطعة ، ونجهز مئة قلعة ولا يتجهز لكم في مئة سنة قلعة .. وخیولکم المراكب ومراكبنا الخیول » وقد أبحر ادوارد من انجلترا في صيف ١٢٧٠م / ٦٦٨هـ ، ووصل الى تونس في ٩ نوفمبر ١٢٧٠م / ٢٣ ربيع أول ٦٦٩هـ أي بعد موت الملك لويس بشهرين ، ثم توجه الى صقلية وأبحر منها الى قبرص ثم عكا التي رسا في مينائها في ٩ مايو ١٢٧١م / ٧٢ رمضان ٦٦٩هـ حيث لحق به بوهيمند السادس والملك هيو الثالث . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٨٣ ، ص ٣٨٢ ، ٣٨٦ - ٣٨٨ . راجع أيضا :

Eracles, pp. 460-461. CF. also, Powicke, king Henry III and the Lord Edward Vol. 2, p. 599.

(٢٨٧) حدد ابن عبد الظاهر عدد قوات ادوارد بثلاثمئة فارس « وثمانى بطس وشوانى ومراكب تکملة ثلاثين مرکبا » . ويرى المؤرخ =

فان ما لمسه ادوارد من تفكك بين صفوف الفرنج في بلاد الشام قد أكد له عدم امكانية القيام بعمل كبير ضد المسلمين . فقد وجد أن البنادقة على علاقات حسنة بمصر ، لما توفره لهم موانئها من تجارة نشطة بمقتضى تصريح من محكمة عكا يمنحهم حق الاتجار مع المسلمين (٢٨٨) . كما أن ملك قبرص لم يكن له السلطة الكافية على بارونات الى الحد الذى يلزمهم معه بالبقاء في بلاد الشام لمشاركته في مشروعاته من أجل مملكته في عكا (٢٨٩) . كل ذلك كان من شأنه أن يقلل من الدعم الذى كان يتوقعه ادوارد . ولم يبق أمامه سوى التعاون مع قوة أخرى يكون لديها الاستعداد للمشاركة في عمل ضد المسلمين . ولم تكن هذه القوة سوى المغول ، فشرع في استئناف محاولات البابوية والملك لويس التاسع لجذب المغول الى الصراع الصليبي الاسلامي ، وساعده في ذلك بوهيمند والملك هيو (٢٩٠) . الا أن ادوارد لم يكن أكثر نجاحا من سابقه من حكام أوروبا في ذلك المجال ، فقد كانت القوات المغولية التي أرسلها أبقا هي جزء من حامية الاناضول ، وكانت مدعمة بقوات سلجوقية ، وقامت بنهب شمال الشام ، ولكنها لم تكن من القوة بحيث تجازف بالدخول في معركة كبيرة ضد بيبرس . وعندما تقدم بيبرس نحو الشمال ، تراجع المغول مكتفين بما نهبوه من أسلاب (٢٩١) .

= الانجليزى بويك أنه كان بصحبة ادوارد ما يقرب من ألف مقاتل بينهم خمسون بارونا . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٨٣ . راجع أيضا :

Powicke, King Henry III, Vol. 2, p. 605.

(٢٨٨) واجه النائب البندقي ادوارد بامتياز صدر من محكمة عكا الصليبية يمنح البنادقة حق الاتجار مع مصر في الصيد وآلات الحرب دون العمل بما يصدره البابا أو أى مجلس كنسى في الشرق في هذا الصدد من محظورات . انظر :

Dandolo, Chronicon, in R.I.S., Vol. 12, p. 380.

Eracles pp. 462-464. CF. also, La Monte, Feudal Monarchy, (٢٨٩) p. 198.

(٢٩٠) Powicke, King Henry III, Vol. 2, p. 602.

(٢٩١) يضع ابن عبد الظاهر غارة التتار على شمالى الشام في ٢٢ أكتوبر ١٢٧١م/١٥ ربيع أول ٦٦٩هـ . وقد أغار المغول على عين تاب ووصلوا الى اقليم حارم وتجاوزوا حلب حتى أفامية ، وكان يقودهم القائد المغولى صمغار ومعه معين الدين سليمان الوصى على السلطان السلجوقى القاصر غياث الدين ويلقب الوصى بالبرناواة =

لذلك أثر ادوارد الرجوع الى عكا بعد أن أدرك أن ما لديه من قوات قليلة لن يمكنه من فتح حصن اسلامي صغير (٢٩٢) . الا ان الحامية المغولية الصغيرة أثبتت أن الشام الاسلامية لم يكن لها أن تكون آمنة طالما تواجد المغول في الاناضول ، وكان طردهم منها هو آخر المشاريع العظيمة لبيرس (٢٩٣) . ولتحقيق ذلك كان عليه أن يعقد صلحا مع صليبي الشام - عن طريق وساطة شارل كونت أنجو الذي أصبح سيدا على

= « الحاجب » . وكان معين الدين كما يذكر بيبرس الدوادار قد اتفق مع التتر المقيمين بالاناضول على قتل ركن الدين قلج أرسلان السلجوقي . فقتل الاخير وتحكم معين الدين في البلاد بعد أن أصبح وصيا على غياث الدين الذي لم يتجاوز الرابعة من العمر . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٩٥ - ٣٩٦ ؛ بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، مخطوط ، ج ٩ ، لوحة ١٩١ ب ؛ ابن أبيك الدوادار : الدرة الزكية ، ص ١٦٤ - ١٦٥ . راجع أيضا : Eracles, p. 461.

(٢٩٢) استغل ادوارد انشغال المسلمين في صد المغول وأغار على حصن قاقون وفشل في أخذه ، وانسحب ، وقبل وصول قوات بيبرس . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٩٦ ؛ ابن أبيك الدوادار : الدرة الزكية ، ص ١٦٦ . راجع أيضا : Eracles, p. 461; Gestes des Chiprois, p. 77r.

(٢٩٣) خرج بيبرس من مصر في ١ نوفمبر ١٢٧٥م/٣ شعبان ٦٧٣هـ ، وفي نهاية مارس/نهاية رمضان بدأ في الهجوم على مملكة الارمن في قيليقية وأغارت قواته على المصيصة وأذنة وطرسوس وميناء اياس وسييس عاصمة الارمن . وقام المسلمون باحراقها وتخریب المدن الارمنية وقتلوا وأسروا الكثير من الارمن دون أن يتعرض لهم ليو الثالث ملك قيليقية الارميني . وفي ١٨ ابريل ١٢٧٧م/١٣ ذي القعدة ٦٧٥هـ ، هاجم بيبرس المغول المقيمين في الاناضول وهزمهم بالقرب من أبلستين واحتل مدينة قيصرية في ٢٣ ابريل/١٨ ذي القعدة من نفس السنة وأخذها من أيدي المغول وجلس على تخت بني سلجوق ، حيث خضع له معين الدين سليمان البرناوة الوصي على سلطنة السلاجقة . وعاد بيبرس الى دمشق في ٢٩ مايو ١٢٧٨م/٥ محرم ٦٧٧هـ . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٤٣٢ ، وما بعدها ؛ ابن أبيك الدوادار : الدرة الزكية ، ص ١٧٧ - ١٧٨ ؛ بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، مخطوط ، ج ٩ ، لوحة ١٧٤ ب . راجع أيضا : Bar Hebraeus, pp. 456-459 CF. also, Howorth, History of the Mogols, Vol. 3, p. 252-256.

صقلية ، وأعاد من جديد سياسة فريدريك الثانى - تم فى ٢٢ ابريل ١٢٧٢م/ ٢٢ رمضان ٦٧٠هـ . ثم عقدت الهدنة بين بيبرس وهيو الثالث لمدة عشر سنوات وعشرة شهور وعشرة أيام (٢٩٤) . فنعم بوهيمند السادس بثلاث سنوات ، من الامن حتى مات فى ١١ مارس ١٢٧٥م/ ١٢ رمضان ٦٧٣هـ ، وكان آخر من شاهد انطاكية من أمرائها (٢٩٥) . وترك بوهيمند عند موته ابنا يدعى بوهيمند ، فى الرابعة عشرة من عمره ، وطفلة تدعى لوسى «Lucy» . ولم يرث بوهيمند الصغير عن أبيه من اماره انطاكية سوى لقب الامير الذى منحه اياه بقاء اللاذقية وحصن المرقب فى ايدى فرسان الاسبتارية . واذا كانت بقايا اماره انطاكية القديمة فى اللاذقية وحصن المرقب - التى كانت تخص الاسبتارية المستقلين ذاتيا - قد عاشت لمدة اثنتى عشرة سنة بعد سقوط الامارة - وهى فترة لا تحسب من عمر الامارة - أمام قيليقية وقبرص اللتين انحسرت فيهما كل الحيوية الصليبية المتبقية (٢٩٦) ، فان وجود من يرث بوهيمند السادس ووجود بقايا

(٢٩٤) تم توقيع الهدنة فى ٢٢ ابريل ١٢٧٢م/ ٢١ رمضان ٦٧٠هـ ، كما حدد ذلك ابن عبد الظاهر ، وحوليات بيت المقدس ، بينما يضعها مارينو سانودو فى ٢١ ابريل/ ٢٠ رمضان . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٩٨ . راجع أيضا : Ann. T.S., p. 455; Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 224.

(٢٩٥) يضع كاتب حوليات الاراضى المقدسة موت بوهيمند فى عام ١٢٧٣م/ ٦٧١هـ .

Eracles, p. 466; Ann. T.S., p. 455.

(٢٩٦) رزق بوهيمند السادس من سبيلا الارمينية بابنتين أخرتين هما ايزابيلا التى ماتت دون أن تتزوج ، وايزابيلا التى تزوجت من نيقولا دى سان برتين ، وأخيرا لوسى التى تزوجت من نارجوت الثالث دى توسى ، قائد الاسطول الصقلى ، ابن نارجوت الثانى دى توسى الوصى على القسطنطينية عندما كان الامبراطور بولدوين الثانى يلتمس مساعدة أوربا . وعند سقوط القسطنطينية فى ايدى باليو لوج ، تراجع نارجوت الى نابولى حيث أعطاه شارل كونت أنجو مقاطعة «Laterza» فى اقليم أوترانتو الايطالى الى جانب لقب قائد الاسطول . ورزقت لوسى بابن يدعى هيو «Hugues» الذى حمل لقب أمير انطاكية استنادا الى نسب أمه . ويبدو أنه مات دون أن ينجب أطفالا ، وفى القرن الرابع عشر الميلادى عاد لقب أمير انطاكية الى الظهور فى العائلة المالكة فى قبرص وحمله منذ ١٣٤٠م/ ٧٣٨هـ عدة أفراد من هذه =

امارته في أيدي الصليبيين يحتم مواصلة الحديث ، ولو بإيجاز ، عن أحوال أمراء انطاكية في طرابلس حتى استرداد المسلمين لهذه المعاقل . وفي الحقيقة لم تكن أحوال بوهيمند الصغير أكثر استقراراً من أحوال والده . ولم يكن هناك سوى الهدوء الذي منحه إياه اتفاقية بيبيرس مع والده ، وانشغال السلطان في مشروعاته في الإناضول ، ثم موت بيبيرس نفسه (٢٩٧) الذي خلص الفرنج من أخطر عدو لهم في الوقت الذي اضطربت فيه أمور المسلمين فور موت بيبيرس وحتى استقرار سيف الدين قلاوون في عرش السلطنة (٢٩٨) . ومع ذلك استغل الفرنج هذه الفترة

الاسرة . انظر :

Gestes des Chiprois, p. 780, n.e, CF. also, E. Rey, Histoire des Princes d'Antioche, p. 407.

(٢٩٧) أخذ بيبيرس حصن القصير من وليم نائب البطريرك اللاتيني لانطاكية، فقد كان رهبان القصير أدلاء التتار عندما هاجموا شمال الشام في عام ١٢٧١م/٦٦٩هـ. كما دأبوا على مخالفة أوامر السلطان بعدم بيع الخمر للمسلمين . وكان بيبيرس قد أخذ الحصن وهو عائد من حملته الأخيرة ضد الأرمن . ومات بيبيرس في دمشق في يوم الخميس ١ يولية ١٢٧٧م/٢٧ محرم ٦٧٦هـ بعد مرض دام ثلاثة عشر يوماً ، حدده شافع بن علي بأنه دوسنتاريا كبدية ، بينما ذكر بيبيرس الدوادار أنه شرب في كوب مسموم كان قد أعده للقاهر بن الناصر داود الأيوبي أمير الكرك . انظر : شافع بن علي : حسن المناقب السرية ، ص ١٦٣ ؛ ابن عبد الظاهر الروض الزاهر ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤ ؛ بيبيرس الدوادار : زبدة الفكرة ، مخطوط ، ج ٩ ، لوحة ٧١٥ أ ؛ ابن الوردي : تئمة المختصر ، ج ٢ ص ٣٢١ .

(٢٩٨) أقام في مصر السعيد بركة ابن بيبيرس سلطاناً ثم ابنه الثاني السعيد

سلامش مكانه وكان في السابعة عشرة من عمره . وسرعان ما خلعه الأمير سيف الدين قلاوون الألفي واستقر في السلطنة مكانه . وكان قلاوون أحد مماليك الصالح نجم الدين أيوب وبقي تابعاً لشجر الدر وفخر الدين أيبك . ثم كان من مؤيدي قطز ثم بيبيرس الذي قربه وجعله من أكبر قادته ومستشاريه وزوجه بيبيرس من ابنة سيف الدين كرمون أحد قادة هولاكو الذي دخل في الإسلام ، ولجأ إلى بيبيرس . وزوج بيبيرس ابنه السعيد بركة من ابنة قلاوون . ولما تولى قلاوون السلطنة باسم السلطان المنصور ثار سنقر الأشقر في دمشق ، وأعلن نفسه سلطاناً في إبريل ١٢٧٨م/محرم ٦٧٧هـ . انظر شافع بن علي : الفضل الماثور في سيرة =

للعودة التقاتل فيما بينهم (٢٩٩) وبدأ عهد بوهيمند السابع بدخوله في خلافت مع الملك هيو الذي حاول فرض سلطته على الامير وأملاكه (٣٠٠). ثم مع فرسان الداوية الذين أيدوا تمرد تابعه جى الثانى امبرياكو حاكم جبيل ، مما أعاد الحرب الاهلية في طرابلس الى النشوب من جديد . واستمر الصراع بين بوهيمند وأتباعه في جبيل وحلفائهم من الداوية لمدة خمس سنوات ٦٧٥ - ٦٨٠هـ / ١٢٧٧ - ١٢٨٢م (٣٠١) . ولم ينقذ بوهيمند

= السلطان الملك المنصور ، مخطوط بمكتبة البودليان رقم ٤٢٤ تصوير شمسى ، لوحة ٣ أ - ٦ ب ؛ العمرى (ابن فضل الله) : مسالك الابصار ، ج ٢٧ ، في ٤ مجلدات ، مخطوط ، تصوير شمسى بدار الكتب المصرية ، قسم ٤ ، لوحة ٣٤٥ - ٣٤٦ . (٢٩٩) لم يقبل الداوية الانصياع لحكم هيو ملك قبرص في عكا ، بينما ضعف شأن الاسبتارية بضيايع حصن الاكراد ، فلم يستطع الاعتماد على تأييدهم له ، ولم يخضع له أيضا قومون عكا ، فرحل الى قبرص دون أن يعين نائبا له ، في الوقت الذى اشترى شارل كونت انجو كل حقوق ماري الانطاكية في مملكة عكا ، واتخذ شارل لقب ملك بيت المقدس في ١٢٧٧م / ٦٧٥هـ وبعث بروجر أوف سان سفيرنيو نائبا عنه في عكا . وبينما ساند الداوية التجار المسلمين في عكا فقد ساند الاسبتارية التجار النساطرة واعترف بوهيمند السابع بروجر نائبا لكونت أنجو ضد رغبة نبلاء عكا . انظر : Ruciman, A History of the Crusades, Vol. pp. 344-346.

(٣٠٠) حضر هيو ملك قبرص الى طرابلس فور موت بوهيمند السادس مطالباً بالوصاية على بوهيمند السابع لأنه ابن عمه ، ورفض نبلاء طرابلس ذلك بزعمارة بارثلميو أسقف انطرطوس الذى ساعد سبيلا أرملة بوهيمند السادس في تولي الوصاية على ابنها انظر : Eracles, pp. 406-409; Gestes des Chiprois, p. 780.

(٣٠١) كان جى أمبرياكو هو أقوى البارونات الذين أيدوا مطامع لوسى أرملة بوهيمند الخامس وحزبها من الايطاليين ضد بوهيمند السابع وأمه سبيلا . وراسل جى السلطان المنصور قلاوون وعرض عليه أن يقتسم معه طرابلس اذا ما ساعده في أخذها من بوهيمند السابع . وحاول جى الاستيلاء على طرابلس بمساعدة مسلمي حصن الاكراد في ١٢٨٢م / ٦٨١هـ . وانتهى الامر بفشل المؤامرة واعتقال صاحب جبيل الذى مات في سجنه ، ثم استولى بوهيمند على جبيل وللمزيد عن صراع بوهيمند وأتباعه في جبيل . انظر : عبد العزيز سالم : طرابلس الشام ، ص ٢٨١ - ٢٨٣ . راجع أيضا :

Runciman, Vol. 3, pp. 388-390.

أو الفرنج في عكا من مشروعات قلاوون ضدهم سوى أخطر هجوم مغولى عرفته بلاد الشام منذ ١٢٦٠م/٦٥٨هـ والذي قاده الخان أباقا بنفسه في عام ١٢٨١م/٦٧٩هـ (٣٠٢) . فاضطر قلاوون الى مهادنة الاسبتارية وبوهيمند للتصدي للمغول (٣٠٣) . الا أن محاولة الاسبتارية للاستفادة من الهجوم المغولى لاسترداد حصن الاكراد ، جعلت من بقايا أملاك بوهيمند في اماره انطاكية الهدف الاول لقلاوون من بين أهدافه لتدمير بقايا الوجود الصليبي في بلاد الشام . فبدأ بالاستيلاء على حصن المرقب في ٢٥ مايو ١٢٨٥م/١٤ ربيع أول ٦٨٤هـ (٣٠٤) . واستمرار المنازعات بين الصليبيين في بلاد الشام (٣٠٥) ، ولفشل محاولات المغول في جذب غرب أوروبا الى الاشتراك

- (٣٠٢) حاول أباقا خان مغول فارس استغلال فرصة اضطراب أحوال قلاوون التي سببتها ثورة الاشقر ، الذي اطلع أباقا على ما بين المسلمين من اختلاف الكلمة ، فهاجم المغول شمال الشام في نهاية سبتمبر ١٢٨٠م/جماد ثان ٦٧٩هـ واستولوا على عينتاب وبغراس ودريساك ونهبوا حلب وعادوا الى اقليم الجزيرة . انظر : المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ٦٨٢ .
- (٣٠٣) كانت مدة الهدنة لكل من الاسبتارية وبوهيمند عشر سنوات . وتبدأ هدنة الاسبتارية في ٣ مايو ١٢٨١م/٢٢ محرم ٦٨٠هـ وهدنة بوهيمند في ١٥ يولية/٢٧ ربيع أول من نفس السنة . انظر : ابن عبد الظاهر : تشرىف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص ٢١٠ - ٢١١ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ٣ ص ٦٨٥ - ٦٨٦ ؛ شافع بن على : الفضل الماثور ، مخطوط ، لوحة ١٠٤ وما بعدها .
- (٣٠٤) بعث قلاوون بقائده سيف الدين بلبان نائب حصن الاكراد للهجوم على الاسبتارية في المرقب بعد انسحاب المغول في ١٢٨١م/٦٧٩هـ . ولم يستطع بلبان أن يفعل شيئاً بعد أن هزمه الفرنج وقتلوا مائتين من رجاله . انظر : شافع بن على الفضل الماثور ، مخطوط ، لوحة ١٠ - ١٠٧ ب ؛ ابن عبد الظاهر : تشرىف الايام والعصور ، ص ٩٧ - ٨١ ؛ ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ؛ مفضل ابن أبى الفضائل : النهج السديد ، ج ٢ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥ ؛ العمرى : مسالك الابصار ، مخطوط ، ج ٢٧ ، قسم ٤ لوحة ٣٥٧ . راجع أيضا :

Ann. T.S., p. 458, Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 229.

CF. also, Cahen, La Syrie du Nurd, p. 720.

- (٣٠٥) مات شارل كونت أنجو في أكتوبر ١٢٨٥م/جماد ثان ٦٨٤هـ ، وانتهت مملكته في عكا . وتولى حكم المملكة الصليبية هنرى =

معهم في هجوم شامل ضد المسلمين في بلاد الشام ومصر (٣٠٦) ، فقد استطاع قلاوون اقتلاع اللادقية من أيدي الصليبيين لينتهى بذلك تاريخ امارة انطاكية الصليبية وثانى مستعمرة لاتينية في الشرق الادنى الاسلامى وذلك في ٢٠ ابريل ١٢٨٧م/ ٥ ربيع اول ٦٨٦هـ (٣٠٧) . ويموت بوهيمند

= الثانى ملك قبرص (١٢٨٥ - ١٣٢٤م/ ٦٨٤ - ٧٢٣هـ) ، الذى توج ملكا في صور في ١٢٨٦م/ ٦٨٥هـ ، بالرغم من معارضة نواب شارل كونت أنجو . وعاد هنرى الى قبرص بعد أن عين خاله بولدوين ابلين نائبا عنه في عكا . وفور رحيله شب الصراع بين البيازنة والجنوية . فقد أرسل الجنوية أسطولا ذهب جزء منه بقيادة توماس سبينولا الى مصر لضمان حياد قلاوون ، بينما شرع الجزء الثانى من الاسطول بقيادة أورلاندو أشيرى في مهاجمة كل السفن البيزاوية التى يصادفها في مياه الساحل السورى، ثم توجه الى صور استعدادا للهجوم على عكا ، بينما استعد البنادقة والبيزاوية لهجوم الجنوية الذين حاصروا الميناء . ولم ينته النزاع الا بتدخل الداوية والاسبترارية وممثلى النبلاء المحليين وذلك في يونيو ١٢٨٧م/ جماد اول ٦٨٦هـ . انظر :

Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, pp. 396-397,

402-403.

(٣٠٦) مات اباقا خان مغول فارس في ٢١ ابريل ١٢٨٢م/ ٢٠ ذى الحجة ٦٨٠هـ وتولى الحكم ابنه أرغون بعد أن قتل أخاه تكودار الذى اعتنق الاسلام باسم أحمد . وبعث في ١٢٨٥م/ ٦٨٤هـ ، رجل الدين رابان سوما الى غرب أوربا يعرض على حكامه القيام بعمل مشترك ضد المسلمين . ولكن الخلافات كانت منتشرة بين كل حكام الغرب ،فرنسا ضد أراجون في سبيل الاستيلاء على صقلية التى تمردت على الفرنسيين ، وادوارد ملك انجلترا مشغول باخضاع اتباعه في يلز واسكتلندا ، وصادم رابان سوما لما رآه من انشغال حكام غرب أوربا عن أمور الاراضى المقدسة ، ولم تفلح مساعى أرغون التى قام بها في عام ١٢٨٩م/ ٦٨٨هـ ، حين بعث برسول جنوى الى ملوك فرنسا وانجلترا والبابا نقولا الرابع (١٢٨٨ - ١٢٩٢م) ولم يكن هذا المبعوث أكثر نجاحا من سابقه انظر : الهمذانى : جامع التواريخ ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٨٥ - ٩٢ . وأيضا :

Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, pp. 398-402.

(٣٠٧) لم نقف على أى ذكر مفصل لاحداث فتح المسلمين للادقية سوى عند ابن عبد الظاهر ، الذى أورد تفصيلا لحصار المسلمين للمدينة بقيادة الامير حسام الدين طرنتاى الذى توجه لأخذ اللادقية بعد استيلائه على برزية وصهيون ، وأخضع سنقر الاشقر الذى =

السابع دون أن يترك ذرية ترثه (٣٠٨) ، فقد سقطت طرابلس فريسة للخلافات الفرنجية التي سادت تاريخ الامارات الصليبية طيلة القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري ، ولم تتمكن أخته لوسيا من السيطرة على أمور طرابلس وسط المصالح المتضاربة لباروناتاها من جهة والصراع بين البنادقة والجنوية من جهة أخرى ، الامر الذي مهد السبيل أمام قلاوون لانتزاعها من أيدي الفرنج في ٢٠ ابريل ١٢٨٩م/١٤ ربيع ثان ٦٨٨هـ (٣٠٩) . ولم يكن موت سيف الدين قلاوون مشكلة بالنسبة

كان متمردا على السلطان قلاوون . وقد استغل حسام الدين حدوث زلزال وقع جهة اللاذقية مع ليلة السبت ٢٢ مارس ١٢٨٧م/٥ صفر ٦٨٦هـ وسقوط جزء من برج المدينة الواقع في مياه البحر ، وكان هذا البرج « مالك عصمتها أو روح حرمتها ، فهدمت الزلزلة منه ربعه ، وكان ذلك من الاسباب التي سهلت فتحه ومردت صرحه » . وعندما رأى الفرنج الذين داخل اللاذقية أن المسلمين قد نصبوا المجانيق حول المدينة من كل جهة « عند ذلك سقط في أيديهم ، ورأوا أنهم يضلون أن استمروا في تماديهم فسلموا وطلعت سناجق مولانا السلطان عليها في يوم الاحد الخامس من شهر ربيع الاول » . انظر : ابن عبد الظاهر ، تشریف الايام والعصور ص ١٥١ - ١٥٣ ؛ ابن الوردي : تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٣٣٤ ؛ العمرى : مسالك الابصار ، مخطوط ، ج ٢٧ ، قسم ٤ ، لوحة ٣٦٠ ؛ ابن حبيب (الحسن بن عمر) : تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، ج ١ ، تحقيق محمد محمد أمين القاهرة ، ١٩٧٦م ، ص ١٠٨ ، راجع أيضا : Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 229.

(٣٠٨) مات بوهيمند السابع في ١٩ أكتوبر ١٢٨٧م/١٠ رمضان ٦٨٦هـ . انظر :

Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 229.

(٣٠٩) بعد موت بوهيمند لم يبق من يرثه سوى شقيقته لوسى ، الا أن قومون انطاكية الذي يرأسه بارثليمو امبرياكو سليل الاسرة الحاكمة في جبيل والتي تحمل الضغائن لبوهيمند السادس لقتله ولیم امبرياكو شقيق بارثليمو ، ثار ضد الامرة الحاكمة في انطاكية ورفض عودة أرملة بوهيمند السادس سبيلا الارمينية وكذلك رفض القومون حكم لوسى التي حضرت الى طرابلس في أوائل عام ١٢٨٩م/٦٨٨هـ ، ووضع القومون مدينة طرابلس تحت حماية الجنوية الذين قبلوا ذلك لتحقيق مصالحهم التجارية في الشرق لمنافسة البنادقة في عكا . فقد ساند الداوية والتيوتون البنادقة ضد جنوا . ولما أرسل بارثليمو الى قلاوون يطلب مساندته له ليفوز بحكم طرابلس، مال القومون الى صف =

للمسلمين ، فقد ترك وريثا لا يقل عنه عزما وجلدا (٣١٠) فاستطاع ابنه الاشرف خليل أن يفتح عكا للمسلمين في ١٨ مايو ١٢٩١م/ ١٧ جماد أول ٦٩٠هـ (٣١١) لينتهي بذلك الوجود الصليبي في الشرق الأدنى الاسلامي .
واذا كان استرداد مدينة بيت المقدس هو هدف الحملات الصليبية والصليبيين الاول ، واذا كان خروجهم من المملكة التي أقاموها باسم

=
لوسى التى لم تشأ أن تتحالف مع سكان طرابلس ضد الجنوية ، وحضر أمير البحر الجنوى بنتيو الى طرابلس وتم الاعتراف بلوسى كونتيسة على طرابلس ، فبعث بارثليميو الى قلاوون يطلب تدخله والا استولت جنوا على طرابلس ولم يكن قلاوون في حاجة الى دعوة البنادقة أو غيرهم للهجوم على طرابلس وكل ما في الامر أنه كان يتحين الفرصة ، وخرج قلاوون من مصر في ١٥ يناير ١٢٨٩م/ ١٥ محرم ٦٨٨هـ وبدأ في حصار طرابلس في ١٧ مارس/مستهل ربيع الاول بعد أن نصب عليها تسعة عشر منجنيقا، وكان عدد الحجارين الزرايين ألفا وخمسمائة نفر وكانت مدة حصاره لها أربعة وثلاثين يوما ، وفتحت طرابلس في يوم الثلاثاء ٢٠ ابريل ١٢٨٩م/ ١٤ ربيع الآخر ٦٨٨هـ .
وهربت لوسى الى قبرص ومات بارثليميو أمبرياكو . انظر : شافع بن على : الفضل الماثور ، مخطوط ، لوحة ١١٣-١١٦ ب ، بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، مخطوط ، ج ٩ ، لوحة ٢١١ - ٢١١ ب ، ابن أبيك الدوادار : الدرة الزكية ، ص ٢٨٣ : المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٣ ص ٧٤٧-٧٤٨ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، ج ١٣ ، لوحة ٥٨ ؛ النويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، ج ٢٩ ، لوحة ١٣ ؛ ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٣٣٥ ؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ، مخطوط ، ج ٣ ، ورقة ٣٥ - ٣٧ . راجع أيضا :

Marino Sanudo, Liber Secretorum, 230-231. CF. Also, Runciman, A History of the Crusades, Vol. 3, pp. 403-408.

(٣١٠) مات المنصور سيف الدين قلاوون في يوم السبت ١٠ نوفمبر ١٢٩٠م/ ٧ ذى القعدة ٦٨٩هـ . انظر : ابن أبيك : الدرة الزكية ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ ؛ شافع بن على : الفضل الماثور ، مخطوط ، لوحة ١٢٩ ب ؛ المقرئى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٣ ، ص ٧٥٧ .
(٣١١) شافع بن على : الفضل الماثور ، لوحة ١٣١ أ - ١١٣٣ ب ؛ ابن أبيك : الدرة الذكية ، ص ٣٠٨ - ٣١٠ ؛ ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ . راجع أيضا :

Marino Sanudo, Liber Secretorum, pp. 230-231. CF also, Runciman, A History of the Crusades, Vol. 3, pp. 412 ff.

الدين قد تم في ١٢٩١م/٦٨٩هـ ، فان الذي انتهى في هذا العام لم يكن سوى المصالح المادية المستترة وراء الدين ، والتي دفعت بكل طوائف الغرب الاوربي الى الهجوم على الشرق الادنى الاسلامي . ولم تمت مملكة بيت المقدس الصليبية في هذا العام ، لانها كانت قد ماتت بالفعل في عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ بضربة قاسمة على يد صلاح الدين الايوبي (٣١٢) . وبخروج الفرنج من عكا تنتهى فترة من التفكك الصليبي الذي دفع بالصلبيين في بلاد الشام وفي غرب اوربا الى جعل الحركة الصليبية حركة عالمية بعد ان كانت حلقة من حلقات الصراع الطويل الممتد بين الشرق الاسلامي والغرب الاوربي ، وذلك بمحاولة قادة الصليبيين في بلاد الشام واوربا لاستقطاب المغول الى دائرة صراعهم ضد المسلمين . وقد أسميت اماره انطاكية بنصيب وافر في جذب المغول الى دائرة الصراع بعد ن دخلت انطاكية نتيجة وساطة لويص التاسع في فلك السياسة الارمينية ، الامر الذي جعل من انطاكية وأمرائها هدفا لانتقام كل من بيبرس وخلفائه من أسرة قلاوون . فلكي يضمن بيبرس أمن بلاد الشام كان عليه القضاء على قوة أرمن قيليقية الذين خضعوا تماما للحماية المغولية . ولتحقيق ذلك كان على بيبرس أن يعزل قيليقية عن صليبي الشام حتى يؤمن ظهره . وكان ذلك يتطلب منه القضاء على اماره انطاكية . وبذلك أصبحت الامارة الصليبية هي أول أهداف المسلمين أثناء تداعى الفكرة الصليبية وفتور الحماسة الدينية لها في الغرب . وبعد سقوط مدينة انطاكية استمر بيبرس في اقتلاع أملاك بوهيمند السادس وتهديده له حتى تم حصر الامير الصليبي في طرابلس التي أخذ بيبرس الحصون التي تحميها ، مثل حصن المرقب وحصن الاكراد . ولم ينقذ طرابلس من السقوط في قبضة بيبرس أمل بوهيمند في وصول نجدة من الغرب بعد أن فقد الأمل في وصولها من فارس حيث نجح بيبرس في شغل المغول في الصراع ضد بنى عموماتهم مغول روسيا الذين اعتنقوا الاسلام . وبموت بيبرس أكمل سيف الدين قلاوون المشروع الاسلامي ضد أمراء أنطاكية في طرابلس ففتح حصن المرقب واللاذقية . هذا بينما مات بوهيمند السادس ومن بعده ابنه

بوهيمند السابع لتبقى طرابلس الهدف الاول للاشرف خليل بن قلاوون ، ومن بعدها عكا لينتهى الوجود الصليبي في بلاد الشام بعد أن مهدت لسقوطه الخلافات بين قادة الفرنج أنفسهم وجاليات الايطالية . ولتعود الاراضى المقدسة - مرة أخرى - الى السيادة الاسلامية ، ولتعود بلاد الشام وفلسطين الى المسلمين ، ولم يكن قد تبقى من الروح الصليبية الاستعمارية سوى عدة محاولات انطلقت من قبرص التى اتخذها الصليبيون قاعدة لهم لتهديد الشرق الادنى الاسلامى (٣١٣) . وفشلت المحاولة ، وفشلت خطط أوربا ضد بلاد المسلمين خلال الفترة المتبقية من العصور الوسطى تاركة المهمة للعصور الحديثة .

(٣١٣) لم يعد للحملة الصليبية أية قواعد في بلاد الشام بعد سقوط عكا ، ولم يكن أمام الفرنج الذين طردوا من الاراضى المقدسة سوى جزيرة قبرص ، ومنذ فتح الاشرف خليل لعكا وحتى عام ١٣٦٥م / ٧٦٧هـ ، لم تستطيع البابوية أن تجد حلفاء لها للقيام بحملة صليبية من أجل استعادة الاراضى المقدسة . فلم يكن هناك من يقتنع بدعاوى بطرس الناسك القديمة التى قبلها بسذاجة مفرطة المجتمع الاوربي الغربى منذ ثلاثة قرون مضت من بدء الحركة الصليبية . ولم يكن ملوك انجلترا وفرنسا وأراجون متفرغين لقضية المسيح بقدر تفرغهم للدخول في صراعات من أجل مصالحهم الخاصة ومصالح دولهم . كما أن الارباح التجارية وتنوع طرق التجارة أبعدت المدن الايطالية البحرية عن الهدف الصليبي تماما . ولم يكن سوى بطرس الاول لوزينان ملك قبرص (١٣٥٩ - ١٣٦٩م / ٧٦١ - ٧٧١هـ) . الذى استهوته فكرة استرداد الاراضى المقدسة من المسلمين منذ صغره . وقاد حملته المشهورة على الاسكندرية متبعا نفس الفكرة التى أخذ بها الصليبيون منذ الحملة الخامسة وهى احتلال مصر حتى يتنازل السلطان المصرى عن بيت المقدس نظير تحرير بلاده من أيدي الفرنج . وقاد بطرس حملته على الاسكندرية في ٩ أكتوبر ١٣٦٥م / ٢١ محرم ٧٦٧هـ ، ولم تتعد حملته كونها عملية نهب للمدينة التى أثرتها تجارة المماليك . واضطر بطرس مع عدم قدرته على السيطرة على جنوده المتعطشين للدماء والاسلاب للعودة الى قبرص في ١٦ أكتوبر / ٢٨ محرم من نفس السنة أى بعد أسبوع واحد من وصوله الى الاسكندرية . وانتهت بمغامرة بطرس وما تلاها من مغامرات كانت آخرها حملة نيقوبوليس الصليبية عام ١٣٩٦م (٧٩٨هـ) محاولات الصليبيين لاسترداد الاراضى المقدسة . وللمزيد عن حملة بطرس لوزينان على الاسكندرية ونهاية الحركة الصليبية انظر :

Atiya, The Crusades in the Later Middle Ages, Passim; Run-
ciman, A History of the Crusades, pp. 427-468.

الخاتمة

- ١ - الخطوط العريضة للعلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين ، ومواقفها حيال مختلف القوى التي تعاملت معها
- ٢ - أهم القضايا التي تعرض لها موضوع البحث ، والآراء والاستنتاجات التي تم التوصل اليها .

في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري نشأت اماره انطاكية الصليبية - أول اماره صليبية في بلاد الشام وثانى مستعمرة صليبية في الشرق الادنى الاسلامى بعد كونتية الرها - نتيجة الجهد المشترك لكل رجال الحملة الصليبية الاولى . وعلى العكس من مملكة بيت المقدس الصليبية ، فقد تكونت اماره انطاكية من اراضى كانت بالأمس بيزنطية ، وكان الهدف من انشائها في الاصل مزدوجا . فعندما كونها مؤسسها النورماندى الايطالى بوهيمند الاول ، اعتبرها مركزا نورمانديا جديدا لشن الحرب على بيزنطة عدوة النورمان القديمة ، ومحل أطماعهم الدائمة . كما كانت انطاكية بالنسبة لبوهيمند ، الامارة التى لم يتوفر له اقطاع مثلها في ايطاليا خاصة بعد فشل حربه هو وأبيه روبرت جويسكارد ضد الكسيس كومنين في البلقان ، وقد سمحت له الفوضى التى كانت سائدة في العالم الاسلامى بصفة عامة ، وفي بلاد الشام بصفة خاصة ، من أن يتوسع في أملاكه - على الرغم من قلة قواته - حتى أبواب حلب ، ويقاوم كل ردود الفعل البيزنطية ضده . وترك بوهيمند الامارة ، بعد التأكد من استحالة المد الصليبي شرقى حلب ، وفصل العراق عن شمال الشام . وأنهى عهده بمنح البيزنطيين الفرصة لدحره واخضاعه ، ولكن دون اخضاع امارته التى تولى أمرها من بعده تنكريد الذى نبذ فكرة الخضوع لبيزنطة كما رفض الاعتراف بحقوقها في انطاكية ، وفقا لاتفاقية القسطنطينية المعروفة في مايو ١٠٩٧ ، واسترد ما أخذه البيزنطيون عشية اندحار بوهيمند من أملاك الامارة . وهكذا حافظ تنكريد على تركة خاله واستمر في التوسع على حساب المسلمين والارمن ، وسلمها لنورماندى آخر هو روجر الانطاكى الذى وصل بحدود الامارة الى أقصى اتساع لها . فامتدت في عهده من أبواب حلب شرقا الى ساحل البحر غربا ، ومن موانى قيليقية شمالا حتى حدود كونتية طرابلس جنوبا ، وذلك من خلال انتصاراته على نواب السلاجقة في حلب والعراق . ولم يتورع في ذلك عن التحالف مع مسلمى الشام ضد مسلمى العراق لتصل علاقات انطاكية السياسية بالمسلمين الى ذروة التناقض بين تحالف وصراع . ولكن بدءا من عهد عماد الدين زنكى عاد المسلمون الى التماسك من جديد أثر الصحوة الاسلامية في القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ونجحوا في هدم الفرنج على نهر العاصى ، في الوقت الذى انشغلت فيه بيزنطة عن حقوقها في انطاكية بالتصدي للمد السلجوقى في آسيا الصغرى . وكيف فرنجة انطاكية

أنفسهم مع الخطر الأقل تهديدا في مواجهة الخطر الآخر . ولم يبق الامارة على قيد الحياة ، وبالرغم من توحيد غالبية بلاد الشام تحت قيادة نور الدين محمود ، سوى دخولها تحت الحماية البيزنطية والعودة الى الاعتراف بسلطة الامبراطور البيزنطى فى عهد ريموند بواتيه ، وتأكد ذلك فى عهد خلفه رينو دى شاتيون (أرناط) . وكان السبب الآخر الذى ساعد على تحرر امارة انطاكية من الضغط الاسلامى هو تحويل الطاقات المتنافسة للصليبيين والمسلمين الى الجنوب ، فبدلا من قيام كل المعارك الحاسمة التى جرت فى بداية القرن الثانى عشر الميلادى/السادس الهجرى على الجبهة الشامية العراقية ، نشب فى العقد السادس من القرن ١٢م/٦هـ صراع حتى الموت من أجل فتح مصر أثناء احتضار الخلافة الفاطمية . وخرجت الوحدة الاسلامية من هذه الازمة وهى أكثر قوة مما كانت عليه قبلئذ منذ قرن من الزمان . فبانتهاء الصراع الصليبي الاسلامى حول مصر تغيرت كل الظروف فى كل منطقة الشرق الادنى . وبدأ ذلك بانتهاء الانقسام فى العالم الاسلامى بعد اختفاء الدولة الفاطمية وتولى صلاح الدين مقاليد الامور فى مصر . وساد المذهب السنى بلدان الشرق الادنى الاسلامى . وبدأ صلاح الدين ، واضعا يده على بيت الداء ، وبرؤيا جديدة ومبادئ جديدة يحقق الوحدة الاسلامية الشاملة توطئة للقضاء على الوجود الصليبي فى بلاد الشام . وفى نفس الوقت اختفت بيزنطة من على مسرح الاحداث ، وانتهى معها شعور الانطاكيين بالسيادة البيزنطية ، فى الوقت الذى طالت فيه مدة نسيان أوروبا لمستعمراتها فى بلاد الشام بسبب مشاكلها الخاصة ، فى الوقت الذى حل فيه العنصر الفرنسى محل العناصر النورماندية فى انطاكية والامانية فى مملكة بيت المقدس التى أضعفتها الانقسامات الفرنجية . ولم يعبا بوهيمند الثالث بالصالح الصليبي العام فى سبيل نجاح مغامراته على حساب التقاليد الكنسية الكاثوليكية والاستراتيجية الصليبية العامة . فاستطاع صلاح الدين من اكمال ضم العراق . ومدن الشام تحت لوائه ، واكمال الحلقة التى حاصر بها أملاك الفرنج كلها ، ثم القضاء على مملكة بيت المقدس التى حرما بوهيمند الثالث من مساعدات حلفائها فى قبرص وبيزنطة وأرمينية . وانتهى الامر بالنسبة لانطاكية بأن نزلت على يد صلاح الدين الى درجة المقاطعة الصغيرة، ولم تتعد حدودها أسوار مدينة انطاكية نفسها. ولم يشارك أمير انطاكية (بوهيمند الثالث) فى رد الفعل الصليبي الاوربي المتمثل فى

الحملة الصليبية الثالثة والذي لم يحقق الاستقرار لفرنح الشام . وبحلول القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري خضع تاريخ العلاقات الصليبية الاسلامية لتغيرات جديدة . فحلت مصر محل بيت المقدس كهدف للاستراتيجية الصليبية الاوربية بعد أن صارت هي مركز الجهاد الاسلامي ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام . ولم يعد لبيت المقدس من قيمة سوى كونها أثرا دينيا مسيحيا . بينما رأى صليبيو الشام الجدوى في حسن الجوار مع حلفاء صلاح الدين ، وانعاش العلاقات الاقتصادية مع المدن الاسلامية الداخلية في الشام . في الوقت الذي فضل فيه الايوبيون - الذين شغلهم تشككهم في نوايا بعضهم البعض وانقسامهم على بعض عن استكمال جهد مؤسس دولتهم - ألا يدفعوا بالوجود الصليبي الى نهايته ، ووجدوا فائدتهم في تنمية العلاقات الاقتصادية السلمية مع جيرانهم الفرنجة الذين أصبحوا بالنسبة للمسلمين غير عدوانيين . وهكذا ساد الهدوء النسبي الصراع الصليبي الاسلامي . بل ان مساعدة أمير حلب الايوبي الظاهر غازي ابن صلاح الدين لأمير انطاكية بوهيمند الرابع سمحت للاخير بمقاومة الدولة المسيحية التي رجحت كفتها في الزاوية الشامية الاناضولية، وهي دولة أرمن قيليقية، لمدة ستة عشر عاما نتيجة لرؤيا الظاهر الذي وجد في أمير انطاكية حاجزا بينه وبين أطماع أبناء عمومته في مصر ودمشق . وبموت الملك الظاهر انتهى التحالف الانطاكي الحلبى لتسقط مدينة انطاكية في أيدي الارمن وتبقى في أيديهم لمدة ثلاث سنوات، بينما صارت طرابلس قاعدة خلفية لامراء انطاكية وقت الازمات طوال هذا القرن . وهكذا أصبحت مشكلة انطاكية هي المتنفس الوحيد لكل من الصليبيين والمسلمين خلال فترة فتور الحماسة الصليبية في أوروبا . وعندما بدأ الجهد الصليبي الاوربي في النشاط حال الحرص على عودة السلطة اللاتينية الى انطاكية دون مساهمة بوهيمند الرابع في الجهد الصليبي الا بالدرجة التي لا تعرض أملاكه للخطر ، ، أو تحقق له ولامازته مصلحة خاصة ، بينما جذبت امارة انطاكية في العلاقات الارمنية السلجوقية الايوبية بحكم طبيعة الجوار . ولم تتغير السياسة الانطاكية في عهد بوهيمند الخامس سوى أنه شارك في الجهد الصليبي ضد المسلمين في شمال الشام ووسطه تسترا خلف جماعات الفرسان الرهبان ليبدو جارا مسالما لمسلمي حلب بالذات . ولم يكن يمنعه من المشاركة - علنا - بقدر ملحوظ في الجهد الصليبي العام أو حتى لصالح امارته على حساب.

المسلمين ، سوى تدهور أحوال مدينة انطاكية بفعل هجمات قبائل التركمان عليها ، واقترب التهديد المغولى ، الى جانب تدهور اقتصادها وعزوف أمرائها عن الإقامة فيها ، وبدأت عاصمة الشرق مهجورة . واستمر الحال على ما هو عليه حتى دخلت انطاكية في فلك السياسة الارمينية بفضل المساعى الفرنسية التى كانت جزءا من تعويض لويس التاسع البسيط لفرنج الشام عن فشله على ضفاف النيل . وبينما استمرت انطاكية فى الاندفاع - بفعل قوة الاشياء - فى المشاركة فى الاحداث خارج حدودها ، فقد شارك أميرها بوهيمند السادس بنى جلدته جميعا فى الحرب الاهلية تاركين الصدام ضد المسلمين لطرف جديد جذبه الى مسرح الاحداث المساعى الصليبية الاوربية الواهمة فى الحصول على مساعدة بعيدة المنال ضد المسلمين . فبوصول الغزو المغولى الى بلاد الشام دخلت انطاكية - خضوعا وليس تحالفا - فى كنف الغزاة المعادين للاسلام مدفوعة بالشفاعة الارمينية . وباسترداد الاسلام لنشاطه السابق من مصر ، وبدحر الغزو المغولى وعودة السيادة الاسلامية الى بلاد الشام ، أصبحت انطاكية هدفا استراتيجيا فى سبيل عزل أرمن قيليقية عملاء المغول عن صليبيى فلسطين أعداء المسلمين الاصليين . وخضعت اماره انطاكية الصليبية بغير رحمة لضربات المماليك ، وانتهى الوجود الصليبي فى شمال الشام ، وقبع أمراء انطاكية فى قاعدتهم الخلفية - طرابلس - انتظارا للمصير المحتوم الذى آلت اليه كل المستعمرات الصليبية فى بلاد الشام ، لتنتهى حلقة من حلقات الصراع بين مفهوم تستر وراء الدين ومفهوم نبع من الدين ، ولتنتهى فترة من العلاقات بين الشرق والغرب ناعت بمحلها العصور الوسطى ، ولم تقال الكلمة الفاصلة فيها بعد ، فمازالت فى حاجة الى المزيد من الدراسات الجادة التى تنشد الحقيقة التاريخية الكاملة .

وخلال هذه المحاولة - معالجة تاريخ العلاقات السياسية بين اماره انطاكية الصليبية والقوى الاسلامية المجاورة - تعرض هذا العمل لعدة قضايا لم تتعرض لها الدراسات التاريخية الحديثة ، وفرضها على البحث المنهج الذى اتبع فى معالجة هذا الموضوع ، والمادة التاريخية التى أمكن الحصول عليها . ومن أهم هذه القضايا دور اماره انطاكية الصليبية فى تدعيم موقف جماعات الفرسان الرهبان والمدن التجارية الايطالية فى منطقة الشرق الادنى ، والآثار المترتبة على ذلك . فقد اعتاد المؤرخون

الحديثون على احصاء المنح والهبات والامتيازات التي قدمها أمراء انطاكية لهذه الطوائف والاشارة اليها فقط في معرض حديثهم عن المصالح المتبادلة بين أمراء انطاكية وأفراد هذه الطوائف الصليبية، أو لتحديد تاريخ وقعة معينة ساهم فيها أحد أمراء انطاكية ، خاصة اذا ما تعلق الامر بعمل عسكري صليبي مشترك ضد المسلمين . الا أن الامر لم يقتصر على ذلك ، فقد كان لامارة انطاكية الصليبية - بما قدمه أمراؤها من منح وامتيازات وهبات لهذه الطوائف - النصيب الاكبر في تدعيم موقف هذه الطوائف في منطقة الشرق الادنى ، الامر الذي ترتب عليه تدعيم الكيان الصليبي ككل وبشكل غير مباشر . ولم تحظ المنح ، التي قدمها أمراء انطاكية لهذه الطوائف ، والتي لم يرتبط منحهم اياها بالقتال ضد المسلمين ، باهتمام كل المؤرخين الحديثين . لذا كان لابد - لتقييم دور انطاكية هذا - من اخضاع هذه المنح وتلك الامتيازات التي قدمها أمراء انطاكية لهذه الطوائف للدراسة والفحص . ومن تتبع تطور هذه المنح وتلك الامتيازات اتضح أن أمراء انطاكية لم يكتفوا - مثل بقية حكام الشرق الفرنج وخاصة ملوك بيت المقدس - بمنح هؤلاء الاقطاعات الصغيرة أو بعض العقارات والابنية في مدن وبلدان وقرى الامارة مثل المنازل والآبار والطواحين والشوارع ، أو تخفيض بعض الضرائب على سلع هؤلاء ، بل تعدى الامر ذلك الى منحهم الاستقلال الذاتي لجماعتي الداوية والاسبتارية وجاليات المدن التجارية الايطالية ، الامر الذي لم يتمتع به هؤلاء في مملكة بيت المقدس نفسها . ويكفى أنه صار في نهاية الامر لجماعة الاسبتارية أن يكونوا في حل مما يعقده الامير الانطاكي من معاهدات وهدن مع المسلمين ، في الوقت الذي عليه هو أن يلتزم باتفاقات الاسبتارية مع جيرانه المسلمين . كما صار من حق التجار الايطاليين من جنوية وبيزاوية وبنادقة التقاضي أمام المحاكم الخاصة بهم دون محكمة الامير . وهكذا توفر الاستقلال الذاتي ، وحرية التصرف لهذه الطوائف في شمال الشام ووسطه - في انطاكية وطرابلس - الامر الذي مكن جماعات الفرسان من حماية أملاكهم والتصدي للمسلمين ، حتى أصبحوا في أواسط القرن ١٣م/٧هـ هم مصدر القوة الوحيد في الشرق الفرنجي بما توفر لديهم من قوى بشرية لم تعد تتوفر للأمراء والملوك الصليبيين . كما استطاعت الجاليات الايطالية ، بما توفر لديها من استقلال ذاتي ، أن تبقى على مصالحها التجارية مع المسلمين دون مراعاة للمصالح الصليبية العام ، الى جانب نمو تأثيرها

السياسى فى الشرق الفرنجى واشتراكها مع الجماعات العسكرية الرهبانية فى تحديد مسار السياسة الصليبية العامة ، الامر الذى أدى فى النهاية الى ازدياد الشقاق بين صفوف الفرنج فى المملكة الصليبية ، والذى انتهى باشتعال فتنة الحرب الاهلية التى أضعفت من قوة الصليبيين فى الوقت الذى استعاد فيه الجانب الاسلامى نشاطه السابق - أيام صلاح الدين - بقيادة المماليك توطئة لتوجيه الضربة القاضية للكيان الصليبي المتداعى فى الشرق .

ومن القضايا الهامة التى تعرض لها هذا البحث ، والتى لم تثرها الدراسات التاريخية الحديثة السابقة هى تحديد الوقت الذى انتهت فيه الحماية البيزنطية - المقرونة بالسيادة - على امارة انطاكية الصليبية ، لما لذلك من أثر كبير على العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين . فقد اعتاد المؤرخون الحديثون على تحديد نهاية فترة الحماية البيزنطية على انطاكية بموت الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين فى عام ١١٨٠م/٥٧٦هـ ، على اعتبار أنه بموت الامبراطور فمن الطبيعى أن تنتهى علاقة بيزنطة بالامارة الصليبية ، خاصة وأن ظروف بيزنطة الداخلية بعد مانويل لم تكن تسمح لاباطرتها بأن يفرضوا سيادتهم ولا حمايتهم على امارة انطاكية . الا أن هذا الرأى يشوبه القصور . فمن الطبيعى أن يبقى الامبراطور البيزنطى واضعا فى اعتباره استمرار سيادته وحمايته على انطاكية منذ اعترف بذلك أميرها رينو دى شاتيون فى عام (١١٥٨م/٥٥٣هـ) وحتى موت مانويل نفسه ، الا أن هذه النظرة للامور تتسم بالقصور . فمن غير الطبيعى أن نضع فى اعتبارنا - فى مجال العلاقات بين انطاكية وبيزنطة - وجهة النظر البيزنطية دون الصليبية . لذلك كان من الضرورى تحديد متى شعر الانطاكيون أنفسهم بعدم فاعلية التأثير البيزنطى عليهم ، وأنهم تحرروا من السيادة البيزنطية . وبتتبع أحوال كل من الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين وبوهيمند الثالث أمير انطاكية ، تم التوصل الى أن الحماية البيزنطية على امارة انطاكية قد انتهت بالفعل فى عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ أى قبل موت الامبراطور مانويل كومنين بحوالى ثلاث سنوات .

وكانت أحوال امارة انطاكية فى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى / السابع الهجرى من القضايا التى لم تحظ باهتمام المؤرخين الحديثين .

وربما رجع ذلك الى اهتمام المؤرخين المعاصرين وخاصة الصليبيين منهم بأحوال مملكة عكا الصليبية دون أحوال الفرنج في شمال الشام . فقد كان الوجود الصليبي بالشام يعاني آلام الموت البطيء ، وكانت انطاكية بالذات أشبه بالطائر المذبوح الذي يرفرف بجناحيه من آلام الموت ، فلم يكن في تاريخها عندئذ ما يسترعى انتباه المؤرخ ، وقد أصبح تاريخها مجرد منازعات وصراعات وخلافات . فلا أقل من الاهتمام بقلب ذلك الكيان وهو عكا ، رغم أن ضربات ذلك القلب كانت قد أوشكت على التوقف وقد صارت مصر هي مركز المقاومة الاسلامية ضد الوجود الصليبي ، وصارت أيضا - مصر - الهدف الاول للحملات الصليبية التي قامت في ذلك القرن . وأمكن خلال محاولة معرفة الاسباب التي دفعت ببوهيمند الخامس الى انتهاج سياسة سليمة تجاه جيرانه المسلمين ، الوقوف على حقيقة حال امارة انطاكية الصليبية في تلك الفترة ، والتأكد من ضعفها وتدهور أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية بعد أن هجرها أميرها الى طرابلس ، وأيضاً سكانها . وفقدت مدينة انطاكية أهميتها السابقة كمقل صليبي هام في شمال الشام ، بعد أن فشلت في استرداد ما ضاع من أملاكها منذ أيام صلاح الدين .

ومن أهم القضايا التي تناولها هذا البحث بالدراسة على الاطلاق ، هي قضية التحالف الصليبي الارميني المغولي وأثره على علاقة انطاكية بالمسلمين . فقد دأب مؤرخو الحروب الصليبية الحديثون وفي مقدمتهم المؤرخ الفرنسي رينيه جروسيه ، على الأخذ بإمكانية قيام تحالف بين الصليبيين في بلاد الشام وبين المغول ضد المماليك في مصر ، وتوجيه اللوم الى الصليبيين في مملكة عكا لعدم انتهازهم الفرصة النادرة لعقد هذا التحالف مع المغول كما فعل هيثوم الاول ملك قيليقية الارميني وبوهيمند السادس أمير انطاكية الصليبي . الا أنه بتتبع موقف المغول من المسلمين والاسلام بصفة عامة من جهة ، ومن الصليبيين والمسيحية في أوروبا وبلاد الشام من جهة أخرى ، أمكن التوصل الى استحالة قيام تحالف بالمعنى الصحيح ، بين المغول والصليبيين ضد المسلمين ، وأن ما تم بين بوهيمند السادس والمغول لم يتعد خضوع الاول للاخيرين ، الامر الذي جعل منه ومن امارة انطاكية هدفا استراتيجيا للمماليك لعزل الارمن أعداء المماليك

عن الصليبيين في مملكة عكا ، توطئة لاختضاع قيليقية قبل توجيه الضربة القاضية للكيان الصليبي المتداعي في بلاد الشام .

والى جانب هذه القضايا ، تم التوصل - على امتداد البحث - الى عدة استنتاجات تاريخية هامة ألقت الضوء على كثير من النقاط التى شابها الغموض ، والتى وقفت أمامها الدراسات التاريخية الحديثة دون الاخذ برأى قاطع فيها ، أو التزمت حيالها الصمت التام . ومن أهم هذه الاستنتاجات كان تحديد تاريخ غارة بوهيمند الثالث وكونت الفلاندرز على حارم (١٨ نوفمبر ١١٧٧م / ٢٣ جمادى الاولى ٥٧٣هـ) الامر الذى لم تحده كافة المصادر التاريخية المعاصرة . ثم تاريخ غارته على مدينة شيزر (٩ مايو ١١٧٩م / آخر ذى القعدة ٥٧٤هـ) أثناء انشغال صلاح الدين بالاغارة على حصن بيت الاحزان . ثم غارة الامير نفسه على حارم (مايو ١١٨٩م / ربيع ثان ٥٨٥هـ) أثناء انشغال صلاح الدين أيضا بحصار حصن كوكب . كما أمكن التوصل الى أن سياسة بوهيمند الثالث كانت السبب فى حرمان الصليبيين بصفة عامة من مساعدة حلفائهم فى قيليقية وقبرص وبيزنطة ضد صلاح الدين فى موقعة حطين . وردا على تساؤل المؤرخ الفرنسى كلود كاهن (هل كان بوهيمند الرابع يدفع للملك الظاهر غازى ملك حلب ثمنا لحماية الاخير له ؟) أمكن التوصل الى أن التعاون المشترك بين كل من بوهيمند الرابع والظاهر غازى كان ضرورة سياسية أملتها ظروف كليهما . فبالنسبة لبوهيمند كان يكفيه أن يرد عنه الظاهر أطماع الارمن فى امارته . وبالنسبة للظاهر كان وجود بوهيمند فى حكم انطاكية - كحليف له - أكثر أمنا بالنسبة لحلب من وجود ليو الثانى الارمىنى فى الحكم الى جانب أن بوهيمند يمكن أن يسبب المتاعب - من طرابلس - لآى من بنى عمومة الظاهر فى حمص ودمشق ، اذا ما انقلب أحدهم ضد الظاهر . وثبت أن هذا التحالف بين بوهيمند الرابع والظاهر قد تم بناء على اتفاق بين بوهيمند ونواب الظاهر عند المرقب فى عام ١١٩٧م / ٥٩٣هـ .

ومن خلال تتبع تطور مشكلة انطاكية والصراع الذى نشب حولها بين بوهيمند الرابع وريموند روبين الارمىنى ، أمكن التوصل الى أن هذه المشكلة كانت هى المتنفس الوحيد لكل أطراف الصراع فى بلاد الشام خلال فترة الجمود الصليبي فى أوربا ، والتى فشلت فيها أوربا فى ارسال قواتها

الصليبية الى الشرق الادنى الاسلامى ، وهى الفترة الواقعة فيما بين الحملتين الثالثة والخامسة الصليبيتين . فقد شغلت مشكلة انطاكية كل اطراف الصراع الصليبي الاسلامى ، وجذبت اليها كلا من المسلمين فى بلاد الشام ومصر ، وسلاجقة آسيا الصغرى ، الى جانب صليبي مملكة عكا والطوائف العسكرية الرهبانية وحتى البابوية نفسها .

كما أمكن التوصل من خلال البحث الى التاريخ الصحيح لغارة ليو الثانى الارمينى على سهل انطاكية (التى وضعها كاهن فى عام ١٢٠٨م / جمادى ثان ٦٠٤ - جمادى ثان ٦٠٥ هـ) وهو خريف عام ١٢٠٩م / ٦٠٥ هـ . وتاريخ حملة السلاجقة والحلبين ضد ليو (يضعها كلود كاهن فى ربيع ١٢٠٩م / ٦٠٥ هـ) وهو شتاء عام ١٢٠٩م / ٦٠٥ هـ .

كما تم التوصل الى السبب الذى دفع البابا انوسنت الثالث الى مراسلة الملك الظاهر غازى صاحب حلب الايوبى (فى ٧ يونيو ١٢١١م / ٢٣ ذى الحجة ٦٠٧ هـ) يطلب منه حماية بطريرك انطاكية وكنيستها ، وهو احداث التباعد بين بوهيمند الرابع وحليفه الملك الظاهر حتى لا يكون التحالف بينهما ميزة تخل بميزان القوى - لصالح بوهيمند - بين ليو الارمينى وبوهيمند الرابع ، الامر الذى يمكن بوهيمند من الاطاحة بسلطات الكنيسة اللاتينية بأنطاكية .

وهناك استنتاج آخر تم التوصل اليه من خلال البحث ، وهو أن حرص البابا هنوريوس الثالث على مهادنة بوهيمند الرابع ، عن طريق بيلاجيوس مندوب البابا ، يكشف عن حرص هذا البابا على وجود انطاكية فى حوزة الصليبيين ، باعتبارها أهم من دمياط التى ضاعت من أيدي قادة الحملة الصليبية الخامسة . كما كشفت سياسة هنوريوس ازاء بوهيمند الرابع عن ازدياد أهمية انطاكية لدى البابوية أيام هنوريوس الثالث عنها فى أيام أنوسنت الثالث الذى ضحى باستقرار الامور فى انطاكية فى سبيل دخول الكنيسة الارمينية الى كنف كنيسة روما .

ومن أهم الاستنتاجات التى تم التوصل اليها ، أيضا ، كان الوقوف على سبب استبعاد أملاك بوهيمند الرابع من اتفاقية يافا التى عقدت بين فريدريك الثانى والملك الكامل (١٨ فبراير ١٢٢٩م / ٢٣ ربيع أول

أول ٦٢٦ هـ) . وكان هذا السبب هو وجود غالبية أملاك وحصون جماعتي الداوية والاسبتارية - مناوئي فريدريك - في نطاق أملاك بوهيمند الرابع . ولم يكن السبب هو هروب بوهيمند من قبرص ، وعدم اعلانه الخضوع للامبراطور الالماني حين تواجد الاخير بالجزيرة الامر الذي لم تحسمه دراسة المؤرخ الفرنسي كلود كاهن من قبل .

كما أمكن التوصل الى أن تاريخ الغارة التي شارك فيها بوهيمند الخامس جماعة الاسبتارية على بعرين هو يونية ١٢٣٤م / رمضان ٦٣١ هـ وليس عام ١٢٣٥م / ٦٣٢ هـ ، ولا العام الذي يليه كما يضعها كاتب حوليات الارض المقدسة ، ولا في عام ١٢٣٣م / ٦٣٠ هـ ، كما يضعها كاتب تاريخ هرقل .

وأخيرا أمكن من خلال البحث تحديد بداية حصار بيبيرس لمدينة انطاكية بيوم الاربعاء ١٥ مايو ١٢٦٨م / أول رمضان ٦٦٦ هـ وليس بيوم ١٤ مايو / ٣٠ شعبان كما يذهب كل من رنسيمن وجروسية .

وعلى عكس ما يذهب اليه جروسية من أن أهالي انطاكية قاتلوا المماليك قتالا شديدا قبل أن تسقط مدينتهم في أيدي المماليك ، فقد أمكن التوصل الى أن المماليك قد فتحوا المدينة دون مقاومة تذكر .

وبذلك ، واستنادا الى ما جاء في المصادر المعاصرة - صليبية كانت أم اسلامية - فقد أمكن ، من خلال هذا البحث ، تناول بعض القضايا التاريخية بالدراسة والمناقشة ، والاخذ فيها برأى جديد ، والتوصل الى كثير من الاستنتاجات التي تعد ردا على بعض التساؤلات التي طرحتها بعض الدراسات التاريخية الحديثة ، أو تحقيقا لما أغفلته بعض هذه الدراسات ، أو تصحيحا لبعض وجهات النظر التي وردت فيها ، الامر الذي كان له أكبر الاثر في لقاء الضوء على كثير من نقاط البحث التي شابها الغموض حيننا والاضطراب أحيانا ، وكان الهدف هو محاولة الاتيان بجديد فيما يخص موضوع البحث سعيا وراء الحقيقة التاريخية المطلقة .

الملاحق

الملحق الاول : خطاب البابا انوسنت الثالث الى الظاهر غازى ملك حلب ، ٧ يونيو ١٢١١م/٢٣ ذى الحجة ٦٠٧ هـ انظر :
Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 216, Col. 434.

الملحق الثانى : خطاب البابا هنوريوس الثالث الى المندوب البابوى بيلاجيوس ، فى ٩ يوليو ١٢٢١م/١٦ جماد أول ٦١٨ هـ ، انظر :
Regesta Honorii Papae, Vol. 1, no; 2495. p. p. 568.

الملحق الثالث : خطاب بوهيمند السادس أمير انطاكية وكونت طرابلس الى هنرى الثالث ملك انجلترا فى ١٤ مايو ١٢٥٥م/٥ ربيع ثان ٦٥٣ هـ . انظر :
Bohemond VI, Letter of Bohemond VI Prince of Antioch and Count of Tripoly to Henry III king of England, in Annales de Burton, pp. 369-371.

الملحق الرابع : قائمة الوثائق المتضمنة المنح والامتيازات التى قدمها أمراء انطاكية الى جاليات المدن التجارية الايطالية فى بلاد الشام ، وقبالة كل وثيقة المصدر المستفاد منه .

الملحق الخامس : قائمة بأسماء أمراء انطاكية والاصياء عليها من ملوك بيت المقدس ، وتواريخ حكمهم بالتقويمين الميلادى والهجرى ابان الفترة الزمنية موضوع البحث .

الملحق السادس : قائمة بأسماء بطاركة انطاكية اللاتين واليونانيين واليعاقبة ، وتاريخ بطريركية كل منهم .

تتصل هذه الملاحق اتصالا وثيقا ومباشرا بموضوع البحث ، وتلقى كثيرا من الضوء على بعض جوانبه ، وتكشف الغموض عن بعض قضاياها .
فهى تتضمن نصوصا ووثائق حررها شاهدو عيان لبعض أحداث الفترة موضوع البحث وشارك بعضهم فيها . فقد شارك اثنان منهم فى صنع السياسة الصليبية العمامة ، وكان لهم دورهم فى تحديد طبيعة هذه السياسة تجاه المسلمين ، وهما البابا انوسنت الثالث والبابا هونوريوس الثالث ، اللذان عاصرا مشكلة انطاكية والصراع حولها بين بوهيمند الرابع وريموند روبين الارمينى ، والثالث هو بوهيمند السادس آخر من حكم من اللاتين فى انطاكية .

والملاحق الثلاثة الاولى هى رسائل ثم تبادلها بين قادة الحركة الصليبية فى أوربا وبلاد الشام . وهى مازالت بلغتها الاصلية (اللغة اللاتينية) ولم تنشر بأى لغة حديثة بعد . أما الملحق الرابع فهو قائمة بالمنح والامتيازات التى قدمها أمراء انطاكية لجاليات المدن التجارية الايطالية فى بلاد الشام . والملحق الخامس هو قائمة بأسماء وفترات حكم أمراء انطاكية والوصياء عليها من ملوك بيت المقدس ابان الفترة موضوع الدراسة والملحق السادس والاخير عبارة عن قائمة بأسماء بطاركة انطاكية اللاتين واليونانيين واليعاقبة .

أما عن الملحق الاول فهو نص الرسالة التى بعث بها البابا انوسنت الثالث من المقر البابوى بايطاليا فى ١٧ يونيو ١٢١١م/٢٣ ذى الحجة ٦٠٧هـ الى الملك الظاهر غازى ملك حلب الايوبى يوصيه خيرا ببطيريك انطاكية اللاتينى بطرس الثانى أوف افريا (١٢٠٩ - ١٢١٧م/٦٠٦ - ٦١٤هـ) . ويبدأ الخطاب بتلميح من البابا عن علاقة الظاهر بلاتين انطاكية الكاثوليك واستحسان البابا لذلك ، وتوقعه لحسن جزاء الظاهر على ذلك . ثم يلى ذلك ثناء البابا على بطرس بطيريك انطاكية اللاتينى ، ثم طلب البابا من الظاهر بحماية البطيريك وحماية كنيسة اللاتينية وسط الصراعات حول انطاكية ، بين بوهيمند الرابع وليو الثانى ملك قيليقية الارمينى . ثم ذكر البابا لحسن الجزاء الذى سيناله الملك الظاهر اذا ما نفذ طلبه .

وترجع أهمية هذا الخطاب الى ما له من دلالات هامة . فالبابا يطلب من ملك حلب المسلم الذى كان حاميا للسلطة الزمنية اللاتينية فى امارة انطاكية - متمثلة فى شخص بوهيمند الرابع - ضد الارمن ، أن يكون حاميا للمسيحية الكاثوليكية فى انطاكية ضد من يحاول فرض سلطته عليها . ولم يكن - فى ذلك الوقت - غير بوهيمند الرابع الذى يخشى البابا أن يكون فى حرمان ليو من كنيسة روما اطلاقا لأيدى بوهيمند فى أملاك كنيسة انطاكية . وهذا يحدد هدفين أراد البابا أن يحققهما معا . الاول وهو أن يباعد البابا بين بوهيمند وحليفه الملك الظاهر ، الامر الذى يضعف من موقف بوهيمند فى صراعه ضد الارمن ، وبوازن بين كفتى بوهيمند وليو فى هذا الصراع ، وهو الهدف الثانى من أهداف البابا . ولم يكن استقرار أحوال امارة انطاكية الصليبية يفوق - لدى البابا - دخول كنيسة الارمن فى كنف كنيسة روما أهمية ، كما لوح ليو للبابا .

أما الملحق الثانى فهو الخطاب الذى بعث به البابا هنوريوس الى المندوب البابوى بيلاجيوس فى ٩ يوليو ١٢٢١م / ١٦ جماد أول ٦١٨هـ بشأن مشكلة انطاكية ذاتها . ويطلب فيه البابا من مندوبه أن يحسن التصرف ويتخلى عن صلفه المعهود ، الذى تسبب به بيلاجيوس فى افشال الحملة الصليبية الخامسة ، وأن يتوخى الحذر والحرص فى معالجة مشكلة انطاكية وفى معاملة بوهيمند الرابع ، وفى الحقيقة يرتبط هذا الملحق ارتباطا وثيقا بسابقه ، ولا يقل عنه أهمية . فموضوعه الاساسى هو نفس موضوع سابقه ، وهو مشكلة انطاكية . كما يتعلق هذا الملحق بموقف البابوية من نفس المشكلة . الا أن خطاب البابا الى مندوبه كانت له دلالاته الخاصة . فهو من جهة يكشف عن اختلاف موقف البابوية من مشكلة انطاكية زمن هنوريوس الثالث عن موقفها من نفس المشكلة زمن انوسنت الثالث . فبينما حرص الاول على تحقيق سلطة كنيسته على كنائس أرمينيا مضحيا باستقرار الامور فى امارة انطاكية الصليبية ، حرص الأخير على بقاء انطاكية كمعقل صليبي فى شمال الشام عندما طلب من مندوبه أن يكون حذرا فى معاملته مع بوهيمند الرابع بعد التأكد من موت منافسه ريموند روبين فى حبسه فى قيليقية ، والا أقدم

بوهيمند ، الذى استرد انطاكية من الارمن ، على شئ من شأنه أن يضر بالكيان الصليبي في بلاد الشام اذا ما ضغط عليه بيلاجيوس . فربما سلم بوهيمند انطاكية الى المسلمين أو ربما ارتقى في أحضانهم . وضياح انطاكية من أيدي الفرنج - بالرغم مما حققوه من نجاح حتى ذلك الوقت في مصر - يعد بالنسبة للبابا خسارة أفدح من ضياح دمياط وأكثر من دمياط مما استولت عليه قوات الحملة الخامسة في مصر . فدخولها في كنف المسلمين يعد تهديدا لفرنج فلسطين من جهة الشرق وشمال الشام ، بينما مازال الخطر الاسلامي يتهدهدهم من جهة دمشق ومن مدن الشام الاسلامية الأخرى ، ومازال مصير ونجاح الحملة في مصر غير مضمون أو أكيد . ومع أن كلا من انوسنت وهنوريوس لم يعترف ببوهيمند الرابع أميرا لانطاكية ، بل كونتا لطرابلس ، إلا أن البابوية لم تبدأ في تحسين علاقاتها ببوهيمند إلا بعد التأكد من موت منافسه الارميني . ولم يكن حق انطاكية هو الفصيل في موقفها من مشكلة انطاكية .

أما عن الملحق الثالث . فهو الخطاب الذى بعث به بوهيمند السادس أمير انطاكية الى هنرى الثالث ملك انجلترا في ١٤ مايو ١٢٥٥م / ٥ ربيع ثان ٦٥٣هـ ، يطلب فيه المساعدة العاجلة من الملك الانجليزى . ويعد هذا الخطاب من أهم الوثائق الصليبية المتعلقة بموضوع البحث . وترجع أهميته الى أنه أهم مصادر المعلومات التاريخية المتعلقة بأحوال امارة انطاكية في أواسط القرن ١٣م / ٧هـ . ففي هذه الفترة لم يكن لدينا من مصادر المعلومات التاريخية الصليبية المعاصرة والمدونة في بلاد الشام سوى تاريخى هرقل وروتلان الى جانب مآثر القبارصة . وكلها انصب اهتمامها على ذكر أحوال الصليبيين في فلسطين دونهم في شمال الشام - إلا بالنزر اليسير - الامر الذى جعل من الصعب الوقوف على حقيقة أحوال امارة انطاكية الصليبية في تلك الفترة . هذا ، في الوقت الذى شغل المؤرخون المسلمون - عن ذكر ما يتعلق بعلاقاتهم بأنطاكية - بذكر ما يتعلق بعلاقاتهم بفرنج فلسطين وأوربا وبالخطر المغولى القادم من فارس . وإذا كان الخطاب يوضح أحوال امارة انطاكية ، ومدى تدهورها بوقوع مدينة انطاكية وسكانها فريسة لهجمات قبائل التركمان التى تسببت في هجر الانطاكيين لمدينتهم بعد أن هجرها أمراؤها وقبعوا في طرابلس ،

مما كان له أبلغ الأثر في الأضرار بأحوال انطاكية الاقتصادية والاجتماعية ، وفي فقدانها لأهميتها كمعقل صليبي قوى ، إذا كان الأمر كذلك ، فإن خطاب بوهيمند الى ملك انجلترا يكون قد أمدنا بالمعلومات التي تساعد على الوقوف على الأسباب الحقيقية التي دفعت بوهيمند السادس الى انتهاج سياسة سلمية خالصة تجاه جيرانه المسلمين . وإلى جانب كونه قد أوضح حقيقة أحوال انطاكية في أواسط القرن ١٣م / ٧هـ الأمر الذي لم توضحه الدراسات التاريخية الحديثة السابقة .

والملاحق الثلاثة الأخيرة عبارة عن قوائم : القائمة الاولى خاصة بالوثائق المتضمنة المنح والامتيازات التي قدمها أمراء انطاكية الى جاليات المدن الايطالية في بلاد الشام وهى البنادقة والجنوية والبيزاوية (١) ، وتشتمل على بيان كل وثيقة وتاريخ تحريرها والمصدر الذى استقيناه منها وهى تبين - بشكل مباشر - مدى السلطات التى تمتعت بها هذه الجاليات فى اماره انطاكية الصليبية وانعكاس ذلك على علاقات الامارة بجيرانها المسلمين . أما الملحق الخامس فهو قائمة بأسماء أمراء انطاكية والأوصياء عليها من ملوك بيت المقدس وتواريخ حكمهم بالتقويمين الهجرى والميلادى ابان الفترة الزمنية موضوع الدراسة . والهدف منه تحديد تسلسل الحكم اللاتينى فى انطاكية . أما الملحق السادس والاخير فهو عبارة عن قائمة بأسماء بطاركة انطاكية اللاتين واليونانيين واليعاقبة وتاريخ كل منهم . وأهميتها تكمن فى دور كنيسة انطاكية اللاتينية بطبيعة خاصة كقوة على مسرح الاحداث السياسية فى بلاد الشام .

(١) سبق أن نشر لامونت هذه القائمة . انظر :

J.L. La Monte, Feudal Monarchy, Appendix D. pp. 261-273.

الملحق الأول

خطاب البابا انوسنت الثالث الى الظاهر غازي ملك حلب الايوبي
في ٧ يونيو ١٢١١م/ ٢٣ ذى الحجة ٦٠٧هـ نقلا عن :

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 216, Col. 434.

**Nobili Viro Soldano De Alapia, Ad Veritatis Pervenire
Notitiam, Et In Ea Salubriter Permanere.
Commendat ei Patriarcham Antiochenum
(Laterani, VII Idus Junii.)**

Sicut Veridica multorum relatione didicimus, etsi nondum Christianae religionis susceperis sacramenta, fidem tamen catholicam veneraris, in multis Christi fidelibus deferendo. Unde de illius immensa Pietate confidimus quod te suae visitationis radiis illustrabit, ut gratia divinae cogitationis accepta, ad cultum aeterni et veri Dei, qui pro salute hominum factus est temporaliter verus homo, devotus aspires. Quapropter, in nomine jesu Christi te attentitus exhortamur quatenus justitiam excolas et diligas veritatem, quae in salutis semitam dirigent gressus tuos, et venerabilem fratrem nostrum Antiochenum patriarcham, quem suae probitatis intuitu inter caeteros fratres et coepiscopos nostros sincera diligimus in Domino charitate, habens ob reverentiam nostram propensius commendatum, ipsum et Ecclesiam ejus non permittas, quantum in te fuerit, ab aliquibus indebite molestari, quinimo eidem exhibeas auxilium et consilium opportunum, ut per hoc divinae majestatis gratiam et apostolicae sedis favorem tibi valeas comparare.

Datum Laterani, VII Idus Junii, Pontificatus nostri anno quarto decimo.

الترجمة العربية

الى الرجل النبيل سلطان حلب (١) من أجل الوصول الى معرفة الحقيقة ، والاستمرار من خلالها في الطريق الصحيح ، يوصيه (البابا انوسنت الثالث) خيرا ببطريك انطاكية (٢) .

بما أننا علمنا بحقيقة علاقة الكثيرين ، فانك حتى اذا لم تكن قد اضطلعت لأن بقسم ولاء للديانة المسيحية ، فانك مع ذلك ستصل الى الطريق القويم للايمان ضمن الكثيرين الذين آمنوا بالمسيح (٣) . ومن ثم فاننا نثق بتقوى وورع أنه (المسيح) سيغمرك بأنوار زيارته . وعلى هذا فاننا نحرص على حثك باسم يسوع المسيح أن ترعى العدل وتحمل الحق للذين سيسددان خطاك في طريق الامان ، فلديك أخانا المبجل بطريك انطاكية الذي نوقره بسبب فطرته المخلصة في التوفيق بين بقية الاخوة وبين أساقفتنا ، فادخلناه في رحمة الرب واحسانه ، وحظى باحترامنا وحنن تقديرنا له . فلا تسمح لأحد بالمساس به أو بكنيسته بدون وجه حق ، طالما بقى معك ، ولتوفر له فرصة العون والمشورة ، وكل ذلك بفضل العناية المقدسة ، ولتقارن أنت فضل سكينه واطمئنان الاتباع (الحواريين) الذي حظيت به .

في السابع من يونية من السنة الرابعة عشر من بابويتنا (٤) .

(١) المقصود به الظاهر غازي ابن صلاح الدين ، ملك حلب (١١٨٦

- ١٢١٦م / ٥٨٢ - ٦١٣ هـ) .

(٢) المقصود به بطرس الثاني أوف افريا (١٢٠٩ - ١٢١٧م / ٦٠٦ -

٦١٤ هـ) .

(٣) هذه هي النعمة التي سادت في الغرب ابان تلك الفترة من

الزمن . ولا غرو ، فقد كان أحد أهداف الحركة الصليبية التبشير

بالمسيحية على المذهب الكاثوليكي بين المسلمين في الشرق

الادنى وتنصيرهم .

(٤) ٧ يونيو ١٢١١م / ٢٣ ذى الحجة ٦٠٧ هـ .

الملحق الثانى

خطاب البابا هنوريوس الثالث الى المندوب البابوى بيلاجيوس فى
٩ يوليو ١٢٢١م/١٦ جمادى اول ٦١٨هـ ، نقلا عن :

Regesta Honorii Pape, Vol. I, no. 3495, p. 568.

«Pelagio Albanensi episcopo Apostolice Sedis Legato». Cum Civitas Antiochena in eo statu existat quod de ipsius sit gravi periculo metuendum, mandat ut caute procedat in facto comitis Tripolitani ut nihil sinistri de eadem civitate christianitati contingat, in cuius amissione, sicut dicitur, plus damni et ignominiae sustineret populus christianus quam si plures perderet Damiatas; super facto ergo ipsius Comitis est maxime subistendum quia de nobili viro Rupino qui captus fuit minime dubitatur et nunc publice fertur eundem carnis debitum exsolvisse. Laterani VII Id, Iulii anno quinto.

الترجمة العربية

اللاتيران ٩ يوليو (١)

« الى بيلاجيوس أسقف أبانو (٢) ومندوب السدة البابوية » .

لأن مدينة انطاكية فى هذه الحالة تمر بموقف يبعث على الخوف بسبب الخطورة التى تتعرض لها ، (فان البابا) يأمر (بيلاجيوس) بأن يتناول مسألة كونت طرابلس بحرص حتى لا يقع بالمسيحية مكروه فى تلك المينة (٣) التى بفقدانها ، كما يقال ، سيتحمل الشعب المسيحى خسارة ودمارا أفدح مما لو فقد أكثر من دمياط ، ومن ثم ينبغى معاونة

(١) فى ذلك الوقت كانت قوات الحملة الصليبية الخامسة تقيم خارج

مدينة دمياط استعدادا للتقدم نحو المنصورة (فى ١٧ يوليو

عام ١٢٢١م/٢٥ جمادى أول ٦١٨هـ) بعد أن نجحت فى الاستيلاء

على دمياط . انظر : محمود سعيد عمران ، الحملة الصليبية

الخامسة ، ص ٣٦٧ ، ٣٧١ .

(٢) احدى مدن البرتغال .

(٣) المقصود بها مدينة انطاكية .

الكونت ذاته بأقصى طاقة لأن هناك قليل من الشك فيما يخص الرجل النبيل (ريموند) روبين الذى تم اعتقاله ، والآن يقال على الملا أنه قد تخلص من قيد الجسد (٤) .

(٤) بعد موت ليو الثانى الارمينى (ابريل ١٢١٩م/صفر ٦١٦هـ) أصبح قسطنطين رئيس الاسرة الهيثومية وصيا على عرش قيليقية واعتقل ريموند روبين الذى هاجم أملاك خاله المتوفى حيث مات ريموند فى حبسه بعد فترة وجيزة . انظر ما سبق من الفصل الثالث .

الملحق الثالث

خطاب بوهيمند السادس أمير انطاكية الى هنرى الثالث ملك
انجلترا فى ١٤ مايو ١٢٥٥م/٥ ربيع ثان ٦٥٣هـ . انظر :

Bohemond VI, Letter of Bohemond : VI Prince of Antioch and
Count of Tripoly to Henry III King of England, in Annales de Burton,
pp. 369-371.

«Excellentissimo domino Henrico Dei gratia illustri regi Angliae,
B [oemundus] eadem gratia princeps Antiochiae et comes Tripoli-
tanus, salutem et reverentiam domino debitam et devotam.¹ Illa devo-
tionis sinceritas quam in Zelum nominis Jesu Christi illustrissimum
genus vestrum habnit ab antiquo, in majestatem vestram geminatis
virtutibus derivatur, quem eximium regum terrae summa provisio
benedixit, et magnificis semper actibus profuturum statuit in sublim
ut per vos brachium Regis regum, nomen ipsius ad laudem ejus et
gloriam, et confusionem hostium crucifixi, jugiter exaltetur. Ille qui-
dem athleta Christi fortissimus, inclitus rex Ricardus patruus vester
memoriae recolendae ejus nomen resonat toti mundo. Zelum sin-
cerum quem habuit egregiis actibus demonstravit, dum exponens om-
nem suam suorumque potentiam seque morti, ad funiculum haere-
ditatis Domini redimendum de fancibus paganorum, personaliter pro-
vinciam cismarinam. Terram Sanctam, a crucis hostibus occupatam,
triumphali gladio liberavit. Caeterum ad vos regem Christianissimum,
succedentem eidem non solum jure haereditario sed virtute, tanto de-
votius Christiani terrae prae dictae cum anxietate suspirant, quanto de-
cus omne a vestris antecessoribus virtuose peractum, in personam
vestram caelesti munere uberius est effusum. Verum Antiochena
terra eo magis subsidium vestri culminis cum suspiriis praestolatur,
quod plus caeteris provinciis Orientalibus flagellatur ab hostibus Cru-
cifixi, quouiam etiam omnis persecutionis instantia quae in provincia
eismarina concussorit universos, in Antiochiam infelicem specialiter
est conversa eismarina Insurrexerunt etenim contra ipsam a longis tem-
poribus, Turcumanii, qui Dei et hominum inimici, sibi Antiochiam haere-
ditationem meam, miserabilem elegerunt in praedam, et cum sic inhu-
maniter afflixerunt quod interemptis eivibus, terrarum cultoribus
captis. cunctis animalibus destructis, vinctis, arboribus, villis, casali-
bus, atque maneriis bonisque omnibus desolatis, usque ad civitatis

maenia, per eosdem feraliter undique debacchantes in caedibus, incendiis, et in praedis, illustrissimam civitatem, speculum Orientis, in spectaculum converterunt, et ad exanitionem ultimam deduxerunt. Unde fit quod Turcumanii praedicti haeredi tatem meam incessanter affligunt. et obsessis per eos itineribus civitatis, ne aliqua portentur in ipsam, neve habitatores exeant ab eadem. milites superstites et burgenses descrunt civitatem jam quasi pomerii custodiam remansuram. Ha Deus ! quid sibi vult quod civitas supradicta, ubi Christianum nomen primitus est assumptum, a principibus Christianis sit penitus derelicta, cum tamen contra loca Christianitatis convalescentibus persecutoribus paganorum, principum mundi atque fidelium caeterorum devotio saepius affuerit in succursum. Infelix vero Antiochia, quae caput fuerat Orientis, sic est oblivioni tradita, quod relinquitur in ridiculum canibus devoranda. Mitto autem ad pedes regiae majestatis nobilem virum Conradum de Due militem et fidelem nostrum, et Gwarennum presbyterum et capellanum nostrum, latores praesentium, quibus vestra serenitas benignam audientiam et exauditionis gratiam largiatur, Datum Tripolis XIV. die mensis Maii, anno Domini MCCLV.

الترجمة العربية

الى السيد المعظم هنرى ، بفضل الله ، ملك انجلترا المبجل ،
يرسل بوهيمند بفضل الله ، أمير انطاكية وكونت طرابلس ، التحيات
والتبجيل الى سيده (الملك) . لقد انتقل الى شخص جلالتك وبقوة
مضاعفة ، ذلك الاخلاص الدينى ، الذى توفر لى اسرتك المبجلة منذ
قديم الزمن ، فى الحماسة من أجل اسم المسيح الذى بشرت به النبوءة
العظمى سيدا للوك الارض ، والذى رفع أعماله العظيمة عاليا ، من أجل
المستقبل ، وحتى يكون من خلا لك أنت ، يا ساعد ملك الملوك ، الثناء
والمجد لاسم الرب ، والذل لأعداء المسيح . بجلت للأبد (١) .

(١) كانت هذه هى صيغ المكاتبات فى الغرب وقتذاك فى ظل تزمت
الكنيسة اللاتينية الشديد .

وأن أشجع رفاق المسيح ، الملك النبيل ريتشارد (٢) عمك خالد الذكر ، الذى يدوى اسمه فى كل أرجاء العالم ، قد برهن على الحماسة الصادقة ، التى توفرت لديه بأعماله الغير عادية . وبينما عرض كل قواته ، وقوات رجاله ، ونفسه للموت ، كى يخلص أرض ميراث الرب المستضعفة من (أيدي المسلمين) فقد حرر بنفسه وبسيفه الظافر مقاطعات ما وراء البحر ، والأرض المقدسة التى احتلها أعداء الصليب . ولكن أتباع السيد السابق ذكره (٣) يتلهفون عليك ، بمزيد من الايمان ، وفى قلق بالغ ، كملك أكثر مسيحية ، وخلفا له ليس فقط بحق الميراث ولكن أيضا بالفضيلة ، حيث أن كل الكرامة التى حققها أسلافك بعفه تظهر أكثر كمالا فى شخصك وبخدماتك السماوية .

ففى الحقيقة فإن أرض انطاكية تنتظر بلهفة كل المساعدة من سموك ، لأن اقليمها أكثر من أقاليم الشرق الأخرى قد نكل به أعداء المسيح . فبينما وقعت حالات الاضطهاد بكل مقاطعات الشرق ، فقد أصابت انطاكية البائسة بصفة خاصة لأن التركمان قد دأبوا على غزوها لفترة طويلة الآن ، ووقع اختيار أعداء الرب والبشرية على انطاكية ، ميراثى التعس ، كمجال للسلب ، وضايقوها بلا شفقة ويقتلهم للسكان ، وبأسرهم للفلاحين ويتدميرهم لكل الحقول ، ويتخريبهم للكروم ، والحقول والمزارع والقرى والبلدان والبضائع حتى أسوار المدينة ، فقد حولوا هذه المدينة السامية ، مرآة الشرق ، الى أثر (بعد عين) باجتياحهم كل مكان بوحشية ، وبارتكاب أعمال القتل والحرق والسرقة وأعادوها الى أدنى حدود لها . لذلك فإن هؤلاء التركمان السابق ذكرهم قد قوضوا ميراثى وباحتلالهم الطرق المؤدية الى المدينة ، فلا شئ يمكن القيام به مع وجودهم فيها . فليس فى استطاعة السكان الخروج من المدينة ، ولقد هجر المدينة الفرسان والبرجوازية الذين على قيد الحياة ، أو بقوا لحراسة أحجار فقط . أو اه يا ربى ، هكذا مشيئتك أن يهجر

(٢) المقصود به ريتشارد قلب الاسد ملك انجلترا (١١٨٩ - ١١٩٩م /

٥٨٥ - ٥٩٥ هـ) .

(٣) المقصود به ريتشارد قلب الاسد .

الامراء المسيحيون المدينة التي اتخذ فيها لقب « مسيحي » لأول مرة (١)
ومع اضطهاد (المسلمين) المتزايد للاماكن الدينية المسيحية ، فان نسل
امراء العالم والمؤمنين غالبا ما كان في حاجة الى العون . لذلك ، فان
انطاكية التعسة ، التي كانت عاصمة الشرق ، قد مضت الى الظلام وتركت
في احتقار
.
.
.
(٢)

وأبعث الى جلالتم الرجل النبيل كونراد دي دوسى وهو فارس
تابع لى ، وجارنيير كاهنى الخاص ، حاملى هذه الرسائل اللذين ربما
يحظيان بفضل وحسن استماع سموكم لهما .

سلم فى طرابلس فى ١٤ مايو ١٢٥٥م (٣) .

-
- (١) تلقب تلاميذ عيسى عليه السلام « بلقب مسيحيين » لأول مرة
فى انطاكية بعد أن كان يطلق عليهم لقب « نصارى » وجاء فى
العهد الجديد « ودعى التلاميذ مسيحيين فى انطاكية أولا » انظر :
العهد الجديد : سفر أعمال الرسل (١١ ، ٢٦) .
(٢) يلى ذلك حوالى ١٨ سطرا يحدد فيها بوهيمند أفضل الملك
هنرى الثالث وأسلافه تمهيدا لطلب مساعدته لانطاكية .
(٣) ١٤ مايو ١٢٥٥م / ٥ ربيع ثان ٦٥٣ هـ .

الملحق الرابع

قائمة بالمنح والامتيازات التي قدمها أمراء انطاكية
الى جاليات المدن التجارية الايطالية في بلاد الشام (١)

١ - البنادقة

بوهيمند الاول : وثيقة مفقودة تاريخ تحريرها ١٠٩٨ - ١٠٩٩ م / ٤٩٢ - ٤٩٣ هـ .

انظر : Tafel-Thomas, Urkunden, Vol. 1, no. 27.

تنكريد : وثيقة مفقودة تاريخ تحريرها ١١٠٣ م - ١١١٢ م / ٤٩٧ - ٥٠٦ هـ .

انظر : Tafel-Thomas, Urkunden, Vol. 1, no. 31.

بوهيمند الثانى : الوثيقة مفقودة ، تاريخ تحريرها ١١٢٦ - ١١٣١ م / ٥٢٠ - ٥٢٥ هـ .

انظر : Tafel-Thomas, Urkunden, Vol. 1, no. 42.

ريموند بواتيه : وثيقة نصها : يمنح ريموند بواتيه أمير أنطاكية للبنادقة حرية التجارة وتخفيفا في التعريفة الجمركية وحماية سفنهم الغارقة ، وحق التقاضى في محكمة الامير بالقانون الخاص بهم ، تاريخ تحريرها : مايو ١١٤٠ م / رمضان ٥٣٤ هـ . انظر :

Tafel-Thomas, Urkunden, Vol. 1, no. 46; Rohricht, Regesta, no. 197; p. 49.

رينودى شاتيون : وثيقة نصها : يؤكد رينو دى شاتيون أمير انطاكية وزوجته كونستانس للبنادقة كل المنح التي قدمها كل من بوهيمند الاول وتنكريد وبوهيمند الثانى وريموند بواتيه . ويمنح الامير والاميرة اهل البنادقة تخفيضا اضافيا في التعريفة الجمركية ، ومحكمة خاصة بهم في انطاكية تخضع لاشراف قضاتهم . ، تاريخ تحريرها : مايو ١١٥٣ م / ذى القعدة ٥٣٤ هـ . انظر :

Tafel-Thomas, Urkunden, Vol. 1, no. 55; Rohricht, Regesta, no. 282; p. 72.

(١) نقلا عن :

J.L. La Monte, Feudal Monarchy, Appendix D., pp. 261-273.

وقد أضفنا بعض الوثائق ومصادرها .

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يرفع بوهيمند الثالث أمير انطاكية عن
التجار البنادقة نصف قيمة الضرائب المقررة عليهم في
مدينة انطاكية . ويؤكد لهم المنحة التي أجاز لهم بمقتضاها
انشاء محكمة خاصة بهم في المدينة نفسها ، وتاريخ
تحريرها : ١١٦٧م/٥٦٣هـ .

Tafel-Thamas, Urkunden, Vol., 1 no. 61; Rohricht, Regesta no. 434
p. 113.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يمنح بوهيمند الثالث أمير انطاكية
للبنادقة حق المثل أمام محكمتهم الخاصة في انطاكية في
القضايا التي يكون طرفاها من البنادقة ويعددهم بسرعة
البت في قضاياهم التي تنظر في محكمته الخاصة ،
تاريخ تحريرها ١١٦٩م/٥٦٥هـ .

Rohricht, Regesta, no. 471, p. 124, no. 680 pp. 181-182.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يؤكد بوهيمند الثالث للبنادقة حقهم في
كل المنح والامتيازات التي حصلوا عليها من قبل داخل
نطاق اماره انطاكية ، تاريخ تحريرها : ١١٨٣م/٥٧٩هـ .

Tafel-Thomas, Urkunden, Vol. 1 no. 68; Rohricht, Regesta, no. 632,
p. 167.

٢ - الجنوية

بوهيمند الاول : وثيقة نصها : يمنح بوهيمند الاول أمير انطاكية كنيسة
القديس يوحنا وثلاثين منزلا في مدينة انطاكية واعفاء من
كل المكوس والرسوم والعوائد المقررة على من هم سواهم
أو التي سوف تقرر في مدينة انطاكية أو مجاورتها ،
وتاريخ تحريرها : ١٤ يوليو ١٠٩٨م/١١ شعبان ٤٩١هـ .

Hagenmyer, Epistolae, p. 155, Rohricht, Regesta no. 12 p.

تنكيريد : وثيقة نصها : يمنح تنكيريد « الوصي » على اماره انطاكية
لكنيسة القديس لورانس بجنوا ثلث دخل ميناء السويدية ،
ونصف دخل ميناء اللاذقية ، وشارع وكنيسة باللاذقية
وأرض في جبلة ، وذلك عندما يتعين فتح هذه الاماكن ،
تاريخ تحريرها : ١١٠١م/٥٩٧هـ .

Rohricht, Regesta, no. 35, p. 5.

بوهيمند الثانى : وثيقة نصها : يؤكد بوهيمند الثانى أمير انطاكية المنحة
التي قدمها والده للجنوية من قبل ، تاريخ تحريرها :
ديسمبر ١١٢٦م/ذو الحجة ٥٢١ هـ .

Rohricht, Regesta no. 119, pp. 29-30.

ريموند بواتييه : وثيقة نصها : يؤكد ريموند بواتييه أمير انطاكية وزوجته
الاميرة كونستانس للجنوية المنح التي قدمها لهما في أوقات
سابقة كل من بوهيمند الاول وتنكريد وبوهيمند الثانى ،
تاريخ تحريرها : ١١٤٤م/٥٣٩ هـ .

Rohricht, Regesta, no. 288, p. 57.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يؤكد بوهيمند الثالث أمير انطاكية
للجنوية كل الامتيازات التي يتمتعون بها في انطاكية في
الوقت الحالى ويعددهم بسرعة البت في قضاياهم التي
ينظر فيها في محاكمه الخاصة ، تاريخ تحريرها ١١٦٩م/
٥٦٥ هـ .

Rohricht, Regesta, no. 471, p. 124.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يمنح بوهيمند الثالث أمير انطاكية
للجنوية محاكم خاصة بهم في مدن انطاكية واللاذقية
وجبيل ، تاريخ تحريرها : ابريل ١١٨٩م/ربيع اول
٥٨٥ هـ .

Rohricht, Regesta, no. 695, pp. 181-182.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يمنح بوهيمند الثالث أمير انطاكية
الجنوية حرية التجارة دون أية ضرائب ، تاريخ تحريرها :
سبتمبر ١١٩٠م/شعبان ٥٨٦ هـ .

Rohricht, Regesta, no. 695, p. 185.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يؤكد بوهيمند الثالث أمير انطاكية
للجنوية حقهم في انشاء محاكمهم الخاصة بهم في مدينة
انطاكية وميناء اللاذقية ، تاريخ تحريرها : ابريل ١١٩٩م/
جماد ثان ٥٩٥ هـ .

Rohricht, Regesta, no. 753, p. 200.

بوهيمند الرابع : وثيقة نصها : يمنح بوهيمند الرابع أمير انطاكية وكونت طرابلس للسيد هنرى المالى والجنوية حق البيع ومحكمة فى مدينة طرابلس فى مقابل ثلاثة آلاف بيزنط ، وامدادهم له بسفنتين حربيتين وثلاثمائة مقاتل ، تاريخ تحريرها : يوليو ١٢٠٥م/محرم ٦٠٢ هـ .
Rohricht, Regesta, no. 807, p.p. 215-216.

ريموند روبين : وثيقة نصها : يمنح ريموند روبين أمير انطاكية الجنوبية الحرية والامن فى مدينة انطاكية ، تاريخ تحريرها : فبراير ١٢١٦م/ذو القعدة ٦١٢ هـ .
Rohricht, Regesta, no. 885, p. 238.

٣ - البيزاوية

تنكريد : وثيقة نصها : يمنح تنكريد أمير انطاكية للبيزاوية حيا من احياء انطاكية وآخر فى اللاذقية ، تاريخ تحريرها : ١١٠٨م/٥٠١ هـ .
Rohricht, Regesta, no. 53, p. 11

ريموند بواتيه : وثيقة نصها : يمنح ريموند بواتيه أمير انطاكية وزوجته الاميرة كونستانس للبيزاوية قطعا من الاراضى فى مدينة انطاكية وميناء اللاذقية ، تاريخ تحريرها : ١١٥٤م/٥٤٩ هـ .
Rohricht, Regsta, no. 292, p. 74.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يؤكد بوهيمند الثالث أمير انطاكية للبيزاوية كل الامتيازات التى يتمتعون بها فى مدينة انطاكية ومجاوراتها ، تاريخ تحريرها : يناير ١١٩٤م/ربيع أول ٥٩٠ هـ .
Rohricht, Regesta, no. 478, pp. 125-126.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يمنح بوهيمند الثالث أمير انطاكية للقومون البيزاوى فى عكا ثلث عائد ميناء طرابلس واعفاء من الضرائب فى مقابل خمسمائة بيزنط ، تاريخ تحريرها : يناير ١١٩٤م/ربيع أول ٥٩٠ هـ .
Rohricht, Regsta, no. 718, p. 192

بوهيمند الرابع : وثيقة نصها : يعقد بوهيمند الرابع كونت طرابلس اتفاق السلام مع البيزاوية مقابل تسعة آلاف بيزنط ، مع التعهد بعدم اعتقال البيزاوية الموجودين في طرابلس المسؤولين عن الاضرار التي ألحقها بنو وطنهم بالمدينة ، تاريخ تحريرها : ٢٦ أغسطس ١١٩٩م / ٢ ذى القعدة ٥٩٥ .

Rohricht, Regsta, no. 769, p. 205.

بوهيمند الرابع : وثيقة نصها : يؤكد بوهيمند الرابع أمير انطاكية وكونت طرابلس للبيزاوية كل الامتيازات التي منحتم اياها الاميرة كونستانس ، ويمنحهم أيضا اعفاء من نصف قيمة الرسوم الجمركية المقررة على السلع في مدينة انطاكية ، تاريخ تحريرها : ١٢٠٠م / ٥٩٦ هـ .

• Rohricht, Regsta, no. 769, p. 205.

ريموند روبين : وثيقة نصها : يؤكد ريموند روبين أمير انطاكية للبيزاوية كل المنح التي قدمها اليهم كل من بوهيمند الثالث وكونستانس ، تاريخ تحريرها : ابريل ١٢١٦م / محرم ٦١٣ هـ .

Rohricht, Regsta, no. 886, pp. 238-239.

بوهيمند الخامس : وثيقة نصها : يؤكد بوهيمند الخامس أمير انطاكية وكونت طرابلس للبيزاوية المنح التي قدمها اليهم من قبل ريموند الثالث كونت طرابلس وبوهيمند الرابع ، تاريخ تحريرها : مارس ١٢٣٣م / جماد أول ٦٣٠ هـ .

Rohricht, Regsta, no. 1041-1042, pp. 272.

الملحق الخامس

قائمة بأسماء أمراء انطاكية

والاوصياء عليها من ملوك بيت المقدس وتواريخ حكمهم
بالتقويمين الميلادى والهجرى ابان الفترة الزمنية موضوع البحث..

- | | |
|--|---------------------------------|
| ١ - بوهيمند الاول | (١٠٩٨ - ١١٠٠م / ٤٩٢ - ٤٩٤ هـ) |
| ٢ - تنكريد (وصى) | (١١٠٠ - ١١٠٣م / ٤٩٤ - ٤٩٧ هـ) |
| ٣ - بوهيمند الاول | (١١٠٣ - ١١٠٤م / ٤٩٧ - ٤٩٨ هـ) |
| ٤ - تنكريد | (١١٠٤ - ١١١٢م / ٤٩٨ - ٥٠٦ هـ) |
| ٥ - روجر دى سالرنو | (١١١٢ - ١١١٩م / ٥٠٦ - ٥١٢ هـ) |
| ٦ - الملك بولدوين الثانى (وصى) | (١١١٩ - ١١٢٦م / ٥١٣ - ٥٢٠ هـ) |
| ٧ - بوهيمند الثانى | (١١٢٦ - ١١٣٠م / ٥٢٠ - ٥٢٥ هـ) |
| ٨ - الملك بولدوين الثانى (وصى) | (١١٣٠ - ١١٣١م / ٥٢٥ - ٥٢٦ هـ) |
| ٩ - الملك فولك الانجوى (وصى) | (١١٣١ - ١١٣٦م / ٥٢٦ - ٥٣١ هـ) |
| ١٠ - ريموند بواتييه | (١١٣٦ - ١١٤٩م / ٥٣١ - ٥٤٤ هـ) |
| ١١ - الملك بولدوين الثالث (وصى) | (١١٤٩ - ١١٥٣م / ٥٤٤ - ٥٤٨ هـ) |
| ١٢ - رينودى شاتيون | (١١٥٣ - ١١٦٠م / ٥٤٨ - ٥٥٥ هـ) |
| ١٢ - الملك بولدوين الثالث (وصى) | (١١٦٠ - ١١٦٢م / ٥٥٥ - ٥٥٨ هـ) |
| ١٤ - الملك عمورى الاول | (١١٦٢ - ١١٦٣م / ٥٥٧ - ٥٥٨ هـ) |
| (وصى) | |
| ١٥ - بوهيمند الثالث | (١١٦٣ - ١٢٠١م / ٥٥٨ - ٥٩٧ هـ) |
| ١٦ - بوهيمند الرابع +
كونتية طرابلس | (١٢٠١ - ١٢١٦م / ٥٩٧ - ٦١٣ هـ) |
| ١٧ - ريموند روبين الارمينى | (١٢١٦ - ١٢١٩م / ٦١٣ - ٦١٦ هـ) |
| ١٨ - بوهيمند الرابع +
كونتية طرابلس | (١٢١٩ - ١٢٣٣م / ٦١٦ - ٦٣٠ هـ) |
| ١٩ - بوهيمند الخامس +
كونتية طرابلس | (١٢٣٣ - ١٢٥١م / ٦٣٠ - ٦٤٩ هـ) |
| ٢٠ - بوهيمند السادس +
كونتية طرابلس | (١٢٥٢ - ١٢٦٨م / ٦٤٩ - ٦٦٦ هـ) |

الملحق السادس

قائمة بأسماء بطاركة انطاكية نقلا عن :

Bernard Hamilton, The Latin Church in the Crusader states, The Secular Church, London, 1980, pp. 373-375.

١ - بطاركة انطاكية اللاتين (الكاثوليك)

- | | |
|-------------------|-------------------------------------|
| (١١٠٠ - ١١٣٥ م) | ١ - برنارد أوف فالنس |
| (١١٣٥ - ١١٤٠ م) | ٢ - رالف أوف دمفرننت |
| (١١٤٠ - ١١٩٣ م) | ٣ - ايمرى أوف ليموج |
| (١١٩٣ - ١١٩٦ م) | ٤ - رالف الثانى |
| (١١٩٦ - ١٢٠٨ م) | ٥ - بطرس الاول أوف أنجوليم |
| (١٢٠٩ - ١٢١٧ م) | ٦ - بطرس الثانى أوف افريا |
| (١٢١٧ - ١٢١٩ م) | ٧ - بطرس اوف كابوا (بطريرك منتخب) |
| (١٢١٩ - ١٢٢٥ م) | ٨ - رينيه |
| (١٢٢٧ - ١٢٤٦ م) | ٩ - ألبرت أوف ريزاتو |
| (١٢٤٧ - ١٢٩٢ م) | ١٠ - أوبيزو دى فيتشى |

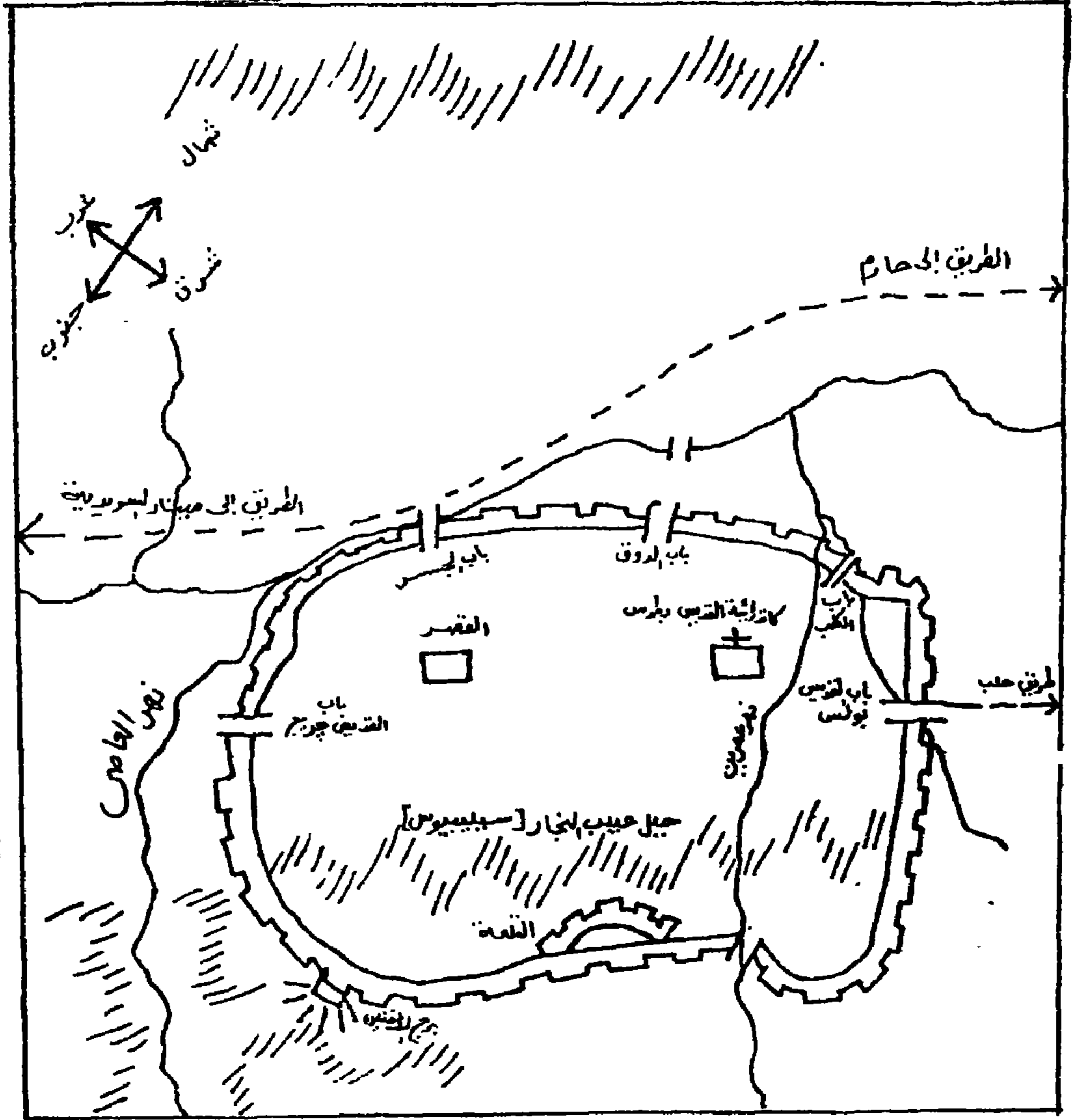
٢ - بطاركة انطاكية اليونانيين (الارثوذكس)

- | | |
|--------------------------|--|
| (١٠٨٨ / ١٠٩١ - ١١٠٠ م) | ١ - حنا الرابع |
| (١١٠٦ - ١١٣٤ م) | ٢ - حنا الخامس |
| (١١٣٧ / ١١٣٨ - ١١٥٦ م) | ٣ - لوقا |
| (١١٥٦ - ١١٥٧ م) | ٤ - سوتريكوس بانتيوخينوس
(بطريرك منتخب) |
| (١١٥٧ - ١١٧٠ م) | ٥ - اثناسيوس الثالث |
| (١١٧٣ - ١١٧٩ م) | ٦ - سيريل الثانى |
| (١١٨٩ - ١١٩٥ م) | ٧ - تيودور الرابع بالزامون |
| (١٢٠٦ - ١٢٣٩ م) | ٨ - سمعان الثانى |
| (١٢٤٥ - ١٢٥٨ م) | ٩ - داود |
| (١٢٥٨ - ١٢٧٤ م) | ١٠ - يوثيميوس الاول |
| (١٢٧٨ - ١٢٨٣ / ١٢٨٤ م) | ١١ - ثيودوسيوس الخامس
أوف فيلها ردوين |
| (١٢٨٣ / ١٢٨٤ - ١٢٨٦ م) | ١٢ - أرسنيوس |
| (١٢٨٧ - ١٣٠٨ م) | ١٣ - سيريل الثالث |

٣ - بطاركة انطاكية اليعاقبة

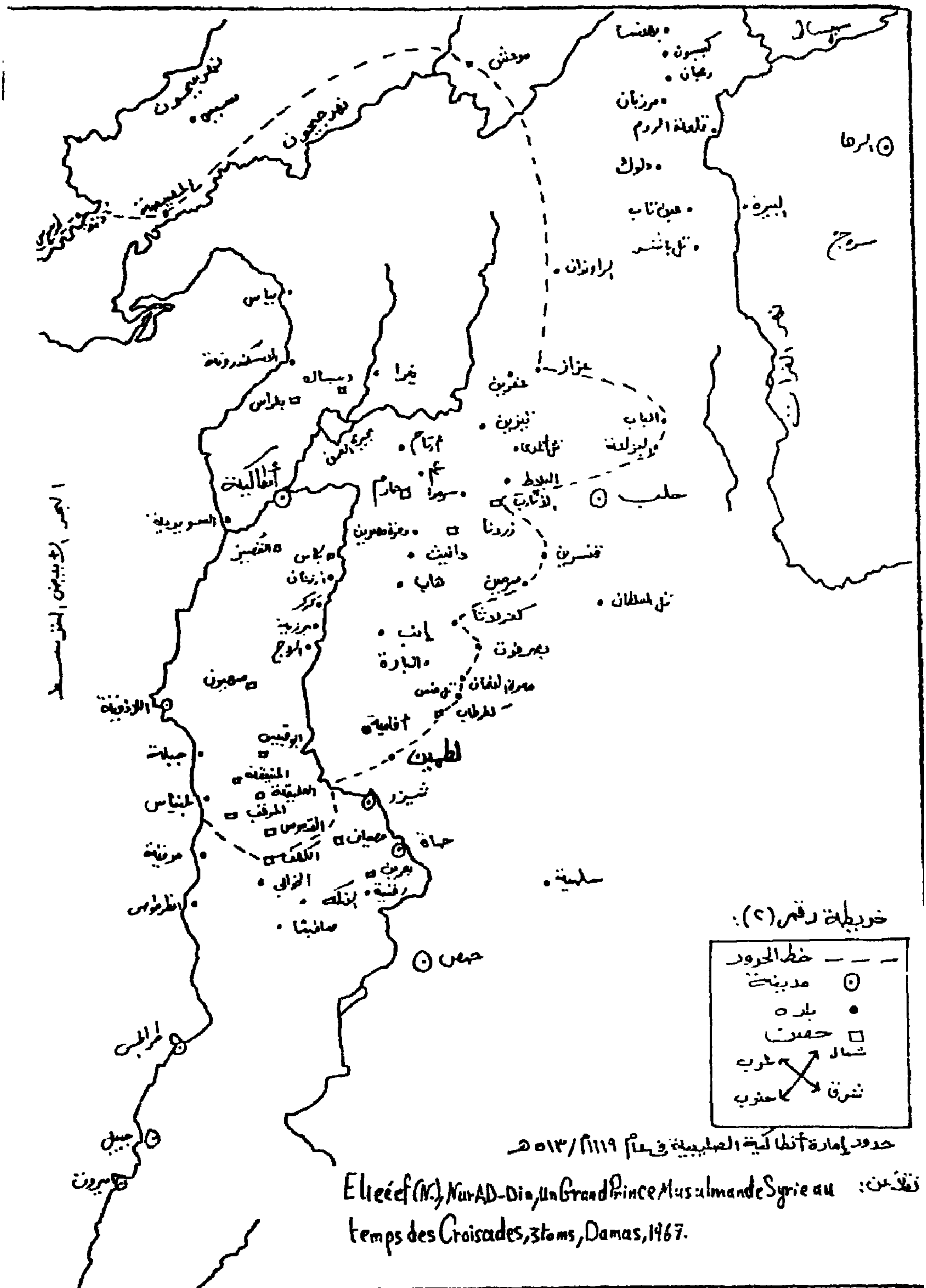
- | | |
|-------------------|----------------------------|
| (١٠٩٠ - ١١٢٩ م) | ١ - اثناسيوس السابع |
| (١١٣٠ - ١١٣٧ م) | ٢ - حنا الثانى عشر |
| (١١٣٨ - ١١٦٦ م) | ٣ - اثناسيوس الثامن |
| (١١٦٦ - ١١٩٩ م) | ٤ - ميخائيل الاول السريانى |
| | (المؤرخ) |
| (١١٩٩ - ١٢٠٧ م) | ٥ - اثناسيوس التاسع |
| (١٢٠٨ - ١٢٢٠ م) | ٦ - حنا الرابع عشر |
| (١٢٢٢ - ١٢٥٢ م) | ٧ - اجناتىوس الثانى |
| (١٢٥٢ - ١٢٦١ م) | ٨ - ديونيسيوس السابع |
| (١٢٥٢ - ١٢٦٣ م) | ٩ - حنا الخامس عشر |
| (١٢٦٤ - ١٢٨٢ م) | ١٠ - اجناتىوس الثالث |
| (١٢٨٣ - ١٢٩٢ م) | ١١ - اجناتىوس الرابع |
| | فيلوكسينوس |

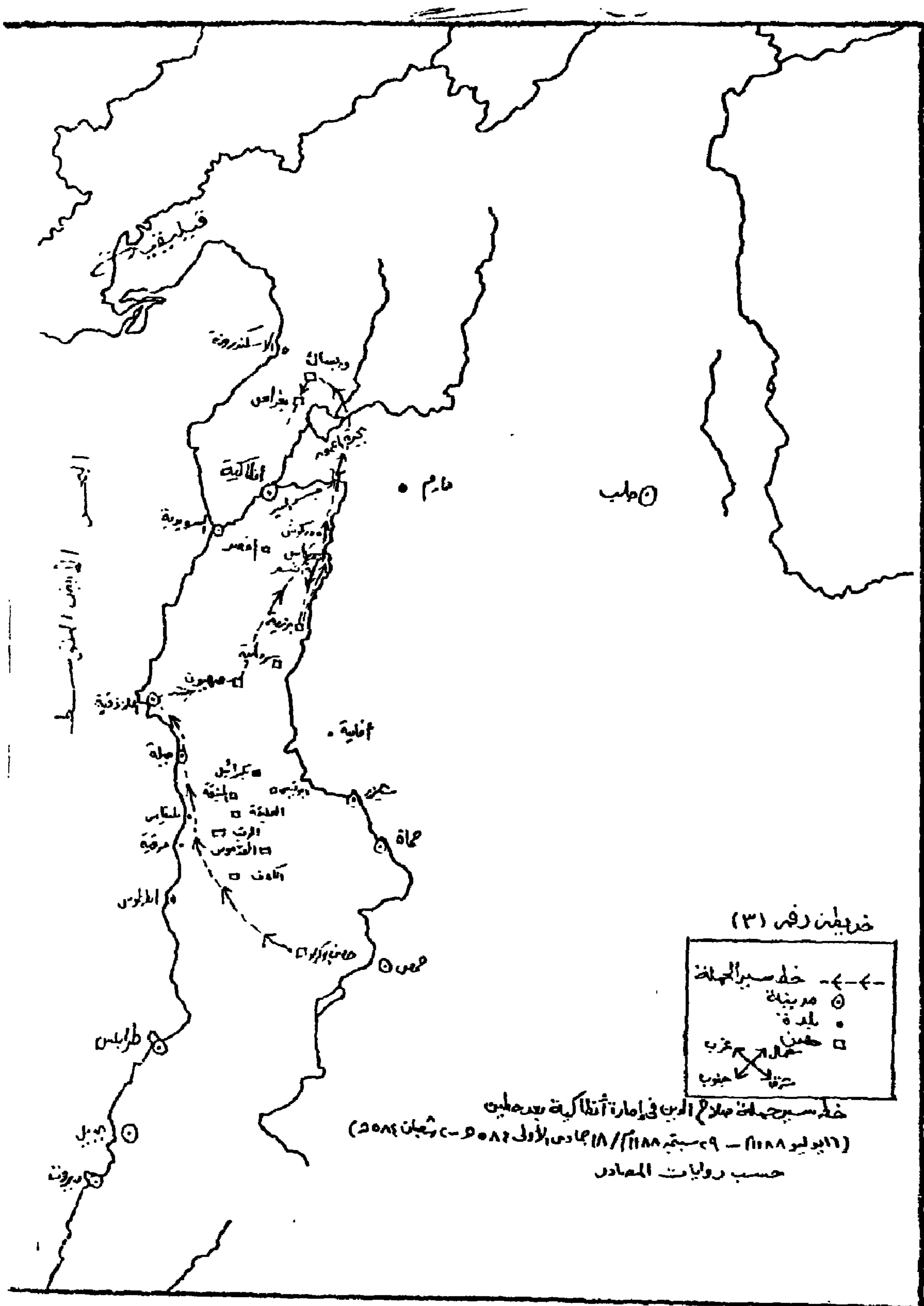
رسم رقم (١)



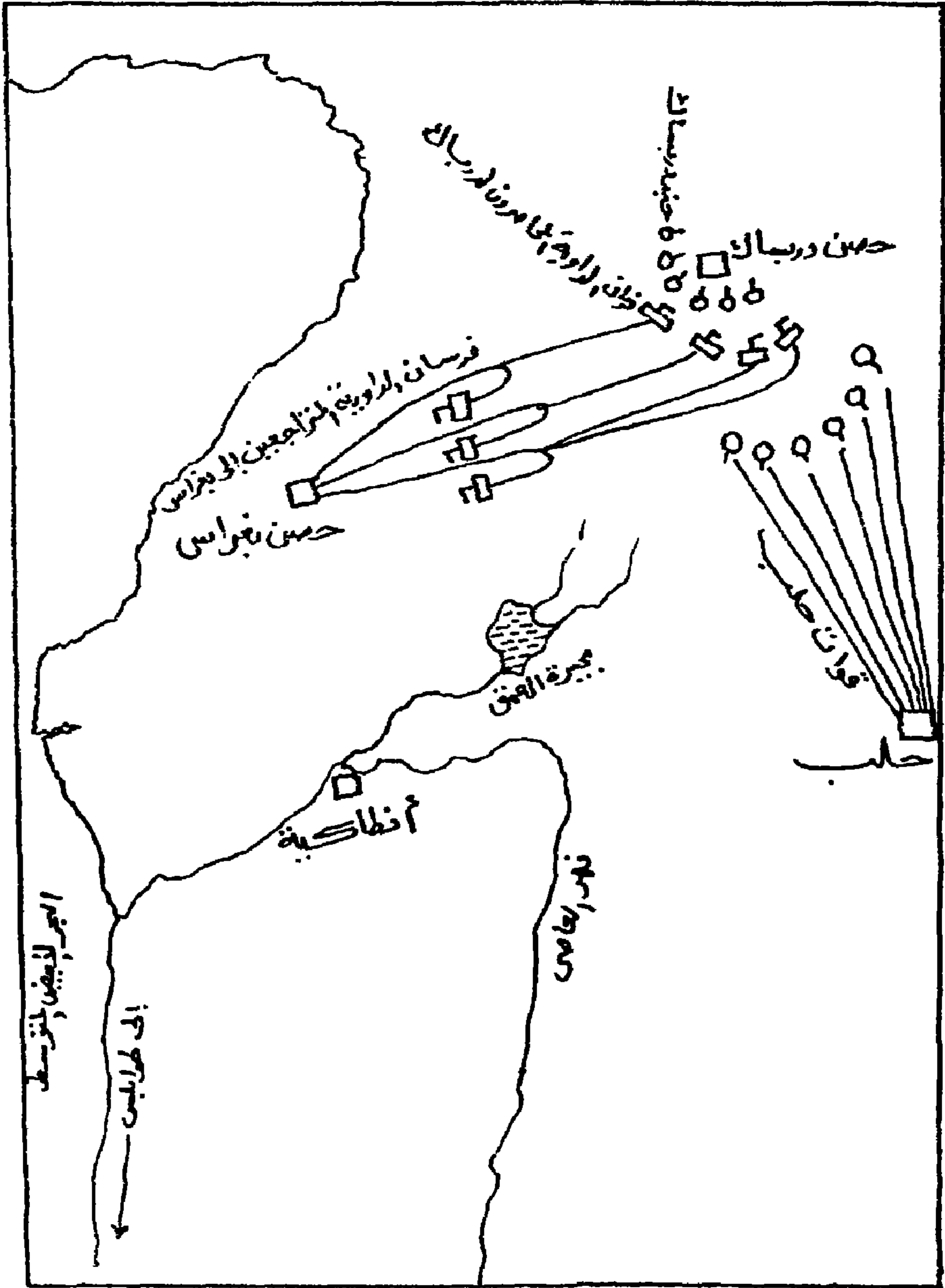
رسم تخطيطي لمدينة أنزاكية في العصر الصليبي (١٠٩٨-١٢٩٦/١٢٦٦ هـ).

نقل عن: Oman (ch.), A History of the Art of War in the Middle Ages, vol. 1, p. 285.





خريطة دقه (٥)



هزيمة الداوية خارج دريساك ومقتل وليم مونتفيران قائد الداوية بأنطاكية.

يونيو - ١١٢٣ / ذوالحجة ٥٦٣ هـ.

طبقا لوصف المؤرخين المعاصرين.

ثبت المراجع

بيان بالمختصرات

- ١ - مجموعات الحروب الصليبية
- ٢ - المخطوطات والمخطوطات المصورة
- ٣ - المصادر الاصلية الاوربية
- ٤ - المصادر الاصلية العربية
- ٥ - المراجع الثانوية الاوربية
- ٦ - المراجع الثانوية العربية

بيان بالمختصرات

A.R.	—	Analecta Bolandiana.
A.O.L.	—	Les Archives de L'Orient Latin
A.H.R.	—	American Historical Review
Ann.T.S.	—	Annales de Terre Sainte.
A.R.A.H.A.	—	Annual Reports of The American Historical Association.
B.	—	Byzantion.
B.E.O.	—	Bulletin des Etudes Orientale.
B.F.L.S.	—	Bulletin de La Faculté des Lettres de Strasbourg
B.I.H.R.	—	Bulletin of the Institute of Historical Research.
B.J.R.L.	—	Bulletin of John Rylands Library.
B.S.O.A.S.	—	Bulletin of School of Oriental and African Studies.
B.P.I.A.S.A.	—	Bulletin of the Polish institute of Arts and Science in America.
C.A.J.	—	Central Asian Journal.
C.E.H.	—	Cambridge Economic History.
C.H.J.	—	Cambridge Historical Journal.
C.H.R.	—	The Catholic Historical Review.
Chron.Anon.Syr.	—	Anonymous Syriac Chronicle.
C.S.H.B.	—	Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae.
D.O.P.	—	Dumbarton Oaks Papers.
D.H.G.E.	—	Dictionnaire d'Histoire et de Géographie ecclésiastiques.
D.T.C.	—	Dictionnaire de Theologie Catholique.
E.C.R.	—	Eastern Church Review.
E.H.R.	—	English Historical Review.
G.D.F.	—	Bongars, Gesta Dei Per Francos.
H.J.A.S.	—	Harvard Journal of Asiatic Studies.
I.C.	—	Islamic Cultur.
J.A.	—	Journal Asiatique.
J.A.H.	—	Journal of Asian History.
J.A.O.S.	—	Journal of the American Oriental Society.
J.E.H.	—	The Journal of Ecclesiastical History.
J.E.S.H.O.	—	Journal of Economic and Social Hitory of the Orient.
J.J.S.	—	Journal of Jewish Studies.
J.M.S.	—	Journal of Medival Studies.
J.R.A.S.	—	Journal of Royal Asiatic Society.

J.S.	— Journal des Savants.
J.S.S.	— Journal of Semetic Studies.
M.G.H.SS.	— Monumenta Germaniae Historica, Scriptorum.
M.H.	— Mediaeval History.
M.S.	— Mediaeval Studils.
P.E.F.	— Palestine Exploration fund.
P.G.	— J.P. Migne, ed, Patrologia Graeca.
P.L.	— J.P. Migne, ed, Patrologia Latina.
P.O.	— Patrologia Orientale.
P.P.T.S.	— Palestine Pilgrims Texte Society.
Q.J.E.	— Quarterly Journal of Economics.
R.H.	— Revue Historique.
R.H.C.Doc.Arm.	— Recueil des Historiens des Croisades, Documents Armeniens.
R.H.C.6Lois	— Recueil des Historiens des Croisades, Les Assises de Jérusalem.
R.H.C.-H.Occ.	— Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux.
R.H.E.,	— Revue d'Histoire Ecclesiastique.
R.O.C.	— Revue de L'Orient Chrétien.
R.O.L.	— Revue de L'Orient Latin.
R.S.	— Rolls Series.
S.C.H.	— Studies in Church History.
S.G.	— Studia Gratiana.
S.E.	— Sacris Erudiri.
S.I.	— Studia Islamica.
S.M.	— Studia Medivalia.
S.V.	— Studi Venziani.
T.R.H.S.	— Transaction of the Royal Historical Society.

١ - مجموعات الحروب الصليبية

- Bongars, J. (ed.), Gesta Dei Per Francos, rive Orientalium a Peditionum et regni Francorum Hierusalimitani historia (ab a. 1095 ad 1220) avoriis sed illius aevi scriptoribus. litteris. 2 t. Hanover. 1612.
- Bouquet t. M. (ed.), Recueil des Historiens des Gaules et de la France, 24 Vols. Paris, 1738-1904.
- Recueil des Historiens de Croisades-Document Arméniens, 2 tomes, Paris, 1869-1906.

- Recueil des Historiens des Croisades-Historiens Occidentaux, 5 tomes, Paris, 1844-1895.
- Recueil des Historiens des Croisades-Louis, 2 tomes, Paris, 1841-1843.
- Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, 160 Vols, Bonn, 1828-97.
- Les Archives de L'Orient Latin, Publiée Par La Société de L'Orient Latin, 2 Vols, Paris, 1881 et 1887, Textes, inventaires, et études Originales.
- Palestine Pilgrims Texts Society. 13 Vols. and general Index, London, 1887-1897.
- Revue de L'Orient Latin, Publiée Sous La direction de MM. Le Marquis de Vogüé et Ch. Schefer. Paris, 1893-1911.
- Revue de L'Orient Chrétien, dirigée Par R. Graffin et F. Nau. Paris, 1906-1924.

٢ - المخطوطات والمخطوطات المصورة (١)

والميكروفيلم

ابن الجوزى (سبط) (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٧م) أبو المظفر شمس الدين يوسف ابن قزأوغلى :

« مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان » - ج ٨ - مكتبة بلدية الاسكندرية - رقم ١٧٨ ب .

ابن الفرات (ت ٩٠٧هـ / ١٥٠١م - ٢م) ناص الدين محمد بن عبد الرحيم بن على :

« تاريخ الدول والملوك » - ١٨ مجلدا - دار الكتب المصرية - رقم ٣١٩٧ تاريخ - « تصوير شمسى » .

ابن منكلى (ت ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م - ٧م) محمد بن منكلى :

« كتاب الاحكام المملوكية والضوابط الناموسية فى فن القتال فى البحر » - مكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية - رقم ٩م « تصوير شمسى » .

أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى :

« المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » - ٣ ج - دار الكتب المصرية - رقم ٣٥٥ تاريخ .

بدر الدين الدمشقى (عاش فى القرن الثانى عشر م / القرن السادس هـ) بدر الدين الدمشقى :

« الدر الثمين فى سيرة نور الدين » مكتبة بلدية الاسكندرية - رقم ١٣٣٦ .

بيبرس الدوادار (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) الامير ركن الدين بيبرس المنصوري :

« زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة النبوية » - ج ٩ - ويبدأ بأحداث عام ٥٥٩هـ ، وينتهي بأحداث عام ٧٤١هـ ، ويقع في ٢٥٣ صفحة - مكتبة البودليان باكسفورد رقم ٣٢٤ - ميكرو فيلم .

شافع بن على (ت ٧٣٠هـ / ١٢٣٠م) ناصر الدين شافع بن على بن عباس ابن اسماعيل بن عساكر الكنانى المصرى :

١ - « حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية » - دار الكتب المصرية - رقم ٢٢٢٤ - تاريخ .
٢ - « الفضل المنثور في سيرة الملك المنصور » - مكتبة البودليان باكسفورد - رقم ٤٢٤ - ميكرو فيلم .

الصفدى (عاش في القرن الثامن الهجرى / القرن الرابع عشر الميلادى)
« تاريخ مصر » مكتبة المتحف البريطانى - رقم ٥٥١٢ -
« ميكرو فيلم » .

الاصفهانى (ت ٥٩٧ / ١٢٠١م) عماد الدين محمد بن حامد :
« البرق الشامى » - ٣ ج - مكتبة البودليان باكسفورد -
تصوير شمعى .

العسقلانى (ب ٨٧٦هـ / ١٤٧١م) أبو البركات عز الدين أحمد ابن ابراهيم بن نصره الله الكنانى العسقلانى المصرى :

« شفاء القلوب في مناقب بنى أيوب » مكتبة المتحف البريطانى - رقم ٥٤٤٩ - « ميكرو فيلم » .

العمري (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) ابن فضل الله :

« مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » - ج ٢٧ في ٤ أقسام - دار الكتب المصرية - رقم ٥٦٠ - معارف عامة -
« تصوير شمعى » .

العيني (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد
بن موسى :

« عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان » - ٢٣ ج - دار
الكتب المصرية ، رقم ٨٢٠٣ ح .

الكتبي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) محمد بن شاکر بن أحمد عبد عبد الرحمن
فخر الدين :

« عيون التواريخ » - ١٦ مجلد ا يهمننا منها مجلد مكتوب
عليه أنه الجزء العشرون ، ويبدأ من ٦٤٥هـ وينتهي الى
٦٧٠هـ - دار الكتب المصرية رقم ١٩٤٧ تاريخ - « تصوير
شمسي » .

النعيمة (عاش في القرن ١٠م / ١٦هـ) .

« ارجوزة في الخلفاء والسلطين أمراء المؤمنين » - مكتبة
المتحف البريطاني - رقم ٥٨٢٣ - « ميكرو فيلم » .

النويري الكندي (ت ٧٣٢هـ / ٣٣٢م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب
ابن محمد :

« نهاية الأرب في فنون الأدب » - ٥٥ مجلدا - دار الكتب
المصرية - رقم ٥٤٩ معارف عامة - « تصوير شمسي » .

٣ - المصادر الاصلية الاوربية

- Aegido Aureavallensis, Gesta Episcoporum Leodiensium, in M.G.H.SS., Vol. XV.
- Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana, in R.H.C.-H.Occ., Vol. IV.
- Albéric des Trois Fontaines, Chronicon, in M.G.H.S., Vol. XXIII,
- Amadi, Chroniques d'Cypre d'Amadi et de Strambaldi, ed., R. de Mas Latrie, 2 Tomes Paris, 1891-1893.
- Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart, Trans from the Old French by Merton Jerome Hubert, with notes and documentation by J.L. La Monte, New-York, 1941.
- Andrew Marchianensis, Historia Regum Francorum, in M.G. H.SS., Vol. XXVI.
- Annales Colonienses, in M.G.H.SS., Vol. XVII.
- Annales de Burton, ed. H.R. Lard, in Annales Monastici, I (R.S. 36), London, 1864.
- Annales Danstaplia, in M.G.H.SS., Vol. XVII.
- Annales Marbacenses, in M.G.H.SS., Vol. XVII.
- Annales Placentini, in M.G.H.SS., Vol. XVIII.
- Annales Stadenses, in M.G.H.SS., Vol. XII.
- Annales Weverley, in M.G.H.SS., Vol. XVII.
- Anne Comnen, The Alexiad, English trans; by Elezabeth Dawes, London, 1928.
- Anonymi Gesta Francorum Hierosolimitanorum (ed. by Rosalind Hill. as The Deeds of The Franks and The other Pilgrims to Jerusalem), London, 1962.
- Anonymous Syriac Chronicle (ed. by A.S. Tritton) in J.R. A.S. London, 1933.
- Ansbert, Expositio Friderici, in Quellen sur Geschichte des Kreuzzuges Kaiser Friedrichs I, ed. A. Chroust, in M.G.H., Berlin, 1892.
- Anselm of Ribemont, Letter of Anselm to Manases Archbishop of Reims, in Hagenmeyer (H.), Die Kreuzzugsbriefe, Heidelberg, 1901, pp. 156-160.

- Arnold of Lubeck, *Chronica Slavorum*, in M.G.H.SS., in *Usum Scholarum*, Hanover, 1868.
- Bar Hebraeus, *The Chronography*, ed. and trans. by E.A. Wallis Budge, 2 Vols; Oxford, 1932.
- Benedict of Peterbrough, *Gesta Regis Henrici Secundi*, ed. W. Stubbs, 2 Vols, in R.S., London, 1867.
- Beshada (Gregory), *Chanson d'Antioche en Provençal*, French trans by P. Meyer, in A.O.L., Vol. I.
- Bohemond VI (Prince of Antioch), Letter of Bohemond VI Prince of Antioch to Henry III King of England (14 May, 1255), in *Annales de Burton*, pp. 369-371.
- Boso, *Life of Alexander III*, Trans. by G.M. Ellis, Oxford, 1973.
- Burchard of Mount Sion, *Description of the Holy Land*, English trans, by M.A. Aubrey Stewart, in P.P.T.S., Vol. XII, London, 1896
- Caffaro de Cashifellone, *De Liberatione Civitatum Orientis Liber*, in R.H.C.-H.Occ., Vol. V.
- *Annales Januensis*, in M.G.H.SS., Vol. XVIII.
- Chang Te (Si Shiki), *Record of an Embassy to the regions in the West*, trans. by E. Bretschneider, in *Meieaval Researches*, Vol. I, London 1888.
- *Cartulaire de St. Lazzare*, ed. De Masy, in A.O.L., t, 2.
- Charles D'Anjou, *Lettre des Chrétiens de Terre Saint à Charles d'Anjou* (22 April, 1260), ed. Delaborde, in R.O.L. Vol. 2, Paris, 1894.
- *Chronica de Mailros*, ed. A and M. Anderson; London, 1936.
- *Chronica Regia Coloniensis*, in M.G.H.SS., in *Usum Sclorum*, Hanover, 1880.
- Cinamus (John), *Epitome Historiarum*, in C.S.H.B., Bonn, 1836.
- *Deeds of John and Manuel Comnenus*, trans by Charles M. Brand, New York, 1976.
- *Continuation de Guillaum de Tyre*, ed. M.R. Morgan, (in *Documents Relatifs a L'Histoire des Croisades*), Paris, 1982.

- De Expognatione Terrae Sanctae Per Saladinum Libellus, ed. W. Stubbs, in R.S., London, 1871.
- De Vitry (Jaques), History of Jerusalem, English trans. by Aubrey Stewart, in P.P.T.S., Vol. LX, London, 1897.
- Lettres de Jacques de Vitry (1160 : 70-1240), évêque de Saint-Jean d'Acre, ed. R.B.C. Huygens, Leiden, 1960.
- Ekkhard of Aura, Hierosolymita, in R.H.C.-H.Occ., Vol. V.
- Epistolae de Morte Friderici Imperatoris, in Quellen Geschichte des Kreuzzuges Kaiser Friderici I, ed. A. Chroust, in M.G.H., Berlin, 1892.
- Eracles, L' Estoire d'Eracles, empercur et la conquete de La Terre d'Outremer, in R.H.C.-H.Occ, Vol. 1, 11.
- Fulcher of Chartres, Gesta Francorum Iherusalem (ed. by Frances Rita Rayan as A History of the Expedition to Jerusalem), Tennessee, 1969.
- Gerold, (Patriarch of Jerusalem), Letter of Gerold to Pope Gregory IX (18 Feb. 1229), in Historia Diplomatica Friderici Secundi, Vol. 3, pp. 86-90.
- Gesta Regis Recardi, ed. W. Stubbs, in R.S., London, 1967.
- Gregory IV D'gha (Catholicus), Elegy on the Fall of Jerusalem, in R.H.C-Doc. Arm., Vol. 1.
- Gregory The Priest, Continuation of Matthew of Edessa's Chronicle, in R.H.C.Doc. Arm. Vol. 1.
- Gregory IX, Pope, Les Registres, ed. L. Auvray (Bibliothèque des Ecoles françaises d'Athènes et de Rome, sér. 2, 3 Vols. Paris, 1896-1955.
- Grigor of Akanc, History of the Nation of the Archers (The Mongols), ed. and trans. by R.P. Blake and R.N. Frye, in H.J.A.S., Vol. 12, 1949.
- Hayton, La Flor de Estoire de La Terre d'Orient, in R.H. C.-Doc. Arm., Vol. 2.
- Table Chronologique, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1.

- Hermann of Salza (Master of the Theutonic Order), Letter of Hermann of Salza to Pope Grigory IX (21 Mar. 1229), in *Historia Diplomatica Friderici Secundi*, Vol. 3, pp. 90-93.
- Héthoum II le Roi, Poème, in *R.H.C.-Doc. Arm.*, Vol; 1.
- *Historia Diplomatica Friderici Secundi*, (ed. J.L.A. Huillard-Breholles), 7 Vols, Paris, 1851-1862.
- Histoire des Patriarches d'Alexandrie, Extraites ed. Blochet, in *R.O.L.*, Vol. XI, Paris, 1908.
- Honorius III, Pope, *Regesta Honorii Papae III*, ed. P. Pressutti, 2 Vols. Rome, 1888-95.
- Hulegu, An Unknou Letter of Hulegu, IL-Khan of Persia to King Louis IX of France, ed. Paul Meyvaert, in *Viator*, Vol. 11, 1980, pp. 245-261 (The Letter pp. 252-259).
- Innocent IV, Pope, *Registres*, ed. Berger, (Bibliothèque des Ecoles Françaises d'Athènes et de Rome, sér. 2) 4 Vols., Paris 1884-1921.
- Innocent III, Pope, *Regesta*, in *P.L.* Vol. 214-217.
- *Itinerarium Peregrinorum et gesta regis Ricardi*, ed. W. Stubbs, in *R.S.*, London, 1865.
- Joannes Phocas, *Comperdiaria Descriptic Castrorum et Urbium ab Urbe Antiochio Usque Hierosolymam nec non Sacrorum Locorum Syriae, Phoeniciae, et in Palaestina*, in *P.G.*, Vol. 133.
- John of Pian De Carpine, *The Journey of Frair John of Pain De Carpine as narrated by Himself*, ed. and trans. by W.W. Rockhill, Hakluyt Society, Ser. 2, Vol. 4, London, 1900.
- Joinville (Jean de), *Chronicle of the Crusade of St. Lewis*, ed. and trans. By Frank Marzials, London 1965.
- Juvaini (Ala-adin Ata Malik), *The History of the world Conquerors*, trans. by J.A. Boyle, 2 Vols, Manchester, 1958.
- Kirakos de Ganjak, *Histoire d'Arménie (Extrait)* ed. M. Dulaurier, in *J.A.*, Vol. LXI, 1858.

- *Histoire d'Arménie*, in *R.H.C.-Doc. Arm.* Vol. 1.
- Le Raulx (D.), ed., *Inventaire de Pièces de L'ordre L'Hopital*, in *R.O.L.*, Vol. 3, Paris, 1895.
- ed., *Cartulair général de L'ordre des Hospitliers de St. Jean de Jerusalem (1100-1310)*, 4 Vols, Paris, 189-19066.
- *Les Gestes des Chiprois*, in *R.H.C.-Doc. Arm.*
- *Magnus Presbyterus, Chronica*, in *M.G.H.SS.*, Vol. XVII.
- *Magnus Rotulus Pipae de Anno Vicesimo Quinto Regis Henrici Secundi (1178-1179)*, in *Pipe Rolls Collection*, Vol. 28, London, 1906.
- *Makhaeras, Recetel Concerning the Sweet Land of Cyprus, entitled Chronicle* (ed. and trans. by Dawkins), 2 Vols, Oxford, 1932.
- *Marino Sanudo-Sanuto, Liber Secretorum fidelium Crucis*, ed. J; Bongars, in *G.D.F.*, Vol. 2.
- *Marko Polo, The Description of the world*, ed. A.C. Moule and Paul Pelliot, London, 1938.
- *Matthew of Edessa, Chronicle*, in *R.H.C.-Doc. Arm.* Vol. 1.
- *Matthew Paris, Chronica Majora*, ed H.R. Luard, in *R.S.*, 7 Vols, London, 1872-1882.
- *Michel Les Syrien, Chronique*, ed. en Français, Par J.B. Chabot, 4 tomes, Paris, 1899-1924.
- *Mousket, Historia rerum Francorum*, in *R.H.G.F.*, Vol. XXII.
- *Neophytus, de Calamitatibus Cypri*, (in Preface to *Itinerarium Regis Recardi*) in *R.S.*, London, 1871.
- *Nersses Shnorhali (Catholicus), Elegie Sur la Prise D'Edesse*, in *R.H.C.-Doc. Arm.*, Vol. 1.
- *Nicetas Coniates, Historia*, in *C.S.H.B.*, Bonn, 1836.

- Odo of Deuil, *De Profectione Ludovici VII in Orientem* trans by V.G. Berry, New York, 1948.
- Oliver of Paderborn, *Historia Damiatana*, trans. by J. Gavigan as *The Capture of Damietta*, Philadelphia, 1948.
- Otto of Fresing. *Chronicon Continuatio Sancti Blasiani*, in M.G.H.SS., Vol. XX.
- Orderic Vitalis *Historia Ecclesiastica*, ed. and trans. by M. Chibnall, 6 Vols, Oxford, 1969-1978.
- Philip of Novara, *Le Livre de forme de Plait*, in R.H.C. Lois, Vol. 1.
- Potthast, C.A.S., ed. *Regesta Pontificum Romanorum*, 2 Vols., Berlin, 1873-1875.
- Radulph of Caen, *Gesta Tancredi Siciliae Regis in Expeditione Hierosolymitana*, in R.H.C.-H.Occ., Vol. III.
- Radulph of Diceto, *Opera Historica*, ed. W. Stubbs, in R. S. 2, Vols., London, 1876.
- Raimond d'Agile, *Historia Francorum qui ceperunt Jerusalem*, in R.H.C.-H.Occ., Vol. III.
- Ralph Niger, *Chronica Universali*, in M.G.H.SS., Vol. XXVII.
— *Chronica Anglica*, in M.G.H.SS., Vol. XXVII.
- Richard of Devize, *De Rebus Gestis Ricardi Primi*, 3 (in *Chronicles*, ed. Hollett, 4 Vols) in R.S., London 1885-1890.
- Rigord, *Gesta Philippi II Augusti*, in M.G.H.SS., Vol., XXVI.
- Robert d'Auxerre, *Chronicon*, in M.G.H.SS., Vol. XXVI.
- Robert of Clary, *The Conquest of Constantinople*, trans. by F.H. Mc Neel, New York, 1966.
- Roger of Hoveden, *Chronica*, 4 Vols, ed. W. Stubbs, in R.S. London, 1868-1871.
- Rohricht (R.), ed., *Regesta Regni Hierosolymitani*, 2 Vols; Innsbruck, 1893-1904.

- Rothelin, Continuation de Guillaum de Tyr de 1229 à 1261, dite du manuscrit de Rothelin, in R.H.C. H.Occ. Vol. 2.
- Samuel D'Ani, Chronographie, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 11.
- Sempad Le Connétable, Chronique, in R.H.C.-DOc. Arm. Vol. 1.
- Sicard of Cremona, Chronicon, in M.G.H.SS., Vol. 31.
- Stephen of Blois, Letter of Stephen of Blois, in Hagenmyer (H.), Die Kreuzzugsbriefe, Heidelberg. 1201, pp. 149-152.
- Tabulae Ordinis Theutonici, ed. Ernest Strehlke, Berlin, 1869.
- Tafel (G.L.) and Thomas (G.M.), Urkunden Zur alteren Handels und staatsgeschichte der Republik venedig, 3 Vols, Vienna, 1856-1857.
- Thomas Berard, Letter of Thomas Berard Master of the Temple to Amadeus Preceptor of the Temple in England, (4 Mar. 1260), in Annales de Burton, pp. 491-495.
- Thomas Agni, Letter of Thomas Agni the Papal Legate to all kings, Princes, archbishops, etc., (April 1260), in Menkonis chronicon, in M.G.H.SS., Vol. XXIII, pp. 547-549.
- Urban IV, Pope, Registres, ed. J; Guiraud, (Bibliothèque des Ecoles Françaises d'Athènes et de Rome, ser. 4 Vols., Paris, 1901-1929.
- Vahram Rabuni, Chronique Rimée des Rois de La Petite Arménie, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1.
- Chronicle of the Armenian Kingdom in Cilicia, ed. and trans. by C.F. Neumann. in Translations ' from the Chinese and Armenian. London, 1831.
- Vahram d'Edesse, Chant Populaire sur la Captivité de Léon Fils du Roi Héthoum I, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1.
- Vartan Le Grand, L'Histoire Universelle in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1.

- Histoire Universelle (extrait), ed. M. Dularier, in J.A., Vol. 16, 1868.
- Villehardouin (Geofrey), The Chronicle of the Fourth Crusade, trans. by F. Marzials, London, 1908.
- Vincent de Beauvais, Speculum Historiale, Graz-Austria, 1965.
- Wibrand of Oldenberg, Itinerarium Terrae Sanctae, ed. J.M. Laurent, in Peregrinatores medii aeviquatuor, 2nd ed., Leipzig, 1873.
- Walter The Chancellor, Bella Antiochena, in R.H.C.-H.Occ., Vol. V.
- William of Malmesbury, Gesta Regum Anglorum, 2 Vols, ed. W. Stubbs, in R.S., London 1889.
- William of Nangis, Vie de Saint Louis, in R.H.C.F., Vol. XX.
- William Rubruk, Itinerarium, trans. by W.W. Rockhill, Hakluyt Society, Ser. 2, Vol. 41, London, 1900.
- William of Tripoli, Tractatus de Status Saracenorum, ed. Hanz Prutz, in Kulturgeschichte der Kreuzzuge, Berlin, 1883.
- William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the sea, 2 Vols, trans. and annotated by Emily Babcock and A.C. Krey, New York, 1943.

٤ - المصادر الاصلية العربية

- ابن أبى الفضائل (ت فى منتصف القرن ٨هـ /منتصف القرن ١٠م)
مفضل :

« النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد » .
نشره مع ترجمة فرنسية بلوشيه . انظر :

Moufazzal Ibn Abil-Fazail, Histoire des Sultans Mamlouks, Texte
Arabe Publié et Traduit en Francais, Par E. Blochot, in P.O.,
toms. XII, VIX, Paris, 1911-1912.

- ابن الاثير الجزرى (ت ٦٣٠هـ /١٢٣٣م) أبو الحسن بن أبى الكرم
الملقب عز الدين :

- « الكامل فى التاريخ » - ١٢ ج - القاهرة (المطبعة
الازهرية) ١٣٠١هـ .

- « التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية بالموصل » - تحقيق
عبد القادر طليمات - القاهرة ١٩٦٣ م .

- ابن أيبك الدوادار (ت ٧٣٢هـ /١٣٣٣م) أبو بكر من عبد الله :
« الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية » - وهو الجزء
الثامن من « كنز الدر وجامع الغرر » ، تحقيق أولرخ
هارمان ، القاهرة ١٩٧١م .

- ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ /١٣٧٧م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله :
« تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار » -
جزءان - القاهرة ، ١٩٥٨م .

- ابن الجوزى (سبط) (ت ٦٥٤هـ /١٢٥٦م) أبو المظفر شمس الدين :
« مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان » - ج ٨ فى ٣ أقسام -
حيدر آباد - ١٣٧٠هـ /١٩٥١م .

- ابن حبيب (ت ٧٧٩هـ /١٣٧٧م) الحسن بن عمر :
« تذكرة النبیه فى أيام المنصور وبنیه » - الجزء الاول ،
تحقيق : محمد محمد أمين ، مراجعة د . سعيد عاشور ،
القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٧٦م .

- ابن خرداذبة (ت في حدود ٣٠٠هـ / ٩٠٩م) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله :

« كتاب المسالك والممالك » - ليدن (مطبعة بريل)
١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م .

- خواندمير (ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) غياث الدين بن همام الدين الحسيني :
« دستور الوزراء » - ترجمة وتعليق حربي أمين سليمان
- القاهرة ، ١٩٨٠ .

- ابن الشحنة (ت ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م) محب الدين أبو الفضل محمد ابن الشحنة الحلبي : « الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب » - نشره الياس مركيس (مطبعة الآباء اليسوعيين)
بيروت ١٩٠٩م .

- ابن شداد (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٨ - ١٢٣٩م) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف رافع بن تميم :

« النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » - تحقيق جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٦٤م .

- ابن شداد (ت ٦٤٨هـ / ١٢٨٥م) عز الدين محمد بن علي :
« الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة » -
٣ ج - تحقيق يحيى عبادة - دمشق ١٩٧٨م .

- ابن الفقيه (ت أواخر القرن ٣هـ / أوائل القرن ١٠م) أبو بكر أحمد بن محمد المهداني :

« مختصر كتاب البلدان » - ليدن ، ١٣٠٢م .

- ابن ناصر (عاش في القرن ٥هـ / القرن ١١م) صدر الدين أبو الحسن علي :

« أخبار الدولة السلجوقية » - نشره محمد اقبال - لاهور
١٩٣٣م .

- الراوندى (تاريخ الوفاة غير معلوم) محمد بن على :
« راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية »
نقله من الفارسية ابراهيم أمين الشواربى وآخرون ، القاهرة
١٩٦٠م .
- رشيد الدين الهمذانى (ت ٧١٨هـ / ١٣١٩م) رشيد الدين بن عماد
الدولة أبى الخير الملقب بالهمذانى :
« جامع التواريخ » - الجزء الاول ، المجلد الثانى ،
ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون ، القاهرة ١٩٦٠م .
- ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) محيى الدين :
« الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر » - تحقيق
عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦م .
- تشرىف الايام والعصور فى سيرة الملك المنصور - تحقيق
مزاد كامل ، القاهرة ١٩٦١م .
- ابن العبرى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون
الملطى :
« تاريخ مختصر الدول » - بيروت (المطبعة الكاثوليكية
للآباء اليسوعيين) ١٩٥٨م .
- ابن العديم (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله
بن أبى جرادة :
« زبدة الحلب من تاريخ حلب » - ٣ ج - تحقيق سامى
الدهان - دمشق - ١٩٥١م .
- ابن العميد (ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٤م) جرجس أبو عبد الله بن أبى اليسر
الملقب بالمكين :
« تاريخه » نشره كلود كاهن تحت عنوان « تاريخ
الايوبيين » انظر :

Cahen (Claud), La Chronique des Ayyoubides d'Al-Makin B. Al-Amid, in B.E.O., Vol. 15, 1955-57, pp. 109-184.

- ابن عساكر (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) الحافظ بن عساكر :
« التاريخ الكبير » - ٦ أجزاء في ثلاث مجلدات - دمشق
(مطبعة الشام) ١٣٣٩ - ١٣٤٩م .

- ابن القلانسي (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) أبو يعلى حمزة بن أسد الدين
بن على بن محمد :
« ذيل تاريخ دمشق » - بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين)
١٩٠٨م .

- ابن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر
القرشي :
- « تفسير القرآن العظيم » - ٨ أجزاء ، القاهرة
(مطبعة دار الشعب) ١٩٧١م .
- « البداية والنهاية » - ١٤ جزء في ٧ مجلدات - بيروت
١٩٧٧م .

- ابن منقذ (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد :
« الاعتبار » - تحقيق فيليب حتى - برنستون ١٩٣٠م .
- ابن ميسر (ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) محمد بن على بن يوسف بن جلب :
« أخبار مصر » جزءان - نشره هنرى ماسيه - القاهرة
(مطبعة المعهد العلمى الفرنسى) ١٩١٩م .

- ابن نظيف (عاش فى القرن ٧هـ / القرن ١٣م) أبو الفضائل الحموى :
« التاريخ المنصورى » وهو تلخيص الكشف والبيان فى
حوادث الزمان ، تحقيق أبو العيد دودو ، دمشق
١٩٨١م .

- ابن واصل (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م) جمال الدين أبو عبد الله محمد
بن سليم :
« مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » - ٥ ج - ج ١ ،
٢ ، ٣ تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال - القاهرة
١٩٦٠م ، ج ٤ ، ٥ ، تحقيق الدكتور حسنين ربيع -
القاهرة (دار الكتب) ١٩٧٢ ، ١٩٧٧ ، .

- ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر
عمر بن محمد :

« تنمة المختصر في أخبار البشر » - جزآن - تحقيق
أحمد رفعت البدرأوى ، بيروت ١٩٧٠م .

- أبو شامة (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم
بن عثمان شهاب الدين :

- « كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية
والصلاحية » - ٢ ج في مجلد واحد - القاهرة (مطبعة
وادي النيل) ١٢٨٧ - ١٢٨٨م .

- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل
على الروضتين - نشره السيد عزت العطار - بيروت
الطبعة الثانية (١٩٧٤م) .

- أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا
اسماعيل :

« المختصر في أخبار البشر » - ٤ ج - القاهرة (المطبعة
الحسينية) ، ١٣٢٥هـ .

- أبو المحاسن (ت ٨٧٤ / ١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف
بن تغرى بردى :

« النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » - ٩ ج -
القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٤٨ - ١٣٦١هـ /
١٩٢٩ - ١٩٤٢م .

- أبو اليمن العليمي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢١م) عبد الرحمن بن محمد
بن مغير الدين :

« الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » - النجف
(المطبعة الحيدرية) ١٩٦٨م .

- الاصطخرى (عاش في القرن ٤هـ / القرن ١٠م) أبو اسحق ابراهيم
بن محمد :

- البلاذرى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر :
« فتوح البلدان » - القاهرة ١٣١٩هـ / ١٩٠١م .

- البندارى (ت فى النصف الاول من القرن ٧هـ / النصف الاول من القرن ١٣م) ، الفتح ابن على بن محمد الاصفهانى :
« تاريخ دولة آل سلجوق » - القاهرة ١٩٠٠م .

- السيوطى (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) جلال الدين عبد الرحمن
بن أبى بكر :

- « حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة » جزءان ،
تحقيق أحمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٧ -
١٩٦٨م .

- الاصفهانى (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) عماد الدين محمد بن محمد
بن حامد :

« الفتح القسى فى الفتح القدسى » - تحقيق محمد محمود
صبح - القاهرة ١٩٦٥م .

- صالح بن يحيى (تاريخ الوفاة غير معلوم) .
« تاريخ بيروت » - نشره الأب لويس شيخو - بيروت
١٩٢٧م .

- الطرطوسى (عاش فى القرن ٦هـ / ١٢م) مرضى بن على :
« تبصرة الباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأسواء
ونشر أعلام الاعلام فى العدد والآلات المعينة على لقاء
الاعداء » - نشره مع ترجمة فرنسية كلود كاهن . انظر :
Cahen (Claud), Un Traité D'Armurerie Composé Pour Saladin in
B.E.O., 1947-1948, pp. 103-163.

- القلقشندى (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله:
« صبح الاعشى فى صناعة الانشا » - ١٤ ج - القاهرة
١٩١٣ - ١٩٣٣م .

- القفطى (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٣م) جمال الدين بن يوسف :
« تاريخ الحكماء » ليبزج ١٩٠٣م .

- مؤرخ مجهول (عاش في نهاية القرن ٦هـ / نهاية القرن ١٢م) :
« البستان الجامع لجمع تواريخ الزمان » - نشره مع
ترجمة فرنسية كلود كاهن . انظر :

Cahen (Claud), Un Chronique Syrien de VIe Siècle : «Le Bustan
Al-Jami Li-Jami. tawarih az-zaman», in B.E.O., Vol. VIII,
1938, pp. 113-158.

- المقدسى (عاش في القرن ٤هـ / القرن ١٠م) شمس الدين أبو عبد الله
المعروف بالبشارى :
« أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » - ليدن (الطبعة
الثانية) ١٩٠٣م .

- المقرئى (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) تقى الدين أبو العباس أحمد :
١ - « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » -
٢ ج - بولاق ١٢٧٠هـ .
٢ - « السلوك لمعرفة دول الملوك » - الجزء الاول في
ثلاثة أقسام - نشره محمد مصطفى زيادة - القاهرة
١٩٣٤م - ١٩٤٢م .
٣ - « اغائة الامة بكشف الغمة » - نشره بدر الدين
السباعى - حمص ١٩٥٦م .

- النسوى (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) شهاب الدين محمد بن عبد الواحد
المنشئ النسوى :
« سيرة السلطان جلال الدين منكبرى » - نشره حافظ
حمدى - القاهرة ١٩٥٣م .

- ياقوت الرومى الحموى (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) أبو عبد الله ياقوت
بن عبد الله الملقب شهاب الدين :
« معجم البلدان » - ٤ ج وفهرست - ليبزج ١٨٦٦ -
١٨٧٠م .

- ٥٥٢ -

- يحيى الانطاكى (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) يحيى بن سعيد الانطاكى :
« تاريخه » - وهو ما ذيل به على التاريخ المجموع على
التحقيق والتصديق لسعيد بن البطريق - نشره لويس
شيخو - بيروت ١٩٠٩م .

- اليونينى (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) قطب الدين موسى بن محمد :
« ذيل مرآة الزمان » - ٢ ج - حيدر آباد ١٩٥٤ -
١٩٥٥م .

٥ - المراجع الثانوية الاوربية

- Ahrweiler (Helen). *Byzance et La Mer*, Paris, 1966.
- Allen (W.E.D.). *The History of the Georgian People*, London, 1932.
- Alishan (L.M.), *Léon Le Magnifique, Premier roi de Sissouan ou de L'Armene Cilicie*, trans. by G. Bayar, Venice, 1888.
- Angold (M.). *Byzantine Empire*, New York, 1984.
- Gransden (A.). *Historical Writing in England, C. 550 to C. 1307*, 2 Vols, London, 1974.
- Atiya (A.S.). *The Crusade in the Later Middle Ages*, London, 1938.
- *The Crusade, Histroigraphy and Bibliography*, Bloomington, 1962.
- Baldwin (M.W.). *Raymond III of Tripoli and the fall of Jerusalem*, Princeton, 1963.
- Bashford (D.). *The Exploration of a Crusader Fortress (Montfort)*, in *J.C.U.L.*, Vol. 22.
- Blochet (E.). *Relations diplomatiques de Hohenstaufen avec les Sultans d'Egypt*, in *R.H.*, Vol. 80.
- Boas (T.S.R.), *Kindgdoms and strongholds of the Crusaders*, London, 1971.
- (ed.). *The Cilician Kingdom of Armenia*, London, 1978.
- Bouchier (S.). *A short History of Antioch*, Oxford, 1921.
- Boyle (J.A.). *Dynastic and Political History of the Ilkhans*, in *C.H.J.* Vol. 6.
- *The death of the last Abbasid Caliph*, in *J.S.S.*, Vol. 6.
- *The Journey of Hetum I, King of Little Armenia, to the Court of The Great Khan Mongke*; in *C.A.J.*, 1964.

- Boyle (J.A.), Rashid Al-Din : The First World Historian, in I.C., Vol. 44, 1970; pp. 9-17.
- Brand (Charles M.), The Byzantines and Saladin in 1185-1192, Opponents of the Third Crusade, in Speculum, Vol. 37.
- A Byzantine Plan for the Fourth Crusade, in Speculum, Vol. 43.
- Brehier (B.), The Various Bohemonds Princes of Antioch, in D.H.G.E. Vol. 9.
- Eretschneider, King Haithon's Journey to Mongolia, in Medieval Researches, 2 Vols, London, 1888.
- Bridge (Antony), The Crusades, London, 1980.
- Brundage (James), The Crusades : A Documentary Survey, Wisconsin. 1976.
- An errant Crusader, Stephen of Blois, in Traditio, Vol. 16, 1959.
- Byrne (E.H.), The Genoese Colonies in Syria, in the Crusades and other essays Presented to Dana Munro, ed. by Peatow, New York, 1928.
- Genoese Trade with Syria, in A.H.R., Vol. 25.
- Cahen (Claud), La Chronique de Kirtay et les Francs, in J.A., 1937.
- Quelques textes négligés concernant les turcomans de Rum, in B., Vol. 14, 1939.
- Notes Sur L'Histoire des Croisades, III, in B.F.L.S., no. 8, 1951.
- Pre Ottoman Turkey, Trans. by J. Jones Williams, London, 1968.
- Un Famille Byzantine au service des Seldjuqides d'Asie Mineur, in Variorum, London, 1974.
- Orient et Occident au temps des Croisades, Paris, 1983.

- La Syrie du Nord a l'Epoque des Croisades et la principaute Franque d'Antioche. Paris, 1940.
- Saint Louis et L'Islam, in J.A., 1970.
- Chalandon (F.), Histoire de La Première Croisade, Paris, 1925.
- Colienberg (W.H. Rudt), The Rupenides, Hethumides and Lusignans, The Structure of the Armeno-Cilician Dynasties, Paris, 1963.
- A Fragmentary Copy of an Unknown recension of the Lignages d'Outre-Mer in the Vatican Library, in E.H.R., Vol. 98.
- Conder (R.) and Masterman (G.), A visit to the ruined Castle of the Teutonic Knights, in P.E.F. 1919.
- Constable (G.), The second Crusade as seen by contemporaries, in Traditio, Vol. IX, 1953.
- Davis (R.H.C.), William of Tyre, in Relation between East and West in the Middle Ages, ed. by Derek Baker, Edinburgh, 1973, pp. 64-76.
- De Frémery (C.), Nouvelle Recherches sur les Isméliens ou Bathniens de Syrie, in J.A., 1855.
- De Laruelle (E.), L'Idée de Croisade Au Moyen Age, Torino, 1980.
- De Laville le roulx, Les Hospitalieres en Terre Sainte et à Chypre (1100-1310), Paris, 1904.
- De Schamp (P.), Le Crac de Chevaliers, Paris, 1434.
- Desmond (M.H.), The Mongol Army, in J.R.A.S., 1943.
- Delger (Franz), ed. Regesten der Kaiserurkunden des Ostromischen Reiches, Corpus der griechischen Urkunden des Mittelalters und der neuerezeit, 3 Vols, Munich — Berlin, 1924-32.
- Donovan (Joseph P.), Pelagius and the Fifth Crusade, Philadelphia, 1950.
- Duc De Castries, La Conquête de la Terre Sainte Par Les Croisés, Paris, 1973.

- Ducange (C.), *Les Familles d'Otremer*, ed. by G. Rey, Paris, 1869.
- Duggan (Alfred), *The story of the Crusades*, London, 1969.
- Dussaud (R.), *Topographie historique de La Syrie antique et médiévale*, Paris, 1927.
- Edbury (Peter W.) and Rowe (J.G.), William of Tyre and the patriarchal election of 1180, in *E.H.R.*, Vol. 366, 1978.
- Edbury (Peter W.), Feudal Obligation in the Latin East, in *B.*, Vol. 97.
- ed. *Crusade and Settlement*, Cardiff, 1985.
- Ehrentreutz (A.S.), Avabic Dinars Struck by the Crusaders, in *J.E.S.H.O.*, 1964.
- The Place of Saladin in the Naval history, in *J.A.O.S.*, Vol. 75.
- Elicsséef (Nikita), *Nur Ad-Din un Grand Prince Musulman de Syrie au Temps des Croisades*, Damas, 1967.
- Fedden (R.), Krak of the Knights, in *History*, Vol. 2.
- Fedden (R.), and Thomson (J.), *Crusader Castles*, London, 1957.
- Fink (H.), Fulcher of Chartres, Historian of the latin kingdom of Jerusalem, in *S.M.*, Vol. 5, 1975, pp. 53-60.
- Finucane (R.C.), *Soldiers of the Faith*, London, 1983.
- Flahiff (G.B.), *Deus Non Volt. A Critic of the Third Crusade*, in *M.S.*, Vol. 9.
- France (J.), The departure of Tatikos from the Crusader army, in *B.I.H.R.*, Vol. 44, no. 110, 1971.
- Geanakoplos (D.J.), *Emperor Michael Palaeologus and West*, Harvard, 1973.
- Gill (J.), Franks, Venetians and Pope Innocent III, in *S.V.*, 1970.

- Gregoire (H.), The Question of the diversion of the Fourth Crusade, in B., Vol. 15.
- Grousset (R.), Histoire des Croisade et du Royaume France de Jerusalem, 3 toms, Paris, 1934-36.
- Gutsch (M.R.), A twelfth Century Preacher, Fulk of Neuilly, in Crusades and other Historical Essays Presented to Dana Monro, ed. L.J. Pactow, New York, 1925.
- Guzman (G.), Simon of Saint Quentin and the Dominican Mission to Mongol Baiju. A Reppraisal, in Speculum, Vol. 46., 1971.
- Simon of Saint Quentin as Historian of the Mongols and Seljuk Turk, in M.H., Vol. 3, 1972, pp. 155-178.
- The Encyclopedist Vincent of Beauvais and his Mongol Extracts from John of Plano Carpini and Simon of Saint-Quentin, in Speculum, Vol. 49, pp. 287-302.
- The Cambron Manuscript of Speculum Historiale, in Manuscripta, Vol. 13, 1969, pp. 95-104.
- Krey (A.C.), Urban's Crusade success or Failure, in A.H.R., Vol. 53, 1947-48.
- Krey (A.C.), William of Tyre, The Making of An Historian in the Middle Ages, in speculum, Vol. 15, no. 2, 1941, pp. 149-166.
- La Monte (J.L.), The Communal Movement in 13th Century, in Haskins Anniversary Essays, Boston, New York, 1929.
- to what Extent was the Byzantine Empire the Suzerain of the Latin Crusading States, in B., Vol, 7, 1932.
- Feudul Monarchy in the Latin Kingdom of Jeruslam, New York, 1970.
- The rise and decline of a Frankish Seigneury in Syria, in R.H., Vol. 15.
- From Crusading kingdom to Commercial Colony, in B.P.I.A.S.A., Vol. 3., 1944-45.
- Taki Eddin Prince of Hama, in M.W., Vol. 31.

- The Lords of Sidon, in B., Vol. 17.
- The Lords of Caesarea in the Period of the Crusades, in Speculum, Vol. 22., 1947.
- The Significance of the Crusaders' States in medieval history, in B., Vol. 15, 1940-41.
- John Ibelin The Old Lord of Beirut., in B., Vol. 12., 1937.
- Leclercq (H.), Lateran Councils, in Catholic Encyclopedia, Vol. 9, London, 1910.
- Levi della Vida (G.), L'invasion dei Tartari in Siria nel 1260 nei ricordi di un testimone Doctorine, in Orientalia, Vol. 4, 1935.
- Lopez (R.S.), The Trade of Medieval Europe, the South, in C.E.H., Vol. 2, 1952.
- Back to Gold, in E.H.R., Vol. 9, 1957.
- Luchier (A.), Innocent III, La Question d'Orient, Paris, 1911.
- Lyons (M.C.) and Jakson (P.E.P.) Saladin, The Politics of the Holy War, Cambridge, 1982.
- Hagnemeyer (H.), Die kreuzzugsbriefe, Heidelberg, 1901.
- Hamilton (Bernard), The Elephant of Christ, Reynald of Châtillon, in S.C.H., Vol. 15, London, 1978.
- The Armenian Church and the Papacy at the time of the Crusades, in E.C.R., Vol. X, 1978.
- The Latin Church in the Crusader States, The Secular church, London, 1980.
- Haskins (C.H.), The Normans in European History, Cambridge, 1915.
- Glaesener (H.), Raoul de Caen, Historien et Ecrivain, in R.H.E., Vol. 46, 1951, pp. 5-21.
- Heyd (W.), Histoire du Commerce du Levant, 2 tomes, Léipzig, 1936.

- Hill (G.A.), A History of Cyprus, 3 Vols, Cambridge, 1948.
- Holt (P.M.), The Position and Power of the Mamluk Sultan, in B.S.O.A.S., Vol. 38, 1975.
- Howorth (H.), History of the Mongols, 5 Vols, London, 1876-1888.
- Humphreys (R.S.), The Emergence of the Mamluk Army, in S.I., Vol. 14, 1977.
- From Saladin to The Mongols, London, 1980.
- Huygens (R.B.C.) Guillaume de Tyre étudiant. Un Chapitre (XIX, 12) de Son Histoire retrouvé, in Latomus, t. 21, 1962, pp. 84-829.
- Editing of William of Tyre, in S.E., Vol. 27 1984, pp. 461-473.
- Jackson (Peter), The Crisis in the Holy Land, 1260; in E.H.R., 1980.
- Jordan (C.), Louis IX and the Challenge of the Crusades, London, 1979.
- Kedar (B.Z.), The general Tax of 1183 in the Crusading Kingdom of Jerusalem, in E.H.R., Vol. 89.
- The Passenger List of a Crusader Ship, 1250, in S.M. Vol. 13.
- King (E.J.), The knights Hospitallers in the Holy Land, London, 1931.
- Mas-Latrie (M.L.de), Histoire de L'île de Chypre sous Le règne des Princes de La Maison de Lusignan, 3 Vols, Vol. 1, Histoire, Vols. 2-3, Documentes, Paris, 1852-1861.
- Le Patriarches Latins d'Antioche, in R.O.L. Vol. 2, Paris, 1894.
- Mayer (H.), The Crusades, English trans. by John Gillingham, Oxford, 1972.
- Studies in the history of Queen Melisende, in D.O.P., Vol. 26.
- Michaud (J.F.), The crusades, English trans. by Robson, 3 Vols., London, 1852.

- Morgan (David), *The Mongols in Syria, in Crusade and Settlement*, Cardiff, 1985.
- Morgan (R.), *The Chronicle of Ernoul and the continuation of William of Tyre*, Oxford, 1973.
- Morris (C.), *Geoffrey de Villehardouin and the conquest of constantinople*, in *History*, Vol. 35, 1968, pp. 24-34.
- Munro (Dana), *The children Crusade*, in *A.H.R.*, Vol. 19, 1914.
- Munz (Peter), *Frederick Barbarossa, A Study in Medieval Politics*, London, 1969.
- Nesbitt (J.W.), *The rate of March of Crusading Armies in Eruope*, in *Traditio*, Vol. 19.
- Nicholson (R.L.), *Joseelyn III and the fall of the Crusader States*, Leiden, 1973.
- Norgato (K.) *Richard the Lion Heart*, London, 1924.
- Nowell (Ch. E.), *The Oldman of the mountain*, in *J.M.S.*, Vol. 22.
- Oman (Ch.), *A History of the Art of War in the Middle Ages*, 2 Vols, London, 1924.
- Ostrogorsky (G.), *History of the Byzantine State*, Englisch trans. by J. Hussey, Oxford, 1956.
- Paris (Gaston), *Les Memoires de Philippe de Novare* in *R.O.L.*, Vol. 9, Paris, 1902, pp. 164-205.
- Pelliot (P.), *Les Mongols et La Papauté*, in *R.O.C.*, Vols. 3-4, 1922-1924.
- Peltier (Henry), *Vincent de Beauvais* in *D.T.C.*, Vol. 15, 1950. Cols. 3026-3033.
- Perlbach (M.), *Die statuten des deutschen Ordens*, Halle, 1890.
- Peter (E.), *Christian Society and the Crusades (1198-1229)*, Philadelphia, 1971.

- Pirenne (H.), *Medieval Cities*, English trans. by F.D. Halsey, Princeton, 1948.
- Powicke (F.M.), *King Henry III and the Lord Edward*, 2 Vols, Oxford, 1947.
- Pradwin (M.), *L'Empire Mongol et Tamerlan*, Paris, 1937.
- Prawar (J.), *The Latin Kingdom of Jerusalem*, Jerusalem, 1972.
 - *Crusader Institutions*, 1980.
- Prestwich (J.O.), *Richard Coeur de Lion : Rex Bellicosus*, (Ricardo cuor di leone nella storia e nella legenda).
(=Accademia nazionale dei lincci no. 253), Rome, 1981.
- Prutz (H.), *Kulturgeschichte der Kreuzzuge*, Berlin, 1883.
 - *Die Besitzungen des Deutschen Ordens in Heiligen Lande*, Leizig, 1877.
- Rabie (Hassanoïn), *The Financial System of Egypt*, London 1972.
- Ramsay (W.M.) *The Historical Geograpy of Asia Minor*, London, 1890.
- Rey (E.G.), *Etude sur les Monuments de L'architecture militaire des croisades en Syrie et dans L'île de Chypre*, Paris, 1871.
- *Résume de L'Histoire des Princes d'Antioche*, in R.O.L., Vol. IV, Paris, 1896.
- *Les Dignitaires de La Principauté d'Antioche* in R.O.L., Vol. VIII, Paris, 1900-1901.
- *Les Seigneurs de Giblest*, in R.O.L., Vol. 3, Paris, 1893.
- Richard (J.) *Colonies merchandes privilégiées et march seigneurial*, in *Moyen Age*, Vol. 59, 1953.
 - *An account of the battle of Hattin reffering to the Frankish mercenaries in Oriental Moslem state*, in *Speculum*, Vol. 27.
 - *La Polotique Orientale de Saint Louis, La Croisade de 1248*, Paris, 1976.

- The Mongols and the Franks, in J.A.H., Vol.
- The Latin kingdom of Jerusalem, trans. by J. Sheriley 2 Vols, Oxford, 1979.
- Raymond d'Aguilers, Historien de La Première Croisade, in J.S., 1971, pp. 206-212.
- Rohricht (R.), Geschichte des konigreichs Jerusalem, (1100-1221), Innsbruk, 1898.
- Etudes sur les dernier temps du Royaume de Jerusalem, in A.O.L. 2, Paris, 1884.
- Runciman (Steven), The Holy Lance Found at Antioch, in B., Vol. 68, 1950.
- The Eastern Schism and the Eastern churches during the XIth and XIIth Century, Oxford, 1955.
- A History of the Crusades, 3 Vols, Cambridge, 1968.
- Salibi (Kamal), The Buhturids of the Garb, in Arabica, Vol. 8, 1961.
- Saunders (J.J.), The History of the Mongol Conquest, London, 1971.
- Aspects of the Crusades, Newzeland, 1961.
- Schlumberger (G.), Campagens du Roi Amaury 1er de Jérusalem en Egypte, Paris, 1906.
- Setton (K.M.), A History of the Crusades, 5 Vols, 1958-11985.
- Seward (D.), The Teutonic Knights, in History today, Vol. 20.
- Sinor (Denis), Les relations entre les Mongols et L'Europe jusqu'à la mort d'Arghon et de Bella IV, in J.W.H., Vol. 3, 1956.
- Smail (R.C.), The Crusaders in Syria and the Holy Land, U.S.A., 1973.
- Crusading Warfare, Cambridge, 1976.

- Smith (Johnathan Riley), *The knights of St. John in Jerusalem and Cyprus (1050-1310)*, London, 1967.
- Government in Latin Syria and the Commercial privileges of foreign merchants, in *Relations between East and West in Middle Ages*, ed. D. Baker, Edinburgh, 1973.
- Peace never established : The Case of the kingdom of Jerusalem, in *J.R.H.S.*, Vol.
- Tatcher (O.), Critical work on the sources of the first Crusade, in *A.R.A.H.A.*, Vol. 1, 1900; pp. 501-509.
- Thorau (Reter), *The Battle of Ayn Jalut, a Reexamined*, in *Crusade and Settlement*, Cardiff, 1985.
- Thurston (H.), Acclamations, in *The Catholic Encyclopaedia*, Vol. 1.
- Tournebize (H.F.), *Histoire Politique et religieuse de L'Arménie*, Paris, 1910.
- Tumler (M.), *Der Deutschen Orden in Werden Waschen, Und Wirken bis 1400*, Wien, 1955.
- Tyerman (C.J.), Marino Sanudo Torsello and the Lost Crusade : Lobbying in the Fourteenth Century, in *T.R.H.S.*, Vol. 32, 1982, pp. 57-73.
- Van Cleve (T.C.), *The Emperor Frederic II of Henstaufen*, Oxford, 1972.
- Vasiliev (A.A.), *History of the Byzantine Empire*, University of Wisconsin Press, 1961.
- The Foundation of the Empire of Trabizond, in *Speculum* Vol. XI, 1936.
- Vaughan (R.), *Matthew Paris*, Cambridge, 1958.
- Vessey (D.W.T.C.), William of Tyre and the art of Histriography, in *M.S.* Vol. 35, 1973, pp. 433-455.
- Wolf (Lee R.), Baldwin of Flanders and Hainaut, First Emperor of Constantinople, in *Speculum*, Vol. 27.
- Yewdale (R.B.), *Bohemond I, Prince of Antioch*, Priceton, 1924.

٦ - المراجع الثانوية العربية والمعرية

- أسامة زكى زيد (دكتور) :
 - الصليبيون واسماعيلية الشام فى عصر الحروب الصليبية ، الاسكندرية ، ١٩٦٨م .
 - الخوارزمية ودورهم فى الصراع الصليبي الاسلامى فى عصر بنى أيوب ، مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، العدد ٣٠ ، الاسكندرية ١٩٨٢م .
- السيد الباز العرينى (دكتور) :
 - « مؤرخو الحروب الصليبية » ، القاهرة ١٩٦٢م .
- السيد عبد العزيز سالم (دكتور) :
 - تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى حتى الفتح العثمانى ، الاسكندرية ١٩٦١م .
 - طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٦٦م .
 - التاريخ والمؤرخون العرب ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ م .
- جمال الدين مرور (دكتور) :
 - النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق ، القاهرة ١٩٥٧م .
 - دولة الظاهر بيبرس فى مصر ، القاهرة ١٩٦٠م .
- جوزيف نسيم يوسف (دكتور) :
 - الوحدة وحركات اليقظة العربية ابان العدوان الصليبي ، الاسكندرية ١٩٦٦م .
 - العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الاولى ، الاسكندرية ١٩٦٧م .
 - العدوان الصليبي على مصر ، الاسكندرية ١٩٨٤م .
 - العدوان الصليبي على بلاد الشام ، الاسكندرية ١٩٨٤م .
 - تاريخ أوربا العصور الوسطى وحضارتها ، الاسكندرية ١٩٨٤م .

- حسنين محمد ربيع (دكتور) :
« بحر الحجاز في العصور الوسطى » ، مجلة كلية العلوم
الاجتماعية بالرياض ، الجزء الاول .

- حسين أمين (دكتور) :
« العراق في العصر السلجوقي » ، بغداد ١٩٦٥م .

- حسين محمد عطية :
« امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول
الاسلامية المجاورة » (١٠٩٨ - ١١٧١ م /
٤٩٢ - ٥٦٧ هـ) رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، الاسكندرية
١٩٨١م .

- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :
- قبرص والحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٥٧م .
- سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ، مجلة الجمعية
المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٦٨م .
- الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربى
في العصور الوسطى ، جزآن ، القاهرة ١٩٧٥م .

- صلاح الدين المنجد :
أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ، بيروت ١٩٧٨م .

- عباس العزاوى :
« التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان » ، بغداد
١٩٥٧ .

- عبد السلام عبد العزيز فهمى :
تاريخ الدولة المغولية في ايران القاهرة ١٩٨١م .

- عبد المنعم ماجد (دكتور) :
نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، جزآن ، القاهرة
١٩٧٣م .

- عمر كمال توفيق (دكتور) :
« المؤرخ وليم الصوري » ، مجلة كلية الآداب جامعة
الاسكندرية ، العدد ٢١ لسنة ١٩٧٠م ، مطبعة جامعة
الاسكندرية - ١٩٦٩ م .

- لسترانج (جى) :
بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس
عواد ، بغداد ١٩٥٤م .

- محمد محمد مرسى الشيخ (دكتور) :
الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها (١٠٩٧
م - ١١٤٤م) ، الاسكندرية ١٩٧١م .

- محمود سعيد عمران (دكتور) :
- السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية في عهد
الامبراطور مانويل الاول كومنين ، الاسكندرية ١٩٨٥م .
- الحملة الصليبية الخامسة ، حملة جان دي برين على
مصر ، الاسكندرية ، ١٩٨٥م .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
تقديم بقلم الاستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف	ط - م
تقديم بقلم الدكتور بيتر وليام ادبيورى	ع
مقدمة المؤلف	٣ - ١٦
- دراسة تحليلية نقدية مقارنة لأهم مصادر البحث	١٧ - ٩٩
- الخطابات والوثائق الصليبية - المصادر اللاتينية - المصادر البيزنطية - المصادر الارمينية والمريانية - المصادر الفارسية - المصادر العربية .	
الفصل الاول	١٠١ - ١٦٥

امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بجيرانها
المسلمين حتى نهاية الدولة الفاطمية (١٠٩٨ - ١١٧١م /
٤٩٢ - ٥٦٧ هـ)

- مدينة انطاكية وأهميتها العسكرية والاقتصادية والدينية
وظروفها السياسية .

✓ - سقوط انطاكية في أيدي الصليبيين عام ١٠٩٨م / ٤٩٢ هـ ،
ورود الفعل الاسلامى .

✓ - قيام امارة انطاكية الصليبية ١٠٩٨م / ٤٩٢ هـ . وأهميتها
بالنسبة لمملكة بيت المقدس الصليبية في الشام .

- سياسة أمراء انطاكية تجاه جيرانهم المسلمين منذ تأسيس
الامارة وحتى نهاية الدولة الفاطمية في مصر .

- دور امارة انطاكية الصليبية في تدعيم موقف جماعات
الفرسان الرهبان وجاليات المدن التجارية الايطالية في
منطقة الشرق الادنى ، والآثار المترتبة على ذلك بالنسبة
لعلاقاتها مع المسلمين .

الامارة وعلاقتها السياسية بجيرانها المسلمين في فترة
الانحسار الصليبي (١١٧١ - ١٢٠١م / ٥٦٧ - ٥٩٧ هـ)

- فترة الحماية البيزنطية على امارة انطاكية وأثر ذلك
على العلاقات السياسية بين بوهيمند الثالث وكل من
نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي (١١٧١ -
١١٧٤م / ٥٦٧ - ٥٧٠ م) .

- موقف بوهيمند الثالث تجاه صلاح الدين خلال فترة
تثبيت مركزه في بلاد الشام (١١٧٤ - ١١٧٧م / ٥٧٠ -
٥٧٣ هـ) .

- الحملة الفلمنكية وانتهاء الحماية البيزنطية على امارة
انطاكية (١١٧٧م / ٥٧٣ هـ) .

- سياسة صلاح الدين تجاه امارة انطاكية قبل موقعة
حطين وبعدها ، وموقف بوهيمند الثالث تجاه هذه
السياسة ، والنتائج المترتبة على ذلك (١١٧٧ -
١١٩٠م / ٥٧٣ - ٥٨٦ هـ) .

- الحملة الصليبية الثالثة ودور بوهيمند الثالث فيها ،
وأثرها على العلاقات السياسية بين امارة انطاكية
وجيرانها المسلمين (١١٩١م / ٥٨٧ هـ) .

- سياسة بوهيمند الثالث حيال المسلمين في فترة ما بعد
صلاح الدين .

← امارة انطاكية الصليبية وعلاقتها السياسية بجيرانها
المسلمين في فترة توازن القوى بين الصليبيين والمسلمين
(١٢٠١ - ١٢٣٣م / ٥٩٧ - ٦٣٠ هـ) .

الموضوع الصفحة

١ - امارة بوهيمند الرابع الاولى (١٢٠١ - ١٢١٦م / ٥٩٧ - ٦١٣ هـ) .

- الهدوء النسبي في الصراع بين افرنج انطاكية وجيرانهم المسلمين وأسبابه .

- موقف الأيوبيين في حلب من الحرب الاهلية في انطاكية (١٢٠١م / ٥٩٧ هـ) .

- التحالف بين بوهيمند الرابع والظاهر غازي صاحب حلب ضد ليو الثاني الارمني (١٢٠١ - ١٢١٦م / ٥٩٧ - ٦١٣ هـ) أسبابه وآثاره .

٢ - امارة ريموند روبين الارمني في انطاكية وأثرها على علاقات انطاكية بالمسلمين (١٢١٦ - ١٢١٩م / ٦١٣ - ٦١٦ هـ) .

٣ - امارة بوهيمند الرابع الثانية (١٢١٩ - ١٢٣٣م / ٦١٦ - ٦٣٠ هـ) :

- موقف بوهيمند من الحملة الصليبية الخامسة وأثره على علاقات انطاكية بالمسلمين (١٢١٩ - ١٢٢١م / ٦١٦ - ٦١٨ هـ) .

- سياسة بوهيمند الرابع تجاه كل من الارمن وملاجقة الروم ، وأثرها على علاقات انطاكية بمسلمي حلب (١٢٢١ - ١٢٢٧م / ٦١٨ - ٦٢٤ هـ) .

- موقف بوهيمند الرابع من الحملة الصليبية السادسة وأثره على العلاقات بين انطاكية وجيرانها المسلمين حتى نهاية عهده . (١٢٢٨ - ١٢٣٣م / ٦٢٤ - ٦٣٠ هـ) .

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع	٣٤١ - ٤٠٤
، مارة انطاكية الصليبية وعلاقتها السياسية بجيرانها المسلمين في فترة التفكك الصليبي والاسلامى (١٢٣٣ - ١٢٥٨ م / ٦٣٠ - ٦٥٦ هـ) .	
١ - اماره بوهيمند الخامس (١٢٣٣ - ١٢٥١ م / ٦٣٠ - ٦٤٩ هـ) :	
- تحالف بوهيمند الخامس مع الاسبتارية ضد المسلمين في بعشرين ١٢٣٤ م / ٦٣١ هـ ، أسبابه ونتائجه .	
- تحالف بوهيمند الخامس مع الداوية ضد أرمن قيليقية ١٢٣٤ م / ٦٣١ هـ ، وانعكاسه على العلاقات الانطاكية الاسلامية .	
- موقف بوهيمند الخامس من الصراع بين الداوية وبين الأيوبيين في حلب (١٢٣٣ م - ١٢٣٧ م / ٦٣٠ - ٦٣٤ هـ) ونتائجه .	
- موقف الامير الانطاكى من الصراع بين الخوارزمية والايوبيين في بلاد الشام (١٢٤١ - ١٢٤٤ م / ٦٣٨ - ٦٤١ هـ) .	
- سياسة بوهيمند الخامس السلمية تجاه المسلمين ، أسبابها ونتائجها (١٢٤٤ - ١٢٥١ م / ٦٤٢ - ٦٤٩ هـ) .	
٢ - اماره بوهيمند السادس (١٢٥٢ - ١٢٦٨ م / ٦٤٩ - ٦٦٦ هـ) :	
- الحملة السابعة على مصر ، وآثارها على العلاقات بين اماره انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين (١٢٥٢ - ١٢٥٤ م / ٦٥٠ - ٦٥٢ هـ) .	

- موقف بوهيمند السادس من الحرب الاهلية بين المسلمين في مملكة بيت المقدس وأثره على العلاقات السياسية بين امارة انطاكية والمسلمين (١٢٥٤ - ١٢٥٨م/٦٥٤ - ٦٥٦ هـ) .

٤٠٦ - ٤٩٤ الفصل الخامس

- سقوط امارة انطاكية الصليبية (١٢٥٩ - ١٢٦٨م/٦٥٧ - ٦٦٦ هـ) .
- التحالف الانطاكي الارمني المغولي ضد المسلمين (١٢٥٩م/٦٥٧ هـ) ، وآثاره .
- سياسة المماليك تجاه انطاكية بعد موقعة عين جالوت (١٢٦٠ - ١٢٦٨م/٦٥٩ - ٦٦٦ هـ) .
- أحوال امارة انطاكية قبل سقوطها في أيدي المماليك .
- سقوط مدينة انطاكية وانتهاء امارتها الصليبية (١٢٦٨م/٦٦٦ هـ) .
- أحوال أمراء انطاكية في طرابلس (١٢٦٨ - ١٢٨٩م/٦٦٦ - ٦٨٨ هـ) .

٤٩٥ - ٥٠٦ الخاتمة

- الخطوط العريضة للعلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين ، ومواقفها حيال مختلف القوى التي تعاملت معها .
- أهم القضايا التي تعرض لها موضوع البحث ، والآراء والاستنتاجات التي تم التوصل اليها .

٥٠٧ - ٥٢٨

٥٢٩ - ٥٦٦

٥٦٧

الملاحق

الخرائط. والرسوم

قائمة المصادر والمراجع

الفهرس

تم بحمد الله





رقم الايداع بدار الكتب ٨٨/٧٨٤٩



